

الدكتور عمر مطوبى

الفتوى وسرعة التخيص

ساعدت جامعة بغداد على نشره

منشورات مكتبة النهضة بغداد

الدكتور محمد مطهر

الفزوي وسرع النخيل

ساعات جامعة بغداد على نشره

منتسورات مكتبة النهضة بغداد

الطبعة الاولى

١٩٦٧ - ١٣٨٧

+ حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

+ طبع بمطابع دار التضامن - بغداد

الإهداء

الى

المؤمنين بالقرآن الكريم وبلاغته ، العاملين
به لاسعاد الأمة واقامة دولة العرب الكبرى .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عزيزي القاريء :

في صبيحة يوم الاحد ١٤ تموز ١٩٦٣ (٢٣ صفر ١٣٨٣ هـ) نوقش هذا البحث في كلية الاداب بجامعة القاهرة ، وقال درجة الدكتوراه بمرتبة « الشرف الاولي » . وكانت اللجنة المناقشة برئاسة الاستاذة الكبيرة الدكتورة سهير القلماوي « المشرفة » وعضوية الاستاذين الجليلين : الدكتور عبدالحميد يونس ، والدكتور عبدالعزيز الاهواني .

واليوم اقدمه بين يديك - عزيزي القاريء - كما قدمته الى اللجنة المناقشة قبل عامين ، لاني مؤمن بأن هذا البحث يمثل فترة من حياتي الفكرية . فان وجدت فيه بغيثك ، ووقع من تفسك وقعا حسنا ، فذلك ما أردته وسعيتُ اليه ، وإن عزفت عنه فحسبي الله ونعم الوكيل .

احمد مطلوب

دكتوراه في الاداب بمرتبة الشرف الاولي
واستاذ مساعد في كلية الاداب
جامعة بغداد

بغداد في :
أول آب ١٩٦٥
٤ ربيع الثاني ١٣٨٥

تقديم

للاستاذة الكبيرة
الدكتورة سهير القلماوي

كان العرب يجلبون علم البلاغة ، ويضعونه بمنزلة ترقى به فوق سائر العلوم ، لذلك كانوا يؤلفون فيه بدافع لا يتوفر لديهم عندما يؤلفون في العلوم الاخرى . . انهم يرون فيه الوسيلة الجديرة بالانسان الى الايمان السليم ، لانه الوسيلة التي بها يدرك مدى الاعجاز ووجوهه في القرآن الكريم . وهذا محمد بن عبدالرحمن جلال الدين القزويني يقول : « فلما كان علم البلاغة وتوابعها من أجل العلوم قدراً ، وأدقها سرّاً إذ به تعرف دقائق العربية واسرارها ، ويكشف عن وجوه الاعجاز في نظم القرآن استارها . . ألفت مختصراً يتضمن ما فيه من القواعد . . »

ويعلق سعد الدين التفتازاني - أحد شراح القزويني - على هذا بقوله : « لاشتماله على الدقائق والاسرار الخارجة عن طرق البشر ، وهذا وسيلة الى تصديق النبي (ص) ، وهو وسيلة الى الفوز بجميع السعادات فيكون من أجل العلوم ، لكون معلومه وغاياته من أجل المعلومات والغايات . . »

لذلك كثر التأليف في هذا العلم على مر العصور ، بل كثر التأليف في كل العلوم المتصلة به حتى في العصور التي ضعف فيها الابتكار وقلت الحوافز والدوافع على اضافة الجديد الى العلوم والمعارف .

ويُعدُّ القزويني بما اُضاف في هذا الميدان عكماً ضخماً لاسباب عدة من أهمها : انه كان آخر من اُضاف الى هذا العلم ، فظلَّ طوال قرون وقرون عمدةَ الدرس البلاغي لابناء اللغة العربية . لقد ظلوا منذ زمانه في القرن الرابع عشر حتى اواخر القرن التاسع عشر يعيدون في تلخيصه وايضاحه شرحاً وتلخيصاً وتعليقاً حتى قيَّض الله لنا من بعث الاهتمام بغير القزويني من اعلام البلاغة ، فكان هذا البعث الذي قام به الامام محمد عبده بتدريسه « دلائل الاعجاز » و« أسرار البلاغة » في الازهر الشريف .

هذه هي الخطوة الاولى في سبيل تناول التراث القديم تناولاً جديداً يُقضي الى احيائه وتمكينه من أداء دوره في الابتكار الجديد والخلق الحديث .

ولم يكن من الممكن ان يعيش كتابا القزويني وقد اعتمدا على القسم الثالث من « المفتاح » للسكاكي دون ان يعيش اصلهما الذي عنه قلا، الا ان تكون للقزويني اضافات الى الاصل تبرر هذه الظاهرة . اما القزويني فيقول في هذا : « وكان القسم الثالث من مفتاح العلوم الذي صنفه الفاضل العلامة أبو يعقوب يوسف السكاكي أعظم ما صنّف فيه من الكتب المشهورة تفعاً لكونه أحسنها ترتيباً ، وأتمها تحريراً ، وأكثرها للاصول جمعاً . ولكنه كان غير مصون عن الحشو والتطويل والتعقيد ، قابلاً للاختصار ، مفتقراً الى الايضاح والتجريد ، ألقت مختصراً يتضمن ما فيه من القواعد ، ويشتمل على ما يحتاج اليه من الامثلة والشواهد . ولم آلُ جهداً في تحقيقه وتهذيبه ، ورتبته ترتيباً أقرب تناولاً من ترتيبه . ولم أُبالغ في اختصار لفظه تقريباً لتعاطيه ، وطلباً لتسهيل فهمه على طالبه . وأضفت الى ذلك فوائد عثرت في بعض

كتب القوم عليها ، وزوائد لم اظفر في كلام احد بالتصريح بها ولا الاشارة اليها ، وسميته « تلخيص المفتاح » ، وانا اسأل الله تعالى من فضله ان ينفع به كما نفع باصله ، انه ولي ذلك وهو حسبي ونعم الوكيل .

هذا هو تقدير الرجل لجهده ، أما تقديرنا نحن لهذا الجهد فيختلف . انا لا نخدع بتواضع العالم ، وانما لا ابد من ان ندرس هذا الجهد الذي استطاع ان يحجب الاصل طوال هذه القرون ، والذي استطاع بشكل او بآخر أن يكون الجذوة المتقدمة تحت الرماد حتى هياً الله في العصر الحديث من أزاح عنها رمادها لتتوهج من جديد .

إنّ القزويني الذي يصرّ بعض مؤرخيه على ذكر أنه من احفاد ابي دلف العجلي قد أثبت ان ثماله من الميراث البعيد قد وصلت اليه . فأبو دلف الذي عاصر الرشيد والمأمون ، كان من الامراء والاجواد، ولي قيادة جيش المأمون ، ولكننا لا نقف من تاريخه هذا على شيء . ان ما يهمننا هو ما شهر به من الأدب والشجاعة التي جعلت الرواة يروون عنه اخباراً كثيرة ، والأهم من هذا اننا نجد قولهم : « إنه كان عالماً بصناعة الغناء يقول الشعر ويلحنه » . فهل ورث القزويني عبر اربعة قرون ونصف قرن هذا الميل الفني عن جده الاعلى ؟ من الصعب ان نتصور ذلك ، ولكن مؤرخي القزويني لسبب او لآخر يصرون على ذكر انه « من احفاد ابي دلف العجلي » احساساً منهم بان ثمة رابطة بين هذا الجد الأعلى وبين صاحبنا . ذلك ان القزويني كما وصفه مؤرخوه « كان حلو العبارة ، أديباً ، عارفاً بالتركية والفارسية والعربية ، سمحاً ، كثير الفضائل » .

والعمل الذي شغل به في حياته هو القضاء ، وكم من القضاة قد ساهموا في التأليف البلاغي ! انهم بحكم عملهم يدققون في فهم النص ويقارنون ويعرفون كم يتغير المعنى بابدال حرف بحرف او بحذف دون ذكر ، او بتقديم دون تأخير ، او غير ذلك من الحيل البلاغية . أنكر

فضل ابن قتيبة وعلي بن عبدالعزيز الجرجاني وغيرهما ؟ لقد ربطوا
صناعه القضاء بصناعة البلاغة ربطاً لا تقا بعصرهم ، جديراً بطبيعة عملهم ،
منبأ عن حقيقة ثقافتهم الواسعة .

وهكذا جمع القزويني بين رهافة الحسّ والذوق ميراثاً ، وبين
ثقافة القضاء وطباع أهله الذين يدرسون بامانة ودقة وعمق حتى
لا ينحرفوا او يخطئوا فيما يقضون به بين الناس . وبهذا تصدّى للقسم
البلاغي من كتاب « المفتاح » عرفانا بقدره ، واتجاها سليما نحو ارتفاع
الخلف بجهد السلف . وليس من الممكن ان يكون اتاج القزويني مجرد
ظل لما قام به السكاكي . ان السكاكي قد كتّف المعلومات السابقة
كلها ، وضغطها في صورة ميزتها الاولى نظام" وجمع" لم يعهدا في
التأليف البلاغي من قبل . ولكن أيمن أن تكون صورة القزويني
مجرد ما يرى في مرآة وضعت أمام هذه الصورة السكاكية ؟ إن الصورة
الجديدة لوحة جديدة ناطقة بلمسات القزويني الحية القوية . وليس
ذنب القزويني انها لم تفلح رغم حيويتها وقوتها ان تتغلب على اعاصير
العوامل الاخرى التي كتمت دوافع الابداع في هذا العلم الجليل قروناً
من بعده .

ان هذه الصورة هي ما حاول الدكتور احمد مطلوب ان يجلوها
لنا بكتابه هذا . فاذا كان بعث الدراسات البلاغية كلها واجباً فان بعث
هذه المرحلة التي عندها توقّف الخلق والابتكار أوّلى وأهم ، لأنها
المرحلة التي منها نمسك الخيط القديم لنسير به نحو الجديد . ولا بد
لنا من استعراض القديم كله واتقانه ليتسنى لنا ان نضغط على المرحلة
الاخيرة تلك . وهذا ما أعدّه به نفسه الدكتور احمد مطلوب .
لقد درس السكاكي دراسة مستفيضة ثم ثنى بالقزويني بهذه الدراسة ،
ولكنه في كل هذا نراه يقيم دراسته على اساس واضح دقيق من معرفة
بكتب البلاغة وأعلامها منذ نشأتها حتى عصورها الراكدة ، بل انه
يتتبع في حيدة علمية وشمول واسع الجهود الحديثة ليضع جهده في

مكانه بين هذه الجهود ، حرصا منه على ان يكون الجهد علميا منظما من جهة ، وجماعيا ثرياً من جهة اخرى .

إن بعث الدراسة البلاغية ووصلها بالنقد الاوربي في صورته الاصلية ، قبل صورته المشوهة التي ثقل بها الينا اوائل هذا القرن ، فرّض على كل مهتم بالادب ذلك ان تنقأ من هنا وهناك وكيفما اتفق من النقد الاوربي قد هزعت على يد بعض كتابنا لتملأ الفراغ المتخلف من طول اقطاع الصلة السليمة بالقديم ، ومن الفزع الى العربي الجديد بكل ما فيه من اغراء الحيوية والتعبير عن واقع حي .

إن الفجوة التي بين ما يجب ان يحيا من قديمنا وبين الحديث الذي استوردناه واصبح جزءاً من نقدنا يؤثر في شعرنا قليلا وفي نثرنا رواية وقصة ومسرحية كثيراً لا بد من ان تملأ بخيوط واصلة ، وأواصر متينة تربط هذا الى ذلك وتؤثر آثارها السليمة في اتاجنا الفني الحديث . ان هذا الملء او الربط هو السبيل الى الارتفاع بملكة التدوق العربية بحيث تكون قادرة على توجيه كل اتاج فني جديد ليكون عربيا اصيلاً قبل أن يكون عالمياً ، بل لكي يكون عالمياً .

ولقد قام الدكتور احمد مطلوب تديساً وتأليفا ونشرأ للتراث البلاغي القديم بعمل ضخم عظيم في هذا الميدان . لقد قام في جلد المؤمن ، ودقة العالم المتخصص ، وعمق ادراك العربي الاصيل بهذا العمل تحدوه فيه أشرف الغايات وأنبل المقاصد . وكان له من ملكاته سلامة نظر ، وصحة حكم ، ورهافة حسّ ما جعله يستطيع ان يقدم هذا الكثير الذي جمعه ، وبوبّه ، ودرسه ، وربطه بالحديث لينتفع به الناس دارسين ومؤلفين .

ولقد تقدم الدكتور احمد مطلوب بهذا الكتاب في شكل رسالة لنيل درجة الدكتوراه من جامعة القاهرة قسم اللغة العربية وتألفت لجنة من الزميلين الاستاذ الدكتور عبد الحميد يونس ، والاستاذ الدكتور عبدالعزيز الالهواني ومنّي ، لامتحانه . ولا زلت اذكر يوم امتحان

الطالب وجلسنا بعد المناقشة لتداول في الدرجة التي قدرها له على رسالته ومناقشته معاً . لقد اتفقنا في الدقائق الاولى على ان التقدير «ممتاز» ، ثم اخذنا في الحديث عن شخصية الطالب ومقدار ما يستطيع ان ينفع به طلابه في جامعة بغداد ، وقومه من الدارسين العرب في هذا الميدان . لقد افضنا في الحديث عنه مدحاً واملاً حتى كدنا ننسى ان طالبنا ومن حضروا المناقشة العلنية ينتظرون اعلان النتيجة عليهم .

ان جزءاً من املنا في الدكتور احمد مطلوب قد تحقق ، ولكن آفاق آمال الاساتذة في طالبهم وزميلهم الان لا تحدها حدود . وما زالت أمام الاستاذ الشاب احمد مطلوب آمال وآمال معقودة عليه، ذلك انه اهل لتحقيق أوسع الامال وأعرضها بعون الله .

الدكتورة

سهير القلماوي

القاهرة في ٢٠/١٠/١٩٦٥

المقدمة

١

أخذت البلاغة تحظى باهتمام كبير في الدراسات الجامعية الحديثة، وكان للجامعات العربية أثر في ازدهار الحياة العلمية والادبية ، وقد تفجرت فيها طاقات جيلنا ، وأخرجت رجالا كان لهم فضل التوجيه وإفارة السبيل . وكان إيمان هذا الجيل عظيما في بعث حركة فكرية ، فيها أصالة التراث الاسلامي العربي ، ومنهج الدراسات الحديثة التي تعتمد أولاً ما تعتمد على المنهج السليم ، والرصد العلمي القائم على التجربة الدقيقة والخبرة العميقة .

وأيقن هذا الجيل أن لا حياة للادب ولا ازدهاراً ما لم يمد النظر في المقاييس النقدية والبلاغية ، فعكف المتخصصون يحيون ما اندرس من قديم مشرق وضاء ، ويقتبسون ما اوحته الحياة الجديدة . واستطاع المتطلعون الى حياة نقدية فضلى أن يخرجوا كتباً ترسم الطريق للدراسات البلاغية النقدية . ولكن معظم الدراسات الجامعية التي ظهرت لم تنطلق الى آفاق ارحب ، ومجالات اوسع ، فقد عكف الدارسون على بعض اتجاهات البلاغة يبحثونها ويقربونها للناس ، فكانت بحوث عن الجاحظ ، وابن المعتز ، وقدامة ابن جعفر ، وأبي هلال العسكري ، وابن الاثير ، وابن أبي الاصبغ

المصري ، وغيرهم من أعلام المدرسة الادبية . وبقي التيار الآخر أي :
بلاغة الفلاسفة وأهل الكلام . ينتظر من يقوم بدراسته وعرضه سهلا
ميسرا . ولم تظهر فيه - حتى الان - الا دراسات قليلة عن عبدالقاهر
الجرجاني والزمخشري .

وعندما قدّر لنا أن نخوض غمار الدراسات البلاغية
أجلنا الطرف فوجدنا كثيرا من الدراسات في بلاغة العرب ، ولم
نجد الا بحوثا قليلة في بلاغة الفلاسفة وأهل الكلام ، فازداد إيماننا
بأن لا نهوض للبلاغة والنقد ما لم تدرس جوانبها كلها ، وتمحص
اتجاهاتها ومذاهبها المختلفة ، وان المجدد لن يقدر أن يثبت أقدامه
في خضم الحياة الادبية ما لم يقتل القديم درسا وبحثا ، وينفذ الى
أعمق الدراسات كلها . ومن هنا رأينا ان نبدأ بشيخ المدرسة الكلامية
السكاكي (١) (٦٢٦هـ) الذي عاش في بيئة خوارزم الأعجمية ، وهي
بيئة كان للاعتزال فيها حلقات وحركة واسعة المدى بدأت قبله بسنوات
فكان الزمخشري والرازي ممن طبعوا كتبهم بأراء المعتزلة .

واستطاع السكاكي ان يوجه البلاغة العربية توجيها جديدا فيه
حصر لموضوعاتها وتحديد لمصطلحاتها . وانقسمت على يديه الى علمين
تميزين هما : علم المعاني ، وعلم البيان ، والى تابع لهما هو المحسنات
اللفظية والمعنوية التي اطلق عليها فيما بعد اسم البديع .

وقد انتهينا في هذا البحث الى :

(١) ان البلاغة العربية لم تقسّم الى معانٍ وبيان ومحسنات قبل
السكاكي ، وأنه اول من قام بهذا العمل ، وقسمها الى فنونها
الثلاثة .

(١) البلاغة عند السكاكي بحث نال به المؤلف الماجستير بدرجة جيد جدا من كلية
الاداب بجامعة القاهرة في اول شباط ١٩٦١ م ، وطبع في بغداد لأول مرة مسنة
١٢٨٤ هـ - ١٩٦٤ م .

(٢) ان السكاكي أول من اطلق اسم علم المعاني على البحوث التي سماها عبدالقاهر معاني النحو أو النظم ، وانه أول من سَمَّى التشبيه والمجاز بأنواعه والكناية بيانا ، وانه أول من اطلق على غير هذين العليين اسم المحسنات او الوجوه التي يَتَوْنى بها لتزيين الكلام ، وقسمها الى محسنات معنوية ولفظية .

اما مصطلح البديع فلم يطلقه السكاكي على القسم الثالث من البلاغة، وكان اول من أطلقه عليها « بدرالدين بن مالك » في كتابه «المصباح» الذي كان تلخيصا للقسم الثالث من «مفتاح العلوم» .

(٣) ان السكاكي أول من استفاد من ركني الجملة - المسند والمسند اليه - في بحث موضوعات المعاني، وبذلك مَزَّقَ أوصالها، وأحالها حطاما بتقريراته وتحديداته . واستفاد فائدة عظيمة من بحوث الدلالات العقلية والوضعية ، ومقاييس الفلسفة والمنطق ، وأدخلها في بحث البلاغة ، فضيَّقَ الخناق عليها .

(٤) ان بلاغة السكاكي امتداد لبلاغة عبدالقاهر ، وبذلك يمكن القول بأن مدرسته ابتدأت بعبدالقاهر ، ثم فخرالدين الرازي ، وبلغت ذروتها على يدي السكاكي ، ولم تَخْطُ خطوات محمودة الا ما كان من قبسات ارسلها ابن قيم الجوزية في « الفوائد » ، والعلوي في « الطراز » . ولكن صوتهما ما عثم ان أصابه الخفوت ، وسيطرت على مناهج درس البلاغة مدرسة السكاكي وأتباعه من شراح وملخصين .

(٥) ان هذه البلاغة التي تركها السكاكي لا تفيد كثيرا في دراسة البلاغة الحديثة ، ومن هنا دعونا الى تغيير بحثها ، واخراج الغريب منها ، وقد وضعنا لذلك منهجا جديدا فيه من القديم اصلته ، ومن الحديث طرق بحثه ومناهج درسه .

وبعد ان انتهينا من البحث في بلاغة السكاكي شعرنا ان مدرسته بحاجة الى مزيد من الدرس والتحقيق بعد ان انتقلت من حوارزم الى

مصر والشام ، فقررنا ان نطوي المسافات طياً ، وتتابع الزمن حتى تقف على آثار مدرسته البلاغية في بيئة العرب . وهذا ما قدر لنا بعد ان رأى اساتذتنا ان نكمل البحث الذي بدأناه في مرحلة الماجستير ، وتتابع المدرسة الكلامية في بيئة مصر والشام ، فاخترنا « القزويني وشروح التلخيص » موضوعا للبحث نتقدم به للحصول على درجة الدكتوراه من كلية الآداب بجامعة القاهرة .

ويمكن تلخيص الأسباب التي دفعتنا الى اختيار هذا الموضوع بما يأتي :

- ١- اننا بحثنا في مرحلة الماجستير مدرسة البلاغة الكلامية المتمثلة بالسكاكي في بيئة خوارزم ، وكان علينا أن نتابعها في بيئتها الجديدة لنرى خصائصها واتجاهاتها .
- ٢- ان الخطيب القزويني يعتبر الحلقة الاخيرة من مدرسة السكاكي ، ولكي نعطي صورة واضحة عن هذه المدرسة ينبغي أن ندرس بلاغته وجهوده فيها .
- ٣- ان البلاغة العربية وقفت عند القزويني ، وكان لا بد ان تقف عندها لناخذ منها ما ينفعنا في بلاغتنا الجديدة ، وترك كل غريب أقدم فيها اقحاما ، ولنرسم طريقنا على تراث قديم له اصالته ، وعلى طريف له أهميته وقيمه في الدراسات الحديثة . ولكي نحقق هذا الغرض لا بد من الوقوف عند البلاغة العربية في صورتها الاخيرة التي رسمها القزويني وشرّاح تلخيصه .

هذه الأسباب مجتمعة مع رغبة اساتذتنا في قسم اللغة العربية بآداب القاهرة دفعتنا الى اختيار هذا الموضوع لعلنا نستطيع ان نرفع عن هذه البلاغة ما اصابها من حيف ، ونزل بها من ضيم أخرجها عن هدفها الذي درست من أجله .

وسرنا في الطريق الطويل نتعثر حيناً ويلوح لنا بصيص من الأمل أحيانا ، حتى قدر لنا أن نخرج أخيراً بهذا البحث الذي نرجو أن ينال رضا الدارسين .

ويقع البحث في تمهيد وثلاثة أبواب ، وقد تكلمنا في التمهيد على « البلاغة العربية قبل القزويني » ، وتابعتها منذ نشأتها الأولى وانقسامها الى مدرستين ، ووقفنا طويلا عند البلاغة في القرن السادس وما بعده ، لأن اتجاهاتها تميزت في هذه الفترة ، واختلفت مناهج درسها ، فكان للمشاركة اتجاه خاص يهتم بالتحديد والتقسيم ، وكان للمغاربة اتجاه آخر فيه جنوح الى بلاغة ارسطو . وطال ووقفنا عند اتجاه مصر والشام ، لأن القزويني عاش في هذه البيئة واضطرب في ارجائها ، ومن هنا كان لا بد من التعمق في البحث لنرى جذور هذه المدرسة ، وقد اتضح ان ابن سنان الخفاجي كان رأس هذا الاتجاه وأول بلاغي ناقد ، له منهج أصيل في هذه البيئة العربية . وتابعا هذا الاتجاه وتكلمنا على اسامه بن منقذ ، وابن شيت القرشي ، وضياء الدين ابن الاثير ، وابن الزملكاني ، وابن ابي الاصبغ المصري . وعرجنا بعد هذا على خصائص مدرسة مصر والشام البلاغية ، ووضّحنا معالمها ، واتمهينا الى ان البلاغة في هذه البيئة أخذت طابعا خاصا ، ولكنها لم تَبْقَ على حالتها هذه اذ دخل « مفتاح العلوم » هذه الديار، واختصره بدرالدين بن مالك ، وبذلك امتزجت بلاغة المشرق ببلاغة العرب ، وكوّنت اتجاهها جديدا يبدو في كتب الخطيب القزويني وبهاء الدين السبكي وشرّاح التلخيص الاخرين .

وكان الباب الاول في :

القزويني وآثاره

وهو ثلاثة فصول :

الاول : في « الخطيب القزويني » ، وقد عرضنا فيه لاسرته ، وسيرته ، واسايتذه ، وثقافته ، ومناصبه واولاده . واستطعنا في هذا الفصل ان نجلو الغبار عن حياة هذا الرجل الفذ بعد أن طمستها الايام . وقد تقّرنا طويلا عن أخباره في كتب التاريخ واستطعنا على ضوء المعلومات القليلة ، والعبارات المتناثرة هنا وهناك أن نرسم صورة لحياة القزويني إن لم تكن كاملة واضحة فهي أقرب الى حياة الرجل وواقعه ، وبذلك تمكنا من أن نعطي فكرة عنه لا يجدها الدارس في كتاب آخر . وختمنا الفصل بمختارات شعرية ، وكلمات قيلت فيه ، وهي تسدل دلالة واضحة على ما كان يتمتع به من منزلة عظيمة ، وقدّر جليل .

والفصل الثاني : في « آثاره ومنهجه » وقد جرننا هذا الى البحث في منهج السكاكي وتقسيمه البلاغة الى علومها الثلاثة ليتمكن فهم منهج تلميذه القزويني . وعرضنا لكتابي التلخيص والايضاح ، وتكلمنا عليهما بالتفصيل ، لنعطي فكرة واضحة عن منهجهما وموضوعاتهما ونسخهما وطبعاتهما . وتكلمنا على ما أثاره « التلخيص » و« الايضاح » من حركة بلاغية وعرضنا لشروح التلخيص والايضاح ومختصراتهما ومنظوماتهما ، وهي كثيرة لا تعد ولا تحصى .

والفصل الثالث في : « مصادره » ، وقد تكلمنا فيه على مصادر بلاغته ، واستطعنا ان نتصور تلك الكتب ، ونشير الى النصوص والآراء التي نقلها عن المتقدمين . واتضح أن تأثره كان جليا بعد القاهرة والزمخشري والسكاكي ، فاطلنا الوقوف عند هؤلاء الثلاثة واضعين أيدينا على ما اتفقوا عليه ، واختلفوا فيه . واتهينا في هذا الفصل الى أن القزويني استفاد من كتب المبرد ، و « النكت في اعجاز القرآن »

لرمانى ، و « كتاب الصناعتين » للعسكري ، و « الوساطة بين المتنبي
وخصومه » للقاضي الجرجاني ، و « كتاب المفردات في غريب القرآن »
لرأغب الاصفهاني ، و « سر الفصاحة » لابن سنان ، و « المثل السائر »
لابن الاثير ، و « بديع القرآن » و « تحرير التحبير » لابن أبي الاصبع
المصري ، و « المصباح » لبدر الدين بن مالك ، و كتب التفسير والاحاديث
ودواوين الشعراء . وظهر أثر « دلائل الاعجاز » و « أسرار البلاغة »
و « الكشاف » و « المفتاح » واضحا في بلاغته .

وكان الباب الثاني في :

بلاغة القزويني

وهو في خمسة فصول :

الاول : في « الفصاحة » ، وقد تكلمنا فيه على الفصاحة ،
ومفهومها عند البلاغيين والقزويني . وجرنا هذا الى الخوض في مسألة
اللفظ والمعنى التي شغل النقاد بها قديما وحديثا ، واتهيننا الى ان
الفصاحة اصبحت عند القزويني قواعد ثابتة لا روح فيها ولا رواء ،
وانها بحاجة الى اعادة النظر والاستفادة من كتب البلاغة العريضة
والنقد الحديث .

والفصل الثاني : في « علم المعاني » وقد اثبتنا فيه ان القزويني
تابع السكاكي ، وحاولنا جمع بحوثه وترتيبها ، فكان للجمله وما يتبعها
بحث ، وللفصل والوصل بحث ثان ، وللإيجاز والاطناب بحث ثالث .

والفصل الثالث : في « علم البيان » وفيه أفضنا القول في ادخال
الدلالات العقلية والوضعية في تقسيم فنونه ، ورأينا أن هذا ليس من
الدراسات النقدية في شيء ، وأنته قد أفسد هذا العلم الذي يبحث في
الصور البلاغية والخيال الادبي ، وعقدنا للتشبيه والمجاز والكناية
بحوثا .

والفصل الرابع: في « علم البديع » وقد تحدثنا فيه عن تطور هذا الفن ، وأشرنا الى عمل القزويني فيه ، وتابعنا هذا الفن بعمده ، وتعرضنا للبيديعيات ، ووقفنا قليلا عند ابن حجة الحموي صاحب « خزانة الأدب » ، لانه رد على القزويني كثيرا ، ورجَّح بعض آرائه أحيانا .

والفصل الخامس : في « السرقات » وهي التي ذكرها القزويني في خاتمة بلاغته ، وقد أفردنا لها فصلا ، لانها باب واسع ، ولان النقاد ورجال البلاغة الاعلام اهتموا بها منذ عهد مبكر .

وقد اتبعنا في هذا الباب طريقة العرض والموازنة والنقد ، وأخذنا كثيرا من آراء القزويني ، ورفضنا بعضها ، واتهمنا الى أن هذا الرجل يمثلُ النقاد البلاغيين ، ويُعتبر عمدتهم في العصر المملوكي . وقد وقعت البلاغة العربية بعده ولم يأت المتأخرون بجديد الا ما كان من شرح وتوجيه والتفادات تقديية لا تكون اتجاهها ، أو ترسم منهاجا خاصا . ولعل ابن قيم الجوزية ، والعلوي ، وبهاء الدين السبكي وابن حجة الحموي ، أشهر النقاد البلاغيين الذين جاءوا بعد القرن السابع . وكان للقزويني تأثير واضح في توجيه البلاغة العربية ، ويتجلى هذا بوضوح في شروح التلخيص التي سيطرت على مجالس الدرس حتى مطلع النهضة الحديثة .

وكان الباب الثالث في :

شروح التلخيص

وهو في فصلين :

الاول : في « شروح التلخيص » ، وقد تكلمنا فيه على النقاد ، والبلاغيين المعاصرين للقزويني ، واتهمنا الى انه لا يتصل بهم ، لأنه اتجه اتجاهها خاصا وساروا هم باتجاهات اخر ، وعرضنا لاهم الشروح وهي : « عروس الافراح » للسبكي الذي يمثل مدرسة مصر البلاغية

بعد القرن السابع خير تمثيل - ، و « المطول » و « المختصر »
سعد الدين التفتازاني الذي يمثل البلاغة في المشرق بعد القزويني ، ثم
تكلمنا على حاشية السيد الشريف على « مطول » التفتازاني ،
و « مواهب الفتاح » لابن يعقوب المغربي، و « حاشية الدسوقي » بعد
البحث عن التفتازاني لان لمؤلفيها علاقة به ، وتكلمنا على « الشرح
الاطول » لعصام الدين الاسفراييني ، و « شرح عقود الجمان » لجلال
الدين السيوطي .

وكانت طريقتنا في البحث عرض هذه الشروح اولاً ، ثم
تلخيص أهم ما فيها من آراء وردود على القزويني . واتفقنا الى ان
هذه الشروح قيمة لغوية ونحوية وتاريخية الى جانب فائدتها البلاغية
العظيمة .

والفصل الثاني في : « القزويني والبلاغة الحديثة » وهذا الفصل
خلاصة لبلاغة القزويني ، وعرض لأهم ما فيها من مفيد ينبغي أخذه،
وغيره ينبغي اطراحه .

هذه خطة البحث ومنهجه ، وهو منهج أملته علينا طبيعة الموضوع
ولم يكن لنا سبيل لكي نصور القزويني وجهوده في البلاغة العربية
الا أن نعرض للبلاغة قبله ولسيرته وآثاره فجاء هذا البحث الذي نرجو
ان ينال حظاً في الدراسات البلاغية .



أما مصادر البحث فهي كثيرة ويسكن حصرها في ضربين :

الاول : كتب التاريخ والثقافة العامة ، وقد استفدنا منها في تصوير
تاريخ البلاغة قبل القزويني، وفي سيرته وآثاره. وأهمها كتب التاريخ
التي كتبت في عصره او بعده بقليل كالسلوك ، والخطط
للمقريزي ، والنجوم الزاهرة لابن تغري بردى ، وبدائع الزهور
لابن اياس ، وحسن المحاضرة للسيوطي ، والبداية والنهاية لابن

كثير . وقد استفدنا من هذه الكتب فائدة كبيرة ، وإن كانت المعلومات مبعثرة فيها تحتاج الى جهد في استخراجها وتنسيقها: وعرضها عرضا مقبولا .

الثاني : كتب البلاغة والنقد ، وتضم كثيرا من كتب البلاغة والنقد العربية ، وقد استفدنا منها في رسم هيكل البحث ووضع خطوطه العامة ، وكان لها فوق هذا كله فضل الموازنة والتوجيه . ولكن مادة البحث الاساسية تستقى اصولها من تلخيص القزويني وايضاحه ومن شروح التلخيص المهمة كعروس الافراح والمطول والمختصر والأطول ومواهب الفتح . وهذه الكتب هي التي وجهت البحث واخرجته هذا الاخراج .

ومهما يكن من شيء فقد كان لكل كتاب أثبتناه فائدة عظيمة وأثر واضح وكان لاستاذتي الجليلة الدكتورة سهير القلماوي وتوجيهها الكبير ، أعظم النفع وأطيب الاثر .

والله نسأل أن يوفقنا لما فيه خدمة امتنا الخالدة .

احمد مطلوب

بغداد - الجمعة
في ٤ ذي القعدة ١٣٨٢ هـ
٢٩ آذار ١٩٦٣ م

تَهْدِيَةٌ

البلاغة قبل الفروني

١

وقيل للفارسي : ما البلاغة ؟ فقال : معرفة الفصل من الوصل .
وقيل لليوناني : ما البلاغة ؟ قال : تصحيح الاقسام واختيار الكلام .
وقيل للرومي : ما البلاغة ؟ قال : حسن الاقتضاب عند البدهة والغزارة
يوم الاطالة .

وقيل للهندي : ما البلاغة ؟ قال : وضوح الدلالة وانتهاز الفرصة
وحسن الاشارة .

هذا ما ذكره الجاحظ^(١) ، وهو يدل دلالة واضحة على أن العرب
عرفوا منذ القديم ما عند الامم والاقوام من علوم وثقافات ، وعرفوا
أن لغيرهم بلاغة وتفننا في القول . ولعل اليونانيين كانوا اول من عني
بالبلاغة وتدوين مسائلها وتبويبها ، وفي كتابي « فن الشعر »
و « الخطابة » لارسطو اشارات الى الامر ، والاستفهام ، والفصل ،
والوصل ، والمجاز ، والتشبيه ، والايجاز ، والاطناب ، والتورية ،

(١) البيان والتبيين ج ١ ص ٨٨ .

والتقابل ، والطباق ، والاستعارة ، وصيغ المبالغة^(١) .

واشتغل العرب بعد بزوغ فجر الاسلام بالبلاغة وبحثها ، وتحديد مصطلحاتها وأبوابها ، واختلفوا في تعريفها ، فقال بعضهم : « إن البلاغة كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع فتمكنه في نفسه اتمكنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن » .

وقال آخرون : « البلاغة اسم لمعان تجري في وجوه كثيرة ، منها ما يكون في السكوت ، ومنها ما يكون في الاستماع ، ومنها ما يكون شعرا ، ومنها ما يكون سجعا ، ومنها ما يكون خطبا ، وربما كانت رسائل »^(٢) .

وعرفها رجال البلاغة المتأخرون بقولهم المشهور : « البلاغة مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته » . ومقامات الكلام عندهم متفاوتة ، ومقام التنكير يبين مقام التعريف ، ومقام الاطلاق يبين مقام التقييد ، ومقام التقديم يبين مقام التأخير ، ومقام الذكر يبين مقام الحذف ، ومقام القصر يبين مقام خلافه ، ومقام الفصل يبين مقام الوصل ، ومقام الايجاز يبين مقام الاطناب والمساواة ، وخطاب الذكي يبين خطاب الغبي . وعلى هذا الاساس قسموا موضوعات البلاغة ، وبحثوها بحثا يعتمد على العقل وتحكمه أكثر من اعتماده على الذوق والتحليل الادبي وتحسس مواطن الجمال في الكلام .

وليس في تعريف القدماء ما يعطي صورة واضحة للبلاغة ، ولعل قول بعض المحدثين : « انها الجمال في القول ، وان علم البلاغة هو درس فن القول وبيان مواطن الجمال فيه والاسباب التي تساعد على ايجاده »^(٣) ، لعل هذا من خير ما يمكن تعريف البلاغة به ، لانه يدل عليها

(١) فن الشعر ص ٥٤ ، ٥٩ ، الخطابة ص ٨٥ ، ١٩٠ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ٢٠٠ ، ٢٢٠ ،

٢٢١ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ .

(٢) كتاب الصناعتين ص ١٠ ، ١٤ .

(٣) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق مجلد ٤ ص ٤٤٣ .

دلالة واضحة ، وليس فيه فصل لموضوعات البلاغة الى معانٍ وبيان
وبديع .

وكانت مسائل البلاغة تمتزج بموضوعات النقد وأحكامه ، وكانت
الكتب تؤلف في تمييز الكلام الحسن من الرديء ، وفيها الاشارات
البلاغية الى جانب الالتفاتات النقدية . وكان المؤلفون كثيراً ما يطلقون
اسم النقد على كتبهم وهي كتب بلاغية كـ « نقد الشعر » ، و « نقد
النثر » ، و « العمدة في محاسن الشعر وأدبه وتقده » .

وقد نشأت البلاغة والنقد عند العرب جنبا الى جنب ، وكانت
نشأتها ساذجة ، وتتمثل بذور البحث النقدي في الاحكام التي كان
الشعراء وغيرهم يصدرونها ، وليست قصة امرئ القيس وعلقمة الفحل ،
وقصة النابغة الذبياني الذي كان تضرب له قبة في سوق عكاظ ، وقصة
الخنساء وحسان بن ثابت ، وأسواق العرب التي كان الناس يجتمعون
فيها فيلقي الشعراء شعرهم ، والخطباء خطبهم وينقد بعضهم بعضا -
ليست هذه وغيرها الا بداية حسنة للنقد والبلاغة ، وبذورا أثمرت
قواعد واصولا بعد قرن أو قرنين .

اثر القرآن :

وقد أثمرَ القرآن الكريم تأثيرا كبيرا في نشأة البلاغة والنقد ،
وكانت خدمة كتاب المسلمين مدعاة الى البحث فيها ، فقالوا : « إنَّ
أحق العلوم بالتعلم ، وأولاها بالتحفظ - بعد المعرفة بالله جل ثناؤم
علم البلاغة ومعرفة الفصاحة . . . وقد علمنا أنَّ الانسان اذا أغفل علم
البلاغة ، وأخلَّ بمعرفة الفصاحة لم يقع علمه باعجاز القرآن من جهة
ما خصه الله به من حسن التأليف ، وبراعة التراكيب ، وما شحنه به
من الايجاز البديع » (١) .

وذهبوا أبعد من هذا فقالوا : « إنَّ البلاغة : ما بلغ بك الجنة ،

(١) كتاب الصناعتين ص ١ .

وعدل بك عن النار ، وما بصرك بمواقع رشدك وعواقب غيبك» (١) .
وكان تأثيره واضحا في اتخاذه مدار الدراسات البلاغية ، وكانت آياته البيّنات الشاهد البلاغي الرائع . وكانت احدى آياته مدعاة الى أن يؤلف أبو عبيدة كتاب « مجاز القرآن » . يقول : « أرسل اليّ الفضل بن الربيع الى البصرة في الخروج اليه ، فقدمت عليه فلما استأذنت عليه أذن لي وهو في مجلس له طويل عريض ، فيه بساط واحد قد ملأه وفي صدره فرش عالية لا ترتقي اليها إلاّ على كرسي وهو جالس عليها ، فسلمت عليه بالوزارة فرد وضحك واستدناني حتى جلست اليه على عرضه ثم سأني ، وألظمني ، وبسطني ، وقال : انشدني . فأنشدته ، فطرب وضحك وزاد نشاطه . ثم دخل رجل في زي الكتاب له هيئة فأجلسه الى جانبي ، وقال له : اتعرف هذا ؟ قال : لا . قال : هذا أبو عبيدة علامة اهل البصرة أقدمناه لنستفيد من علمه . فدعا له الرجل وقرّظه لفعله هذا ، وقال لي : إني كنت اليك مشتاقا وقد سألت في مسألة اتأذن لي أن اعرفك اياها ؟ فقلت هات . قال : قال الله عز وتعالى : « طلعنها كأثنته رؤوس الشياطين » (٢) ، وانما يقع الوعد والايعاد بما قد عرف مثله ، وهذا لم يعرف . فقلت : انما كلكم الله تعالى العرب على قدر كلامهم ، أما سمعت قول امريء القيس :
أبقتلني والمشرقيّ مضاجمي ومسنونة زرق كأياب اغوال
وهم لم يروا الغول قط ، ولكنهم لما كان أمر الغول يهولهم أوعدوا به . فاستحسن الفضل ذلك ، واستحسنه السائل ، واعتقدت من ذلك اليوم أن أضع كتابا في القرآن في مثل هذا واثباهه وما يحتاج اليه علمه ، فلما رجعت الى البصرة عملت كتابي الذي سميت «المجاز» (٣) .
واتتهى ابن خلدون الى أن ثمره علم البلاغة : « انما هي في فهم

(١) البيان والتبيين ج ١ ص ١١٤ والعقد ج ١ ص ٢٨٥ .

(٢) سورة الصافات ، الآية ٦٥ .

(٣) نزهة الالباء في طبقات الادباء ص ٧٠ ، ومعجم الادباء ج ١٦ ص ١٥٨ .

الاعجاز من القرآن لأن اعجازه في وفاء الدلالة منه بجميع مقتضيات الاحوال منطوقة ومفهومة ، وهي أعلى مراتب الكلام مع الكمال فيما يختص بالانفاظ في اتقانها وجودة رصفها ، وهذا هو الاعجاز الذي تقصر الافهام عن ادراكه « (١) » .

أثر المفسرين :

وأثر المفسرون والفقهاء في نشأة البلاغة وتطورها ، فقد كان من الضروري أن يضعوا بين يدي بحوثهم الدينية وكتب التفسير ، مقدمة في البلاغة تساعد على فهم القرآن واستنباط الاحكام الشرعية منه ، ولعل تفسير الكشاف للزمخشري من أروع كتب التفسير التي اهتمت بالبلاغة والتأكيد على الاستفادة منها في ايضاح معاني كتاب الله . وفي كتب الاصول بحوث مستفيضة في الخبر والانشاء ، والحقيقة والمجاز ، وهي بحوث تدل على استئثار علم اصول الفقه بها . يقول السكاكي : « بل تصفح معظم أبواب أصول الفقه من أي علم هي ، ومن يتولاه ؟ » (٢) . وقد أشار السبكي الى الصلة الوثيقة بين علمي المعاني وأصول الفقه بقوله : « واعلم أن علمي اصول الفقه والمعاني في غاية التداخل ، فان الخبر والانشاء اللذين يتكلم فيهما المعاني هما موضوع غالب الاصول ، وان كل ما يتكلم عليه الأصولي من كون الامر للوجوب ، والنهي للتحريم ، ومسائل الاخبار ، والعموم والخصوص ، والاطلاق والتقييد ، والاجمال والتفصيل ، والتراجيح كلها ، ترجع الى موضوع علم المعاني . وليس في أصول الفقه ما ينفرد به كلام الشارع عن غيره الا الحكم الشرعي والقياس واشياء يسيرة » (٣) .

أثر الكتاب :

وكان للكاتب أثر واضح في البلاغة ، فقد صبغوا كثيرا من بحوثها بصبغة ادبية لما امتازوا به من ادب رفيع ، وذوق سليم . وهم

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٥٥٢ .

(٢) مفتاح العلوم ص ١٩٩ .

(٣) عروس الافراح ج ١ ص ٥٣ .

انذين يقول الجاحظ عنهم : « طلبتُ الشعرَ عند الاصمعي فوجدته لا يحسن الا غريبه ، فرجعت الى الاخفش فوجدته لا يتقن الا اعرابه ، فعطفت على أبي عبيدة فوجدته لا يتقن الا ما اتصل بالاخبار وتعلق بالايام والانساب ، فلم أظفر بما أردت الا عند ادباء الكتاب كالحسن ابن وهب ، ومحمد بن عبد الملك الزيات^(١) . ويقول عنهم : « أمّا أنا فلم أرَ قَطُّ امثـل طريـقة في البلاغة من الكتاب ، فانهم قد التمسوا من الالفاظ ما لم يكن متوعرا وحشيا ، ولا ساقطا سوفا »^(٢) .

آثر الشعراء :

ولعبَ الشعراء دورا مهماً في البلاغة ، وليس ابن المعتز الشاعر العباسي إلا واحدا ممن وضعوا اللبنة الاولى للبلاغة وارسوا قواعدها ، يقول عنهم : « البديع اسم موضوع لفنون من الشعر يذكرها الشعراء وتقاد المتأدبين منهم ، فأما العلماء باللغة والشعر القديم فلا يعرفون هذا الاسم ولا يدرون ما هو »^(٣) .

آثر الفلسفة :

وكان للفلسفة والمنطق وعلم الكلام آثار عظيمة في البلاغة ونشأتها وتطورها ، وكانت آثارها تتجلى واضحة في التعريف ، والتقسيم ، والتعليل ، واستعمال اساليب المنطق وعلم الكلام . وقد انتهى السكاكي الى التسوية بين عمل البلاغي ، وعمل صاحب الاستدلال مع ان بينهما بونا شاسعا ومدى بعيدا ، وانتهى الى أن الاستعارة والكناية وغيرهما من مباحث البلاغة ليست الا أقيسة منطقية والتزامات يستعملها المتكلمون لاقناع المخاطبين فيما يريدون اثباته او نفيه من نظريات وآراء . يقول : « هذا وكـم ترى المستدل يتفنن فيسلك تارة طريق التصريح فيتمم الادلة ، واخرى طريق الكناية اذا مهر ، مثل ما تقول للخصم : إن صدق ما قلت استلزم كذا واللازم منتف ، ولا تزيد فتقول :

(١) العمدة ج ٢ ص ١٠٦ .

(٢) البيان والتبيين ج ١ ص ١٣٧ .

(٣) البديع ص ٥٨ .

واتقاء اللازم يدل على انتفاء الملزوم ، فلزم منه كذب قولك ، وهل فصل القياسات ووصلها يسم غير هذا ؟» (١) .

مدرستان بلاغيتان :

وكانت نتيجة هذا ان سارت البلاغة في اتجاهين مختلفين ، ونشأت مدرستان هما المدرسة الادبية ، والمدرسة الكلامية ، أو كما يسميها السيوطي : « طريقة العرب والبلغاء ، وطريقة العجم وأهل الفلسفة » (٢) . وكان لكل من هاتين المدرستين خصائصها ورجالها الاعلام .

وأهم خصائص المدرسة الكلامية : اهتمامها بالتحديد ، والتعريفات والتقسيم المنطقي ، والاهتمام بالتعريف الجامع المانع ، واستعمال اساليب الفلسفة والمنطق في تحديد الموضوعات وتقسيمها وحصرها ، واستعمال الالفاظ الفلسفية والمنطقية (٣) . وساق البلاغيون كثيرا من المقولات (٤) عند القول في الملكة حين وردت في تعريف الفصاحة والبلاغة وما صدروا به البيان من مباحث الدلالات الوضعية والعقلية ، وادخلوا فيها بعض مسائل الفلسفة الطبيعية والالهية والخلقية كالكلام في الالوان ، والطعوم ، والروائح ، والحواس الانسانية ومقرها ، والوهم ، والخيال ، والمفكرة والحس المشترك ، والاسباب ، والمسببات ، وغيرها ، وادخلوا فيها من الالفاظ الفلسفية والكلامية المحمول ، والموضوع ، والايجاب ، والسلب (٥) ، وغير ذلك من المصطلحات التي لا علاقة لها بالبلاغة .

(١) مفتاح العلوم ص ٢٤٩ ، وينظر كتاب « البلاغة عند السكاكي » للمؤلف ص ١٥٤ وما بعدها . للتوسع في هذه الموضوعات ينظر القسم الاول من كتاب « دروس في البلاغة وتطورها » للدكتور جميل سعيد .

(٢) حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة ج ١ ص ١٩٠ .

(٣) ينظر فن القول ص ٨٦ ، وكتاب « البلاغة عند السكاكي » ص ١٠٢ وما بعدها .

(٤) المقولة : صفة من الصفات تحمل على الاشياء كالمقولات التسع « الكمية ، الكيفية ، الاضافة ، المكان ، الزمان ، الوضع ، الملك ، الفعل ، الانفعال » . وقد تكون المقولة موضوعا يحمل عليه من صفات اخرى كما في مقولة الجوهر . (ينظر كتاب نظرية ارسطو المنطقية للدكتور ياسين خليل ص ١٤) بغداد ١٩٦٤ .

(٥) المحمول : هو المحكوم به بأنه موجود أو ليس بوجود شيء آخر . الموضوع : هو الذي يحكم عليه بأن شيئا آخر موجود له ، أو ليس بوجود له . مثال الموضوع قولنا :

لقد حددوا البلاغة بهذه المقاييس وضبطوا بحوثها بهذه الاعتبارات العقلية التي أزهقت روح البلاغة واحالتها قواعد جامدة لا حياة فيها ، وبذلك نشأ الجدل العنيف ، والنقاش الحاد في كتب البلاغة فأخرجها عن هدفها الادبي وغايتها الفنية .

ومن شواهد الأثر الفلسفي في هذه المدرسة الاقلال من الشواهد والامثلة الادبية ، لان رجالها اهتموا بالتحديد المنطقي ، والحصر ، والتقسيم ، فكانوا يذكرون لكل قاعدة شاهدا واحدا أو مثلا قصيرا ، وقد يذكرون أكثر من مثال وشاهد . وليتهم وقفوا عند هذا ، فكثيرا ما يذكرون أمثلة لا جمال فيها ، لان صحة الشاهد أو المثال عندهم أصل كل شيء ، أما جماله ، وما يبعث في النفس من احساس أو شعور أو متعة فنية فلم يوجهوا عنايتهم اليه .

وشاعت المدرسة الكلامية في المناطق الشرقية من الدولة الاسلامية حيث يقطن خليط من الفرس والترک والتتر .

ومن خصائص المدرسة الادبية عدم الاهتمام بالتحديد والتقسيم اهتماما كبيرا ، وإن° جنحت الى ذلك فعلى غير تعمق وتقاذ والتزام للتصحيح التام للاصول المنطقية فيه ، إلا أن° يكون شيء من ذلك أثرا لعدوى المدرسة الكلامية^(١) . ولم تهتم باقتباس المنطقيات والفلسفة ، بل نبذتها وحملت عليها وحاربتها ، وكان ابن الاثير احد أقطاب هذه المدرسة من الذين حملوا حملة عنيفة على الفلسفة ، ورأى في رجالها من امثال ابن سينا والفارابي رجالا أضلهم ارسطو وافلاطون .

« زيد » من قولنا : « زيد كاتب » . ومثال المحمول قولنا : « كاتب » من قولنا : « زيد كاتب » . الايجاب : هو ايقاع النسبة وايجادها . وفي الحملية : هو الحكم بوجود محمول لموضوع . السلب : هو رفع النسبة الوجودية بين شيئين . وفي الحملية : هو الحكم بلا وجود محمول لموضوع . (ينظر كتاب النجاة - مختصر الشفاء لابن سينا - ص ١٨ وما بعدها ، وكتاب المنطق التوجيهي لابي الملا هفني ، وكتاب دروس في البلاغة وتطورها للدكتور جميل سميد ص ٧٦) .

(١) ينظر فن القول ص ٩٣ ، والبلاغة عند السكاكي ص ١٠٦ وما بعدها .

ومن خصائصها انها تستعمل المقاييس الفنية في الحكم على الادب
فنجدها تستطيع التعليل حيناً ، ولا تستطيعه حيناً آخر ، وترجعه الى
الذوق والاحساس الفني . وأسلوب كتبها وتعايرها سهلة مفهومة
لا تحتاج الى عناء كبير في فهمها كما يحتاج في قراءة كتب المدرسة
الكلامية التي يقف الباحث فيها على نص أو تعريف وقمة طويلة يحاول
فيها فهم ما يرمي المؤلف اليه . وعلة ذلك ان معظم رجال هذه المدرسة
عاشوا في بيئة عربية كالعراق والشام ومصر ، وكانوا الى جانب ذلك
شعراء أو كتاباً لهم ذوق أدبي ، واحساس فني صادق ، أما رجال
المدرسة الكلامية فقد عاشوا في بيئة تركية أو فارسية فغلبت على
كتيبهم العجمة ، وعلى أساليبهم التعقيد واللف الذي يحتاج الى تأمل
وروقوف ، وكانوا الى جانب ذلك علماء بالمنطق ، وعلم الكلام .

وأكثرَ رجال المدرسة الادبية من الشواهد والامثلة
الادبية شعرا وثرأ ، وكانوا غالباً ما يذكرون القاعدة بسطر اوسطرين ،
ويأتون بأمثلة تتجاوز الصفحات ، ولم تكن أمثلتهم مقصورة على الجملة
أو بيت الشعر ، وإنما تعدتها الى القطعة الشعرية والرسالة الأدبية .
دوافع التأليف :

ويمكن القول ان القرآن الكريم كان الدافع الأول الى البحث
في البلاغة ، فلكي يبرهنوا على اعجازه ، ولكي يفهموا آياته واسلوبه
لاستنباط الاحكام الشرعية ، اتجهوا اليها باحثين فنونها ، موضحين
اقسامها . وكانت الحاجة ماسة الى الاهتمام بالبلاغة والبحث فيها الى
جانب حاجتهم الدينية ، فقد كانت المقدرة الكتابية في كثير من الاحيان
السييل المهد للوصول الى المناصب الكبيرة، وكان على من يريد
تسنيها أن يكون كاتباً ادبياً له جولات عظيمة في الادب وفنونه ، وله
طريقة او اسلوب في الكتابة . وليست الامثلة بعيدة عن الاذهان ، فقد
نال آل وهب في العصر العباسي بفضل الكتابة ارفع المناصب والرتب ،
وتقلدوا الوزارات وتدير شؤون الدولة ، وتمسكتم ابن الاثير منصب

الوزارة في عهد بني أيوب •

ودخلت أقوامشتى في دين الله ، وكان عليها أن تتقن لغة القرآن
أو لغة الدولة الرسمية وليس من سبيل الى اتقانها الا ضبط قواعدها ،
والتعمق في فنونها ، وكانت حاجة الناس الى تمييز الكلام الجيد من
الرديء سببا في التأليف ، والتعمق في بحث مسائلها واصولها •

وقد أشار الى هذه الاهداف أبو هلال العسكري فقال : « إن
أحق العلوم بالتعلم ، وأولها بالتحفظ - بعد المعرفة بالله جل ثناؤه -
علم البلاغة ومعرفة الفصاحة الذي به يعرف اعجاز كتاب الله تعالى ••
وقد علمنا أن الانسان اذا أغفل علم البلاغة ، واخل بمعرفة
الفصاحة لم يقع علمه باعجاز القرآن من جهة ما خصه الله به من حسن
التأليف وبراعة التركيب •• فينبغي من هذه الجهة ان يقدم اقتباس هذا
العلم على سائر العلوم بعد توحيد الله تعالى ومعرفة عدله والتصديق
بوعده ووعيده ••

ولهذا العلم بعد ذلك فضائل مشهورة ، ومناقب معروفة ، منها
أن صاحب العربية اذا أخل بطلبه ، وفكّر في التماسه ، ففاته فضيلته ،
وعلقت به رذيلة فوته ، عفى على جميع محاسنه ، وعمى سائر فضائله ،
لأنه اذا لم يفرق بين كلام جيد وآخر رديء ، ولفظ حسن وآخر قبيح ،
وشعر نادر وآخر بارد ، بان جهله ، وظهر نقصه •

وهو - أيضا - اذا اراد أن يضع قصيدة ، أو ينشيء رسالة وقد
فاته هذا العلم مزج الصفو بالكدر ، وخلط الغرر بالعرر ، واستعمل
الوحشي العكر ، فجعل نفسه مهزأة للجاهل ، وعبرة للعاقل •
وإذا اراد أيضا تصنيف كلام منشور ، أو تأليف شعر منظوم ،
وتخطى هذا العلم ساء اختياره له ، وقبحت آثاره فيه ، فاخذ الرديء
المرذول ، وترك الجيد المقبول ، فدل على قصور فهمه وتأخر معرفته
وعلمه « (١) •

(١) كتاب الصناعتين ص ١ - ٣ •

ولعل اول ما وصل الينا من الكتب وفيها مسائل بلاغية كثيرة، كتب التفسير الاولي ك « معاني القرآن » للفراء (٢٠٧هـ) و « مجاز القرآن » لابي عبيدة معمر بن المثنى (٢٠٨هـ) و « وتأويل مشكل القرآن » لابن قتيبة (٢٧٦هـ) وكتب الادب ك « البيان والتبيين » للجاحظ (٢٥٥هـ) و « الكامل في اللغة والادب » لمحمد بن يزيد المبرد (٢٨٥هـ) .

ونشط التأليف في النقد والبلاغة منذ العصور الاولي ، وظهر كتاب « البديع » لابن المعتز (٢٩٦هـ) وهو أول محاولة ناضجة في هذا الميدان ، فيها التقسيم والعرض الجيد بالنسبة الى كتاب « قواعد الشعر » لأستاذه أبي العباس ثعلب (٢٩١هـ) . وجاء بعده ثقات عظام وبلاغيون كبار ، كان لكلٍ منهجه الخاص في البحث ، واصالته في التأليف . ويلاحظ ان الاقاليم الشرقية من الدولة الاسلامية كالعراق وبلاد فارس كانت السبّاقة في هذا الميدان ، وعلّة ذلك أن بغداد كانت عاصمة الدولة العربية الاسلامية ، ومقر الخلافة في عصر بني العباس ، ومحج العلماء وهالة الادب . وقد نشأت في العراق علوم اللغة العربية من لغة ، ونحو ، وصرف ، وبلاغة ، ونقد ، وعروض . وكانت الكوفة،

والبصرة ،وبغداد ، مركز هذه الدراسات ، وفي مساجدها وحلقات درسها تخرج العلماء والادباء ، ومنها تدفقت أفواجهم وساروا في البلاد يدرسون ويؤلفون . وبقي العراق مشعلا وهاجا ، وسراجا منيرا يضيء السبل ، وبقي مؤثلا ينفذ الطلاب اليه ، حتى اذا ما ضعف أمر الخلافة العباسية وسيطر البويهيون والسلاجقة على الحكم في بغداد ، انتعشت اقاليم اسلامية وعربية أخرى ، ونشأت فيها حركة علمية وادبية ، فكان في خوارزم ، وفارس ، والشام ، ومصر ، والمغرب العربي ، امارات أخذت ترعى الادب وتهتم بالعلماء ، وتقيم لهم وزنا عظيما .

اتجاهات بلاغية :

وتميز القرن السادس الهجري بثلاثة اتجاهات بلاغية هي: مذهب المشاركة ، ومذهب المغاربة ، ومذهب أهل مصر والشام . وكان لكل اتجاه ميزات خاصة ، فمذهب المشاركة « كان اميل الى الاخذ بالمعاني والجوهر لا بالصيغة والالفاظ والبديع »^(١) . ولعل ذلك يعود الى قدم الدراسة الفلسفية والعلوم العقلية في التراث الفارسي ، والى ميل الفرس وغيرهم من الاعاجم بطبعهم الى البحوث العقلية ، ثم الى رد الفعل الذي اوجده طغيان الدراسة الشكلية في حركة البديع عند تقاد القرن الرابع وما بعده . وقد أشار ابن خلدون الى اهتمامهم بعلمي المعاني والبيان ، واهتمام المغاربة بالبديع ، وعلل ذلك بقوله: « وبالجملة فالمشاركة على هذا الفن اقوم من المغاربة ، وسببه - والله اعلم - انه كمالي في العلوم اللسانية ، والصنائع الكمالية توجد في العمران ، والمشرق أوفر عمرا من المغرب ، أو تقول لعناية العجم وهم معظم أهل المشرق - كتفسير الزمخشري ، وهو كله مبني على هذا الفن ، وهو اصله »^(٢) .

وقد ظهر في البيئة المشرقية بلاغيون أعلام ، كعبدالقاهر ،

(١) ضياء الدين بن الاثير وجهوده في النقد ص ٣١٢ .

(٢) مقدمة ابن خلدون ص ٥٥٢ .

والزَمْخْشَرِي ، والرَازِي ، والسَّكَاكِي •

ولم يهمل المشاركة البديع اهمالا كبيرا ، وانما اتجه بعضهم الى البحث فيه ، وتأليف الكتب في فنونه • وقد ألف محمد بن عمر الرادوياني كتاب « ترجمان البلاغة » وهو في بديع اللغة الفارسية التي تأثرت ببديع العرب وبلاغتهم •

الوطواط :

ووضع رشيد الدين الوطواط (٥٧٣ هـ)^(١) كتاب « حدائق السحر في دقائق الشعر » باللغة الفارسية بعد أن اطبع على كتاب « ترجمان البلاغة » • يقول متحدثا عن الملك العادل خوارزم شاه أنسز : « فأطلعني على كتاب في معرفة بدائع الشعر الفارسي يسمونه « ترجمان البلاغة » ، فلما راجعته وجدت ان آيات الشواهد المسطرة في هذا الكتاب غير مستطابة وانها جميعها متكلفة النظم ، قد جمعت بطريق التعسف ، وانها بالاضافة الى ما بها من تكلف وتعسف ، لاتخلو من أنواع الزلل واصناف الخلل ، فرأيت من الواجب عليّ - انما الناشيء في هذه الاعتاب - أن اكتب هذا الكتاب في معرفة محاسن النظم والنثر في كلتا اللغتين العربية والفارسية »^(٢) •

وتتبع الوطواط خطأ « الرادوياني » ، ونقل عنه كثيرا ، وتابعه في أبواب البديع ، ولكنه بقي محتفظا بطابعه الاصيل • وكتاب « حدائق السحر في دقائق الشعر » بعيد كل البعد عن النزعة الفلسفية التي سيطرت على كتب المشاركة في عصره ، وهو قريب من بديع ابن المعتز في منهجه وطريقته وعرضه للأمثلة والشواهد ، مع فرق واضح وهو ان الشاعر العباسي كان يتخير الأمثلة الجميلة ، ويسدل على مواطن الجودة والاسفاف ، اما الوطواط فقد طغت على كتابه الأمثلة المصنوعة ،

(١) تنظر ترجمته في معجم الادباء ج ١٩ ص ٢٩ ، والبلاغة عند السكاكي ص ٢٤٢ وما بعدها .

(٢) حدائق السحر في دقائق الشعر ص ٨٩ .

وبدا التكلف واضحا جليا ، وكان ينظم شعرا ليدعم قاعدته في كثير من الأحيان .

وقد جمع الكتاب الترصيع ، والتجنيس ، وحسن المطلع ، والجمع والتعريف ، والتقسيم ، وتجاهل العارف ، الى جانب الاستعارة ، والتشبيه ، والاتفات ، وارسال المثل . وطريقته في البحث أن يعرف الفن البلاغي تعريفا موجزا ، ثم يذكر الأمثلة من غير شرح وتعليل . يقول في الترصيع مثلا: «الترصيع في اللغة بمعنى وضع الجواهر وغيرها في الذهب . ومعناه في أبواب البلاغة : أن يقسم الكاتب أو الشاعر عباراته الى أقسام منفصلة ، ثم يجعل كل لفظ منها في مقابل لفظ آخر يتفق معه في الوزن وحرف الروي . ومثال الترصيع في القرآن المجيد : « إنَّ الأبرارَ لفي نعيمٍ • وإنَّ الفُجَّارَ لفي جَحيمٍ » (١) . ومثاله من الكلام النبوي : « اللهم اقبل توبتي ، واغسل حوبتي » . ومن قولي بالعربية :

يا ثاني البحر الخضم	يا باني الفخر الأشم
أنت المعظم في الأمم	أنت المقدم في الهدى
وذراك للاجي حرم	مغناك للراجي حمى
والغيث دوتك في الكرم	الليث دوتك في الوغى
تنفى بفسرتك الظلم (٢)	تلقى بحضرتك المنى

ويقول في الاستعارة : « الاستعارة في اللغة بمعنى طلب العارية ، ومعناها اصطلاحا : أن يكون للفظ معنى حقيقي فينقله الشاعر أو الكاتب من معناه الحقيقي الى معنى آخر يستعمله فيه على سبيل العارية . وهذه الصنعة موجودة بكثرة في سائر اللغات والالسنه . واذا كانت الاستعارة مطبوعة ولم تكن بعيدة متصنعة ، فان رواء الكلام يكمل بها وتتم حليته بواسطتها . ومثالها من القرآن الكريم .

(١) سورة الانفطار ، الايتان ١٣ و١٤ .

(٢) حدائق السهر في دقائق الشعر ص ٩٠ - ٩١ .

« واخْتَفِضْ لهما جَنَاحَ الذُّبُلِ مِنَ الرَّحْمَةِ »^(١) ، ويقول الشاعر:

ومن العجائب أنَّ بيضَ سيوفنا
تلكدُ المنايا السُّودَ وهي ذكور^(٢)

أثر مذهب المشاركة :

وكان لمذهب المشاركة أثرٌ كبير في تحديد موضوعات البلاغة ، ففي بيئة خوارزم اقتصرت البلاغة الى علومها الثلاثة على يدي السكاكي (٦٢٦هـ) ، ومنها خرج المنهج البلاغي الذي سيطر على الدراسات البلاغية حتى العصر الحديث . وليس هذا الاتجاه الا امتدادا لمدرسة عبدالقاهر الذي رفع لواء تحكيم المقاييس النحوية والعقلية في البلاغة والدراسات النقدية . وكانت نظرية النظم اهم ما تميز به هذا الرجل الذي أرسى قواعد البلاغة وجعلها علما له اصوله واهدافه .

الرازي :

وقد أثر عبدالقاهر في البلاغة تأثيرا كبيرا ، وتبعه كثيرون ، ومن اشهر تلاميذه في تلك الديار الرمخشري صاحب تفسير « الكشاف » ، والرازي^(٣) مؤلف « نهاية الايجاز في دراية الاعجاز » . وهو أول من حاول القضاء على الروح الأدبية في كتابي عبدالقاهر ، وتحويل البلاغة الى وجهة تهتم بالضبط ، والتحديد ، والحصر المنطقي . وأول ما يطالعنا في كتاب الرازي دعوته الى ترتيب أصول البلاغة ووضع قواعد ثابتة لها ، فقد وجد أن عبدالقاهر « أهمل رعاية ترتيب الأصول والابواب ، وأطنب في الكلام كل الاطناب »^(٤) . وحاول ضبط هذه الابواب وهي متفرقات الكلم ، ووضع قواعد تضبط البلاغة ، وتحصر موضوعاتها ، وتممَّ له

(١) سورة الاسراء ، الآية ٢٤ .

(٢) حدائق السحر في دقائق الشعر ص ١٢٢ - ١٢٣ .

(٣) تنظر ترجمته في تاريخ الحكماء للقفطي ص ٩٠ ، وطبقات الشافعية ج ٥ ص ٣٣ ،

والبلاغة عند السكاكي ص ٢٤٨ .

(٤) نهاية الايجاز في دراية الاعجاز ص ٤ .

ذلك ، ورتب كتابه على مقدمة وجملتين ، تحدث في المقدمة عن اعجاز القرآن وشرف علم الفصاحة ، أما الجملتان ، فالاولى في المفردات ، والثانية في النظم ، وهو بذلك يتابع عبدالقاهر ويستفيد من قوله : « اعلم أن الكلام الفصيح ينقسم قسمين : قسم تعزى المزية والحسن فيه الى اللفظ ، وقسم يعزى ذلك فيه الى النظم (١) » .

ولا يخرج تقسيم الرازي عما ذكره عبدالقاهر فبحث في الجملة : المفردات وهي في نظره : التجنيس ، والاشتقاق ، ورد العجز على الصدر ، والقلب ، والسجع ، والمزدوج ، والترصيع ، والحقيقة ، والمجاز ، والكناية ، والتشبيه ، والاستعارة ، وبحث في الجملة الثانية النظم وهو : معنى النظم ، والمطابقة ، والمقابلة ، والمزاوجة ، والاعتراض ، والاتنقات ، والاقتباس من القرآن ، والتلميح ، وارسال المثليين ، واللف والنشر ، والتعديد ، وتنسيق الصفات ، والايهام ، ومراعاة النظير ، والموجه ، والمحتمل للضدين ، وتأكيذ المدح بما يشبه الذم ، وتجاهل العارف ، والسؤال والجواب ، والاغراق ، والجمع ، والتفريق ، والتقسيم ، والمتزلزل ، والتعجب ، وحسن التعليل ، والتقديم والتأخير ، والفصل والوصل ، والحذف والاضمار ، والايجاز وما يتعلق بـ « إن » و « إنما » . وقد نجح في بحث البلاغة الى حد كبير ، لولا بعض الامور ، منها : أنه افقد البلاغة روحها الادبية بادخاله الدلالات الوضعية والعقلية والمباحث الفلسفية ، وقضى على النزعة الذوقية التي كانت تطبع كتابي عبدالقاهر ، لأنه حاول ان يوجزهما ويرتبهما . يقول : « ولما وقفني الى مطالعة هذين الكتابين التقطت منهما معاقد فوائدهما ، ومقاصد فرائدهما ، وراعت الترتيب مع التهذيب ، والتحرير مع التقرير ، وضبطت أوابد الاجمالات في كل باب بالتقسيمات اليقينية ، وجمعت متفرقات الكلم في الضوابط العقلية مع الاجتناب عن الاطناب الممل ، والاحتراز عن

(١) دلائل الاعجاز ص ٢٢٩ .

الاختصار الممل» (١) .

وقد أكثرَ من التقسيم ، وشَعَبَ من المسألة الواحدة مسائل كثيرة . وتقسيمه البلاغة الى قسمين - وإن أخذَه عن عبدالقاهر - لم يكن دقيقا ، لان الاستعارة ، والكناية ، والتمثيل ، وسائر ضروب المجاز من مقتضيات النظم ، وعنهما يحدث ، وبها يكون ، لأنه لا يتصور ان يدخل شيء منها في الكلم وهي افراد لم يتوخ فيما بينها حكم من أحكام النحو ، فلا يتصور أن يكون ههنا فعل أو اسم قد دخلته الاستعارة من دون ان يكون قد ألف مع غيره . أفلا ترى انه إن قدر في « اشتعل » من قوله تعالى : « واشتعل الرأس شيئا » أن لا يكون « الرأس » فاعلا له ، ويكون « شيئا » منصوبا عنه على التمييز ، لم يتصور أن يكون استعارة . وهكذا السبيل في نظائر الاستعارة (٢) .

وكتاب « نهاية الايجاز » مع هذا كله ، يبقى ذا قيمة عظيمة في دراسة البلاغة العربية وتطورها ، لأنه يعتبر حلقة الوصل بين بلاغة عبدالقاهر ، وبلاغة السكاكي ، وتلاميذه من المتأخرين .

المطرزي :

ولناصر بن أبي المكارم المطرزي (٦١٠ هـ) (٣) كتاب « الايضاح » وهو شرح مقامات الحريري ، وقد صدّره بقدمة في البلاغة ليعطي قارئ الشرح محك النقد ، وينصب له معيار التمييز بين الحسن والرديء . وتكلم على البلاغة من غير أن يقسمها كما فعل الرازي أو المتأخرون .

ويبدو أثرُ عبدالقاهر واضحا في بحثه ، للحقيقة والمجاز ،

(١) نهاية الايجاز في دراية الاعجاز ص ٤ .

(٢) ينظر دلائل الاعجاز ص ٣٠٠ .

(٣) ينظر البلاغة عند السكاكي ص ٢٦٠ .

وفي مواضع اخرى صرّح فيها بالنقل عنه والاشارة الى آرائه • ويبدو
أثرُ رشيد الدين الوطواط جليا فيما يتعلق بفنون البديع •

وطريقته في البحث أن يذكر التعريف والقاعدة ، ثم يعرض الامثلة
القليلة • يقول في رد العجز على الصدر: «ومما يعدي أقسام البديع رد العجز
على الصدر: وهو أن تجيء بكلام يلاقي آخره أوله لفظا بوجه من الوجوه
أما نثراً وأما نظماً ، مثاله من التنزيل قوله تعالى : « وَتَخَشَّسَى النَّاسَ
وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ » (١) وقوله عز وجل : « اسْتَعْفِفُوا
رَبِّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً » (٢) وقوله جل وعلا : « لَا تَقْسُرُوا عَلَى
اللَّهِ كَذِباً فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى » (٣) • ومن
كلام البلاغيين : « الحيلة ترك الحيلة » وقولهم : « القتل أتمى للقتل » (٤) •

وقسّم السكاكي شيخ المدرسة الكلامية البلاغة الى علمين هما:
المعاني والبيان، والى محسنات أو وجوه يصار إليها بقصد تحسين الكلام •
وقد قتل البلاغة في هذا التقسيم ، وضيّق بحثها في كتابه « مفتاح
العلوم » الذي كان تلخيصا للصرف والنحو والبلاغة والاستدلال
والعروض وعلم القوافي • ولكن المغاربة حمدوا للمشاركة هذا العمل ،
وسار بهاء الدين السبكي على خطاهم مرغما مع أنه كان يدعو الى تحكيم
الذوق ، والمقاييس الفنية في النقد • يقول : « وأما أهل المشرق الذين لهم
اليد الطولى في العلوم ، ولا سيما العقلية والمنطق ، فاستوفوا همهم
الشامخة في تحصيله ، واستدلوا بجدهم على جملته وتفصيله ، ووردوا
مناهل هذا العلم فصدروا عنها بلاء سجلهم • وكيف لا وقد جلبوا
عليه بخيلهم ورجلهم ، فلذلك غمروا منه كل دارس وعبروا من حصونه
المشيده ما رقد عنه الحارس ، وبلغوا عنان السماء في طلبه » (٥) •

(١) سورة الاحزاب ، الآية ٣٧ •

(٢) سورة نوح ، الآية ١٠ •

(٣) سورة طه ، الآية ٦١ •

(٤) الايضاح في شرح مقامات الحريري ص ١٤ •

(٥) عروس الافرنج ج ١ ص ٥ •

ولم تَبْقَ مدرسة المشاركة وتقسيماتها البلاغية في اقليمها ، وانما سارت الى الاقاليم العربية ، فعرفت الشام ومصر والعراق عبد القاهر وكتايبه ، والسكاكي ومفتاحه ، وألفت على غرارها كتب كان لها أثر كبير في توجيه البلاغة على مر العصور .

مذهب الفسارية :

واتجه مذهب أهل المغرب والاندلس الى مذهب المشاركة وانغلب عليه البديع في كثير من الاحيان ، ولكن علماءه لم يأخذوا آراءهم كلها ، بل ناقشوها ، وعدلوا فيها ، وعالجوها معالجة تنفق مع شخصيتهم وطابعهم الخاص الذي اتسم به تفكيرهم وأدبهم . ومن امارات تلك الشخصية ما نراه في تناول كتب البديع والنقد بالمعارضة ، وقد ألقف ابن رشيقي كتابا في الاخذ على قدامة . ونقل كثير منهم كالشريشي في شرحه لمقامات الحريري عن المشاركة كالحاتمي وقدامة وابن وكيع (١) .

حازم القرطاجني :

وظهر في القرن السابع وما بعده اتجاه جديد في البلاغة والنقد ، وهو اتجاه متأثر بدراسات اليونان وارسطو خاصة ، ويمثل هذا الاتجاه حازم القرطاجني (٦٨٤ هـ) صاحب « منهاج البلغاء وسراج الادباء » . وقد قسم كل منهج الى فصول او فقر طويلة يسميها : معلم ، اضاءة ، تنوير ، أو معرف ، اضاءة ، تنوير . وتتوالى الاضاءة فالتنوير داخل المعلم او المعرف الواحد ، وليس ثمة فرق عنده بين المعلم والمعرف ، ولا بين الاضاءة والتنوير ، بل هي تنويعات في تسمية الاقسام لا تخلو من حذقة لانها غريبة (٢) .

وقد بدأه بالكلام في المعاني وأقسامها ، والبواعث المختلفة

(١) ينظر ضياء الدين بن الاثير وجهوده في النقد ص ٣٥٤ .

(٢) ينظر حازم القرطاجني ونظريات ارسطو في الشعر والبلاغة ص ١ ، وكتاب

الى طه حسين ص ٨٥ .

للشعر وصلتها بأقسام المعاني ، وتكلم على طبيعة الشاعر وملكته وقسمها الى ثلاثة أقسام : قوة حافظّة ، وقوة مائزة ، وقوة صانعة . يقول : « ولا يكمل لشاعر قول على الوجه المختار الا بأن تكون له قوة حافظّة ، وقوة مائزة ، وقوة صانعة ، فأما القوة الحافظة فهي أن تكون خيالات منتظمة ممتازا بعضها عن بعض محفوظة كلها في نصابه ، فاذا أراد مثلا أن يقول فرضا ما في تشبيه او مديح ، او غير ذلك وجد خياله اللائق به قد وهبته له القوة الحافظة ، وتكون صور الاشياء مترتبة جميلة على حد ما وقعت عليه في الوجود ، فاذا أجال خاطره في تصورهما فكأنه اجتلى حقائقهما . وأكثر خواطر الشعراء تكون معتكرة الخيالات غير منتظمة التصور ، فاذا أجال احدهم خاطره في أوصاف الاشياء وخيالاتها اشتبهت عليه واختلطت ، واخذ فيها غير ما يليق بمقصده وبالموضع الذي يحتاج فيه الى ذلك ، وكأن المنتظم للخيالات كالناظم الذي تكون عنده أنماط من الجواهر مجزأة محفوظة المواضع عنده ، فاذا أراد أي حجر شاء على أي مقدار شاء عمد الى الموضع الذي يعلم انه فيه ، فأخذها منه ونظمه ، وكذلك من كانت خيالاته وتصوراته منتظمة متميزة فانه يقصد بملاحظة خاطر منها الى ما يشاء فلا يعدوه . والمعتكر الخيالات ، كناظم تكون جواهره مختلطة ، فاذا أراد حجرا على صفة ما تعب في تفتيشه ، وربما لم يقع على البغية فينظمه في مواضع غير ما يليق به » (١) .

وتحدث عن الخيالات ومكاتها بين قوى الملكة الثلاث للتناسب بين المعاني المختلفة وبين خيالاتها وصلة ذلك بالبيان خاصة وما يرد فيه من تشبيهات ومبالغات وتخيلات ، وتكلم على المطابقة ، والمقابلة ، وغيرها من فنون البديع والبلاغة .

والجديد في هذا الكتاب هو أنه عقد فصلا طويلا تحدث فيه عن

(١) منهاج البلاغ وسراج الابداء ص ١٢ ، وينظر ضياء الدين بن الاثير وجهوده في النقد ص ٣٥٥ .

نظرية ارسطو في الشعر والبلاغة ، وهذا ما لا نجد في غيره من الكتب ، وبذلك ينقل حازم القرطاجني البلاغة العربية الى جو جديد . يقول : « وقد ذكرت في هذا الكتاب من تفاصيل هذه الصنعة ما ارجو انه من جملته ما أشار اليه أبو علي بن سينا ، وقد تركت من ذلك أشياء لم يسكني الكلام فيها لكون بعض اغراض النفس تحت على الانحياز في التأليف وتعجيل الاتمام له ، ولأن استقصاء القول في هذه الصناعة محوج الى اطالة تتخون أزمنة الناظر وتعوقه عما يجب أن يترقى اليه في هذه الصناعة من العلوم النافعة ، فان النظر في أسرار هذه الصناعة مفتاح للنظر في تلك ومرفاة لها » (١) .

ولعل أهم ما في الكتاب البحث في المحاكاة وأنواعها ، وقد اسرف حازم في البحث عنها وادخل مفاهيم ارسطو وبلاغة اليونان ، فأخرج البلاغة عن اتجاهها العربي الى اتجاه الفلاسفة ومنطق ارسطو .

الاندلسي :

وظهر الى جانب هذا كتاب « المعيار في نقد الاشعار » لمحمد بن احمد الاندلسي الذي عاش في القرن السابع الهجري وفيه نزعة الى البديع لا نجد في كتاب حازم ، وقد تكلم فيه على المجاز وأقسامه ، والبلاغة وفنونها ، وضروب البديع كالحذف ، والجناس ، والمطابقة ، والايغال ، والسرقات . وكلامه لا يخرج عن كلام غيره من أصحاب البديع من المشاركة ، وان غلبت عليه الروح الفلسفية ، وتسلسل الى كلامه بعض عبارات ارسطو وابن سينا (٢) .

(١) حازم القرطاجني ونظريات ارسطو في الشعر والبلاغة ص ١٤ ، كتاب الى طه حسين ص ٩٨ .

(٢) نظر نسيب الدين بن الاثير وجهوده في النقد ص ٣٥٨ .

منهـب مصر والشام :

اما أهل مصر والشام فقد كان لهم اتجاه آخر يختلف كل الاختلاف عن مذهب المشاركة الذي اهتم أعلامه بوضع القواعد المنطقية، والحدود الجامعة المانعة ، والابتعاد عن المقاييس الاديية في النقد والموازنة والتحليل ، ويختلف عن مذهب حازم القرطاجني الذي طبق نظريات أرسطو في الشعر والبلاغة على البلاغة العربية .

لقد كان أهل مصر والشام يميلون الى تحكيم الذوق في البلاغة والنقد ، والاهتمام بصور البديع وما توحيه من اتفعالات نفسية تتعلق بالاحساس الفني والوجدان ، وقد عرفت هذه الديار معظم كتب البلاغة والنقد التي ألفت في العراق والمشرق ، ونظرة عابرة في « سر الفصاحة » لابن سنان و « البديع في نقد الشعر » لاسامة بن منقذ تبين لنا أنهم عرفوا كتب الجاحظ والموازنة والوساطة وكتب الرمانى وقدامة والحاتمى وكتاب الصناعتين والعمدة واللمع .

وكان دارسو البلاغة في هذا العصر يرمون الى هدفين :

أولهما : دراسة بلاغة القرآن ومعرفة مظاهر فصاحته . وقد ألفت كتب كثيرة في هذا الميدان اهمها « الاشارة الى الايجاز في بعض أنواع

المجاز» لعزالدين عبدالعزيز بن عبدالسلام (٦٦٠هـ) ويذكره السيوطي
اول ما يذكر فيمن ألف في هذا الفن^(١)، و«بديع القرآن» لابن أبي
الاصبع المصري •

وثانيهما : القدرة على تذوق القول الجميل واتجاهه ، ولعل
كتب ابن الاثير من خير ما يمثل هذا الاتجاه ، فقد اهتم مؤلفها - وهو
الكاتب القدير - بهذه الناحية في «المثل السائر» و«الجامع الكبير»،
واولاهما التفاتا عظيما •

واختلفت ثقافة دارسي البلاغة في هذا العصر ، فكان منهم الادباء،
كابن الأثير وابن الزمكاني ، ومنهم من غلبت عليه دراسة النحو
كبدرالدين بن مالك ، ومنهم من اشتغل بالمنطق وعلم الكلام كمحمد
ابن يوسف الجزري ، ومنهم الفقيه العالم كعزالدين عبدالعزيز بن عبد
السلام • وكان لثقافة كل مؤلف أثر واضح فيما كتب ، وفي توجيه
منهجه ، وعرض فنون البلاغة ومعالجتها •

ويلاحظ أن البلاغة في مصر والشام بعد القرن السادس لم تكن
كما كانت عليه في البيئتين المشرقية حينما وضع السكاكي «مفتاح العلوم»،
وانما كانت تدرس على انها فن واحد، اليه يرجع الاديب والمثقف ليأخذ
مقاييسه النقدية ، ويستعين به على فهم الادب • ولم تحدد المصطلحات
فيها تحديدا منطقيا أو جامعا مانعا ، كما تحددت في البيئتين المشرقية، وعلّة
ذلك ان بيئة مصر والشام العربية كانت تنحو في كتبها منحنى أدبيا يعتمد
على الذوق الصافي، والملكة الادبية والحس المرهف ، بينما كانت مدرسة
المشرق تعتمد على وضع القواعد ، وتحديد المصطلحات •

ويلاحظ أن المصطلحات لم تستقر حتى هذا العصر ، فقد ذكر
الزمخشري ان الالتفات يكون من الغيبة الى الخطاب ، ومن الخطاب

(١) ينظر الاثنان ج ٢ ص ٣٦ •

وقد طبع كتاب الاشارة الى الايجاز أكثر من مرة، آخرها في مطابع دار الفكر
بدمشق (بلا تاريخ) والكتاب في باين كبيرين : الاول في أنواع الحذف ، والثاني باب المجاز •

الى الغيبة ، ومن الغيبة الى التكلم ، كقوله تعالى : « والله الذي أرسَلَ
الرياحَ فَسْتثيرُ سَحَاباً فَسُقْتناه » (١) . وقد التفت امرؤ القيس ثلاث
التفاتات في ثلاثة أبيات هي :

تطاول ليثك بالأثمدِ ونام الخليثُ ولم ترقدِ
وبات وباتت له ليلةٌ كليلةٌ ذي العائرِ الأرمدِ
وذلك من نساءِ جاءني وخبرته عن أبي الأسودِ (٢)

أما القرشي فقد ذكر أن هذا النوع يسمى الانصراف ، وقال عنه :
« الانصراف وهو ان تبديء المخاطبة بهاء الكناية ثم تنصرف الى
المخاطبة بالكاف ، وهذا يحتمل اذا كان الأمر مما تكتبه دون غيره » (٣) .

وترك بلاغيو هذه البيئة كتباً كثيرة ضاع بعضها وبقي البعض
الآخر ، وعلى ضوء ما نقرؤه عن هذه الكتب وما نجد من اسمائها في
المطآن نستطيع ان نرى ان جهودهم كانت تتجه حيناً الى دراسة مسائل
البلاغة بعامة كما في « قوانين البلاغة » لعبد اللطيف البغدادي الذي أتم
تأليفه في حلب سنة ٦١٥ هـ ، وكما في « رسالة البلاغة » للقاضي الفاضل ،
و « الطريق الى الفصاحة » للرئيس ابن النفيس ، وكتاب « في البديع
والبلاغة » للرسبي السلمي .

وتتجه حيناً آخر الى دراسة لون واحد من ألوان هذه البلاغة ،
كما في كتاب شميم الحلبي الذي دعاه « أنواع الرقاع في الاسجاع » ،
وكتاب جمال الاسدي « التنيهات على عجائب التشبيهات » .

وتتجه طورا الى دراسة البلاغة القرآنية لبيان وجه الاعجاز فيها
كما فعل ابن ابي الاصبع المصري .

وقام بعض العلماء باختصار بعض ما كتب في البلاغة كما اختصر

(١) سورة فاطر ، الآية ٩ .

(٢) الكشاف ج ١ ص ١١ .

(٣) معالم الكتابة ومغانم الاصابة ص ٧٦ .

عشان بن علي الخزرجي كتاب « العمدة » لابن رشيق (١) .

ولكي نرسم معالم اتجاه البلاغة في مصر والشام ينبغي أن نتكلم
بإيجاز على أعلام هذه المدرسة قبل الخطيب القزويني وهم : ابن
سنان ، وابن منقذ ، وابن شيث القرشي ، وابن الاثير ، وابن الزملكاني ،
وابن أبي الأصبع المصري ، وبدرالدين بن مالك .

ابن سنان الخفاجي :

فأما ابن سنان الخفاجي (٤٦٦ هـ) (٢) فانه كان يرى أن للالفاظ
قيمة عظيمة في التعبير ، بينما كان معاصره عبدالقاهر الجرجاني يرى أن
ميزة الكلام وروعته في النظم ، وان الالفاظ أوعية للمعاني . ومن هنا
بدأ ابن سنان كتابه « سر الفصاحة » بالبحث في الالفاظ التي يتكون
منها الكلام منتقلا الى الجمل فالكلام .

وكتاب « سر الفصاحة » من انفس كتب البلاغة والنقد التي خلفها
القرن الخامس ، لانه جمع بين النقد والبلاغة ، والتعليل والتحليل ،
والدافع الى وضع هذا الكتاب اختلاف الناس في ماهية الفصاحة
وحقيقتها ، وقد أراد ان يجلوها للناس ، ويعرضها عرضا سليما ، لأنه
يؤمن أن للفصاحة أثرا كبيرا في نظم الكلام على اختلاف تأليفه ونقده
ومعرفة ما يختار منه عما يكره ، وكلا الامرين متعلق بالفصاحة ، بل هو
مقتصور على المعرفة بها ، فلا غنى لمنتحل الادب عن دراسة الفصاحة
على النحو الذي ذكره في الكتاب .

أقام ابن سنان كتابه على أساس الفرق بين الفصاحة والبلاغة
فذكر ان « الفصاحة مقصورة على وصف الألفاظ ، والبلاغة لا تكون
الا وصفا للالفاظ مع المعاني . لا يقال في كلمة واحدة لا تدل على معنى
يفضل عن مثلها بليغة ، وان قيل فيها فصيحة ، وكل كلام بليغ فصيح ،

(١) ينظر الحياة العقلية في عهد الحروب الصليبية ص ٢٢٣-٢٢٤ .

(٢) تنظر ترجمته في فوات الوفيات ج ١ ص ٤٨٩ ، والنجم الزاهرة ج ٥ ص ٩٦ ،

ومقدمة كتاب سر الفصاحة ، بتحقيق الاستاذ عبدالمتعال الصعيدي .

وليس كل فصيح بليغا كالذي يقع فيه الاسهاب في غير موضعه» (١) .
وقد قسمه الى قسمين كبيرين :

الأول : في الفصاحة تكلم فيه على الفصاحة ، وقسمها الى ما يوجد في اللفظة الواحدة ، والى ما يوجد في الالفاظ المنظوم بعضها مع بعض ، وهو الكلام في الالفاظ المؤلفة ، وفيه عرض الكلام المؤلف على ما ينبغي توفره في الالفاظ المفردة .

والثاني : ما يختص بالتأليف وهو وضع الالفاظ حقيقة أو مجازا لا ينكره الاستعمال . ومن وضع الالفاظ موضعها ألا يكون في الكلام تقديم وتأخير يفسد المعنى ، وألا يكون الكلام مقلوبا فيفسد المعنى ويصرفه عن وجهه ، ومنه حسن الاستعارة ، وألا تقع الكلمة حشوا أو يكون الكلام شديد المداخلة . وتحدث عن التوشيح أو التسهيم ، والكناية ، وعما يجب أن يكنى عنه في الموضع الذي لا يحسن فيه التصريح . ومن صفات الكلام ألا يستعمل في الشعر والرسائل والخطاب الفاظ المتكلمين والنحويين وأشباههم . ومنه المناسبة بين اللفظين من طريق الصيغة ، وذكر السجع ، والازدواج ، والقوافي ، وعيوبها ، والابتداء في القوائد ، والتصريح ، والجناس ، والطباق ، والايجاز ، والمساواة ، والاطناب ، والوضوح ، والارداف في التمثيل . وتكلم في باب المعاني على الصحة في التقسيم والاستحالة ، والتناقض ، وصحة التشبيه ، والأوصاف ، والمقابلة في المعاني ، وصحة النسق ، والنظم بحسن التخلص من معنى الى معنى ، وصحة التفسير ، والمبالغة ، والغلو ، والاحتراس بالتعليل .

هذا هو مختصر موضوعات كتاب « سر الفصاحة » ، وكان لهذا العرض والاسلوب اثر فيمن جاء بعد ابن سنان ، فقد استفاد ابن الأثير منه في كتابه « الجامع الكبير » و « المثل السائر » ، وإن انكر قيمة الكتاب ، يقول : « فلم أجد ما ينتفع به في ذلك الا كتاب الموازنة

(١) سر الفصاحة ص ٦٠ .

لأبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي ، وكتاب سر الفصاحة لأبي محمد عبدالله بن سنان الخفاجي ، غير ان كتاب الموازنة أجمع اصولا واجدى محصولا ، وكتاب سر الفصاحة وان تَبَّهَ فيه على نكت كثيرة فانه قد أَكْثَرَ مما قَلَّ به مقدار كتابه من ذكر الأصوات والحروف والكلام عليها ، ومن الكلام على اللفظة المفردة وصفاتها مما لا حاجة الى اكثره ، ومن الكلام في مواضع شَدَّ عنه الصواب فيها . . . على أن كلا الكتائين قد أهملنا من هذا العلم أبوابا ، ولربما ذكرنا في بعض المواضع قشورا وتركنا لبابا» (١) .

وليت المتأخرين استفادوا من سر الفصاحة في بحث البلاغة ورتبوها على هذا الاساس مثلما رتبها المتقدمون ، ولكنهم أسرفوا في التقسيمات وادخال الدلالات الوضعية والعقلية في مباحثها .

وبعد أن انتهى من هذا التقسيم عقد فصلا مهما في ذكر الأقوال الفاسدة من التفضيل بين المتقدمين والمحدثين ، ويعتبر هذا الفصل من البحوث المهمة في نقد الكلام . ثم عقد فصلا في ذكر الفرق بين المنظوم والمنثور وما يقال في تفضيل احدهما على الآخر ، وهذا الفصل هو الذي اعتمد عليه ابن الاثير في التفضيل بين الشعر والنثر (٢) .

وختم الكتاب بفصل فيما يحتاج مؤلف الكلام الى معرفته ، وانتهى الى « أن مؤلف الكلام لو عرف حقيقة كل علم ، واطلع على كل صناعة لأثر ذلك في تأليفه ومعانيه وألفاظه ، لانه يدفع الى اشياء يصنعها ، فاذا خبر كل شيء وتحققه كان وصفه له أسهل ، ونعته أمكن» (٣) . وهذا ما أشار اليه ابن الاثير فيما بعد ، وعقد له بحثا طويلا في مقدمة « المثل السائر » و « الجامع الكبير » .

وكان من الخير لو ألحق ابن سنان بكتابه قطعا مختارة من النظم

(١) المثل السائر ج ١ ص ٣ - ٤ .

(٢) سر الفصاحة ص ٣٣٧ ، والمثل السائر ج ٢ ص ٤١٢ .

(٣) سر الفصاحة ص ٣٤٣ .

والنثر ليتدرب بالوقوف عليها في فهم ما ذكر من أحكام البلاغة ، فقد كان هذا هدفة الا أنه عدل عنه أخيراً وقال : « وإذ قد انتهى بنا القول الى هذا الموضع ، فالواجب أن نختم الكتاب ، لأننا قد وفينا بجميع ما شرطناه في اوله ، وكنا قد عزمنا على أن نصله بقطعة مختارة من النظم والنثر يتدرب بالوقوف عليها في فهم ما ذكرناه من أحكام البلاغة وكشفناه من اسرار الفصاحة ، لكننا فرقنا من الاطالة والتثليل على الناظر فيه بالملل والسآمة ، فعدلنا الى وضع ذلك في كتاب مفرد » (١) .

ولم نعرش على الكتاب الذي وعد بافراده لهذا الغرض ، ولا ندري هل سنحت له الفرصة فوضع هذا الكتاب ، او شغلته عنه الحياة ، ونفسه الطموح .

ويرى الاستاذ عبدالمتعال الصعيدي ان في كتاب سر الفصاحة عيباً كبيراً في الاساس الذي قام عليه ، وخلالاً ظاهراً في ترتيب أبوابه ، وخطأً ملموساً في توزيع موضوعاته (٢) . وقد يكون هذا صحيحاً اذا طبقنا على الكتاب منهج السكاكي والقزويني ، اما اذا نظرنا اليه نظرة اخرى فيكون الكتاب ذا قيمة علمية ومنهجية ، فلقد سبق ابن سنان عصر الشروح والتلخيصات ، وكان ذا ذوق وحس مرهف ، وكانت له طريقتة ومنهجه في التأليف ، وليس من الانصاف أن نطالبه بما لم يكن في عصره . ومهما يكن من شيء فقد أحسن ابن سنان واجاد في بحثه ، وكان كتابه من أهم كتب البلاغة والنقد .

وكان بحثه في اللفظة المفردة من أحسن ما كتب في هذا الموضوع الذي جعله المتأخرون مقدمة لكتبهم ، ولم يقصر الكلام على اللفظة المفردة ، ولكنه تجاوزها الى الكل الذي ينشأ من مجموع الكلمات . والادب عنده صناعة ، وكل صناعة من الصناعات فكما لها بخسة أشياء هي : الموضوع وهو الخشب في صناعة النجارة ، والصانع وهو النجار ،

(١) سر الفصاحة ص ٣٤٣ .

(٢) مقدمة سر الفصاحة ص : ج

والصورة وهي كالترجيع المخصوص ان كان المصنوع كرسيا ، والغرض وهو ان يقصد على هذا المثال ان يجلس فوق ما يصنعه . واذا كان الامر على هذا ولا تمكن المنازعة فيه وكان تأليف الكلام المخصوص صناعة ، وجب أن تعتبر فيها هذه الاقسام . فالموضوع هو الكلام المؤلف من الاصوات ، والصانع هو المؤلف الذي ينظم الكلام بعضه مع بعض كالكتاب والشاعر وغيرهما ، والصورة هي كالفصل للكتاب والبيت للشاعر وما يجريه مجراها ، والآلة أقرب ما قيل فيها أنها طبع هذا الناظم ، والعلوم التي اكتسبها بعد ذلك ، ولهذا لا يمكن أحد ان يعلم الشعر من لا طبع له وان جهد نفسه في ذلك ، لأن الآلة التي يتوصل بها غير مقدورة لمخلوق ، ويمكن تعلم سائر الصناعات لوجود كل ما يحتاج اليه من آلاتها . والغرض يكون بحسب الكلام المؤلف ، فان كان مدحا كان الغرض به قولاً ينبيء عن عظم حال المدوح ، وان كان هجواً فبالضد ، وعلى هذا القياس كل ما يؤلف واذا تأملته وجدته كذلك» (١) .

وظهرت روح الخفاجي النقدية وضوحاً تاماً في مواضع كثيرة من كتابه ، وناقش النقاد والبلاغيين في مسائل كثيرة ، وأبدى وجهة نظره ، ولم يكتفِ بعرض آرائه ، وانما عقد فصلاً في ذكر الأقوال الفاسدة في نقد الكلام (٢) . وناقش الآراء التي قيلت في تفضيل كلام على كلام ، وبيّن فساد رأي من يذهب الى تفضيل المتقدمين في الزمن على المتأخرين ، وانتهى الى ان الطريق الذي يؤدي الى المقصود من معرفة الألفاظ والمعاني ما ذكره في كتابه ، ونبه عليه .

ولم يقف عند نقد كلام العرب واطهار ما فيه من روعة وجمال ، وانما تجاوزه الى البحث في اعجاز القرآن ، وذكر ان المعجز الدال على نبوة محمد (ص) هو القرآن ، والخلاف فيما به كان معجزاً على قولين :

احدهما : انه خرقت العادة بنصاحته وجرى ذلك مجرى قلب العصاجية

(١) سر الفصاحة ص ١٠٢ .

(٢) سر الفصاحة ص ٢٢٧ .

وليس للذهاب الى هذا المذهب مندوحة عن بيان الفصاحة التي
وقع التزايد فيها موقعا خرج عن مقدور البشر .

وثانيهما : أن وجه الاعجاز في القرآن صرف العرب عن المعارضة مع
أن فصاحة القرآن كانت في مقدورهم لولا الصرف ، وأمر القائل
بهذا يجري مجرى الأول في الحاجة الى تحقق الفصاحة ما هي
فيقطع على أنها كانت في مقدورهم من جنس فصاحتهم ، ونعلم ان
مسئلة وغيره لم يأت بمعارضة على الحقيقة ، لان الكلام الذي
أورده خالٍ من الفصاحة التي وقع التحدي بها في الأسلوب
المخصوص (١) .

ويذهب ابن سنان الى أن في كلام العرب ما يضاهاى القرآن في
تأليفه (٢) . و انتهى الى أن القرآن الكريم معجز بالصرف ، أي :
ان الله - سبحانه وتعالى - صرف هممهم ودواعيهم عن المعارضة .
يقول : « واذا عدنا الى التحقيق وجدنا اعجاز القرآن صرف العرب عن
معارضته بأن سلبوا العلوم التي بها كانوا يتمكنون من المعارضة في وقت
مراهم ذلك ، واذا كان الأمر على هذا فنحن بمعزل عن ادعاء ما ذهب
اليه (٣) من أن بين تأليف حروف القرآن وبين غيره من كلام العرب ، كما
بين المتنافر والمتلائم . ثم لو ذهبنا الى أن وجه اعجاز القرآن الفصاحة
وادعينا أنه أفصح من جميع كلام العرب بدرجة ما بين المعجز والممكن
لم يفتر في ذلك الى ادعاء ما قاله من مخالفة تأليف حروفه لتأليف
الحروف الواقعة في الفصح من كلام العرب ، وذلك أنه لم يكن بنفس
هذا التأليف فقط فصيحاً ، وانما الفصاحة لأمر عدة تقع في الكلام ،
من جملتها التلائم في الحروف وغيره » (٤) .

(١) سر الفصاحة ص ٤ .

(٢) سر الفصاحة ص ١١٠ .

(٣) أي : الرماني .

(٤) سر الفصاحة ص ١١٠ .

وأثر كتاب «سر الفصاحة» تأثيراً كبيراً واعتمد عليه التقاد والبلاغيون، وكان من أهم تلاميذه - فيما بعد - ابن الأثير الذي اشاد بالكتاب ، وإن غمزه وفضلَ عليه «الموازنة بين الطائين» . ويطول الكلام لو استقصينا جميع المسائل التي رد فيها ابن الأثير عليه في كتابيه «المثل السائر» و «الجامع الكبير» ، أو وافقه عليها . وقد شكَّدَ عليه في بحث الفصاحة وشروطها وفتنَّد آراءه في كثير من الأحيان ، ولم يوافقه في بحثه هذا ، واكتاره من دراسة الاصوات الا في بعض المسائل ، منها ما يتعلق بذكر ما يكره سماعه من الالفاظ . يقول ابن الأثير : « واعلم أنك قد جاء من الكلام ما معه قرينة فأوجبت قبحه ، ولو لم تجيء القرينة معه لكان الامر في استقباحه سهلاً وذلك قول الشريف الرضي :

أعزَّز عليَّ بأن اراك وقد خلا عن جانبك مقاعد العوَّادِ

فان أبا محمد بن سنان الخفاجي قد ذكر هذا البيت في كتابه فقال : « ان اراد هذه اللفظة أعني «مقاعد» في هذا الموضع صحيح، الا انه موافق لما يكره ذكره في مثل هذا الشعر لاسيما وقد أضافه الى من يحتمل اضافته اليه وهو العوَّاد ، ولو انفرد لكان الامر فيه سهلاً ، فأما الاضافة الى من ذكره ففيها قبح لاختفاء به . هذه حكاية كلام أبي محمد بن سنان الخفاجي وهو كلام مرضي واقع موقعه في هذا الباب»^(١) . ورد عليه في باب الاستعارة رداً عنيفاً ، ورجَّح كلام الأمدى في تغيير بيت امرئ القيس وقده :

فقلت له لما تظي بصليبه وأردفَ اعجازاً وناءً بكلِّك^(٢)

وهكذا خلق سر الفصاحة جواً من النقد ، وساهم في تطور البلاغة العربية ووضع مقاييسها .

(١) الجامع الكبير ص ٥٣ ، وينظر المثل السائر ج ١ ص ١٨٦ وسر الفصاحة ص ٩٣ .

(٢) الجامع الكبير ص ٨٧ والمثل السائر ج ١ ص ٣٨٤ .

أبن منقذ :

وألف أبو المظفر اسامة بن منقذ (٥٨٤هـ) (١) كتابه : « البديع في نقد الشعر » جمع فيه خمسة وتسعين نوعا من فنون البديع . وهذه الفنون البلاغية ليست مرتبة كالترتيب الذي وصل اليها عن السكاكي وتلاميذه ، وإنما بحثها على اساس انها موضوع واحد ، فلا فصل بين معانٍ وبيان وبديع .

وكتاب البديع جَمْعٌ لما تفرَّق في كتب المتقدمين التي وقف عليها وهي : البديع لابن المعتز ، والحالي والعاقل ، وحلية المحاضرة للحاتمي ، وكتاب الصناعتين لابي هلال ، واللمع للعجمي ، والعمدة لابن رشيق . وقد حاول أن يجمع من هذه الكتب أمتع ما فيها ليكون كتابه مغنيا عنها، ولم يدع ابتداء فن مما اورده ، وقرر بصراحة أن لهؤلاء فضيلة الابتداء وله فضيلة الاتباع (٢) .

وطريقة اسامة تختلف كل الاختلاف عن طريقة ابن سنان ، وهو أقرب الى ابن المعتز في بديعه وأبي هلال في الصناعتين حيث يأخذ الموضوع الواحد وبعد أن يعرفه تعريفا ذوقياً يعرض نماذج ادبية ويميز بين الحسن والرديء . وتكاد شخصيته تنعدم في الكتاب الا ما كان من تنده لابي هلال . يقول في بحث الركافة : « الركافة : هو أن يكون المعنى متناولا واللفظ متداولاً كالكلمات المستعملة والالفاظ المهملة ، فيكون الشعر ركيكا ، والنسج ضعيفا كقول امرئ القيس :

الا اني بالٍ على جملٍ بالٍ يقود بنا بالٍ ويتبعنا بالٍ

ومن العجب ان صاحب الصناعتين جعله من محاسن الشعر ولقبه

(١) تنظر ترجمته في وفيات الاعيان ج ١ ص ١٧٥ وخريدة القصر وجريدة العصر (قسم الشام) ج ١ ص ٤٩٨ ، ومقدمة كتاب البديع في نقد الشعر ص ١ وما بعدها .
(٢) البديع في نقد الشعر ص ٨ .

بالتعطف ولا خلف بين العالم والجاهل في ركاكته» (١) .

ومن التفاتاته النقدية ما ذكره عن آيات لابن سنان اخذها عن مهيار ، وفيها تبدو مقدرته على العرض والتحليل ، واطهار ما في الكلام من روعة وجمال (٢) .

وخالف البلاغيين في المصطلحات أحيانا ، فسمى الالتفات انصرافا وقال عنه : « هو أن يرجع من الخبر الى الخطاب ، ومن الخطاب الى الخبر ، مثل قوله تعالى : « حتى اذا كنتم في الفلكِ وجريينَ بهم » (٣) ولبعض العرب :

أذكر إذ تودعنا سلمي بعود أراكة سقي البشام (٤)

وخلط بين الكناية ، والتورية ، والتذليل ، والتسيم ، والمبالغة ، والتسليم ، والترديد ، والتصدير ، والتشبيب . ووضع فصولا لمسائل بديهية ، ولاحكام عامة كما فعل في باب الظرافة والسهولة (٥) .

وأحسن القدماء بما في كتاب اسامة من خلط واضطراب ، فقال ابن أبي الأصبغ المصري : « وبديع ابن منقذ على ما فيه من التوارد والتداخل وتسمية أقسام الباب الواحد أبوابا ، وضم أنواع المآخذ ، وأصناف العيوب الى المحاسن ، والاعتداد بها في عدة أبواب ، ومخالفة الشواهد والتراجع الى فنون من الزلل ، وضروب من الخلل يعرف صحتها من وقف على كتابه وأمعن النظر فيه وتدبر جملة معانيه » (٦) .

وقال عنه في كتابه تحرير التحبير : « واذا وصلت الى بديع ابن

(١) البديع في نقد الشعر ص ١٦٤ ، وينظر كتاب الصناعتين ص ٤٢٠ .

(٢) ينظر البديع في نقد الشعر ص ١٩٩ .

(٣) سورة يونس ، الآية ٢٢ .

(٤) البديع في نقد الشعر ص ٢٠٠ .

(٥) ينظر البديع في نقد الشعر ص ١٣٤ .

(٦) بديع القرآن ص ١٣ .

منقذ وصلت الى الخبط والفساد العظيم ، والجمع من أشتات الخطأ وأنواعه من التوارد والتداخل ، وضم غير البديع والمحاسن الى البديع ، كأنواع من العيوب ، وأصناف من السرقات، ومخالفة الشواهد للتراجيم، وفنون من الزلل والخلل يعرف صحتها من وقف على كتابه وانعم النظر فيه» (١) .

وقال ابن حجة : « واذا وصلت الى بديع ابن منقذ وصلت الى الخبط والفساد ، والجمع بين أسباب الخطأ وأنواعه من التداخل والتبديل » (٢) .

ومهما قيل في الكتاب فانه يمثل وجهة نظر مؤلفه ، ويعكس صورة صادقة لثقافته وثقافة عصره ، ويوضح اتجاه البلاغة والنقد وقتئذ . ويبقى بعد هذا كله مصدرا مهما لما فيه من التفاتات نقدية ، وإشارات الى كتب نقل عنها واستفاد منها .

ابن شيث القرشي :

واذا كنا لا نعرف الكثير عن ابن شيث القرشي (٣) ، فاننا نعرفه رجلا اشتغل بالبلاغة ، وترك كتابا فيها هو « معالم الكتابة ومغانم الاصابة » . وهذا الكتاب وان لم يكن مثل كتابي ابن سنان وابن منقذ ، لكن ينبغي الوقوف عنده قليلا ، لانه يصور اتجاه البلاغة في مصر والشام في القرن السادس وما بعده .

والكتاب في ثمانية أبواب :

الأول : فيما يجب تقديمه ، ويتعين على الكاتب لزومه وقد تكلم فيه على اخلاق الكاتب ، واورد كلاما يذكر بوصايا ابن المقفع في باب الصديق ، أو بوصايا عبدالحميد الكاتب في رسالته الى الكتاب .

(١) تحرير التحرير ص ٩١ .

(٢) خزائن الادب ص ١٣٦ .

(٣) تنظر مقدمة ناشر معالم الكتابة ومغانم الاصابة ومجلة المشرق السنة ١٦

العدد ٧ تموز ١٩١٣ ص ٥٥٤ .

الثاني : في طبقات التراجم ، وأوائل الكتب ، وما يكون به التخاطب بين المتكاتبين على مقدارهما •

- الثالث : في ذكر الخط ، وحروفه ، وبري القلم ، ومسكه •
- الرابع : في البلاغة وما يتصل بها ، وهو أهم أبواب الكتاب •
- الخامس : في الفاظ يقوم بعضها مقام بعض •
- السادس : في الأمثال التي يدمجها الكاتب في كلامه ، ويستشهد بها •
- الثامن : فيما لا بد للكاتب من النظر فيه والتحرز منه •

وسقط الباب السابع في النسخة المطبوعة ، لأن الناشر لم يجد منه في الاصل سوى صفحتين ، فعدل عن نشرهما ، وبذلك حرمانا منهما ، وكان عليه — أمانة للعلم — أن يذكرهما او يبين ما فيهما ليكون القاريء على بينة من امرهما •

وألوان البلاغة التي ذكرها في الباب الرابع يندرج معظمها فيما أطلق عليه بعد ذلك اسم البديع • ولم يكن المؤلف موقفا في بحثها ، وكأنه لم يستفد من كتب البلاغة المتقدمة ، أو يحاول تقليدها على الاقل • وهذا الباب هو أهم ما في الكتاب وعليه المعول • يقول : «اعلم أن هذا الباب هو الذي عليه المعول في الكتابة ، وفيه تنفاوت أقدار الكتاب ، وهو الذي فضل الله به من آتاه من عباده فصل الخطاب ، والوقوف على كلام المتقدمين فيه يرهب خاطر ، ويشحذه ، ويسدد العقول وينفذه» (١) •

وذكر أن البلاغة مجموعة في قسمين :

أحدهما : أن يكون اللفظ قليلا ، وهو دال على معانٍ ، وهو أعلى القسمين •

والثاني : أن يكون الكلام منطبقا على المعنى لا يفضل عنه •

(١) معالم الكتابة ومفانم الاصابة ص ٦١ •

وهذان القسمان هما اللذان كان حذاق الكتاب واقفين عندهما ،
ولذلك لم يتكلفوا من السجع ورعاية الألفاظ المصنوعة ما يخرجهم عن
ذلك ، إلا أنهم كانوا يخاطبون من يفهم عنهم ، فاضطر الكتاب البلاغ
الى قسم ثالث وهو أن تكون الألفاظ نقية مسجوعة سجعاً حالياً فتكون
الزيادة منها في حفاوة ورواقها وحسنها ، وصار هذا المذهب بينهم هو
المسلوك ، وصار ذلك الأول وان كان هو للعرف كأنه متروك . فاذا
اتفق حصول ذينك القسمين في هذه الألفاظ النقية كان ذلك شاهداً
بالتبريز الى غايات العلى ، وأجمع بين محاسن الصور وزينة الحلى .
والعمل كله على أن تكون الألفاظ أهلية انسية ، ولا تكون وحشية
ولا منسية . والتمكن من البلاغة لا يختلف عليه الحال من الألفاظ
الخاصية ولا العامية ، بل هو في كلتا الحالتين يعطي البلاغة حدّها
وحظها ، ويتوخى جزل الألفاظ وراقيها ، ويتحامى غليظها وفظها .

وقد ذكر أن نعوت الشعر كلها تدخل في نعوت النثر إلا الوزن ،
والشاعر المجيد يقدر على أن يكون كاتباً بليغاً ، والكاتب اذا لم يكن
الشعر في طبعه لا يقدر أن يكون شاعراً ، لأن الشعر ما لم يكن في
الطبع لا يكتسب بالممارسة ، لان الوزن أمر ذوقي لا سبيل الى ادراكه
بالمعاناة ولو أديم له الكدح والكد . واحسن السجع ما توازنت فيه
الألفاظ والتزم فيه رصف الكلمة التي يوقف عليها في الكلمة الأخرى
التي تطابقها في السجع . وهو نوعان : سجع حالٍ ، وسجع عاطل .

فالسجع الحالي هو كل كلمتين جاءتا في الكلام المنشور على زنة
واحدة تصلح أن تكون احدهما قافية أمام صاحبتهما مثل « فلان
لا تدرك في المجد غايته ولا تنسخ من الفضل آيته » ، وكهوله عليه
السلام : « يرجعن مأزورات غير مأجورات » ، وبمقدار ما تتوازن
اللفظتان ويلزم فيهما من تكرار الحروف يكون التبريز في ذلك .
وأما السجع العاطل فهو أن تقابل اللفظة أختها ولا تجمع بينهما القافية ،
وكثير من الكتاب البلاغ يقصده لخلوه من التكلف وجريانه على

سجية الكلام دون التصنع ، وهو كقوله : « قلّ أهل الدين والامانة ،
فالى من يسكن وعلى من يعول » ، فقال « يعول » في قبالة « يسكن » .

والرجع او الرد عنده نوعان : مجتمع ومفروق ، فالمجتمع كل
كلمتين جاءتا في الكلام على صيغة واحدة في اللفظ والخط لا تخالف
احدهما الاخرى الا بأول الحروف ، ثم يعود ما في كل واحدة من
الكلمتين في الاخرى بغير زيادة ولا نقص كقوله تعالى : « ويئل لكل
همزة لمزة »^(١) ، ومنه قول أبي عبادة :

لانت معاطفته فخيّل أنّه للخيزران مناسب بعظامه
إن كنت تنكر ما أقول فجاره أو باره ، أو سامه أو هامه^(٢)

والرجع المفرق هو كل كلمتين جاءتا في الكلام المنشور تضمن احدهما
من الحروف ما تضمنته الاخرى بغير زيادة ولا نقصان ، إلا انه على غير
بيّنة ولا ترتيب كما في الرجع المجتمع ، ولكن قد يتقدم بعض الحروف
على بعض ، وهو من أحسن أنواع الكتابة مثل : « فلان أرفع القوم
عمادا ، وأفرعهم معادا ، وأصدقهم ميعادا » .

والترصيع نوعان : ترصيع حذو ، وترصيع لغو ، وترصيع الحذو
كقوله تعالى : « وهمّ يحسّبون أنّهمّ يحسّنون صنعا »^(٣) . وترصيع اللغو هو كل كلمتين جاءتا في الشعر على
صورة واحدة في الخط لا يفرق بينهما الا بالشكل والنقط ، الا انه
لا يصلح ان تكون احدهما قبالة الاخرى قافية لاختلاف حرف الروي
كقوله « أعجبي من نبل فلان شائسه ، ومن نيله سائغه » .

والالمام أن يلم الكاتب في صدر كلامه بكلمة ثم يبنى عليها
فصلا ثم يتفق أن يستعمل كلمة اخرى اجنبية فينافر ما بين اللفظين ،

(١) سورة الهمزة ، الآية ١ .

(٢) معالم الكتابة ومغانم الاصابة ص ٧٠ .

(٣) سورة الكهف ، الآية ١٠٤ .

وينافي ما بين المعنيين ، فيعود الى تلك الكلمة التي استعملها في صدر كلامه يعكسها هجاء ، ويعيدها في أول الفصل الثاني مثل « أفاض الله عليك نعمة وأضاف اليك قسمة » .

والتوشيح ان يستعمل الكاتب في صدر كلامه كلمة يقتضي لفظها بمجرد في لغة العرب معنيين فصاعدا ، ثم ييني بعدها فصلا ويأتي بعده بالفصل الذي تقتضيه تلك الكلمة مثل : « ان فلانا يميل الى الخير واياته ، وعن الشر واستحسانه » ألا ترى ان لفظ «يميل» يحتمل أن يكون الى الشيء وعنه .

والتتسيم أن يأتي الكاتب في كلامه المنثور بكلمة لام الفعل فيها حرف علة، ثم يأتي بكلمة من بعدها لام الفعل فيها حرف ضحيح يشبّع للاعتماد عليه للاعراب فيحصل من ذلك تتسيم اللفظ وتحصيل معنى تمّ به في تلك الكلمة الاولى التي أتى بها في صدر كلامه مثل :

يَمْدُونَ من أيْدٍ عواصٍ عواصِمٍ
تَصُولُ بأسيافٍ قواضٍ قواضبٍ

وقد تحدث عن التجنيس ، والمطابقة ، والجزالة ، والسهولة ، والانصراف ، والتكرار ، والفك ، والابتداء ، والختم ، والرشاقة ، والاتجاه ، والجهد ، والتفسير ، والمقابلة ، والموازنة ، والاستخدام ، والاستطراد ، والتقسيم ، والعكس ، والاستعارة ، والتورية .

هذه موضوعات الكتاب وفيها يبدو جنوح القرشي الى المدرسة الادبية والابتعاد عن بلاغة أهل الفلسفة والاعاجم . ويتضح هذا في اكتاره من الامثلة ، وعدم تحديده المصطلحات تحديدا جامعا مانعا ، وعدم تقسيم الموضوعات الى فروع كثيرة وأقسام يضع القاريء فيها . ولم يجعل القاعدة محور البحث ، وانما كان الشاهد او المثال محور بحثه . وقد صرح بابتعاده عن أهل الفلسفة ، فقال عن التجنيس : «التجنيس هو مصدر جنس يجنس تجنيسا اذا ماثل بين الحروف على اصل ما جاء

به الاصمعي في كتاب الاجناس ، لا على حد ما جاء به أصحاب المنطق» (١) .

ويلاحظ أنه لم يتابع المدرسة الكلامية في المصطلحات ، وإنما وضع مصطلحات جديدة ، فاستعمل الهدم في الموضع الذي استخدم فيه البلاغيون الذم بما يشبه المدح، يقول : « الهدم وهو أن تذكر انسانا بصفة في كلامك ثم تنقضها بكلمة من جنسها ، مثاله : « فلان سبط الخلائق ، الا انه جعد الأنامل ، مرفوع الحجاب الا انه محجوب النائل» (٢) .

واستعمل الفك في الموضع الذي استخدموا فيه الاستدراك وهو ان ينفصل الكلام الاول عن الكلام الثاني بحرف استثناء وغيره (٣) .
واستعمل الانصراف في الموضع الذي استعملوا فيه الالتفات .
وقسّم السجع الى حالٍ وعاطل ، وهو تقسيم لا نجده عند غيره ، ولا نجده مألوفاً اليوم .

ومن هنا نستطيع أن تؤكد عدم اتصال المدرسة الادبية بالمدرسة الكلامية في عصر ابن شيث ، وان اتصلت بها فانها لم تؤثر فيها تأثيراً قوياً .

ابن الاثير :

وأما ضياء الدين بن الاثير (٦٣٧ هـ) (٤) فهو من اعظم رجال البلاغة في هذه الفترة ، وقد ألف عدة كتب منها : « المشل السائر في أدب الكاتب والشاعر » ، و « الجامع الكبير في صناعة المنظوم والمنثور » ، و « الاستدراك » . وهو في هذه الكتب وغيرها ناقد

(١) معالم الكتابة ومغانم الاصابة ص ٧٣ .

(٢) معالم الكتابة ومغانم الاصابة ص ٧٧ .

(٣) معالم الكتابة ومغانم الاصابة ص ٧٧ .

(٤) تنظر ترجمته في وفيات الاميان ج ٥ ص ٢٥ ، وفي كتاب « ضياء الدين بن الاثير وجهوده في النقد » .

كبير وبلاغي مجدد • واعظم كتبه المثل السائر الذي « جمع فيه فأوعى، ولم يترك شيئاً يتعلق بفن الكتابة الا ذكره » (١) •

وليست البلاغة عنده كما نعرفها اليوم ، وانما هي طرق تعلم الكتابة ، والحكم على المعاني ، والاستعارة ، والتشبيه ، والتجنيس ، ولزوم ما لا يلزم ، والسرقات • وكلها علم واحد هو علم البيان الذي يكون « بمنزلة اصول الفقه للاحكام » (٢) ، فلا تميز بين مباحث المعاني أو البيان أو البديع ، وانما هي علم واحد يستعين به الشاعر او الكاتب بعد أن يتمرن على الكتابة ، ويحفظ القرآن الكريم وطرفا من الاحاديث النبوية والشعر العربي الرصين •

بنى كتابه البلاغي النقدي الكبير « المثل السائر » على مقدمة ومقالتين ، فالمقدمة تشتمل على اصول علم البيان وهي عشرة فصول : موضوع علم البيان ، وآلات علم البيان وهي : معرفة العربية من نحو ، وصرف ، ولغة ، وامثال ، وحفظ القرآن الكريم ، والاحاديث النبوية الشريفة ، وعلم القوافي والعروض • والحكم على المعاني ، والترجيح بين المعاني ، وجوامع الكلم • وفي الحكمة التي هي ضالة المؤمن ، والحقيقة والمجاز ، والفصاحة والبلاغة وأركان الكتابة ، وفي الطريق الى تعلم الكتابة •

أما المقالة الاولى : فهي في الصناعة اللفظية ، وهي قسمان : القسم الاول في اللفظة المفردة تكلم فيه على شروط اللفظة المفردة وردّ على ابن سنان وأيّدّه في بعض آرائه • والقسم الثاني في الالفاظ المركبة وهي : السجع والتصريع ، والتجنيس ، والترصيع ، ولزوم ما لا يلزم ، والموازنة ، واختلاف صيغ الالفاظ ، وتكرير الحروف •

والمقالة الثانية : في الصناعة المعنوية وقد تحدث فيها عن الاستعارة ، والتشبيه ، والتجريد ، والالتفات ، والتقديم والتأخير ،

(١) وفيات الاميان ج ٥ ص ٢٧ •

(٢) المثل السائر ج ١ ص ٣ •

والايجاز والاطناب ، والسرقات وغيرها •

وجعل مدار كتابه « الجامع الكبير » على قطبين :
الاول : في الأشياء العامة • والثاني : في الأشياء الخاصة •

وقسم القطب الاول الى فنين : الاول : فيما يجب على مؤلف الكلام الابتداء به وهو أربعة ابواب : الاول : في آلات التأليف ، والثاني : في أدواته ، والثالث : في الطريق الى صناعة النثر والنظم ، والرابع : في الحقيقة والمجاز •

والفن الثاني : في الكلام على الألفاظ والمعاني وتفضيل الكلام المنشور على المنظوم ، وهو ثلاثة أبواب : الاول : في الألفاظ المفردة والمركبة ، والثاني : في الكلام على المعاني ، والثالث : في تفضيل الكلام المنشور على المنظوم •

والقطب الثاني فنان : الاول : في الفصاحة والبلاغة ، والثاني : في ذكر أصناف البيان واقساماتها وهوبابان : الاول : في الصناعة المعنوية ، والثاني : في الصناعة اللفظية • وتكلم في الباب الاول على الاستعارة ، والتشبيه ، والالتفات والايجاز والاطناب ، والسرقات وغيرها من الموضوعات التي تحدث عنها في الصناعة المعنوية في كتابه المثل السائر • وتكلم في الباب الثاني على السجع والازدواج والتجنيس ، والترصيع ، ولزوم ما لا يلزم ، والموازنة ، واختلاف صيغ الألفاظ ، وتكرار الحروف •

وجمع في كتاب « الاستدراك » بحثين : الاول : مؤاخذته لابن الدهان على مؤاخذاته للمتنبى ، والثاني : استدراكه على ما فات ابن الدهان من ماخذ المتنبى ، وبذلك لم يخرج كثيرا عن هذين الهدفين •

ويبدو ان ابن الاثير بعد أن حلق في كتابيه السابقين ، وجمال جولات رائعة في علم البيان اراد ان يضع كتابا يطبق فيه بعض نظرياته وآرائه النقدية التي بثها في كتبه الاولى ، فألف الاستدراك بعدالمثل

السائر^(١) . وقد جاء هذا الكتاب جديداً في منهجه وآرائه وإذا كان المثل السائر عمدة آراء ضياء الدين ونظرياته في البيان والنقد ، فإن الاستدراك هو الصورة العملية الذي يكشف في جلاء عن منهجه في النقد وكيفية تطبيقه لآرائه ونظرياته التي شرعها ، وأرسى اصولها .

ومقدمة الاستدراك أهم ما فيه ، فقد تكلم على الشعر وتقدمه ، والمفاضلة بين الشعراء ، والسراقات الادبية ، وموقف النحويين واللغويين من الشعر وتقدمه . وقد شرح حماسة أبي تمام ، وأسهب في ذلك وأكثر من الشواهد الشعرية وقارن بينها ، والمقدمة بعد هذا كله « دستور للنقد أتى فيها المؤلف بأشياء جديدة بأن تقييد وتحفظ »^(٢) .

ولم يكن ابن الاثير مقلداً فيما كتب وألّف ، وإنما كان مجدداً وناقداً ثائراً ، وكان موقفه من رجال البلاغة موقف الناقد الموجه ، وقد استخرج فنونا بلاغية جديدة ، وكان هذا التجديد دافعا الى تأليفه « المثل السائر » و « الجامع الكبير » ، يقول : « وكنت عثرت على ضروب كثيرة منه في غضون القرآن الكريم ، ولم أجد أحداً ممن تقدمني تعرض لذكر شيء منها ، وهي اذا عدت كانت في هذا العلم بمقدار شطره »^(٣) . ويقول متحدثاً عن القرآن الكريم : « فاستخرجت منه حينئذ ثلاثين ضرباً من علم البيان لم يأت بها أحد من اولئك العلماء الاعيان ، وكان ما ظفرت به أصل هذا الفن ، وعمدته ، وخالصة هذا العلم وزبدته »^(٤) .

وكان ابن الاثير الى جانب ذلك كله ناقداً عظيماً له منهج في النقد ما يزال كثير من اصوله عمدة النقد في العصر الحديث . وقد اعتمد في تقدمه على شيئين : الذوق والتعليل المبني على العلم والتوجيه الحسن . ولذلك نجده يؤكد عليه دائماً ويقول : « واعلم أيها الناظر

(١) في الاستدراك ص ١١٩ ان ابن الاثير ألفه بعد المثل السائر .

(٢) مقدمة الاستدراك ص ١٠ .

(٣) المثل السائر ج ١ ص ٤ .

(٤) الجامع الكبير ص ٣ .

في كتابي أن مدار علم البيان على حاكم الذوق السليم الذي هو اتقع من ذوق التعليم» (١) . ويقول بعد ذلك : « وملاك هذا كله الطبع ، فانه اذا لم يكن ثمَّ طبع فانه لا تغنى تلك الآلات شيئاً (٢) ومن أجل هذا حمل حملة عنيفة على المنطق والفلسفة ، ورأى في رجالها من أمثال ابن سينا والفارابي رجالا مغرورين أضلهم ارسطو وأفلاطون .

ولابن الأثير آراء كثيرة سنعرض لها في بحث بلاغة القزويني ، ونذكر هنا رأيه في الزمن والنقد، فهو يرى أن التقدم الزمني ليس له كبير أهمية في تقديم شاعر على شاعر ، فإن جريرا والفرزدق والاخلطل أشعر ممن تقدم من شعراء الجاهلية وبينهم وبين اولئك فرق بعيد ، وان أبا تمام والبحري والمنتبي أشعر من الثلاثة المذكورين ، وليس عنده أشعر منهم في جاهلية ولا اسلام ، ويعلل ذلك بقوله : « والعرب وانسبقوا الى نظم الشعر فانهم لم يحصلوا على ما حصل عليه المتأخرون ، فان اولئك قالوه من غير تنقيب ولا تنقيح ولا حفظ ولا درس فشدَّ عنهم الشيء الكثير من المعاني الدقيقة ، وأما الالفاظ فانهم أتوا بمحاسنها ولم يفتهم شيء منها لكنها توجد متدققة في أشعارهم ويخلطونها بما قبج من الألفاظ ، والمتأخرون حصلوا على القسمين معا لأنهم تقبوا وحفظوا ودرسوا وأتقنوا كثيرا ، فترى الشاعر منهم وقد حوى شعره ما تفرَّق في أشعار كثير من العرب» (٣) .

ويرى أن أبا تمام والبحري والمنتبي : « لات الشعر وعزاه ومنااته » الذين ظهرت على أيديهم حسناته ومحسناته ، وقد حوت أشعارهم غرابة المحدثين الى فصاحة القدماء وجمعت بين الأمثال السائدة وحكمة الحكماء يقول : « اما أبو تمام فانه رب معان وصيقل ألباب واذهان . . . واما أبو عبادة البحري فانه احسن من سبك اللفظ على المعنى وأراد أن يشعر فغنى ، ولقد حاز طرفي الرقة والجزالة على

(١) المثل السائر ج ١ ص ٥٠ .

(٢) المثل السائر ج ١ ص ٨ .

(٣) الاستدراك ص ٢٥ .

الإطلاق •• وأما أبو الطيب فإنه أراد أن يسلك مسلك أبي تمام فقصرت عنه خطاه ولم يعطه الشعر من قياده ما أعطاه لكنه حظى من شعره بالحكم والأمثال واختص بالابداع في وصف مواقف القتال» (١) •

ووضع للمفاضلة بين الشعراء قواعد وأصولا ، وكان يرى أن المفاضلة تقع بين الكلامين سواء كانا متفقين في المعنى أم مختلفين ، فإذا كانا متفقين فإن المفاضلة بينهما ظاهرة مكشوفة كقول بشار بن برد :

من راقب الناسَ لم يظفر بحاجتِهِ وفاز بالطيباتِ الفاتكُ اللهجُ
وقول سلم الخاسر :

من راقبَ الناسَ مات غمًّا وفاز باللذةِ الجسورُ

فالحكم بين هذين البيتين وبين مثلهما من المعاني المتفقة إنما يقع في اللفظة خاصة ، وذلك يوجد في شيئين: أحدهما : يتعلق بنظم الكلام الذي هو سبك الألفاظ بعضها مع بعض ، والآخر : يتعلق بالإيجاز الذي هو الاختصار •

فأما النظم فإن له أوصافا أربعة هي : أن تكون الألفاظ واضحة بيّنة ليست بغريبة الاستعمال ، وأن تكون الألفاظ حلوة في الفم ، سهلة على النطق ، غير مستثقلة ولا مستكرهة ، وأن تكون كل لفظة من الألفاظ ملائمة لأختها التي تليها غير نافرة عنها ولا مباينة لها ، وألا يكون في الألفاظ تقديم وتأخير يستغلّق به المعنى فيجيء نظم الكلام مضطربا ، ومتى عري الكلام من هذه الأوصاف لم يكن فصيحاً وأن عري عن شيء منها نقص منه جزء من الفصاحة ، وإذا نظر إلى هذين البيتين من جهة السبك وجدا سواء ، فهما اذن متساويان في هذه النجاة • وأما الإيجاز فإنه إذا نظر إليهما من جهته وجد بيت سلم أوجزَ من بيت بشار ، لأنه ثمانى لفظات وذلك عشر ، فهو اذن أفضل

(١) المثل السائر ج ٢ ص ٣٦٦ •

منه (١) .

ورد على الذين كانوا لا يرون ان لا مفاضلة الا بين المعاني المنفقة،
ولا يمكن ذلك بين المعاني المختلفة ، فقول امرئ القيس :
كأنّ قلوب الطير رطباً ويابسا
لدى وكرها العناب والحشف البالي

وقول النابغة :

ولست بمستبقٍ أحملاً لا تلمسه
على شعثٍ ، أي الرجال المهذب ؟

لا يمكن المفاضلة بينهما لاشتمالهما على معنيين مختلفين .

ويرى ابن الأثير ان هذا المذهب فاسد ، لأنه يؤدي الى ترك
المفاضلة بين الجيد والرديء من الكلام اذا اختلف المعنى فيهما حتى اذا
اسكده هذا الباب تعدى الى كلام الله تعالى فلا يقال اذن انه أفضل من
غيره ، لأنه لا اتفاق بينهما في المعنى . وطبق على هذين البيتين اوصاف
النظم الأربعة ، يقول : « اذ الاوصاف الاربعة التي تتعلق بالسبك قد
تساويا فيهما فلا يقال : ان هذا أفضل من هذا من هذه الجهة . واما
من جهة المعنى فان بيت النابغة افضل ، وذلك لأنه تضمن حكمة
تعرب عن تجربة الاخوان فيتأدب بها الغر الجاهل ويتنبه لها الفطن
الأريب ، والناس أحوج الى معرفته من معرفة التشبيه الذي يتضمنه
بيت امرئ القيس ، وغاية ما فيه أنه رأى صورة فحكاها في المماثلة
بينها وبين صورة أخرى ، وليس ثم سوى ذلك ، وبيت النابغة كلمة
مؤدبة تستخرج بالفكر الدقيق » (٢) .

ووضع قاعدة أخرى للمفاضلة وهي أن ننظر الى قصيدتين
لشاعرين ، ونختار جيد هذه وجيد هذه ، فمن كان جيده أكثر بالنسبة

(١) الاستدراك ص ٥٨ - ٥٩ .

(٢) الاستدراك ص ٦٠ .

الى رديته حكم له بالفضيلة . أو أن° تنظر في ديوان هذا وديوان هذا ، ويجري الأمر على ما تقدم في قصيديهما . ومثال ذلك أن يكون ديوان أحدهما خمسة آلاف بيت منها أربعة آلاف جيدة وديوان الآخر ستة آلاف منها أربعة جيدة ، فالفضيلة المحكوم بها في هذا المقام لصاحب الخمسة دون الستة ، ولكنه يقول : « ان هذه مفاضلة مجازية ، لأن الاقوال لا تكال بالقفزان وتحشى بها الغرائر^(١) ، فرب بيت واحد يعدل مائة بيت »^(٢) .

وآراء ابن الأثير في النقد كثيرة عرض لها بالتفصيل الدكتور محمد زغلول سلام في كتابه « ضياء الدين بن الأثير وجهوده في النقد » . ولقد صدق المرحوم أحمد أمين حينما قال : « ومن أهم الكتب النقدية كتاب المثل السائر لابن الأثير ، وهو كتاب قيّم مملوء بالالتفاتات الأدبية الرائعة التي تدل على ذوق بازع »^(٣) .

وقد أثر ابن الأثير في البلاغة تأثيرا عظيما ، وكان لكتابه « المثل السائر » صدى في القرون التي تلته ، وانقسم الناس فريقين فمنهم من أيّده وآزره ، ومنهم من نقده وأفرط في ذمه . ولعل أظهر من عارضه ابن ابي الحديد (٦٥٥ هـ) - صاحب شرح « نهج البلاغة » - في كتاب « الفلك الدائر على المثل السائر » الذي يقول فيه أخوه أحمد بن أبي الحديد لما سمع بتأليفه :

المثل السائر يا سيدي صنت فيه الفلك الدائرا
لكن هذا فلك دائر أصبحت فيه المثل السائر^(٤)

ونقده في شرح « نهج البلاغة » ، وكان نقده في الكتابين

(١) القفيز : مكيال ، ج : أنفة وقفران . الفرارة : الكيس الكبير من صوف او

شعر توضع فيه الحبوب أو غيرها ، ج : غرائر .

(٢) الاستدراك ص ٦١ .

(٣) النقد الادبي ص ٤٥٢ .

(٤) نوات الوفيات ج ١ ص ١١ .

قاسيا ، وتبدو روح الحاسد الشامت واضحة جلية ، ومن هنا لا نرى
لما كتب ابن أبي الحديد قيمة كبيرة •

وألّف محمود بن الحسين الركن السنجاري (٦٤٠ هـ) كتابا
يرد فيه على ابن أبي الحديد ، وسماه « نشر المثل السائر وطى الفلك
الدائر » •

وصنف صلاح الدين خليل ابن ابيك الصفدي (٧٦٥ هـ)
كتابا سماه « نصره الثائر على المثل السائر » •
واختصر بعضهم المثل السائر •

ابن الزملكاني :

وألّف كمال الدين عبدالواحد بن عبدالكريم بن خلف الانصاري
السماكي المعروف بابن الزملكاني (٦٥١ هـ)^(١) كتاب « التبيان في علم
البيان المطلع على اعجاز القرآن » وضعه بعد أن رأى كتاب « دلائل
الاعجاز » لعبدالقاهر غير منظم مهذب ، فأراد أن يهذب مسأله ويجمعها
ليكون قريب التناول سهل التداول ، يقول وهو يتحدث عن الفصاحة :
« وعلم البيان آخذ بزمامها ، مدعو بامامها ، يريك البدائع والغرائب ،
ويهديك المناقب والعجائب ، لغموضه ودقة رموزه ، استولت عليه يد
النسيان والحقه قصور الهمم بخبر كان ، ولم أجد من المصنفات فيه الا
القليل مع أنها مشحونة بالقال والقليل ، واجمعها كتاب « دلائل
الاعجاز » للامام العالم التحرير علم المحققين عبدالقاهر الجرجاني
— رحمه الله — ، فانه جمع فأوعى وقال فأوعى ، فلقد فك قيد الغرائب
بالتقييد ، وهدم سور المعضلات بالتسوير المشيد حتى عاد أسهل
من النفس وأصبح للفهم من الضوء لشهاب القبس في الغلس ، فجزاه
الله خير الجزاء ، وجعل نصيبه من أوفر الأجزاء • غير انه واسع الخطو

(١) تنظر ترجمته في شذرات الذهب ج ٥ ص ٢٥٤ ، والدارس في تاريخ المدارس ج ١
ص ١٩٣ ، والبداية والنهاية ج ١٣ ص ٣٢٥ ومقدمة التبيان في علم البيان المطلع على
اعجاز القرآن ص ١٠ وما بعدها .

كثيرا ما يكرر الضبط ، فقيده للتبويب ، طريد من الترتيب ، يمل الناظر ويعشى الناظر • وقد سهل بالله تعالى جمع مقاصده وقواعده ، وضبط جوامحه وشوارده ، مع خرائد سمح بها خاطر ، وزوائد نقلت من الكتب والدفاتر « (١) » .

وألفه في ايام قلائل مع كثرة العوائق والشواغل ، وقدمه لوزير الشام ابي الحسن علي الأمين ، ورتبه على سوابق ومقاصد ولواحق ، وجعل من السابق مقدمات ثلاث : أولها في فضل علم البيان ، والثانية في حصر مواقع الخلط في اللفظ ، والثالثة في طريقة تحصيله •

والمقاصد ثلاثة أركان :

الاول : في الدلالات الافرادية ، ويشمل الكلام في الحقيقة والمجاز وأقسامه من كناية ، واستعارة ، وتمثيل ، والفرق بين الاثبات بالاسم والفعل ، والمعرفة والنكرة ، وفي مفردات شذت عن الضوابط •

والثاني : في مراعاة أحوال التأليف وقد قسمه الى فنون هي : تقديم الاسم على الفعل وتأخيره ، خبر المبتدأ ، تقديم بعض الأسماء على بعض ، المجاز الاسنادي ، التشبيه ، ايجاز ، التأكيد ، الحذف ، المنصوبات ، معرفة الفصل والوصل ، معرفة اسباب التقديم والتأخير ، قوانين كلية •

والثالث : في معرفة أحوال اللفظ وأسماء اصنافه في علم البديع وفيه مقدمة وأصناف • أما المقدمة فتشتمل على بحث كلي يتعلق بمخارج الحروف ، وأما الاصناف فهي ستة وعشرون فنا من فنون البديع المعروفة كالتجنيس ، والترصيع ، والتضمن ، والمساواة ، والتتميم وغيرها • وأهل أنواعا كثيرة ، أما لأنها ضمن فنون البديع المذكورة ، او لأنها مذكورة في الركنين السابقين •

(١) التبيان في علم البيان ص ٢٩-٣٠ (تحقيق الدكتور احمد مطرب والدكتورة خديجة الحديثي) •

أما اللواحق فتكلم فيها على بيان الجهة التي تحصل بها البلاغة والاعجاز في القرآن ، وقد عرض خمسة آراء للاعجاز فند أربعة منها واعتبرها باطلة ، وتمسك برأي واحد رآه الصواب الذي لا يأتيه الباطل ، وهو أن يكون الاعجاز راجعا الى توخي معاني النحو ، وأحكامه في النظم •

ويغلب على كتاب التبيان الاتجاه النحوي ، ولا عجب فالزمكاني مؤمن بالنحو وبالنظم الذي شرحه عبدالقاهر في « دلائل الاعجاز » وقال عنه : إنه ليس « الاتوخي معاني النحو » • والكتاب وان كان عرضا لآراء عبد القاهر وترديدا لامثله واقواله - غير أنه يمتاز عنه بالتبويب والتنسيق • وقد أشار المؤلف نفسه الى هذا في مقدمة الكتاب ، ولكنه لم يقف عند ما جاء في « دلائل الاعجاز » وانما تجاوزه الى كتب بلاغية أخرى لم يشر اليها • ونعتقد انه استفاد من كتاب « نهاية الايجاز في دراية الاعجاز » للرازي وكتاب « البديع في نقد الشعر » لاسامة بن منقذ وكتب ابن الاثير •

ولم يبق « التبيان » في البيئة الشامية ، بل سار في الاقاليم العربية كمصر واليمن ، وكان أحد المصادر الاربعة التي اعتمد عليها أمير المؤمنين يحيى بن حمزة العلوي (٧٤٩ هـ) في تأليف كتابه الضخم « الطراز المتضمن لاسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز » ، وسار العلوي على خطاه في تفريعاته وتقسيماته ، واكثره من الاشارات والتنبيهات •

وكان « التبيان » مصدراً مهما في التأليف ، فنقل عنه السبكي في « عروس الافراح » وأبو حيان النحوي الاندلسي في تفسيره « البحر المحيط » والسيوطي في « الأشباه والنظائر » و « همع الهوامع » •

وألّف أبو المطرف بن عميرة احمد بن عبدالله بن عميرة المخزومي (٦٥٨ هـ - ١٢٦٠ م) كتابا ردّ فيه على ابن الزمكاني سماه « التنبيهات

على ما في التبيان من التموهيات»^(١) . ولم نعر عليه ، لنطلع على موضوعاته ومنهجه ، ونرى موقفه من ابن الزمكاني .

ابن أبي الاصبغ المصري :

وأما ابن أبي الاصبغ فهو أبو محمد زكي الدين عبدالعظيم بن عبدالواحد المعروف بابن أبي الاصبغ المصري العدواني (٦٥٤ هـ)^(٢) ، وكان شاعراً أديباً ، وعلى ضوء هذه الروح ألف كتبه ، وأهمها في البلاغة والنقد : « تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر ويبيان إعجاز القرآن » و « بديع القرآن » .

ألف ابن أبي الاصبغ كتاب « تحرير التحبير » ليدرس فيه الألوان البلاغية التي وجدت الى عصره ، وقسمه الى ثلاثة أقسام : تكلم في الاول على الاصول ، وهي الأبواب التي ذكرها ابن المعتز وقدامة . وتحدث في الثاني عن الأبواب التي عدّها فروعاً كالاختراس ، والمواربة ، والتسهيم ، والتورية . وتكلم في القسم الثالث على ما استخرجه بنفسه وهو ثلاثون فناً لم يسلم له منها الا انواع قليلة .

يقول في مقدمة الكتاب : « وبعد فاني رأيت ألقاب محاسن الكلام التي نعتت بالبديع قد انتهت الى عدد ، منه اصول وفروع . فاصوله ما أشار اليها ابن المعتز في بديعه وقدامه في تهده ، لانهما أول من عني بتأليف ذلك .

أما ابن المعتز فهو الذي سماه البديع ، واقتصر في كتابه بهذه التسمية على خمسة أبواب واما قدامة فضمن كتابه الموسوم بنقد الشعر عشرين باباً وهذه اصول ما ساقه الناس في كتبهم من البديع » .

(١) ينظر نفع الطيب ج١ ص ٢٩٣ ، وكشف الظنون ج١ ص ٣٤١ ، وتاريخ الادب العربي لبروكلمان (الطبعة الالمانية) ج١ ص ٥٢٨ ، ومقدمة التبيان ص ١٧ .

(٢) تنظر ترجمته في فوات الوفيات ج١ ص ٦٠٨ ، وتقديم بديع القرآن ص ٨٥ وتحرير التحبير ص ٤ وما بعدها ، وكتاب ابن أبي الاصبغ المصري بين علماء البلاغة ص ٣٠ وما بعدها .

ويذكر انواع البديع الفروع ثم يقول : « واضفت هذه الابواب الفروع الى تلك الثلاثين الاصول فصارت الفذلكة تسعين بابا .. ولما أمرني من لا محيد لي عن أمره ، ولا محيص عن رسمه ، سيد الفضلاء ، وقدوة البلغاء ، وملجأ الأديباء ، ومحط رحال الغرباء ، وامام الكرماء ، القاضي الأجل الفاضل شرف الدين أبي الحسن بن انقاضي الاجل الفقيه الامام الورع الرضي جلال الدين المكرم أبي الحسن موسى بن الحسن بن سناء الملك - أمتعه الله بفضائله كما امتع الفضلاء بفضائله ، ورحم سلفه كما رحم به من عرفه - بجمع ما في كتب الناس من ذلك على سبيل الاختصار من الشواهد ، وتجنب الاطالة يذكر كل الاشتقاق ، الا ايضاح مشكل ، أو كشف غامض أو زيادة بسط في الكلام ، على انه من كتاب الله تعالى ، او في بيت قد اهلل تقصي الكلام عليه ، بادرت الى امتثال أمره ، واستخرت الله سبحانه وتعالى حالة الشروع في مرسومه ، وسألت الاعانة على بلوغ غرضه ، والهداية الى ما يترجح عنده » (١) .

وبذلك جمع ابن أبي الاصبع ١٢٥ فناً بلاغياً في كتابه « تحرير التحبير » ، وقد كتبها بأسلوب أدبي سهل ، وذكر الشواهد القرآنية والشعرية والنثرية ، وعرض الآراء المختلفة ، والمصطلحات المتعددة .

وألف كتاباً خاصاً بدراسة « بديع القرآن » أفردته من كتابه « تحرير التحبير » ، يقول عنه : « كتاب بديع القرآن الذي هو تمة الاعجاز المترجم ببيان البرهان أفردته من كتاب هو وظيفة عمري ، وثمرة اشتغالي في ابان شيبتي ومباحثي في أوان شيخوختي » (٢) . وقسمه الى الأقسام الثلاثة التي ذكرها في تحرير التحبير . ويبدو أن فكرة بديع القرآن كانت رد فعل لفكرة الباقلاني التي بسطها في اعجاز القرآن التي ذهب فيها الى ان الاعجاز لا يلتمس من ناحية ما اشتمل عليه

(١) تنظر مقدمة تحرير التحبير ص ٨٣ وما بعدها .

(٢) بديع القرآن ص ٣ .

من البديع^(١)، فجاء ابن ابي الأصبع ليظهر للناس ما في القرآن الكريم من بديع وما له من تأثير ، يقول في باب التورية : « واذا وصلت الى ما وقع من التورية في الكتاب العزيز وصلت الى الغاية القصوى » (٢) .

وكتاب البديع — وان كان مفردا من تحرير التحبير — يختلف عنه في انه ضم ١٠٩ أبواب بينما ضم الآخر ١٢٥ بابا ، والأبواب التي اهملها : الهزل الذي يراد به الجذ ، ائتلاف اللفظ مع الوزن ، ائتلاف المعنى مع الوزن ، التجزئة ، الترصيع ، التصريح ، التشطير ، التطريز ، التوشيح ، الاغراق ، العلو ، الاشتراك ، التفریع ، الابداع ، الاستعانة ، المشاكلة ، المواردة ، الحل ، العقد ، الاتفاق ، الهجاء في معرض المدح ، الألفاظ والتعمية . وسبب تركها أنه لم يجد في القرآن الكريم أمثلة لها . وذكر في « بديع القرآن » أنواعا لم يذكرها في التحبير وهي : التلخيص ، التفصيل ، الالغاء ، التنظير ، الزيادة التي تقيد اللفظ فصححة وحسنا ، التفریق والجمع ، الرمز والایماء . وهذه أثر من آثار متابعتة البحث والتنقيب في الكتب وإعمال الفكر .

وليست كتب ابن ابي الاصبع في البلاغة سردا لموضوعاتها وذكرها لأنواع البديع فحسب، بل هي دراسة نقدية تمتاز بالتحليل الرائع والذوق النسلیم ، ولم يكن مقلدا وانما استطاع أن يضيف ثلاثين فنا من فنون البلاغة نسبها الى نفسه ولكن الناظر فيها يجد اكثرها في الكتب الأولى . وقد سلمت له أربعة عشر فنا هي : التمزيج ، الهجاء في معرض المدح ، العنوان ، الايضاح ، الحيدة والانتقال ، الشماتة ، الاسجال بعد المغالطة ، التصرف ، التسليم ، الافتتان ، القول بالموجب ، حصر الجزئي والحاقه بالكلي ، الابداع ، الاتصاف (٣) .

(١) ينظر اعجاز القرآن ص ١٦٨ .

(٢) تحرير التحبير ص ٢٧٠ .

(٣) ينظر بديع القرآن ص ٢٤٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٦ ، ٢٨٠ ، ٢٨٢ ، ٢٨٦ ، ٢٩٥ ، ٣١٤ ،

٣١٥ ، ٣٢٦ ، ٣٤٠ ، وابن ابي الاصبع المصري بين علماء البلاغة ص ٣٠٧-٣٢٥ ، والبيان العربي (الطبعة الثالثة) ص ٢٣٨ - ٢٤٠ .

وأثر ابن أبي الأصبع في شهاب الدين محمود بن سلمان الحلبي
(٧٢٥ هـ) صاحب « حسن التوسل الى صناعة التوسل » ، والنويري
(٧٣٣ هـ) مؤلف « نهاية الارب » ، والقزويني (٧٣٩ هـ) صاحب
« التلخيص » و « الايضاح » ، وبهاء الدين السبكي (٧٧٣ هـ) صاحب
« عروس الأفراح » والسيوطي (٩١١ هـ) صاحب « الاتقان » .

هؤلاء أشهر أعلام البلاغة في مصر والشام قبل القزويني ، وهم
 يكونون مدرسة خاصة لها اتجاهها وخصائصها ، فما هذه
 الخصائص والمميزات ؟

خصائص ومميزات :

أول ما يلاحظ ان البلاغة العربية في القرن السادس وما بعده
 أخذت تتجه الى التحديد والتقسيم ، وكانت في البيئة المشرقية قد
 وقفت عند منهج معين وضعه السكاكي (٦٢٦ هـ) عندما قسمها الى
 المعاني : وهو تتبع خواص ترايب الكلام في الافادة وما يتصل بها من
 الاستحسان وغيره ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام
 على ما يقتضي الحال ذكره • والى البيان : وهو معرفة ايراد المعنى
 الواحد في طرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه وبالتقصان
 ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه •
 والى وجوه يصار اليها لقصد تحسين الكلام ، وهي التي أطلق عليها
 المتأخرون فيما بعد المحسنات اللفظية والمعنوية أو علم البديع •

وفي الوقت الذي قسمت فيه البلاغة هذا التقسيم في بيئة خوارزم،
 نجد البلاغة في مصر والشام تنحو منحى آخر بعيداً كل البعد عن هذا

الاتجاه • ولو رجعنا الى أهم كتب هذه البيئة لوجدنا ابن سنان يقسم «سر الفصاحة» الى ثلاثة أقسام يتحدث فيها عن شروط الفصاحة في اللفظة الواحدة وشروطها في الألفاظ المنظوم بعضها مع بعض والكلام على المعاني مفردة عن الألفاظ • وتكلم ابن منقذ في «البيديع في نقد الشعر» على فنون البيديع المختلفة مما دخل في علم المعاني وما دخل في علم البيان ، وما دخل في علم البيديع فيما بعد • وبنى ابن الأثير «المثل السائر» على مقدمة ومقالتين •

وفي الوقت الذي نجد السكاكي يضع مصطلحات البلاغة الوضع الاخير ، نجد مدرسة مصر والشام لا تسرف هذا الاسراف ، ونجد الاختلاف واضحا في المصطلحات ، فالسكاكي ورجال مدرسته يسمون الرجوع من الغيبة الى الخطاب ، ومن الخطاب الى الغيبة التفاتا ، واسامة وابن شيث يسميانه انصرافا • وبينما كان السكاكي وأصحابه يتكلمون في السجع وأقسامه ، كان القرشي يقسمه الى حال وعاطل ، وهو ما لا نعرفه عند غيره •

وبينما كان السكاكي يعرف الاستعارة بقوله: «هي ان تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر مدعيا دخول المشبه في المشبه به دالا على ذلك باثباتك للمشبه ما يخص المشبه به» (١) نجد ابن الأثير يعرفها بقوله : « والذي عندي في ذلك أن يقال : حد الاستعارة نقل المعنى من لفظ الى لفظ لمشاركة بينهما مع طي ذكر المنقول اليه » (٢) • وتعريف السكاكي أكثر تحديدا وهو - كما يقول المناطقة - جامع مانع ، اما تعريف الثاني فهو تعريف تسيطر عليه النزعة الفنية أكثر مما تغلب عليه الناحية العقلية البحتة • ويتجلى هذا بوضوح في قوله عنها وهو يتحدث عن التشبيه : « والتشبيه المحذوف أن يذكر المشبه دون المشبه به ، ويسمى استعارة » (٣) • وهذه ليست الاستعارة بمعناها

(١) مفتاح العلوم ص ١٧٤ •

(٢) المثل السائر ج ١ ص ٣٥٦ •

(٣) المثل السائر ج ١ ص ٣٦٥ •

الواسع الذي عرفه السكاكي وانما هي احد أنواعها الذي اطلق عليه اسم « الاستعارة المكنى عنها » •

وبذلك نستطيع أن نقرر ان المصطلحات الفنية والتقسيمات الخاضعة للمنطق لم تكن معرفتها قد تمت في هذا العصر، والى ذلك يشير الاستاذ الخولي بقوله : « اننا نرى في الشرق الأقرب لذلك العهد كتبنا بلاغية تؤلف خالية من الاصطلاحات الكلامية أو ناقصا فيها تحديد تلك الاصطلاحات مع ان هذه الاصطلاحات كانت قد تقررت واستقرت في المدرسة الكلامية بالشرق الأقصى منذ عهد غير قصير ، ومن هذه الكتب التي تنقص فيها الاصطلاحات مثل كتاب المثل السائر لابن الأثير » (١) •

وانصرفت هذه المدرسة عن الفلسفة والمنطق وجنحت الى تحكيم الذوق ولعل ذلك يعود الى طبيعة مصر والشام الخيرة ، والى التحسس بمواطن الجمال في الحياة عامة وفي الأدب خاصة •

وكان رجال هذه المدرسة يرون علماء الفلسفة والمنطق كالفارابي وابن سينا رجلا أضلهم ارسطو وأفلاطون. وقد تجلّى أثر هذه النظرة في البلاغة بأميرين : قصد دارسي البلاغة الى ابعاد الفلسفة عنها ، واطراح الوجوه الفلسفية في فهم التراكيب وعصبيتهم للعرب وتطولهم على اليونان (٢) •

ورأى ابن الأثير انه لا فائدة في تعلم فلسفة أفلاطون ومنطق ارسطو ، مع أن المعاني الخطائية قد حصرت اصولها وأول من تكلم في ذلك حكماء اليونان ، غير ان ذلك الحصر كلي لا جزئي ومحال ان تحصر جزئيات المعاني وما يتفرع عليها من التفرعات التي لا نهاية لها ، ولا جرم أن ذلك الحصر لا يستفيد بمعرفته صاحب هذا العلم ولا يفتقر اليه فان البدوي البادي راعي الابل ما كان يسر شيء من ذلك

(١) مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والادب ص ٢٢٤ •

(٢) بنظر مناهج تجديد ص ٢٤٥ •

بفهمه ولا يخطر بباله ومع هذا فانه كان يأتي بالسحر الحلال ان قال شعرا او تكلم نثرا • وينتهي الى القول بأنه لا فائدة في كتب اليونان وغيرهم ، يقول : « ولقد فاوضني بعض المتفلسفين في هذا وانساق الكلام الى شيء ذكر لأبي علي بن سينا في الخطابة والشعر ، وذكر ضروبا من ضروب الشعر اليوناني يسمى اللاغوزيا ، وقام فاحضر كتاب الشفاء لأبي علي ووقفني على ما ذكره ، فلما وقفت عليه استجھلته فانه طول فيه وعرض كأنه يخاطب بعض اليونان ، وكل الذي ذكره لغو لا يستفيد به صاحب الكلام العربي شيئا » (١) •

وكان البحترى الشاعر العباسي قد صرخ من قبل بوجه أهل المنطق والفلسفة قائلا :

كلفتونا حدودَ منطكم في الشعر يكفي عن صدقه كذبه
ولم يكن ذوات القروح طق ما نوعه وما سببه
والشعر لمح تكفي اشارته وليس بالهذر طولت خطبه

وكان لأهل هذه البيئة الذوق السليم والقدرة العجيبة في تمييز الكلام الحسن ومعرفة الكلام الرديء ، يقول السبكي : « أما أهل بلادنا فهم مستغنون عن ذلك بما طبعهم الله تعالى عليه من الذوق السليم ، والفهم المستقيم ، والأذهان التي هي أرق من النسيم ، وألطف من ماء الحياة في المحيا الوسيم • أكسبهم النيل تلك الحلاوة ، وأشار اليهم بأصبغه فظهرت عليهم هذه الطلاوة ، فهم يدركون بطباعهم ما أفنت فيه العلماء - فضلا عن الأعمار - الأعمار ، ويرون في مرآة قلوبهم الصقيلة ما احتجب من الأسرار خلف الاستار :

والسيف ما لم يلف فيه صيقل من طبعه لم ينتفع بصقال
فيا لها غنيمة لم يوجف عليها من خيل ولا ركاب ، ولم يزحف إليها
بعَدو عَدِيَّةٍ ولا بلحاقٍ لاحقٍ ، وانسكاب سكاب ، فلذلك صرفوا

(١) المثل السائر ج ١ ص ٣١١ •

همهم الى العلوم التي هي نتيجة أو مادة لعلم البيان كاللغة والنحو والفقه والحديث وتفسير القرآن • وأما أهل بلاد المشرق الذين لهم اليد الطولى في العلوم ولا سيما العلوم العقلية والمنطق فاستوفوا همهم الشامخة في تحصيله واستولوا بجدهم على جملته وتفصيله « (١) » .

وكان من أثر البيئة أن استجدت موضوعات في البلاغة نستشف منها الروح المصرية المرححة ، واذا ما اردنا أن نوضح ذلك فما علينا الا ان نذكر نماذج لهذه الفنون التي أضافتها هذه البيئة ، وفي هذه الانواع ما يستحق التقدير الخلفي والادبي كالنوع الذي سماه ابن أبي الاصبغ المصري النزاهة ، وهو عنده نزاهة ألفاظ الهجاء وغيره عن الفحش حتى يكون الهجاء كما قال أبو عمرو بن العلاء تنشده العذراء في خدرها فلا يقبح عليها كقول جرير :

لو أنَّ تَعْلِبَ جَمَعَتْ أَحْسَابَهَا
يَوْمَ التَّفَاخِرِ لَمْ تَزِنْ مِثْقَالًا

وكفوله في الراعي النميري :

فَتَعُضُّ الطَّرْفَ إِتْكَ مِنْ ثَمِيرٍ
فَلَا كَعْبًا بَلِغْتَ وَلَا كَلَابًا (٢)

ومن الطريف ما سماه التدييج ، وهو أن يذكر المتكلم الوانا بقصد الكناية بها والتورية بذكرها عن أشياء من وصف أو مدح أو هجاء أو نسيب أو غير ذلك من الفنون ، أو لبيان فائدة الوصف بها كفوله تعالى : « ومن الجبال جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٍ » (٣) ، والمراد بذلك الكناية عن المشتبه والواضح من الطرق (٤) .

(١) عروس الافراح ج ١ ص ٥ .

(٢) تحرير التحرير ص ٥٨٤ ، وبديع القرآن ص ٢٩٠ .

(٣) سورة فاطر ، الآية ٢٧ .

(٤) تحرير التحرير ص ٥٢٢ ، وبديع القرآن ص ٢٤٢ .

ومن الفنون التي تتجلى فيها خفة الروح المصرية والميل الى التفكه
« التهكم » وهو الاتيان بلفظ البشارة في موضع النذارة والوعد في
مكان الوعيد تهاونا من القائل بالمقول له واستهزاء به كقوله تعالى :
« بِشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا لَيْمًا »^(١) ، وقوله : « ذُوقْ إِثْمَكَ
أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ »^(٢) .

ومنها التندير ، وهو أن يأتي المتكلم بنادرة حلوة او نكتة
مستظرفة وهو يقع في الجد والهزل ، ومن لطيف ما جاء منه في الجد
وبديعه قوله تعالى : « فاذا جاءَ الخوفُ رأيتَهُمْ ينظرونَ اليك
تدورُ أعينُهُم كالذي يُغشى عليه من الموت »^(٣) . يقول ابن أبي
الأصبع : « فانظر الى مبالغته - سبحانه وتعالى - في وصف المنافقين
بالجبن والخوف ، حيث أخبر عنهم بالخبر الصادق أنهم عند الخوف
تدور أعينهم حالة الملاحظة كحالة من يغشى عليه من الموت ، ولو
اقتصر سبحانه - وهو أعلم - على قوله : « كالذي يغشى عليه من
الموت » لكان وافيا في المقصود ، ولكنه لم يقف سبحانه عند ذلك حتى
زاد شيئا بقوله : « من الموت » ، اذ حالة المغشي عليه من الموت أشد
حالة من غيره ، ولو جاء عز وجل في موضع الموت بالخوف لكان الكلام
بليغا ، والذي جاء به التنزيل أبلغ وهو مع ذلك خارج مخرج الحق ،
وجار مجرى الصدق فان المنافقين من الجبن والجزع بهذه المثابة ، وذلك
الذي دعاهم الى النفاق ، فمن كان قوي النفس شجاع القلب ،
لا يرضى بالنفاق ، بل يظهر ما يبطنه الخائف لقله مبالاته بالموت ، وفي
هذا الكلام من التندير لمن يتدبره ما يبهرج كل نادرة »^(٤) .

وهذه الفنون ، وان لم تسلم كلها لابن أبي الأصبع ، غير أنه
اهتم بها وبحثها ، فكانت صدى للبيئة العربية ، واستجابة للروح

(١) سورة النساء ، الآية ١٣٨ .

(٢) سورة الرعد ، الآية ١١ ينظر تحرير التحرير ص ٥٦٨ وبديع القرآن ص ٢٨٣ .

(٣) سورة الاحزاب ، الآية ١٩ .

(٤) بديع القرآن ص ٢٨٥ ، وينظر تحرير التحرير ص ٥٧١ .

المصرية • وانه لجدة وطرافة ان يدخل المصريون في البديع ألوانا ليست في نظر سواهم من البديع كأن يجعلوا من السهولة لونا ، وكأن يجعلوا من النزاهة لونا ، وكأن يجعلوا من الانسجام لونا ، وكأن يجعلوا من التهكم لونا^(١) .

وليس هذا كل ما تمتاز به هذه البيئة ، وانما تمتاز بتحكيم الذوق في النقد والتحليل ، وسيطرة النقد الذاتي على النقد المبني على التعليل والقواعد الجافة ، وقد يكتفي احدهم بالاشارة الى مواطن الجمال كما في أبيات ديك الجن :

لما نظرت اليّ عن حدق المها وبسنت عن متفتح النوارر
وعقدت بين قضيب بانٍ أهيفٍ وقضيب رمل عقدة الزنارر
عفرتُ خدي في الثرى لك طائعا وعزمت فيك على دخول النارر

يقول ابن الأثير : « وهذه الايات لا تجد لها في الحسن شريكا ، ولان يسمى قائلها شحرورا اولى من أن يسمى ديكا »^(٢) .

واهتم علماء البلاغة في هذه البيئة بالبديع واكثروا من فنونه ، ويلاحظ أنهم اهتموا كثيرا بالبحث في بديع القرآن الكريم ، وألف ابن أبي الاصبغ المصري « بديع القرآن » ، وقد تتبع فيه فنون البديع وحررها ونقحها بدقة ، وذكر أمثلة رائعة من كتاب الله الذي كان دافعا لبحث أنواع البديع ، وابتداع فنون كثيرة لم يذكرها القدماء .

هذه أهم خصائص مدرسة مصر والشام البلاغية ، ولكن هل بقيت البلاغة تسير في هذا الخط وتستلم مقاييسها وأحكامها من الذوق السليم والطبيعة المرحة ؟•

(١) ينظر الحركة الفكرية في مصر ص ٢٤ ، وتنظر هذه الفنون في تحرير التعبير وبديع القرآن .

(٢) الملل السائر ج ١ ص ٣٧٧ .

لم تَبَقَ هذه البيئة سليمة الذوق صافية المزاج ، فقد جاءها من المشرق « مفتاح العلوم » للسكاكي (٦٢٦ هـ) بعد أن ازمع علم البلاغة الترحل وآذن بالتحول عن هذه البيئة فازعا الى مصر ، ملقيا بها عصا التسيار ، منشدا :

أقمت بارض مصر فلا ورائي تخب بي الركاب ولا أمامي^(١)

ولا نعلم متى دخل المفتاح هذه البيئة العربية ، وأين قريء ؟ وفي أي معهد علم أو حلقة درس وجد العناية أول الامر ؟ وكل ما نعرفه ان مفتاح العلوم عرف أول ما عرف في هذه البيئة في كتاب « المصباح » لبدر الدين بن مالك (٦٨٦ هـ)^(٢) .

بدرالدين بن مالك :

ألف بدرالدين كتابين مهمين في البلاغة العربية هما : « المصباح في اختصار المفتاح » ، و « روض الأذهان في علم البيان » . وذكر ابن حجة الحموي أن له رسالة في البديع يقول : « وقيل ان الشيخ بدرالدين

(١) عروس الافراح ج ١ ص ٦ .

(٢) تنظر ترجمته في بغية الوعاة ص ٩٦ ، وطبقات الشافعية ج ٥ ص ٤١ .

ابن مالك أملى كراسة في البديع ، وانا بلاشواق الى رؤيتها» (١) .

والمصباح مختصر القسم الثالث من مفتاح العلوم وقد اشتهر هذا المختصر واستمر ردحا طويلا من الزمن قبله طلاب البلاغة في بلاد المغرب وعثني بشرحه جماعة من المؤلفين ، فكان مثله في تلك البلاد مثل تلخيص القزويني في البلاد الشرقية . واعتبره ابن خلدون من أمهات كتب البلاغة المتداولة في عهده (٢) ، وسماه القلقشندي « الايضاح » (٣) .

وكان لهذا الكتاب أثر واضح في الكتب التي جاءت بعده ونقل عنه المؤلفون واعتبروه أحد مصادرهم المهمة كالامام يحيى العلوي انذي عده رابع الكتب التي طالعا واعتمد عليها في تأليف الطراز (٤) ، وكان من أهم مصادر التلخيص والايضاح وشروحيهما .

بدأه بدرالدين بالبحث في علم الأدب وهو معرفة ما يحترز به عن جميع وجوه الخطأ في العربية وقسمه الى ثلاثة فنون : المعاني والبيان والبديع . ويختلف قليلا عن « مفتاح العلوم » في منهجه ، وطريقة عرضه ، وهو أقرب الى كتب القزويني في العرض والتنسيق . وأهم اختلافاته مع المفتاح تقسيم المساواة الى نوعين : مساواة مع الاختصار، ومساواة بدونه، والاول: أن يتحرى البليغ في تأدية معنى كلامه أخف ما يمكن فيحتال على الالفاظ القليلة الحروف والكثيرة المعاني التي يعز تحصيل مثلها على من دونه في البلاغة . والثاني : أن يأتي بالمساواة كيفما اتفق من غير ما تحر ويسمى ذلك متعارف الإوصاف وهو في باب البلاغة لا يحدد منهم ولا يدم .

وقسم الايجاز الى ثلاثة أنواع : الأول : سلوك طريق التضييق

(١) خزانة الادب ص ٤٦ .

(٢) تنظر مقدمة ابن خلدون ص ٥٥٢ .

(٣) ينظر صبح الاعشى ج ١ ص ٤٦٩ .

(٤) الطراز ج ١ ص ٤ .

بحذف اللام تحقيقاً لقوة الدلالة على معناه • والثاني : سلوك طريق المساواة مع الاختصار • والثالث : أن يكون المعنى خليقاً بمزيد البسط فتتركه الى بسط اخصر (١) •

وقسم الاطناب الى ثلاثة أضرب هي : سلوك طريق التوسيع بالتفصيل ، وسلوك طريق التوسيع بمثل التتميم ، والتوسيع بمثل التذييل •

وأدخل الفصاحة في القسم الثالث وهو البديع ، يقول عنه : «هو معرفة توابع الفصاحة» (٢) • وقسمه الى ثلاثة فصول : الأول : فيما يرجع الى الفصاحة اللفظية وهو أربعة وعشرون ، والثاني : فيما يرجع الى الفصاحة المعنوية ويختص بفهام المعنى وتبيينه وهو تسعة عشر فناً • والثالث : فيما يرجع الى الفصاحة المختصة بتحسين الكلام وتزيينه الدالة على قوة عارضة المتكلم وتمكنه وهو خمسة عشر نوعاً • وادخل حسن الابتداء وحسن التخلص ، وحسن الخاتمة ، في القسم الثالث • وتكلم على التتميم ، والاحتراس ، والتكميل ، والتذييل ، والاعتراض ، والايغال ، والتكرار في البديع ، وهذا ما لا نجده عند السكاكي وأكثر علماء البلاغة المتأخرين •

وقد اجاد في بحث بعض الموضوعات كالمبالغة والائتلاف وان كان نفسه في البحث قصيراً ، وتحليقه في التحليل ليس فيه قدرة ابن الأثير وأضرابه من اعلام مدرسة مصر والشام • والكتاب مع ذلك ليست له قيمة كبيرة بالنسبة للكتب الاخرى ، ولكنه مهم في معرفة تاريخ البلاغة العربية وتطورها ، وقد تباهى بدرالدين في خاتمته فقال : « وليكن هذا آخر الكتاب ، واعلم أنني قد قدمت لك فيه قواعد متى بنيت عليها أعجب كل شاهد بناؤها ، ونهجت لك منهاج متى سلكتها اعترف لك

(١) المصباح ص ٣٦ •

(٢) المصباح ص ٧٥ •

بكمال الحدق والبلاغة ابناؤها ، ونصبت لك أعلاما متى اتحتها أعثرتها على ضوالٍ منشودة ، وحشدت لك من الامثلة ما ليس عند أحد بمحشودة، فمن لم يستضيء بهذا المصباح فليس ينفعه نور الصباح»^(١) .

ونال المصباح اهتماما بالغا من لدن المغاربة ، ووضعت عليه الشروح والتلخيصات من ذلك « ضوء المصباح » لبدرالدين محمد بن يعقوب بن الياس بن النحوية (٧١٨ هـ) وشرحه في مجلدين سماه « اسفار الصباح عن ضوء المصباح »^(٢) .

والكتاب الثاني « روض الاذهان في علم البيان » وهو من كتبه التي ذكرها القدماء وسماه القلقشندي روض الازهار^(٣) . وكان أحد مصادر كتاب بهاء الدين السبكي ، وقد نقل عنه في مواضع كثيرة^(٤) . والكتاب لا يزال مخطوطا في مكتبة ليدن^(٥) ولا يختلف كثيرا عن كتابه الاول ومنهجه قريب منه ، وقد بدأه بالكلام على علم الادب ، ثم قسمه الى قسمين : الاول في المعاني والثاني في البيان ، ولما انتهى من الفن الثاني عقد فصلا للفصاحة وقسمها الى ضربين : أحدهما راجع الى المعنى والثاني الى اللفظ ، وفي هذا الفصل تكلم على فنون البديع ، وختمه بفصل « ما يطعن به الضلال على كلام رب العزة علت كلمته »، وهو في هذا يحذو حذو السكاكي ولا يخالفه الا في القسم الثالث الخاص بالبديع ، ولعل بدرالدين ألف « روض الأذهان » قبل « المصباح » ، لأنه أقرب الى القسم الثالث من مفتاح العلوم .

وعلى كل حال فقد عرفت مصر والشام « مفتاح العلوم » في أواخر القرن السابع ، وكان « روض الاذهان » و « المصباح » الشرارة

(١) المصباح ص ١٢٨ .

(٢) ينظر الدرر الكلمنة ج ٤ ص ٢٨٦ ، وبغية الوعاة ص ١١٧ .

(٣) صبح الاعشى ج ١ ص ٤٦٩ .

(٤) ينظر عروس الافراح ج ١ ص ٣٠ ، ١٥٩ ، ٣٧٦ وغيرها .

(٥) لقد حصلنا على نسخة مخطوطة منه ولكن فيها خرما .

التي تحولت نارا أحرقت البلاغة العربية وكادت تودي بها لولا أن
تداركها الله فبعث الخطيب القزويني ، ليعيد إليها الحياة ، ويشير حركة
بلاغية جديدة شهدتها معاهد دمشق والقاهرة وحلقات الدرس في
كل مكان .

فمن هذا البلاغي الجديد ؟

(بَابُ الْإِسْلَامِ)

الْفَرْوِيُّنِ وَأَشَارُهُ

الخطيب القزويني

١

كان كتاب « المصباح » لبدر الدين الصورة الاولى من كتاب « مفتاح العلوم » التي ظهرت في بيئة مصر والشام ، وكان « التلخيص » و « الايضاح » ثمره هذه الصورة ، وقمة البلاغة التي صبها الاعاجم في قالب افقدها كل روعة ، وسلبها الحياة . وقد أهمل « المفتاح » او كاد يكون نسيا منسيا بعد ان ظهر هذان الكتابان وانتشرا في ارجاء العالم الاسلامي كله ، واختصرهما العلماء ، وشرحوهما ، ووضعوا عليهما الحواشي والتقريرات ، وبقي مرجع دارسي البلاغة والباحثين حتى اليوم . فمن مؤلفهما الذي كتب للبلاغة على يديه ان تأخذ صورتها الاخيرة ؟

جلال الدين :

هو جلال الدين أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن بن عمر بن احمد ابن محمد بن عبدالكريم بن الحسن بن علي بن ابراهيم بن علي ابن أحمد بن دلف بن ابي دلف العجلي القزويني الدمشقي الشافعي^(١) . وذكر بعضهم انه « قاضي القضاة جلال الدين محمد بن عبدالرحيم القزويني الشافعي »^(٢) . والخلاف في اسمه ليس كبيرا ، فقد اتفق معظم الذين ترجموا له انه « محمد بن عبدالرحمن » الا ابن كثير فقد ذكر انه « محمد بن عبدالرحيم » .

ولا نعرف كثيرا عن حياة هذا الرجل العظيم الذي ارسى اصول البلاغة العربية ، ووضع قواعدها ، وقد اغفل القدماء كثيرا من اخباره ، ولم يفتصلوا فيها ، ولعل قرب عهد من ترجموا له سبب ذلك فاكتفوا باللمحة العابرة والاشارة الخاطفة ، يقول ابن الوردي في تاريخه « وقرب العهد بسيرته يغنى عن الاطالة »^(٣) ، وهو ما قاله ابو الفدا في كتاب « المختصر في اخبار البشر »^(٤) .

نسبه :

وكما لا نعرف كثيرا عن حياته ، لا نعرف صورة واضحة عن أسرته ، وأول ما يتبادر الى الذهن ان الرجل كان اعجميا ، والواقع انه « وان تكن له الى قزوين نسبة ، فانه عربي الدم ريب البيئة المصرية »^(٥) ، لانه ينتسب الى ابي دلف العجلي . وكان القزويني نفسه يذكر انه من نسل هذا العربي الاصيل الكريم^(١) . وليس من السهل بعد هذا

-
- (١) ينظر الايضاح ص ١ ، والدرر الكامنة ج ٤ ص ٣ ، ومفتاح السعادة ج ١ ص ١٢٠ ، واليدر الطالع ج ٢ ص ١٨٣ ، وشذرات الذهب ج ٦ ص ١٢٣ ، وبغية الوعاة ص ٦٦ .
 - (٢) البداية والنهاية ج ١٤ ص ١٨٤ .
 - (٣) تاريخ ابن الوردي ج ٢ ص ٣٢٥ .
 - (٤) المختصر في اخبار البشر ج ٤ ص ١٢٩ .
 - (٥) مناهج تجديد ص ٢٤١ .
 - (٦) ينظر طبقات الشافعية ج ٥ ص ٢٣٨ .

ان نخرجه من العنصر العربي وان لصق به اللقب الاعجمي ، فقد اقتضت ظروف العرب الدينية والسياسية والاجتماعية ان يتركوا دييارهم وينتسروا في الارض ، ليشيروا بالدين الحنيف ، ويطلبوا الرزق والجاه والحياة الحرة الكريمة . وليس الخطيب القزويني اول عربي ينسب الى مدينة اعجمية ، فقد نسب الى البيئات الاعجمية كثيرون منهم ابو الفرج الاصفهاني صاحب الاغانى وهو من سلالة الامويين ، وبديع الزمان الهمداني صاحب المقامات المعروفة وهو كما يقول عن نفسه « مضري المحتد ، تغلبي المورد » ، ومجد الدين ابو طاهر الفيروز ابادي صاحب « القاموس المحيط » والرازي ، وهما قرشيان من تيم من نسل ابي بكر الصديق ، والايوردي الشاعر الاموي المشهور ، والمروزي المؤرخ كمال الدين عبدالرزاق من احفاد معن بن زائدة (١) .

آل دلف :

وأبو دلف العجلي (٢٢٦ هـ = ٨٤٠ م) الذي ينتسب اليه جلال الدين ، هو القاسم بن عيسى بن ادريس بن معقل (٢) ، أحد قواد المأمون والمعتمد ، وكان كريما سريا جوادا شجاعا مقدما ذا وقائع مشهورة ، أخذ عنه الادباء والفضلاء ، وله صناعة في الغناء . يقول الاصفهاني : « ومحلّه في الشجاعة ، وعلو المحل عند الخلفاء ، وعظم الغناء في المشاهد ، وحسن الادب ، وجودة الشعر ليس لكبير احد من نظرائه » (٣) . وكان الشعراء يأتون اليه ويمدحونه ، ومن القصائد الرائعة فيه قصيدة ابي الحسن العكوك التي اولها :

ذاد ورد الغي عن صدّره فارعوى واللهم من وطره

يقول فيها :

انما الدنيا أبو دلف بين مغداه ومحتضره
فاذا ولّى أبو دلف ولت الدنيا على أثره

(١) ينظر هؤلاء الاعلام في تاريخ علماء المستنصرية ص ٢٠٥ .

(٢) ينظر نسبه في وفيات الاميان ج ٢ ص ٢٢٦ .

(٣) الاغانى ج ٨ ص ٢٨٤ .

كُلُّ مَنْ فِي الْأَرْضِ مِنْ عَرَبٍ
بَيْنَ بَادِيَةِ إِلَى حَضْرِهِ
مُسْتَعِيرٌ مِنْكَ مَكْرَمَةٌ
يَكْتَسِبُهَا يَوْمَ مَفْتَحِ حَضْرِهِ (١)

لقد كانت هذه العائلة الكريمة في بغداد حاضرة الدولة العربية الاسلامية ، وكانت لها هيبتها وسطوتها ، ولكن ما الذي دعاها الى ان تطرح ابناءها في طول البلاد وعرضها ؟

لقد حاولنا ان نعرف كيف انتقل أحد فروعها الى المناطق الفارسية والى قزوين بالذات ، ولكننا لم نوفق الى ذلك توفيقا كبيرا وقد هداانا البحث الطويل الى خيط تمسكنا به لعله يوصلنا الى الحقيقة ويلقي الضوء على ما جرى لهذه العائلة وكان ذلك الخيط بكر بن عبدالعزيز بن أبي دلف الذي ذكرت المصادر القليلة عنه انه كان شاعرا ثائرا من بيت رئاسة ومجد ، امتنع بالاهواز في ايام المعتضد العباسي سنة ٢٨٣ هـ فسير المعتضد جيشا لقتاله فظفر بكر ، وقدم اصبهان ، فقصدته عيسى بن النوشري فقاتله ، وتفرق رجال بكر عنه ، ونجا بكر في نفر يسير من اصحابه ، ومضى الى محمد بن زيد العلوي بطبرستان ، واقام عنده الى ان مات فيها سنة ٢٨٥ هـ . ولما وصل خبر موته الى المعتضد اعطى به الف دينار (٢) .

ولو رجعنا الى ما قبل هذا العام لوجدنا ابن الاثير يذكر في حوادث سنة ٢٨٣ هـ الحرب بين عسكر المعتضد الخليفة العباسي واولاد ابي دلف ، ففي هذه السنة سار عبيد الله بن سليمان الى عمر بن عبدالعزيز ابن ابي دلف بالجبل فسار عمر اليه بالامان في شعبان فاذعن بالطاعة فخلع عليه وعلى أهل بيته ، وكان من قبل ذلك قد دخل بكر بن عبدالعزيز بالامان الى عبيد الله بن سليمان وبدر ، فولياه عمل اخيه على ان يسير اليه فيحاربه فلما دخل عمر في الامان قال لبكر : ان اخاك قد دخل في الطاعة وانما وليناك عمله واظهر انه من قبل عمر بن عبدالعزيز

(١) الاغانى ج ٨ ص ٢٨٤ .

(٢) ينظر الكامل في التاريخ ج ٧ ص ١٧٣ ، والنجوم الزاهرة ج ٢ ص ٤١ .

فهرب بكر بن عبدالعزيز فكتب عبيد الله الى المعتضد بذلك فكتب الى بدر ليقيم بمكانه الى ان يعرف حال بكر وسار الوزير الى علي بن المعتضد بالري ولحق بكر بن عبدالعزيز بالاهواز ، فسير المعتضد اليه وصيف بن موشكير ، فسار اليه فلحقه بحدود فارس ، وباتا متقابلين وارتحل الى اصبهان ليلا فلم يتبعه وصيف بل رجع الى بغداد ، وسار بكر الى اصبهان فكتب المعتضد الى بدر يأمره بطلب بكر وحره ، فأمر بدر عيسى النوشري بذلك فقال بكر قصيدة مطلعها :

عني ملامك ليس حينَ ملام هيهات اجذب زائد الايام

وفيها يصف شجاعته وبأسه ، ويتهدد بدر^(١) . وفي هذه السنة قدم عمر بن عبدالعزيز بن أبي دلف بغداد فأمر المعتضد الناس والقواد باستقباله وقعد له المعتضد فدخل عليه واكرمه وخلع عليه ، ولكن بكر بقي ثائرا الى ان مات سنة ٢٨٥ هـ بطبرستان .

وهذا يظهر لنا ان اولاد ابي دلف العجلي واحفاده ، كانوا ثائرين على المعتضد العباسي ، وكانوا معتصمين بالمناطق الجبلية في شرق الدولة الاسلامية ، ومن هنا تفهم سر انتقال هؤلاء الابناء والاحفاد الى المناطق الفارسية ، الى طبرستان وقزوين .

ولو حاولنا ان نعيد نسب الخطيب القزويني الى هذين البطلين الثائرين لما استطعنا لانه ينتهي الى علي بن احمد فأبي دلف . ويمضي الزمن بهذه الاسرة وتختفي سلسلة النسب حتى اذا ما جاء القرن السادس ظهر عالم جليل من هذه الاسرة هو عبدالكريم بن محمد بن عبدالكريم بن الفضل الامام العلامة امام الدين الرافعي القزويني ، ذكره ابن الصلاح وقال عنه : « ما اظن في بلاد العجم مثله ، وكان ذا فنون ، حسن السيرة »^(٢) . وقال أبو عبدالله محمد بن محمد الاسفراييني عنه « هو شيخنا امام الدين وناصر السنة ،

(١) تنظر القصة في الكامل في التاريخ ج ٧ ص ١٧١ .

(٢) فوات الوفيات ج ٢ ص ٧ .

كان اوحد عصره في العلوم الدينية اصولا وفروعا ، وكان له مجلس بقزوين في التفسير وتفسير الحديث ، وكان زاهدا ورعا متواضعا» (١) .
وقد مات هذا العالم الجليل بقزوين سنة ٦٢٣ هـ .

ونرجح ان القزويني كانت له صلة رحم بهذا العلامة ، فقد ذكر جمال الدين الأسنوي في نسبة الرافي هذا ما يؤيد الصلة بين الرجلين ، يقول : « وسمعت قاضي القضاة جلال الدين القزويني يقول : ان رافعان بالعجمي مثل الرافي بالعربي ، فان الالف والنون في آخر الاسم عند العجم كالنسبة (٢) في آخره عند العرب . فراعان نسبة الى رافع ، قال : ثم انه ليس بنواحي قزوين بلدة يقال لها رافعان ولا رافع ، بل هو منسوب الى جد له يقال له رافع . قلت : وحكى بعض الفضلاء عن شيخه قال : سألت القاضي مظفر الدين قاضي قزوين : الى ماذا نسبة الرافي ؟ فقال : كتب بخطه وهو عندي في كتاب التدوين في اخبار قزوين : انه منسوب الى رافع بن خديج » (٣) .

ومما يؤيد صلة القزويني بهذا العالم الجليل ما ذكره ابو الفدا عنه يقول : « وبلغني ان بينه وبين الامام الرافي قرابة » (٤) .

امام الدين :

ونجد بعد ذلك امام الدين القزويني اخا الخطيب ، وهو ابو المعالي عمر بن القاضي سعد الدين ابي القاسم عبدالرحمن بن الشيخ الامام امام الدين ابي حفص عمر بن احمد بن محمد بن عبدالكريم بن الحسين بن علي بن احمد بن خلف التميمي (٥) . ولد بتبريز سنة ٦٥٣ هـ واتفق واشتغل في بلاد العجم والروم ، ثم قدم دمشق في الدولة الاشرفية هو

(١) فوات الوفيات ج ٢ ص ٨ .

(٢) في شذرات الذهب ج ٥ ص ١٠٩ : « كياء النسبة » .

(٣) طبقات الشافعية للأسنوي (مخطوطة الاوقاف ببغداد) ورقة ١٢٤ وينظر كتاب

شذرات الذهب ج ٥ ص ١٤٩ .

(٤) المختصر في اخبار البشر ج ٤ ص ١٤٩ .

(٥) الدواير في تاريخ المدارس ج ١ ص ١٩٥ .

واخوه جلال الدين فقررا في مدارسها ، وتقلدا عدة مناصب في الشام .
 ودرس امام الدين في سنة ٦٨٩ هـ بأم الصالح ، وفي عاشر جمادى الاولى
 سنة ٦٩٢ هـ بالظاهرية البرانية ، وحضر عنده القضاة والاعيان . وفي
 اواخر شوال سنة ٦٩٤ هـ قدمت من الديار المصرية توابع شتى منها
 تدرّس الغزالية لابن صصرى عوضا عن الخطيب المقدسي ، وتوقيع
 بتدرّس الامينية لامام الدين عوضا عن نجم الدين بن صصرى
 ورسم لاخته بتدرّس الظاهرية البرانية ثم درس بالامينية وانتزع قضاء
 الشام من بدرالدين بن جماعة في سنة ٦٩٦ هـ ، وناب عنه اخوه . وفي
 جمادى الآخرة من هذه السنة وصل البريد فاخبر بولاية امام الدين
 القزويني القضاء بالشام عوضا عن ابن جماعة ، وابقاء ابن جماعة على
 الخطابة وتدرّس القيمرية التي كانت بيد امام الدين . وجاء كتاب
 السلطان بذلك وفيه احترام واکرام له ، ودخل الى دمشق عقب صلاة
 الظهر يوم الاربعاء الثامن من شهر رجب فجلس بالعادلية ، وحكم بين
 الناس وامتدحه الشعراء بقصائد منها قصيدة مطلعها :

تبدلت الايامُ من عَشْرِها يَسْرًا
 وأضحت ثغورُ الشام تفتَرُ بالبشرى

وكان حال دخوله عليه خلعة السلطان ومعه القاضي كمال الدين
 الزواوي قاضي القضاة المالكية ، وعليه خلعة . وقد شكر امام الدين
 في السفر وذكر من حسن اخلاقه ورياضته ما هو حسن جميل . ودرس
 بالعادلية بكرة يوم الاربعاء منتصف شهر رجب ، واشهد عليه بعد
 الدرس بتولية اخيه جلال الدين نيابة الحكم ، وجلس في الديوان الصغير
 وعليه الخلعة ، وجاء الناس يهنئونه ، وقريء تقليده يوم الجمعة
 بالشباك الكمالي بعد الصلاة بحضرة نائب السلطنة سيف الدين قبجق
 المنصوري .

وفي سنة ٦٩٨ هـ وقعت محنة للشيخ تقي الدين بن تيمية ، قام عليه

جماعة من الفقهاء في اواخر دولة لاجين بعد خروج قبجق من الشام ،
وارادوا إحضاره الى مجلس القاضي جلال الدين فلم يحضر فنودي في
البلد في العقيدة التي كان قد سأله عنها اهل حماة المسماة بالحموية ،
فاتصر له الامير سيف الدين ، وارسل يطلب الذين قاموا عنده فاختمى
كثير منهم وضرب جماعة ممن نادى على العقيدة فسكت الباقون فلما
كان يوم الجمعة عمل الشيخ تقي الدين الميعاد بالجامع على عادته وفسر
في قوله تعالى : « وانك لعلى خلق عظيم » ، ثم اجتمع بالقاضي امام الدين
يوم السبت واجتمع عنده جماعة من الفضلاء ، وبحثوا في الحموية
وناقشوه في اماكن فيها ، فاجاب عنها بما اسكتهم بعد كلام كثير ، ثم
ذهب الشيخ تقي الدين وقد تمهدت الامور وسكنت الاحوال .

وعندما توجه غازان المغولي الى الشام ، هرب جماعة من اعيان
دمشق الى مصر وكان منهم القاضي امام الدين ، وقاضي المالكية
الزواوي ، وتاج الدين الشيرازي ، وعلم الدين الصوابي والي البر ،
وجمال الدين بن النحاس والي المدينة ، والمحاسب وغيرهم من التجار
والعوام ، وبقي البلد شاغرا ليس فيه حاكم سوى نائب القلعة . وتألم
امام الدين في الطريق وتوفي في القاهرة بعد اسبوع في يوم الثلاثاء
الخامس والعشرين من ربيع الآخر سنة ٦٩٩ هـ ، ودفن بالقرافة بالقرب
من قبة الامام الشافعي عن ست واربعين سنة وصار المنصب بعده الى
بدر الدين بن جماعة مضافا الى ما بيده من الخطابة .

وكان امام الدين حسن المعتقد ، صالح المقصد ، جميل الاخلاق ،
كثير الاحسان ، رئيسا ، قليل الاذى ، وذكر ابن عماد الحنبلي انه « كان
تام الشكل ، سمينا ، متواضعا ، مجموع الفضائل لم يكتهل » (١) .

(١) شذرات الذهب ج ٥ ص ٤٥١ ، وينظر البداية والنهاية ج ١٣ ص ٣٣٢ ، ٣٤٩
و ج ١٤ ص ٤ ، ٧ ، ١٣ ، وطبقات الشافعية ج ٥ ص ١٣١ ، والدارس في تاريخ المدارس ج
ص ١٩٦ ، ٣١٩ ، ٣٤٥ ، ٣٦٤ ، ٤٤٤ ، والنجوم الزاهرة ج ٨ ص ١٠٩ ، ١٩٢ والسلوك ج
٣ ص ٩٠٥ ، وتاريخ ابن خلدون ج ٥ ص ٨٩٢ . وطبقات الشافعية لاسنوي (مخطوطة
الاقواق ببغداد) ورقة ٢٣٨ .

هذه حياة اخي جلال الدين القزويني ، وهي حياة حافلة بالعلم والجاه ، فقد تقلد مناصب التدريس والقضاء في الشام وحظي بمنزلة عظيمة ، وكان لهذا اثر عظيم في توجيه أخيه وجهة صالحة .

وذكر جمال الدين الاسنوي في طبقاته بعد ترجمة امام الدين والخطيب : « وكان لهما عم يقال له بدرالدين فضل الله . كان يحفظ الوجيز ويكرر عليه وهو في الشيخوخة . وتولى القضاء في بعض بلاد الروم ، وقدم دمشق للحج وأبنا أخيه فيها ، فلم يتفق له ذلك بسبب المرض . ومات في ربيع الآخر سنة ست وتسعين وستمائة » (١) .

أين ولد جلال الدين ؟ ومتى ؟

ذكرنا ان امام الدين ولد سنة ٦٥٣ هـ بتبريز ، وهي مدينة آهلة، كثيرة الخيرات والاحوال والصناعات ، وقد أصبحت في عهد زكريا القزويني صاحب آثار البلاد واخبار العباد قسبة بلاد اذربيجان ، ولكن بعض المؤرخين يذكر انه ولد بقزوين (٢) ، وهي مدينة كبيرة مشهورة في بلاد فارس بينها وبين الري سبعة وعشرون فرسخا . واول من أستحدثها سابور ذو الاكتاف ، وكان عثمان بن عفان رضى الله عنه ولقى البراء بن عازب الري في سنة ٢٤ هـ فسار منها الى ابهر ففتحها ورحل عنها الى قزوين ودخلت في الاسلام (٣) . وكانت يوم نشأ القزويني بقبضة المغول الذين غزوا البلاد الاسلامية ، ودمروا الحضارة العربية الزاهرة ، واحالوا كثيرا من المدن حطاما .

ويبدو ان اسرة القزويني قد رحلت عن هذه المدينة أو هذه الديار بعد ان ولد امام الدين سنة ٦٥٣ هـ ، واستقرت في الموصل ، وهي يومذاك تحت حكم بدرالدين لؤلؤ وابنه الملك الصالح اسماعيل . ولا

(١) طبقات الشافعية للاسنوي ورقة ٢٣٨ .

(٢) الدارس في تاريخ المدارس ج ١ ص ١٩٥ .

(٣) ينظر معجم البلدان ج ٧ ص ٨٠ ، ودائرة المعارف الاسلامية (الطبعة العربية)

ج ٢ ص ٨٢٠ .

نعرف سنة هجرتها. ولا الدوافع التي حملت الوالد على الرحيل عن ملعب صباه ومرتع احلامه . ولعل اسباب الحياة والرزق تقطعت في هذه المدينة فضاقت بالحياة ، أو لعله هرب من وجه المغول الغزاة الذين قضاوا على الخلافة العباسية في بغداد سنة ٦٥٦ هـ .

وبعد أن استقر النازحون في مدينة الموصل ، ولد جلال الدين فيها في شعبان سنة ٦٦٦ هـ (١٢٦٨ م) ، ولكن بعضهم ذكر انه ولد سنة ٦٦٠ هـ ، ولعل مصدر هذا احد اصول النجوم الزاهرة مع ان مؤلفه يذكر في المنهل الصافي انه ولد سنة ٦٦٦ هـ^(١) .

الموصل أيام النكبة :

وكانت الموصل يوم ولد جلال الدين خاضعة للترت ، فبعد سقوط بغداد سنة ٦٥٦ هـ بيد المغول ارسل صاحب الموصل بدرالدين لؤلؤ ابنه الملك الصالح اسماعيل ومعه جماعة من عسكره نجدة لهولاكو فظهر لهم عبسه ، وقال : « اتم بعد في شك من امرنا ومظلم تفوسكم يوما بعد يوم ، وقد متم رجلاً واخرتم اخرى ، تنتظروا من الظافر بصاحبه ، فلو اتصر الخليفة وخذلنا لكان مجيئكم اليه لا الينا . قل لايك لقد عجبنا منك تعجبا ، كيف ذهب عليك الصواب ، وعول بك ذهنك عن سواء السبيل ، واتخذت اليقين ظنا وقد لاح الصبح فلا تستصبح ؟ »^(٢) .

وعاد الى ابيه ليخبره بما جرى له مع هولاكو ، فخرج اليه وقدم له الطاعة ثم عاد الى الموصل ، ولكن القدر لم يمهل فمات سنة ٦٥٦ هـ وقيل سنة ٦٥٧ هـ وتولى ابنه الملك الصالح اسماعيل الموصل ، وابنه علاءالدين سنجار ، وابنه اسحاق المجاهد الجزيرة ،

(١) ينظر الروابي بالرفيات ج ٣ ص ٢٤٢ ، والبدر الطالع ج ٢ ص ١٨٣ ، والندراس في تاريخ المدارس ج ١ ص ١٩٦ ، والنجوم الزاهرة ج ٣ ص ٣١٨ ، والمنهل الصافي ج ٢ ص ١٧٥ وشدرات الذهب ج ٦ ص ١٢٣ ، وبغية الوعاة ص ٦٦ ، ومفتاح السعادة ج ١ ص ١٦٨ .
(٢) تاريخ مختصر الدول ص ٤٨٢ .

وايئدهم هولاء كما مظهرها لهم الرعاية والمودة • ولم تدم الحياة على هذه الحالة ، فقد شاء القدر أن ينال الموصل من جحيم المغول ما أصاب بغداد والشام ، وكانَّ الايام كانت لها بالمرصاد • ولئن نجت سنة ٦٥٦ هـ ولم ينلها التدمير وتنزل بها الكوارث ، فقد نجت الى حين • وبدأت القتن تضطرم في كل جانب ، واخذت المؤامرات تحاك وتدبر في الخفاء ودخلها المغول واصابها ما اصاب مدن العالم الاسلامي وحواضره ، فاضطربت الحياة وعمت الفوضى والفساد ، واصبحت الموصل تخضع مع عمالها للدولة الايلخانية او المغولية ، ويحكمها العمال والضامنون الذين كانوا يضمونها من الملوك الايلخانيين بمبلغ من الذهب ولذلك لم يكن الامير او الحاكم مهتما بشؤونها ، معمرا ارجاءها ، وانما كان همه منصبا على جمع المال ، وارضاء السلطان ، فاصاب المدينة تدهور وانحطاط بعد ان كانت في العصور العباسية وفي عهد الدولة الاتابكية - بوجه خاص - ملتقى الطرق ومنار الوافدين • ولكن المدينة لم تَخُلْ من حاكم صالح طوال حكم المغول ، فقد قام منهم ملوك اتصفوا بالعدل وامتازوا بحسن السيرة وخدمة العلم •

الى بلاد الروم ودمشق :

ويبدو أنَّ المقام لم يطب لاسرة القزويني في هذه المدينة ، فرحلوا عنها الى بلاد الروم • وليس عندنا ما يوضح سبب هجرتها ، ولعل الاضطرابات والقتل والحروب هي التي دفعتها الى هذا ، او لعل اسباب الحياة اوحت اليهم بالهجرة فساروا يضربون في البلاد • ولسنا نعلم سنة رحيلهم عن الموصل ، ولا نعرف اين نزلوا ، واين استوطنوا ، وكيف كانوا يعيشون ، ومن أين يأتيهم رزقهم ؟ وكل ما نعرفه عن جلال الدين انه سكن بلاد الروم مع والده واخيه ، وولي بها قضاء ناحيته وله نحو من عشرين سنة^(١) ، وكان ذلك سنة ٦٨٦ هـ تقريبا • غير ان ابن تغري بردي يرى أنَّ في ولايته على مذهب الشافعي ببلاد

(١) ينظر الوافي بالوفيات ج ٣ ص ٢٤٢ •

،روم نظرا لان مذهب هذه المناطق السائد كان المذهب الحنفي ، وقد
اضاف قائلا : « اللهم الا ان كان تقلد حنфия في تلك الايام في تلك
البلاد ، ثم عاد الى مذهبه بعد ذلك فيمكن ، واما الروم فلم يكل فيها
قاضٍ شافعي فيما نعلم » (١) .

ولا ندري كم بقي في هذا المنصب ، لانه سافر بعد ذلك
مع اخيه الى دمشق في عهد الدولة الاشرفية وقرر في مدارسها .
ويذكر ابن كثير أن قديمهما كان بعد سنة ٦٩٠ هـ (٢) ، وهذا
غير صحيح ، لان امام الدين درس بام الصالح في دمشق سنة ٦٨٩ هـ
فيكون قديمهما في هذا العام او قبله على أقل تقدير .

واشتهرت عائلتهما في مصر والشام وعدت من الاسر البارزة فيها
الى جانب اسرة الديرى، والبارزى ، واسرة ابن بنت الاعز ، وابن
جماعة ، وابن عبدالظاهر ، والسبكي .

(١) المنهل الصافي ج ٣ ص ١٧٥ .

(٢) البداية والنهاية ج ١٤ ص ١٨٥ .

ويذكر المؤرخون أن جلال الدين خطيب ، فقيه ، اصولي ، محدث ، اديب ، عالم بالعربية والمعاني والبيان ، والى ذلك اشار ابن نباتة المصري في قصيدته التي مدحه فيها ، يقول :

بَحْرٌ فِقْهٌ وَإِنْ تَشَا فابنٌ بَحْرٌ
 فِي ضُرُوبِ الْيَانِ والتَّيْسِينَ
 وَخُطِيبٌ يَكْفِي الْخُطُوبَ بَلْفِظٍ
 يَسْتَمِيلُ الصَّخُورَ بالتَّيْسِينَ
 سَاجِعٌ يورِقُ الْمُنَابِرَ مَيْسًا
 فَتَلْذُ الْأَسْجَاعُ فَوْقَ الْفُصُونِ
 وَامَامٌ الْحَرَابَ يَشْهَدُ عِلْمٌ
 حَازَهُ أَنَّهُ إِمَامُ الْفُنُونِ (١)

ثقافته :

ومعنى هذا انه كان على جانب عظيم من الثقافة ، والا لم يستطع ان يتولى التدريس والخطابة والقضاء ، ومما يؤسف له ان المصادر

(١) سجع المطلق (نسخة دار الكتب بالقاهرة) ص ٢٣ ، وديوان ابن نباتة المصري ص ٤٩٦ .

لا تذكر شيئاً عن ثقافته او ما يلقي ضوء عليها ، وليس في كتبه ما يفيد ذلك وان كانت تدل على ثقافة بلاغية وادبية واسعة . وتجمع المصادر على انه كانت له يد في الاصولين : اصول الدين ، واصول الفقه ، او اصول العقائد ، واصول التشريع ، وكانت له ثقافة ادبية واسعة في الشعر والنثر والبلاغة . وقد انعكست هذه الثقافة في كتبه وخطبه التي كان يلقيها في مساجد دمشق والقاهرة ، وفي تقريراته لكتب اصدقائه .

وكان حلو العبارة يتقن العربية والفارسية والتركية ويتحدث بالاخيرتين كما يتحدث بالعربية يقول ابن حجر : « وكان فصيحاً بالتركي والفارسي والعربي »^(١) وكان يرغب الناس في الاشتغال بأصول الفقه وفي المعاني والبيان . ويمكن ان نحكم على انه كان على جانب عظيم من الثقافة بما وصل اينا من اشارات عن حياته ، فهم يذكرون انه كان فقيهاً ، خطيباً ، قاضياً ومؤلفاً . ومن البديهي انه لن يكون فقيهاً ما لم يكن ملماً باصول الدين ، واصول الفقه ، وهذا الامام يحتاج انى دراسة واسعة وتفهم للقرآن الكريم ، وسنة الرسول محمد (ص) ، وكتب الفقه واصوله . ويبدو أنه كان يعطي الفتاوى ، وكان له رأي في كثير من مسائل الفقه ، ومن فتياه التي تشهد له بالتضلع بالفقه واصوله ما رواه السبكي ، يقول : « افتمى القاضي جلال الدين وهو خطيب دمشق في رجل فرض على نفسه لولده فرضاً معيناً في كل شهر ، واذن لامة حاضنته في الاتفاق والاستدانة والرجوع عليه ، ففعلت ذلك ، ومات الاب ، بان لها الرجوع في تركته . وتوقف معه الشيخ برهان الدين بن الفركاح لقول الاصحاب ان ثقة القريب تصير ديناً لا بقرض القاضي او اذنه في الاستقراض فان ذلك يقتضي عدم الرجوع ، وقولهم لو قال : اطعم هذا الجائع وعليّ ضمانه استحق عليه ، ولو قال اعتق عبدك وعليّ الف استحق يقتضي الرجوع . قلت : الارجح ما افتمى به القاضي جلال الدين من الرجوع »^(٢) .

(١) الدرر الكامنة ج ٢ ص ١٦١ .

(٢) طبقات الشافعية ج ٥ ص ٢٢٩ .

ولن يكون خطيباً يتولى الخطابة في الجامع الأموي ما لم يكن مفوهاً ، ذا ثقافة كبيرة تساعده على أداء أفكاره وتأثيره في مستمعيه .

أما القضاء فإنه يحتاج إلى رجل مطلع واسع الثقافة عظيم الإدراك ، وليس تولي القضاء سهلاً في أي عصر من العصور ، وكان لتولي القضاء شروط وهي : الذكورية ، والبلوغ ، والعقل ، والحرية ، والإسلام ، والعدالة ، وسلامة السمع والبصر ، والعلم بأحكام الشريعة ، والعلم بها يشتمل على معرفة أصولها وفروعها ، وأصول الأحكام في الشرع أربعة :

أحدها : علمه بكتاب الله عز وجل على الوجه الذي يصح به معرفة ما تضمنه من الأحكام ناسخاً ومنسوخاً ، ومحكما ومتشابهاً ، وعموماً وخصوصاً ، ومجملاً ومفسراً .

والثاني : علمه بسنة رسول الله (ص) الثابتة من أقواله وأفعاله ، وطرق مجيئها في التواتر والآحاد والصحة والفساد .

والثالث : علمه بأقوال السلف فيما اجمعوا عليه واختلفوا فيه ، ليتبع الاجماع ، ويجتهد برأيه مع الاختلاف .

والرابع : علمه بالقياس الموجب لرد الفروع المسكوت عنها إلى الأصول المنطوق بها والمجمع عليها حتى يجد طريقاً إلى العلم بأحكام النوازل ، ويميز الحق من الباطل .

فاذا أحاط علماً بهذه الأصول الأربعة في أحكام الشريعة صار من أهل الاجتهاد في الدين ، وجاز له أن يفتي ويقضي ، وأن اخل بها أو بشيء منها خرج من أن يكون من أهل الاجتهاد ، ولم يجز أن يفتي ولا أن يقضي (١) .

ومن هنا نرى أن ثقافة القاضي ينبغي أن تكون واسعة لكي

(١) ينظر بشأن أعمال قاضي القضاء نهاية الأرب ج٦، ص ٢٤٨ ، ٢٥٠ .

يستطيع ان يؤدي واجبه خير اداء ، واذا ما اراد السلطان ان يختار قاضيا اخذ هذه الشروط بنظر الاعتبار الى جانب شخصية القاضي وولائه للسلطان في كثير من الاحيان . وكان الاختيار يقع على ابرز فقهاء كل مذهب ، ولو لم يكن القزويني من فقهاء الشافعية البارزين لما اختير لمنصب قضاء الشافعية في دمشق وقاضيا للقضاة في القاهرة ، وهو منصب كبير لا يقدر عليه الا من اوتي علما عظيما ، وتفهما عميقا ، لان الشافعي يكون اعلى القضاة وهو المتحدث على المواضع الحكيمية والاوقاف واكثر الوظائف ، ويختص بتولية النواب في النواحي والاعمال (١) .

وليس من السهل ان يكون القزويني مؤلفا عالما في البلاغة لو لم يكن واسع الاطلاع ، عارفا باساليب هذا الفن وكتبه المشهورة . وتبدو ثقافته واطلاعه الواسع في كتابيه : التلخيص والايضاح ، فقد استطاع ان يتمثل كتب البلاغة ، ويمزج بينها ، ويخرج لنا علوم البلاغة اخراجا آخر فيه تهذيب لبلاغة عبدالقاهر ، وتنسيق لمنهج السكاكي وبلاغته .

ونرجح أن ثقافته الفقهية والدينية كانت اعمق من ثقافته اللغوية لانه لم يدرس البلاغة إلا لتكون وسيلة لفهم كتب الفقه واصوله والتعبير الفصيح . ولم يؤلف في البلاغة الا بعد أن نضجت عقليته ، وتولى المناصب الكبيرة في التدريس والخطابة والقضاء .

أساتيدته :

وكان ابوه أول استاذ تلقى عليه الدرس ، يقول صاحب المدارس في تاريخ المدارس : « وتفقه بآبيه » (٢) . ومعنى هذا ان اباه كان فقيها ، عالما وان لم تشر المصادر الى ذلك . وعندما دخل هو وأخوه امام الدين دمشق سمع فيها من العز الفاروتي وطائفة ، واخذ عن الايكي وغيره ،

(١) ينظر صبح الاغشى ج ٤ ص ١٩٢ .

(٢) المدارس في تاريخ المدارس ج ١ ص ١٩٦ .

وخرَّج له البرزالي جزء من حديثه وحدث به وافتي ، واخذ المعقول عن الشيخ شمس الدين الابجي^(١) . وكان اساتذته ممن يشهد لهم بالبراعة في اصول الدين وعلوم العربية ، فقد كان عزالدين ابو العباس احمد بن ابراهيم الفاروتي مقرئاً واعظاً ، ومفسراً خطيباً ، روى عنه الكثير بالحرمين والعراق ودمشق وقرأ عليه القراءات جماعات ، وقدم دمشق في سنة ٦٩١ هـ وولي مشيخة الحديث بالظاهرية وتدریس النجيبية ، وولي خطابة الجامع بعد ابن المرحل ثم عزل من الخطابة بالخطيب الموفق فتألم لذلك ، وترك الجهات ، واودع بعض كتبه وكانت كثيرة ، ثم توفي بواسط في العراق في ذي الحجة سنة ٦٩٤ هـ وقد نيف على الثمانين^(٢) . ومن هنا نرى ان جلال الدين اتصل باستاذه الفاروتي بعد سنة ٦٩١ هـ وهي السنة التي ولي فيها مشيخة الحديث بالظاهرية .

أما استاذه الايكي فهو شمس الدين محمد بن ابي بكر بن محمد الفارسي ، كان احد الفضلاء الحلالين للمشاكل ، المفسرين للمعضلات ، ولا سيما في علم الاصلين والمنطق وعلم الاوائل . باشر في وقت مشيخة الشيوخ بمصر واقام يدرس بالغزالية قبل ذلك ، وتوفي يوم الجمعة ودفن يوم السبت ومشى الناس في جنازته منهم قاضي القضاة امام الدين القزويني في الرابع من شهر رمضان سنة ٦٩٧ هـ ، ودفن بمقابر الصوفية وعُملَ عزاءه بخاتناه السيمساطية ، وكان معظماً من نفوس كثير من العلماء^(٣) .

ومن اساتذته عمر بن الياس بن يونس المراغي ابو القاسم الصوفي كمال الدين المولود باذريجان سنة ٦٤٣ هـ ، قدم دمشق سنة ٧٢٩ وهو ابن نيف وثمانين سنة ، وجاور قبل ذلك بالقدس سنة ، واقام قبلها بمصر

(١) ينظر الدرر الكامنة ج ٤ ص ٢ ، مفتاح السعادة ج ١ ص ١٦٨ ، بغية الوعاة ص ٦٦

المدارس في تاريخ المدارس ج ١ ص ١٦٩ ، مرآة الجنان ج ٤ ص ٣٠١ .

(٢) تنظر ترجمته في مرآة الجنان ج ٤ ص ٢٢٢ ، والمدارس في تاريخ المدارس ج ١ ص ٣٣٥ .

(٣) المدارس في تاريخ المدارس ج ١ ص ٢٢٢ .

خمس عشرة سنة • ويبدو أنّ القزويني لازمه قبل مجيئه الى دمشق ،
وقرأ عليه ، وحينما جاء المراغي الى دمشق لم يحظ بالتفاته من تلميذه
لذلك نجدهم يقولون عنه : « ولما كان بدمشق كان يذكر ان الجلال
القزويني قرأ عليه قديما ، ويعتب عليه في عدم انصافه له » (١) •

ولكن هل أثرت هذه الثقافة في جلال الدين وماذا كانت ثمرة هذا
التوجيه ؟ لقد أَلَفَ « التلخيص » و « الايضاح » وهما زبدة كتب
البلاغة العربية ، وألقى الخطب الرنانة في مساجد دمشق والقاهرة ،
وحاضر ودرّس زمنا طويلا •

إنّ ثقافته الواسعة ، وتوليه القضاء ، وعصره الذي عاش فيه ،
وبيئته التي اضطرب فيها لم تؤثر في كتبه تأثيرا واضحا ، وكأنه حينما
وضع كتابيه البلاغيين كان يعيش في جرجان ، وخوارزم ، لا في مصر
والشام ، وليته استفاد من اشتغاله بالقضاء في النقد والتحليل كما
استفاد من قبل القاضي علي بن عبدالعزيز الجرجاني صاحب « الوساطة
بين المتبني وخصومه » ، فقد كان شأنه في البلاغة والنقد كشأنه حينما
كان يجلس للقضاء ينصت الى الشهود ويجمع الادلة من هنا وهناك ،
ليقضي بين المتخاصمين ، ويلقي الحكم كما تمليه الادلة ويرضاه
الوجدان •

شعره :

ولم تذكر المصادر شعرا للقزويني مع انه كان يندوقه ، ويقرؤه
كثيرا ، وكان مولعا بشعر الارجاني ويراها من اكبر شعراء العجم وهو
القائل :

أنا اشعر الفقهاء غير مدافع بالعصر او انا افقه الشعراء

واختصر ديوانه وسماه « الشذر المرجاني من شعر الارجاني » ،

وكان كثير الاستشهاد بشعره في الايضاح .

وقد ذكر القدماء انه لم ينظم بيتا واحدا من الشعر مع قوة باعه في الادب^(١) ، لكن^(٢) الدسوقي يذكر له بيت شعر مترجم عن الفارسية هو:

لو لم تكن نية الجوزاء خدمته لما رأيت عليها عقد منتطق

ويقول : « فهذا البيت له ، وقد وجد بيتا فارسيا في هذا المعنى فترجمه بالعربية بما ذكر^(٣) » والغريب ان القزويني نفسه لم ينسب ترجمة البيت الى نفسه ، وقد قال في التلخيص عنه : « كقوله » وفي الايضاح : « كمعنى بيت فارسي ترجمته^(٤) » . وخرج الدسوقي قوله هذا على وجه بعيد فقال : « وقال كقوله ولم يقل : كقولي ، اما للتجريد أو نظر لمعناه فانه للفارسي تأمل » . وكان^(٥) الدسوقي - رحمه الله - لم يقرأ كتب البلاغة المتقدمة ، وكان عبدالقاهر قد ذكره في « اسرار البلاغة » على انه ترجمة معنى بيت فارسي ولم يذكر قائله كما لم يذكر نصه الفارسي ، وذكره العصام في الاطول وهو :

كربودي عزم جوزا خدمتش كس نديدي برميان او كمر^(٦)

ولعل الذي اوقع الدسوقي في الخطأ ما ذكره التفتازاني في شرحه المطول ، يقول « هذا البيت للمصنف وقد وجد بيتا فارسيا في المعنى فترجمه^(٧) » ، ولا نجد غير التفتازاني والدسوقي من ينسب الى القزويني ، وقد ذكره عبدالرحيم العباسي ، ولكنه لم يذكر اسم قائله واكتفى بان ذكر انه مترجم عن الفارسية^(٨) .

(١) بغية الوعاة ص ٦٦ ، ومفتاح السعادة ج ١ ص ١٦٨ .

(٢) حاشية الدسوقي ج ٤ ص ٣٨٠ .

(٣) ينظر التلخيص ص ٣٧٨ ، والايضاح ص ٣٧١ .

(٤) الاطول ج ٢ ص ٢١١ . وفي اسرار البلاغة (ط. ريتز) هامش ص ٢٥٦ ادرميان او كر .

(٥) المطول ص ٤٣٧ .

(٦) معاهد التنصيص ج ٢ ص ٦٧ .

نثره :

وإذا كان الخطيب القزويني لم يقل بيت شعر واحد فانه قد كتب نثرا ، وليست خطبه التي كان يلقيها في المساجد الا نموذجا ممتازا يدل على قدرة فائقة في الانشاء ، وتبدو قابليته على الكتابة في كتبه البلاغية التي راعى فيها سلامة العبارة والفصاحة مع السهولة والابتعاد عن التكلف والسجع والمطابقة وغيرها مما كان كتاب عصره يوشحون به كلامهم ، فيخرجونه هياكل ليس فيها طلاوة او رونق .

ومن امثلة نثره الذي ابتعد فيه عن اسلوب عصره قوله معلقا على

البيت :

والمجدد يدعو أن يدومَ لجيده عقدٌ مساعي ابن العميدِ نظامه

يقول : « فانه شبه المجد بانسان بديع الجمال في ميل النفوس اليه ، واثبت له جيدا على سبيل الاستعارة التخيلية ، ثم اثبت لجيده عقدا ترشيحا للاستعارة ، ثم خص مساعي ابن العميد بانها نظامه فنه بذلك على اعتناؤه خاصة بتزيينه ، وبذلك على محبته وحده له ، وبها على اختصاصه به ، ونبه بدعاء المجد ان يدوم لجيده ذلك العقد على طلبه دوام بقاء ابن العميد ، وبذلك على اختصاصه به » (١) . وهذا اسلوب هاديء ليس فيه تكلف المتحذلقين ولا اغرابهم في الصنعة البديعية .

وإذا كان قد ابتعد عن الزخرفة والمحسنات في كتبه البلاغية فانه لم يستطع الابتعاد عنها فيما كتب من نثر وخطب ، ومن امثلة نثره البديعي تقيظه كتاب « مجمع الفوائد » لابن نباتة المصري (٧٦٨ هـ) ، يقول :

« هذا سماء حكم بدائع ، وفقر روائع ، فلا بدع أن سميت مطالع (٢) الفوائد ، واصداف كريمة حوت دررا تيمية ، فلا غرو ان

(١) الايضاح ص ٣٢٥ .

(٢) في سجع المطوق مخطوطة الاوقاف ببغداد : « بمطلع » .

رسمت بمجمع الفرائد • وحدائق تنف زاهية ناضرة حقائق بأن تكون
وجوه اهل الحقائق الى عيونها ناظره • وابكار افكارهن ضرائر النجوم
واقاس خواطر اطيب من فوح الازاهر جادتها الغيوم ، ومباني بيان
كل مبنى كباية كريم • ومغاني معانٍ تحل فيها القلوب فلا يرى قلب
عنها يريم • ورياض لطائف سرقته منها لطائم^(١) المسك الاذفر •
وحياض طرائف برقت عليها سحائب كل ذهن صائب ، فسحح عليها
صبيها الاوفر • ومحاسن اذا تليت سورها على البلغاء ظلت اعناقهم لها
خاضعين • واذا جليت صورها على الفصحاء بهرت الناظرين منهم
والسامعين ، فكيف لا وهي صوب العقول ونظم العقود • وقد بدئت
بكلام من كلامه الى الحق يقود ، وعن الباطل يذود • ابا ان مؤلفها
ما نبه عليه من معانيه الدقيقة انه معتصم من البراعة في صناعة البلاغة
بعروة وثيقة • ودل بما اورد فيها من كلامه الذي هو أدق من اتقاس
النسيم وأحق بميل الاتقاس اليه من العقد التنظيم • انه حاز قصبات
السبق في حلبات النظم والنثر حتى فخر كل مفاخر ، وفاز من تحقيق
الفضائل بما فيه من تصديق القائل: كم ترك الاول للآخر • اعجب به مفصحا
اذا وجه فكره الى المعاني القاصية الجديرة بان تكون على اذهان البلغاء
عاصية ادركها في أقرب من لمح البصر وكساها من الفاظه البهية حللا سنية
يحول دون محاولة حصر محاسنها الحصر، وكيف وقد غذي بلباب الآداب
والفها وعانق عقله عقائل الالباب كما عانقت اللام الفها • وقد زان ذلك
باسم ملك اضحى المجدي ذراه الشريف ومقامه الايف مرخي الذوائب،
وان سكتت الالسنه عن ذكر مآثره ونشر مفاخره^(٢) عجزا أثنت عليه
الحقائب • قمع بصوارمه اهل الفساد والعناد ، وجمع بكارمه بين
الاشباه والاضداد ، وانفذ ايامه ونياليه في طلب العلوم حتى ملك منها
الرقاب ، واقبلت عليه حقائقها وقد القت كل واحدة عن وجهها النقاب •
وسالت لديه اوديتها الزاخرة ، فنالت منها افكاره الزاهرة بما استحق

(١) اللطيمة ج لطائم : المسك ، وعاء المسك ، سوق العطارين •

(٢) في مخطوطة الاوقاف : « وان سكتت الالسنه من ذكر مفاخره ونشر مآثره » •

به ان يلعب مع الحبر بالبحر والعباب • وبالجملة لمحاسنه محاسن
اذا نشرت تعطرت الاندية بنشر ندها ، واذا ذكرت كان الوقوف واجبا
عند حدها • ادر الله عليه اخلاف النعم ، كما اقر لديه اصناف الكرم •
وحرسه بعينه التي لا تنام حتى يكون بابہ الشريف للانام حلال المورد
وعلى نوائب الايام حرام الحرام • وهتك ستور الجهل بعلمه الذي هو
في العالمين علم • وادام لنا نعمة وجوده كما ادام لنا فيض جوده
فوجدانا كل شيء بعده عدم» (١) •

هذا نموذج من ثره ويلاحظ انه استعمل انواعا من البديع ، فهو
مرة يزاوج في سجعاته ، وتارة يجانس ، واخرى يقتبس من القرآن
الكريم الى آخر ما نجده واضحا في كلامه • ولم يكن بمقدور القزويني
ان يخرج في هذا النوع من الكتابة عن ذوق عصره واسلوب كتابه
الذين اولعوا بالجناس ، والسجع ، والتورية ، والطباق ، وغيرها من
فنون البديع الاخرى •

(١) سجع المطروق ص ٢٠ وما بعدها (مخطوطة دار الكتب في القاهرة) ، وتنظر
الرسالة في سجع المطروق (مخطوطة الاوقاف ببغداد) ص ٥٥-٥٧ •

أخلاقه :

وكان جلال الدين القزويني على جانب عظيم من الخلق الكريم ، وتروي المصادر انه كان لطيف الذات ، حسن المحاضرة ، مفوها حسن الايراد او العبارة ، كريم النفس فصيحاً ، حلو العبارة والخط ، سمحاً جواداً حليماً ، جم الفضائل ، كثير التحمل ، حسن التقاضي ، لطيف السفارة ، لا يكاد يمنع من شيء يسأل عنه ، مليح الصورة ، موطاً الاكثاف ، حاد الذهن ، يراعي قواعد البحث ، ويتوقد ذهنه ذكاء . وكان تقياً ورعاً يؤدي شعائر الاسلام ، وقد ذهب الى بيت الله في سنة ٧٢١هـ وخرج اليها مع ركب الناصر محمد سنة ٧٣٢ (١) .

وكان لهذه الصفات الكريمة أثر في علاقته بالناس فأقبل التلاميذ يجالسونه ويدرسون عليه ، وأقبل العلماء يحضرون مجالسه ويتحدثون اليه ، واهتم به الامراء والسلاطين ، فقربوه ، واسندوا اليه الوظائف الكبيرة كالخطابة والقضاء حتى قيل : « انه لم يوجد لاحد من القضاة منزلة عند سلطان تركي نظير منزلة جلال الدين » (٢) .

(١) ينظر البداية والنهاية ج٤ ص ١٠٠ ، والسلوك ج٢ ق٢ ص ٣٥٢ ، والنجوم الزاهرة ج٩ ص ١٠٤ ، والنهل الصافي ج٣ ص ١٧٦ ، ومفتاح السعادة ج١ ص ١٦٨ ، والدرر الكامنة ج٤ ص ٣ ، وبنية الوعاة ص ٦٦ ، والبلد الطالع ج٢ ص ١٨٣ ، وشذرات الذهب ج٦ ص ١٢٣ ، وطبقات الشافعية ج٥ ص ٢٣٨ ، والدارس في تاريخ المدارس ج١ ص ١٩٧ ، والوفاء بالوفيات ج٣ ص ٢٤٢ ، ومرآة الجنان ج٤ ص ٣٠١ .

(٢) الدرر الكامنة ج٤ ص ٥ .

طلابہ :

وأقبل الطلاب عليه ، وحضروا حلقات درسه في المساجد ومعاهد العلم ، وسمع عنه خلق كثير • وممن اخذ عنه بدمشق الحافظان ابن رافع البرزالي الذي خرج له جزء من حديثه عن جماعة من شيوخه وحدث به • والمسند الدمشقي احمد بن هبة الله بن عساكر (٦٩٩ هـ) • وسمع عنه ابراهيم بن احمد بن هلال بن بدر الدين القاسبي برهان الدين الزرعي الحنبلي المولود سنة ٦٨٨ هـ •

واحمد بن عبدالرحمن بن عبدالمؤمن بن ابي الفتح الصوري (٧٠١ هـ) (١) •

وممن أخذ عنه ، ولازمه : مغلطاي بن قليج بن عبدالله البكجري الحنفي (٧٣٠ هـ) وكان قد لازم الجلال القزويني ، فلما مات ابن سيد الناس تكلم له مع السلطان فولاه تدريس الحديث بالظاهرية « (٢) •

ومن تلاميذه : عبدالله المغربي الاصل المشهور بالمنوفي (٧٤٩ هـ) • وعمر بن محمد بن علي بن فتوح (٧٥٢ هـ) الذي اخذ عنه البلاغة • وعبدالله بن عبدالرحمن بن عقيل (٧٦٩ هـ) النحوي المشهور ، وقد املى شرح الفية ابن مالك على اولاد استاذه جلال الدين •

وعبدالرحيم بن الحسن بن علي بن عمر الاموي الاسنوي نزيل القاهرة (٧٧٢ هـ) •

وبهاء الدين السبكي (٧٧٣ هـ) الذي روى عنه « تلخيص المفتاح » وشرحه بكتابه « عروس الافراح » •

ومحمد بن يوسف بن احمد بن عبدالدائم الحلبي محب الدين ناظر الجيش (٧٧٨ هـ) •

(١) الدرر الكامنة ج ١ ص ١٥ ، ١٦٨ •

(٢) الدرر الكامنة ج ٤ ص ٣٥٤ •

ومحمد بن احمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق التلمساني
(٧٨١ هـ) (١) .

اصدقاؤه :

ولم تكن علاقة القزويني بتلاميذه وبمن أخذ وسمع عنه حسنة
فحسب ، وانما كانت له علاقة وثيقة بغيرهم من الاعيان والوجوه ،
وكان له اصدقاء يحبونه ويكرمونه وقد نال بعضهم حظوة عظيمة عنده .
وكان يتردد كثيرا على اصدقائه ويحضر ندواتهم ومجالسهم ، ويتناقش
معهم .

ومن اصدقائه احمد بن عثمان المقدمي ابو عبدالله شرف الدين ،
وقد جاء الى دمشق سنة ٦٩٥ هـ واتصل بجلال الدين (٢) .

وممن نال حظوة عنده الشيخ شمس الدين محمود الاصبهاني ،
يقول ابن كثير : « وكان عند القاضي جلال الدين القزويني » (٣) .

وممن كان يحبهم القزويني ويقدمهم يوسف بن ابي بكر بن
خطيب بيت الآبار ، ولما ولي القضاء بمصر طلبه فولاه نظر الصدقات
والايتام (٤) .

وممن لقيه الفقيهان أبو زيد عبدالرحمن ، وأبو موسى عيسى بن
محمد بن عبدالله بن الامام ، وكانا قد رحلا الى المشرق في حدود سنة
٧٢٠ هـ فلحقيا خلقا كثيرا ولحقيا جلال الدين (٥) .

ومنهم أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن عبد النور « وكانت له
رحلة الى المشرق لقي بها جلال الدين القزويني وحلبته » (٦) .

(١) ينظر الدرر الكامنة ج ٢ ص ٣١٢ ، ٢٦٧ ، ٣٥٦ ، ج ٣ ص ٣٦٢ ، وج ٤ ص ٢٩١ ،
وبغية الرواة ص ٣٦٣ ، ٢٨٤ ، ٣٠٥ ، ١١٨ ، ١١٩ .

(٢) الدرر الكامنة ج ١ ص ٢٠١ .

(٣) البداية والنهاية ج ١٤ ص ١١٧ .

(٤) الدرر الكامنة ج ٤ ص ٤٨٣ .

(٥) نفع الطيب ج ٧ ص ١٥٩ .

(٦) نفع الطيب ج ٧ ص ١٥٩ .

وممن حضر القزويني عندهم محمد بن يعقوب بن الياس الدمشقي
الامام بدرالدين المعروف بابن النحوية ، وقد اجتمع به الجلال وسأله
عن قول أبي النجم :

قد أصبحت أم الخيار تدعي عليّ ذنباً كله لم أصنع

في تقديم حرف النفي وتأخيره فما اجاب بشيء ، قال الصفدي :
« وقد تكلم على هذا كلاما جيدا في شرح كتابه ، والسبب في ذلك ان
كل من وضع مصنفا لا يلزمه ان يستحضر الكلام عليه حتى يطلب منه ،
لانه في حالة التصنيف يراجع الكتب المدونة ويطلع فيحرر الكلام ثم
يُشدُّ به » (١) . وقال ابن حجر : « او يكون السبب غير
ذلك » (٢) ، أي كون المجلس لا يحتمل الجواب ونحوه .

وممن حضر عندهم : عزالدين بن قاضي القضاة تقي الدين سليمان
عندما جلس للتدريس بالجوزية ، ورشيد الدين الفارقي (٦٨٩ هـ) .
وبرهان الدين ابراهيم بن احمد بن هلال الزرعي الحنبلي .
وشهاب الدين بن جهبل .
ويحيى الدين الطرابلسي وغيرهم (٣) .

صلايته :

ودافع هو واخوه امام الدين عن ابن تيمية دفاعا مجيدا ، وكانت
له مواقف مشرفة في كثير من القضايا . ووقف مع الناس بوجه الطغاة
والحكام حينما فرضوا على الشعب الضرائب الفادحة ، وناله من جراء
ذلك اذى كبير ، وأهين ، وضرب ، ولكنه لم يأبه بذلك وبقي على

(١) بغية الوعاة ج ٧ ص ١١٧ .

(٢) الدرر الكامنة ج ٤ ص ٢٨٦ .

(٣) ينظر البداية والنهاية ج ١٣ ص ٣٥٢ ، والدارس في تاريخ المدارس ج ١ ص ٣٥٢ ،

٧٤ ، ٣٠٦ ، ٣٣٢ .

رأيه * ولما عزل نائب دمشق الذي آذاه تولى منصب قاضي القضاء فيها،
وبذلك نال المنصب عن جدارة ، لانه كان صكّياً في الحق لا يخشى
أحدا *

وقد جاء في ترجمة كراي المنصوري نائب السلطنة بدمشق : « ثم
حضر الى دمشق نائباً في اول سنة ٧١١ هـ ، فضيق على الناس كافة ،
وقرر على الاملاك اموالاً تؤخذ في كل شهر * واجتمع القضاة والخطيب
والعامة ، وحملوا المصحف ، ووقفوا له بسوق الخيل ، فلما رأهم قال لهم:
اقضى الشغل فامتنعوا ، فإشار عليهم الحاجب بعضا معه ففروا فهرول
الذي يحمل المصحف فسقط منه ، فرجموا الحاجب ، فرد كراي الى
القصر واخرق بالقاضي نجم الدين بن صصرى وبالخطيب * فصاح فيه
الشيخ مجد الدين التونسي كمرت ، فأمر بضربه فضرب ضرباً شديداً
وأمر بالقاء الخطيب جلال الدين القزويني ليضرب فشفعوا فيه فنقل
ذلك كله الى الناصر فانكره اشد الانكار » (١) *

(١) الدرر الكامنة ج ٣ ص ٢٢٥ ، وينظر الدارس في تاريخ المدارس ج ٢ ص ٢٦٨ .

مناصبه :

وكان لا بد لرجل كالتزويني أن يتسنى المناصب ، ويتقلد الوظائف في دولة المماليك البحرية التي امتد ظلها على مصر والشام ، ووحدت بينهما توحيدا بعث القوة في الاقليمين بعد ان كانت غارات المغول وهجمات الصليبيين واعداء العروبة والاسلام تترى عليهما وتصب حقدتها الدفين . وكانت اولى وظائفه القضاء في ناحية بالروم وهو دون العشرين ، ولم تذكر المصادر اسم هذه الناحية او مدة بقائه في الوظيفة وسيره فيها وعلاقته بالناس ، فهي تنتقل من هذه المعلومات القليلة الى توليه التدريس والقضاء بالشام ، وبذلك تبقى هذه الفترة من حياته غامضة ، ولعلنا نجد في المصادر الغائبة عنا الآن ما يكشف جوانب حياته الاولى .

وأول ما قام به جلال الدين بعد قدومه الى دمشق الشام الاتصال بحلقات الدرس والعلماء ممن بلغت شهرتهم الآفاق ، ولما استكملت ثقافته وثبتت اقدمه في علوم الدين واللغة العربية ، درّس في مدارس دمشق الشام المنتشرة في كل مكان ، يقول ابن كثير في حوادث سنة ٦٩٣هـ : « وفي اليوم الثاني والعشرين من شعبان درّس بالمسروية القاضي جلال الدين التزويني أخو امام الدين وحضر أخوه وقاضي

القضاة شهاب الدين ابن الخويبي ، والشيخ تقي الدين بن تيمية ، وكان درسا حافلا» (١) .

وفي أواخر شوال سنة ٦٩٤ هـ قدمت من الديار المصرية تواقع شتى منها تدريس الغزالية لابن صصرى عوضا عن الخطيب المقدسي ، وتوقيع بتدريس الامينية لامام الدين القزويني عن نجم الدين بن صصرى ، ورسم لاخته جلال الدين بتدريس الظاهرية البرائنة عوضا عنه (٢) .

ولم يَبْقَ القزويني في هذه المدرسة طويلا ، ففي رجب سنة ٦٩٥ هـ درس كمال الدين بن القلانسي بها عوضا عنه . وفي سنة ٦٩٦ هـ ناب عن اخيه امام الدين في القضاء (٣) . وفي سنة ٦٩٩ هـ استطاع غازان ملك التتر ان يهزم جيوش المسلمين في الشام ، ويتوجه الى دمشق ، وخشي أهلها على انفسهم وخافوا من غازان وتشاوروا مع جماعة من العلماء الذين كانوا بدمشق وخرجوا اليه يطلبون منه الامان ، وكان الخطيب القزويني أحد الخارجين لملاقاته مع قاضي القضاة بدر الدين ابن جماعة الشافعي ، والشيخ زين الدين الفارقي ، وتقي الدين بن تيمية الحراني ، والقاضي نجم الدين بن صصرى ، القاضي عز الدين بن تركي ، والشيخ عز الدين بن القلانسي . ودخل الفاتحون الغزاة دمشق وخطب لغازان على المنابر ، وكان امام الدين أخو الجلال قد ذهب في هذه الاثناء الى مصر . ولم تدم سيطرة الغزاة على الشام العربية ، فسرعان ما ارغموا على الخروج منها وعادت حرةً أئبَةً لتعاقب الاقليم المصري في ظل المماليك . وكانت فرحة الشعب في سورية عظيمة حين عادت الوحدة بين الاقليمين ، وخطب لسلطان مصر على منابر دمشق والشام ، يقول ابن كثير : « وفي يوم الجمعة سابع عشر رجب سنة

(١) البداية والنهاية ج ١٣ ص ٣٣٦ ، والدارس في تاريخ المدارس ج ١ ص ٤٥٦ .

(٢) البداية والنهاية ج ١٣ ص ٣٣٩ ، والدارس في تاريخ المدارس ج ١ ص ٣٤٥ ، ١٩٥ ، ٤٤٣ ، ٤٤٤ .

(٣) ينظر الدارس في تاريخ المدارس ج ١ ص ٣٤٥ والمنهل الصافي ج ٣ ص ١٧٥ .

٦٩٩ هـ أعيدت الخطبة بدمشق لصاحب مصر ، ففرح الناس بذلك ، وكان يخطب لغازان بدمشق وغيرها من بلاد الشام مائة يوم سواء . . .
وقدم الجيش السامي صحبة نائب دمشق جمال الدين آقوش الأفرم يوم السبت عاشر شعبان ، وثاني يوم دخل بقية العساكر وفيهم الاميران شمس الدين قراسنقر المنصوري ، وسيف الدين قطبك ، في تجملة . ومن هذا اليوم فتح باب العريش ، وفيه درس القاضي جلال الدين القزويني بالامينية عوضا عن اخيه قاضي القضاة امام الدين « (١) » . وكان امام الدين قدم مات في مصر حينما خرج من دمشق بعد دخول التتر بلاد الشام .

وكان القزويني في عهد تدرسه في مدارس دمشق ينوب عن اخيه في القضاء بدمشق ، وناب عن قاضي القضاة نجم الدين بن صصرى في مستهل المحرم سنة ٧٠٥ هـ ، ثم ولي خطابة الجامع الاموي بدمشق بعد وفاة شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الخلاطي . ففي يوم الاربعاء ثاني شوال سنة ٧٠٦ هـ اذن نائب السلطنة جمال الدين آقوش الأفرم لجلال الدين أن يصلي بالناس ويخطب بجامع دمشق عوضا عن الشيخ شمس الدين فصلى الظهر يومئذ ، وخطب الجمعة ، واستمر بالامامة والخطابة حتى وصل توقيعه بذلك من القاهرة عاصمة الاقليمين (٢) .

وحدثت في سنة ٧٠٩ هـ بعض الاضطرابات ، ونحى القزويني عن الخطابة عندما دخل قراسنقر دمشق يوم الاثنين الخامس والعشرين من ذي القعدة ، وخطب مكانه القاضي بدر الدين محمد بن عثمان بن يوسف بن حداد الحنبلي في التاسع والعشرين منه باذن نائب السلطنة ، وقرئ تقليده على المنبر بعد الصلاة بحضرة القضاة والاكابر والاعيان

(١) ينظر النجوم الزاهرة ج ٨ ص ١٢٢ ، وبدائع الزهور ج ١ ص ١٢٦ وتاريخ ابن

خلدون ج ٥ ص ٨٨٩ ، والسلوك ج ١ ق ٣ ص ٨٨٩ .

(٢) البداية والنهاية ج ١٢ ص ١١ .

واستمر يباشر الامامة والخطابة اثنين واربعين يوما ، ثم اعيد القزويني
برسوم سلطاني وباشر يوم الخميس ثاني عشر المحرم سنة ٧١٠هـ (١) .

الى القاهرة :

وبقي الخطيب القزويني في هذه الوظيفة الى سنة ٧٢٤ هـ ، وفيها
خسف القمر ليلة الخميس للنصف من جمادى الآخرة بعد العشاء
فصلى صلاة الكسوف باربع سور : (ق ، واقتربت ، والواقعة ،
والقيامة) ، ثم صلى العشاء وخطب بعدها ، ثم اصبح فصلى بالناس
الصبح ، وركب على البريد الى مصر - وكان سلطانها الملك الناصر
محمد قد طلبه - ، لان نائب دمشق عزل جمال الدين الزرعي (٧٣٤هـ)
قاضي القضاة بها ، وعيّن جلال الدين ، وأعلم السلطان بأنه كان ينوب
عن اخيه امام الدين في قضاء الشام ، وأنه خطيبها ، وأطراه ووصفه
بالفضل فامر باحضاره الى مصر ، وكان في كتاب النائب معه انه كثير
البر للفقراء ، وانه ارتكب دينا بسبب ذلك (٢) .

ووصل الى مصر في يوم الجمعة، واتفق ان اجتمع مع الناصر ساعة
وصوله فأمره ان يخطب بجامع القلعة ففعل ، ثم لما فرغ نزل فقبل يد
السلطان واعتذر بأنه متعب من اثر السفر ، ولم يكن يظن ان السلطان
يأمره بالخطابة فشكره وسأله عن حاله ، وكم عليه من الدين فذكر ان
عليه ثلاثين ألفا ، فأمر بوفائه عنه . وكان تنكز رافع عنه وقال هذا عليه
ديون كثيرة وابنه نحس ولا يصلح أن يلي ابوه القضاء فيجمله الناس،
فقال الناصر : أنا أوفي دينه وأدع ابنه عندي بالقاهرة .

ونزل الى خاتناه سعيد السعداء ثم ولاه قضاء القضاة بدمشق
وخلع عليه يوم الجمعة ثالث عشر جمادى الآخرة سنة ٧٢٤ هـ .

(١) ينظر البداية والنهاية ج ١٤ ص ٤٢ ، والسلوك ج ٢ ق ١ ص ٣٠ .

البداية والنهاية ج ١٤ ص ٥٦ .

الى دمشق :

وسافر القزويني على البريد يوم الاثنين رابع عشره فقدم دمشق
خامس رجب على القضاء مع الخطابة ، وتدرّس العادلية والغزالية ،
فباشر ذلك كله ، وأخذت منه الامينية ، فدرس بها كمال الدين بن
القلانسي مع وكالة بيت المال ، وأضيف اليه قضاء العسكر وخوطب
بقاضي القضاة جلال الدين القزويني . وكتب الناصر مع تقليده
ابن محمد بن علي بن عبدالواحد بن عبدالكريم الانصاري الدمشقي
ابن الزملكاني (٧٢٧ هـ) بقضاء حلب . وامتنع عن قبول الولاية
فغضب منه النائب وأمر بعزله من جميع وظائفه ، فما مضى الا قليل
حتى ورد الخبر بموت قاضيها فقبل ابن الزملكاني الولاية حينئذ ،
وعظم قدره عند النائب لانه امتنع عن قبول الولاية عن رجل حتى
مات . واستتاب القزويني يوم الخميس ثامن عشر شعبان سنة ٧٢٤ هـ
نائبين في الحكم هما : يوسف بن ابراهيم بن حجلة المحجبي الصالحي ،
وقد ولي القضاء فيما بعد ، ومحمد بن علي بن ابراهيم المصري وحكما
يومئذ (١) .

وكان الذي ساعد القزويني على تولية قضاء الشام عبداللطيف
ابن خليفة شمس الدين ، وساعده بعد ذلك على تولية قضاء الديار
المصرية (٢) .

وقد رأى ابن بطوطة عندما زار دمشق الخطيب القزويني ، يقول
وهو يتحدث عن ائمة جامع دمشق : « وائمته ثلاثة عشر اماما اولهم
امام الشافعية ، وكان في عهد دخولي اليها امامهم قاضي القضاة
جلال الدين محمد بن عبدالرحمن القزويني من كبار الفقهاء ، وهو
خطيب بالمسجد ، وسكنه بدار الخطابة ، ويخرج من باب الحديد اذاء

(١) ينظر الدرر الكامنة ج ٤ ص ٤ ، ٧٦ ، والبداية والنهاية ج ١٤ ص ١١٢ ، والسلوك

ج ٢ ق ١ ص ٢٥٤ ، والمدارس في تاريخ المدارس ص ٣٦٥ ، ٤٢٤ .

(٢) الدرر الكامنة ج ٢ ص ٤٠٦ .

المقصورة ، وهو الباب الذي كان يخرج منه معاوية رضي الله عنه •
وقد تولى جلال الدين بعد ذلك قضاء القضاة بالديار المصرية بعد أن
أدى عنه الملك الناصر نحو مائة ألف درهم كانت دَيْنًا عليه بدمشق •
وإذا سلكهم امام الشافعية من صلاته ، اقام للصلاة امام مشهد علي ، ثم
امام مشهد الحسين ، ثم امام مشهد الكلاسة ، ثم امام مشهد أبي بكر ،
ثم امام مشهد عثمان رضي الله عنهم أجمعين » (١) •

عود الى القاهرة :

وبقي الخطيب على قضاء القضاة حتى دعي الى مصر ليتولى
فيها قضاء القضاة بعد أن عمي قاضيها بدر الدين بن جماعة ، وتولى
مكانه في الشام كمال الدين أبو المعالي الزملكاني الانصاري السماكي
الدمشقي ، وكان ذلك في سنة ٧٢٧ هـ • ففي يوم الجمعة منتصف
جمادى الآخرة جاء البريد بطلب جلال الدين الى مصر فدخلها في
مستهل رجب فخلع عليه بقضاء مصر ، وارسل ولده بدرالدين الى
دمشق خطيبا للجامع الاموي ، وعلى تدريس الشامية الجوانية (٢) •

وعظمت حاله في مصر ، ونال حظوة كبيرة عند السلطان الناصر
محمد ، وكان مقدما أثيرا • ولم تكن صلته بالناصر جديدة فقد عرفه
واتصل به منذ أن زار دمشق سنة ٧٠٩ هـ • وودعه يوم عاد الى
القاهرة يوم الثلاثاء تاسع رمضان سنة ٧٠٩ هـ ، مع من ودعه من
أعيان دمشق ، كالقاضي ابن صصرى ، وصدرالدين الحنفي قاضي
العساكر ، والشيخ كمال الدين بن الزملكاني وغيرهم (٣) •

ولما جاء الى مصر وتولّى القضاء فيها علت منزلته ، وكان الناصر
لا يرد له طلبا ، وعظم أمره جدا حتى كان يقدم القصص للسلطان في
دار العدل فلا ترد له شفاعاة وربما رمل على يد السلطان بنفسه ، وحج

(١) تحفة النظار (رحلة ابن بطوطة) ج ١ ص ٥٦ •

(٢) المدارس في تاريخ المدارس ج ١ ص ٣٠٦ ، والمنهل الصافي ج ٣ ص ١٧٥ •

(٣) بنظر البداية والنهاية ج ١٤ ص ٥٢ •

مع السلطان فأعانه^(١) .

وحسنت حاله في مصر وبني على النيل دارا بما يزيد على الف الف درهم، وقد اخذت منه عندما خرج الى دمشق قاضيا^(٢) . وكان - الى جانب كونه قاضيا - خطيبا في بعض مساجد القاهرة ، يتولى خطبة افتتاحها في بعض الاحيان ، وعندما كمل بناء جامع قوصون أقيمت الجمعة فيه يوم الجمعة حادي عشر شهر رمضان سنة ٧٣٠ هـ ، وخلع عليه الامير قوصون بعد فراغه وأركبه بغلة هائلة ، وكان يخطب بجامع القلعة شريكا لابن القسطلاني^(٣) .

عبث اولاده :

ولكن كيف يستسيغ أهل الحسد ما وصل اليه القزويني من منزلة عظيمة ؟ وكيف يرتاحون وهم يرونه بجنب السلطان ويده الحل والعقد ، ويده القضاء ؟ وما زالوا يسعون به الى السلطان ، وينقلون اليه ما يفعله اولاده ، وما يقومون به من عبث في القاهرة حتى عزله من قضاء مصر ونقله الى الشام سنة ٧٣٨ هـ . وكان ولده جمال الدين عبدالله سبب غضب السلطان عليه ونقله الى دمشق .

وقد روت المصادر قصة هذا الولد وما كان عليه من كثرة اللهو والشره والمال ، واخذ الرشوة من القضاة ونحوهم ، وتبسطه في الترف حتى انه اقتنى عدة كثيرة من الخيول ، ورتب لها عدة من الاوجاقية والركابين^(٤) وسابق بها ، وكان قد شغف بسماع الغناء ، ومعاشره الاحداث من اولاد الاكابر ومماليك الامراء ، وتجاهر بالمنكرات ،

(١) الدرر الكامنة ج ٤ ص ٤ وينظر الوافي بالوفيات ج ٣ ص ٢٤٢ والمنهل الصافي ج ٣ ص ١٧٥ .

(٢) تاريخ ابن الوردي ج ٢ ص ٣٢٥ .

(٣) النجوم الزاهرة ج ٩ ص ٩٦ والبداية والنهاية ج ١٤ ص ١٤٨ والوافي بالوفيات ج ٣ ص ٢٤٣ .

(٤) الاوجاقية ومفرده اوجاتي واوشاتي .

الركابين : ومفرده ركاب اي السائس . (ينظر هامش ص ٤٤٠ ج ٢ ق ٢ من كتاب السلوك) .

فرفعت فيه قصة الى السلطان تتضمن شعرا بما هو عليه فأخرجه السلطان الى الشام ، ثم اعاده بسعي أبيه بعد مدة بسفارة أمير بكتمر الساقى ، فلم يتم الا نحو السنة ، وزاد في قبح السيرة فأخرجه السلطان ثانية واقام سنة فلم يطق أبوه غيبته عنه ، وكان قد فتن به حتى انه لشدة حبه اياه لا يكاد يصبر عنه ساعة واحدة فسأل السلطان في عودته ، وضمن توبته ، فأعاده السلطان الى القاهرة ، فانشأ بجوار بيت ابيه على النيل دارا كلف قضاة الاعمال فيها لحمل الرخام وغيره ، واستدعى لها الصناع من الشام ، وبالغ في اتقانها ، فبلغت النفقة عليها زيادة على خمسمائة الف درهم ، وبلغ السلطان ذلك فحدث الامراء بما بلغه ، وانكر على القاضي تمكن ولده من هذا . فبعث الامير عزالدين أيدير الخطيري الى القاضي يعنفه ويشنع عليه ويلومه على اتفاق ولده هذا المال الكبير ، فاعتذر عنه بأنه اقترض ما عمّر به هذه الدار ، فان سكنى القاهرة لم توافقهم واحتاجوا الى السكنى على النيل . واشترى في القاهرة دارا وجددها بما يزيد على مائتى الف درهم فكثرت الكلام فيه ، هذا مع جفائه للناس ، وقوة نفسه ، وسوء سيرته وسيرة اخوته ، وتغافل أبيهم عنهم وتصاممه عن الشكوى فيهم . فكتب في القاضي عدة اوراق للسلطان ونسب فيها الى انه لا يولي نائبا عنه في بلد حتى يجتمع باولاده . وشنّع فيها ان القضاة في ايامه انما تلي بالرشوة ، وكان السلطان لا يرشى ويعاقب من يرثي أشد العقوبة . وكان يراعى القضاة لما في نفسه من اجلهم وتعظيمهم ، الى أن تعاطم أمر اولاد جلال الدين وكثرت القصص فيهم وفي مملوكه . وعمل حسن الغزى الشاعر ، فيهم قصيدة « شنيعة » واوصلها الى شهاب الدين احمد بن فضل الله ، فقصد نكاية القزويني ، وأخبر السلطان بها ، وقرأها عليه ، فأثرت فيه ، وغيّرت على القزويني ومنها :

قاضٍ على الأنام سلك صارما بحدّه يلتقط الدراهم
 وسنّ من أولاده لها وما جردهم فانتهكوا المحارما

والشبل في المخبر مثل الأسد

* *

وابنه البدرى خطيب جلق بامرأة الكامل مشغوف شقي
بادره بالعزل فليس يرتقي مناير الاسلام إلا متقي
مترر ثوب العفاف مرتد

* *

يا مالك الاسلام يا ذا الهمة أزل عن مكة هذي الغمة
واحلل بعبد الله سيف النعمة فانه حجاج هذي الأمة
وأرد عنه ردع كل مفسد

* *

فلما حضر القضاة الى دار العدل لم يؤذن لهم في دخوله ، وعندما
نزلوا بعث السلطان الى القزويني مع الدواداران نائب الشام شكاً من
ابن المجد قاضي دمشق : وقد اقتضى رأيه أن تسافر الى الشام
قاضياً كما كنت ، فانه استحى وجهه منك ومن الامراء والناس ، وكل
ما عزمك أن ترجع ابنك عما هو عليه لا ترجعه ، فاذا حضرت بدار
العدل استعف من القضاء بحضرة الامراء ، واعلم اني آمر نائب الشام
انه اذا رأى اولادك على سيرة غير مرضية قابلهم بما يستحقونه •

عود الى دمشق :

فلما كان الخميس وحضر قاضي القضاة القزويني دار العدل
سأل الحاجب ان يسأل له السلطان في تمكينه من التوجه الى
دمشق ، فان مصر لم توافقه ولا وافقت اهله ، فأذن له السلطان في
ذلك ونزل القزويني فأخذ في وفاء دينه وكان عليه لجهة وقف التربة
الاشرفية المجاورة لمشهد السيدة نفيسة مبلغ مائتي الف درهم وثلاثين
الف درهم فباع املاكه واملاك اولاده وأثاثهم وتحفهم بربع ثمنها ،
وكانت نفيسة فباعوا من صنف الاواني الصيني بمبلغ اربعين الف
درهم ، وباع عبدالله احدى عشرة جارية ما بين ثمانية آلاف درهم

الجارية الى اربعة آلاف ، وباع من اللؤلؤ والجوهر والزرر كشم ما قيمته
أكثر من مائة وعشرين الف درهم ، وباع داره بالقاهرة بخمسة وثلاثين
الف درهم وأدوا ما عليهم من الدين للآيتام وغيرهم .

ويقول المقرئ بعد هذه القصة : « وسار قاضي القضاة بأهله
وأولاده الى دمشق ، وصحبته ستون زوج محايير على الجمال في
كل محارة امرأة ، وتأسف الناس على فراقه لمحبتهم له على بعضهم
لاولاده فانه كان كريما ، جوادا ، سخيا ، له صدقات ومراعاة لارباب
البيوت يهب الالف درهم ، ولم يعرف في دولة الاتراك بمصر قاضٍ له
مثل سعادته ولا مثل حظوته من السلطان وقوة حرمة» (١) .
وكان سفره في جمادى الآخرة سنة ٧٣٨ هـ ، وكانت مدة بقائه في
مصر احد عشر عاما .

وفي يوم الاحد ثامن عشر من جمادى الآخرة سنة ٧٣٨ هـ استدعى
السلطان عز الدين عبدالعزيز بن قاضي القضاة بدر الدين محمد بن
جماعة الشافعي وخلع عليه ، واستقر قاضي القضاة ، عوضا عن جلال
الدين ، وفي يوم الاثنين تاسع عشره طلع القضاة الاربعة وقبلوا يد
السلطان ، واستأذن قاضي القضاة عز الدين عبدالعزيز بن جماعة
الشافعي في عزل نواب الحكم فانهم جميعا انما ولوا ببذلهم المال الجزيل
لولد القزويني ، وانهم قد أفسدوا في الاعمال إفسادا عظيما . فاجابه
السلطان ان يفعل ما فيه خلاصه من الله تعالى ، فنزل ابن جماعة ، وكتب
بعزل قضاة الوجه القبلي والوجه البحري بأسرهم ، وعزل فخر
الدين محمد بن محمد بن مسكين من نيابة الحكم بمصر ، وولّى
عوضه بهاء الدين عبدالله بن عقيل ، وعين لقضاء الاعمال جماعة ممن
وقع اختياره عليهم فلم يجسر أحد على معارضته ولا مخالفته ، واستخلف
عنه في القضاء تاج الدين محمد بن اسحاق المناوي ، وضياء الدين محمد
ابن ابراهيم المناوي ، وعزل الضياء المحتسب من نظر الاوقاف حتى لم

(١) السلوك ج ٢ ق ٢ ص ٤٤٢ .

يدع احدا بالقاهرة ومصر وأعمالها ممن ولاه القزويني .
يقول المقرئزي : « فانكف عن الناس بذلك شر كبير وفساد كثير،
وسار رفقائوه الحنفي والحنبلي^(١) مثل سيرته في النزاهة
والصيانة »^(٢) .

والقى القزويني عصا الترحال في دمشق ليكون قاضي القضاة
فيها ، وفرح به أهل الشام فرحا عظيما ، لانهم وجدوا فيه رقفا كبيرا ،
وتيسرت لهم الارزاق والرواتب والمناصب باشارته . ولكنه لم يسلم
من التهم ، ولم يَسْجُجْ من حقد الحاسدين فرفعت عنه قصة الى السلطان
وفيها أنه يشرب الخمر ويفعل ويفعل ، فاتهم السلطان بكتابتها جماعة ،
ثم تأملها كاتب السر فوجد فيها علاء الدين الكونوي بالكاف مكان
القاف فعلم ان كاتبها هندي ، وفحصوا عن امرها الى أن وجدوا
فقيرا نزل قرب خاقاه سعيد السعداء ، وكان اولا مقيما بدمشق فوق
بينه وبين القاضي جلال الدين كلام اوجب انتقاله الى مصر فكتب الرقعة ،
ودسها الى ان وقعت للسلطان في دار العدل ، وامر بتعزيره وشهرته
فوقعت فيه شفاعاة واطلق^(٣) .

وفاته :

ولم تطل حياة القزويني فقد أصيب بالفالج ومات في السابع
والعشرين من جمادى الاولى سنة ٧٣٩ هـ (١٣٣٨ م)^(٤) أو في خامس
عشر جمادى الآخرة^(٥) ، أو في منتصف جمادى الاولى^(٦) . يقول

(١) جاء في هامش ص ٤٤٣ ج ٢ ق ٢ من كتاب السلوك « مما يوجب الالتفات هنا
أن قاضي القضاة الشافعي كان بيده عزل بعض موظفي الدولة من وظائفهم ، وهذا مدا
ما كان بيده من السلطة التنفيذية بصد نواب الحكم (القضاة) التابعين للهيه » .

(٢) السلوك ج ٢ ق ٢ ص ٤٤٣ ، وينظر الدرر الكامنة ج ٢ ص ٣٧٩ .

(٣) ينظر الدرر الكامنة ج ٤ ص ٦ والبدر الطالع ج ٢ ص ١٨٣ .

(٤) تاريخ ابن الادي ج ٢ ص ٣٢٤ ، والمختصر في أخبار البشر ج ٤ ص ١٢٨ ، ومعجم
المؤلفين ج ١ ص ١٤٦ .

(٥) النجوم الزاهرة ج ٩ ص ٣١٨ .

(٦) شذرات الذهب ج ٦ ص ١٢٤ ، ومفتاح السعادة ج ١ ص ١٦٨ ، وبغية الوعاة
ص ٩٦ والبدر الطالع ج ٢ ص ١٨٤ .

المقريري : « وفي مستهل جمادى الاولى (٧٣٩ هـ) صَلَّى صلاة الغائب على قاضي القضاة جلال الدين محمد القزويني » (١) .

ولم يشذ عن هذه الرواية الا ابن اياس ، فقد ذكر وفاته في حوادث سنة ٧٢٠ هـ يقول : « ثم دخلت سنة عشرين وسبعمائة . . وفي هذه السنة توفي قاضي القضاة جلال الدين القزويني » (٢) . وهذا خطأ مبين ، لان القزويني في هذا العام كان ما يزال في دمشق ، ولم يسافر الى مصر ليكون قاضي القضاة فيها .

وشيعه عالم عظيم ودفن بمقابر الصوفية الواقعة امام جامعة دمشق الآن ، واسف الناس عليه اسفا شديدا ، لانه كان محبوبا ، ذا منزلة سامية في قلوب الشاميين والمصريين .

وتولى بعده قضاء دمشق الشيخ تقي الدين علي بن السبكي ، يقول أبو الفدا : « وفيه - جمادى الآخرة سنة ٧٣٩ هـ - ورد الخبر الى حلب ان الشيخ تقي الدين علي بن السبكي تولى قضاء القضاة في الشافعية بدمشق المحروسة بعد ان حدث الخطيب بدرالدين محمد بن القاضي جلال الدين نفسه بذلك وجزم به وقبل الهناء ، فقال فيه بعض أهل دمشق :

قد سبَّك السبكي قلب الخطيب^٣ فعيشته من بعدها ما يطيب^٤

وبذلك انطوت صفحة قاضي قضاة الاقليمين (٤) ، ولكن صفحة عمله البلاغي لم تَطْوَ ، وستبقى ناصعة الى ما شاء الله .

(١) السلوك ج ٢ ق ٢ ص ٤٦٣ ، وينظر النهل الصافي ج ٣ ص ١٧٦ .

(٢) بدائع الزهور ج ١ ص ١٦١ .

(٣) المختصر في اخبار البشر ج ٤ ص ٢٤٩ .

(٤) جاء في شذرات الذهب ج ٦ ص ١٢٣ : « وفيها قاضي الاقليمين جلال الدين

محمد بن عبدالرحمن » .

اولاده :

أما اولاد جلال الدين القزويني فقد تتبعنا اخبارهم ووجدنا منهم عبدالله ، وهو اكبرهم - كما يبدو من كنية أبيه - ، فهم يقولون عنه: « أبو عبدالله محمد * * » وكان هذا الابن منذ نعومة اظفاره نبيها فحفظ التنبيه وغيره ، ودرب الاحكام وناب عن ابيه بمصر لما حج مع الناصر ، وكان اولاً قد قرر في كتابة الانشاء بدمشق ، وكان حسناً رائع الجمال ، ولما أسن صار ضخماً ، ثقيل الحركة ، وكانت له رغبة في اقتناء الخيول والمسابقة عليها فأخرجه السلطان مرتين من الديار المصرية بعد أن كثرت الشكاوى منه لسوء اخلاقه ، وعمراً بجزيرة النيل داراً يقال انه أتفق عليها ألف الف درهم ، فلما أخرج من القاهرة باعها * وكان كثير التنعم بالجواري الحسان والآية الثمينة ، وعنده من الكتب النفيسة ما ينيف على ثلاثة آلاف مجلد * وكان خطيب الجامع الاموي وتوفي في خامس عشر جمادى الاولى سنة ٧٤٣ هـ (١) * .

ومن اولاده بدر الدين محمد بن محمد ، ولد بعد سنة ٧٠٠ هـ وحضر على ابن الموازيني ، وأجاز له ابن مشرف شرف الدين الفزاري ، وتفقه ومهر في الخطابة * وخطب قبل أن يلي أبوه قضاء القضاة في حياة المشايخ الكبار ، ولما ولي أبوه القضاء استمر على خطابته وكان يدخل

(١) ينظر السلوك ج ٢ ق ٢ ص ٣٣٦ ، ٣٦٨ ، والدرر الكامنة ج ٢ ص ٢٩٤ .

مصر كل سنة فيقيم مدة ويرجع بتشريف ، فكانت له بذلك وجاهة ، ثم ولي قضاء العسكر ، وناب لاييه وكان الامر كله مفوضا اليه ، وولي نظر الأمانة ودرس بعدة اماكن ثم نزع منه السبكي نظر الأمانة بعض رؤساء والي مصر ، وكان وافر الحشمة ، جميل السيرة ، حسن التأدية للخطبة ، طيب النعمة . ولما مات ابوه سمت همته الى ولاية القضاء فلم يتفق له ذلك ، وانتكست أحواله الى ان اكده الحزن ، ويقال طلعت على قلبه دبله ، ومات في جمادى الآخرة سنة ٧٤٣هـ (١) .

ومنهم عبدالرحيم تاج الدين ، ولد في حدود سنة ٧١٠ هـ ، وكان أعلم الشفة ، لكنه فصيح ، ولما مات بدرالدين استقر في خطابة الجامع بدمشق الشيخ تقي الدين السبكي ، فلما ملك الفخري دمشق أعاد الخطابة لتاج الدين ، ولما دخل السبكي القاهرة مطلوباً في أيام الصالح اسماعيل بلغ تاج الدين أنه ولي الخطابة فصعد المنبر يوم الجمعة وقال وهو جالس قبل الخطبة ، « هذا السبكي اخذ منا الخطابه وقطع رزقنا » . وبكى فبكى العوام معه وتعصبوا له ، فلما جاء السبكي كادوا يرحمونه ، فترك الخطابة له واستمر فيها الى أن مات في الطاعون العام في ذي القعدة سنة ٧٤٩ هـ ، يقول الصفدي : « كان يخطب بلحن ويوردها بلا لحن ، ويقرأ طيباً في محرابه ، ويأتي من نعمة النعمة ببا هو اخرى به ، وكان يتعاجم في كلامه ، وله عند العوام قبول عظيم ، وكان مدرس الشامية الجوانية ، وكان قد قرأ في العربية على ابن عقيل ، وفي الاصول على شمس الدين الاصبهاني ، ولم يكن له يد في شيء من العلوم البتة ، وكانت جنازته حافلة جدا » (٢) .

ومنهم عبدالكريم محمد بن محمد صدرالدين ، تولى التدريس بالاتابكية بدمشق ثاني يوم من ذي الحجة سنة ٧٣٨ هـ . وتولى أخوه الخطيب بدرالدين التدريس في الغزالية والعادلية نيابة عن أيهما قاضي

(١) الدرر الكامنة ج ٤ ص ٣٦١ ، ج ٤ ص ٨٥ .

(٢) الدرر الكامنة ج ٢ ص ٣٦١ .

القضاة»^(١) . وكان لعبدالكريم ولد اسمه محمد ، مات بدمشق في جمادى الاولى سنة ٧٥٥ هـ ، وقد ذكر ابن حجر انه حينما مات لم يجدوا له كفناً^(٢) .

وقد نال القزويني عنت وضيق بسبب هؤلاء الابناء ، ولفقت القصص عليه للتشنيع به ، فكان جزاء اعمالهم ان اخرج من مصر الى الشام .

(١) المدارس في تاريخ المدارس ج ١ ص ١٢٢ .

(٢) الدرر الكامنة ج ٤ ص ٢٤ .

مدائح ومراث :

وللشعراء في جلال الدين مدائح ومراثٍ كثيرة ، وقد عثرنا على قسم منها ثبتها هنا ، لأنها تعكس قيمته بين معاصريه وعلاقته بعلماء زمانه .

قال المقرئ وهو يتحدث عن الموشحات : « وهذا المنحى هو الذي سلكه الجمال ابن نباته اذ قال مادحا جلال الدين الخطيب رحم الله تعالى الجميع » (١) .

ما سَحَّ محررٌ دموعي وساح
الا وفي قلبي المعنى جراح
على الملاح

* *

بي من بني الاتراك حلو الشباب
عشقتة حين عدت الصواب
تشكو حشا الغزلان منه النهاب
وربما تشكو الفصون اكتاب
ما ماس ذاك الغصن بين الوشاح
الا وراح
قول عدولي كله في الريساح

* *

(١) نفع الطيب ج ١ ص ٢٩٤ .

آها لصبٍ معه حيث كان
 هذا أسير في وجوه الحسان
 أرَّقَ جسمي بالضنا يوم بان
 فها أنا اليوم له يا فلان
 يزيد اجفاني ندى وارتياح
 مثل جلال الدين يوم السماح

✱ ✱

جبر له في الخلق ذكر جميل
 ماح على غيظ الغمام البخيل
 ما رأت العين له من مثل
 يوقد في اوطانه للنزير
 شرارها في الكبر حمر صحاح
 لكنها في القلب عذب قراح

✱ ✱

يا مالك العلم وفيض الندى
 فابق وكل العالمين الفدا
 انت الذي اصبح غيث الجدا
 كم يقتنى منك وكم يقتدى
 علم جلى ونوال صراح
 يروي به راوى الرجاء عن رباح

✱ ✱

ومغرم لا يختشى من رقيب
 معلق القلب بشجو عجيب
 يسكر لكن بصفات الحبيب
 لما رنا الطيبي وماس القضيب
 ولا عذول ولا وصول
 لا بالشمول اضحى يقول

كم ينتضي جفنا وعظفا صفاح
على رماح ما ذي محاسن ذي خزائن سلاح

* *

ولابن نباتة المصري قصائد أُخِرَ في مدح القزويني ولعل أقدمها
قصيدته التي يقول فيها :

يا يروقا على ربي يبرين^(١) أي بيض أغمدت بين الجفون
نحرت نصلك الكرى فلهذا سال في مقلتي دم من شجوني
وحكت رونق الثغور الى ان ضحكت بالبكا ثغور العيون
آه للشعر والهم العذب امسى منهما العقل بين ميم وسين

وغريره ما زلت ألقى الهوى فيه بدمع واف وصبر خؤون

ما عدولي في جبه برشيد لا ولا رأي ناصحي بأمين
وديار عن الأجرة اقوت فصداها لبعدهم كالانين
درست فهي لا تبين الا بالاسى تستفز قلب الحزين
أو أرى في أراكها ضوء ثغر كلما ضلّ رسمها يهديني
معبد طالما نعمت وعيشي مستتاح اليدين غير ضنين
بغصون من أرضه كقدودٍ وقدود من اهله كغصون
وجنان الخدود يفتح فيها اللثم صدغا اطل كالزرفين

كنت فيها اثرى الانام من الصبوة واللهو والصباء والمجون
بين راح من الاباريق مكيول ، ولفظ من الغنا موزون
ذاك عيش "مضى عزيزا ، ولا غروا لعين تبكي بماء مهين
ووجوه مثل الدنانير قد عاجلها دهرها بصرف المنون

ثم زال الصبا ومن كان يثصي وشجوني كما علمت شجوني
لست أسلو تلك المحاسن حتى يتسلى الندى جلال الدين

(١) يبرين : قرية بضواحي حلب (ينظر ابن نباتة المصري ص ١٥٤) .

ملتقى القصد ، مرتقى المدح ، مهوى الرقد، غوث الولي، غيظ القرين

بحر فقه وان تشا فابن بحر
وخطيب يكفي الخطوب بلفظ
ساجع يورق المنابر ميساً
وأمام المحراب يشهد علم
وسري ضاهى الهلال ارتفاعاً
ساور الفرقدين عنه الى أن
ضاع مدح يهدى لغير علاه
فعلت راحتاه في كل عسر
كل يوم فتوة وفتاؤ

كلما قلل الثناء له نعمى اتاننا بجوده بكمين
قسماً بالضحى لديه من البشر، وبالليل من يراع أمين

إن نظم المديح فرض علينا
شبه الناس جوده بالفوادي
شرف في تواضع واحتمال
هكذا يفخر المحاول فخرنا
وهن الشهب سابقا واعتدى من
وسمى بينها الى ان أتى منها بلفظ زاهٍ ورأي رصين
لجأ الفضل في علاه بطود
ويراع قد كان مرباه قدما
مشخر سامي المثال ركين
في عرين يسقى بغيث هتون

فهذا في الجود حاكى جبا الغيث، وحاكى في اليأس أسد العرين

فيه سحر يبين عنا شكوكا
ووقى كل أمر جلب القصد لمغناه غير ما مغبون
من اناس سادوا وشادوا معاليهم بشد عند الفعال ولين
مثل ييض من الظبا روتقا في صفحات وجدّة في متون

ملكو ارياة البيان وحلوا عنق الدهر بالكلام الثمين
 أيها الماجد الذي حصن الدين بأوراق كتبه في حصون
 أمر الله أن تسود ويزهى حينك المجتبي على كل حين
 فابق سامي المحلداني العطايا سامق المجد دائم التمكين
 واجتلر البكر من ثنائي لا تحتاج من واصف الى تزيين
 انت اولى يا بحر علم وبر كل وقت بمثل هذي النون
 سلكت راحتك ما استصعب الناس من الجود والعلی في الحزون
 أصل هذا الانام ماء ولكن أنت من رائق وهم من أجون^(١)

وهذه القصيدة وان لم تكن لها قيمة فنية فانها تعطينا صورة واضحة
 عن منزلة القزويني واهميته في الخطابة والقضاء والتأليف ، وقيمته بين
 رجال عصره من العلماء والادباء .

وقال ابن نباتة في الخطيب القزويني :

حاشاك يا عارض المكارم من عارض بأس يضي وتكيد
 قم للعلی والعلوم مشتملاً ثياب سراء ذات تجديد
 يعتل عنك النسيم سائده وتحمل السقم أعين الغيد
 أنت الذي خبره ومنظره آذن أمداحنا بتسيد
 سر لمغناك من ما ربنا نجائب فاستوت على الجودي^(٢)

وقال ابن نباتة في القزويني عندما تولى قضاء الشام سنة ٧٢٤هـ،
 وقد أشار الى هذه الحادثة في معرض تهنئته :

سقى حماك من الوسمي باكره حتى تبسم من عجب أزاهره

(١) ينظر ديوان ابن نباتة المصري ص ٤٦٥ - ٤٦٧ ، وسجع الطوق (مخطوطة دار
 الكتب بالقاهرة ص ٢٢ ب ٩) و (مخطوطة الاوقاف ببغداد ص ٥٧ - ٦٠) .

(٢) ديوان ابن نباتة ص ١٦١ .

يا دار لهوي لا واشٍ آكاته
حيث الشبيبة تُصبي كل ذي حور
من كل محتكم الاجفان يخرجنا
ظبي اذا شمت خديه ومقلته
يأوي الى بيت قلب فيه مخترب
كأنه بيت شعري عروض جوى
ليهن من باب مسرور بهجته
مجري الدموع على طرف تألفها
كم ليلة بت أشكو من تطاولها
وارقب الشهب فيه وهي ثابتة
حتى بدا الصبح يحكي وجه سيدنا
لله صبح تجلى للشريعة عن
افدي البريد وللتقليد في يده
يكاد يلمع مطوي السطور به
مسرة كان طرف الشرع يرقبها
قاضي القضاة اذا استجدها زائره
هذي كؤوس الثنا والحمد مترعة
واسمع مدائح قد فاه الجماد بها
ما أحسن الدين والدينا يسوسهما
كأنّ أبيض هذا تلو أسود ذا
حيث المقاصد في أبوابه زمراً
فاستجّل طلعة ذي بشر وذي كرم
تصبو لجبر فتاويه لواحظنا
وينفذ الامر كالسهم القديم فما
لا شيء أحسن من مرآه مقتبلا
تجلو المهابة في ناديه رونقها
وفهم السر من حاجات أنفسنا

ولا رقيب بمغناها أحاذره
سيان أسود مرآها وناظره
من أرض سلوتنا في الحب ساحره
أذاب لاهبه قلبي وفاتره
فاعجب لمخرب بيت وهو عامره
دارت عليه بلا ذنب دوائره
إني عليه قريح الطرف ساهره
فاستسهلت لمجاريتها محاجرته
عليّ والافق داجي القلب كافره
كأنما سمّرت منها مسامره
قاضي القضاة اذا استجدها زائره
ذاك الجلال لقد جلت مآثره
مخلّقت تملأ الدنيا بشائره
حتى ينم على فحواي ظاهره
ومطلب كانت العليا تجاوره
سبل القريض وصاغ القول ماهره
باكر صبوحك أهنا العيش باكره
وقد ترنم فوق الايك طائره
والطيلسان فلا تخفى مفاخره
عين الزمان الذي ما زاغ باصره
فليس للدهر ذنب وهو غافره
كالغيث بارقه الساري فمطره
فما عيون المها الا محابره
تحيد عن غرض التقوى او امره
إلا محاسن ما ضمّت سرائره
فما نكاد بنجوانا نجاهره
فما نطق على أمر نساتره

وفازَ بالشرف المأثور ظافره
 فاحكم بعلمك فيما انت ناظره
 طال الزمان وما سدت مفقره
 في المكرمات وقد أريت اواخره
 تأبى معاليه أن تخفى عناصره
 تلك الحظوظ بها إلا معايره
 في الناس لوقصرت جدواه عاذره
 لقد تفرّد بالأدب شاعره (١)

ياحا كما صان سوح الدين عاضده
 ولتت بالعلم لا بالحظ مرتبه
 وانظر لحال غريب الدار مفتقر
 نعم الفتى أنت قد برت أوائله
 ييمته دلفي الاصل منتسبا
 لا يستقر بكفيه الثراء فما
 زكا وأمكنه فعل الجميل فما
 لئن تفرّد بالعلياء سؤدده

وقال يمدحه أيضا :

لست أدري أدنى الامانة أم لا ؟
 فتولى بي الهموم ووتى
 لا حديثي ، فكان يحسن ثقلا
 أطرقت في رياضها القضب خجلى
 ك ، فيا جذبا الحسام المحلّى
 جفناً ، فصير الجفن نصلا
 مدّ فرعا ، فصير الفرع أصلا
 فرأينا مرعى وماء وظلا
 حطّ يا ظبي عن جفونك ثقلا
 ونعم فوق نار خديه يسلى
 واشتياقي اليه أهلا وسهلا
 شخصه كالاريجي منه عدلا
 وهو ان ماس أعدل الناس شكلا
 لحظ تكلم الناس طنفا
 شدّ ما قد بخت قولاً وفعلاً
 خان بعد الولاء والود خلا

إنّ طيفاً عن حال شجواي أملى
 جاء ضيفا ورده سهد عيني
 ليت طيف الحبيب ينقل جسيمي
 بأبي من اذا تشى دلالاتي
 فاتك اللحظ وهو حلو من الفت
 عرف الناس سحر عينيه لما هزّ
 وعليه تأصل الحب لما
 مدّ صدغا على عذار وخد
 ورنّا بعده الغزال فقلنا :
 ليس يسلى هواه من قلب صب
 يا سلوي عليه بعداً وسحقا
 أشتكى جوره التذاذاً بذكرى
 عجبى منه ظالمًا مستظيلا
 باخل بالكلام لكن له سيان
 يا بخيلا بلفظه ولقاه
 خنت عهدي ولست أول خل

(١) ديوان ابن نباتة ص ١٩٨ - ١٩٩ .

وب، يوم قد كان ريقك فيه لي راحا وكان خدك ثقلا
 سألني عن قديم دهري اليها ذلك وقت مضى ودهر تولي
 وليال جادت واعقت الهم، فيا ليت جودها كان بخلا
 وحيب جفا ولست بساليه وحاشاك ذاك الجمال وكلا
 تتقلني به العواذل غنبا فهو يهوى، وعدلي فيه تتقلني
 عدلونني وفي الحشا عقد ود لم يدع لاستماع عدل محلا
 أنا في الحب مثل قاضي قضاة الدين في الجود ليس يسمع عدلا
 معرف في العلى لما فيه يتلو وثناه على البسيطة يتلى
 دلفي يوم الفخار يجلى وبه منهم الخطوب تجلى
 حاز غايات أهله بسماع قدّمته الى السيادة أهلا
 فأفاض الجودين عدلا ومالا وحمى الجانبين حزنا وسهلا
 وحرام أن يطرق العسر والجور، فتى كان في مغايبه حلا
 همة تحسب النجوم على الأفق شعاعا من جرمها تتجلى
 وعلوم فاضت على الارض بحراً هاديا لم يعف كالبحر سبلا
 كم قضى فرض قاصد لحماه ثم والى فاتبع الفرض ثقلا
 كم جينا منه المواهب شهدا اذ بيناله الركائب نملا
 كم الى بيت ماله في العطايا قد ضربنا بطالع العيس رملا
 لائمه على المكارم كهوا إن للعب بالصباية شغلا
 يا له سالكا بغير ميثيل في طريق من السيادة مثلى
 واماما اقلامه كل يوم تتلقى الاقلام قدح معلى
 صان للفضل ذمة وحوى العلم جميعا، فلم تقل فيه إلا
 لو ارادت شهب النجوم علاه ما عزا الفيلسوف للشهب عقلا
 ما أذء النعمى لديه، وما أشقى حسودا بناره بات يصلى
 وعدوا ان لم ينزله بالقتل كفاه سيف التحسد قتلا

أضعف الهم جسمه فاذا قال لرجليه بادري كتبت° : لا
 قد بلونا السادات شرقاً وغرباً فوجدنا جلال علياه أجلي
 قيل يعني عطار دقت : لا ، بل مشتري الحمد بالنفائس بدلا
 يا إماما إذا المفاخر نادته ، مشى صاحب الزيول مُدلا
 أتشكى لك الزمان الذي تملك إصلاحه لديّ فهل لا ؟
 ومقام للعلم لولا نظام من مساعيك ما تنظم شملا
 ومحارِب شدتها بدروس وصلاة تجبى اليك وتجلي
 جدا أنوار شخصك في سجاد محرابه النقى والمصلى
 ربّ مدح لولاك أمسى محالا ورجاء لولاك أصبح محالا
 جدا لي مدائح فيك تبنى من حياء كالروض يحمل طلا
 طال املاؤها عليك ، ولكن لك كف من العطالين يملا
 عادة لامها النصيح على البذل، فقالت سجية الاصل : مهلا
 إنّ أكن أحسن الثنا فيك قولا فلقد أحسنت أياديك فعلا
 زادك الله بسطة واقتدارا ومقاما على السها ومحلا
 جمع الله فيك ما عزّ في الخلق فسبحانه ، وعزّ وجللا (١)

وفي ديوان ابن نباتة قصيدتان لم يذكر البشتكي جامع الديوان
 انهما قيلتا في الخطيب القزويني . والناظر فيهما يحس احناسا قويا
 بانهما في قاضي القضاة جلال الدين ، وقد قيلت احداهما للتهنئة بالحج ،
 يقول فيها :

وكادت تبارينا دمشق بشجوها اليك وقد تشجى الربى والمعالم
 لئن أوحشتها منك ربوة سؤدد لقد أوحشتها من نذاك المقاسم
 فوافيتها ، والعيش مقتبل الهنا وعزمك مبرور وسرحك سالم

(١) ديوان ابن نباتة ص ٥٥٢ - ٥٥٤ .

إليك جلال الدين أصبحت العلي وسلّم أعراب البورى والاعاجم (١)

والثانية يشير فيها الى أصل القزويني ، يقول :

بني دلف طبتم وطاب قديمكم فأكرم بكم فرعا، واکرم بكم أصلا (٢)

وكانت قصائد ابن نباتة المصري قد قيلت في القزويني حينما كان يشغل منصب خطيب جامع دمشق ومنصب القضاء فيها . واقطع ابن نباتة عن المديح ولم يقل في القزويني بعد ذلك إلا مرثية واحدة بعد عودته الى دمشق ووفاته فيها . يقول :

كلّ حي قاضٍ عليه زوائيه والى هذه السبيل مآله
يا جلالاً عن الزمان تقضى عز رب قضى وجلّ جلاله
ما اقتضى حظنا بقاءك فينا واحداً تشمل الأنام ظلاله
هادياً للندى وللعلم ترجى كل يوم أقواله وفعاله
أين ذاك الغمام يدنو الى الناس ندى كفه ، ويعلو مناله
أين احكامه وأين علاه ؟ أين أقلامه وأين نواله ؟
قف بقبر الإمام يا نادب الفضل ، وخلّ البكاء تهمي سجاله
وانثر الدمع حول مشواه ثراً مثلما ينثر الكلام ارتجاله
ودع الشعر كان للشعر وقت بندها وقد تغير حاله
وسلا الصب واستراح المعنى لا صباباته ولا عذالته
أقفرت ساحة العلي فيبوت الشعر من بعد بعده أطلاله
آه للظالين علماً ورفداً بعدما غاض عزمه وأحتفاله
طالب العلم فيه للنحو نوح لا تسل عنه كيف أصبح حاله
طالب الجود مات من كان في الجود تبارى تحني يديه شماله

(١) ديوان ابن نباتة ص ٤٣٢ - ٤٣٣ .

(٢) ديوان ابن نباتة ص ٥٥٦ .

طالب العلم مطلقا خل عنه قيد العلم حزنه و كلاله
 مات من كان ملتقى كل قصد والى الله قصده و اتكاليه
 عجباً من سريره يوم أودى كيفما أوردت ورقته و كلاله
 عجباً من زمانه حين ولّى كيفما سئرت و دكّيت جباله
 صعّدت روحه لامثالها الزهر و في الارض أين أين مثاله
 فتهاوت كواكب الافق تسعى و انحنى يبدأ السلام هلاله
 و عدمننا نحن الندى و لقينا يتقاضى و قد الرجاء جلاله
 يا له من مصاب دين و دنيا طال فينا اشتغاله و اشتغاله
 شاب كالشيخ طفله و بسكى الاشياخ فيه كأنهم أطفاله

ونعت مصر و الشام إماما طرزت مجد ذا وذاك خلاله (١)
 كم مقام كما سمعت ملوكي و لديه تصرفت افعاله
 كم يميناه قصة قد أجيت و سؤول بها أجيب سؤاله
 كم قريب دعا به و بعيد وهو هام يد الندى هطاله
 كم أتتني مع الركاب لهاه و وقت لي مع الزمان خصاله
 لو بقدر الأسي بكيت لسالت مهجة كم وقت لها أفضله
 في سبيل العلى غمام تولّى بعدما أخصب الورى اقباله
 هكذا عادة الزمان بنوه بسط ظل كما ترى و زواله
 و دفين على بقايا دفين مثلما قال من سرت امثاله
 كم الى كم هذا التغافل منا عن يقين الردى و هذا التباله
 جاد يا قاضي القضاة ضريحا كان فيه غيث يسر انهماله
 و جزى الله جود كهك عنا و تولاك جوده و نواله
 لك منا نشر النسيم ثناء و لنا بالاسى عليك اعتلاله (٢)

ولابن نباتة المصري ترجمة للقزويني في كتابه « سجع المطوق »

(١) في هذه البيت وغيره اشارة الى الوحدة السياسية بين الاقليمين : المصري و الشامي .

(٢) ديوان ابن نباتة المصري ص ٤٠٤ - ٤٠٥ .

ولكنها سجع كلها ، ومدح وتعظيم له • وقد ختمها بالقصيدة النونية السابقة ، ورسالة كتبها اليه في يوم مثلج هي (١) :

« يا مولانا صبحك الله بكل صبيحة بيضاء لا من هذه الثلوج الملحة ، وكل غنيمة باردة لا من هذه الليالي المدلهمة • وكل ثغر باسم ، ولا أعني هذه البروق اللامعة ، وكل ضرع حافل ولا أرضى هذه السحب الهامعة •

وسقى ديارك - غير مفسدها - صوب الريح وديمة تهمي كيف أنت في هذا الجليد الذي أذاب قلب الجليد ، وهذه الرحمة التي أوقعتنا في العذاب الشديد ، وهذا البرد الذي لا تقوى عليه الاجساد اذا كان يقوى على البرد الحديد • وهل عندك خبر من حال معتز مغترب ، مضطر مضطرب ، ساجد من شدة الهول مقترب •

أما أنا فقد تحصنت في هذه الواقعة بظل السماء ذات البروج ، ولبست السحاب الأبلق إلا انه من زرقة الجسد وبياض الثلوج • وتقاويت وما قوة من أشابه الضرب صورة ومعنى • وشاهدت الموت فليت الأيام أباحت لي من الكسوة كفنا حين أتاحت لي من الثلج قطناء • وجربت قول العربي المقرر ان الحسب ليديني فما وجدت الحسب إلا يدفني • واستصوبت قول الآخر وقد رأى أعرايا في مثل هذا اليوم ينشد :

كساني عامر فكسا بنيه عطا المجد إن له عطا

وقال : والله انك الى عطا عباءة أحوج منك الى هذا العطا ، وهذا وقت عاطفة من كرم مولانا تعطى على هذا الشين ، وتنصرف من هذا البلد الذي لا ازال فيه من برد جسد وسخنة عين ، وارسالها من ملابس الشريعة وثيرة الجوانب قوية المناكب أكف بها العبرات والعبر ،

(١) هذه القطعة والتصائد السابقة اضيفت في اثناء الطبع لتعطي صورة واضحة من ملانة القرويني بابن نباتة المصري •

واخلف قيس بن عاصم فاصبح سيد أهل الوير . والله تعالى يعين
بكرمه على هذا القطر وقطاره والافق ومطار امطاره ، ويعيننا على هذا
البرد وان كان لؤلؤا منثورا ، وهذه السقيا وان كان مزاجها من الثلج
كافورا « (١) » .

ويقول في القزويني صلاح الدين خليل بن ابيك الصفدي وكيل
المال وامام الادب في عصره من قصيدة امتدحه فيها :

هذا الامام الذي ترضى حكومته خلاف ما قاله النحوي في الصحف
له على كل قول بات ينصره وجه يسان عن التكليف بالكلف
حبر متى جال في بحث وجاد فلا تسأل عن البحر والهطالة الوطف
قد ذب عن ملة الاسلام ذباً فتى يحمي الحمى بالعوالي السحر والرفع
ومذهب السنة الغراء قام به وثقف الحق من حيف ومن جنف
يأتي بكل دليل قد حكى جبالا فليس ينسفه ما يغلف النسفي
وقد شفى العي لما بات منتصرا للشافعي برغم المذهب الحنفي
يجيي دروس ابن ادريس مباحثه فحبذا خلف منه عن السلف
فما رى ابن سريج ان يناظره من خيل ميدانه فليمض او يقف
ولو أتى مزني الفقه أعرقه ولم يعد قطرة في سحبه الذرف
وقد أقام شعار الأشعري فما يشك يوما ولا يشكو من الزيف
وليس للسيف حد يستقيم به ولو تصدى له ألقاه في التلف
والكايبي غدا في عينه سقم اذ راح ينظر من طرف اليه خفي
من معشر فخرهم أبقاه شاعرهم في قوله : انما الدنيا ابو دلف (٢)

كلمات فيه :

وذكره القاضي شهاب الدين فضل الله العمري في كتابه « مسالك
الابصار » فقال : « من ولد أبي دلف ، ومن مدد ذلك السلف . ولي أبوه

(١) سجع المطوق (مخطوطة دار الكتب في القاهرة ص ٤٥) و (مخطوطة الاوقاف
بيفداد ص ٦٠) .

(٢) طبقات الشافعية ج ٥ ص ٢٣٩ .

وأخوه وشبهت النظراء ولم يؤاخذوه • ولي الخطابة وسلافيها ، ورقى
اعواد المنابر وهز غصنها ، وكان صدر المحافل اذا عقدت وصيرفي
المسائل اذا اتقدت • وكان طلق اليدين والكرم وان كان بالدين
اتهى» (١) •

وذكره الشيخ ابن نباتة المصري في سجع المطوق فقال : « الإمام
المقدم على التحقيق والعمام المنشيء في مروج مهارقه كل روض أنيق •
والسابق لرايات العلوم الذي أخلى له نحوها عن طريق • والبادي
المطل على دقائقها التي اعترف له بالتقصير ذوو التحليق • والهادي
لمذاهب السنة الذي يشهد البحث أن بحر فكره عميق • والجبر أندى
لا تدعى تفحات ذكره الزهور والصحيح انه أعطر من المسك العتيق •
ناهيك من رجل على حين فترة من الهمم وظلمة من الدهر لا كالظلم •
أطلعه الشرق كوكبا ملاً نوره الملالاً بل بدر لا يعتر بأشعة يواضعه
الاعلون فسر بنوره الى الابل صباحا فيحمد لديه الطالب سراه لابل
شمسا يتمثل في شخصه علماء الدهر الغابر فكان مرآة مرآه» (٢) •

(١) طبقات الشافعية ج ٥ ص ٢٣٩ •

(٢) سجع المطوق (مخطوطة دار الكتب في القاهرة ص ٢٠) و (مخطوطة الاوقاف
بيفداد ص ٥٤) • وينظر طبقات الشافعية ج ٥ ص ٢٣٨ •

آثاره ومنهجه

١

نشأت البلاغة العربية مسائل متفرقة في كتب القراء ، وأبي عبيدة ، والجاحظ ، والمبرد . وكان ابن قتيبة - فيما نرى - أول من رتب بعض موضوعاتها وبوبها ، وعقد في كتابه « تأويل مشكل القرآن » أبوابا للمجاز ، والاستعارة ، والمقلوب ، والحذف ، والاختصار ، وتكرار الكلام ، والزيادة فيه ، والكناية ، والتعريض ، ومخالفة ظاهر اللفظ معناه . وكان لهذا التبويب أثر فيما كتب ابن المعتز الذي خطا بالبلاغة خطوة كبيرة نحو التبويب والتهذيب .

واخذت البلاغة تنمو وتزدهر حتى ظهر عبدالقاهر الجرجاني فسار بها نحو الكمال ، وقرّر مسائلها ، وهدبها فكان كتاباه : « دلائل الاعجاز » و « اسرار البلاغة » قمة البلاغة العربية ، تجلت فيهما العقلية الواعية التي تفهم الامور وتتذوق الأدب ، وبدا فيهما التبويب والتقسيم واضحا حتى عدّه بعض الباحثين واضع علمي المعاني والبيان بمفهومهما الاخير^(١) .

(١) ينظر هامش ص : ت ، ث ، ج في دلائل الامجاز وهامش ص ٤٦٩ في دائرة المعارف الاسلامية (الطبعة العربية مادة بديع) ، وامالي علي عبدالرازق في البيان وتاريخه ص ٢٢ .

والواقع ان عبدالقاهر لم يكن واضح هذين العلمين ، لان رجال البلاغة كانوا قد بحثوا موضوعاتهما منذ عهد مبكر ، فتكلموا على المجاز ، والاستعارة ، والتشبيه ، والتقديم والتأخير ، والحذف والذكر ، والاطناب والايجاز ، والتجنيس . ولم يأتِ عبدالقاهر بموضوعات جديدة الا ما كان من تهذيب ، وتبويب ، وتحليل للنصوص الادبية . وكان بحثه لا يختلف عن السابقين ، وكتابه المشهوران يضمن موضوعات البلاغة كلها من معان وبيان وبديع ، ولم يفرق بينهما كما فعل المتأخرون ، ولم يقل هذه موضوعات المعاني ، وهذه مباحث البيان ، وتلك فنون البديع . وكانت طريقته في عدم تقسيم البلاغة الى علومها الثلاثة مدعاة لتقد المتأخرين ممن سيطرت على عقولهم نظرة تقسيم البلاغة فقال التفتازاني السائر في فلك السكاكي عن كتب عبدالقاهر : « كأنها عقد قد انفصمتناثرت لآليه » (١) . ومن أجل ذلك لا نستطيع أن نقول بان عبدالقاهر واضح علمي المعاني والبيان لسبيين :

الاول : ان موضوعاتهما قد بحثت قبله .

الثاني : أنه لم يفصل بينهما كما فعل المتأخرون .

ويمكن القول بانه مهد السبيل الى ذلك وأنه وضع « اسس المنهج التحليلي في دراسة البيان أو المعاني العقلية ومسايرة العبارات نها ودلائها عليها » (٢) .

وكان عبدالقاهر نفسه يرى ان هناك علما واحدا غاية الخائض في موضوعاته ان يستشير الاسرار التي ترفع من قدرة الكلام وتمنحه رتبة الشرف وتحله ذروة البلاغة .

وتمخضت عن الدراسات البلاغية مدرستان هما : المدرسة الادبية

(١) المطول ص ١٠ .

(٢) البيان العربي ص ١٣٣ .

والمدرسة الكلامية ، وكان لكل منهما خصائصها ومنهجها ، ولكنهما تنفقان في أمور منها : ان كليهما لم تقسم البلاغة الى علومها الثلاثة ، وانما كانت موضوعاتها تبحث على اعتبار انها فن واحد الهدف منه استشارة الاسرار التي ترفع من قيمة الكلام ، فلا تمييز بين موضوعات يحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره ، وموضوعات يراد بها معرفة ايراد المعنى الواحد في طرق مختلفة بالزيادة أو بالنقصان ، وموضوعات يعرف بها وجوه تحسين الكلام .

منهج السكاكي :

ولم تزل البلاغة تكمل شيئا فشيئا الى أن مَحْضُ السكاكي (١) زبدتها ، وهذب مسألتها ، ورتب ابوابها ، فكان أول من قسم البلاغة الى علمين متميزين : علم يتعلق بالنظم سماه « علم المعاني » ، وعلم يتعلق بالتشبيه ، والمجاز ، والكناية ، أو بالصورة الادبية سماه « علم البيان » . ولم يطلق على القسم الثالث مصطلح « علم البديع » وانما هو عنده وجوه مخصوصة يثوتى بها قصد تحسين الكلام . ولهذا عرف البلاغة تعريفا لم يدخل فيه البديع فقال : « البلاغة : هي بلوغ المتكلم في تأدية المعاني حدا له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها ، وايراد أنواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها » (٢) .

وعرف علم المعاني بأنه : « تتبع خواص تراكيب الكلام في الافادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره » (٣) . وقرر - كما قرر غيره - أن كلام العرب ضربان : خبر وطلب ، ولذلك قسم المعاني الى قانونين : الاول يتعلق بالخبر ، والثاني يتعلق بالطلب ، وقسم القانون الاول الى أربعة فنون :

-
- (١) ينظر منهج السكاكي في كتاب « البلاغة عند السكاكي » ص ١١٥ وما بعدها .
 (٢) مفتاح العلوم ص ١٩٦ .
 (٣) مفتاح العلوم ص ٧٧ .

الاول : في تفصيل اعتبارات الاسناد الخبري ، تكلم فيه على انواع الخبر ، واغراضه ، ومؤكداته ، وخروجه عن مقتضى الظاهر .

الثاني : في تفصيل اعتبارات المسند اليه ، تحدث فيه عن حذف المسند اليه ، وذكره ، وتعريفه ، واضماره ، وتكلم على وصف المعرف ، وتأکید المسند اليه ، وبيانه وتفسيره ، وبدله ، والحالة التي تقتضي العطف والفصل ، وتنكيره ، وتقديمه على المسند ، وتأخيرها ، وقصره ، وخروجه على مقتضى الظاهر ، والالتفات .

الثالث : في تفصيل اعتبارات المسند ، تحدث فيه عن حذف المسند ، وذكره ، وافراده ، وكونه فعلا ، وتقييده ، وترك تقييده ، وكونه منكرا . وتكلم على تخصيصه ، وتركه ، وكونه اسما معرفا ، وجملة فعلية ، واسمية وظرفية . وتحدث عن تأخير المسند وتقديمه ، وعقد في هذا الفن فصلا تكلم فيه على الفعل ، وذكر تركه واثباته ، وترك مفعوله واثباته ، واضمار الفاعل واظهاره . ثم تكلم على اعتبار التقديم والتأخير مع الفعل ، والجمالات المقتضية لتقييد الفعل بالشرط .

الرابع : في تفصيل اعتبارات الفصل والوصل ، والايجاز والاطناب . وبعد أن انتهى من هذا الفن عقد للقصر فصلا خاصا ، لانه ارجأ بحثه الى هذا المكان في كتابه « مفتاح العلوم » .

وقسم القانون الثاني الى خمسة أبواب هي : التمني ، والاستفهام ، والامر ، والنهي ، والنداء . وبعد أن انتهى من بحث الخبر والطلب تكلم على استعمال الخبر موضع الطلب ، واستعمال الطلب موضع الخبر ، وذكر اسلوب الحكيم في نهاية بحث المعاني .

بهذا المنهج بحث السكاكي علم المعاني ، وبهذا التقسيم رتب موضوعاته ، ويلاحظ أنه قدم البحث في الخبر مع أن كثيرا من الموضوعات التي بحثها فيه لا تخص الخبر وحده ، وانما هي مشتركة

بينه وبين الطلب • وعلى التفتازاني هذا المنهج بقوله : « وانما ابتداءً
 بابحاث الخبر لكونه اعظم شأنًا وأعم فائدة ، لانه هو الذي يتصور
 بالصور الكثيرة ، وفيه تقع الصياغات العجيبة ، وبه تقع غالباً المزايا
 التي بها التفاضل ، ولكونه أصلاً في الكلام ، لان الانشاء انما يحصل
 منه باشتقاق كالامر والنهي أو نقل كبئس ونعم وبعث واشترت ، او
 زيادة اداة كالاستفهام ، والتمني ، وما أشبه ذلك ، ثم قدم بحث
 أحوال الاسناد على أحوال المسند اليه والمسند مع أن النسبة متأخرة
 عن الطرفين ، لان علم المعاني انما يبحث عن احوال اللفظ الموصوف
 بكونه مسندا اليه ومسندا . وهذا الوصف انما يتحقق بعد تحقيق
 الاسناد ، لانه ما لم يسند أحد الطرفين الى الآخر لم يصر احدهما
 مسندا اليه والآخر مسندا ، والمتقدم على النسبة انما هو ذات الطرفين
 ولا بحث لنا عنها » (١) •

وقال السكاكي عن البيان : « البيان معرفة ايراد المعنى الواحد
 في طرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه وبالانقصاب ، ليحترز
 بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه » (٢) •
 وحصر موضوعاته حصراً منطقياً فيه تمحل ، واغراق في الضبط ،
 وبتعدن عن روح الادب والفن • ولما كان ايراد المعنى الواحد بطرق
 مختلفة غير ممكن بالدلالات الوضعية وانما يتأتى ذلك بالدلالات
 العقلية ، حصر علم البيان في المجاز والكناية ، لان دلالتهما عقلية
 فالمجاز انتقال من ملزوم الى لازم ، والكناية انتقال من لازم الى
 ملزوم يقول : « واذا ظهر لك أن مرجع علم البيان هاتان الجهتان علمت
 انصباب علم البيان الى التعرض للمجاز والكناية ، فان المجاز ينتقل فيه
 من الملزوم الى اللازم •• وأن الكناية ينتقل فيها من اللازم الى
 الملزوم » (٣) •

(١) المطول ص ٤٣ •

(٢) مفتاح العلوم ص ٧٧ •

(٣) مفتاح العلوم ص ١٥٧ •

أما التشبيه فدلالته وضعيه لذلك لا يدخل في علم البيان ، ولكن لما كان في المجاز ما ينبني على التشبيه تعين التعرض له ، يقول : « ثم ان المجاز اعني الاستعارة من حيث انها من فروع التشبيه لا تتحقق بمجرد حصول الانتقال من الملزوم الى اللازم لابد فيها من تقدمه تشبيه شيء بذلك من لازم له تستدعي تقديم التعرض للتشبيه ، فلا بد ان تأخذه اصلا ثالثا وتقدمه » (١) .

ومع هذا الحصر المنطقي فان السكاكي لم يستطع أن يخرج التشبيه من بحث البيان ، ولم يستطع اخيرا الا ان يعترف بأن من مَهْرَ في التشبيه مَكَّكَ زمام التدرج في فنون السحر البياني . ولم يجعله مقدمة لدراسة الاستعارة ، وانما جعله اصلا ، لانه متشعب المباحث ، كثير الدوران في الكلام .

وبهذه الطريقة حصر السكاكي مباحث علم البيان في التشبيه والمجاز والكناية . وهذا الحصر - وان كان فيه اغراق في التكلف كما صرح بذلك السكاكي نفسه قائلا : « والمطلوب بهذا التكلف انما هو الضبط فاعلم » (٢) - أدق من منهجه في بحث علم المعاني .

وقسم التشبيه الى اربعة مطالب ، تكلم في الاول على طرفي التشبيه ، وفي الثاني على وجه التشبيه ، وفي الثالث على الغرض من التشبيه ، وفي الرابع على احوال التشبيه من كونه قريبا أو غريبا ، مقبولا أو مردودا . وهو في هذا التقسيم موفق الى حد ما لولا انه اضطرب قليلا في بحث المطالب الاربعة ففرق بعض المسائل هنا وهناك ، وكان من الدقة أن يجمع كل صنف في مطلبه .

وقسم المجاز كما قسمه السلف ، وعقد له خمسة فصول هي :
المجاز اللغوي الراجع الى معنى الكلمة غير المفيد . والمجاز اللغوي

(١) مفتاح العلوم ص ١٥٧ .

(٢) مفتاح العلوم ص ١٥٧ .

الراجع الى المعنى المفيد الخالي عن المبالغة في التشبيه • والاستعارة وهي ثمانية أقسام : المصرح بها الحقيقية مع القطع ، والمصرح بها التخيلية مع القطع ، والمصرح بها المحتملة للتحقيق والتخييل ، والاستعارة بالكناية الاصلية ، والتبعية ، والتجريدية • والضرب الرابع في المجاز اللغوي الراجع الى حكم الكلمة في الكلام ، والخامس في المجاز العقلي • وقسم الكناية الى الكناية المطلوب بها نفس الموصوف ، والكناية المطلوب بها نفس الصفة ، والكناية المطلوب بها تخصيص الصفة بالموصوف •

اما ما يتعلق بالبديع فان السكاكي لم يُسمِّه بهذا المصطلح ، وانما سماه : وجوها مخصوصة يصار اليها لقصد تحسين الكلام ، وقسمه الى ضربين : ضرب يرجع الى المعنى ، وآخر يرجع الى اللفظ • ومن الاول : المطابقة ، المقابلة ، المشاكلة ، مراعاة النظير ، المزاوجة اللف والنشر ، الجمع ، التفريق ، التقسيم ، الجمع مع التفريق ، الجمع مع التقسيم ، الجمع مع التفريق والتقسيم ، الابهام ، تأكيد المدح بما يشبه الذم ، التوجيه ، سوق المعلوم مساق غيره ، الاعتراض ، الاستتباع ، الالتفات ، تقليل اللفظ ولا تقليله •

ومن الثاني : التجنيس ، رد العجز الى الصدر ، القلب ، السجع ، الفواصل ، الترجيع •

وترك انواعا اخرى من المحسنات لم يركها قيمة كبيرة ، يقول : «ويورد الاصحاب هنا أنواعا مثل كون الحروف منقوطة ، أو غير منقوطة ، أو البعض منقوطة والبعض غير منقوطة بالسوية ، فلك ان تستخرج من هذا القبيل ما شئت وتلقب كلا من ذلك بما احببت» (١) •

ولا نريد البحث في قيمة هذا المنهج وصلاحه في دراسة البلاغة

(١) مفتاح العلوم ص ٢٠٤ •

فذلك ما بحثناه في كتابنا « البلاغة عند السكاكي »^(١) .

واختصر السكاكي نفسه القسم الثالث من مفتاح العلوم بكتاب سماه « التبيان » ، ولم نجد له أثرا ، ولعله ضاع مع الكتب التي دمرتها النكبات . ووصل إلينا أقدم تلخيصاته « المصباح » وكتاب « روض الازدهان في علم المعاني والبيان » لبدر الدين بن مالك . وهما — كما رأينا — تلخيص أمين لمفتاح العلوم مع اختلافات لا تكون اتجاهها خاصا ، أو مذهبا بلاغيا جديدا .

مؤلفات القزويني :

واراد جلال الدين القزويني الذي كان يجب الادب ويحاضر به أن يساهم في الادب ويكتب في البلاغة فألف :

- ١ — التلخيص في علوم البلاغة (تلخيص المفتاح) .
- ٢ — الايضاح في علوم البلاغة .
- ٣ — الشذر المرجاني في شعر الارجاني ، او السور المرجاني في شعر الارجاني .
- ٤ — كتاب في الاصول .

وذكر القلقشندي ان للساوي لامية ضاهى فيها لامية ابن الحاجب في العروض وللإمام القزويني شرح حسن عليها^(٢) .

والكتابان الاولان في البلاغة ، أما الثاني فمختارات من ديوان الارجاني الذي كان يراه من مفاخر العجم ، يقول ابن حجر : « وكان يعظم الارجاني الشاعر ، ويقول إنه لم يكن للعجم نظيره ، واختصر ديوانه فسماه الشذر المرجاني من شعر الارجاني »^(٣) . وكان لاجابه

(١) بحثنا به درجة الماجستير من كلية الاداب بجامعة القاهرة بدرجة جيد جدا في اول شباط « فبراير » ١٩٦١ وطبع لأول مرة في بغداد سنة ١٩٦٤ . (تنظر ص ١١٥ وما بعدها) .

(٢) صبح الاعشى ج ١ ص ٤٦٩ .

(٣) الدرر الكامنة ج ٤ ص ٥ ، وينظر الوافي بالوفيات ج ٣ ص ٢٤٣ .

بهذا الشاعر ان استشهد بكثير من شعره في كتبه .

ولم نعر على شعر الارجاني الذي اختاره جلال الدين ، ولم يصفه احد من القدماء والمحدثين ، ولعل الايام تلقي ضوء عليه ، وتكشف لنا جانبا من جوانب القزويني الغامضة وتدوقه للادب وطريقته في اختيار الاشعار . واغلب الظن انه متأثر في هذا بمن اختار اشعارا لشاعر أو أكثر كضياء الدين بن الاثير الذي اختار من شعر ديك الجن وابي تمام والبحري .

ولا نعرف شيئا عن الكتاب الرابع غير ما ذكره ابن عماد الحنبلي ، يقول : « وصنف في الاصول كتابا حسنا » (١) . والكتاب - من غير شك - في اصول الفقه الشافعي ، لان القزويني كان شافعيًا وقاضي القضاة الشافعيين . ولعل في هذا الكتاب قيمة عظيمة وتفعًا كبيرًا لمن يريد أن يدرس القزويني ، وهو من غير شك يلقي ضوء على حياته الفقهية التي لم نستطع ان نجلوها بوضوح ، ونكشف عنها كسفا تاما لضياع الكتاب ، ولعدم معرفة ما فيه ، وسيملاً العثر عليه الحلقات المفقودة من حياة القزويني .

(١) شذرات الذهب ج ٦ ص ١٢٢ .

التلخيص

والكتاب الاول تلخيص للقسم الثالث من « مفتاح العلوم » للسكاكي ، وهو كتاب نال شهرة واسعة ، وطبقت شهرته الخافقين ، واقبل الناس عليه قراءة وشرحا وتديسا . وكان عند الازهريين الكتاب الاول الذي لا يبارى ، والآخر الذي ليس بعده غاية لمطلع ، يقول ابن خلدون : « والتلخيص وهو أصغر حجما من الايضاح ، والعناية به لهذا العهد عند أهل المشرق في الشرح والتعليم اكثر من غيره »^(١) .

دوافع تأليفه :

وكان الدافع الى تأليفه ما رأى في كتاب السكاكي من حشو ، وتطويل ، واضطراب ، فاراد ان يهذبّه ويصوته عما فيه من تعقيد . وقد وضح القزويني هدفه في فاتحة الكتاب فقال : « اما بعد فلما كان علم البلاغة وتوابعها من اجل العلوم قدرا وادقها سرا ، اذ به تعرف دقائق العربية واسرارها ، وتكشف عن وجوه الاعجاز في نظم القرآن استارها ، وكان القسم الثالث من مفتاح العلوم الذي صنّفه الفاضل العلامة ابو يعقوب يوسف السكاكي اعظم ما صنّف فيه من الكتب المشهورة نفعاً لكونه احسنها ترتيباً ، واتمها تحريراً ، واكثرها للاصول

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٥٥٢ .

جمعا ، ولكن كان غير مصون عن الحشو والتطويل والتعقيد قابلا للاختصار ، مفتقرا الى الايضاح والتجريد : التفت مختصرا يتضمن ما فيه من القواعد ، ويشتمل على ما يحتاج اليه من الامثلة والشواهد ، ولم آل جهدا في تحقيقه وتهذيبه ، ورتبه ترتيبا أقرب تناولا من ترتيبه ، ولم ابالغ في اختصار لفظه تقريبا لتعاطيه ، وطلبا لتسهيل فهمه على طالبه وأضفت الى ذلك فوائد عثرت في بعض كتب القوم عليها ، وزوائد لم اظفر في كلام احد بالتصريح بها والاشارة اليها ، وسميته « تلخيص المفتاح » (١) .

وتعجب بعض المحدثين من أن يدعي القزويني أن كتابه تلخيص للمفتاح وحده مع انه ملخص من كتب عدة، فلعبد القاهر فيه الشيء الكثير، ولا بن سنان حظ وافر من المقدمة ، وكان من الامانة العلمية ان لا يعمط هذين العالمين فضلهما في كتابه ، بل يشير الى ما لهما من عمل واضح فيه (٢) .

وليس هذا التعجب في مكانه ، لان القزويني لم يدع أن كتابه تلخيص للقسم الثالث من مفتاح العلوم ، وانما ذكر انه اضاف اليه فوائد عثر عليها في بعض الكتب ، وزاد عليه بما جادت قريحته واسعفته به عقلته في اثناء الكتابة ، وأي دليل اقوى من قوله : « واضفت الى ذلك فوائد عثرت في بعض كتب القوم عليها ، وزوائد لم اظفر في كلام احد بالتصريح بها ولا الاشارة اليها » .

متى الف ؟

وليس في الكتاب اشارة الى تأريخ تأليفه ومكان كتابته ، ويرى الاستاذ الخولي ان القزويني كتبه في مصر ، يقول : « والراجح عندي

(١) التلخيص ص ٢٢ - ٢٣ .

(٢) ينظر كتاب بحوث وراء في علوم البلاغة ص ٦٢ ، ١٢٧ ، وتاريخ علوم البلاغة ص ٣٤ .

ان القزويني كتب كتابيه تلخيص المفتاح والايضاح وهو بمصر ، لانه وقد من بلاده مبكرا وهو شاب ، وهنا اكتمل واطمأن واشتغل ، ويبدو ان كتابه الايضاح الذي وضعه تبيينا للتلخيص وتوضيحا له انما كان أثرا لحياته في البيئة المصرية الظاهرة الميل الى الطريقة الادبية في دراسة البلاغة» (١) .

وليس في هذا الرأي ما يرجح ان القزويني الف كتب بعد ان استقر قاضيا للقضاء بمصر ، لانا عثرنا على مخطوطة للايضاح كتبت سنة ٧٢٤ هـ وهي محفوظة في معهد المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية بالقاهرة ، ومصورة عن مكتبة ولي الدين . والايضاح شرح التلخيص ، ومن هنا ينبغي ان يكون التلخيص قد ألف قبل هذا التاريخ أي قبل ان ينتقل المؤلف الى مصر سنة ٧٢٧ هـ ، وبذلك نستطيع ان نرجح ان التلخيص كتب في بيئة الشام قبل سنة ٧٢٤ هـ ، لانه نال مبكرا شهرة واسعة واقبل عليه الطلاب يدرسونه مع «الايضاح» ويعلقون عليه .

وذكر الاستاذ عزالدين التنوخي أن القزويني ألف التلخيص بدمشق بعد ان انتقل الى قضائها ، ثم وضع عليه شرحا سماه الايضاح أو ايضاح التلخيص (٢) . وهذا الرأي كالاول وان كان اقرب منه الى الواقع ، لان القزويني - كما نعلم - تولى القضاء في دمشق سنة ٧٢٤ هـ ، وقد رأينا ان احدى نسخ الايضاح كتبت في هذا التاريخ ، وليس من الممكن ان يكتب الشرح قبل التلخيص ، ولذلك نستطيع ان نقرر ان التلخيص كتب قبل سنة ٧٢٤ هـ وفي دمشق الشام .

منهجه:

ومنهج الكتاب لا يختلف عن منهج السكاكي اختلافا كبيرا ، فقد بدأه بمقدمة في فصاحة المفرد والكلام ، وعرف البلاغة بقوله: «والبلاغة

(١) مناهج تجديد ص ٢٤١ .

(٢) ينظر تهذيب الايضاح ج ١ ص ١١ .

في الكلام مطابقتها تلتقضى الحال مع فصاحته «(١)». وذكر ان مقامات الكلام متفاوتة ، فمقام كل من التنكير ، والاطلاق ، والتقديم ، والذكر يباين مقام خلافة ، ومقام الفصل يباين مقام الوصل ، ومقام الايجاز يباين مقام خلافة ، وكذا خطاب الذكي مع خطاب الغبي ، ولكل كلمة مع صاحبها مقام ، وارتفاع شأن الكلام في الحسن والقبول بمطابقتها للاعتبار المناسب ، وانحطاطه بعدمها ، فمقتضى الحال هو الاعتبار المناسب . فالبلغة راجعة الى اللفظ باعتبار افادته المعنى بالتركيب ، وكثيرا ما يسمى ذلك فصاحة . ولها طرفان : اعلى وهو حد الاعجاز وما يقرب منه ، واسفل وهو ما اذا غير الكلام عنه الى ما دونه التحقق عند البلغاء باصوات الحيوانات ، وبينهما مراتب كثيرة، وتتبعها وجوه آخر تورث الكلام حسنا .

وان البلاغة مرجعها الى الاحتراز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد ، والى تمييز الفصيح من غيره ، والثاني منه ما يبين في علم متن اللغة او التصريف او النحو ، او يدرك بالحس وهو ماعدا التعقيد المعنوي . وما يحترز به عن الاول علم المعاني وما يحترز به عن التعقيد المعنوي علم البيان ، وما يعرف به وجوه التحسين علم البديع . وكثير " يسمي الجميع علم البيان ، وبعضهم يسمي الاول علم المعاني ، والاخيرين علم البيان والثلاثة علم البديع .

وعلى هذا الاساس قسّم البلاغة الى ثلاثة فنون : الاول: في علم المعاني : « وهو علم يعرف به احوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال »(٢) . وحصره في ثمانية أبواب : احوال الاسناد الخبري ، احوال المسند اليه ، احوال المسند ، احوال متعلقات الفعل ، القصر ، الانشاء ، الفصل والوصل ، الايجاز والاطناب والمساواة . وعلل هذا الحصر بقوله : « لان الكلام اما خبر أو انشاء ، لانه ان كان

(١) التلخيص ص ٣٣ .

(٢) التلخيص ص ٣٧ .

نسبته خارج تطابقه او لا تطابقه فخير ، والا فانشاء ، والخبر لا بد له من مسند اليه ومسند واسناد ، والمسند قد يكون له متعلقات اذا كان فعلا أو في معناه ، وكل من الاسناد والتعلق اما بقصر أو بغير قصر ، وكل جملة قرنت باخرى اما معطوفة عليها او غير معطوفة ، والكلام البليغ اما زائد على أصل المراد لفائدة او غير زائد «(١)» .

والثاني : في علم البيان « وهو علم يعرف به ايراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه »(٢) . ودلالة اللفظ اما على تمام ما وضع له او على جزئه او على خارج عنه ، وتسمى الاولى وضعية ، وكل من الاخيرتين عقلية ، وتختص الاولى بالمطابقة ، والثانية بالتضمن ، والثالثة بالالتزام ، وشرطه اللزوم الذهني ولولا اعتقاد المخاطب بعرف او غيره . والايراد المذكور لا يتأتى بالوضعية ، لان السامع اذا كان عالما بوضع الالفاظ لم يكن بعضها اوضح ، والا لم يكن كل واحد الا عليه . ويتأتى بالعقلية لجواز ان تختلف مراتب اللزوم في الوضوح ، ثم اللفظ المراد به لازم ما وضع له ان قامت قرينة على عدم ارادته فمجاز والا فكناية ، وقدم عليها لان معناه كجزء معناها ، ثم منه ما يبنى على التشبيه فتعين التعرض له فانحصر في الثلاثة .

وعلى هذا الاساس قسم علم البيان الى التشبيه والمجاز والكناية ، فالتشبيه هو الدلالة على مشاركة امر لامر في معنى ، وقد عقد له فصولا في اركانه وهي : طرفاه ووجهه واداته ، وفي الغرض منه ، وفي اقسامه . والحقيقة هي الكلمة المستعملة فيما وضعت له في اصطلاح التخاطب ، والمجاز مفرد ومركب ، اما المفرد فهو الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له في اصطلاح التخاطب على وجه يصح مع قرينة عدم ارادته ، وكل منهما لغوي وشرعي وعرفي خاص او عام ، والمجاز مرسل ان كانت العلاقة غير المشابهة والا فاستعارة ، وكثيرا ما تطلق الاستعارة على

(١) التلخيص ص ٢٨ .

(٢) التلخيص ص ٢٢٦ .

استعمال اسم المشبه به في المشبه • والكناية لفظ اريد به لازم معناه مع جواز ارادته معه ، وهي ثلاثة أقسام : الاولى المطلوب بها غير صفة ولا نسبة ، والثانية المطلوب بها صفة ، والثالثة مطلوب بها نسبة •

وختم بحث البيان بقوله : « أطبق البلغاء على ان المجاز والكناية أبلغ من الحقيقة والتصريح ، لان الانتقال فيهما من الملزوم الى اللازم فهو كدعوى الشيء بيينة ، وأن الاستعارة أبلغ من التشبيه ، لانها نوع من المجاز » (١) •

والثالث : في علم البديع « وهو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة » (٢) • وهي ضربان : معنوي ولفظي •

أما المعنوي فمنه : المطابقة ، مراعاة النظير ، الارصاد ، المشاكلة ، المزاوجة ، العكس ، الرجوع ، التورية ، الاستخدام ، اللف والنشر ، الجمع ، التفريق ، التقسيم ، الجمع مع التفريق ، الجمع مع التقسيم ، الجمع مع التفريق والتقسيم ، التجريد ، المبالغة ، المذهب الكلامي ، حسن التعليل ، التفريع ، تأكيد المدح بما يشبه الذم ، تأكيد الذم بما يشبه المدح ، الاستتباع ، الادماج ، التوجيه ، الهزل الذي يراد به انجد ، تجاهل العارف ، القول بالموجب ، الاطراد •

وأما اللفظي فمنه : الجناس ، رد العجز على الصدر ، السجع ، الموازنة ، القلب ، التشريع ، لزوم ما لا يلزم •

واصل الحسن في هذا كله ان تكون الالفاظ تابعة للمعاني •

وختم الكتاب يبحث في السرقات الشعرية ، وما يتصل بها من الاقتباس ، والتضمن ، والعقد ، والحل ، والتلميح ، ثم عقد فصلا في حسن الابتداء ، وحسن التخلص ، وحسن الانتهاء •

(١) التلخيص ص ٣٤٦

(٢) التلخيص ص ٣٤٧

والخطيب القزويني - وان تابع السكاكي في منهجه وتلخيصه
للقسم الثالث من مفتاح العلوم - لم يتقيد تمام التقيد به ، وانما حاول
ان يقدم ويؤخر ، ويرتب ويهذب ، ويضيف موضوعات اخرى . واولها
بحث الفصاحة الذي صدر به كتابه وجعله مقدمة ، ولعله متأثر في ذلك
بابن سنان الذي بحث الفصاحة في أول كتابه « سر الفصاحة » . وكان
السكاكي قد تكلم عليها بعد ان انتهى من بحث علم البيان ، لانه
لا يراها لازمة للبلاغة كما ذهب القزويني اليه . وصنف موضوعات علمي
المعاني والبيان أحسن من تصنيف السكاكي وترتيبه . وخالفه في المجاز
العقلي ، فقد تحدث السكاكي عنه في علم البيان وأنكره بعد ذلك على
اعتبار انه استعارة بالكناية ، أما القزويني فقد تكلم عليه في علم المعاني ،
لان الاسناد عنده منه حقيقة عقلية وهي اسناد الفعل أو معناه الى ما هو
له عند المتكلم في الظاهر ، ومنه مجاز عقلي وهو اسناده الى مثابسه له
غير ما هو له ، بتأول . ولم يتكلم السكاكي على السرقات الشعرية وحسن
الابتداء والتخلص والانتهاء ، وان كان غيره قد سبقه الى ذلك . أما
القزويني فقد جعلها خاتمة الكتاب ، ولعله متأثر بضياء الدين بن الاثير
الذي بحثها في خاتمة « المثل السائر » . وبذلك نرى القزويني لا يقف
عند ما رسمه السكاكي ، وانما حاول ان يتصرف بالمنهج تصرفاً أملتة
عليه ثقافته وطبيعة البيئة التي عاش فيها .

ونال التلخيص منزلة عظيمة ، واصبح المحور الذي دارت عليه
البلاغة العربية حتى العصر الحديث ، وتسابق الناس الى اقتناء مخطوطاته
ودراستها ، والتعليق عليها وشرحها ، وأخذوا يبحثون عن نسخه التي
كتبها القزويني بيده ، يقول السيوطي في البغية : « وقد ملكته بخطه
الحسن ونظمته في ارجوزة »^(١) ويقول في شرح عقود الجمان :
« والتلخيص تأليف قاضي القضاة جلال الدين محمد بن عبدالرحمن
القزويني وعندي منه نسخة بخط مؤلفه »^(٢) .

(١) بغية الرواة ص ٦٦ .

(٢) شرح مقود الجمان ص ٣ .

مخطوطاته :

واتشرت نسخه في الخاققين ، وما تزال مخطوطاته الكثيرة تملأ المكتبات العامة والخزائن الخاصة، ومن مخطوطاته المحفوظة بدار الكتب بالقاهرة :

- (١) نسخة مكتوبة بخط حسين بن اينبك فرغ من كتابتها يوم الاربعاء العاشر من شهر جمادى الآخرة سنة ٨٢٩ هـ في مدينة توقات ، وبهامشها تقييدات ورقمها ١١ .
- (٢) نسخة بهامشها تقييدات كثيرة ، ورقمها ١٢ .
- (٣) نسخة مخطوطة بخط حبيب بن عمر ، فرغ من كتابتها في شهر جمادى الآخرة سنة ١٠٠٦ هـ ، وبهامشها تقييدات ، ورقمها ١٣ .
- (٤) نسخة ضمن مجموعة مخطوطة رقمها ٧١ .
- (٥) نسخة مخطوطة رقمها ٣٥٦ .
- (٦) نسخة أخرى بها خرم ، رقمها ٣٥٧ .
- (٧) نسخة مخطوطة بها خرم ، رقمها ٣٥٨ .
- (٨) نسخة أخرى ، رقمها ٣٥٩ .
- (٩) نسخة مخطوطة يليها القسم الثالث من مفتاح العلوم للسكاكي ، رقمها ٣٩٦ .
- (١٠) نسخة مخطوطة سنة ١١٣١ هـ بهامشها تقييدات ، ورقمها ٥٣٠ .
- (١١) نسخة مخطوطة سنة ٩٧٠ هـ بهامشها تقييدات ، ورقمها ٥٤٥ .
- (١٢) نسخة أخرى بهامشها تقييدات ، رقمها ٥٥٣ .
- (١٣) نسخة ضمن مجموعة مخطوطة بخطوط مختلفة ، رقمها ٤٤ م .
- (١٤) قطعة من نسخة أخرى تنتهي الى قوله : « واللام للإشارة الى معهود من باب أحوال المسند اليه ضمن مجموعة مخطوطة ، رقمها ١٦٧ مجاميع .
- (١٥) نسخة ضمن مجموعة مخطوطة بخط خليل بن علي البروسي ، فرغ

من كتابتها سنة ١١٨١ هـ . ورقمها ٥٠٢ مجاميع .
(١٦) نسخة ضمن مجموعة مخطوطة بقلم معتاد ، تمت كتابتها سنة
١٠٩٧ هـ ، ورقمها ٥٤٣ مجاميع .

(١٧) نسخة ضمن مجموعة مخطوطة ، رقمها ٦١٣ مجاميع .
(١٨) نسخة بقلم نسخ جميل اولها محلي ومنتقوش بالذهب والالوان
وباقياها مجدول بالذهب ويظهر انها مخطوطة من القرن الثالث عشر

الهجري في ٩٠ ورقة ومسطرتها ١٣ سطرا ١١×١٨ ورقمها ٥٢٨٩ .
وفي مكتبة الاوقاف العامة ببغداد مخطوطتان منه ،
الاولى رقمها ١٦٦٦ وهي ٢٥×١٤ س ، والثانية رقمها ١٠٤٤ ،
وهي ٢١×١٢ س .

وفي خزانة ولي افندي باستانبول نسخة برقم ٢٧٤١ . وفي خزانة
نور عثمانية نسخة بقلم تعليق رقمها ٤٣٧٧ ، وفي خزانة راغب باشا
نسختان برقم ١٢٢٤ ، ١٢٢٥ ، وعند الاستاذ عباس العزاوي ببغداد
نسخ مخطوطة منه (١) .

وفي مكتبات الموصل نسخ مخطوطة ، واحدة في المدرسة المحمدية،
وثانية في جامع بكر أفندي ، وثالثة في مدرسة الخياط ، ورابعة في مكتبة
جامع الباشا (٢) .

وفي مكتبة المشهد الرضوي بايران نسختان ، كتبت الاولى بخط
مبارك شاه ابن هندو بن مبارك المعروف بكركر، في سنة ٧٥٣ هـ، وخطها
نسخ في الصفحة الواحدة ١٧ سطرا وهي وقف ابن خاتون ، وعدد
اوراقها ٤٥ ، وهي برقم ٦ . وكتبت الثانية بخط محمد بن منصور بن
قطب الدين سنة ٩٦٧ هـ ، خطها نسخي في ١٦ و ١٧ سطرا ، واوراقها
السيد محمد زمان سنة ١٠٢٤ هـ ، وعدد أوراقها ٤٩ وورقة رقمها ٧١ (٣) .

(١) ينظر تاريخ الادب العربي في العراق ج ١ ص ٢١٤ .

(٢) ينظر مخطوطات الموصل ص ٦٩ ، ٧٧ ، ١٤٧ ، ١٤٨ .

(٣) ينظر فهرس مخطوطات المشهد الرضوي ج ٣ ص ٥٤ .

ولو مضيئا تتبع مخطوطات التلخيص لوجدنا مئات النسخ
منتشرة في مكتبات العالم .

طبعا نسه :

وطبع عدة مرات منها :

- (١) نسخة طبعت ضمن مجموعة في مطبعة الشيخ حسن الطوخي بمصر
سنة ١٢٩٧ هـ .
- (٢) نسخة ضمن ست مجموعات طبعت بمطبعة الشيخ محمد أبي زيد
بمصر سنة ١٣٠٣ هـ .
- (٣) نسخة طبعت ضمن مجموعة في المطبعة الخيرية بمصر سنة ١٣٠٦ هـ .
- (٤) نسخة طبعت ضمن مجموعة في مطبعة الشيخ محمد أبي زيد بمصر
سنة ١٣٠٢ هـ .
- (٥) نسخة طبعت بمطبعة السيد علي بمصر ضمن مجموعة سنة ١٣٠٤ هـ .
- (٦) نسخة طبعت ضمن مجموعة في المطبعة الشرقية بمصر سنة ١٣٠٦ هـ .
- (٧) نسخة طبعت ضمن مجموعة في المطبعة الحميدية المصرية سنة
١٣٢٣ هـ .
- (٨) نسخة طبعت ضمن مجموعة في مطبعة ابي الذهب بمصر سنة
١٣٢٤ هـ .
- (٩) نسخة طبعت في مجلد بيروت سنة ١٣٠٢ هـ .
- (١٠) نسخة طبعت في القاهرة بلا تاريخ .
- (١١) نسخة طبعت في القاهرة سنة ١٣١٠ هـ .
- (١٢) نسخة طبعت في القاهرة سنة ١٣٢٣ هـ .
- (١٣) نسخة طبعت في الاستانة .
- (١٤) نسخة طبعت في القاهرة طبع حجر سنة ١٢٧٦ هـ .
- (١٥) نسخة طبعت في القاهرة سنة ١٢٨٠ هـ .
- (١٦) نسخة طبعت في المطبعة العثمانية بالقاهرة .
- (١٧) نسخة طبعت في مطبعة الصدق بالقاهرة .

- (١٨) نسخة طبعت في كلكتة سنة ١٨١٥ م .
 (١٩) نسخة قام بتحقيقها وطبعها الاستاذ عبدالرحمن البرقوقي منشيء
 البيان ، وهي أضببط ما طبع من الكتاب وأصح نسخه ، وقد
 صدرت طبعته الاولى سنة ١٣٢٢ هـ - (١٩٠٤ م) وفيها مقدمة
 عن البلاغة بقلم المحقق ، مع تقريرظ للإمام محمد عبده .

يقول الشيخ الامام : « شرحه كثير من الناظرين في الفن وتعلق
 الاغلب بلفظه ، ولم ينظروا الغاية من وضعه ، فصرفوا الوقت فيه ،
 وخاتتهم البلاغة نفسها بجميع مقاصدها ، فلا هم يحسنون اذا كتبوا ،
 ولا هم يقنعون اذا خطبوا ، ولا هم يحسنون الاستماع اذا خوطبوا كما
 هو معروف لانفسهم ولكل من يعرفهم .

شرح الشيخ عبدالرحمن البرقوقي واطلعت على نموذج من
 شرحه ، فوجدته كافيا في تبين معنى ما في الكتاب ، موجها نظر الناظر
 فيه الى ما قصد منه ، ولا حاجة بالسائر الى الغاية من الفن الى ما هو
 اكثر مما جاء فيه ، وانما الواجب عليه تحصيل الملكة بالعمل ، ومزاولة
 كلام البلغاء ، وكسب أساليب الفصحاء حتى يتم له من شأنه ما يريد ،
 ويشهد له كلامه قبل ان يشهد هو لنفسه ، وليس لكلامه ان يشهد حتى
 يروق العلم واهله ، وعدوه وخله . واسأل الله ان ينتفع بهذا الشرح
 مطالعه ، ويستفيد منه مراجعه » (١) .

وطريقة البرقوقي في الشرح هي أن يذكر معاني المفردات الغامضة
 ويكمل بعض نصوص القزويني في التلخيص من كتابه الايضاح او من
 كتب البلاغة الاخرى ، وينقل بعض النصوص من كتابي عبد القاهر ، ومن
 الكشاف للزمخشري ، والمثل السائر لابن الاثير ، ومفتاح العلوم
 للسكاكي . وقد أجاد الشارح ، ويمكن أن نعتبر هذا الشرح وحده
 كتابا في البلاغة لما فيه من اضافات وفوائد جمة .

(١) التلخيص ص ١٩ - ٢٠ .

واعيد طبع الكتاب سنة ١٣٥٠ هـ (١٩٣٢ م) وما يزال التعويل
على هذه الطبعة في دراسة التلخيص وقراءته .

شروحه :

وشغل الناس بشرح التلخيص والتعليق عليه ونظمه وشرح شواهدة،
وكان منذ أن ألقه القزويني مداراً لبحوث البلاغة وعمدتها كما يقول
بهاء الدين السبكي : « أما بعد ، فان تلخيص المفتاح في علم البلاغة
وتوابعها باجماع من وقف عليه ، واتفق من صرف العناية اليه ، انفع
كتاب في هذا العلم صنف ، واجمع مختصر فيه على مقدار حجمه
ألف » (١) .

ويبدو أن اهل المشرق اهتموا بشرحه قبل غيرهم لاهتمامهم بكتاب
السكاكي واعتمادهم على القواعد في دراسة علوم اللغة العربية ، ولكن
تلك الشروح التي كتبت في المشرق لم تكن الا مجالا لعرض الآراء
الفلسفية والعقائد الدينية ، لا يخرج أولهم على آخرهم ، ولا يضيف من
فكره ومن ذوقه ما يجعل شرحه متميزا عن غيره ، وقد اجاد السبكي
وصف هذه الشروح وأحسن في تقييما ، يقول : « ولقد وصل الينا من
تلك البلاد على التلخيص شروح رحم الله مصنفيا ، فانهم ماتوا وهم
أخيار وبيض وجوههم في الآخرة ، كما سودهم بالمعالي في هذه الدار .
لا تنشرح لبعضها الصدور الضيقة ولا تنفتح عندها مغلقة ، ولا ينقدح
فيها زناد الفكر عن مسألة محققة . يتناولون المعنى الواحد بالطرق
المختلفة ويتناوبون المشكل والواضح على أسلوب واحد ، كلهم قد ألقه
لا يخالف المتأخر منهم المتقدم الا بتغيير العبارة ، ولا يجد له على حل
ما أشكل على غيره أو استشكل ما اتضح جسارة ، ولا يطمع أن يذوق
ما في الاستدراك من اللذة ، ولا تطمح نفسه لان يقال برز على من
سبقه وبذه ، بل يسري خلف من تقدمه حتى في الكلمة الفذة ، ويسير أثره

(١) هروس الانفتاح ج ١ ص ٤ .

حذو القلدة بالقلدة^(١) . قصارى احدهم ان يعزو آياتا من الشواهد لقائلها ، ويوسع الدائرة بما لا يقام له وزن من تكميل قنائصها وانشاد ما قبلها وما يليها ، وينشر للراغب مفردات الالفاظ من واضح كلام العرب ، ويذكر ما لا حرج على مخالفته من اصطلاحات لبعض أهل الادب ، ولا يزيد في شرح عبارة المصنف على الايضاح زينا وجد أم شيئا . فلو نطق التلخيص لتلا : ما جئتم به هذه بضاعتنا ردت اليها^(٢) ، وبمضي السبكي في نقد هذه الشروح مبينا ما فيها من نقص وابتعاد عن حقيقة البلاغة .

وشروح التلخيص كثيرة جدا ، وأول شروحه كتاب «الايضاح» للقرظيني نفسه ، ثم تتابعت الشروح بعد ذلك ومنها :

- (١) شرح محمد بن مظفر الخليلي (٧٤٥ هـ) أوله : « الحمد لله الذي أسبغ على الانسان نعمة ظاهرة وباطنة » . وقد ذكر أن المتن مشتمل على مباحث شريفة لا تكاد توجد في غيره من الكتب ، ولم يكن له غير ما هو كالشرح له من كتاب الايضاح فشرحه شرحا وافيا مشيرا الى أجوبة ما اعترض به مؤلفه فيه وفي كتاب الايضاح على صاحب مفتاح العلوم ، وسماه مفتاح تلخيص المفتاح^(٣) .
- (٢) شرح شمس الدين محمد بن عثمان بن محمد الزوزني (٧٩٢ هـ) أوله : « بالله استعين واليه أتضرع » .
- (٣) شرح العلامة سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني (٧٩٢ هـ) وهو شرح ممزوج فرغ من تأليفه في صفر سنة ٧٤٨ هـ ، ثم شرحه شرحا ثانيا ممزوجا مختصرا عن الاول زاد فيه ونقص ، وفرغ منه بفجروان سنة ٧٥٦ هـ . واشتهر الشرح الاول بالمطول والثاني

(١) جاء في اساس البلاغة للزمخشري ص ٧٥٠ : « قد الريش بالقلد : حذف اطرافه ومنه القلدة ، فيقال : « حذو القلدة بالقلدة » .

(٢) عروس الانراح ج ١ ص ٦ .

(٣) ينظر الدرر الكامنة ج ٤ ص ٢٠٦ ، وبغية الوعاة ص ١٠٦ ومفتاح السعادة ج ١ ص ١٦٦ وكشف الظنون ج ١ ص ٤٧٤ ، وتاريخ علوم البلاغة ص ١٣٧ .

بالمختصر ، وهما أشهر شروح التلخيص وقد طبعا عدة مرات •

حواش على المطول :

وعلى المطول حواشٍ كثيرة منها :

حاشية السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني (٨١٦ هـ) اولها :
« الحمد لله رب العالمين » • وذكر أنه قيد على حواشٍ مجملة حين
قرأه بعض الطلبة عليه ، ثم سألوا تعليقها مفصلة ففعل ، فجاءت مشتملة
على فوائد منها ما هو توضيح لمقاصده ومنها ما هو تنبيه على مزاله ،
وفيها اعتراضات على الشارح وتحقيقات لا بأس بها ، وقد طبعت على
حاشية المطول المطبوع في استانبول •

وعلى هذه الحاشية حواشٍ منها :

حاشية مصلح الدين مصطفى بن حسام الرومي ، اجاب فيها عن
اعتراضات المولى خسرو على الشريف ، ولكن أطال واطنب •
وحاشية المولى يوسف بن حسين الكرماستي (٩٠٨ هـ) •
وحاشية الشريف المرتضى •

حواش على المطول :

ومن الحواشي على المطول :

• حاشية المولى حسن بن محمد شاه الفناري (٨٨٦ هـ) •
• وحاشية محمد بن فراموز الشهير بملا خسرو (٨٨٥ هـ) •
• وحاشية أبي القاسم بن أبي بكر الليثي السمرقندي •
• وحاشية ميرزا جان حبيب الله الشيرازي (٩٩٤ هـ) •
• وحاشية شيخ الاسلام في مدينة هراة احمد بن يحيى بن محمد
الحفيد المتوفى شهيدا سنة (٩٠٦ هـ) •
• وحاشية مصلح الدين محمد اللاري (٩٧٩ هـ) •
• وحاشية الشيخ علاء الدين علي بن محمد الشاهر ودي البسطامي

• الشهير بمصنفك (٨٧١ هـ)

• وحاشية المولى احمد بن عبدالله القريمي (٨٥٠ هـ)

• وحاشية احمد الطالشي

• وحاشية شمس الدين محمد ابن احمد البسطامي (٨٤٢ هـ)

• وحاشية عز الدين محمد بن ابي بكر المعروف بابن جماعة (٨١٩ هـ)

• وحاشية الشيخ يحيى بن سيف (يوسف) السيرامي المصري الحنفي

• (٨٧٣ هـ)

• وحاشية المولى حسن بن عبدالصمد السامسوني (٨٩١ هـ)

• وحاشية نظام الدين عثمان الخطائي (٩٠١ هـ) وهي حاشية

لطيفة (١).

وعلى المطول تقرير لمحمد بن محمد الانبائي المصري الشافعي شيخ

الازهر المتوفى سنة ١٣١٢ هـ • وتقرير لعبدالرحمن الشرييني شيخ

الجامع الازهر المتوفى سنة ١٣٢٠ هـ •

حواش على المختصر:

وعلى المختصر حواش كثيرة منها :

• حاشية نظام الدين الخطائي

• وحاشية عبدالله بن شهاب الدين اليزدي

• وحاشية على حاشية الخطائي للفاضل ميرزا جان حبيب الله

• وحاشية ابراهيم بن احمد الشهير بابن الملا الجلي

• وحاشية المولى يوسف بن حسين الكرماسي

• وحاشية حميد الدين بن أفضل الدين الحسيني

• وحاشية المولى محمد بن الخطيب الشهير بخطيب زاده الرومي

(٩٠١ هـ)

(١) تنظر هذه الحواشي في بغية الرواة ص ١٤ و ٢٦ و خلاصة الامراج ٤ ص ٤٩٢
وكشف الظنون ج ١ ص ٤٧٦ و تاريخ علوم البلاغة ص ٣٦ و ١٦٠ و ١٦٤ و ١٦٦ و ١٦٩ و ١٨٤
و ١٨٥ و ١٨٦ و ٢٠٠ و ٢٠١ •

- وحاشية شهاب الدين احمد بن قاسم العبادي الازهري (٩٩٤هـ) .
- وحاشية ياسين العليمي (١٠٦١ هـ) .
- وحاشية الخفاجي (١٠٦٩ هـ) .
- وحاشية الحنفي (١١٨١ هـ) .
- وحاشية البناني من علماء القرن الثالث عشر .
- وحاشية الدسوقي (١٢٣٠ هـ) وهي من أحسن الحواشي واروعها
- وقد اختصرها الحاج علي الاقشيري بن عثمان وطبعت في الاستانة
- سنة ١٢٨٠ هـ .

- وحاشية الصنفوي القلعاوي (١٠٢٥ هـ) (١) .
- وعلى المختصر تقرير لمحمد بن محمد الانبائي شيخ الجامع الازهر
- (١٣٢١هـ) وعليه شرح قيم لابن يعقوب المغربي سماه «مواهب الفتاح» .
- (٤) شرح العلامة اكمل الدين محمد بن محمود البابرتي (٧٨٦ هـ) ،
- وهو شرح بالقول اوله « الحمد لله الذي أفاض أنواع الحكم . . »
- فرغ من تأليفه في رمضان ٧٧٢ هـ ، ونبه على ما ورد عليه من
- الاعتراضات ، وأشار الى اجوبتها . ويقال ان له حاشية على
- المطول أيضا (٢) .
- (٥) شرح بهاء الدين بن احمد بن علي بن عبدالكافي السبكي (٧٧٣هـ)
- سماه « عروس الافراح » ، وهو من اروع الشروح ، واكثرها
- فائدة وقيمة ، وعليه حاشية لمحمد بن ابي بكر بن جماعة عز الدين
- (٨١٩ هـ) (٣) .
- (٦) شرح محب الدين محمد بن يوسف بن احمد بن عبدالدائم
- المعروف بناظر الجيش (٧٧٨ هـ) .
- (٧) شرح جلال الدين رسول بن احمد بن يوسف التبانتي (٧٩٣ هـ) .

(١) ينظر تاريخ علوم البلاغة ص ٣٦ و ٣٧ و ٢٠١ .

(٢) ينظر سبع الاعشى ج ١ ص ٤٦٩ وحسن المحاضرة ج ١ ص ٢٦ ، بغية الوعاة

ص ١٠٣ وكشف الظنون ج ١ ص ٤٧٧ ، وتاريخ علوم البلاغة ص ١٠٣ .

(٣) بغية الوعاة ص ٢٦ .

(٨) شرح الشيخ شمس الدين أبي عبدالله محمد بن يوسف بن الياس القونوي الحنفي (٧٨٨ هـ) (١) .

(٩) شرح محمد بن أحمد بن الموفق القيصري ، فرغ منه في رمضان سنة ٧٦١ هـ .

(١٠) شرح السيد عبدالله بن الحسن المعروف بنقره كار (٧٥٠ هـ) .

(١١) شرح عصام الدين ابراهيم بن عربشاه الاسفراييني (٩٤٥ هـ) سماه « الاطول » .

(١٢) شرح محمد بن محمد بن محمد التبريزي ، سماه « نفائس التنصيص » ، وهو شرح بـ « قال » . . « أقول » .

(١٣) شرح مسمى « توضيح فتوح الارواح » ، أوله : « الحمد لله الذي ابدع الانسان بيديع قدرته » ، وهو شرح كبير بالقول ، ذكر فيه ان جمال الدين أشار الى تأليفه .

(١٤) ومن شروحه الحديثة شرح الاستاذ عبدالرحمن البرقوقي ، وقد تحدثنا عنه .

هذه بعض شروح التلخيص ، ويوجد كثير منها في دار الكتب بالقاهرة ، ومكتبة جامعة الازهر ، ومكتبة الاوقاف ببغداد ، ومكتبة المتحف العراقي ، ومكتبات استانبول ويران وغيرها .

مختصرات التلخيص :

واختصروا التلخيص ومن مختصراته :

(١) تلخيص التلخيص لشهاب الدين احمد بن محمد المعروف بالصاحب (٧٨٨ هـ) سماه « لطيف المعاني » (٢) .

(١) ينظر حسن المحاضرة ج ١ ص ٣١٠ وبغية الوعاة ص ١١٨ و ١٢٥ والدرر الكامنة

ج ٤ ص ٢٩٠ و ٢٩٤ وتاريخ علوم البلاغة ص ١٤٦ و ١٥٠ .

(٢) الدرر الكامنة ج ١ ص ٢٤٩ .

- (٢) تلخيص التلخيص لزين الدين أبي محمد عبدالرحمن بن أبي بكر المعروف بالعينى سماه « تحفة المعاني لعلم المعاني » .
- (٣) تلخيص التلخيص للمولى لطف الله بن حسن التوقاني المتوفى شهيدا سنة (٩٠٠ هـ) .
- (٤) تلخيص التلخيص لعزالدين محمد بن أبي بكر المعروف بابن جماعة (٨١٩ هـ) (١) .
- (٥) تلخيص التلخيص للمولى برويز الرومي (٩٨٧ هـ) وله شرح على ما اختصره .
- (٦) تلخيص التلخيص لنورالدين بن حمزة بن طورغود ، ذكر أنه ألف في طريق الحج سنة ٩٦٢ هـ ، ورتبه على مقدمة وثلاثة مسالك ، وسماه « المسالك » . وقد شرحه شرحا ممزوجا سماه « الهوادي » .
- (٧) تلخيص التلخيص المسمى « اقصى الاماني في علم البيان والبديع والمعاني » ، وهو للعلامة ابي يحيى زكريا بن محمد الانصاري الشافعي المولود بـ « سُنَيْكَة » في بلاد مديرية الشرقية بمصر سنة ٨٢٦ هـ ، والمتوفى بالقاهرة سنة ٩٢٦ هـ . وقد اختصر فيه تلخيص المفتاح وحذف منه المسائل المختلف فيها ، والامثلة والشواهد ، وما فيه نظر ، ورتبه على مقدمة وثلاثة فنون . وفي دار الكتب بالقاهرة نسخة منه ضمن مجموعة في مجلد بقلم معتاد بخط عبدالرزاق بن محمد بن مكتوم المنيلي ، فرغ من كتابته في يوم السبت الرابع والعشرين من شهر الله المحرم سنة ١٢٣٣ هـ ، رقمها ٦٠٤ . وقد شرحه بشرح سماه « فتح منزل المباني » (٢) .

(١) بنية الوعاة ص ٢٦ ، وتاريخ علوم البلاغة ص ١٦٠ .
(٢) ينظر الكواكب السائرة ج ١ ص ١٩٦ وتاريخ علوم البلاغة ص ١٧٧ وفهرس دار الكتب ج ٢ ص ١٧٦ .

(٨) تلخيص التلخيص المسمى « انبواب البلاغة » ، اوله « الحمد لله الذي خلق الانسان علمه البيان * * » للعالم خضر بن محمد الاماسي المفتي باماسية ، الكُفّه سنة ١٠٦٠ هـ ثم شرحه وسماه : « افاضة الانبواب » أو « الافاضة لانبواب البلاغة » ، وهو شرح ممزوج (١) .

منظومات التلخيص :

وللتلخيص منظومات منها :

- (١) نظم زين الدين أبي العز طاهر بن حسن بن حبيب الحلبي (٨٠٨هـ) سماه « التلخيص في نظم التلخيص » وهو ألفان وخمسمائة بيت .
- (٢) نظم شهاب الدين احمد بن عبدالله القلجي المولود سنة ٨٢٩ هـ والمتوفى سنة ٨٩٢ هـ .
- (٣) نظم زين الدين عبدالرحمن العيني مختصر التلخيص نفسه .
- (٤) نظم الشيخ جلال الدين أبي بكر السيوطي ، (٩١١ هـ) سماه : « عقود الجمان في علم المعاني والبيان » ، وشرحه بكتاب سماه : « شرح عقود الجمان » (٢) . وله نكت على التلخيص وتخرّيج أبياته مروية بالاسناد مع ذكر القصيدة عليها .
- (٥) نظم الشيخ أبي النجا بن خلف المصري المولود سنة ٨٤٩ هـ (٣) .
- (٦) نظم عبدالرحمن بن محمد بن عامر الاخضري المالكي المتوفى في أواخر القرن العاشر ، سماه : « الجواهر المكنون في الثلاثة الفنون » . وهو نظم لمتن تلخيص القزويني ويشتمل على ثلاثة

(١) ينظر كشف الظنون ج ١ ص ٤٧٨ .
 (٢) طبع في القاهرة سنة ١٣٥٨ هـ - ١٩٣٩ م باسم « شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان » .
 (٣) ينظر كشف الظنون ج ١ ص ٤٧٨ و٤٧٩ وتاريخ الادب العربي في العراق ج ١ ص ٢١٦ .

فنون ، أوله :

الحمد لله البديع الهادي الى بيان مهيع الرشاد

وقد شرحه أحمد منهوري بشرح سماه « حلية اللب المصون على
الجوهر المكنون » . وشرحه العلامة ابن يعقوب المكناسي
(١٢٠٨ هـ) . وشرحه العلامة علي الغزي . ووضع تعليقات على
شرح الدمنهوري مخلوف بن محمد البدوي من علماء القرن
الثالث عشر (١) .

(٧) نظم عبدالله محمد بن مرزوق الشهير بالحفيد ، نظمه في حال
صغره (٢) .

شرح ابيات التلخيص :

وشرح ابيات التلخيص السيوطي ، يقول العباسي : « ولم أرَ من
عمل على تلك الشواهد شرحا يشفي العليل ويروي الغليل ، غير أن
شيخنا المرحوم العلامة الجلال السيوطي - سقى الله من صوب الرحمة
تراه واكرم منزله ومشواه - عمل على بعضها تعليقا لطيفا لم يكمله، ولم
يخرج عن مسودته (٣) .

وشرحها عبدالرحيم بن احمد العبادي العباسي (٩٦٣ هـ) بكتاب
سماه « معاهد التنصيص على شواهد التلخيص » ، وقد ذكر فيه معاني
الايات وتراجم قائلها ، ووضع في كل فن ما يناسبه من نظائره الادبية
ومزج الهزل بالجد . وكان الذي حداه الى ذلك انه وجد في تلخيص
القزويني من الشواهد الشعرية ما يعزى للاقدمين ، وما ينسب للمولدين
الا أن أكثرها مجهول ، وربما عزاه بعض شارحي الكتاب لغير قائله ،
ولذلك رأى بعد أن وجد كتاب شيخه السيوطي غير شاف للغليل ، أن

(١) ينظر سلك الدرر ج ١ ص ١١٧ وتأريخ علوم البلاغة ١٨٠ و ١٨١ .

(٢) نفع الطيب ج ٧ ص ٢٦٤ .

(٣) معاهد التنصيص ج ١ ص ٢ .

يضع كتابا يشرح فيه آيات التلخيص . وقد طبع الكتاب بالقاهرة في
اربعة أجزاء بتحقيق الاستاذ الشيخ محمد محيي الدين عبدالحميد .

واختصر الكتاب احمد بن أحمد المعروف بالعجمي الاحمدي
الوفائي من علماء القرن الحادي عشر ، وفرغ من مختصره سنة
١٠٩٣ هـ (١) .

ولمحمد ذهني شرح آيات التلخيص وشرحه وحاشية السيد ، طبع
للمرة الثالثة في استانبول سنة ١٣٢٧ هـ ، وهو في ٥٢٨ صفحة مع ثماني
صفحات تقريظ وفهارس ، وفي الصفحة الاخيرة ما يشير الى أن الطبعة
الثانية كانت في قازان .

هذه أهم شروح التلخيص وتلخيصاته ، وليس لمعظمها قيمة علمية
كبيرة ، ولعل اهمها « الايضاح » للقزويني نفسه ، و « المطول »
لنتفتازاني ، و « عروس الافراح » للسبكي ، و « مواهب الفتاح » لابن
يعقوب المغربي . وقد جمع السيد فرج الله زكي بعض هذه الشروح في
كتاب واحد سماه « شروح التلخيص » ، جمع فيه مختصر السعد ،
و « مواهب الفتاح » للمغربي ، و « عروس الافراح » للسبكي ، ووضع
على الحاشية كتاب الايضاح ، وحاشية الدسوقي على شرح السعد .
وطريقته في ترتيبها أن بدأ في صلب الصفحة بشرح السعد ، ثم تثنى
بمواهب الفتاح ، وثلث بعروس الافراح ، وصدّر الهامش بالايضاح ،
وذكر بعده حاشية الدسوقي .

(١) تاريخ علوم البلاغة ص ١٨٢ .

الايضاح

وأحسن الخطيب القزويني بأن في كتابه « التلخيص » غموضا وتعقيدا ، وأن فيه ايجازا والتواء ، فرأى ان يضع شرحا يحل مشكله ويوضح غامضه فألف الايضاح . يقول : « أما بعد فهذا كتاب في علم البلاغة وتوابعها ترجمته بالايضاح ، وجعلته على ترتيب مختصري الذي سميته « تلخيص المفتاح » ، وبسطت فيه القول ليكون كالشرح له فأوضحت مواضعه المشككة وفصلت معانيه الجملة ، وعمدت الى ما خلا عنه المختصر مما تضمنه مفتاح العلوم والى ما خلا عنه المفتاح من كلام الشيخ الامام عبدالقاهر الجرجاني - رحمه الله - في كتابيه : « دلائل الاعجاز » و « اسرار البلاغة » ، والى ما تيسر النظر فيه من كلام غيرهما ، فاستخرجت زبدة ذلك كله ، وهذبتها ، ورتبتها حتى استقر كل شيء منها في محله وأضفت الى ذلك ما أدى اليه فكري ، ولم أجده لغيري فجاء بحمد الله جامعا لاشتات هذا العام » (١) .

متى ألفه :

وقد ألفه قبل سنة ٧٢٤ هـ أو في هذه السنة على أقل تقدير ، لان

(١) الايضاح ص ١ .

أحدى نسخه كتبت فيها ، ومن هنا لا نرى وجها لما ذهب اليه الاستاذ الخولي من أن القزويني ألف كتابه « التلخيص » و « الايضاح » وهو بمصر . وأغلب الظن ان الكتاب ألف في الشام ، لان صاحبه كان في هذا التاريخ وقبله خطيبا في الجامع الاموي وقاضيا لقضاة الشافعية في دمشق .

منهجه :

ومنهج القزويني في « الايضاح » لا يختلف عن منهج التلخيص ، وان كان يختلف عنه في العرض والتحليل اختلافا قليلا . والمؤلف في هذا الكتاب يجمع بين طريقتي عبدالقاهر والسكاكي في البلاغة ، ويمتاز بجودة أسلوبه وهو أسلوب عربي مبين ليس فيه تكلف واسراف في الصنعة ، ولا التواء الاعاجم في التعبير . وقد أضاف الاستطراد الى المحسنات المعنوية وكان قد أغفل ذكره في التلخيص ، وناقش السكاكي وعبدالقاهر ورد عليهما في كثير من المواضع مما سنذكره في الفصل القادم .

والايضاح أهم شروح التلخيص ، وأروع كتب مدرسة البلاغة الكلامية التي كان السكاكي شيخها ، وهو أجدى تفعا للدارسين من الشروح الاخرى ، وان كانت المصطلحات العلمية والعبارات الفلسفية والبحوث والتقسيمات النظرية تؤوده وتضفي عليه ظلالات ثقيلة . والايضاح بعد هذا كله خلاصة بحوث علماء البلاغة العربية منذ نشأتها حتى عصره .

مخطوطاته :

ومخطوطات الايضاح كثيرة ، منها في دار الكتب بالقاهرة :

- (١) نسخة كتبها موسى بن عسر ، فرغ من كتابتها في العشر الاول من شهر صفر ٧٧٣ هـ ، وبهامشها تقييدات كثيرة رقمها ١ بلاغة .
- (٢) نسخة بها خرم في الاول رقمها ١٤٤ .

(٣) نسخة اخرى رقمها ١٦٢ •

(٤) نسخة بخط بدرالدين السيرايني ، فرغ من كتابتها في وقت الضحى من يوم الجمعة الرابع والعشرين من شهر رمضان سنة ٧٣٢ هـ في بلدة خوارزم ، بها خرم في الاول ورقمها ١٩٧ •

(٥) نسخة بخط على بن الحسن بن محمد بن عبدالسلام الرجائي الاصفهاني ، فرغ من كتابتها في يوم السبت غرة شهر جمادى الآخرة سنة ٧٧٣ هـ ، ورقمها ٣ م •

وفي معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية في القاهرة نسخة قديمة مصورة كتبت سنة ٧٢٤ هـ بخط محمد بن علي بن محمد الجرجاني صاحب « الاشارات في البلاغة » ، والنسخة الاصلية محفوظة في مكتبة ولي الدين بتركية ، وهي ١٤٥ ورقة حجم متوسط •

وفي مكتبة الأوقاف العامة ببغداد نسختان : الاولى رقمها ١٧١٦ وهي ٢٧×١٨ س • والثانية رقمها ٦١٨٩ وهي ٢٣×١٦ س ، وقد كتبت سنة ٧٤١ هـ •

وفي مكتبات الموصل نسخ مخطوطة منها نسخة مكتبة جامع الباشا ، وجامع الحجيات ، والمدرسة المحمدية ، ومدرسة الملا زكريا • وفي مكتبة جامعة ييل في نيوهافن بالولايات المتحدة الامريكية نسخة كتبت في دمشق سنة ٧١٥ هـ (١) •

وفي مكتبة المشهد الرضوي بايران نسخة كتبها حسن بن يوسف سنة ٧٦٥ هـ ، خطها نسخ ، ١٣ سطرا في الصفحة ، وقد أوقفها حاج سيد محمد سنة ١٣٠٩ هـ ، وعدد اوراقها ٢٢٨ (٢) •

وفي خزانة ولي الدين نسخة مكتوبة بقلم نسخ رقمها ٢٧٤١ •

(١) ينظر جولة في دار الكتب الامريكية ص ٧٥ •

(٢) فهرس مخطوطات المشهد الرضوي ج ٣ ص ٥٣ •

وفي خزانة نور عثمانية نسخة كتبت بقلم تعليق رقمها ٤٣٧٧ •
وفي خزانة راغب باشا نسختان برقم ١٣٢٤ ، ٢٢٥ •
وفي خزانة كوبرلي وعند الاستاذ عباس العزاوي ببغداد نسخ
كثيرة منه (١) •

شروحه :

وعلى الايضاح شروح كثيرة منها :

(١) شرح جمال الدين محمد بن محمد الاقسرائي المتوفى سنة ٨٠٠ هـ
سماه : « ايضاح الايضاح » • وفي الشقائق ان السيد الشريف
توجه اليه ليقرأ عليه فوصل اليه الشرح المذكور في الطريق فلما
راه قال : هو شرح كالذباب الاصفر على لحم البقر ، لانه كتاب
مبسوط لا يحتاج الى الشرح الا في بعض المواضع ، والشارح
كتب المتن بتمامه بالمداد الاحمر فبقى الشرح فيما بينها كالذباب
على اللحم • وروي انه صنفه لامير قرامان فجعل له كل يوم ألف
درهم (٢) • وذكر بعضهم أنه لا يعرف له شرحا غير شرح
الاقسرائي (٣) •

وفي دار الكتب بالقاهرة نسخة منه مكتوبة بخط رسول بن
حمزة بن سليمان ، وقد فرغ من كتابتها سنة ٨١٤ هـ وبهامشها
تقييدات ، رقمها ٢ و ٤٥٩ •

وفي معهد المخطوطات بالجامعة العربية نسخة كتبت سنة ٧٧٧ هـ ،
وهي مصورة عن النسخة المحفوظة بمكتبة البلدية بالاسكندرية •
وفي مكتبة الاوقاف ببغداد نسخة منه رقمها ٦٢٠٦ وهي

(١) ينظر تاريخ الادب العربي في العراق ج ١ ص ٢١٦ ، ٢١٧ •
(٢) مفتاح السعادة ج ١ ص ١٦٩ وكشف الظنون ج ١ ص ٢١١ وتاريخ علوم البلاغة
ص ١٥٤ •
(٣) مفتاح السعادة ج ١ ص ١٦٩ •

٢١ × ١٤ س •

- (٢) شرح علاء الدين علي بن عمر الاسود (٨٠٠ هـ) •
(٣) شرح حيدر بن محمد الحوافي المعروف بالصدر الهروي (٨٢٠ هـ) •
(٤) شرح المولى محيي الدين محمد بن ابراهيم النكساري (٩٠١ هـ) •
(٥) شرح حيدرة الشيرازي برهان الدين ، وهو شرح ممزوج ذكره السيوطي^(١) •

حواش على الايضاح :

وعلى الايضاح حواشٍ منها :

- حاشية الشيخ شمس الدين محمد بن محمد الجزري (٨٣٣ هـ) •
• وحاشية شمس الدين محمد بن احمد النكساري سماها :
« الايضاح »^(٢) ، وفي مدرسة الخياط بالموصل نسخة من كتاب
« توضيح الايضاح » لم يذكر مؤلفها •

والايضاح من كتب البلاغة التي تدرس في المعاهد والجامعات الحديثة ، وقد نال اهتماما كبيرا وشرح وطبع عدة مرات • وأثار حركة قوية في البحث والتأليف الى جانب اثارته الاحقاد والضغائن بين الناشرين والمحققين • وتتجلى هذه الخصومة في المشادة العنيفة التي قامت بين الأستاذين عبد المتعال الصعيدي ومحمد عبد المنعم خفاجي ، واحتد الجدل وكثر الرد ، وقد صور الاستاذ خفاجي هذا الجدل والنقاش في كتابه « فصول في النقد » ، وفي كتاب الايضاح^(٤) •

طبعاته :

ومن طبعات الكتاب :

- (١) طبع بهامش كتاب شروح التلخيص ، وليس عليه تعليق أو شرح •

(١) بغية الوعاة ص ٢٤٠ ومفتاح السعادة ج ١ ص ١٦٩ وتاريخ علوم البلاغة ص ١٦١ •

(٢) كشف الظنون ج ١ ص ٢١١ •

(٣) ينظر مخطوطات الموصل ص ١٤٧ •

(٤) ينظر ص ٨٤ - ١٢٠ من الكتاب الثالث منه ، والايضاح طبعة الخفاجي ج ٣

الصفحات الاخيرة وج ٤ ص ٢ - ٢٤ •

(٢) طبع في مطبعة محمد علي صبيح واولاده بالقاهرة عدة مرات، منها سنة ١٣٤٨ هـ ، بتصحيح احمد مصطفى الفقي ، وسنة ١٣٦٦ هـ . وهاتان الطبعتان من أردأ طبعات الايضاح ، لانها مشحونة بالاطعاء الفظيعة والتصحيح الكثير . وليس فيها تصحيحات في الهوامش أو تعليقات توضح غامض الكتاب ، وتجلو معانيه المتنوية ، وليس فيه تكملة لشاهد أو لنص ، ولا نسبة بعضها الى قائلها . وقد تداخلت بعض العبارات ، وضاعت بينها الايات الشعرية .

(٣) وطبعه الاستاذ عبدالمتعال الصعيدي في اربعة أجزاء . ولما رأى فيه غموضا والتواء كشف عن هذا الغموض وجلى الالتباس بكتابه : « بغية الايضاح لتلخيص المفتاح » ، وهو في اربعة أجزاء . وأضاف اليه تمرينات لم يذكرها القزويني ، وبذلك أضفى على الكتاب مسحة مدرسية .

(٤) وقام بتحقيقه والتعليق عليه الاستاذ محمد عبدالمنعم خفاجي ، وظهرت طبعته الاولى سنة ١٣٦٨ هـ (١٩٤٩ م) في ستة أجزاء . وأعاد طبعه مشروحا شرحا وافيا سنة ١٣٧٢ هـ (١٩٥٣ م) ولم يكمله حتى الآن . يقول المحقق : « هذا شرح جديد للايضاح ، يتناول بالبحث ، والتحليل ، والدراسة ، والتعليق ، والشرح ، جميع مسائله وشواهدده ، ويشير الى مصادره ومراجعته التي ألف منها الخطيب هذا الكتاب . وهو عمل سيكون له أثره في البلاغة العربية وفي خدمة الايضاح ، وتذليل صعوبات البحث فيه » (١) .

ويستاز هذا الشرح بدقة البحث ، ووضوح الشرح ، وتحليل المذاهب المختلفة ، وإن ملاءمه صاحبه بما لا يست الى كتاب القزويني بصلة كمقالاته التي نشرها في المجلات .

ومهما يكن من شيء فقد بذل الاستاذ خفاجي جهدا في شرحه واخراجه .

(١) الايضاح ج ١ ص ١٢ .

(٥) وطبعه الاستاذ عز الدين التنوخي عضو المجمع العلمي العربي بدمشق وسماه : « تهذيب الايضاح » ، وهو في ثلاثة أجزاء . ولم يتبع الشارح ترتيب القزويني في الكتاب ، وانما قدّم وأخّر فكان الجزء الاول للبديع ، والثاني للييان ، والثالث للمعاني ، وأضاف اليه تمرينات كثيرة ونماذج محلولة . ولم يكتف بهذا وانما حذف من الكتاب ما يتعلق بالقضايا الفلسفية ، وكلام القزويني في الملكة ، واختلاف ابراهيم النظام والجاحظ من علماء الكلام في مفهوم الخبر ، وعبارة السكاكي في بحث لازم فائدة الخبر ، وتعريفه للحقيقة العقلية ، ودفاعه عن تعريفه ، واعتراض القزويني على هذا التعريف ، وتعريفه للمجاز العقلي ، ودفاعه ، واعتراض القزويني الذي اعترض عليه بهاء الدين السبكي في « عروس الافراح » (١) .

وحذف فصلا كبيرا من الايضاح ، هو بحث السرقات الذي تكلم عليه البلاغيون والنقاد العرب منذ القديم ، والمحذوف : أنواع الاتفاق في المعنى ، الاتفاق في عموم الغرض وحكمه ، الاتفاق في الدلالة على الغرض وأنواعه ، الاتفاق فيما يشترك الناس في معرفته ، الاتفاق فيما لا ينال الا بفكر ، ضروب الاخذ ، الاخذ الظاهر وأنواعه ، الاتحال أو النسخ ، الاغارة او المسخ ، الامام او السلخ ، الاخذ الخفي وأنواعه ، النقل ، القلب ، خير أنواع الاخذ .

وعلى التنوخي عمله هذا بقوله : « ونحن آثرنا حذفه ، لانه من فن النقد ، ولانه ليس كل ما يفيد من غير الفن الثالث مما يجب ذكره وأيضاحه ، ولكننا أثبتنا ما يتصل بفن السرقات كالاقتباس والتضمين والعقد والحل والتلميح ، لانا نرى أن هذه الانواع الخمسة من

(١) ينظر تهذيب الايضاح ج ٣ ص ٢٦ ، ٤٨ ، ٧٤ وفيها .

المحسنات البديعية وهي التي لا بأس بذكرها لفائدتها وعلاقتها بتراثنا
الادبي الذي ندرسه ، وانما جعل هذه الانواع الخمسة مما يتصل
بالسرقات لانها تشبهها بأن في كل منها اخذ شيء من آخر» (١) .

ولم يضع الفصل الثاني عنوانا لبحث الابتداء والتخلص والانتهاء
وانما وضع له عنوان « الخاتمة » وقال : « اخترنا هذا العنوان بدل
الفصل الثاني لاننا حذفنا الفصل الاول : فصل السرقات الشعرية ، لانه
من بابة النقد» (٢) .

وهذا لا يجوز في التحقيق العلمي، وكان من الدقة أن يذكر هذه
المسائل ، ويشير اليها في الهوامش ويشرح ما غمض منها لا ان يحذفها
ويغير فيها ، ولعل عذره في ذلك أنه طبع الكتاب ليدرسه الطلاب الذين
أشفق الاستاذ عليهم اشفاقا عظيما .

(٦) وقامت بتحقيقه وطبعه لجنة من اساتذة كلية اللغة العربية بجامعة
الازهر اختارها وأشرف عليها فضيلة شيخ الكلية الاستاذ محمد
محيي الدين عبدالحميد وطبع الكتاب في مطبعة السنة المحمدية
بالقاهرة ، وقد كتبوا لها تقديما في اثنتي عشرة صفحة ، تحدثوا
فيها عن البلاغة والنقد ، وأشاروا الى القزويني وما عمله في البلاغة .
وقسموا الكتاب الى جزئين : الاول في المعاني ، والثاني في البيان
والبديع ، وهو في مجلد واحد في ٤٦٤ صفحة .

وتمتاز هذه الطبعة بالدقة والترتيب الجيد ووضع العناوين
التي تسهّل قراءته والاستفادة منه . ويمكن القول بأن هذه الطبعة
من أحسن طبعات الايضاح وأدقها .

هذه آثار الخطيب القزويني التي عرضنا لها بالتفصيل ، ولكن
من أين استقى مادتها؟ . ومن الذين تأثر بهم ونقل عنهم؟ .

(١) تهذيب الايضاح ج ١ هامش ص ٣٠٠ .

(٢) تهذيب الايضاح ج ١ هامش ص ٣٤٠ .

مَصَادِرُهُ

١

ذكر جلال الدين القزويني في فاتحة التلخيص أن كتابه تلخيص
للمقسم الثالث من مفتاح العلوم ، وانه قام بهذا الجهد لما رأى المفتاح
غير مصون عن الحشو والتطويل والتعقيد قابلا للاختصار ، مفتقرا الى
الايضاح والتجريد . ولم يقف عندما جاء به السكاكي ، بل اضاف اليه
فوائد عشر عليها في بعض كتب القوم ، وزوائد لم يظفر في كلام احد
بالتصريح بها والاشارة اليها .

وذكر في مقدمة الايضاح أنه وضعه شرحا لكتاب التلخيص ، ولم
يكتفِ بما فيه أو في «مفتاح العلوم» ، وانما اُضف اليه ما خلا عنه
من كلام الشيخ عبدالقاهر في كتابه « دلائل الاعجاز » « واسرار
البلاغة» ، وما ذكره رجال البلاغة وما هداه اليه فكره . ولم يذكر في
مقدمة كتابه الا مفتاح العلوم وكتابي عبدالقاهر ، اما الكتب الاخرى
التي يبدو أنه استفاد منها فلم يذكرها كما فعل ابن منقذ ، وابن ابي
الاصبع المصري وبهاء الدين السبكي الذين ذكروا مصادرههم . وقد سار على

طريقة بدرالدين بن مالك في «تلخيص المفتاح»، ولم يشر اليه في مقدمته ، ولم يذكر فضله واتجاهه في تهذيب المفتاح وترتيبه . ولا نجد في كتابه إشارات الا الى القاضي ابي الحسن الجرجاني صاحب « الوساطة بين المنتبى وخصومه » ، وعبداقاهر ، والزمخشري والسكاكي ، وابن الاثير ، وابن ابي الاصبع المصري مؤلف « تحرير التحبير » و « بديع القرآن » . أما غيرهم من علماء اللغة والبلاغة كالمبرد ، والرماني ، والعسكري ، وابن سنان ، وبدر الدين بن مالك ، فانه لم يشر اليهم .

مع المبرد :

وقد حاولنا أن نجد أثر المبرد (٢٨٥ هـ)^(١) قلم نجد أثره في القزويني واطحا الا ما ذكره السبكي ، يقول وهو يتحدث عن المؤكدات : « قال : وتقول لمن يبالغ في الانكار : اني لصادق ، ومن ذلك قوله تعالى حكاية عن رسل عيسى عليه الصلاة والسلام حين ارسلهم الى اهل انطاكية اذ كذبوا في المرة الاولى « إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ »^(٢) ، وفي الثانية لما تكرر منهم الانكار : « رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ »^(٣) ، ونقل المصنف هذا الترتيب عن المبرد^(٤) .

مع الجرجاني :

وتابع القزويني صاحب « الوساطة » علي بن عبدالعزيز الجرجاني (٣٦٦ هـ)^(٥) في التشبيه المحذوف الاداة ، وهل هو استعارة أو تشبيه بليغ . فاذا كان المشبه غير مذكور ولا مقدر مثل : « رنت لنا ظبية » و« لقيته أسدا » فلا خلاف ان هذا ليس بتشبيه ، وان الاسم فيه استعارة ، واذا كان المشبه مذكورا أو مقدرا فاسم المشبه به ان كان خبراً أو في حكم

(١) تنظر ترجمة المبرد في تاريخ بغداد ج ١ ص ١٧٠ ، وانباء الرواة ج ٢ ص ١٤٢ .

(٢) سورة يس ، الآية ١٤ .

(٣) سورة يس ، الآية ١٦ .

(٤) عروس الانراج ج ١ ص ٢٠٦ .

(٥) تنظر ترجمته في معجم الادباء ج ١٤ ص ١٤ ، وطبقات الشافعية ج ٢ ص ٣٠٨ .

الخبر ، كخبر « كان » و « إن » ، والمفعول الثاني لباب علمت ، والحال ، فالاصح أنه يسمى تشبيها ، وان الاسم فيه لا يسمى استعارة •

هذا رأي القزويني وهو متابعة لصاحب الوساطة الذي فرق بين التشبيه والاستعارة على هذا الوجه أو يقرب منه ، يقول : « وربما جاء في هذا الباب ما يظنه الناس استعارة وهو تشبيه أو مثل ، فقد رأيت بعض أهل الادب ذكر أنواعا من الاستعارة عد فيها قول ابي نواس :

والحُبُّ ظَهَرَ أَنْتَ رَاكِبُهُ فَاذَا صَرَفْتَ عِنَانَهُ انصَرَفَا

ولست أرى هذا وما اشبهه استعارة ، وانما معنى البيت أن الحب مثل ظهر ، أو الحب كظهر تديره كيف شئت اذا ملكت عنانه فهو اما ضرب مثل او تشبيه شيء بشيء ، وانما الاستعارة ما اكتفى فيها بالاسم المستعار عن الاصل وقلت العبارة فجعلت في مكان غيرها • وملاكها تقريب الشبه ومناسبة المستعار له للمستعار منه وامتزاج اللفظ بالمعنى حتى لا يوجد بينهما منافرة ولا يتبين في احدهما اعراض عن الآخر» (١) •

وصرح القزويني بهذه المتابعة فقال : « وهو اختيار المحققين كالقاضي أبي الحسن الجرجاني ، والشيخ عبدالقاهر ، والشيخ جارالله العلامة ، والشيخ صاحب المفتاح - رحمهم الله - » (٢) •

مع الرماني :

وذكر السبكي أن الذي ذكره القزويني في تقسيم الايجاز الى ايجاز قصر ، وايجاز حذف ، وغيره تبع فيه جميعه الرماني المتوفى سنة (٣٨٦ هـ) (٣) • واذا رجعنا الى ما ذكره الرماني ، والقزويني وجدنا

(١) الوساطة ص ٤١ ، وينظر الايضاح ص ٢٨٠ •

(٢) الايضاح ص ٢٨١ •

(٣) مروس الافراج ج ٣ ص ٢٠٢ • وتنظر ترجمة الرماني في تاريخ بغداد ج ١١ ص ١١ ، ومعجم الادباء ج ١٤ ص ٧٢ •

تشابها بينهما ، ولكن الاخير امتاز بالعرض المفصل ، والشرح المسهب ،
والتقسيمات الكثيرة . فقد ذكر الرماني أن الایجاز حذف وقصر ،
والایجاز بعد ذلك على ثلاثة اضرب : الایجاز بسلوك الطريق الاقرب
دون الایبعد . وایجاز باعتماد الغرض دون ما تشعب . وایجاز باظهار
الفائدة بما يستحسن دون ما يستقبح . وانهى الى ان للایجاز فضيلة
وعلوا على سائر الكلام .

وقسمه الخطيب الى ايجاز القصر وایجاز الحذف ، ويكون الاخير
اما بحذف المضاف ، أو الموصوف ، أو الصفة ، أو جواب الشرط ، أو
حذف جزء من اجزاء الجملة، أو حذف جملة مضمونها مسبب بعد ذكره ،
أو جملة مضمونها سبب بعد ذكر مسببه ، أو الحذف بأكثر من جملة .
وقد فصل في هذه الموضوعات تفصيلا لا نجده عند الرماني (١) .

مع العسكري :

وكان لابي هلال العسكري (٣٩٥هـ) (٢) اثر فيما كتب القزويني
عن الحذف ، يقول العسكري : « ومن الحذف الرديء قول الحارث
ابن حلزة :

والعيش خير" في ظلا لِ النوك (٣) ممن عاش كدءا
وانما اراد : والعيش الناعم خير في ظلال النوك من العيش الشاق في
ظلال العقل .
ومثله قول عروة بن الورد :

عجبت لهم اذ يقتلون نفوسهم وقتلهم عند الوغى كان أعذرا

يعني : اذ يقتلون نفوسهم في السلم (٤) .

(١) النكت في اصحاح القرآن ص ٧٠ وما بعدها ، والايضاح ص ١٨٢ وما بعدها .

(٢) تنظر ترجمة العسكري في مجمع الادباء ج ٨ ص ٢٥٨ ، وبنية الوعاة ص ٢٢١ ،

وكتاب « ابو هلال العسكري ومقاييسه البلاغية والنقدية » .

(٣) النوك : الحمق .

(٤) كتاب الصناعتين ص ٨٨ . ١٨٢

ونقل القزويني هذين المثالين وعلق عليهما بكلام العسكري نفسه، فقال عن البيت الاول : « فانه اراد العيش الناعم في ظلال النوك خير من العيش الشاق في ظلال العقل » وقال عن الثاني : « انه اراد اذ يقتلون نفوسهم في السلم » (١) . وهذا يكفي للتدليل على اتفاق الرجلين في الموضوع .

ادعاء :

وأول ما يظالنا في مقدمة « الايضاح » ادعاء مؤلفه بأنه لم يجد فيما بلغه من أقوال في تفسير الفصاحة والبلاغة ما يصلح لتعريفهما به ، ولا ما يشير الى الفرق بين كونه الموصوف بهما الكلام ، وكون الموصوف بهما المتكلم . وهذه دعوى عريضة لا نجد ما يبررها ، لان القدماء أطنبوا في بحث هذه الموضوعات ، وتوسعوا فيها ، ووضحوا كل شيء . ولعل الجاحظ (٢٥٥ هـ) كان من اقدم الذين تعرضوا لبحث الفصاحة والبلاغة ، وذكر كثيرا من صفات الالفاظ ، وقال : إن من الفاظ العرب الفاظ تتنافر وان كانت مجموعة في بيت شعر لم يستطع המשد انشادها الا ببعض الاستكراه ، من ذلك قول الشاعر :

وقبر حَرَبٍ بِمَكَانٍ قَفْرٍ وليس قَرَبٍ قَبْرِ حَرَبٍ قَبْرٍ

ومن ذلك قول ابن يسير في احمد بن يوسف حين استبطأه :

كم لها وقفة ببابِ كريمٍ رجعت من نداءه بالتعطيلِ
لا أدلil الآمال بعدك اني بعدها بالآمال جِدْثٍ بخيلِ
لم يضرها والحمد لله شيء واثنت نحو عزفِ نَفْسٍ ذَهولِ

يقول الجاحظ : « فتفقد النصف الاخير من هذا البيت ، فانك ستجد بعض الفاظه تتبرأ من بعض » (٢) . ولكن الجاحظ لم يجمع هذه الاحكام في ابواب خاصة ، وانما ثرها في كتابه كاسلوبه في البحث

(١) الايضاح ص ١٧٧ .

(٢) البيان والتبيين ج ١ ص ٦٦ .

والتأليف ، فكان موضع نقد ابي هلال الذي قال : « الا ان الابانة عن حدود الشعر ، واقسام البيان والفصاحة مبثوثة في تضاعيفه ، ومنتشرة في اثنايه ، فهي ضالة بين الأمثلة لا توجد الا بالتأمل الطويل ، والتصريح الكثير » (١) .

وحاول ابو هلال ان يرتب هذه المسائل ، ويهذبها ، فعقد في «كتاب الصناعتين» فصولا في الابانة عن موضوع البلاغة في اللغة ، والقول في انصاحة ، وما يتشعب منه ، والابانه عن حد البلاغة وتفسير ما جاء عن الحكماء والعلماء في حدودها . وقرَّبَ بين الفصاحة والبلاغة ، وذكر أن «البلاغة هي كل ما تبلغ به قلب السامع فتمكنه في نفسه لتمكنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن ، وذكر ان الفصاحة قد اختلف في معناها فقال قوم : انها من قولهم افصح فلان عما في نفسه اذا اظهره ، وقال بعضهم : الفصاحة تمام آلة البيان» (٢) .

مع ابن سنان :

وذكر ابن سنان الخفاجي (٤٦٦ هـ) أن «الفصاحة مقصورة على وصف الالفاظ ، والبلاغة لا تكون الا وصفا للالفاظ مع المعاني ، ولهذا لا يقال في كلمة واحدة لا تدل على معنى يفضل عن مثلها بليغة ، وإن قيل فيها فصيحة ، وكل كلام بليغ فصيح وليس كل فصيح بليغا . وذكر حدودا مختلفة للبلاغة ، ولكنه لم يعجب بواحد منها ، ثم قال : «إن انصاحة على ما قدمنا نعت للالفاظ اذا وجدت على شروط عدة ، ومتى تكاملت تلك الشروط فلا مزيد على فصاحة تلك الالفاظ ، وبحسب الموجود منها تأخذ القسط من الوصف ، وبوجود اضدادها تستحق الاطراح والذم» (٣) . وقسم تلك الشروط الى قسمين : الاول منها يوجد في اللفظة الواحدة على انفرادها من غير ان ينضم اليها شيء من

(١) كتاب الصناعتين ص ٥ .

(٢) كتاب الصناعتين ص ٧ .

(٣) سر الفصاحة ص ٦٥ .

الالفاظ وتؤلف معه . والثاني يوجد في الالفاظ المنظوم بعضها
مع بعض .

فاما الذي يوجد في الالفاظ المنظومة فثمانية اشياء :

الاول : ان يكون تأليف تلك اللفظة من حروف متباعدة المخارج
والثاني : أن تجد لتأليف اللفظ في السمع حسنا ومزية على غيرها
وأن تساويا في التأليف من الحروف المتباعدة .

والثالث : أن تكون الكلمة غير متوعرة وحشية .

والرابع : ان تكون الكلمة غير ساقطة عامية .

والخامس : أن تكون الكلمة جارية على العرف العربي الصحيح

غير شاذ .

والسادس : ألا تكون الكلمة قد عبر بها عن أمر آخر يكره ذكره،
فاذا وردت وهي غير مقصود بها ذلك المعنى قبحت وان كملت فيها
الصفات المذكورة سابقا .

والسابع : أن تكون الكلمة معتدلة غير كثيرة الحروف ، فانها متى
زادت على الامثلة المعتادة المعروفة قبحت وخرجت عن وجهه من وجوه
الفصاحة .

والثامن : ان تكون الكلمة مصغرة في موضع عبر بها فيه عن
شيء لطيف ، أو خفي ، أو قليل ، او ما يجري مجرى ذلك .

وطبق هذه الشروط على الالفاظ المؤلفة ، ونفى منها ما لم يصح،
واثبت ما صح وكان له أثر كبير في الكلام .

وبحث الفصاحة كثير من علماء البلاغة كابن رشيق ، وعبدالقاهر،
وجاء ابن الاثير وبحثها بحثا واسعا ، ورد على ابن سنان ردا عنيفا ،
وفند آراءه ، ولم يأخذ الا بالقليل النادر منها^(١) .

(١) ينظر المثل السائر ج ١ ص ١٥٢ ، والجامع الكبير ص ٣٤ ، ٣٦ ، ٧٧ .

وكان لبثي ابن سنان وابن الاثير في الفصاحة اثر فيمن جاء بعدهما، فقد لخصهما علماء البلاغة المتأخرون ، وجعلوهما في مقدمة ما يعرضون من علوم البلاغة . وعلى هذا الاساس سار القزويني في بحث الفصاحة ، فجعلها مقدمة لكتابه « التلخيص » و « الايضاح » ، وبذلك خرج على السكاكي الذي بحثها بعد موضوعات علم البيان ، وقسمها الى قسمين : قسم راجع الى المعنى وهو خلوص الكلام عن التعقيد، وقسم راجع الى اللفظ وهو ان تكون الكلمة عريية أصيلة ، وعلامة ذلك أن تكون عنى ألسنة الفصحاء من العرب الموثوق بعرييتهم كثيرة الدوران، واستعمالهم لها أكثر ، لا مما أحدثها المولدون ، ولا مما اخطأت فيه العامة ، وأن تكون اجرى على قوانين اللغة ، وأن تكون سليمة عن التنافر . أما المراد بتعقيد الكلام فهو أن يعثر صاحبه فكرك في متصرفه، ويشيك طريقك الى المعنى ، ويوعر مذهبك نحوه حتى يقسم فكرك ، ويشعب ظنك الى ان لا تدري من اين تتوصل وبأي طريق معناه يتحصل كقول الفرزدق :

وما مثله في الناس إلا مملكا أبو أمته حي أبوه يقاربه

وكقول أبي تمام :

ثانيه في كبد السماء ولم يكن كائنين ثانٍ اذ هما في الغار^(١)

ويرى الاستاذ محمد عبدالمنعم خفاجي أن ما ذكره القزويني في « التلخيص » و « الايضاح » هو خلاصة ما اقتبس من ابن سنان^(٢) . وهو رأي لا ينطبق تماما على ما نلاحظه من تفاوت بين الرجلين في البحث ، وان استفاد القزويني من ابن سنان استفادة عظيمة ، وثقل بعض أمثله وتقسيماته . ولعل المتابعة التامة تتضح في تقديم بحث الفصاحة على فنون البلاغة الاخرى .

(١) ينظر مفتاح العلوم ص ١٩٦ .

(٢) ينظر الايضاح (طبعة خفاجي) ج ١ هامش ص ٢٦ .

و نقل عنه تقلا تاما تعليقه على بيت المتنبي : (١)

ولافضل فيهم للشجاعة والندي وصبر الفتى لولا لقاء شعوب

وهذا يدلنا دلالة واضحة على ان القزويني استفاد من « سر الفصاحة » ، ولكنه عرف كيف يخفي ثقله ، ويرتب موضوعات كتابه .

مع ابن الاثير :

ويبدو تأثر القزويني واضحا بابن الاثير في بحث السرقات ، والعقد والحل ، وحسن الابتداء ، والتخلص ، والانتهاء ، وقد اشار اليه في هذه الموضوعات وسماه صاحب « الوشي المرقوم في حل المنظوم » .

لقد تحدث ابن الاثير عن السرقات وألّف كتابا في ذلك لم يصل الينا وبحثها في كتابه «الجامع الكبير» ولكنه بحثها بالتفصيل في: «المثل السائر» وقسمها الى خمسة أقسام : النسخ ، والسلخ ، والمسح ، واخذ المعنى مع الزيادة عليه ، وعكس المعنى الى ضده . ويكاد يكون بحث السرقات عند القزويني قريبا من بحث ابن الاثير ، فقد قسمه الى ضربين : ظاهر ، وغير ظاهر ، والظاهر ان يؤخذ المعنى كله أما مع اللفظ كله أو بعضه ، وأما وحده ، ويسمى الاول : الانتحال او النسخ ، والثاني : الاغارة او المسح ، والثالث : الامام او السلخ . والاخذ الخفي أو غير الظاهر أنواع منها أن يتشابه معنى الاول ومعنى الثاني ، أو ينقل معنى الاول الى غير محله ، أو ان يكون معنى الثاني تقيض الاول . وهذه الاقسام لا تخرج عن الاقسام التي ذكرها ابن الاثير وان كانت تختلف بعض الاختلاف في الترتيب والامثلة (٢) .

وتكلم ابن الاثير على التضمين ، وهذا النوع فيه نظر بين حسن يكتسب به الكلام طلاوة ، ومعيب عند قوم ، وهو عندهم معدود من

(١) ينظر سر الفصاحة ص ١٧٥ ، والإيضاح ص ١٧٨ .

(٢) ينظر المثل السائر ج ٢ ص ٣٦٢ وما بعدها ، والإيضاح ص ٤٠١ وما بعدها .

عيوب الشعر • فالحسن الذي يكتسب به الكلام طلاوة هو أن يضمن الآيات والـأخبار النبوية ، وذلك يرد على وجهين : أحدهما تضمين كلي، والآخر تضمين جزئي • فاما التضمين الكلي : فهو أن تذكر الآية والخبر بجملتهما • وأما التضمين الجزئي فهو أن تدرج بعض الآية والخبر في ضمن الكلام فيكون جزء منه • وأما المعيب عند قوم فهو تضمين الاسناد ، وذلك يقع في بيتين من الشعر أو فصلين من الكلام المنشور على أن يكون الاول منهما مسنداً الى الثاني فلا يقوم الاول بنفسه ، ولا يتم معناه الا بالثاني • وهذا هو المعدود من عيوب الشعر وهو عند ابن الاثير غير معيب « لانه ان كان سبب عيبه أن يعلق البيت الاول على الثاني فليس ذلك بسبب يوجب عيباً اذ لا فرق بين البيتين من الشعري تعلق احدهما بالآخر ، وبين الفقرتين من الكلام المنشور في تعلق احدهما بالآخرى » (١) أو أن يضمن الشاعر شعره والنثر نثره كلما آخر بغيره قصداً للاستعانة على تأكيد المعنى المقصود ، ولو لم يذكر ذلك التضمين لكان المعنى تاماً ، وربما ضمن الشاعر البيت من شعره بنصف بيت أو أقل منه كما قال جحظة :

قم° فاسقنيها يا غلامٌ وغني دهب الذين يشعش في أكنافهم

واعتبر القزويني تضمين الكلام شيئاً من القرآن أو الحديث اقتباساً • أما التضمين عنده فهو أن يضمن الشعر شيئاً من شعر الغير مع التنبيه عليه ان لم يكن مشهوراً عند البلغاء (٢) •

وعقد ابن الاثير فصولاً في المبادئ والافتتاحات ، وفي التلخيص والاقضاب ، وأجاد في بحثها ، وأكثر من الامثلة والشواهد الجيدة، وتكلم القزويني عليها ولكنه لم يستطع ان يحلّق كما حلق سابقه ، وأن يجوّد كما جوّد في العرض والتحليل •

(١) المثل السائر ج ٢ ص ٣٤٢ •

(٢) الايضاح ص ٤١٦ ، ٤٨٩ •

مع ابن أبي الاصبع :

واطلع القزويني على ما كتبه ابن ابي الاصبع المصري وان لم يشر الى ذلك ، ونقل عنه القول بالموجب الذي ابتدعه المصري ، وان قال ابن حجة الحموي انه هو واسلوب الحكيم سواء^(١) . وهذا ما لا يرضاه الباحث المدقق عندما يعنى النظر في الموضوعين ، ويقارن بينهما . وهما وان اتفقاني كون كل منهما اخراج الكلام على غير مقتضى الظاهر، فانهما يفترقان في الغاية . فالهدف من القول بالموجب رد كلام المتكلم وعكس معناه ، وهدف الثاني : تلقي المخاطب بغير ما يترقب بحمل كلامه على خلاف مراده تنبيها على أنه الاولي بالقصد او السائل بغير ما يتطلب تنزيل سؤاله منزلة غيره تنبيها على انه الاولي بحاله والمهم له^(٢) . وتكلم عليه عبد القاهر وسماه مغالطة^(٣) . وتحدث السكاكي عن اسلوب الحكيم، وقال عنه بأنه تلقي المخاطب بغير ما يترقب كما قال الشاعر :

أتت° تشتكي عندي مزاوله القرى وقد رأت الضيفان ينحون منزلي
فقلت : كأنني ما سمعت كلامها : هم الضيف جدى في قراهم وعجلى

أو السائل بغير ما يتطلب كما قال تعالى : « يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِيَّةِ ، قُلْ هِيَ مَوَاقِيتٌ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ »^(٤) ، ومنه قول القبعشرى الخارجي للحجاج لما قال له متوعدا بالقييد : لاحملنك على الادهم ، فقال متغاييا : مثل الامير يحمل على الادهم والاشهب . فابرز وعيده في معرض الوعد واره بالطف عبارة ان مرءً مثله مطاع الامر وفي بسطة اليد خيق بأن يعد لا أن يوعده^(٥) .

(١) ينظر خزانة الادب ص ١١٦ .

(٢) ينظر بديع القرآن هامش ص ٣١٤ ، وابن ابي الاصبع المصري بين علماء البلاغة ص ٣٢١ .

(٣) ينظر دلائل الاعجاز ص ١٠٧ .

(٤) سورة البقرة ، الآية ١٨٩ .

(٥) ينظر مفتاح العلوم ص ١٥٥ - ١٥٦ .

وتكلم القزويني عليه في « التلخيص »^(١) ، وبحثه بالتفصيل في « الايضاح » وقال عنه : « ومن خلاف المقتضى ما سماه السكاكي الاسلوب الحكيم وهو تلقي المخاطب بغير ما يترقب بحمل كلامه على خلاف مراده تنبيهها على انه الاولى بالقصد ، او السائل بغير ما يتطلب بتزليل سؤاله منزلة غيره تنبيهها على انه الاولى بحاله أو المهم له »^(٢) . وهو قسمان : الاول : كقول انقبعشري والبيتين المتقدمين . والثاني : كقوله تعالى : « يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْاِهْلِيَّةِ ، قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجَّ » وكقوله : « يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ ؟ قُلْ : مَا انْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلّٰهِ وَاللّٰهِ وَالْاَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ »^(٣) .

ولو كان الاسلوب الحكيم هو القول بالموجب نفسه لما بحثه القزويني مرتين : مرة في علم المعاني واخرى في فنون البديع . ومن هنا يتضح اختلاف هدي الفنيين ، وان اتفقا في انهما اخراج الكلام على غير مقتضى الظاهر . يقول ابن ابي الاصبع المصري عن القول بالموجب : « هو أن يخاطب المتكلم مخاطبا بكلام فيعمد المخاطب الى كل كلمة مفردة من كلام المتكلم فيبني عليها من كلامه ما يوجب عكس معنى المتكلم ، لان حقيقة القول بالموجب رد الخصم كلام خصمه من فحوى كلامه »^(٤) ، ومثل له بقول ابن حجاج :

قُلْتُ : ثَقُلْتُ اِذَا تَيْتُ مِرَارًا قَالَ : ثَقُلْتُ كَاهِلِي بِالْاَيْدِي

قُلْتُ : طَوَّلْتُ ، قَالَ : لَا بَلْ تَطَوَّلْتُ ، وَأَبْرَمْتُ ، قَالَ : حَبْلٌ وَدَادِي

وقول ابن الدويذة المغربي في رجل أودع بعض القضاة مالا فادعى

ضياعه :

(١) التلخيص ص ٩٧ - ٩٩ .

(٢) الايضاح ص ٧٥ .

(٣) سورة البقرة ، الآية ٢١٥ .

(٤) بديع القرآن ص ٣١٤ .

إِنَّ ° قال: قد ضاعت ° فصدّق ° انها
أو قال : قد وقعت ° فصدّق ° انها
ضاعت °، ولكن منك يَعْنِي لويَعِي
وقعت ، ولكن منه أَحْسَنَ مَوْقِعَ

« من أمثله ما جاء في القرآن الكريم : « يَقُولُونَ : لئن °
رَجَعْنَا إلى المدينة لِيُخْرِجَنَّ الأَعْرَضُ منها الأَذْلَ » (١) °

ونرجح أن الخطيب القزويني تأثر بابن ابي الاصبغ الذي ابتدع
هذا النوع وأضافه الى البديع ° ولكن القزويني لم ينقل ما ذكره المصري
تقلاً تاماً ، وإنما نظر فيه واستفاد منه ، وقسمه تقسيماً لم يذكره
السابق ولم يشر اليه ، واطاف اليه أمثلة أخرى °

لقد قسم القزويني القول بالموجب الى ضربين :

أحدهما : ان تقع صفة في كلام الغير كناية عن شيء اثبت له حكم
فتثبت في كلامك تلك الصفة لغير ذلك الشيء من غير تعرض لثبوت
ذلك الحكم له أو انتفائه ، كقوله تعالى : « يَقُولُونَ : لئن ° رَجَعْنَا
إلى المدينة لِيُخْرِجَنَّ الأَعْرَضُ منها الأَذْلَ » ، والله العِزَّةُ
ولرسوله وللمؤمنين ° (٢) °

والثاني : حمل لفظ وقع في كلام الغير على خلاف مراده مما
يحتمله بذكر متعلقه ، كقوله :

ثَلَّتْ ° : ثقلت اذ آتيت مراراً ° قال : ثقلت كاهلي بالايادي

قلت : طولت ، قال : لا بل تطولت وأبرمت ، قال : حَبَلٌ ودادي

ومنه قول القاضي الأرجاني :

غالطتني اذ كست جسمي الضنا كسوة عرت من اللحم العظاما
ثم قالت: أنت عندي في الهوى مثل عيني ، صدقت ، لكن سقاما

(١) سورة المنافقون ، الآية ٨ °

(٢) تكلمة الآية : « ولكن المنافقين لا يعلمون » . سورة البقرة ، الآية ٨ °

ومنه قول ابن دويدة المغربي من آيات يخاطب بها رجلا أودع
بعض القضاة مالا ، فادّعى القاضي ضياعه :

إنّ قال: قد ضاعت فيصدقانها ضاعت ولكن منك يعنى لو تعي
أو قال : قد وقعت فيصدقانها وقعت ، ولكن منه أحسن موقع

وقريب من هذا قول الآخر :

واخوان حسبتهم دروعا فكانوها ، ولكن للاعادي
وخلتتهم سبهما صائبات فكانوها ، ولكن في فؤادي
وقالوا قد صفت منا قلوب" لقد صدقوا ، ولكن من ودادي

وقال القزويني بعد البيتين الاولين : « ولك ان تجعل نحوهما
ضربا ثالثا » (١) .

والتشابه بين الرجلين واضح مما يدعو الى القول بأن القزويني
اخذ هذا الفن البديعي من ابن أبي الاصبع ، وان الامثلة لتدل دلالة
أكيدة على ذلك . والفرق بينهما ان الاول لم يقسم القول بالموجب
الى ضربين كما قسمه القزويني ، ولم يذكر له أمثلة كثيرة ، ومن هنا
نجد القزويني لا يقلد غيره وانما يأخذ ما عند المتقدمين ويضيف اليه
ما يهديه اليه فكره .

وما دام القزويني قد اطلع على كتب ابن ابي الاصبع ونقل عنه القول
بالموجب ، فلا بد انه استفاد منه في بحث فنون البديع ، وإنّ كنا
لا نستطيع الجزم بذلك جزما قاطعا ، لان هذه الفنون بُحِثت منذ عهد
مبكر .

وذهب ابن ابي الاصبع الى ان التدييج من ابتداعه وانه لم
يسبق اليه ، وأيد ابن حجة الحموي هذا قائلا : « نوع التدييج من
مستخرجات ابن ابي الاصبع » (٢) . والحقيقة انه مسبق اليه من

(١) الايضاح ص ٣٨٢ .

(٢) خزائن الادب ص ٤٤١ .

علماء البديع فهو بعينه التورية او الكناية ، أو هو بعينه ما سماه ابن سنان : المخالف ، والحقه بالطباق • ويرى الدكتور حفني شرف أن ليس لابن أبي الاصبغ في هذا الا الاسم^(١) • وبحثه القزويني في فن الطباق متابعا ابن سنان ، ونرى انه لم يستفد من ابن ابي الاصبغ الا في تسمية هذا النوع •

ونقل من شعره أمثلة قليلة منها قوله في بحث احسن وجوه التضمين ، يقول : « واحسن وجوه التضمين أن يزيد المضمن في الفرع عليه في الاصل بنكتة كالتورية ، والتشبيه في قول صاحب التحبير^(٢) :

اذا الوهم ابدى لي لماها وثرعها تذكرت ما بين العذبير وبارق
ويذكرني في قدها ومدامعي مجرعو الينا، ومجرى السوابق^(٣)

مع بدرالدين بن مالك :

وتأثر القزويني ببدرالدين بن مالك وان لم يشر اليه ، ويتضح ذلك في متابعته في تلخيص مفتاح العلوم ، وقد سن بدرالدين سنة الاختصار بعد ان لخص السكاكي مفتاحه بكتاب سماه « التبيان» • ونرجح أن القزويني تابعه في تسمية المحسنات بالبديع ، لاننا لم نجد احدا قبل بدرالدين اطلق عليه هذا المصطلح الذي اطلقه الرواة وابن المعتز على فنون البلاغة المختلفة ، وان السكاكي الذي قسم البلاغة وصاغها الصياغة الاخيرة لم يسمه بهذا وانما هي عنده « وجوه مخصوصة كثيرا ما يصار اليها لقصد تحسين الكلام»^(٤) • وقسمها الى ضربين : ضرب يرجع الى المعنى ، وآخر الى اللفظ •

(١) ينظر ابن ابي الاصبغ المصري بين علماء البلاغة ص ٢٨٨ ، وبديع القرآن هامش ص ٢٤٢ •

(٢) أي تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان اعجاز القرآن لابن ابي الاصبغ المصري • وقد طبع بتحقيق الدكتور حفني محمد شرف في القاهرة سنة ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ •

(٣) الايضاح ص ٤٢٢ •

(٤) مفتاح العلوم ص ٢٠٠ •

وقل عنه بحث تقديم المسند اليه على المسند ، فقد ذكر بدرالدين أنه يقدم اذا « دل على العموم كما تقول : كل انسان لم يقيم ، فيقدم ليفيد نفي القيام عن كل واحد من الناس ، لان الموجبة المعدولة المهمله في قوة السالبة الجزئية المستلزمة نفي الحكم عن جملة الافراد دون كل واحد منها ، فاذا سورت بكل وجب ان يكون لافادة العموم لا لتأكيد نفي الحكم عن جملة الافراد لان التأسيس خير من التأكيد ولو لم تقدم فقلت : لم يقيم كل انسان كان نفيًا للقيام عن جملة الافراد دون كل واحد منها لان السالبة المهمله في قوة السالبة الكلية المقتضية سلب الحكم عن كل فرد لورود موضوعها في سياق النفي ، فاذا سورت بكل وجب أن يكون لافادة نفي الحكم عن جملة الافراد لئلا يلزم ترجيح التأكيد على التأسيس» (١) .

ولم يعجب القزويني هذا التعليل فرده عليه قائلا : « وفيه نظر ، لان النفي عن جملة الافراد في الصورة الاولى اعني الموجبة المعدولة المهمله كقولنا : انسان لم يقيم ، وعن كل فرد في الصورة الثانية أعني السالبة المهمله كقولنا : لم يقيم انسان ، انما افاده الاسناد الى انسان فاذا اضيف «كل» الى «انسان» وحول الاسناد اليه فافاد في الصورة الاولى نفي الحكم عن جملة الافراد وفي الثانية نفيه عن كل فرد منها ، كان «كل» تأسيسا لا تأكيدا ، لان التأكيد لفظ يفيد تقوية ما يفيد لفظ آخر وما نحن فيه ليس كذلك » (٢) .

وقال ان ما ذكره بدرالدين من أن «كل» في النفي مفيدة للعموم تارة ، وغير مفيدة اخرى مشهور وقد تعرض له الشيخ عبدالقاهر وغيره . وان كلام عبدالقاهر ليؤيد قول بدرالدين وان اختلفا في التعليل اذ ان كلام صاحب « المصباح » حق ، ولكن تعليله غير حسن ، وقد ذكر اتقزويني رأي عبدالقاهر ليشير الى التعليل الدقيق .

(١) المصباح ص ١٣ .

(٢) الايضاح ص ٦٥ .

والفرق واضح بين بدرالدين والخطيب في التعليل ، ففي الوقت الذي نرى فيه الاول يسير على اصطلاح أهل المنطق فيذكر السالبة والمهمله والمسورة والمعدولة في هذا التعليل نجد الثاني يتعد عنها ، وينفر منها، ويدعو الى السير على منهج اهل العربية في الشرح والتعليل . ولعل في هذا المثال ما يوضح استفادة القزويني من بدرالدين وعبد القاهر في التوجيه ، وهي استفادة تظهر قدرته على الرد والمناقشة وتفي ما يراه غير مفيد ، وأخذ ما يرى فيه النفع وانارة السبيل .

وكان تأثر القزويني بهؤلاء قليلا ، ولذلك لم يشر الى اكثرهم ، ولم يقف عند آرائهم ، ويناقشهم نقاشا طويلا . ولعل اشهر من استفاد منهم وأخذ آراءهم ورد عليهم : عبدالقاهر ، والزمخشري ، والسكاكي . وقد ذكرهم في كل مسألة وموضوع ، وأخذ عنهم ورد عليهم ، ولتابعه مع هؤلاء الثلاثة الذين بنوا للبلاغة كيانها ، واشادوا صرحها ، وارسوا ركنها الوطيد .

القزويني وعبدالقاهر

الف عبدالقاهر الجرجاني^(١) كتابين هما : « دلائل الاعجاز » و « أسرار البلاغة » ، وهما قمة البلاغة العربية . وقد سيطرت على الكتاب الاول نظرية النظم ، والنظم عنده : « ليس الا ان تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو ، وتعمل على قوانينه واصوله ، وتعرف مناهجه التي نهجت ، فلا تزيغ عنها ، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها »^(٢) . ولا يقصد بالنحو معناه الضيق الذي فهمه المتأخرون ، وانما يريد به المعاني الاضافية التي يصورها النحو .

(١) تنظر ترجمة عبدالقاهر في طبقات الشافعية ج ٣ ص ٢٦٢ ، وشدرات اللجب

ج ٣ ص ٣٤٠ ، والنجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٠٨ ، وانباء الرواة ج ٢ ص ١٨٨ .

(٢) دلائل الاعجاز ص ٦٤ .

وتكلم في هذا الكتاب على الفصاحة ، والبلاغة ، والكناية ،
والمجاز ، واللفظ ، والنظم ، والتقديم والتأخير ، والحذف ونكته ،
والفصل والوصل ، والقصر ، والاختصاص ، وتحرير القول في
الاعجاز ، والفصاحة ، والبلاغة وغيرها .

وأثرَ هذا الكتاب في البلاغة تأثيرا عظيما ، واستفاد السكاكي
منه حينما وضع « مفتاح العلوم » ، وقد جعله المحور الاول في « علم
المنعاني » ، واصبحت موضوعات النظم - التي أجاد عبدالقاهر في بحثها -
موضوعات علم المنعاني ، وسار على منهجه المتأخرون .

والكتاب الثاني في الموضوعات التي اطلق السكاكي عليها فيما
بعد : « علم البيان » . وقد تكلم عبدالقاهر فيه على التشبيه ، والمجاز
بأنواعه ، وأطال الوقوف عندها ، فكان اول من ميَّزَ اقسامها ،
وهذَّب مسائلها . وامتاز بالتحليل والنقد ، وابرز الصور الادبية في
الامثلة الرائعة التي ذكرها والشواهد التي ساقها ، وكانت بحوثه في
البيان احسن ما عرفته البلاغة العربية . وسار علماء البلاغة على خطا
عبدالقاهر ، وكان رائدهم في كل ما كتبوا ، واستاذهم فيما ذهبوا
اليه ، وما ذكروا من آراء ومناقشات .

ولم يستطع القزويني وهو يبحث في البلاغة أن ينجو من تأثيره ،
وكيف يستطيع ذلك وهو يختصر « مفتاح العلوم » الذي كان زبدة
كتب عبدالقاهر ؟ وأتى له الابتعاد عن آرائه وهو يشرح التلخيص ؟
يقول : « وعمدت الى ما خلا عنه المختصر مما تضمنه مفتاح العلوم ،
والى ما خلا عنه المفتاح من كلام الشيخ الامام عبدالقاهر الجرجاني
- رحمه الله - في كتابيه « دلائل الاعجاز » و « أسرار البلاغة » .
وهذا اعتراف صريح بأنه استفاد من عبدالقاهر ونقل آراءه .

الفصاحة :

وقد استفاد منه في بحث الفصاحة ونقل تحليله وتعليقه على
آيات الشعر ، يقول عبدالقاهر معلقا على بيت العباس بن الاحنف :

سأطلبُ بَعْدَ الدارِ عنكم لتقربوا
وتسكبُ عيناىَ الدموعَ لتجمدا

« بدأ بسكب الدموع على ما يوجبه الفراق من الحزن والكمد
فأحسن وأصاب ، لان من شأن البكاء أبدا ان يكون امارة للحزن ،
وان يجعل دلالة عليه وكناية عنه كقولهم : ابكاني واضحكني على
معنى ساءني وسرني ، وكما قال :

أبكاني الدهرُ وياربمما أضحكني الدهرُ بمايثرُضي

ثم ساق هذا القياس الى تقيضه فالتمس ان يدل على ما يوجبه
دوام التلاقي من السرور بقوله « لتجمدا » وظن ان الجمود يبلغ له في
افادة المسرة والسلامة من الحزن ما بلغ سكب الدمع في الدلالة على
الكآبة والوقوع في الحزن . ونظر الى الجمود خلو العين من البكاء
واتفاء الدموع عنها ، وانه اذا قال « لتجمدا » فكأنه قال : احزن
اليوم لثلا احزن غدا ، وتبكي عيناى جهدهما لثلا تبكيا ابدا . وغلط
فيما ظن وذلك ان الجمود هو ان لا تبكي العين مع أن الحال حال بكاء ،
ومع أن العين يراد منها أن تبكي ويشتكى من أن لا تبكي ، ولذلك
لا ترى أحدا يذكر عينه بالجمود الا وهو يشكوها ، ويذمها ، وينسبها
الى البخل ، ويعده امتناعا من البكاء تركا لمعونة صاحبها على ما به
من الهم ، الا ترى الى قوله :

ألا أن عينا لم تجدُ يوم واسطِ عليك بجاري دمعها لجمود

فأنى بالجمود تأكيدا لنفي الجود ، ومحال أن يجعلها لا تجود بالبكاء

وليس هناك التماس بكاء^(١) .

ونقل القزويني هذا الشرح والتعليل والامثلة والايات الشعرية، ولم يختلف عنه الا في تقديم بعض العبارات وتأخيرها وتلخيصها في بعض الاحيان^(٢) .

وقال عبدالقاهر عن الاضافات : « قال صاحب: اياك والاضافات المتداخلة فان ذلك لا يحسن ، وذكر انه يستعمل في الهجاء كقول القائل:

يا علي بن حمزة بن عمارة أنتَ واللهِ ثَلَجَةٌ في خياره

ولا شبهة في ثقل ذلك في الاكثر ، ولكنه إذا سلم من الاستكراه لطف وملح ومما حسن فيه قول ابن المعتز أيضا :

وظلَّكَ تديرُ الراحَ أيدي جاذرٍ عتاقٍ دنائيرِ الوجوهِ ملاحِ

ومما جاء منه حسناً جميلاً قول الخالدي في صفة غلام له :

ويَعْرِفُ الشَّعْرَ مثل معرفتي وهو على أن يَزِيدَ مُجْتَهِدٌ
وصيرفي القريض وزان دينا ر المعاني الدقاق منتقد^(٣)

وأخذ القزويني هذا الرأي وأمثلة عبدالقاهر ، وأثبتته في كتابه راداً على من يذهب الى أن تتابع الاضافات من عيوب الفصاحة . ووضع قاعدة هي : ان تتابع إن أفضى باللفظ الى الثقل على اللسان فقد حصل الاحتراز عنه ، وإلا فلا يخل بالفصاحة ، وقد قال النبي (ص): « الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم »^(٤) .

-
- (١) دلائل الامجاز ص ٢٠٧ - ٢٠٩ .
(٢) الايضاح ص ٦ .
(٣) دلائل الامجاز ص ٨٢ .
(٤) الايضاح ص ٨ .

النظم :

واخذ عنه النظم الذي قال عنه : إنَّه توحي معاني النحو فيما بين الكلام على حسب الاغراض التي يصاغ لها الكلام^(١) . ولم يُسمَّه القزويني بهذا الاسم ، وانما ساء تطبيق الكلام على مقتضى الحال . وقال : إنَّ مقتضى الحال مختلف فان مقامات الكلام متفاوتة ، فمقام التنكير يباين مقام التعريف ، ومقام الاطلاق يباين مقام التقييد ، ومقام التقديم يباين مقام التأخير ، ومقام الفصل يباين مقام الوصل ، ومقام الذكر يباين مقام الحذف ، ومقام القصر يباين مقام خلافه ، ومقام الايجاز يباين مقام الاطناب والمساواة ، وكذا خطاب الذكي يباين خطاب الغبي ، وكذا لكل كلمة مع صاحبها مقام^(٢) .

وهذا ما ذكره عبدالقاهر وأشار اليه بقوله : « واعلم أن ليس النظم الا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو ، وتعمل على قوانينه واصوله ، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها ، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها . وذلك انا لا نعلم شيئاً يتنميه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه ، فينظر في الخبر الى الوجوه التي تراها في قولك « زيد منطلق » ، و « زيد ينطلق » ، و « ينطلق زيد » ، و « منطلق زيد » ، و « زيد المنطلق » ، و « المنطلق زيد » ، و « زيد هو المنطلق » ، و « زيد هو منطلق » . وفي الشرط والجزاء الى الوجوه التي تراها في قولك : « إنَّ تَخْرُجْ اِخْرَجْ » ، و « إنَّ خَرَجْتَ خَرَجْتُ » ، و « انَّ تَخْرُجْ فَأَنَا خَارِجٌ » ، و « أنا خَارِجٌ إنَّ خَرَجْتَ » ، و « أنا

(١) ماتجدر الاشارة اليه ان القاضي ميدالجبار الاسد آبادي المتوفى سنة ٤١٥هـ قد بحث هذا الموضوع قبل عبدالقاهر . (ينظر المغني في ابواب التوحيد والعدل ج ١٦ ص ١٩٩ وما بعدها) .
(٢) الايضاح ص ٩ .

إِنْ خَرَجَتْ خَارِجٌ» •

وفي الحال الى الوجوه التي تراها في قولك : « جاء زيد مسرعاً » ،
و « جاء يسرع » ، و « جاءني وهو مسرع » ، أو « هو يسرع » ،
« جاءني قد أسرع » ، و « جاءني وقد أسرع » ، فيعرف لكل من
ذلك موضعه ويجيء به حيث ينبغي له •

وينظر في الحروف التي تشترك في معنى ثم ينفرد كل واحد منها
بخصوصية في ذلك المعنى ، فيضع كلا من ذلك في خاص معناه نحو
أن يجيء ب « ما » في تهي الحال ، وب « لا » اذا اريد تهي الاستقبال ،
وب « ان » فيما يترجح بين أن يكون وان لا يكون ، وب « إذا » فيما
علم أنه كائن •

وينظر في الجمل التي ترد فيعرف موضع الفصل فيها من موضع
الوصل ، ثم يعرف فيما حقه الوصل موضع « الواو » من موضع
« الفاء » ، وموضع « الفاء » من موضع « ثم » ، وموضع « أو » من
موضع « أم » ، وموضع « لكن » من موضع « بل » •
ويتصرف في التعريف والتنكير ، والتقديم والتأخير في الكلام كله ،
وفي الحذف والتكرار ، والاضمار والاظهار ، فيضع كلا من ذلك مكانه
ويستعمله على الصحة وعلى ما ينبغي له « (١) » •

وهذا ما سماه القزويني مقتضى الحال ومقامات الكلام ، يقول بعد
أن تكلم على تفاوت الاساليب لتفاوت المقامات : « وهذا - اعني تطبيق
الكلام على مقتضى الحال - هو الذي يسميه الشيخ عبدالقاهر بالنظم
حيث يقول : النظم تأخي معاني النحو فيما بين الكلم على حسب
الاعراض التي يصاغ لها الكلام » (٢) •

اللفظ والمعنى :

وتقل كلامه في البلاغة بين اللفظ والمعنى ، ووجه ما اضطرب فيه

(١) دلائل الاعجاز ص ٦٤ - ٦٥ .
(٢) الايضاح ص ٩ •

توجيها حسنا • وتلخيص ذلك ان عبدالقاهر ذكر في « دلائل الاعجاز » أن الفصاحة صفة راجعة الى المعنى دون اللفظ ، وصرح في مواضع منه بأن فضيلة الكلام لفظه لا لمعناه • يقول : ومعلوم أن سبيل الكلام سبيل التصوير والصيغة ، وان سبيل المعنى الذي يعبر عنه سبيل الشيء الذي يقع التصوير والصوغ فيه كالفضة والذهب يصاغ منهما خاتم او سوار ، فكما ان محالا اذا أنت أردت النظر في صوغ الخاتم وفي جودة العمل وردائه ان تنظر الى الفضة الحاملة لتلك الصورة او انذهب الذي وقع فيه العمل وتلك الصنعة ، كذلك محال اذا اردت أن تعرف مكان الفضل والمزية في الكلام أن تنظر في مجرد معناه ، وكما انالو فضلنا خاتما على خاتم بان تكون فضة هذا أجود أو فصه أفسس لم يكن ذلك تفضيلا له من حيث هو خاتم ، كذلك ينبغي اذا فضلنا بيتا على بيت من اجل معناه أن لا يكون تفضيلا له من حيث هو شعر وكلام» (١) •

ومعنى هذا ان عبدالقاهر يرى انه لا يمكن معرفة الفضل والمزية بمجرد النظر في معنى الكلام • وقد قال القزويني موجهها كلامه : « هذا لفظه ، وهو صريح في ان الكلام من حيث هو كلام لا يوصف بالفضيلة باعتبار شرف معناه ، ولا شك ان الفصاحة من صفاته الفاضلة ، فلا تكون راجعة الى المعنى ، وقد صرّح فيما سبق بأنها راجعة الى المعنى دون اللفظ • فالجمع بينهما بما قدمناه بحمل كلامه حيث تقي انها من صفات اللفظ على تقي أنها من صفات المفردات من غير اعتبار التركيب ، وحيث أثبت انها من صفاته على انها من صفاته باعتبار افادته المعنى عند التركيب» (٢) •

تقديم المسند اليه :

ورد عليه في تقديم المسند اليه ، لان عبدالقاهر يرى ان المسند

(١) دلائل الامجاز ص ١٩٦ - ١٩٧ .
(٢) الايضاح ص ١١ .

حرفي بـ
 إليه يقدم ليفيد تخصيصه بالخبر الفعلي إن ولي صرف النفي كقولك :
 « ما انا قلت هذا » ، أي : لم أقله مع انه مقول . فأفاد نفي الفعل
 عنك وثبوته لغيرك ، فلا تقول ذلك الا في شيء ثبت انه قول وانت تريد
 نفي كونك قائلا له ، ومنه قول الشاعر :

وما أنا أسقمتُ جِسمي به ولا أنا أضرمت في القلبِ نارا

والمعنى ان هذا السقم الموجود ، والضرم الثابت ما انا جالب لهما
 فالقصد الى نفي كونه فاعلا لهما لا الى نفيهما . ولهذا لا يقال : ما انا
 قلت ولا أحد غيري ، لمناقضة منطوق الثاني مفهوم الاول ، بل يقال :
 ما قلت أنا ولا احد غيري . ولا يقال ما انا رأيت أحدا من الناس ، ولا
 أنا ضربت الا زيدا ، بل يقال ما رأيت او ما رأيت أنا احدا من الناس ،
 وما ضربت او ما ضربت أنا الا زيدا ، لان المنفي في الاول الرؤية الواقعة
 على كل واحد من الناس ، وفي الثاني الضرب الواقع على كل واحد
 منهم سوى زيد . وقد سبق ان ما يفيد التقديم ثبوته لغير المذكور وهو
 ما نفي عن المذكور فيكون الاول مقتضيا ، لان انسانا غير المتكلم قد
 رأى كل الناس . والثاني مقتضيا لان انسانا غير المتكلم قد ضرب من
 عدا زيدا منهم وكلاهما محال . وعلل عبدالقاهر امتناع الثاني بأن
 تقض النفي بـ « الا » يقتضي ان يكون القائل له قد ضرب زيدا ،
 وإيلاء الضمير حرف النفي يقتضي ان لا يكون ضربه « (١) » .

وقال الخطيب القزويني عنه : « وفيه نظر ، لانا لا نسلم ان إيلاء
 الضمير حرف النفي يقتضي ذلك . فان قيل الاستثناء الذي فيه مفرغ ،
 وذلك يقتضي ان لا يكون ضرب احدا من الناس ، وذلك يستلزم ان لا يكون
 ضرب زيدا ، قلنا : ان لزم ذلك فليس للتقديم لجريانه في غير صورة التقديم
 أيضا كقولنا : « ما ضربت الا زيدا » (٢) .

(١) دلائل الإعجاز ص ٩٧ .

(٢) الإيضاح ص ٥٤ - ٥٥ .

الحذف :

ونقل عنه الحذف الذي قرينته وقوع الكلام جوابا عن سؤال مقدر كقوله تعالى : « جَعَلُوا لَهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ »^(١) فان الله شركاء ان جعلوا مفعولين لـ « جعلوا » ويحتمل الجن وجهين :

أحدهما : ما ذكره عبدالقاهر أن يكون منصوبا بمحذوف دال عليه سؤال مقدر كأنه قيل : « من جعلوا لله شركاء فقييل : الجن ، فيفيد الكلام انكار الشرك مطلقا فيدخل اتخاذ الشرك من غير الجن في الانكار دخول اتخاذه من الجن .

والثاني : ما ذكره الزمخشري وهو أن ينتصب « الجن » بدلا من « شركاء » فيفيد انكار الشريك مطلقا ايضا^(٢) .

خروج الاستفهام :

ورد عليه في خروج الاستفهام عن معناه ، يقول : « ومنها التقرير ، ويشترط في الهمزة أن يليها المقرر به كقولك : « أفعلت ؟ » اذا أردت أن تقرره بان الفعل كان منه ، وكقولك : « أأنت فعلت ؟ » اذا أردت ان تقرر بانه الفاعل . وذهب الشيخ عبدالقاهر والسكاكي وغيرهما الى ان قوله « أأنت فَعَلتَ هذا بِالْهتِنِ يا اِبْرَاهِيمَ »^(٣) من هذا الضرب قال الشيخ : « لم يقولوا ذلك له عليه السلام وهم يريدون ان يقرّ لهم بالله كسر الاصنام قد كان ولكن ان يقر بأنه منه كان وكيف . وقد أشاروا له الى الفعل في قولهم : « أأنت فعلت هذا ؟ » وقال عليه السلام : « بلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هذا » . ولو كان التقرير بالفعل في

(١) سورة الانعام ، الآية ١٠٠ .

(٢) الايضاح ص ٨٥ ودلائل الامجاز ص ٢٢١ ، والكشاف ج ٢ ص ٤١ .

(٣) سورة الانبياء ، الآية ٦٢ .

قولهم : « أنت فعلت ؟ » ، لكان الجواب : فعلت او لم أفعل •

وفيه نظر ، لجواز ان تكون الهمزة فيه على أصلها ، اذ ليس في السياق ما يدل على انهم كانوا عالمين بأنه عليه السلام هو الذي كسر الاصنام» (١) •

مفعول المشيئة :

ويبدو تأثيره به ونقله عنه واضحا في بحث مفعول المشيئة ، وقد نقل امثله وتعليقه مع بعض التغييرات (٢) •

الاستعارة :

ونقل عنه تعليقه على الاستعارة ، يقول عبدالقاهر : « أفلا ترى في الاستعارة العامي المبتذل كقولنا : « رأيت أسدا » ، و « وردت بحرا » ، و « لقيت بدرا » • والخاصي النادر الذي لا تجده الا في كلام الفحول ، ولا يقوى عليه الا افراد الرجال كقوله :

أخذنا باطرافِ الاحاديثِ بيننا وسالت باعناقِ المطيِّ الأباطحِ

اراد : أتتھا سارت سيرا حثيثا في غاية السرعة ، وكانت سريعة في لينٍ وسلاسة ، كأنها كانت سيولا وقعت في تلك الاباطح ، فجرت بها • ومثل هذه الاستعارة في الحسن واللطف وعلو الطبقة في هذه اللفظة بعينها قول الآخر :

سالت عليه شعابُ الحيِّ حين دعا أنصاره بوجوهٍ كالدنانيرِ

اراد أتته مطاع" في الحي ، وأتتهم يسرعون الى نصرته ، وانه لا يدعوهم لحرب او نازل خطب إلا أتوه ، وكثروا عليه ، وازدحموا حواليه حتى تجدهم كالسيول تجيء من ههنا وههنا ، وتنصب من هذا

(١) الايضاح ص ١٢٨ •

(٢) دلائل الاعجاز ص ١٢٦ ، والايضاح ص ١٠٦ •

وذلك حتى يعص بها الوادي ويظفح منها^(١) وهذا ما ذكره القزويني بالنص في بحثه عن وجوه الغرابة في الاستعارة^(٢) .

التمثيل والمجاز المركب :

ووافقه في التمثيل اوالمجاز المركب وقال عن كلام عبدالقاهر في قوله تعالى : « إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب »^(٣) : « هذا معنى كلام الشيخ وهو حق ، لان المراد بالآية الحث على النظر والتفريع على تركه »^(٤) .

ويلاحظ ان القزويني اتخذ من عبدالقاهر إماما له في البلاغة ، وإن خالفه في بعض المسائل ورد عليه احيانا . ونرى أن القزويني كان موقفا الى حد ما في بحث هذه الموضوعات وإن كان عبدالقاهر أكثر تجديدا ، وأروع تحليلا .

(١) دلائل الامجاز ص ٥٨ - ٥٩ .

(٢) الايضاح ص ٢٩٣ - ٢٩٤ .

(٣) سورة ق ، الآية ٣٧ .

(٤) الايضاح ص ٣٠٨ .

الفزويني والزمخشري

لم يؤلف الزمخشري^(١) (٥٣٨ هـ) كتابا في البلاغة ، وانما ثر كثيرا من مسائلها في تفسيره الكشاف . وعلمنا المعاني والبيان عنده من الوسائل المهمة في تفسير القرآن الكريم وما فيه من روعة واعجاز، يقول: « ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق الا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن ، وهما علم المعاني وعلم البيان »^(٢) .

ولقد عني في تفسيره عناية كبيرة بتطبيق قواعد البلاغة على القرآن ، والتنبيه الى ما حوى من أسرار الفصاحة والبلاغة حتى قال ابن خلدون عن الكشاف : « وهو كله مبني على هذا الفن ، وهو اصله »^(٣) ، ومن هنا كان دارسه يحتاج الى ثقافة بلاغية واسعة . وقد شعر القدماء بهذه الحاجة فكانوا اذا ما اقدموا على دراسته تزودوا بثقافة بلاغية ، ووضعوا الكتب الخاصة في تعلمها كما فعل العلوي حينما شرع بعض الطلاب يقرأون عليه « الكشاف » فوضع لهم كتاب الطراز ليكون عوناً على فهم ما في التفسير .

وأثر الكشاف في البلاغة ، وتجلي ذلك في الرازي والسكاكي

(١) تنظر ترجمة الزمخشري في معجم الادباء ج ١٩ ص ١٢٦ ، وانباه السرواة ج ٢

ص ٢٦٥ ، وشذرات الذهب ج ١٤ ص ١١٨ ، وبغية الوعاة ص ٣٨٨ .

(٢) الكشاف ج ١ ص ١٠٤ .

(٣) مقدمة ابن خلدون ص ٥٥٢ .

والقزويني ، ويبدو اتجاه الخطيب الى الزمخشري واعتماده عليه واضحا في تخريج الشواهد القرآنية وتحرير المشاكل البلاغية الغامضة ، وقد مكنته اطلاعه على الكشاف ان يقف في اكثر المسائل الخلافية موقف الحكم الفيصل . لقد نقل عنه تفسيره لقوله تعالى : « لا تتخذوا الهين اثنين إنما هو اله واحد »^(١) ، يقول الزمخشري فيها : « الاسم الحامل لمعنى الافراد والتثنية دال على شيئين : على الجنسية والعدد المخصوص ، فاذا اريد الدلالة على ان المعنى به منهما والذي يساق اليه الحديث هو العدد شفع بما يؤكد به على القصد اليه به ، الا ترى انك لو قلت : انما هو اله ولم تؤكد بواحد لم يحسن وخيل انك تثبت الالهية لا الوجدانية »^(٢) ويقول في تفسير قوله تعالى : « وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه »^(٣) : « معنى ذلك زيادة التعميم والاحاطة كانه قيل : وما من دابة فقط في جميع الارضين السبع ، وما من طائر قط في جو السماء من جميع ما يطير بجناحيه الا امم امثالهم محفوظة احوالها غير مهمل امرها »^(٤) .

الالتفات :

وتأثر به في تعليل حسن الالتفات وقال عنه : « واعلم أن الالتفات من محاسن الكلام ووجه حسنه على ما ذكر الزمخشري هو ان الكلام اذا نقل من اسلوب الى اسلوب كان ذلك احسن تطرية لنشاط السامع ، وأكثر ايقاظا للاصغاء اليه من اجرائه على اسلوب واحد »^(٥) . ولكنه لم يتابعه تمام المتابعة فقد ذكر الزمخشري ثلاث التفاتات في آيات امريء القيس الثلاثة :

تداول ليلى بالائمند ونام الخليث ولم ترقد

- (١) سورة النحل ، الآية ٥١ .
- (٢) الكشاف ج ٢ ص ٤٧٥ ، والايضاح ص ٤٩ .
- (٣) سورة الانعام ، الآية ٣٨ .
- (٤) الكشاف ج ٢ ص ١٦ ، والايضاح ص ٤٩ - ٥٠ .
- (٥) الايضاح ص ٧٣ .

وبات وباتت له ليلسة" كليلة ذي العائر الأرمد
وذلك من نبأ جاءني وخبرته عن أبي الأسود^(١)

يذكر القزويني ان الالتفات في البيت الاول على المشهور ، وفي الثاني التفاتة واحدة فيتعين أن يكون في الثالث التفاتتان ، قيل هما في قوله « جاءني » احدهما باعتبار الانتقال من الخطاب في البيت الاول ، والاخرى باعتبار الانتقال من الغيبة في الثاني . ويرى ان في هذا نظراً ، لان الانتقال انما يكون من شيء حاصل ملتبس به ، واذ قد حصل الانتقال من الخطاب في البيت الاول الى الغيبة في الثاني لم يبق الخطاب حاصلًا ملتبسًا به ، فيكون الانتقال الى المتكلم في الثالث من الغيبة وحدها ، لا منها ، ومن الخطاب جميعاً فلم يكن في البيت الثالث الا التفاتة واحدة . وقيل : احدهما في قوله « وذلك » لانه التفات من الغيبة الى الخطاب ، والثانية في قوله « جاءني » لانه التفات من الخطاب الى المتكلم ، وهو عند القزويني أقرب^(٢) .

والغريب ان القزويني لم يستفد في بحث الالتفات مما كتبه ابن الاثير الذي وضح معناه ، ورد على الزمخشري في وجه حسنه ، ولم يوافق على رأيه . يقول : « وليس الامر كما ذكره ، لان الانتقال في الكلام من اسلوب الى اسلوب اذا لم يكن الا تطرية لنشاط السامع وايقاظاً للاصغاء اليه ، فان ذلك دليل على ان السامع يمل من اسلوب واحد فينتقل الى غيره ليجد نشاطاً للاستماع ، وهذا قدح في الكلام لا وصف له ، لانه لو كان حسناً لما مثل »^(٣) .

ويرى ابن الاثير ان الانتقال من الخطاب الى الغيبة ، او من الغيبة الى الخطاب لا يكون الا لفائدة اقتضته وتلك الفائدة امر وراء الانتقال من اسلوب الى اسلوب ، وقد شرحه ووضحه في المثل السائر احسن

(١) الكشاف ج ١ ص ١١ - ١٢ .

(٢) الايضاح ص ٧٣ .

(٣) المثل السائر ج ٢ ص ٤ .

توضيح • ولولا متابعة القزويني للزمخشري في كثير من الاحيان لما وقف عند ما ذكره ولا استفاد من علماء البلاغة الذين عاشوا في بيئة مصر والشام • وكان عليه أن يستفيد مما كتب ابن الاثير في هذا الباب ، لا أن يسرف في متابعة أهل المشرق ممن اهتموا بالفلسفة ، والمنطق ، وابتعدوا عن ادراك اسرار الجمال ، وتعليه •

لو:

وقال في تفسير قوله تعالى : « قُلْ لو أَتَمَّ تَمَلِّكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي » (١) : « لو حقها ان تدخل على الافعال دون الاسماء ، فلا بد من فعل بعدها في « لو اتمتم تملكون » • وتقديره : لو تملكون تملكون ، فاضمر « تملك » اضمارا على شريطة التفسير ، وابدل من الضمير المتصل الذي هو الواو ضمير منفصل ، وهو « اتمتم » لسقوط ما يتصل به من اللفظ ، ف « اتمتم » فاعل الفعل المضمر و « تملكون » تفسيره • وهذا هو الوجه الذي يقتضيه علم البيان ، وهو ان « اتمتم تملكون » فيه دلالة على الاختصاص ، وان الناس هم المختصون بالشرح المتبالغ

ونحوه قول حاتم :

لو ذات سوارٍ لَطَمْتَنِي

وقول المتلمس :

ولو غير أخوالي أرادوا تقيصتي جعلت لهم فوق العرايين ميسما (٢)

تقييد الفعل بالشرط :

وقال القزويني في بحث تقييد الفعل بالشرط : « قال الزمخشري وللجهل بمواقع « إن » و « اذا » يزيع كثير من الخاصة عن الصواب

(١) سورة الاسراء ، الآية ١٠٠ •

(٢) الكشف ج ٢ ص ٥٤٣ ، والايضاح ص ٨٢ •

فيغلطون ، الا ترى الى عبدالرحمن بن حسان كيف اخطأ بهما الموقع في قوله يخاطب بعض الولاة وقد سأله حاجة فلم يقضها ثم شفع له فيها فقضاها :

ذمت ولم تحمد وادركت حاجتي تولى سواكم أجْرَها واصطناعها
أبى لك كسب الحمد رأي مقصرٍ ونفس أضاف الله بالخير باعها
إذا هي حثته على الخير مرةً عصاها وإن هَمَّتْ بشرٍ أطاعها
فلو عكس لاصاب» (١) .

وخالفه في بحث دواعي مخالفة المقتضى في فعلي الشرط والجزاء، بقول : « وما يتصل بما ذكرناه ان الزمخشري قدس الله روحه قال تعالى « ودوا لو تكفرون » عطفًا على جواب الشرط في قوله تعالى « إن يتقواكم يكونوا لكم أعداءً ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء ، وودوا لو تكفرون » (٢) ، وقال : الماضي وان كان يجري في باب الشرط مجرى المضارع في علم الاعراب فان فيه نكتة كأنه قيل: وودوا قبل كل شيء كفركم وارتدادكم ، يعني انهم يريدون ان يلحقوا بكم مضار الدنيا والدين جميعا من قتل الانفس ، وتمزيق الاعراض ، وردكم كفارا . اسبق المضار عندهم وأولها لعلمهم ان الدين اعز عليكم من ارواحكم ، لانكم باذلون لها دونه ، والعدو أهم شيء عنده أن يقصد أعز شيء عند صاحبه » (٣) ، ويرى القزويني ان هذا حسن دقيق ، لكن في جعل « وودوا لو تكفرون » عطفًا على جواب الشرط نظرا ، لان وودادتهم ان يرتدوا كفارا حاصلة وان لم يظفروا بهم فلا يكون في تقييدها بالشرط فائدة ، فالاولى ان يجعل قول « وودوا لو تكفرون » عطفًا على الجملة الشرطية كقوله تعالى : « وإن يقاتلوكم

(١) الايضاح ص ٩٠ .

(٢) سورة المتحنة ، الآية ٢ .

(٣) الايضاح ص ٩٤ - ٩٥ ، والكشاف ج ٤ ص ٤٠٩ .

يُتَوَلَّوْكُمْ الْاِدْبَارَ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ» (١) .

موضع الغاء والواو :

وقتل تفسير الزمخشري لقوله تعالى : « ولقد آتينا داود وسليمان علماً ، وقالوا : الحمد لله » (٢) ، ، يقول : « فان قلت : اليس هذا موضع الغاء دون الواو كهولك : اعطيته فشكر ومنعته فصبر ؟ قلت : بلى ، ولكنه عطفه بالواو اشعاراً بأن ما قالاه بعض ما احدث فيهما ايتاء العلم وشيء من مواجبه فاضمر ذلك ثم عطف عليه التحميد كأنه قال : ولقد آتيناها علماً فعلاً به وعلماً وعرفاً حق النعمة فيه والفضيلة » (٣) .

الاطناب بالتذييل :

وقال القزويني وهو يتحدث عن الاطناب بالتذييل : « وهو ضربان : ضرب لا يخرج مخرج المثل لعدم استقلاله بافادة المراد وتوقفه على ما قبله كهقوله تعالى : « ذلك جزيناهم بما كفروا وهل تجازي الا الكفور » (٤) ، ان قلنا ان المعنى : وهل يجازى ذلك الجزاء ؟ وقال الزمخشري : وفيه وجه آخر وهو ان الجزاء عام لكل مكافأة يستعمل تارة في معنى المعاقبة واخرى في معنى الاثابة ، فلما استعمل في معنى المعاقبة في قوله « جزيناهم بما كفروا » بمعنى عاقبناهم بكفرهم ، قيل : وهل يجازى الا الكفور ، بمعنى : وهل يعاقب ؟ فعلى هذا يكون في الضرب الثاني » (٥) .

وجه الشبه :

وقتل رأيه في وجه الشبه في قوله تعالى : « هُنَّ لِبَاسٍ لَكُمْ

(١) سورة آل عمران ، الآية ١١١ .

(٢) سورة النمل ، الآية ١٥ .

(٣) الكشاف ج ٣ ص ٢٧٧ - ٢٧٨ ، والايضاح ص ١٩٢ .

(٤) سورة سبأ ، الآية ١٧ .

(٥) الايضاح ص ٢٠٠ - ٢٠١ ، والكشاف ج ٣ ص ٤٥٥ .

وأنتم لباس " لهنن " (١) ، اذ اعتبره الزمخشري حسيا ، لانه لما كان الرجل والمرأة يعتنقان ويشتمل كل واحد منهما على صاحبه في عناقه شبه باللباس المشتمل عليه (٢) واستفاد منه في توجه الاستعارة في قوله تعالى : « فأذاقها الله لباسَ الجوعِ والخوفِ » (٣) . وقال انها على ظاهر قول الشيخ جار الله العلامة استعارة عقلية ، لانه قال: شبه باللباس لاشتماله على الملابس ما غشى الانسان والتبس به من بعض الحوادث وعلى ظاهر قول الشيخ صاحب المفتاح حسية ، لانه جعل اللباس استعارة لما يلبسه الانسان عند جوعه وخوفه من امتناع اللون ورثائة الهيئة (٤) .

المجاز المركب :

ونقل تفسيره لقوله تعالى : « وَاكْمَأَسَكَتَ عَنْ مَوْسَى الْغَضَبُ » وقولهم : « اعتصمت بجبله » في بحث المجاز المركب ، وميز بين « ولما سكت » و « لما سكن » ، ويرى ان الاولى يستفصحا كل ذي طبع سليم وذوق صحيح ، اما الثانية وهي قراءة معاوية بن مرة فلا تجد النفس عندها شيئا من تلك الهزة وطرفا من تلك الروعة (٦) .

وفضّل رأي الزمخشري على رأي عبدالقاهر في شرح بيت لبيد:

وغداة ريحٍ قد كشفت وقرة اذ اصبحت بيد الشمال زمامها

ويرى الزمخشري أن الضمير في « اصبحت » و « زمامها » للقرعة ، بينما جعلها عبد القاهر للغداة ، يقول القزويني : « والاول

-
- (١) سورة البقرة ، الآية ١٨٧ .
 - (٢) الايضاح ص ٢٤٣ ، والكشاف ج ١ ص ١٧٤ .
 - (٣) سورة النحل ، الآية ١١٢ .
 - (٤) الايضاح ص ٢٨٠ ، والكشاف ج ٢ ص ٤٩٨ .
 - (٥) سورة الاعراف ، الآية ١٥٤ .
 - (٦) الايضاح ص ٣٠٦ ، والكشاف ج ٢ ص ١٢٨ .

أظهر» (١) .

الكناية والتعريض :

وتكلم الزمخشري على الكناية والتعريض وفرق بينهما ، وجعل كل واحد منهما قائما بنفسه ، يقول : « فان قلت : أي فرق بين الكناية والتعريض ؟ قلت : الكناية أن تذكر الشيء بغير لفظه له كقولك : «طويل النجاد والحمائل» لطول القامة ، و « كثير الرماد » للمضياف .

والتعريض ان تذكر شيئا تدل به على شيء لم تذكره كما يقال للمحتاج اليه : جئتك لاسلم عليك ولا نظر الى وجهك الكريم ، ولذلك قالوا :

وَحَسْبُكَ بِالتَّسْلِيمِ مِنِّي تَقَاضِيَا

وكأنه احالة الى عرض يدل على الغرض ويسمى التلويح ، لانه يلوح منه ما يريد» (٢) .

ولم يبحث القزويني كلا من الكناية والتعريض على انفراد ، ولم يفرق بينهما كما فعل الزمخشري وابن الاثير ، وانما تابع السكاكي في ذلك وقال : « إن الكناية تتفاوت الى تعريض وتلويح ورمز وايماء واشارة ، فان كانت عرضية فالمناسب أن تسمى تعريضا » (٣) .

فنون بديعية :

ومع ان الزمخشري لم يهتم بالبديع كثيرا ، لانه يرى ان القرآن مختص بعلمين هما : المعاني والبيان ، الا انه نثر في تفسيره بعض هذه الفنون . ويرى الاستاذ مصطفى الصاوي الجويني ان الزمخشري لم يذكر الا ثلاثة ضروب من أضرب البديع هي : الجناس والمشكلة

(١) الايضاح ص ٣١٠ .

(٢) الكشف ج ١ ص ٢١٥ .

(٣) الايضاح ص ٢٢٧ .

واسلوب اللف^(١) . وانحق ان في الكشف ضروبا اخرى لم ينتبه لها الصاوي مع ان القزويني أشار الى بعضها ، يقول وهو يتحدث عن الاستطراد : « وعليه قوله تعالى : « يا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوَاتِكُمْ وَرِيشًا ، وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَٰلِكَ خَيْرٌ » ، ذلك من آياتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ »^(٢) ، قال الزمخشري : هذه الآية واردة على سبيل الاستطراد عقيب ذكر السوءات، وخصف الورق عليها اظهارا للمنة فيما خلق الله من اللباس ، ولما في العري ، وكشف العورة من المهانة والفضيحة ، واشعارا بان التستر باب عظيم من أبواب التقوى^(٣) .

وذكر الزمخشري التوجيه وان لم يسمه بهذا المصطلح ، وانما اطلق عليه اسم ذي الوجهين حينما فسر قوله تعالى : « وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعُ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ »^(١) . ونقل القزويني عنه هذا التفسير ، يقول في بحث المحسنات المعنوية « ومنه التوجيه : وهو ايراد الكلام محتملا لوجهين مختلفين . . . ، وعليه قوله تعالى : « واسمع غير مسمع وراعنا » قال الزمخشري : غير مسمع ، حال من المخاطب أي اسمع وانت غير مسمع وهو قول ذو وجهين يحتمل الذم أي اسمع منا مدعوا عليك بـ « لا سمعت » . . . ويحتمل المدح أي : اسمع غير مسمع مكروها من قولك : اسمع فلان فلانا ، اذا سبه »^(٥) .

وخلاصة ما تقدم ان الخطيب القزويني لم يستفد من الزمخشري كما استفاد من عبدالقاهر ، لا في تحديد مصطلحات البلاغة ولا في التقسيم أو العرض ، وانما استفاد منه في تفسير بعض الآيات وتوجيه الآراء .

(١) منهج الزمخشري في تفسير القرآن ص ٢٥٦ - ٢٥٩ .

(٢) سورة الاعراف الآية ٢٦ .

(٣) الايضاح ص ٣٥٠ ، والكشاف ج ٢ ص ٧٦ .

(٤) سورة النساء ، الآية ٤٦ .

(٥) الايضاح ص ٣٧٧ ، والكشاف ج ١ ص ٤٠٠ .

وعلة ذلك ما قدمنا من إن الزمخشري لم يكن مؤلفا في البلاغة أو باحثا فيها ، وإنما استفاد منها في تفسير القرآن وتوجيه آياته الكريمة ، ومن هنا كانت متابعة القزويني له في هذا المضمار •

ولم يتأثر القزويني بالكشاف وحده ، وإنما استفاد من كتابه المفصل في بحث « هل » •

ونرى أن القزويني كان على صلة وثيقة بالسكاكي ، فهو الذي اختصر القسم الثالث من مفتاحه وهو الذي شرح هذا التلخيص ، ومن هنا كانت العلاقة بينهما وطيدة ، وكانت بلاغة القزويني عرضا لبلاغة السكاكي وآرائه ، مع شرح وتوضيح لآراء غيره ، وتنبه الى ما عرض له ، واستخلصه بنفسه •

القزويني والسكاكي

اختصر الخطيب القزويني القسم الثالث من مفتاح العلوم للسكاكي (٦٢٦ هـ)^(١) شيخ المدرسة الكلامية ، وبذلك عرف في الاقاليم الاسلامية الوسطى كالعراق والشام ومصر والمغرب ، وان كان بدر الدين قد لخصه بكتاييه « المصباح » و « روض الاذهان » ولكنهما لم ينتشرا ويشتهرا كما اشتهر تلخيص القزويني الذي انكب عليه المؤلفون منذ عصر القزويني حتى الآن شرحا وتهذيبا، ونظما وتلخيصا . والسكاكي هو الذي هذب مسائل البلاغة ، ومخضّ زبدتها، ووضعها الوضع الاخير . وعندما جاء القزويني وجد الطريق ممهدا ، ووجد اسباب البحث قد كملت أو كادت فوضع كتاب التلخيص وشرحه وفق غامضه وعويصه بكتاب « الايضاح » الذي يعتبر من خيرة كتب البلاغة الكلامية . ولم يقف القزويني عندما ذكره السكاكي في مفتاح العلوم ولم يأخذ كل ما جاء به قضايا مسلما بها ، بل وقف عند كل رأي مدققا ، وأخذ ما رآه صوابا قريبا الى الذوق العربي السليم ، ورفض ما لم يجده صحيحا ، او وجد فيه ابتعادا عن جادة الادب ، وسبيل الذوق .

واذا اردنا ان نرى القزويني والسكاكي معا فليس لنا الا اتباع ما سرنا عليه سابقا . وقبل كل شيء لا بد أن نشير الى أن الخطيب

(١) تنظر ترجمته في البلاغة عند السكاكي ص ٤٦ - ٧٣، وتنظر المصادر المذكورة فيه.

خالف السكاكي في المنهج خلافا قليلا ، وقدم وأخر ، وما ذكرناه سابقا
عن منهج الرجلين يعنينا عن التكرار •

تعريف المعاني :

عرف السكاكي علم المعاني بأنه « تتبع خواص تراكيب الكلام ^{عبر} الافادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ، ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره »^(١) • ثم قال :
« واعني بتراكيب الكلام : التراكيب الصادرة عن له فضل تمييز ومعرفة
وهي تراكيب البلغاء » •

ويرى القزويني ان هذا الحد غير صحيح اذ التتبع ليس بعلم ولا
صادق عليه فلا يصح تعريف شيء من العلوم به ، ولا شك ان معرفة
البلغ من حيث هو بليغ متوقفة على معرفة البلاغة ، وقد عرفها بقوله :
« البلاغة هي بلوغ المتكلم في تأدية المعاني حدا له اختصاص بتوفية
خواص التراكيب حقها ، وايراد انواع التشبيه والمجاز والكناية على
وجهها »^(٢) ، ثم قال القزويني : « فان اراد بالتراكيب في حد البلاغة
تراكيب البلغاء وهو الظاهر فقد جاء الدور ، وان اراد غيرها فلم يبينه
على قوله « وغيره » مبهم لم يبين مراده به »^(٣) •

الخير :

ولا يرى القزويني في تفسير السكاكي لقوله تعالى وتعليقه عليه :
« ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاقٍ ، وليئس
ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون »^(٤) • لا يرى في قوله
الوضوح • يقول في بحث اعتبار ما وراء الظاهر بلاغة : « وقد ينزل

(١) مفتاح العلوم ص ٧٧ •

(٢) مفتاح العلوم ص ١٩٦ •

(٣) الايضاح ص ١٢ •

(٤) سورة البقرة ، الآية ١٠٢ •

العالم بفائدة الخبر ولازم فائدته منزلة الجاهل لعدم جريه على موجب العلم فيلقى اليه الخبر كما يلقى الى الجاهل باحداهما ، قال السكاكي: وان شئت فعليك بكلام رب العزة : « ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق ، ولبئس ما شروا به انفسهم لو كانوا يعلمون » كيف تجد صدره يصف أهل الكتاب بالعلم على سبيل التوكيد القسيمي وآخره ينفية عنهم حيث لم يعملوا بعلمهم ، ونظيره في النفي والاثبات : « وما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ » (١) وقوله تعالى : « وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ يَنْتَهُونَ » (٢) . يقول القزويني : « هذا لفظه ، وفيه إيهام ان الآية الاولى من امثلة تنزيل العالم بفائدة الخبر ولازم فائدته منزلة الجاهل بهما ، وليست منها ، بل هي من امثلة تنزيل العالم بالشيء منزلة الجاهل به لعدم جريه على موجب العلم ، والفرق بينهما ظاهر » (٣) .

المجاز العقلي :

واختلف عنه في بحث المجاز العقلي ، فقد انكره السكاكي ، وأدخله في الاستعارة بالكناية ، اما القزويني فقد رد عليه ولم يعتبره من مباحث علم البيان وانما من المعاني ، لانه يرى ان المسمى بالحقيقة العقلية والمجاز العقلي هو الاسناد لا الكلام ، خلاف السكاكي الذي يرى ان المسمى بهما هو الكلام لا الاسناد . يقول القزويني : « قد تبين بما ذكرنا ان المسمى بالحقيقة العقلية والمجاز العقلي على ما ذكره السكاكي هو الكلام لا الاسناد ، وهذا يوافق ظاهر كلام الشيخ عبد القاهر في مواضع من « دلائل الاعجاز » وعلى ما ذكرنا هو الاسناد لا الكلام . وهذا ظاهر ما نقله الشيخ أبو عمرو بن الحاجب - رحمه الله - عن

(١) سورة الانفال ، الآية ١٧ .

(٢) سورة التوبة ، الآية ١٢ . ينظر الايضاح ص ١٧ ، ومفتاح العلوم ص ٨٢ .

(٣) الايضاح ص ١٨ .





بالإضافة ، اما للتحويل واما لخلافه • ويرى القزويني انه لخلافه ، واليه ميل الزمخشري ، فانه ذكر أن ابراهيم عليه السلام لم يخل هذا الكلام من حسن الادب مع ابيه حيث لم يصرح فيه ان العذاب لاحق له لاطق به ، ولكنه قال : « إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنْ الرَّحْمَنِ » (١) فذكر الخوف والمس ونكر العذاب (٢) .

كل :

وخالفه في الكلام على « كل » في بحث توكيد المسند اليه وهو يتحدث عن دفع توهم التجوز او السهو أو عدم الشمول فمثل له السكاكي بقوله : « كل رجل عارف » و « كل انسان حي » وهذا غير صحيح عند القزويني ، لانه يرى ان كلمة « كل » تارة تقع تأسيسا وذلك اذا افادت الشمول من اصله حتى لولا مكانها لما عقل ، وتارة تقسع تأكيدا وذلك اذا لم تفده من اصله ، بل يمتنع ان يكون اللفظ المقتضي له مستعملا في غيره • اما الاول فهو أن تكون مضافة الى نكرة كقوله تعالى : « كَلَّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ » (٣) وقوله : « وَكَلَّ شَيْءٍ فَصَلَّئْنَا تَفْصِيلًا » (٤) وقوله : « وَهُمْ مِنْ كَلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ » (٥) ، وأما الثاني فما عدا ذلك كقوله تعالى : « فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ » (٦) وهي في قوله : « كل رجل عارف » و « كل انسان حيوان » من الاول لا الثاني ، لانها لو حذف منهما لم يفهم الشمول اصلا » (٧) .

(١) سورة مريم ، الآية ٤٥ .

(٢) الايضاح ص ٤٧ .

(٣) سورة المؤمنون ، الآية ٥٣ ، وسورة الروم ، الآية ٣٢ .

(٤) سورة الاسراء ، الآية ١٢ .

(٥) سورة الانبياء ، الآية ٩٦ .

(٦) سورة الحجر ، الآية ٣٠ .

(٧) الايضاح ص ٥١ ، ومفتاح العلوم ص ٩١ .

التقديم للاختصاص :

ورد عليه في التقديم للاختصاص وعرض لمذهبي عبد القاهر
والسكاكي ، وكان السكاكي قد اشترط في افادة التقديم للاختصاص
امرین :

أحدهما : انه يجوز تقدير كونه في الاصل مؤخرا بأن يكون فاعلا في
المعنى فقط مثل : « انا قمت » • فانه يجوز ان تقدر اصله « قمت »
أنا « على ان « أنا » تأكيد للفاعل الذي هو التاء في « قمت »
فقديم انا ، وجعل مبتدأ •
وثانيهما : أن يقدر كونه كذلك •

ولا يرى القزويني هذا الرأي ، وقد عرض لرأي عبد القاهر
والزمخشري في ذلك و«رد» على السكاكي (١) •

الالتفات :

وكما خالف القزويني الزمخشري والجمهور في الالتفات ، نراه
يخالف السكاكي فيه فيعرض آراءه ويعلق عليها ، وكان السكاكي قد
ذهب الى ان الالتفات غير مختص بالمسند اليه ، بل التكلم والخطاب
والغيبة مطلقا ينقل كل واحد منهما الى الآخر ، كقول ربيعة بن مقروم :

بانت سعادٌ فأمسى القلبُ مَعْمُودا واخلفتك ابنة الحرِّ المواعيدا

وقوله :

تذكرت والذكرى تهيجك زينا واصبح باقي وصلها قد تقضبا
وحل بفلجٍ فالأباترِ اهلنا وشطَّت فحلت غمرة فمثبا (٢)

(١) الايضاح ص ٥٩ - ٦٢ .
(٢) مفتاح العلوم ص ٩٥ - ٩٦ .

والمشهور عند الجمهور ان الالتفات : هو التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة بعد التعبير عنه بطريق آخر منها . يقول القزويني : « وهذا أخص من تفسير السكاكي ، لانه اراد بالنقل ان يعبر بطريق من هذه الطرق عما عبر عنه بغيره ، أو كان مقتضى الظاهر ان يعبر عنه بغيره منها . فكل التفاوت عندهم التفات عنده من غير عكس » (١) . ومثال الالتفات من التكلم الى الخطاب قوله تعالى : « وما لي لا أعْبُدُ الذي فَطَرَنِي وَاِلهِ تَرَجَعُونَ » (٢) ، ومن التكلم الى الغيبة قوله تعالى : « إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ » (٣) ، ومن الخطاب الى التكلم قول علقمة بن عبدة :

طحا بك قلب في الحسانِ طروبُ بُعَيْدَ الشَّبابِ عَصْرَ حَانَ مَشِيْبُ
يَكْلِفُنِي لَيْلِي وَقَدْ شَطَّ وَلِيهَا وَعَادَتْ عَوَادِي بَيْنَنَا وَخَطُوبُ

ومن الخطاب الى الغيبة قوله تعالى : « حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَئِينَ بِهَمِّ » (٤) ومن الغيبة الى التكلم قوله تعالى : « وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ » (٥) ، ومن الغيبة الى الخطاب قوله تعالى : « مَا لِكَ يَوْمَ الدِّينِ • إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ » (٦) ، وقول عبدالله بن عبدة :

مَا أَنْ تَرَى السَّيْدِ زَيْدًا فِي تَفُوسِهِمْ كَمَا يَرَاهُ بَنُو كَوْزٍ وَمَرْهُوبُ

إِنْ تَسْأَلُوا الْحَقَّ نَعْطِ الْحَقَّ سَأَلْتَهُ
وَالدَّرْعُ مُحَقَّبَةٌ وَالسَّيْفُ مَقْرُوبٌ

-
- (١) الإيضاح ص ٧١ .
(٢) سورة يس ، الآية ٢٢ .
(٣) سورة الكوثر ، الآيتان ١ ، ٢ .
(٤) سورة يونس ، الآية ٢٢ .
(٥) سورة فاطر ، الآية ٩ .
(٦) سورة الفاتحة ، الآيتان ٤ ، ٥ .

وذكر السكاكي أبيات امرىء القيس :

تطاولَ ليثك بالأثمَدِ ونام الخليثُ ولم ترقِدِ
وباتَ وباتٌ له ليلةٌ كليلةٌ ذي العائِرِ الأرمَدِ
وذلك من نبأ جِئاني وخبرته من أبي الأسودِ

وذكر في تفسيرها وجوها : احدها ان يكون قصد تهويل الخطب واستفظاعه فنبه في التفاته الاول على أن نفسه وقت ورود ذلك النبأ عليها ولهت له^١ و^٢ الشكلى ، فأقامها مقام المصاب الذي لا يتسلى بعض التسلى الا بتفجع الملوك له وتحزنهم عليه . وخطبها بـ « تطاول ليثك » تسلية على انها لفظاعة شأن النبأ ابدت قلقا شديدا ولم تتصبر - فعل الملوك - فشك في أنها نفسه ، فأقامها مقام مكروب وخطبها بذلك تسلية . وفي الثاني على انه صادق في التحزن خاطب أو لا ؟ وفي الثالث على أنه يريد نفسه ، أو نبه في الاول على ان النبأ لشدته تركه حائرا فما فطن معه لمقتضى الحال فجرى على لسانه ما كان الفه من الخطاب الدائر في مجاري امور الكبار أمرا ونهيا ، وفي الثاني على أنه بعد الصدمة الاولى افاق شيئا فلم يجد النفس معه ، فبنى الكلام على الغيبة ، وفي الثالث على ما سبق في الوجه الاول . او نبه في الاول على انها حين لم تثبت ولم تتبصر غاظه ذلك فأقامها مقام المستحق للعقاب فخطبها على سبيل التوبيخ والتعير بذلك ، وفي الثاني على أنه الحامل على الخطاب والعتاب لما كان هو الغيظ والغضب وسكت عنه الغضب بالعتاب ولى عنها الوجه وهو يدمدم قائلا : « وبات وبات له » وفي الثالث على ما سبق .

يقول القزويني : « هذا كلامه ولا يخفى على المنصف ما فيه من التعسف »^(١) .

(١) الايضاح ص ٧٥ ، ومفتاح العلوم ص ٩٦ وما بعدها .

ولم يستطع السكاكي والقزويني ان يضعا الالتفات الوضع الاخير او ان يبحثاه بحثا ادبيا كما فعل ابن الاثير ، فبقي يتأرجح بين علم المعاني وعلم البديع . والى هذا أشار ابن يعقوب المغربي قائلا : « ويسمى هذا النقل بجميع أقسامه عند علماء المعاني التفاتا اخذا من التفات الانسان يمينا وشمالا وبالعكس . فان قلت : لاي وجه خصص تسميته بعلماء المعاني مع ان عد الالتفات من البديع أقرب ، لان حاصل ما فيه انه يفيد الكلام ظرافة وحسن نظرية فيصغى اليه لظرافته وابتداعه ، ولا يكون الكلام به مطابقا لمقتضى الحال فلا يكون من علم المعاني فضلا عن كونه يختص بهم فيسمونه به دون اهل البديع . . ؟ قلت : « اما كونه من الاصول التي تذكر في علم المعاني فصحيح كما اذا اقتضى المقام فائدته من طلب مزيد الاصغاء ، لكون الكلام سؤالا ، أو مدحا ، او اقامة حجة ، أو غير ذلك فهو من هذا الوجه من علم المعاني . ومن جهة كونه شيئا ظريفا مستبدا يكون من علم البديع . وكثيرا ما يوجد في المعاني مثل هذا فليفهم ، واما تخصيص علم المعاني بالتسمية فلا حجر فيه والله اعلم » (١) . وكرر هذا الكلام في مكان آخر (٢) ، ومعنى ذلك ان البلاغيين لم يتفقوا على هذا الفن ، اهو من علم البديع أم هو من علم المعاني ؟ ولم يجزهم الى هذا الا شعورهم باضطراب منهجهم الذي بنوا عليه البلاغة .

القلب :

وخالفه في القلب ، فقد رده قوم مطلقا ، وقبله مطلقا قوم منهم السكاكي الذي يقول عنه : « وهو شعبة من الاخراج لا على مقتضى الظاهر ولها شيوع في التراكيب ، وهي مما يورث الكلام ملاحه ، ولا يشجع عليها الا كمال البلاغة ، تأتي في الكلام وفي الاشعار وفي

(١) مواهب الفتح ج ١ ص ٤٦٣ - ٤٦٤ .

(٢) ينظر مواهب الفتح ج ١ ص ٤٧٣ .

التنزيل» (١) • ويرى القزويني انه ان تضمن اعتبارا لطيفا قبل وإلا رُدَّ ، لذلك يقول عن قوله تعالى : « وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فِجَاءَهَا بِأَسْنَاهَا » (٢) ليس واردا على القلب اذ ليس في تقدير القلب فيه اعتبار لطيف ، وكذا قوله تعالى : « ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى » (٣) وكذا قوله تعالى : « اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ » (٤) • فأصل الاول : اردنا اهلاكم فجاءها بأسنا أي اهلاكمنا • وأصل الثاني : ثم أراد الدنو من محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى فتعلق عليه في الهواء • ومعنى الثالث : تَنَحَّ عَنْهُمْ الى مكان قريب تتوارى فيه ليكون ما يقولونه بسمع منه فانظر ماذا يرجعون» (٥) •

وقد رأى السكاكي أن في هذه الآيات قلبا، ولكن القزويني لا يرى ذلك ، ومن هنا جاء الاختلاف بينهما فذهب الاول الى قبوله مطلقا ، وذهب الثاني الى قبوله ان تضمن اعتبارا لطيفا • ومع ذلك لم يضعه السكاكي في مكانه اللائق من فنون البلاغة ويبين أهميته ، فبقي يتردد في اقسام البلاغة كلها فهو من علم المعاني ان قصدت به المطابقة ، وان لم تقصد فهو في التشبيه المقلوب من علم البيان ، او هو من علم البديع • واسرف في الرد عليه في باب ذكر المسند وافراده ، وفي حذف المفعول» (٦) •

التقديم :

وقسم السكاكي التقديم للعناية قسمين :

احدهما : أن يكون اصل ما تقدم في الكلام هو التقديم ، ولا

(١) مفتاح العلوم ص ١٠١ •

(٢) سورة الاعراف ، الآية ٤ •

(٣) سورة النجم ، الآية ٨ •

(٤) سورة النمل ، الآية ٢٨ •

(٥) الايضاح ص ٧٩ •

(٦) الايضاح ص ٨٦ ، ٨٧ ، ١٠٦ - ١٠٩ •

مقتضى للعدول عنه كالمبتدأ المعروف ، فان اصله التقديم على الخبر نحو: « زيد عارف » وكذي الحال المعروف فأصله التقديم على « الحال » نحو: « جاء زيد راكبا » ، وكالفاعل فأصله التقديم على معموله نحو « عرف زيد عمرا » ، وكالفاعل فأصله التقدم على المفعولات وما يشبهها من الحال ، والتمييز نحو : « ضرب زيد الجاني بالسوط يوم الجمعة أمام بكر ضربا شديدا تأديبا له ممثلا من الغضب » ، وكالذي يكون في حكم المبتدأ من مفعولي باب علمت نحو « علمت زيدا منطلقا » او في حكم فاعل من مفعول باب أعطيت وكسوت ، وكالمفعول المتعدى اليه بغير وساطة فاصلة التقدم على المتعدى اليه بواسطة نحو : « ضربت الجاني بالسوط » ، وكالتوابع فاصلها ان تذكر مع المتبوع فلا يقدم غيرها عليها .

وثانيهما : ان تكون العناية بتقديمه والاهتمام بشأنه لكونه في نفسه نصب عينك ، وان التفات خاطر اليه في التزايد ، كما نجدك قد منيت بهجر حبيبك وقيل لك : ما تتمنى ؟ تقول : وجه الحبيب أتمنى ، وعليه قوله تعالى : « وجعلوا لله شركاء »^(١) او لعارض يورثه ذلك كما اذا اخذت في الحديث وتوهمت لقرائن الاحوال من أنت معه في الحديث ملتفت الخاطر الى معنى ينتظر من مسألك الحديث المأمك به فيبرز ذلك المعنى عندك في معرض أمر يتجدد في شأنه التقاضي ساعة فساعة^(٢) .

ولا يرى القزويني فيما ذكره السكاكي ما يدعو الى الاطمئنان فيرد عليه قائلا : « وفيما ذكر نظر من وجوه :

احدها : انه جعل تقديم « لله » على « شركاء » للعناية والاهتمام ، وليس كذلك فان الآية مسوقة للانكار التويخي فيمنع أن يكون تعلق « اجعلوا » بـ « لله » منكرا من غير اعتبار تعلقه بـ « شركاء » اذ لا ينكر

(١) سورة الرعد ، الآية ٢٢ .

(٢) مفتاح العلوم ص ١١٣ - ١١٤ .

ان يكون جعل ما متعلقا به ، فيتعين أن يكون انكار تعلقه به اعتبار تعلقه بـ « شركاء » وتعلق بـ « شركاء » كذلك منكر باعتبار تعلقه بـ « لله » فلم يبق فرق بين التلاوة وعكسها . وقد علم بهذا ان كل فعل متعد الى مفعولين لم يكن الاعتناء بذكر احدهما الا اعتبار تعلقه بالآخر، اذا قدم أحدهما على الآخر لم يصح تقديمه بالعناية .

وثانيها : أنه جعل التقديم للاحتراز عن الاخلال ببيان المعنى ، والتقديم للرعاية على الفاصلة في القسم الثاني وليس منه .

وثالثها : أن تعلق « من قومه » بـ « الدنيا » على تقدير تأخره غير معقول المعنى الاعلى وجه بعيد (١) .

القصر :

وبحث القزويني القصر ، والفصل والوصل بحثا اكثر ترتيبا وطلاوة من بحث السكاكي ورد عليه في عدة مواضع ، وأخذ عليه اهماله القصر الحقيقي وادخال قصر التعيين في قصر الافراد وعدم اشتراطه في قصر الموصوف أفرادا عدم نفاي الصفتين ولا في قصره قلبا تحقق تنافيهما (٢) . وفضل رأي عبد القاهر على رأيه فيما بين طرق القصر من فروق . يقول السكاكي : ان شرط مجامعة النفي بـ « لا » العاطفة للطريق الثالث من طرق القصر وهو ما كان بـ « انما » ان لا يكون الوصف مختصا بالموصوف كقوله تعالى : « إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ » (٣) فان كل عاقل يعلم ان الاستجابة لا تكون الا ممن يسمع ، وكذا قواهم : « انما يعجل من يخشى الموت » ، ويقول عبد القاهر : لا تحسن مجامعته له في المختص كما تحسن في غير المختص ، ويقول القزويني : « وهذا أقرب » (٤) .

(١) الابضاح ص ١١٧ - ١١٨ .

(٢) الابضاح ص ١٢٠ .

(٣) سورة الانعام : الآية ٢٦ .

(٤) الابضاح ص ١٢٢ .

الفصل والوصل :

ورَدَّ عليه في الفصل والوصل عند كلامه على القطع والجامع وأنواعه بين الجملتين (١) .

الايجاز والاطناب :

وَبَحَثَ الايجاز والاطناب بحثا مفصلا في « مفتاح العلوم »، وهو من امتع البحوث في هذا الموضوع ، وادخل في الاطناب موضوعات كان المتقدمون قد عدوها من أبواب البديع ، وأفردوا لها فصولا خاصة كالايضاح بعد الابهام ، وذكر الخاص بعد العام ، والتكرار ، والايغال، والتذييل ، والتكميل ، والاحتراس (٢) .

وقسَّمَ الايجاز الى ايجاز قصر وايجاز حذف ، واطناب في الكلام فيهما فتكلم على المحذوف اذا كان جملة او جزء جملة أو أكثر من جملة، وهذا ما لم يفعله السكاكي . وردَّ عليه ردا عنيفا في اول هذا الفصل ، لان السكاكي قال : « أما الايجاز والاطناب فلكونهما نسيبين لا يتيسر الكلام فيهما الا بترك التحقيق والبناء على شيء عرفي ، مثل جعل كلام الاوساط . والاطناب هو ادائه باكثر من عباراتهم سواء كانت القلة أو الاعتراف بذلك مقيسا عليه ، ولتَسَمَّيْتَهُ متعارف الاوساط ، وانه من باب البلاغة لا يحمد منهم ولا يذم . ثم عرف الايجاز والاطناب بقوله : « فالايجاز هو اداء المقصود من الكلام بأقل من عبارات متعارف الأوساط . والاطناب هو ادائه باكثر من عباراتهم سواء كانت القلة أو الكثرة راجعة الى الجمل أو الى غير الجمل » (٣) . وقال ان الاختصار لكونه من الامور النسبية يرجع الى بيان دعواه الى ما سبق تارة والى كون المقام خليقا بأبسط مما ذكر اخرى . ولم يَرِّ القزويني في هذا

(١) الايضاح ص ١٥٥ - ١٦٢ .

(٢) ينظر كتاب الصناعتين مثلا

(٣) مفتاح العلوم ص ١٢٣ .

الكلام ما فيه الصحة والدقة فقال : « وفيه نظر ، لان كون الشيء نسيبا لا يقتضي ان لا يتيسر الكلام فيه الا بترك التحقيق والبناء على شيء عرفي ، ثم البناء على متعارف الاوساط والبسط الذي يكون المقصود جديرا به رد الى جهالة فكيف يصلح للتعريف ؟ والاقرب ان يقال : المقبول من طرق التعبير عن المعنى هو تأدية اصل المراد بلفظ مساو له أو ناقص عنه ، واف ، او زائد عليه بفائدة » (١) .

ورد عليه في موضوعات علم البيان ، ومن ذلك بحثه عن المشترك في موضوع الحقيقة والمجاز والتاء في لفظة الحقيقة .

التمثيل :

واختلف عنه في التمثيل اختلافا يسيرا ، فهو يرى - مع متابعتة للسكاكي في تقسيم وجه الشبه - ان التشبيه التمثيلي ما كان وجهه منتزعا من امور متعددة سواء كان حسيا ام عقليا ، اما السكاكي فذكر ان التشبيه متى كان وجهه وصفا غير حقيقي وكان منتزعا من عدة امور خص باسم التمثيل (٢) . والاختلاف بينهما ان السكاكي يرى أنه لا بد أن يكون وجه الشبه وصفاً غير حقيقي أي عقليا ، أما الثاني فيرى أن يكون حسيا وعقليا . وعلى هذا الاساس فان رأي القزويني في التشبيه هو أن كل تشبيه كان وجهه حسيا مفردا تشبيهه غير تمثيلي ، وان كل تشبيه كان وجهه حسيا مركبا تشبيهه تمثيلي ، وان كل تشبيه كان وجهه عقليا حقيقيا مفردا تشبيهه غير تمثيلي ، وأن كل تشبيه كان وجهه عقليا غير حقيقي مركبا تمثيلي (٣) .

استعارة محسوس لمحسوس :

وانكر على السكاكي اهماله استعارة محسوس لمحسوس بما بعضه

(١) الايضاح ص ١٧٧ .

(٢) مفتاح العلوم ص ١٦٤ والايضاح ص ٢٤٩ .

(٣) بنظر فصل التشبيه في الايضاح ، ودراسات لبلاغة عبدالقاهر ص ٢٥ .

حسي ، وبعضه عقلي كهولك « رأيت شمسا » وأنت تريد انساني ،
تشبيها بالشمس في حسن الطلعة ، ونباهة الشأن • وتقدمه في القرينة في
قول الشاعر :

تقري الرياح رياض الحزن مزهرة
إذا سرى النوم في الاجفان انقاطا^(١)

الحقيقة والمجاز :

وعقد القزويني فصلا رد فيه على السكاكي في باب الحقيقة والمجاز
وناقشه ، يقول : « اعلم ان كلام السكاكي في هذا الباب - أعني باب
الحقيقة والمجاز - والفصل الذي يليه مخالف لمواضع مما ذكرنا ، فلا بد
من التعرض لها ، وليبين ما فيها »^(٢) • وقد ناقش السكاكي في تعريف
الحقيقة والمجاز وتقسيمه للمجاز ، وفي تعريفه الاستعارة التخيلية ،
والمكنية ، والتبعية مما سنذكر طرفا منه في باب « بلاغة القزويني » •

البديع :

وبعد أن انتهى من البيان عقد للبديع بابا واضاف الى ما ذكره
السكاكي فنونا أخرى كالارصاد ، والاستطراد ، والتجريد ، والموازنة ،
والقول بالموجب ، والتشريع • وترك أنواعا كثيرة أشار السكاكي اليها ،
كأوجه التحسين الرجعة الى الخط دون اللفظ ، أو كون الحروف
منقوطة وغير منقوطة •

وبحثه في البديع احسن من بحث السكاكي الذي أماته ، وأحاله
جسلا لا روح فيها ، وعبارات لا توحى بشيء • أما القزويني فقد توسع
في بحثه ، وأكثر من الامثلة ، وقسمها تقسيما ليس فيه التكلف
والاسراف في الصنعة حتى أن بعض الباحثين المحدثين في البلاغة وفنونها

(١) الايضاح ص ٢٩٧ • ٢٠٠ •

(٢) الايضاح ص ٣١١ •

المختلفة أثنى عليه في هذا المضمار ، فقال الاستاذ علي الجندي متحدثا عن الجنس : « ومقارنة ما كتب عن الجنس ، وانعام النظر فيما ورد منه في الشعر يتبين لنا أن تقسيم الخطيب أحمد هذه التقسيمات جميعا ، وأبعدها عن الاسراف ، فالأنواع التي ذكرها كثيرة الورد قوية الصلة بالطبع ، ولهذا يمكن أن نعدها أصول الجنس » (١) . ويمكن تطبيق كلام الاستاذ الجندي على كثير من أنواع البديع التي ذكرها القزويني ، فهي وإن لم تكن الصورة المثلى لبحثه فنون البديع - أحسن من كلام السكاكي ، ذلك الكلام الذي سيطر عليه الجفاف ، وسادته روح التقنين الضيق . ولو اطال القزويني في بحثها وذكر الامثلة الحية لعُدَّ من المبرزين في هذا المضمار لما امتاز به من ذوق أدبي صافٍ ، وطبيعة فنية صادقة كانت حصيلة بيئة مصر والشام العربية . ومع ذلك فقد رد على السكاكي في بعض المواضع ، واختلف معه في بعض المصطلحات ، فاطلق على سوق المعلوم مساق غيره مصطلح « تجاهل العارف » .

انفراد :

وانفرد القزويني عن السكاكي بفصلين هما : السرقات ، وحسن الابتداء والانتهاء ، ولم يكن فيهما مجددا ، الا انها انفتاة حسنة منه تشير الى ما رزق من ارهاف ، وحس ، وتذوق للادب واساليبه .

ومن هنا نجد القزويني يتأثر بالسكاكي في ناحيتين : المنهج ، ومادة البحث . ولكنه لم يتابعه متابعة تامة ، وانما حاول أن يفند آراءه ويرد عليها ، ولعل ما ذكرناه يوضح هذا خير توضيح ، ويلقي ضوء على عمل السكاكي والقزويني في البلاغة العربية .



هذا هو منهج القزويني في البلاغة ، وتلك كتبه وآثاره ، ويمكن أن نلخص مصادرها في انه استفاد من كتب المبرد ، و « النكت في اعجاز

(١) فن الجنس ص ٦١ .

القرآن « للرماني ، و « كتاب الصناعتين » للعسكري ، و « الوساطة »
للقاضي الجرجاني ، وكتاب « المفردات في غريب القرآن » للراغب
الاصفهاني ، و « سر الفصاحة » لابن سنان ، و « المثل السائر »
و « الوشى المرقوم » لابن الاثير ، و « بديع القرآن » و « تحرير
التحبير » لابن أبي الاصبع المصري ، و « المصباح » لبدرالدين بن مالك
ويبدو أثر « دلائل الاعجاز » و « اسرار البلاغة » لعبد القاهر
و « الكشاف » للزمخشري و « مفتاح العلوم » للسكاكي واضحا في
بلاغة القزويني ، وقد سار على خطاهم ولم يتخلص من بلاغتهم وتأثيرهم
الا قليلا .

الباب الثاني
بلاغته الفروني

الفصاحة

١

شغل النقاد منذ القديم باللفظ والمعنى أو بالشكل والمضمون ،
واقسموا الى مؤيدين للفظ ومدافعين عن المعنى ، والى من جمع بين
الاثنين • وهذه مسألة من مسائل علم الجمال الحديث وقد شغل بها
الاقدمون والعرب ووضعوا مقاييس للفظ والمعنى ، ولعل ارسطو من
اوائل الذين شغلوا بهذا الموضوع وكتبوا فيه •

رأي الجاحظ :

والجاحظ من أوائل الذين أثاروا هذه المشكلة عند العرب حينما
قال : « والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي ، والعربي ، والبدوي ،
والقروي ، والمدني ، وانما الشأن في اقامة الوزن ، وتخير اللفظ ، وسهولة
المخرج ، وكثرة الماء ، وفي صحة الطبع ، وجودة السبك • فانما الشعر

صناعة وضرب من النسيج وجنس من التصوير» (١) .

وظن بعضهم ان الجاحظ يميل الى اللفظ كل الميل ، وانه لا يرى للمعنى قيمة ، والواقع أنه عني باللفظ واعطاه نصيبه من الاهتمام، وهذا واضح لكل من قرأ كتبه وتمعن النظر فيها .

ولعل دفاعه عن اللفظ في كثير من الاحيان يعود الى ما كان بين العنصرين العربي والاعجمي من صراع ، فقد تشييع الاعاجم للمعنى تشييعا عظيما ، وأتجه العرب الى اللفظ يعظمونه ويضفون عليه صفات كبيرة (٢) . وعرف الجاحظ بكرهه للشعوية الحاقدة ودفاعه عن العرب فجنح هذا الجنوح في تعظيم اللفظ وتقديره ، مع انه يروي ان بعضهم لا يحفل إلا بالمعنى ، كأبي عمرو الشيباني الذي يرى أن المعنى متى كان رائعا حسنا ظل كذلك في أية عبارة وضع فيها فاليبتان :

لا تَحْسَبَنَّ الموتَ موتَ البلى فانما الموتُ سؤالُ الرجال
كلاهما موتٌ ولكنَّ ذا أفضحُ من ذاك لذلِّ السؤالِ

استحسنهما أبو عمرو على حين ليست عليهما مسحة أدبية سوى الوزن ، وعابه الجاحظ ورأى أنه مسرف في تقديرهما . يقول : « وأنا رأيت أبا عمرو الشيباني وقد بلغ من استجاداته لهذين البيتين ونحن في المسجد يوم الجمعة أن° كلف رجلا حتى أحضره دواة وقرطاسا حتى كتبهما له وأنا ازعم ان صاحب هذين البيتين لا يقول شعرا ابدا ، ولولا ان ادخل في الحكم بعض الفتك لزعمت أن° ابنه لا يقول شعرا ابدا » (٣) .

ووضع الجاحظ مقاييس للفظ وتكلم على تنافر الالفاظ وما ينبغي تجنبه ، ولكنه لم يهمل المعنى والتأكيد عليه ، ومن هنا لا تنفق مع

(١) الحيوان ج ٣ ص ١٣١ - ١٣٢ .

(٢) ينظر في النقد الادبي ص ١٦١ و ابو هلال العسكري ومقاييس البلاغة والنقدية ص ١٣٢ .

(٣) الحيوان ج ٣ ص ١٣١ .

ما ذهب اليه بعضهم من ان الجاحظ كرس جهوده في خدمة الالفاظ ،
ولاجله خاض عبد القاهر غمار هذا البحث . ويرى الدكتور محمد مندور
ان كل آراء عبد القاهر تنحصر في مسألتين :

الاولى : انكاره لما رآه الجاحظ من اهمية فصاحة الالفاظ باعتبار
تلك الفصاحة صفة في اللفظ ذاته ، ثم ثورته على مذهب العسكري الذي
يرد جودة الكلام الى محسنات لفظية تقف عند الشكل .
الثانية : تعليقه جودة الكلام بخصائص في النظم (١) .
وفيما نقله عبد القاهر من اهتمام الجاحظ بالصياغة والمعنى خير
دليل لتفنيد ما ذهب اليه مندور .

رأي ابن قتيبة :

وذكر ابن قتيبة ان الشعر اربعة اضراب : ضرب منه حسن لفظه
وجاد معناه كقول القائل في بعض بني أمية :

في كفه خيزران " ريحُه عَبِيقٌ " من كف أروع في عرينه شَمَمٌ
يُغْضِي حَيَاءً وَيُغْضِي مِنْ مَهَابَتِهِ فَمَا يَكَلِمُ إِلَّا حِينَ يَبْتَسِمُ

وكقول أوس بن حجر :

أَيَّتْهَا النَّفْسُ أَجْمَلِي جَزَعًا إِنَّ الَّذِي تَحْذَرِينَ قَدَّ وَقَعَا

وضرب منه حسن لفظه وحلا ، فاذا أنت فتشته لم تجد هناك
فائدة في المعنى كقول القائل :

ولما قَضَيْنَا مِنْ مَنَى كُلِّ حَاجَةٍ وَمَتَسَّحَ بِالْأَرْكَانِ مِنْ هُوَ مَسْحٌ
وَشَدَّتْ عَلَى حُدُبِ الْمَهَارَى زِحَالِنَا
ولا ينظر الغادي الذي هو رائحٌ

(١) في الميزان الجديد ص ١٤٩ .

أخذنا بأطرافِ الاحاديثِ بيننا وسالتُ بأعناقِ المطىِّ الأباطحِ

يقول معلقا عليها : « هذه الالفاظ كما ترى احسن شيء مخرج ومقاطع ، وان نظرت الى ما تحتها من المعنى وجدته : ولما قطعنا أيام منى ، واستلمنا الاركان ، وعالينا ابلنا الانضاء ، ومضى الناس لا ينظر الغادي الرائح ، ابتدأنا في الحديث وسارت المطي في الاباطح . وهذا الصنف كثير » (١) .

ونحوه قول المعلوط (٢) :

إِنَّ الَّذِينَ غَدَوْا بِبِكَ غَادِرُوا وَشَلَاءَ بَعِينِكَ لَا يَزَالُ مَعِينَا
غَيْضُنَ مِنْ عِبْرَاتِهِمْ وَقَتْلُنَ لِي: مَاذَا لَقَيْتَ مِنَ الْهَوَى وَلَقِينَا

وضرب منه جاد معناه ، وقصرت الفاظه عنه كقول نبيد بن ربيعة :

ما عاتبُ المرءَ الكريمِ كَنَفْسِهِ والمرءُ يُصَلِّحُ الْجَلِيسَ الصَّالِحَ

وضرب منه تأخر معناه ، وتأخر لفظه كقول الاعشى في امرأة :

وقئوها كاقاحيٍّ غِذَاهُ دَائِمٌ الْهَطْلُ
كما شيبَ بَرَايحٍ بَارِدٍ مِنْ عَسَلِ النَّحْلِ (٣)

فابن قتيبة يذهب الى « أن البلاغة لا تقتصر على اللفظ فهي قد تكون فيه فقط ، وقد تكون في المعنى فقط ، وقد تكون فيهما جميعا ، وقد تنقصهما جميعا . فليس اللفظ وحده هو الذي يعطي النماذج الاديبة قيمتها من فن وجمال ، فالمعنى يشركه في ذلك اذ يوصف ، بالرداءة والقبح كما يوصف بالجودة والجمال » (٤) . وكان ابن قتيبة في ذلك يرد على

(١) الشعر والشعراء ص ٨ .

(٢) بروى البيتان لجرير وعما في ديوانه ص ٥٧٨ .

(٣) الشعر والشعراء ص ٧ - ١٠ .

(٤) في النقد الادبي ص ١٦٢ .

الجاحظ مذهبه في تقديم اللفظ على المعنى من حيث بلاغة الكلام . وقد سار ابن طباطبا في « عيار الشعر » على خطاه ، واستمد حديثه عن المعاني والالفاظ من فكرته .

واهتم النقاد والبلاغيون بالموضوع فتكلم قدامة بن جعفر على اللفظ وليس في كلامه ما يشير الى تفضيله اللفظ او المعنى بصراحة وإن وضع لكل منهما اصولا وقواعد ، وقال : « نعت اللفظ أن يكون سَمْحًا ، سهل مخارج الحروف من مواضعها ، عليه رونق الفصاحة مع الخلو من البشاعة » (١) .

وتحدث ابو هلال عنها وعقد لكل منهما فصلا .

رأي عبد القاهر :

وكان عبد القاهر ممن اهتم بالمعنى مع اهتمامه بالصياغة ، وإن ذهب الى أن الالفاظ خدم للمعاني ، وأوعية لها ، وهي تتبعها في حسنها وجمالها وقبحها ورداءتها . يقول : « ولن تجد أيمن طائرا ، وأحسن اولا وآخرها ، وأهدى الى الاحسان ، واجلب للاستحسان من أن ترسل المعاني على سجيبتها وتدعها تطلب لأنفسها الالفاظ فانها اذا تركت وما تريد ثم تكتسب الا ما يليق بها ، ولم تلبس من المعارض الا ما يزينها ، فاما ان تضع في نفسك انه لا بد من أن تجنس أو تسجع بلفظين مخصوصين ، فهو الذي انت بعرض الاستكراه ، وعلى خطر من الخطأ والوقوع في الدم فان ساعدك الجد كما ساعد في قوله :

أودعاني أمث° بما أودعاني

وكما ساعد أبا تمام في نحو قوله :

وأوجدتم من بعد إتهام داركم فيادمع أنجدني على ساكني نجد

(١) نقد الشعر ص ١٠ .

وقوله :

هِنَّ الْحَمَامُ فَإِنَّ كَسَرْتَ عِيَافَةً

من حَائِهِنَّ فَانْهِنَّ حِمَامُ

فذلك ، والا اطلقت لسنة العيب» (١) .

والالفاظ عند عبدالقاهر لا تتفاضل من حيث هي أنفاظ مجردة ، ولا من حيث هي كلم مفردة ، وأن الالفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملائمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها أو ما أشبه ذلك بما لا تعلق له بصريح اللفظ . ومما يشهد لذلك أنك ترى الكلمة تروك ، وتؤنسك في موضع ، ثم تراها بعينها تثقل عليك وتوحشك في موضع آخر كلفظ الاخدع في بيت الحماسة :

تَلَفَّتْ نَحْوَ الْحَيِّ حَتَّى وَجَدْتَنِي وَجَعْتُ مِنَ الْأَصْغَاءِ لَيْتًا وَأُخْدَعًا (٢)

وبيت البحري :

وَإِنِّي وَإِنْ بَلَّغْتَنِي شَرَفَ الْغِنَى

واعتقت من رِقِّ المطامع أَخْدَعِي

فإن لها في هذين المكانين ما لا يخفى من الحسن ، ثم أنك تتأملها في بيت أبي تمام :

يَا دَهْرُ قَوْمٍ مِّنْ أَخْدَعِكَ فَقَدْ

أَضْجَجْتَ هَذَا الْأَنَامَ مِنْ خُرْقِكَ

(١) أسرار البلاغة ص ١٩ - ٢٠ .

(٢) اللبت : صفحة العنق ، مناه : لبتان ، ج : أليات .

الاخدع : عرق في صفحة العنق ، يقال : لاقيمن اخدعك ، أي : لاذهبن كبيرك ، وفلان

شديد الاخدع : كتابة عن العتو والشدة . ج : أخداع .

فتجد لها من الثقل على النفس ، ومن التثغير والتكدير أضعاف ، ما
وجدت هناك من الروح ، والخفة ، واللين ، والبهجة •

ومن أعجب ذلك لفظة « الشيء » فانك تراها مقبولة حسنة في
موضع ، وضعيفة مستكرهة في موضع ، وإن اردت أن تعرف ذلك فانظر
الى قول عمر بن أبي ربيعة :

ومن مالىءٍ عينيه من شيءٍ غيرِه
إذا راحَ نحوَ الجَمرةِ البيضِ كالدِّمى

والى قول أبي حية :

إذا ما تقاضى المرءَ يومَ "ليلة" تقاضاه شيءٌ لا يمل التقاضيا
فانك تعرف حسنها ، ومكانها من القبول • ثم انظر اليها في بيت المتنبي:
لو الفلكُ الدوارُ ابغضت سعيه لعوقه شيءٌ عن الدورانِ
فانك تراها ثقل ، وتضؤل بحسب نبلها وحسنها •

وينتهي عبدالقاهر الى أن الكلمة لو كانت اذا حسنت ، من حيث
هي لفظ ، واذا استحقت المزية والشرف ، استحقت ذلك في ذاتها وعلى
انفرادها دون أن يكون السبب في ذلك حال لها مع اخواتها المجاورة لها
في النظم ، لما اختلف بها الحال ، ولكانت اما ان تحسن أبدا ، أو
لا تحسن أبدا (١) •

ولم يقف عبد القاهر عند الاهتمام بالنظم ، وانما اهتم بالتصوير
الادبي الذي لا يكون الا بترتيب الالفاظ والتأليف بينها • يقول :
« ومعلوم ان سبيل الكلام سبيل التصوير والصياغة ، وان سبيل المعنى
الذي يعبر عنه سبيل الشيء الذي يقع التصوير والصوغ فيه كالفضة

(١) ينظر دلائل الاعجاز ص ٣٨ وما بعدها •

والذهب يصاغ منهما خاتم أو سوار • فكما ان محالا اذا أنت اردت النظر في صوغ الخاتم وفي جودة العمل وردائه ان تنظر الى الفضة الحاملة لتلك الصورة ، او الذهب الذي وقع فيه العمل وتلك الصنعة • كذلك محال اذا اردت أن تعرف مكان الفضل والمزية في الكلام أن تنظر في مجرد معناه • وكما انا لو فضلنا خاتما على خاتم بأن تكون فضة هذا اجود ، او فضه أقدس ، لم يكن ذلك تفضيلا له من حيث هو خاتم ، كذلك ينبغي اذا فضلنا بيتا على بيت من اجل معناه ان لا يكون تفضيلا له من حيث هو شعر وكلام • وهذا قاطع فاعرفه « (١) » .

فبعد القاهر يرى ان للتصوير الادبي قيمة كبيرة ، ولهذا اطال الكلام في اسرار البلاغة على الوسائل والاساليب التي تجعل الصورة حسنة مقبولة ، ولكنه مع ذلك لا يرى للكلام قيمة في لفظه أو معناه ، وانما هو الترابط بينهما • ودعاه هذا الى القول بنظرية النظم ، والنظم - عنده - ليس الا توخي معاني النحو وتعليق الكلم بعضها ببعض ، وجعل بعضها بسبب من بعض • وذهب أبعد من هذا ورأى أن في الاستعارة ما لا يمكن بيانه الا بعد العلم بالنظم والوقوف على حقيقته • يقول معلقا على الاستعارة في بيت الشاعر :

سالت عليه شعاب الحبي حين دعا أنصاره بوجوه كالدنانير

« فانك ترى هذه الاستعارة على لطفها وغرابتها إنما تم لها الحسن وانتهى الى حيث انتهى بما توخى في وضع الكلام من التقديم والتأخير، وتجدها قد ملحت ولطفت بسعاونة ذلك ومؤازرته لها • وان شككت فاعمد الى الجارين والظرف فأزِلْ كلا منها عن مكانه الذي وضعه الشاعر فيه فقل : « سالت شعاب الحبي بوجوه كالدنانير عليه حين دعا أنصاره » • ثم انظر كيف يكون الحال وكيف يذهب الحسن والحلاوة ، وكيف

(١) دلائل الإعجاز من ١٩٦ - ١٩٧ .

تعدم أريحيتك التي كانت، وكيف تذهب النسوة التي كنت تجدها» (١) .
 فالفصاحة عنده لا تحصل الا بتوخي معاني النحو أي في النظم ،
 والالفاظ لا تفيد حتى تؤلف ضربا خاصا من التأليف ، ويعمد بها الى
 وجه دون وجه من التركيب والترتيب . فلو انك عمدت الى بيت شعر أو
 فصل نثر ، فعددت كلماته عدداً كيف جاء وأتفق ، وابتلت نضده ونظامه
 الذي عليه بني وفيه افرغ المعنى واجري ، وغيّرت ترتيبه الذي
 بخصوصيته أفاد كما أفاد وبسقه المخصوص أبان المراد نحو ان تقول في:
 « قفا نيك من ذكرى حبيب ومنزل » : « منزل قفا ذكرى من نيك حبيب »
 أخرجته من كمال البيان الى محال الهديان . نعم ، واسقطت نسبه من
 صاحبه ، وقطعت الرحم بينه وبين منشئه بل احلت ان يكون له اضافة
 الى قائل ونسب يختص بمتكلم (٢) .

وينتهي الى الحكم بالخطأ على من قصر الفصاحة على الكلمات من
 حيث هي الفاظ منطوقة واصوات مسموعة ، والكاتب لا يطلب اللفظ
 بحال وانما يطلب المعنى ، واذا ظفر بالمعنى فاللفظ معه وازاء ناظره . وهو
 في هذا يتفق مع ما يقوله نوديه (Nodier) في هذا المعنى: « ان الكلمة
 ثمرة للفكرة ، فمتى نضجت الفكرة سقطت كما تسقط الثمرة الناضجة ،
 ولكنها تسقط على كلمتها » . ومع ما يقوله جويير (Joubert)
 « وعندما تصل الفكرة الى تمامها تصيح بكلمتها » (٣) .

رأي ابن الاثير :

وآثر ضياء الدين بن الاثير جانب اللفظ على المعنى في تقدير البلاغة
 او تقدير القيم الفنية للادب . وهذا أمر طبيعي في عصره الذي اهتم فيه
 الكتاب بتخير الالفاظ والتفنن في رصفها ، وكان هذا هو الذي يميز

(١) دلائل الاعجاز ص ٧٨ .

(٢) اسرار البلاغة ص ٨ .

(٣) ينظر بلاغة ارسطو ص ٣٧٩ ، ونظرية عبدالقاهر في النظم ص ٨٢ ، وينظر دلائل

الاعجاز ص ٤٩

كاتباً عن كاتب ، وعلى اساسه كان السلاطين والامراء يختارون كتاب
الانشاء ممن يحسنون الكتابة في الدواوين التي كانت معاني رسائلها
معروفة شائعة ليس من فرق بينها الا في اختيار الالفاظ ، وتجسير
العبارات ، وتنميق الالفاظ .

رأي ابن خلدون :

وذهب ابن خلدون الى ان صناعة الكلام نظماً ونثراً ، انما هي في
الالفاظ لا في المعاني ، وانما المعاني تبع لها وهي اصل ، فالصانع الذي
يحاول ملكة الكلام في النظم والنثر انما يحاولها في الالفاظ بحفظ
امثالها من كلام العرب ليكثر استعماله وجريه على لسانه حتى تستقر له
الملكة في لسان مضر ، ويتخلص من العجمة التي رُبِّي عليها في جيله ،
 ويفرض نفسه مثل وليد نشأ في جيل العرب ، ويلقن لغتهم كما يلقنها
الصبي حتى يصير كأنه واحد منهم في لسانهم . ويرى ان المعاني موجودة
عند كل واحد ، وفي طوع كل فكر منها ما يشاء ويرضى فلا يحتاج الى
صناعة^(١) .

آراء الفريبيين :

ولم يكن العرب وحدهم ممن اعتنقوا هذا المذهب في عصورهم
السالفة ، وانما اعتنقه جماعة من قواد العرب المحدثين ، ونادوا به ، مثل
« شارلتن » الذي يقول : إنَّ الشعر مؤلف من الفاظ ومن الفاظ فقط
كما تتألف سائر ضروب الكلام ، فكل ما للشعر من سحر يفتن القلوب
انما هو صادر عن الالفاظ والالفاظ وحدها . ويذهب « شيلر » الى
ان الفن فيه الشكل وهو كل شيء والمعنى ليس شيئاً مذكوراً^(٢) ولكن
كثيراً من قواد العرب كانوا يعتبرون اللفظ والمعنى سواء ولا يفصلون
بينهما ، ولعل صحيفة بشر بن المعتسر (٢١٠ هـ) من اقدم الرسائل التي

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٥٧٧ .

(٢) فنون الادب ص ٤ ، وقدامة بن جعفر والنقد الادبي ص ١٨٥ .

وصلت الينا بهذا الصدد، فهو ينصح بترك التوعر الذي يسلم الى التعقيد،
والتعقيد هو الذي يستهلك المعاني ويشين الالفاظ ، ومن اراغ معنى
كريما فليتمس له لفظا كريما فان حق المعنى الشريف اللفظ الشريف ،
ومن حقهما ان يسانا عما يفسدهما ويهجنهما^(١) .

رأي ابن طباطبا :

وكان ابن قتيبة الذي اشرنا الى كلامه فيما سبق ممن يسوي بين
اللفظ والمعنى ، وكان ابن طباطبا يرى ان اللفظ والمعنى ضروريان ، يقول
وهو يتحدث عن الشعر : « وان قص جزء من اجزائه التي يعمل بها ،
وهي اعتدال الوزن وصواب المعنى ، وحسن الالفاظ كان انكار الفهم
اياه على قدر نقصان اجزائه . ومثال ذلك الغناء المطرب الذي يتضاعف
له طرب مستمعه المتفهم لمعناه ولفظه مع طيب الحانه ، فاما المقتصر على
طيب اللحن منه دون ما سواه فناقص الطرب »^(٢) . ويذهب الى ان
الكلام الذي لا معنى له كالجسد الذي لا روح فيه كما قال بعض
الحكماء : « للكلام جسد وروح ، فجسده النطق وروحه معناه »^(٣) .
وللمعاني الالفاظ تشاكلها فتحسن فيها وتقبح في غيرها ، فهي لها كالمعرض
للجارية الحسنة التي تزداد حسنا في بعض المعارض دون بعض وكم من
معنى حسن قد شين بمعرضه الذي ابرزه فيه ، وكم معرض حسن قد
ابتذل على معنى قبيح البسه ، وكم من صارم غضب قد انتضاه من
وددت لو انه انتضاه فهزه ثم لم يضرب به^(٤) .

رأي ابن رشيق :

وربط ابن رشيق بين اللفظ والمعنى ، وقال : « إن اللفظ جسم ،

(١) ينظر البيان والتبيين ج ١ ص ١٣٦ .

(٢) عيار الشعر ص ١٥

(٣) عيار الشعر ص ١١

(٤) عيار الشعر ص ٨ .

وروحه المعنى ، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم يضعف بضعفه ، ويقوى بقوته ، فاذا سلم المعنى واختل بعض اللفظ كان تقصا للشعر وهجنة عليه كما يعرض لبعض الاجسام من العرج والشلل والعمور وما أشبه ذلك من غير ان تذهب الروح . وكذلك ان ضعف المعنى واختل بعضه كان للفظ من ذلك اوفر حظ كالذي يعرض للاجسام من المرض بمرض الارواح ولا تجد معنى يختل الا من جهة اللفظ وجريه فيه على غير الواجب قياسا على ما قدمت من ادواء الجسوم والروح . فان اختل المعنى كله وفسد بقي اللفظ مواتا لا فائدة فيه ، وان كان حسن الطلاوة في السمع ، كما ان الميت لم ينقص من شخصه شيء في رأي العين الا انه لا ينتفع به ولا يفيد فائدة ، وكذلك ان اختل اللفظ جملة وتلاشى لم يصح له معنى ، لانا لا نجد روحا في غير جسم البتة» (١) .

وللبحتري أبيات يشارك فيها رأي من يسوون بين اللفظ والمعنى ، يقول :

حجج تخرس الأكده بألفاظ فرادى كالجوهر المعدود
ومعان لو فصلتها القوافي هجنت شعراً جرولاً وليد
حزن مستعمل الكلام اختياراً وتجنبين ظلمة التعقيد
وركن اللفظ القريب فأدر كمن غاية المراد البعيد
كالعذارى غدون في الحل الصفر إذا رحن في الخطوط السود (٢)

الصلة بين اللفظ والمعنى :

ولكن هل ترك أصحاب اللفظ المعنى ، وهجرا أصحاب المعنى اللفظ؟ إن الباحث في آراء المتقدمين لا يجد حدا فاصلا بين الرأي الاول والرأي الثاني ، فالذي يفضل اللفظ لا يترك المعنى ، والذي يفضل المعنى لا يطرح اللفظ وان كان جنوحه الى أحدهما أكثر . وسبب ذلك ان التقاد

(١) العمدة ج ١ ص ١٢٤ .

(٢) ديوان البحتري ج ٢ ص ٣٢٩ .

والبلاغيين القدماء احسوا ان لكلٍ منهما اهمية وميزة ، ولعلّ الجاحظ وعبدالقاهر أحسن من يمثل ما نذهب اليه فالاول مع جنوحه الى اللفظ نراه يؤكد على المعنى ، ويلجح في الاهتمام به . والثاني مع تأكيده على المعنى وان الالفاظ لا قيمة لها من غير النظم ، نجده يشير الى الالفاظ وقيمتها وان لم يصرح بذلك فقد كان حذرا في تعبيراته وتعليقاته ، يقول : « واذا رأيت البصير بجواهر الكلام يستحسن شعرا او يستجيد نثرا ، ثم يجعل الثناء عليه من حيث اللفظ فيقول : حلو رشيق ، وحسن أنيق ، وعذب سائغ ، وخلوب رائع ، فاعلم انه ليس ينبئك عن أحوال ترجع الى اجراس الحروف والى ظاهر الوضع اللغوي ، بل الى امر يقع من المرء في فؤاده ، وفضل يقتدحه العقل من زاده»^(١) .

(١) اسرار البلاغة ص ٩ .

الاهتمام باللفظ :

واهتم النقاد العرب بالانفاظ ووضعوا لها قواعد وأصولاً ، وكان
انجازه من أوائل الذين عرضوا لها وسار على نهجه قدامة بن جعفر ،
وأبو هلال ، وابن سنان ، وابن الأثير .

وعندما قسم السكاكي البلاغة الى أقسامها المعروفة لم يعقد فصلاً
للانفاظ ، وإنما تكلم على الفصاحة بعد ان انتهى من بحث موضوعات
البيان ، وذكر ان الفصاحة قسمان : قسم راجع الى المعنى وهو خلوص
الكلام من التعقيد ، وآخر راجع الى اللفظ وهو ان تكون الكلمة عربية
أصيلة . وعلامة ذلك ان تكون كثيرة الدوران على ألسنة الموثوق
بعريبتهم ، واستعمالها أكثر لا مما أحدثها المولدون ، ولا مما اخطأت فيه
العامة ، وان تكون أجرى على قوانين اللغة ، وان تكون سليمة عن
التنافر . والمراد بتعقيد الكلام هو أن يعثر صاحبه فكرك في متصرفه
ويشيك طريقك الى المعنى ويوعر مذهبك نحوه ، حتى يقسم فكرك ،
ويشعب ظنك الى أن لا تدري من أين تتوصل ، وبأي طريق معناه
يتحصل كقول الفرزدق :

وما مثله في الناس إلا مملكا أبو أمه حي أبوه يتقاربه°

وكقول أبي تمام :

ثانيه في كيدِ السماءِ ولم يكن كائنينِ ثانٍ إذ هُما في الغارِ

وغير المعقد ، هو ان يفتح صاحبه لفكرتك الطريق المستوي ويمهده ، وان كان في معاطف نصب عليه النار ، وأوقد الانوار حتى تسلكه سلوكك المتبين لوجهته ، وتقطعه قطع الواثق بالنجح في طيته^(١) . وجعل السكاكي الفصاحة غير لازمة للبلاغة وحصر مرجع البلاغة في علمي المعاني والبيان ، ولم يجعل للفصاحة مرجعا في شيء منهما .

وعندما اختصر بدر الدين بن مالك القسم الثالث من « مفتاح العلوم » تكلم على الفصاحة بعد موضوعات علم البيان ، واطلق عليها اسم « علم البديع » . وقال عنه : « هو معرفة توابع الفصاحة » وعرف الفصاحة بأنها : « صوغ الكلام على وجه له توفية بتمام الافهام لمعناه ، وتبين المراد منه »^(٢) . وقسمها الى معنوية ولفظية ، وذكر ما في مفتاح العلوم من صفاتها ، وقسم المعنوية الى مختصة بالافهام والتبيين ، ومختصة بالتزيين والتحسين .

وعندما جاء الخطيب القزويني وجد السبيل ممهدا لبحث الفصاحة فاستفاد من علماء البلاغة المتقدمين ، ورتب بحث الالفاظ ترتيبا اقتضته عقليته المنطقية واسلوبه الفلسفي الذي عالج به موضوعات البلاغة كلها . وخالف السكاكي وبدر الدين في بحث الفصاحة ولم يبحثها بعد موضوعات البيان ولم يدخلها في البديع ، وانما جعلها مقدمة للتلخيص والايضاح . وفي هذه المقدمة - التي كانت كشفا عن معنى الفصاحة والبلاغة وانحصار علم البلاغة في المعاني والبيان - تكلم على صفات الالفاظ وما ينبغي ان تكون عليه . وبحثه - وإن لم يكن عميقا عمق

(١) مفتاح العلوم ص ١٩٦ - ١٩٧ .

(٢) المصباح ص ٧٥ .

بحث ابن سنان وابن الاثير - ، كان ايذانا يجعله مقدمة لعلوم البلاغة منذ عصره حتى اليوم .

رأي القزويني :

بدأ القزويني مقدمته في الفصاحة بقوله : « للناس في تفسير الفصاحة والبلاغة أقوال مختلفة لم أجد - فيما بلغني منها - ما يصلح لتعريفهما به ، ولا ما يشير الى الفرق بين كون الموصوف بهما الكلام ، وكون الموصوف بهما المتكلم ، فالاولى ان تقتصر على تلخيص القول فيهما بالاعتبارين »^(١) . وهذا اغراق في الغلو ، واسراف في الابتعاد عن الحقيقة ، لان النقاد والبلاغيين اهتموا بهما ، ووضعوا لهما حدودا وفرقوا بينهما في مختلف العصور ، وكانت البحوث التي كتبها الجاحظ ، وقدامة بن جعفر ، وأبو هلال العسكري ، وابن سنان الخفاجي ، وعبد القاهر الجرجاني ، وضياء الدين بن الاثير ، من خيرة ما كتب ، وأروع ما خطته يد بلاغي ناقد .

لقد ذكر أبو هلال أن بعضهم قال : إن الفصاحة من قولهم : أفصح فلان عما في نفسه اذا ظهره . والشاهد على انها هي الاظهار قول العرب : « أفصح الصبح » اذا اضاء ، و « أفصح اللبن » اذا انجلت عنه رغوته فظهر وفصح . واذا كان الامر على هذا ، فالفصاحة والبلاغة ترجعان الى معنى واحد وان اختلفت اصلاهما ، لان كل واحد منهما انما هو الابانة عن المعنى ، والاظهار له . وذكر عن بعضهم أن الفصاحة تمام آلة البيان ، فلهذا لا يجوز أن يسمى الله تعالى فصيحاً ، اذ كانت الفصاحة تتضمن معنى الآلة ، ولا يجوز على الله تعالى الوصف بالآلة ، ويوصف كلامه بالفصاحة لما يتضمن من تمام البيان . والدليل على ذلك ان الالغ والتمتام لا يسميان فصيحين لنقصان آلتيهما عن اقامة الحروف فعلى هذا تكون الفصاحة والبلاغة مختلفتين وذلك ان الفصاحة تمام آلة البيان فهي مقصورة على اللفظ ، لان الآلة تتعلق باللفظ دون المعنى ، والبلاغة

(٢) الايضاح ص ٢ .

انما هي انتهاء المعنى الى القلب فكأنها مقصورة على المعنى (١) .

وذكر ابن سنان ان الفصاحة الظهور والبيان ، ومنها « أفصح اللبن » اذا انجلت رغوته وفصح فهو فصيح . قال الشاعر :

وتحت الرغوة اللبنُ الفصيحُ

ويقال : « أفصح الصبح » اذا بدا ضوءه ، و « أفصح كل شيء » اذا وضح . وسمي الكلام الفصيح فصيحا ، كأنهم سموه بيانا لاعرابه عما عبر به عنه واطهاره له اظهارا جليا (٢) .

والفرق بين الفصاحة والبلاغة عنده أن « الفصاحة مقصورة على وصف الالفاظ ، والبلاغة لا تكون الا وصفا للالفاظ مع المعاني . لا يقال في كلمة واحدة لا تدل على معنى يفضل عن مثلها بليغة ، وإن قيل فيها فصيحة . وكل كلام بليغ فصيح ، وليس كل فصيح بليغا » (٣) .

وذكر ابن الاثير أن الكلام الفصيح هو الظاهر البيّن ، والفرق بين البلاغة والفصاحة ان الاولى شاملة للالفاظ والمعاني وهي أخص من الفصاحة كالانسان من الحيوان فكل انسان حيوان ، وليس كل حيوان انسانا . وكذلك يقال كل كلام بليغ فصيح ، وليس كل كلام فصيح بليغا . ولا تكون البلاغة الا في اللفظ والمعنى بشرط التركيب فان اللفظة الواحدة لا يطلق عليها اسم البلاغة ويطلق عليها اسم الفصاحة ، اذ يوجد فيها الوصف المختص بالفصاحة وهو الحسن، وأما وصف البلاغة فلا يوجد فيها لخلوها من المعنى المفيد الذي ينتظم كلاما (٤) .

وليس ما كتبه القزويني في الفصاحة والالفاظ الا خلاصة هذه البحوث ، فكيف — إذن° — لم يترك القدماء تعريفا لفصاحة او البلاغة

(١) كتاب الصناعتين ص ٧ - ٨ .

(٢) سر الفصاحة ص ٥٩ .

(٣) سر الفصاحة ص ٦٠ .

(٤) المثل السائر ج ١ ص ٦٩ - ٧٠ .

يمكن الاعتماد عليه والاستنارة به • ولعله متأثر في هذه الدعوى بعبد القاهر الذي يقول : « لم أزل منذ خدمت العلم أنظر فيما قاله العلماء في معنى الفصاحة ، والبلاغة ، والبيان ، والبراعة ، وفي بيان المغزى من هذه العبارات ، وتفسير المراد بها ، فأجد بعض ذلك كالرمز والاشارة في خفاء ، وبعضه كالتنبيه على مكان الخبيء ليطلب ، وموضع الدفين ليبحث عنه فيخرج • وكما يفتح لك الطريق الى المطلوب لتسلكه وتوضع لك القاعدة لتبني عليها ، ووجدت المعول على انها ههنا نظما ، وترتبا ، وتأليفا ، وتركيبا ، وصياغة ، وتصويرا ، ونسجا ، وتحيرا • وان سبيل هذه المعاني في الكلام الذي هي مجاز فيه سبيلها في الاثناء التي هي حقيقة فيها » (١) •

ويقول في مكان آخر : « انا لم نرَ العقلاء قد رضوا من انفسهم في شيء من العلوم ان يحفظوا كلاما للاولين ، ويتدارسوه ، ويكلم به بعضهم بعضا من غير ان يعرفوا له معنى ، ويقفوا منه على غرض صحيح ، ويكون عندهم ان يسألوا عنه بيان له وتفسير ، إلا علم الفصاحة ، فانك ترى طبقات من الناس يتداولون فيما بينهم الفاظا للقدماء ، وعبارات من غير ان يعرفوا لها معنى اصلا ، او يستطيعوا أن يسألوا عنها ان يذكروا لها تفسيرا يصح » (٢) •

وهذا صحيح بالنسبة للقرون الاولى ، ولعبد القاهر الذي لم يفرق بين الفصاحة والبلاغة ، لانهما عنده يعبر بهما عن فضل بعض القائلين على بعض من حيث نطقوا ، وتكلموا وأخبروا السامعين عن الاغراض والمقاصد ، وراموا ان يعلموهم ما في نفوسهم ، ويكشفوا لهم عن ضمائر قلوبهم (٣) • والفصاحة والبلاغة والبراعة والبيان مترادفات عنده ، اما بالنسبة للقروني فغير صحيح ، لانه قد استقرت قبله هذه المصطلحات ،

(١) دلائل الاعجاز ص ٢٨ - ٢٩ •

(٢) دلائل الاعجاز ص ٣٥٠ •

(٣) دلائل الاعجاز ص ٣٥ •

واصبح للفصاحة مدلولها وللبلادة مفهومها • وكان ابن سنان ، وابن الاثير قد سبقاه الى ذلك ، ووضعوا كل شيء وأتماه ، وان كان ابن الاثير قد دعا الى مثل ما دعا اليه القزويني ورأى ان هذا الباب متعذر على الباحث ، وان القدماء لم يكشفوا أمره ويوضحوا معناه وان ما ذكره ليعتد الحيرة (١) •

والفصاحة والبلادة عند القزويني تقع كل واحدة منهما صفة لمعينين :

أحدهما : الكلام كما في قولك : « قصيدة فصيحة او بليغة » ، و « رسالة فصيحة او بليغة » •

والثاني : المتكلم كما في قولك : « شاعر فصيح او بليغ » ، و « كاتب فصيح او بليغ » •

ويرى أبو هلال أن البلادة من صفة الكلام لا من صفة المتكلم ، فهذا لا يجوز ان يسمى الله تعالى بليغا اذ لا يجوز ان يوصف بصفة كان موضوعها الكلام ، واما تسمية المتكلم بليغا فتوسع ، وحقيقته ان كلامه بليغ كما تقول فلان رجل محكم ، ثم كثر استعمال ذلك حتى صار كالحقيقة ويرى أنه لا يجوز ان يسمى فصيحاً ، لان الفصاحة تتضمن معنى الآلة وهي اللسان (٢) •

فصاحة اللفظة المفردة

والفصاحة خاصة تقع صفة للمفرد ، فيقال : كلمة فصيحة ، ولا يقال كلمة بليغة ، ووضع القزويني اللفظة المفردة شروطا هي : خلوصه من تنافر الحروف ، والغرابية ، ومخالفة القياس اللغوي •

(١) ينظر المثل السائر ج ١ ص ٦٤ ، ٦٥ •

(٢) الايضاح ص ٢ وكتاب الصناعتين ص ٦ •

التنافر :

فالتنافر منه تكون الكلمة بسببه متناهية في الثقل على اللسان
وعسر النطق بها كما روى ان اعرابيا سئل عن ناقته فقال : « تركتها
ترعى الهعخع » • ومنه ما هو دون ذلك كلفظ « مستشزر » في قول
امرئ القيس :

غداً رما مستشزرات الى العلى تفضل العقاص في مثني ومثرسكل

ولم يشرح القزويني هذا التنافر ، ولم يذكر سببه ، وكان ابن سنان
قد علل ذلك بقوله : « وعلة هذا واضحة وهي ان الحروف التي هي
اصوات تجري من السمع مجرى الالوان المتقاربة ، ولهذا كان البياض
مع السواد احسن منه مع الصفرة ، لقرب ما بينه وبين الاصفر وبعد
ما بينه وبين الاسود واذا كان هذا موجودا على هذه الصفة لا يحسن
النزاع فيه كانت العلة في حسن اللفظة المؤلفة من الحروف المتباعدة هي
العلة في حسن النقوش اذا مزجت من الالوان المتباعدة » (١) •

لقد جمعت لفظة « الهعخع » القبح من اطرافه ، لان جميع حروفها
حلقية ، وحرف حلقى واحد يبعث على النفرة والثقل فكيف اذا اجتمع
الهاء والعين والخاء في كلمة واحدة ؟ ولفظة « مستشزرات » - وان
كانت اخف منها - ثقيلة لتوسط الشين التي هي من الحروف المهموسة
الرخوة بين التاء التي هي من المهموسة الشديدة ، وبين الزاي التي هي
من المجهورة الرخوة • ويرى النقاد ان امرئ القيس لو قال : « مستشرف »
لزال الثقل •

الغرابية :

والغرابية أن تكون الكلمة وحشية لا يظهر معناها فيحتاج في معرفته

(١) سر الفصاحة ص ٦٦ •

الى ان ينقر في كتب اللغة المبسوطة ، كما روي عن عيسى بن عمر النحوي انه سقط عن حمار فاجتمع عليه الناس ، فقال : « ما لكم تكأ كآتم عليّ تكأ كؤكم على ذي جنة ، افرثعوا عني » .

أو يخرج له وجه بعيد كما في قول العجاج :

وفاحماً ومرسناً مُسَرَّجاً

فانه لم يعرف ما اراد بقوله « مسرجا » حتى اختلف في تخريجه ، فقيل : هو من قولهم للسيوف « سريجية » منسوبة الى قين يقال له سريج ، يريد انه في الاستواء والدقة كالسيوف السريجي . وقيل : من السراج ، يريد انه في البريق كالسراج وهذا يقرب من قولهم : « سَرَّجَ وجهه » ، أي : حسن و « سَرَّجَ اللهُ وَجْهَهُ » ، أي : بهجه وحسنه .

وهذا بحث اهتم به النقاد العرب، ويروي ان عمر بن الخطاب (رضي) مدح زهير بن ابي سلمى بمجانته المعازلة وقال : « وكان لا يعاقل بين الكلام » (١) .

وتكلم ابن سنان عليه وعاب الذين يكثر من الوحشي الغريب في كلامهم ، وبيَّن ما وقع فيه بعضهم فخرج كلامه عن الفصاحة وبعد الفهم . يقول عن بعضهم : « وقد رأيت أنا جماعة يتعمدون هذا فقلت لهم : إن سررتكم بمعرفتكم وحشي اللغة ، فيجب ان تعتموا بسوء حظكم من البلاغة » (٢) . ويرى أن البدوي صاحب الطبع اعذر من القروي المتكلف ، لان هذا لا يعرف هذه الامور الا بعد البحث والطلب وتجشم العناء في التصفح . ويرى ابن الاثير ان الوحشي ليس المستقبح من الالفاظ ، وانما هو قسمان :

احدهما غريب حسن ، والآخر غريب قبيح ، وذلك انه منسوب الى

(١) نقد الشعر ص ١٠٣ .

(٢) سر الفصاحة ص ٧٥ .

اسم الوحشي الذي يسكن القفار وليس بأنيس ، وكذلك الالفاظ التي لم تكن مأنوسة الاستعمال . وليس من شرط الوحشي أن يكون مستقبحا ، بل أن يكون نافرا لا يألف الانس فتارة يكون حسنا وتارة يكون قبيحا ، وعلى هذا فان احد قسمي الوحشي وهو الغريب الحسن مختلف باختلاف النسب والاضافات ، وأما القسم الآخر من الوحشي الذي هو قبيح ، فان الناس في استقباحه سواء ، ولا يختلف فيه عربي بادي ، ولا قروي متحضر . وأحسن الالفاظ ما كان مألوفا متداولاً ، لانه لم يكن مألوفا الا لمكان حسنه .

والالفاظ تنقسم ثلاثة اقسام : قسمان حسنان وقسم قبيح ، فالقسمان الحسنان : احدهما ما تداول استعماله الاول والآخر ولا يطلق عليه أنه وحشي ، والآخر ما تداول استعماله الاول دون الآخر . ويختلف في استعماله بالنسبة الى الزمن وأهله ، وهذا هو الذي لا يعاب استعماله عند العرب لانه لم يكن عندهم وحشيا ، وهو عندنا وحشي ، وقد تضمن القرآن الكريم منه كلمات معدودة وهي التي يطلق عليها «غريب القرآن» ، وكذلك تضمن الحديث النبوي منه شيئا وهو الذي يطلق عليه « غريب الحديث » .

واما القبيح من الالفاظ الذي يعاب استعماله فلا يسمى وحشيا فقط بل يسمى الوحشي الغليظ ، ويسمى المتوعر ، وليس وراءه في القبح درجة اخرى ولا يستعمله الا اجهل الناس ممن لم يخطر بباله معرفة هذا الفن (١) .

ولم يقسم القزويني الالفاظ الغريبة هذا التقسيم ، ولم يشرحها هذا الشرح وانما عرضها ملخصة ممثلة بمثالين لا قيمة لهما ، وإن كانا يشيران في خفاء الى ان المقصود بالغريبة عنده ما خفي معناه واختلف في تفسيره ، وان كان المثال الاول يوحي بأن المقصود هو الغرابة في المعنى

(١) المثل السائر ج ١ ص ١٥٥ ، ٥٧ ، ١٦٣ .

والوحشية في اللفظ • ولم يضع قاعدة ثابتة للوحشي او الغريب من الالفاظ ، ولم يشر الى مذهب اهل الحاضرة والبادية فيها •

مخالفة القياس اللغوي :

ومخالفة القياس كقول الشاعر :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْأَجَلِّ الْوَاهِبِ الْفَضْلِ الْكَرِيمِ الْمَجْزَلِ

فان القياس « الاجل » بالادغام • ولم يوضح القزويني مخالفة القياس ، ولا ندري هل المقصود ان تكون كلمة على خلاف ما ثبت عن واضع اللغة ، او المقصود مخالفة القياس الصرفي • ولكن الاستاذ عبد المتعال الصعيدي يقول : « وقد حمله على القياس الصرفي ، وهو خطأ لان مخالفة القياس الصرفي لا تخل دائما بالفصاحة اذ توجد كميات كثيرة فصيحة على خلافه ، وذلك مثل آل وماء ويأبى وعور ويعور » (١) •

وكان ابن سنان قد تكلم على هذا الشرط ، ووضّحه ، وأدخل فيه كل ما ينكره أهل اللغة ، ويرده علماء النحو من التصرف الفاسد في الكلمة • وقد يكون ذلك لاجل ان اللفظة بعينها غير عربية ، كما انكروا على أبي الشيص قوله :

وجناح مقصوصٍ تحيف ريشه ريب الزمان تحيفَ المقرضِ

وقد تكون الكلمة عربية الا انها قد عبر بها عن غير ما وضعت له في عرف اللغة كما قال ابو تمام :

حلت محل البكر من معطى وقد زفت من المعطى زفاف الأيّمِ

وقال البحترى :

يشق عليه الريحُ كلَّ عشية جيوبَ الغمام بين بكرٍ وأيّمِ

(١) بقية الابيضاح ج ١ هامش ص ٩ •

وقد يكون على جهة الحذف من الكلمة كقول رؤبة بن العجاج :

قواطناً مكة من ورق الحمّا (١)

وقد يكون على وجه الزيادة في الكلمة ، مثل ان يشبع الحركة فيها فتصير حرفاً كما قال الشاعر :

وأنتَ على الغواية حين ترمى وعن عيبِ الرجالِ بمُتتَزَّاحِ

وقد يكون ايراد الكلمة على الوجه الشاذ القليل وهو اردأ اللغات فيها لشذوذه كقول المتنبي :

وإذا الفتى طرَحَ الكلامَ مُعَرَّضاً في مجلس أخذَ الكلامَ اللذَّ عَنَا

وقد يكون لان الكلمة بخلاف الصيغة في الجمع أو غيره كما قال الطرماح :

وأكره ان يعيب على قومي هجاي الارذلين ذوي الحناتِ

ومن هذا النوع ان يبدل حرف من حروف الكلمة بغيره او يظهر التضعيف فيها ، او ان يصرف ما لا ينصرف ، أو ان يمنع الصرف ما ينصرف ، او ان يقصر الممدود ، ويمد المقصور ، ويحذف الاعراب للضرورة ، او ان يذكر المؤنث ويؤنث المذكر .

ويرى ابن سنان ان هذه واشباهها ، وان لم تؤثر في فصاحة الكلمة كبير تأثير فانه يؤثر صياتتها عنها ، لان الفصاحة تنبئ عن اختيار الكلمة وحسنها وطلاوتها (٢) .

هذا ما ذكره ابن سنان وفصَّله ، بيد ان القزويني لم يشر الى هذا كله ، ولم يوضح قصده بمخالفة القياس ، وان كان المثال الذي ذكره

(١) أي الحمام .

(٢) سر الفصاحة ص ٨٢ - ٩١ .

يوجي بأنه يريد مخالفة القياس الصرفي ، وهو تضيق للبحث ، وحصر له في ناحية معينة • وقد جال فيه ابن سنان من قبل ، وذكر مواضع مخالفة القياس ، ومثّل لها بما أظهر معناها • ولعل ولع المتأخرين بالاختصار ، والتقسيمات الجافة هي التي دفعت القزويني الى ان ينطق بعبرة ويسكت ، من غير ان يشرحها ، ويشير الى مواطن العيب في مخالفة القياس •

واضاف الى ذلك خلوص الكلمة من الكراهة في السمع بأن تمج الكلمة ويتبرأ من سماعها كما يتبرأ من سماع الاصوات المنكرة ، فان اللفظ من قبيل الاصوات ، والاصوات منها ما تستلذ النفس سماعه ، ومنها ما تكره سماعه كلفظة « الجرشي » في قول أبي الطيب :

مباركُ الاسمِ أعرشُ القلبِ كريمِ الجرشيِّ شريفِ النسبِ

ووضع القزويني قاعدة لفظة الفصيحة فقال : « ثم علامة كون الكلمة فصيحة أن يكون استعمال العرب الموثوق بعريتهم لها كثيرا أو اكثر من استعمالهم ما بمعناها » (١) •

فصاحة الكلام :

وبعد ان انتهى القزويني من بحث فصاحة اللفظة المفردة ، تحدث عن فصاحة الكلام ، وهي : خلوصه من ضعف التأليف ، وتنافر الكلمات ، والتعقيد مع فصاحتها •

ضعف التأليف :

ومثل لضعف التأليف بقوله : « ضرب غلامه زيدا » • وهو ممنوع عند الجمهور لثلا يلزم رجوعه الى ما هو متأخر لفظا ورتبه ، ورد على من يذهب الى أن بيت النابغة الذبياني :

(١) الايضاح ص ٤ •

جزي ربته عني عدى بن حاتم جزاء الكلاب العاويات وقد فعل
من هذا النوع ، وقال : إن الضمير في « ربه » لمصدر « جزي » ، اي :
رب الجزاء كما في قوله تعالى : « اعد لثوا هو أقرب للتقوى » (١) .
أي : العدل .

التنافر :

والتنافر ما تكون الالفاظ بسببه متناهية في الثقل على اللسان
وعسر النطق بها ، متتابعة كما في البيت الذي انشده الجاحظ :

وقَبْرٌ حَرَبٌ بِمَكَانٍ قَقْرٍ وليس قَرَبٌ قَبْرٌ حَرَبٌ قَبْرٌ

ومنه ما دون ذلك كقول ابي تمام :

كريمٌ متى أمدحه أمدحه والورى مَعِي ، وإذا ما لمته لمته وحدي

وسبب التنافر في « أمدحه » ما بين الحاء والهاء من تنافر ، لانهما
حرفان حلقيان . وهذا ما اشار اليه الجاحظ من قبل قائله : « ومن
الفاظ العرب الفاظ تتنافر وان كانت مجموعة في بيت شعر لم يستطع
المنشد انشادها الا ببعض الاستكراه » (٢) . ومثّل له بالبيت المتقدم ،
ثم قال : « ومن ذلك قول ابن يسير في احمد بن يوسف حين استبطأه :

هل مُعِينٌ على البكا والعويلِ أمْ مُعَزٌّ على المصابِ الجليلِ
مَيِّتٌ مات وهو في ورق العيش ، مقيم به وظل ظليلِ
في عداد الموتى وفي عامر الدنيا ، أبو جعفر أخي وخليلي
لم يَمُتْ مَيِّتَةَ الوفاء ولكن ماتَ عن كلِّ صالحٍ وجميلِ
لا أذيلَ الآمالِ بعدك إنِّي بعدها بالآمالِ جِدٌّ بخيلِ

(١) سورة المائدة ، الآية ٨ .

(٢) البيان والتبيين ج ١ ص ٦٥ .

كم لها وقفة بيابِ كريمٍ رَجَعَتْ من نداءه بالتعطيل
لم يضرها والحمد لله شيءٌ واتنت نحو عزفِ نفسٍ ذهولِ

يقول : « ففتقد النصف الاخير من هذا البيت فانك ستجد بعض
الفاظه يتبرأ من بعض » (١) .

وذهب ابو الحسن على بن عيسى الرماني الى ان التأليف على ثلاثة
أضرب : متنافر ، ومتلائم في الطبقة الوسطى ، ومتلائم في الطبقة العليا .
ومثّل للتأليف المتنافر بالبيت السابق ، وللتأليف المتلائم في الطبقة
الوسطى ، وهو من أحسنها ، بقول الشاعر :

رَمَسْنِي وسترهُ اللهُ بيني وبينها عشيّة آرام الكناسِ رميمٍ
ريميم التي قالت لجيران بيّتها ضمنت لكم ألاّ يزال يهيم
ألا ربّ يومٍ لو رميتي رميتها ولكنّ عهدي بالنضالِ قديمٍ

والتلائم في الطبقة العليا القرآن كله (٢) .

ولم يعجب ابن سنان بهذا التقسيم وقال : إنّ القسمة فاسدة ، لان
التأليف على ضربين : متنافر ومتلائم . وقد يقع في المتلائم ما بعضه أشد
تلاؤما من بعض على حسب ما يقع التأليف عليه ، ولا يحتاج أن يجعل
ذلك قسما ثالثا . وقد اراد ابن سنان من هذا ان يؤيد دعواه بأن لا فرق
بين القرآن وفصيح الكلام المختار ، ومتى ما رجع الانسان الى نفسه وكان
معه أدنى معرفة بالتأليف المختار ، وجد في كلام العرب ما يضاهي القرآن
في تأليفه (٣) . وذكر الامثلة التي ذكرها القزويني وانتهى الى انه اذا كان
يقبح تكرار الحروف المتقاربة المخارج ، فتكرار الكلمة بعينها أقبح ،
وأشنع الا اذا كانت هنالك اعتبارات اخرى .

(١) البيان والتبيين ج ١ ص ٦٦ .

(٢) النكت في اعجاز القرآن ص ٨٧ - ٨٨ .

(٣) سر الفصاحة ص ١٠٩ - ١١٠ .

التعقيد :

والتعقيد أن° لا يكون الكلام ظاهر الدلالة على المراد به ، وله
سببان

احدهما : ما يرجع الى اللفظ وهو أن يختل نظم الكلام ولا يدري
السامع كيف يتوصل منه الى معناه كقول الفرزدق :

وما مثله في الناس إلا مملكا أبو أمه حي° أبوه° يقاربه°

ووضع القزويني قاعدة للكلام الخالي من التعقيد اللفظي ، وقال
انه : « ما سلم نظمه من الخل فلم يكن فيه ما يخالف الاصل من تقديم
او تأخير ، او اضرار ، أو غير ذلك الا وقد قامت عليه قرينة ظاهرة لفظية
أو معنوية » (١) .

وهذا ما تكلم عليه عبد القاهر ، وسمّاه « التعقيد » او « فساد
النظم » ، يقول : « وأما التعقيد ، فانما كان مذموما لاجل ان اللفظ
لم يرتب الترتيب الذي بمثله تحصل الدلالة على الغرض حتى احتاج
السامع ان يطلب المعنى بالحيلة ، ويسعى اليه من غير الطريق » (٢) .
وتحدث عنه في « دلائل الاعجاز » و « اسرار البلاغة » ومثّل له بيت
الفرزدق السابق ، وبيت المتنبي :

الطيب أنت اذا أصابك طيبه والماء أنت اذا اغتسلت الغاسل°
وقوله :

وفاؤكما كالربيع أشجاه طاسمه
بأن° تسعدا والدمع° أشفاه ساجمه

(١) الايضاح ص ٦

(٢) اسرار البلاغة ص ١٦٢ .

وقول أبي تمام :

ثانيه في كيدِ السماءِ ولم يكنْ ° كاثنينِ ثانٍ إذْ ° هما في الغارِ

وقوله :

يَكدي لمن شاء رَهْنٌ ° لم يذُقْ ° جُرَعاً
من راحتيه دَرى ما الصَّابُ ° والعَسَلُ °

وقال عن بيت الفرزدق : « فخذ اليك الآن بيت الفرزدق الذي يضرب به المثل في تعسف اللفظ فانظر أتتصور أن يكون ذلك للفظه من حيث انك انكرت شيئا من حروفه ، أو صادفت وحشيا غريبا أو سوقيا ضعيفا ، أم ليس إلا لانه لم يرتب الالفاظ في الذكر على موجب ترتيب المعاني في الفكر ، فككده ، وككدره ، ومنع السامع ان يفهم الغرض الا بأن يقدم ويؤخر ° ثم أسرف في ابطال النظام وابعاد المراد وصار كمن رمى باجزاء تتألف منها صورة ولكن بعد أن يراجع فيها بابا من الهندسة لفرط ما عادى بين اشكالها وشدة ماخالف بين اوضاعها » (١) . ويرى أن الإبيات الأخرى ذمت ، لانها احوجت الى فكر زائد على المقدار الذي يجب في مثله وكدت بسوء الدلالة واودع المعنى في قالب غير مستو ولا مملس ° وهذا راجع كله الى سوء النظم ، والترتيب ، ووضع الكلمات في غير مواضعها ، واحلالها في غير أماكنها .

وأدخله ابن سنان في بحث التقديم والتأخير ، واعتبره ابن الأثير من المعاطلة المعنوية التي يسببها التقديم والتأخير (٢) ، ولكن القزويني ادخله في بحث الالفاظ او الفصاحة .

والثاني : ما يرجع الى المعنى ، وهو ان لا يكون انتقال الذهن من

(١) اسرار البلاغة ص ٢٦ ، وينظر دلائل الامجاز ص ٦٥ - ٦٧ .

(٢) ينظر سر الفصاحة ص ١٢٥ ، والمثل السائر ج ١ ص ٢٩٤ ، وج ٢ ص ٤٤ وما بعدها .

المعنى الاول الى المعنى الثاني الذي هو لازمه والمراد به ظاهرا كقول
العباس بن الاحنف :

سأطلبُ بَعْدَ الدارِ عنكم لتقرُّبُوا
وتسكبُ عيناى الدموعَ لتجمُدا

كنى بسكب الدموع عما يوجهه الفراق من الحزن وأصاب ، لان
من شأن البكاء ان يكون كناية عنه ، كقولهم :

« أبكاني واضحكني » ، أي : أساءني وسرني ، كما قال الحماسي :

أبكاني الدهرُ ويا ربما أضحكني الدهرُ بما يرُضي

ثم طرد ذلك في تقيضه فاراد أن يكني عما يوجهه دوام التلاقي من
السرور بالجمود ، لظنه ان الجمود خلو العين من البكاء مطلقا من غير
اعتبار شيء آخر ، يقول : « وأخطأ لان الجمود خلو العين من البكاء في
حال ارادة البكاء منها ، فلا يكون كناية عن المسرة ، وانما يكون كناية
عن البخل كما قال الشاعر :

ألا ان عينا لم تجدُ يوم واسِطٍ عليك بجاري دمعها لجمود^(١)

• وهو كلام عبدالقاهر في « دلائل الاعجاز » .

وضبط الكلام الخالي عن التعقيد المعنوي فقال عنه : « ما كان
الانتقال من معناه الاول الى معناه الثاني الذي هو المراد به ظاهرا حتى
يخيل الى السامع انه فهمه من حاق اللفظ »^(٢) .

وأضاف الى ذلك خلوص الكلام من كثرة التكرار كقول المتنبي :

وتسعدني في غمرة بعد غمرةٍ سبوح لها منها عليها شواهد

(١) الايضاح ص ٦ .

(٢) الايضاح ص ٦ .

وأُنكر أبو الفرج قدامة بن جعفر الكاتب تكرر حروف الرباطات وقال في كتابه « الخراج وصناعة الكتابة » : فأما « له منه » أو « منه عليه » أو « به له » أو ما جرى هذا المجرى ففيه قبح • وسبيل ذلك إذا وقع أن يحتال في فصل ما بين الحرفين بكلمة مثل أن يأتي ما يحتاج إلى أن يقال فيه : أقمت شهيدا به عليه فيقال : أقمت عليه شهيدا به «^(١)» •

وقال أبو هلال : « وينبغي أن تتجنب إعادة حروف الصلات والرباطات في موضع واحد إذا كتب مثل : منه له عنه ، أو عليه فيه ، أو به له منه »^(٢) • ويرى أنه لا يعرف أحدا كان يتتبع العيوب فيأتيها غير مكترث إلا المتنبّي فإنه ضمن شعره جميع عيوب الكلام ما أعدمه شيئا منه حتى تخطى إلى هذا النوع كبيتته السابق فاتي من الاستكراه بما لا يطار غرابه •

وعقد ابن الأثير فصلا في الالفاظ المركبة عن المعاطلة اللفظية ، تكلم فيه على هذه النقطة وقسمها إلى خمسة أقسام^(٣) :

الاولى : ما يختص بادوات الكلام نحو : « من » و « إلى » و « عن » و « على » واشباهها كقول المتنبّي :

تبيت وفودهم تسري اليه وجدواه التي سألوا اغتفار
فخلفهم برد البيض عنهم وهامهم له معهم معار

والثاني : يختص بتكرار الحروف ، وهو الذي ذكره الجاحظ والقزويني عن البيت :

وقبر حرب بمكان قعر وليس قرب قبر حرب قبر

والثالث : أن ° ترد الالفاظ على صيغة الفعل يتبع بعضها بعضا، فمنها

(١) سر الفصاحة ص ١١٨ .

(٢) كتاب الصناعتين ص ١٦٠ .

(٣) المثل السائر ج ١ ص ٢٩٢ وما بعدها .

ما يختلف بين ماضٍ ومستقبل ، ومنها ما لا يختلف • فالاول كقول
القاضي الارجاني في أبيات يصف فيها الشمعة :

بالنار فرقت الحوادثُ بيننا وبها نذرت أعود أقتل رويحي

فقوله : « نذرت أعود اقتل » من المعازلة • وأما ما يرد على نهج واحد
من الصيغة الفعلية فكقول أبي الطيب المتنبي :

أقل ، ائل ، اقطع ، احمل ، اعل ، اسل ، أعد ،
زد ، هش ، بش ، تقض ، ادن ، سر ، صل

فهذه الفاظ جاءت على صيغة واحدة وهي صيغة الامر كأنه قال « افعل
أفعل » • وهذا تكرار للصيغة وان لم يكن تكرارا للحروف الا انه اخوه ،
وهذه الفاظ متراكبة متداخلة ، ولو عطفها بالواو لكان أقرب حالا كما
قال عبدالسلام بن رغبان :

فَسَدَ النَّاسُ فَاظْلَبَ الرِّزْقَ بِالسَّيْفِ وَالْإِفْتِ شَدِيدَ الْهَزَالِ
أَحْلُ ، وَا مَرْرٌ ، وَضَرٌّ ، وَاتَّقِعْ ، وَلَنْ ، وَآخِشَنْ ، وَابْرُزْ ، ثُمَّ اتَّذَبْ لِلْمَعَالِي
ألا ترى انه لما عطف ههنا بالواو لم تتراكب الالفاظ كتر اكبهافي بيت المتنبي •
والرابع : هو الذي يتضمن اضافات كثيرة كقولهم : « سرج فرس
غلام زيد » ، وعليه قول الشاعر :

حمامة جرجا حومة الجنادل اسجمي فانت برأى من سعاد ومسمع
والخامس : ان ترد صفات متعددة على نحو واحد كقول المتنبي :

دان ، بعيد ، محب ، مبغض ، بهج ،
أغر ، حلو ، مُمّر ، لين ، شرس ،
ند ، ابى ، غسر ، واف ، اخى ثقة
جعده ، سري ، نه ، ندب ، رضى ندس

وهذا كأنه سلسلة ، و قليلا ما يوجد في أشعار الشعراء •

تتابع الإضافات :

ومما يتعلق بهذا خلو الكلام من تتابع الإضافات كقول ابن بابك :
حمامة جرجا حومة الجنبل اسجعي فانت بمرأى من سعاد ومسمع
وكان الصاحب بن عباد قد اشار الى ذلك كما ذكر عبد القاهر قائلًا:
اياك والإضافات المتداخلة فانها لا تحسن ، وذكر انها تستعمل في الهجاء
كقول القائل :

يا علي بن حمزة بن عمارة أنت واللهِ ثلجة^(١) في خيـاره

ويرى القزويني ان هذا الشرط لا يؤخذ به دائما ، لان ذلك ان
افضى باللفظ الى الثقل على اللسان فقد حصل الاختراز عنه ، والا فلا
تخل بالفصاحة وقد قال النبي (ص) : « الكريم بن الكريم بن الكريم
يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم » • وهذا رأي عبد القاهر ، يقول :
« لكنه اذا سلم من الاستكراه ملح ولطف » • ومما حسن فيه قول ابن
المعتز :

وظلت تدير^(٢) الراح أيدي جاذر^(٣) عناق دنانير الوجوه ملاح

ومما جاء فيه حسنا جميلا قول الخالدي يصف غلاما له :

ويعرف الشّعْرَ مثلَ معرفتي وهو على أن يزيدَ مجتهد^(٤)
وصيرني القريض^(٥) ، وزان دينار المعاني الدقاق منتقد^(٦) (١)

وتكلم القزويني على هذا النوع في قسم المحسنات المعنوية ، وأطلق
عليه اسم الاطراد ، وهو : « ان يأتي بأسماء المسدوح او غيره ، أو آبائه

(١) الإيضاح ص ٨ ، ودلائل الإعجاز ص ٨٢ •

على ترتيب الولادة من غير تكلف في السبك حتى تكون الاسماء في تحدرها كالماء الجاري في اطرافه وسهولة انسجامه» (١) . كقول الشاعر:

إِنْ يَقْتُلُوكَ فَقَدْ تَكَلَّتْ عَرُوشُهُمْ بَعْتِيْبَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ شَهَابٍ

وقول دريد بن الصمة :

قتلنا بعبدِ الله خيرَ لِدَاتِهِ ذُوَابِ بْنِ اسْمَاءِ بْنِ زَيْدِ بْنِ قَارِبِ

وفيه تعرض للمقتول به ولشرف المقتول . قيل لما سمعه عبد الملك ابن مروان قال : لولا القافية لبلغ به آدم ، ومنه كلام الرسول المتقدم .

وبذلك نجده قد تكلم على هذا الفن في موضعين مرة في الفصاحة ، وتارة في البديع ، مع أن عبد القاهر ذكره في النظم عندما يتحدث في الوضع ، ويدق في الصنع .

ما يتعلق بالالفاظ المركبة :

ومما يتعلق بالالفاظ المركبة الفنون التي اطلق عليها القزويني اسم المحسنات اللفظية ، وهي في الواقع عظيمة الاهمية في دراسة الالفاظ بعد أن تدخل في الجمل وتكون العبارات . وينبغي أن تدخل هذه الفنون في بحث الالفاظ ، لان لها قيمة في نقد الكلام ، ومعرفة جيده من رديئه ، وجمله من قبيحه . واذا تابع القزويني شيخ المدرسة الكلامية السكاكي فتحدث عنها في البديع ، فان دراستها هنا أجدى وأكثر تفعا . وقد سبق الى ذلك علماء البلاغة العربية كأبن الاثير الذي قسم الصناعة اللفظية الى قسمين :

الاول : في اللفظة المفردة .

والثاني : في الالفاظ المركبة . وأدخل فيه السجع ، والتصريع ،

(١) الايضاح ص ٢٨٢ .

والتجنيس ، والترصيع ، ولزوم ما لا يلزم ، والموازنة ، واختلاف صيغ
الالفاظ ، وتكرير الحروف •

ونحن مع ايماننا بأن هذه الفنون ينبغي ان تبحث في هذا
الفصل - ارجأنا بحثها الى فن البديع حتى لا نخرج عن المنهج الذي
اختطه القزويني لبلاغته •

هذا بحث القزويني في الفصاحة والالفاظ ، وهو بحث جاف ليست
له أهمية عظيمة ، وكان من المتوقع ان يبدع القزويني فيها بعد ان كتب
ابن سنان ، وابن الاثير بحوثا مستفيضة عنها • ولكنه رجل سيطرت
عليه النزعة التعليمية ، فأحال البلاغة الى قواعد يحفظها الدارسون ، غير
ملتفت الى ما تقدمه لهم من ثقافة تؤهلهم لتذوق الادب ، ومن مقاييس
يزنون بها الكلام •

المعنى :

اما ما يتعلق بالمعاني فان القزويني لم يصرح انه من أنصار المعنى ، وإن كان كلامه الذي ينقله عن عبدالقاهر يدل على ذلك . يقول وهو يتكلم على شرط الحسن في المحسنات اللفظية : « واصل الحسن في جميع ذلك - اعني القسم النقطي - كما قال الشيخ عبدالقاهر ، هو ان تكون الالفاظ تابعة للمعاني ، فان المعاني اذا ارسلت على سجيتها ، وتركت وما تريد ، طلبت لانتسها الالفاظ ولم تكتسب الا ما يليق بها » (١) . ويفهم من هذا انه يدعو الى ان يكون اللفظ والمعنى متلازمين والا فلا قيمة للفظ نهتم به ، وببذل جهدنا وطاقتنا لاجله ، وترك المعنى . ومما يوضح هذا قوله : « فالبلاغة صفة راجعة الى اللفظ باعتبار افادته المعنى عند التركيب ، وكثيرا ما يسمى ذلك فصاحة » (٢) . وهو بذلك يتابع عبد القاهر الذي لا يرى مزية للفظ من غير تركيب ، وان النظم كل شيء ، ولذلك نرى القزويني يثوِّجُّه كلامه وتردده في البلاغة ، فتارة يراها راجعة الى المعنى دون اللفظ ، ومرة يصرح أن فضيلة الكلام للفظ لا لمعناه . يقول القزويني بعد ان نقل نصين من « دلائل الاعجاز »

(١) الايضاح ص ٤٠٠ .

(٢) الايضاح ص ١٠ .

للتدليل على الرأيين : « هذا لفظه وهو صريح في ان الكلام من حيث هو كلام لا يوصف بالفضيلة باعتبار شرف معناه . ولا شك ان الفصاحة من صفاته الفاضلة فلا تكون راجعة الى المعنى . وقد صرح فيما سبق بانها راجعة الى المعنى دون اللفظ فالجمع بينهما بما قدمناه بحمل كلامه حيث نفى انها من صفات اللفظ على نفى انها من صفات المفردات من غير اعتبار التركيب ، وحيث اثبت انها من صفاته على انها من صفاته باعتبار افادته المعنى عند التركيب » (١) .

وانه لبديهي ان يتجه القزويني اتجاه عبدالقاهر وهو احد رجال مدرسته البلاغية التي أوصلها السكاكي الى قواعد جافة ، وأصول تضيق بها صدور الدارسين .

ولم يضع القزويني مقاييس للمعاني ، لانه لم يكن ناقدا ذواقا كالامدي ، وابن الاثير ، وانما كان ناقدا بلاغيا يهتم بوضع القواعد ويحسن التقسيمات . ومع ذلك نستطيع أن نقول انه تكلم على كثير منها في كتابه « التلخيص » و « الايضاح » ، فالصحة والخطأ والابتكار والتقليد ، والوفاء بالمعنى ، والمقياس النفسي ، والصدق والكذب ، والابتداع والاتباع ، والوضوح والغموض ، والالفة والندرة ، أشار إليها في بحوثه البلاغية وان لم يفردها فصولاً . ونرى ان تضم الي مقاييس المعنى ما ذكره في المحسنات المعنوية كالمبالغة ، وصحة التقسيم ، والمطابقة ، وقد آثرنا بحثها في علم البديع متابعة للقزويني في منهجه ، وان كان قدامة بن جعفر ، وابن الاثير ، والنقاد الآخرون قد ذكروها في مقاييس المعاني .

(١) الايضاح ص ١١ .

الفصل الثاني

عِلْمُ الْمَعَانِي

لا نعرف احدا قبل السكاكي استعمل مصطلح المعاني، وأطلقه على قسم من علوم البلاغة . وكل ما نعرف ان عبارة معاني النحو وردت في المناظرة التي قامت بين الحسن بن عبدالله المرزباني المعروف بابي سعيد السيرافي (٣٦٨ هـ) ، وأبي بشر متى بن يونس في مجلس الوزير ابي الفتح بن جعفر بن الفرات . يقول السيرافي « معاني النحو منقسمة بين حركات النحو وسكناته ، وبين وضع الحروف في مواضعها المقتضية لها، وبين تأليف الكلام بالتقديم والتأخير ، وتوخي الصواب في ذلك، وتجنب الخطأ في ذلك ، وإن زاغ شيء عن النعت فانه لا يخلو ان يكون سائعا بالاستعمال النادر ، والتأويل البعيد ، او مردودا لخروجه عن عادة القوم الجارية على فطرتهم » (١) .

وكان لنظرية النظم أثير كبير في اظهار هذا النوع من الدراسات البلاغية ، وقد وضحت معالم هذه النظرية وبلغت أوج نضجها على يدي عبد القاهر الذي اعاد وكرر في اثباتها والتأكيد عليها . والنظم عنده

(١) المقاييس ص ٨٠ ، ومعجم الادباء ج ٨ ص ٢١٤

ليس الا « ان تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو ، وتعمل على قوائمه واصوله ، وتعرف مناهجه التي نهجت ، فلا تزيع عنها ، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك ، فلا تخل بشيء منها » (١) .

إنَّ النظم عنده ليس إلا توحي معاني النحو وأحكامه بين الكلمة ، ولا يقصد بالنحو معناه الضيق الذي فهمه المتأخرون وإنما يريد المعاني الاضافية التي يصورها النحو . وبذلك رسم في « دلائل الاعجاز » طريقا جديدا للبحث النحوي تجاوز اواخر الكلمة وعلامات الاعراب ، وبين ان للكلام نظما ، وأن رعاية هذا النظم واتباع قوائمه هي السبيل الى الابانة والافهام . وبرهن على أهمية النظم ، ورجوع مزية الكلام اليه بقوله : « فلو انك عمدت الى بيت شعر ، أو فصل ثمر ، فعددت كلماته عدا كيف جاء واتفق وابطلت نضده ونظامه الذي عليه بني وفيه افرغ المعنى واجري ، وغيرت ترتيبه الذي بخصوصيته افادكما افاد ، وبسقه المخصوص ابان المراد نحو ان تقول في « قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل » : « منزل قفا من نبك حبيب » ، اخرجته من كمال البيان الى محال الهديان » (١) .

وكان عبدالقاهر سباقا الى شرح نظرية النظم ومن اوائل الذين حللوا الكلام تحليلا يعتمد على نظرية النظم . ومنهجه منهج اللغوي لانه اهتم بالنحو بمعناه الواسع ، يقول الدكتور محمد مندور عن هذا المنهج : « انه يستند الى نظرية في اللغة ، أرى ويرى معي كل من يعنى النظر ، انها تماشي ما وصل اليه علم اللسان الحديث من آراء . وتقطعة البدء تجدها في آخر « دلائل الاعجاز » حيث يقرر المؤلف ما قرره علماء اليوم من ان اللغة ليست مجموعة من الالفاظ ، بل مجموعة من العلاقات *sesteme des rapports* . وعلى هذا الاساس العام بنى

(١) دلائل الاعجاز ص ٦٤

(٢) اسرار البلاغة في ٨ .

عبد القاهر كل تفكيره اللغوي الفني» (١) .

وأثّرت نظرية النظم في البلاغة ، فأدخلها البلاغيون في بحوثهم ، وجعلوها أحد أقسام البلاغة الثلاثة ، وهو « علم المعاني » . ولكن ما هذه المباحث التي اطلق عليها عبد القاهر اسم النظم ؟

يقول : « اعلم ان ليس النظم الا ان تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو ، وتعمل على قوانينه وأصوله ، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها ، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها . وذلك انا لا نعلم شيئاً يتنبه الناظم بنظمه غير ان ينظر في وجوه كل باب وفروقه فينظر في الخبر الى الوجوه التي تراها في قولك : « زيد منطلق » ، و « زيد ينطلق » ، و « ينطلق زيد » ، و « منطلق زيد » ، و « زيد المنطلق » ، و « والمنطلق زيد » ، و « زيد هو المنطلق » ، و « زيد هو منطلق » .

وفي الشرط والجزاء الى الوجوه التي تراها في قولك : « إن تخرج ° أخرج ° » ، و « إن خرجت ° خرجت ° » ، و « إن تخرج ° فانا خارج ° » ، و « أنا خارج إن خرجت ° » ، و « أنا إن خرجت خارج ° » . وفي الحال الى الوجوه التي تراها في قولك : « جاءني زيد مسرعاً » ، و « جاءني يسرع » ، و « جاءني وهو مسرع » او « هو يسرع » ، و « جاءني وقد اسرع » ، فيعرف لكل من ذلك موضعه ، ويحيى به حيث ينبغي له .

وينظر في الحروف التي تشترك في معنى لم ينفرد كل واحد منها بخصوصية في ذلك المعنى فيضع كلا من ذلك في خاص معناه نحو أن ° يجيء ب « ما » في تهي الحال ، وب « لا » اذا اراد تهي الاستقبال وب « إن ° » فيما يترجح بين ان يكون وان لا يكون ، وب « اذا » فيما علم انه كائن .

(١) الميزان الجديد ص ١٤٧ ، وينظر النقد المنهجي عند العرب ص ٣٢٨ .

وينظر في الجمل التي تسرد فيعرف موضع الفصل فيها من موضع الوصل، ثم يعرف فيما حقه الوصل موضع « الواو » من موضع « الفاء »، وموضع « الفاء » من موضع « ثم » وموضع « او » من موضع « أم »، وموضع « لكن » من موضع « بل » •

ويتصرف في التعريف والتنكير، والتقديم والتأخير في الكلام كله، وفي الحذف والتكرار، والاضمار والاظهار فيضع كلا من ذلك مكانه، ويستعمله على الصحة وعلى ما ينبغي له •

هذا هو السبيل، فلست بواجد شيئا يرجع صوابه إن كان صوابا وخطؤه إن كان خطأ إلى النظم ويدخل تحت هذا الاسم الا وهو معنى من معاني النحو قد اصاب به موضعه، ووضع في حقه أو عومل بخلاف هذه المعاملة، فازيل عن موضعه واستعمل في غير ما ينبغي له • فلا ترى كلاما قد وصف بصحة نظم او فساد، او وصف بمزية وفضل فيه، إلا وانت تجد مرجع تلك الصحة، وذلك الفساد، وتلك المزية، وذلك الفضل إلى معاني النحو وأحكامه، ووجدته يدخل في أصل من اصوله، ويتصل بباب من ابوابه» (١) •

فالنظم عند عبد القاهر — كما يتضح من هذا النص — يشمل الخبر، وأركان الجملة، وما يحدث فيها من تقديم وتأخير، وكون المسند اسما او فعلا، وما يتعلق بالمسند والمسند اليه من شرط وحال • ويشمل الفصل والوصل ومعرفة مواضعهما، ومعاني « الواو » و « الفاء » و « ثم » و « بل » و « لكن » وغيرها من ادوات العطف • ويشمل التعريف والتنكير، والحذف والذكر، والاضمار والاظهار •

وليست هذه الموضوعات الا مباحث « علم المعاني » الذي حصره

(١) دلائل الاعجاز ص ٦٤ - ٦٥ •

السكاكي بقوله : « إنَّ علم المعاني ، هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الافادة ، وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ، ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره » (١) .

تساؤل :

ومع ان احدا لم يطلق مصطلح « علم المعاني » على بعض بحوث البلاغة قبل السكاكي ، إلا أنَّ الباحث ليحار حينما يجد مصطلحي « المعاني » و « البيان » مستعملين قبله . فالزمخشري يشير اليهما في الكشف ، يقول وهو يتحدث عن التفسير : « ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق ، الا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن وهما : « علم المعاني » و « علم البيان » (٢) . وكلام الزمخشري هذا غير واضح ، لانه كثيرا ما يردد هذين المصطلحين ، وكثيرا ما يطلق مصطلح « البيان » على البلاغة كلها ، ولم يضع حدا بين موضوعات « علم المعاني » و « علم البيان » ، وإنَّ ذكر كثيرا من موضوعاتهما . ولعل سبب ذلك انه لم يكن يبحث في علم البلاغة حينما ألف « الكشف » . وانما كان يفسر القرآن الكريم ، ويوضح ما فيه من معانٍ سامية ، وما فيه من روعة وتأثير ، أما مسائل البلاغة فلم يذكرها الا لاطهار روعة القرآن واعجازه . ومن هنا كان « الكشف » من اهم مصادر البلاغة وان لم يكن مؤلفا من اجلها .

ونراه يسمي البلاغة بديعا ، فهو في تفسير قوله تعالى : « أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى ، فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين » (٣) ، يقول : « هذا من الصنعة البديعية التي تبلغ بالمجاز الذروة العليا ، وهي ان تساق كلمة مساق مجاز » (٤) .

(١) مفتاح العلوم ص ٧٧ .

(٢) الكشف ج ١ ص : ك

(٣) سورة البقرة ، الآية ١٦ .

(٤) الكشف ج ١ ص ٥٣ .

ويخالف ما تعارف عليه البلاغيون احيانا ، فيجعل الالتفات من البيان ، ويقول في العدول عن لفظ الغيبة الى لفظ الخطاب : « قلت : هذا يسمى الالتفات في علم البيان »^(١) .

وذكر فخر الدين الرازي (٦٠٦ هـ) مصطلحي « علم المعاني » و « علم البيان » ، ولكنه لم يعرفهما ، ويوضحهما ، ويحدد موضوعاتهما يقول وهو يتحدث عن الخبر : « ولكن الخبر هو الذي يتصور بالصور الكثيرة ، وتظهر فيه :لدقائق العجيبة والاسرار الغريبة من علم المعاني والبيان »^(٢) . ويلاحظ ان عبارة « من علم المعاني والبيان » غامضة لا يفهم منها الا معنى عام وهو البلاغة بصورتها الواسعة ، اما معانيهما الخاصة التي حصرها السكاكي فلم يشر اليها الرازي وكأن المعاني والبيان عنده يرادفان البلاغة .

ويكرر انسكاكي بعض العبارات مثل « صناعة علم المعاني » و « علماء علم المعاني » و « اذهان الراضة في علماء المعاني » و « أئمة علم المعاني »^(٣) ، ولم يحدد معاني هذه العبارات ، ولا ندري ما المقصود بها ؟ ومَن علماء المعاني وأئمتهم ؟ لاننا لم نعثر في تاريخ البلاغة قبل السكاكي على علماء اقتصوا بالمعاني وبحثوه كما بحثه السكاكي ، وحدد موضوعاته ، ولم تكن البلاغة قبله مقسمة الى معانٍ وبيانٍ وبديعٍ .

ولما كنا لم نستطع ان نتبين مفهوم المعاني قبل السكاكي ، ولم نستطع ان نعرف احدا كتب في علم المعاني قبله بالطريقة التي وصلت اليها عنه في مفتاح العلوم ، ما دامت هذه الامور لم تتضح مع ورود مصطلحي « المعاني » و « البيان » في « الكشاف » و « نهاية الایجاز » ، فاننا نستطيع على ضوء ذلك ان نقرر ان السكاكي اول من قسم البلاغة الى معانٍ وبيانٍ ومحسنات ، وحدد موضوعاتها ، وأثبت قواعدها واصولها .

(١) الكشاف ج ١ ص ١١ .

(٢) نهاية الایجاز في دراية الاعجاز ص ٣٦ .

(٣) مفتاح العلوم ص ٨١ ، ٩٥ ، ١١٩ ، ١٢١ .

وانه اول من اطلق على الموضوعات المتعلقة بالنظم مصطلح علم المعاني، وعلى الموضوعات التي تبحث في الصورة الاديية ، أي : التشبيه ، والمجاز والكناية ، مصطلح علم البيان . وانه اول من اطلق على غير هذين العلمين اسم المحسنات ، وقسمها الى ما يختص بالمعنى ، وما يتعلق باللفظ ، مع الاحتراز بانه لم يُسَمَّ هذه المحسنات بديعا ، وكان بدر الدين بن مالك هو الذي اطلق عليها هذا المصطلح في كتابه «المصباح» .

وسار القزويني على خطا السكاكي في بحث علم المعاني وهو عنده : « علم يعرف به احوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال » (١) . ولم يقبل تعريف السكاكي للمعاني وهو « تتبع خواص تراكيب الكلام في الافادة ، وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ، ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره » (٢) ، لان التتبع ليس بعلم ولا صادق عليه ، فلا يصح تعريف شيء من العلوم به .

وحصر علم المعاني في ثمانية ابواب : احوال الاسناد الخبري ، و احوال المسند اليه ، و احوال المسند ، و احوال متعلقات الفعل ، والقصر ، والانشاء ، والفصل والوصل ، والايجاز والاطناب والمساواة . ووجه الحصر ان الكلام اما خبر ، او انشاء ، لانه اما ان يكون لنسبته خارج تطابقه او لا تطابقه ، او لا يكون لها خارج . الاول الخبر والثاني الانشاء . ثم الخبر لا بد له من اسناد ، ومسند اليه ، ومسند ، و احوال هذه الثلاثة هي الابواب الثلاثة الاولى . ثم المسند قد يكون له متعلقات اذا كان فعلا او متصلا به أو في معناه كاسم الفاعل ونحوه ، وهذا هو الباب الرابع . ثم الاسناد والتعلق كل واحد منهما يكون اما بقصد او بغير قصد وهذا هو الباب الخامس . والانشاء هو الباب السادس . ثم الجملة اذا قرنت باخرى فتكون الثانية اما معطوفة على الاولى ، او غير معطوفة ، وهذا هو الباب السابع . ولفظ الكلام البليغ اما زائد على

(١) الايضاح ص ١٢ .

(٢) مفتاح العلوم ص ٧٧ .

أصل المراد لفائدة او غير زائد عليه ، وهذا هو الباب الثامن •

وهذا المنهج يختلف عن منهج السكاكي في بحث موضوعات علم المعاني كما رأينا في فصل سابق ، وهو أقرب الى الكمال منه ، لان القزويني ضم الموضوعات المتشابهة ووضعها تحت فصل واحد • وكان في طريقته اقل شكلية من السكاكي الذي مزق اوصال البلاغة شر ممزق • ومع هذا لن نتخذ منهجه في بحث موضوعات علم المعاني عند القزويني ، لان فيه تمزيقا لموضوعات التقديم والتأخير ، والذكر والحذف •

لقد تكلم في باب المسند اليه على الحذف والذكر ، والتعريف والتكبير ، والتقديم والتأخير ، وعاد فذكر الموضوعات نفسها في فصل المسند وبذلك فرق الموضوعات المتشابهة وكان الاولى به ان يجمعها ويوحدها ، فيضع للتقديم والتأخير فصلا ، وللحذف والذكر فصلا ، وللتعريف والتكبير فصلا ، وبذلك يجعل لهذه الموضوعات قيمة وتأثيرا في التعبير • وقد صنع عبد القاهر وابن الاثير هذا الصنيع من قبل ، وضموا المتشابهات ، ووحدوا الموضوعات ، وأخرجوا للناس كتبا من خيرة ما كتب في البلاغة العربية •

ونحن في دراستنا لعلم المعاني عند القزويني سنشير الى بحثه للجملمة وما يتبعها من تقديم وتأخير ، وحذف وذكر وقصر ، وكلامه على الفصل والوصل ، وخوضه في الايجاز والاطناب • ولن نقف الا وقفات نعرض ونوجه وتقارن •

الجملة

الجملة الفاظ مركبة تدل على معنى ، او هي كما يقول النحاة :
« اللفظ المفيد فائدة يحسن السكوت عليها »^(١) ، ولا تكون الجملة الا
اذا استوفت ركنين هما : المسند اليه والمسند ، واذا ما حذف من الجملة
احد هذين الركنين فان النحاة يلجأون الى التقدير والى التمحلات
لتستقيم لهم قاعدتهم . واستعمل القدماء هذين المصطلحين فقال سيبويه
امام النحاة : « هذا باب المسند والمسند اليه وهما ما لا يستغنى واحد
منهما عن الآخر ، ولا يجد المتكلم منه بدا . فمن ذلك الاسم المبتدأ
والمبني عليه وهو قولك : « عبدالله اخوك » ، و « هذا اخوك » ، ومثل
ذلك قولك : « يذهب زيد » فلا بد للفعل من الاسم كما لم يكن للاسم
الاول بد من الآخر في الابتداء . ومما يكون بمنزلة الابتداء قولك :
« كان عبدالله منطلقا » ، و « ليت زيدا منطلق » ، لان هذا يحتاج الى
ما بعده كاحتياج المبتدأ الى ما بعده »^(٢) .

والمسند عندهم الفعل التام ، واسم الفعل ، وخبر المبتدأ والمبتدأ
المكتفي برفوعه ، وما أصله خبر المبتدأ ، والمصدر النائب عن فعل الامر .
اما المسند اليه فهو الفاعل ، ونائبه ، والمبتدأ ، وما أصله المبتدأ .
ولم يأخذ النحاة بهذين المصطلحين بعد سيبويه وان اداروهما في

(١) شرح ابن عقيل ج ١ ص ١٤ .

(٢) كتاب سيبويه ج ١ ص ٧ .

كتبهم وانما استعملوا ما يقابلهما من مبتدأ وخبر او فعل وفاعل وغيرها مما نجده في كتبهم • ولكن علماء البلاغة أخذوهما وبنوا عليهما دراستهم في علم المعاني ، فأنحصرت دراستهم في المسند والمسند اليه ، وما يتبعهما من ذكر وحذف ، وتقديم وتأخير وقصر • ولا يتجاوزون ذلك الا حينما يتحدثون عن الفصل والوصل ، والمساواة والايجاز والاطناب ، وهو تجاوز لا يبعد عن الجملتين في كثير من الاحيان • وكان اكثر البلاغيين تمسكا بهذا المنهج رجال المدرسة الكلامية كالسكاكي والقزويني وشرح التلخيص ، اما عبدالقاهر وابن الاثير وغيرهما من اعلام المدرسة الادبية فلم يتجهوا هذا الاتجاه ولم ينحوا هذا المنحى ، وانما كانوا يحكمون الذوق وتحسس مواطن الجمال في الكلام • وتتج عن هذا ان مزقت البلاغة العربية شر ممزق ، فكان الحذف في عدة مواضع والذكر في ابواب متفرقة ، لانهما درسا في المسند اليه مرة ، وفي المسند تارة ، وفي متعلقات الفعل تارة ثالثة • ومثل هذا يقال في الموضوعات التي بحثها عبد القاهر وابن الاثير تحت فصول موحدة فيها الروعة والنفع وائارة سبيل الدارسين ، وفيها تهذيب للذوق وتنمية الملكة الادبية • وقد كان بحث القزويني ومن لفه ، وسار على منهجه أقرب الى الدراسات النحوية ، ومن هنا جاءت جافة لا رواء فيها ولا رونق ، ولا تقييد في تربية الذوق وصقله وان كانت فيها بعض الومضات التي يمكن الاستفادة منها في كتابة البلاغة الجديدة •

ومما تجدر الاشارة اليه هنا أن القزويني ابتعد عن مجال الدراسات النحوية المتأخرة من اهتمام بالعامل والاعراب وغير ذلك ، ولكن دراسته هذه لا تجدي نفعا في البلاغة ولا تقدم غداء فيه النماء والتطور ، لان تحليقه كان دون تحليق عبدالقاهر وابن الاثير ، وإن حكق في اجواء غير اجواء النحاة المتأخرين •

نموذج :

ولكي نبرهن على انه اتجه في معظم بحوثه هذه اتجاها نحويا نعرض

بحثه في الذكر والحذف بايجاز . فقد ذكر ان المسند اليه يذكر وهو الاصل ولا مقتضى للحذف الا اذا كانت فائدة لها أثرها في التعبير ويكون ذكره للاحتياط لضعف التعويل على القرينة ، او التنبيه على غباء السامع ، أو لزيادة الايضاح والتقرير ، أو لظهار تعظيمه ، او اهائه ، او للتبرك او لاستلذذه ، أو لبسط الكلام حيث الاصغاء مطلوب ، كقوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام : « هي عصاي » (١) .

وذكر السكاكي أن المسند اليه يذكر اذا كان الخبر عام النسبة الى كل مسند اليه ، والمراد تخصيصه بمعين مثل : « زيد جاء » و « عمرو ذهب » و « خالد في الدار » ، وقوله :

الله انجح ما طلبت به والبر خير حقيبة الرجل
وقوله :

النفس رغبة اذا رغبت بها واذا ترد الى قليل تقنع (٢)

ويرى القزويني ان هذا الرأي ليس بصحيح ، لانه ان قامت قرينة تدل عليه ان حذف فعموم الخبر وإرادة تخصيصه بمعين وحدهما لا يقتضيان ذكره والا فيكون ذكره واجبا (٣) .

ويذكر المسند لزيادة التقرير، والتعريض بغاء السامع، والاستلذاذ والتعظيم ، والاهانة وبسط الكلام ، او ليتعين كونه اسما فيستفاد منه الثبوت ، أو كونه فعلا فيستفاد منه التجدد ، او كونه ظرفا فيورث احتمال الثبوت والتجدد .

وذكر السكاكي انه يذكر للتعجب من المسند اليه بذكره مثل « زيد يقاوم الاسد » مع دلالة قرائن الاحوال ، ولكن القزويني يرى أن

(١) سورة طه ، الآية ١٨ .

(٢) مفتاح العلوم ص ٨٥ .

(٣) الايضاح ص ٣٤ .

التعجب يحصل بلا ذكر المسند اذا قامت عليه القرينة (١) .

اما الحذف فهو باب واسع تجول فيه الاقلام ، وميدان فسيح تضطرب فيه القابليات الفنية ، فيحسن استعماله مَنْ ° كانت له معرفة واسعة باساليب التعبير ، وذوق يدرك به اسرار الحذف . ويكون حذف المسند اليه لمجرد الاختصار ، والاحتراز عن العبث بترك ما لا ضرورة لذكره وذلك مما يكسب الكلام قوة وجمالا ، أو لتخييل ان في تركه تعويلا على شهادة العقل ، وفي ذكره تعويلا على شهادة اللفظ من حيث الظاهر ، أو لاختبار تنبه السامع له عند القرينة أو مقدار تنبهه ، أو لايهام ان في تركه تطهيرا له عن اللسان ، أو ليكون على سبيل الانكار إن ° مست اليه حاجة ، أو لان الخبر لا يصلح الا له حقيقة أو دعاء .

ولا نرى في معظم ما ذكره القزويني سببا لغويا في حذفه الا ما ذكره من امور عقلية قد تكون بالنحو واساليبه الصق ، وان كان اول كلامه يشير الى ان المسند اليه يحذف ، لان معنى العبارة مفهوم ، وان في ذكره زيادة لا فائدة فيها . وان كنا نحمد له في هذا المقام فاننا نحمد له قوله : « واما لا اعتبار آخر مناسب لا يهدى الى مثله الا العقل السليم والطبع المستقيم » (٢) .

ومن امثلة الحذف قول الشاعر :

ساشكرُ عَمْرًا إن ° تراخت منيَّتي أيادي لم تمنن وان هي جَلَّتِ
فَتِي غير محجوب الغنى عن صديقه ولا مظهر الشكوى اذا النعل زلَّتْ

وقول الآخر :

سريع" الى ابن العم يلطم وَجْهَهُ ° وليس الى داعي النَّدى سريع
حريص" على الدنيا ، مضيع" لدينه وليس لما في بيته بمضيع

(١) مفتاح العلوم ص ٩٩ ، والايضاح ص ٨٦ .

(٢) الايضاح ص ٢٢ .

وهذه أمثلة عبد القاهر والسكاكي • ولم يعلل القزويني جمال الحذف وقيمته ، وان كان عبد القاهر قد قال بعد ذكرها : « فتأمل الان هذه الايات كلها واستقرها واحدا واحدا ، وانظر الى موقعها في نفسك ، والى ما تجده من اللطف والظرف اذا أنت مررت بموضع الحذف منها ، ثم قلبت النفس عما تجد ، والطفت النظر فيما تحس به ، ثم تكلف ان ترد ما حذف الشاعر ، وان تخرجه الى لفظك وتوقعه في سمعك ، فانك تعلم ان الذي قلت كما قلت ، وان رب حذف هو قلادة الجيد وقاعدة التجويد » (١) •

ويحذف المسند لنحو ما سبق في المسند اليه من تخيل العدول الى أقوى الدليلين ، ومن اختبار تنبه السامع عند قيام القرينة ، او مقدار تنبهه ، ومن الاختصار والاحتراز عن العبث بناء على الظاهر ، أما مع ضيق المقام كقوله :

نحن بما عندنا وأنت بما عندك راضٍ والرأيُ مختلفٌ
أي : نحن بما عندنا راضون •

واما بدون الضيق كقوله تعالى : « واللهُ ورسولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ » (٢) • أي : والله احق ان يرضوه •

وقد يكون حذفه لتكثير الفائدة كقوله تعالى : « بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ » (٣) وقوله : « سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا » (٤) ، وقوله : « وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لَا تَقْسِمُوا ، طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ » (٥) •

(١) دلائل الاعجاز ص ١١٦ •

(٢) سورة التوبة ، الآية ٦٢ •

(٣) سورة يوسف ، الآية ١٨ •

(٤) سورة النور ، الآية ١ •

(٥) سورة النور ، الآية ٥٣ •

فكل منها يحتمل حذف المسند اليه والمسند ، أي : فأمرني صبر جميل ، او فصبر جميل اجمل ، وهذه سورة انزلناها ، او فيما اوحينا اليك سورة انزلناها ، وامركم او الذي يطلب فيكم طاعة معروفة معلومة ، ومنهم من ادخل قوله تعالى : « ولا تقولوا ثلاثة » (١) في هذا الباب ، ولكن القزويني رد عليه ولم يأخذ برأيه (٢) .

ولا بد للحذف من قرينه كوقوع الكلام جوابا عن سؤال اما محقق كقوله تعالى : « ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولنَّ الله » (٣) ، واما مقدر كقوله : « كذلك يثوي اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم » (٤) ببناء الفعل للمفعول . وقد ذكر ان الفعل المتعدي اذا اسند الى فاعله ولم يذكر له مفعول فهو على ضربين (٥) :

الاول : ان يكون الغرض اثبات المعنى في نفسه للفاعل على الاطلاق أو نفيه عنه كذلك فيتنزل منزلة اللازم ، ولا يذكر له مفعول لثلا يتوهم السامع ان الغرض الاخبار به باعتبار تعلقه بالمفعول ، ولا يقدر ، لان المقدر في حكم المذكور ، وهذا الضرب قسمان : لانه أما ان يجعل الفعل مطلقا كناية عن الفعل متعلقا بمفعول مخصوص دلت عليه قرينة ، أو لا . والاول كقول البحري يمدح المعتز بالله ويعرض بالمستعين بالله :

شجوة حساده وغيظ عداه
ان يرى مبصر ويسمع واع

فجعل مطلق الرؤية كناية عن رؤية محاسنه وآثاره ، ومطلق السماع كناية عن سماع اخباره ، وقد خالف القزويني عبد القاهر في

(١) سورة النساء ، الآية ١٧١ .

(٢) الايضاح ص ٨٣ - ٨٤ .

(٣) سورة لقمان ، الآية ٢٥ .

(٤) سورة الشورى ، الآية ٣ .

(٥) الايضاح ص ١٠٣ وما بعدها .

هذه المسألة في أمرين :

الاول : انه يرى ان الفعل هنا منزل منزلة اللازم ، ويراه عبد القاهر مما له مفعول مقصود محذوف .

والثاني : انه يجعل الفعل مطلقا كناية عن نفسه متعلقا بمفعول مخصوص ، ولا يراه عبد القاهر كناية^(١) .

والثاني : كقوله تعالى « قتل° هلك° يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون »^(٢) . أي من يحدث له معنى العلم ومن لا يحدث .

والضرب الثاني : أن يكون الغرض افادة تعلقه بمفعول ، فيجب تقديره بحسب القرائن ثم حذفه من اللفظ ، اما للبيان بعد الابهام كما في فعل المشيئة اذ لم يكن في تعلقه بمفعوله غرابة كقوله تعالى : « فلو شاء لهداكم أجمعين »^(٣) وقوله : « فإن° يشأ الله° يختم° على قلبك° »^(٤) . وقول البحري :

لو شئت لم تفسد سماحة حاتم كرمًا ولم تهدم مأثر خالد

فان كان في تعليق الفعل به غرابة ذكر المفعول ليتقرر في نفس السامع كقوله : « لو شئت ان أرد على الامير رددت » ، وعليه قول الشاعر :

ولو شئت أن° أبكي دما لبكيتته عليه ، ولكن ساحة° الصببر° أو سح°

وعلة جمال اظهار المفعول به أنه كان بدع عجيب ان يشأ الانسان ان يبكي دما ، فلما كان كذلك كان الاولى ان يصرح بذكره ليقرره في

(١) الايضاح ص ١٠٤ ولائل الامجار ص ١٢٠ .

(٢) سورة الزمر ، الآية ٩ .

(٣) سورة الانعام ، الآية ١٤٩ .

(٤) سورة الشورى ، الآية ٢٤ .

ففس السامع ، ويؤنسه به • وكذلك الحال متى كان مفعول المشيئة
أمرا عظيما او بديعا غريبا فعندئذ يكون الاحسن ان يذكر ولا يضر
فاذا لم يكن مما يكبره السامع فالحذف (١) .

ولا يكتفي القزويني بالنقل ، وانما يصحح ما وقع فيه القدماء
فيقول معلقا على قول أبي الحسين علي بن أحمد الجوهري أحد
شعراء الصحاب بن عباد :

فلم يبق مني الشوق غير تفكثري فلو شئت أن ابكي بكيته تفكثرا

فليس منه ، لانه لم يرد ان يقول : « فلو شئت أن ابكي تفكرا »
ولكنه اراد أن يقول : افئاني النحول فلم يبق مني غير خواطر تجول
حتى لو شئت البكاء فمررت جفوني وعصرت عيني ليسيل منها دمع لم
أجده ، ولخرج منها بدل الدمع التفكر • فالمراد بالبكاء في الاول
الحقيقي ، وفي الثاني غير الحقيقي ، فالثاني لا يصح ان يكون
تفسيرا للاول « (٢) » .

ولم يستطع القزويني ان يخلق كما خلق عبد القاهر في تعليل
جمال حذف المفعول بعد المشيئة ، وعلل عبد القاهر ذلك بان في البيان
بعد الابهام وبعد تحريك النفس الى معرفته لطفاً ونبلاً لا يكون اذا
لم يتقدم ما يحرك • فانت اذا قلت : « لو شئت » علم السامع انك قد
علقت هذه المشيئة في المعنى بشيء فهو يصنع في نفسه ان ههنا شيئاً
تقتضيه المشيئة فاذا قلت : لم تفسد سماحة حاتم « عرف ذلك
الشيء » (٣) •

وأما لدفع ان يتوهم السامع في اول الامر ارادة شيء غير المراد
كقول البحرى :

(١) دلائل الاعجاز ص ١٢٦ •

(٢) الايضاح ص ١٠٦ •

(٣) دلائل الاعجاز ص ١٢٥ •

وكم ذدت غني من تحامل حادث وسورة أيام حَزَزَنَ الى العَظْمِ

اذ لو قال : « حزنن اللحم » لجاز ان يتوهم السامع قبل ذكر ما بعده ان الحزَّ كان في بعض اللحم ، ولم ينته الى العظم فترك ذكر اللحم ليبرىء السامع من هذا الوهم ، ويصور في نفسه من أول الامر ان الحز مضمي في اللحم حتى لم يرده الا العظم •

واما لانه اريد ذكره تانيا على وجه يتضمن ايقاع الفعل على صريح لفظه اظهارا لكمال العناية بوقوعه عليه كقول البحترى :

قد طلبنا فلم نجد لك في السئو° دَدِرِ والمجدِرِ والمكارمِ مِثِلا

أي : « قد طلبنا لك مثلا في السؤدد والمجد والمكارم » ، فحذف المثل اذ كان غرضه ان يوقع نفى الوجود على صريح لفظ المثل •

واما للقصد الى التعميم في المفعول ، والامتناع عن ان يقصره السامع على ما يذكر معه دون غيره مع الاختصار كقوله تعالى « والله يدعو الى دارِ السلامِ » (١) ، أي يدعو كل احد •

وأما للرعاية على الفاصلة كقوله سبحانه : « والضحى • والليلِ اذا سَجَى • ما ودَّعَكَ رَبُّكََ وما قَلَى » (٢) أي : وما قلاك •

وأما لاستهجان ذكره كما روي عن عائشة (رض) انها قالت : « ما رأيت منه ولا رأى مني » تعني العورة •

واما لمجرد الاختصار كقوله تعالى : « أهذا الذي بَعَثَ اللهُ رَسولا » (٣) ومنه قوله : « وَلمَّا وردَ ماءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عليه أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ ، وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِم امرأتينِ

(١) سورة يونس ، الآية ٢٥ •

(٢) سورة الضحى ، الآيات ١ - ٣ •

(٣) سورة الفرقان ، الآية ٤١ •

تذودان قال : ما خَطْبُكُما ؟ قالتا نَسَقِي حتى يُصَدِرَ الرِّعاءُ
وأبونا شَيْخٌ كبيرٌ * فسقى لهما» (١) .

ومع ان القزويني أَلَمَّ باكثر مواضع حذف المفعول ، ورتبها ،
وبوبها تبويبا حسنا ، غير ان بحثه تعوزه الطلاوة والتحليل ، وهو
- وان اتفح ببلأغة عبد القاهر كثيرا - (٢) ، لم يكن له نَفْسُهُ
وقابليته على التحليق ، ولم تكن له اجادة ابن الاثير في العرض
والتحليل وقد علل هذان الكاتبان قيمة الحذف ، وتعليهما اقرب الى
الذوق منه الى القواعد وضبط الاصول ، يقول عبد القاهر : « واذ
قد عرفت هذه الجملة في حال الحذف في المبتدأ فاعلم ان ذلك سبيله
في كل شيء * فما اسم او فعل تجده قد حذف ثم اصيب موضعه
وحذف في الحال فينبغي ان يحذف فيها الا وانت تجد حذفه هناك
احسن من ذكره وترى اضماره في النفس اولى وآنس من النطق
به» (٣) . وهذا يدلنا على ابتعاده عن تعليل النحاة * .

وبهذا الاسلوب بَحَثَ القزويني موضوعات الجملة كالتقديم
والتأخير ، والتعريف والتكثير ، والتقيد بالتوابع ، والقصر ، والخروج
عن مقتضى الظاهر * ولا نرى في طريقته هذه فائدة كبيرة ، لانه لم
يستطع ان يعطي الجملة حقها من البحث ، ولم يقدر ان يحلل كما حلل
عبد القاهر ، وبذلك أعطى صورة غير واضحة عن أساليب التقديم
والتأخير ، والحذف والذكر ، والقصر ، والتعريف والتكثير وغيرها
من الموضوعات التي تدخل في بحث الجملة * .

ونرى أن نضم معظم الموضوعات التي ذكرها والامثلة التي سردها
الى فصول النحو لتعطيها حيوية وتكسيها رواء ، وبذلك نخلص
البلأغة من جمودها ، ونبعث الحياة في النحو من جديد * .

(١) سورة القصص ، الايتان ٢٣ - ٢٤ .

(٢) ينظر دلائل الاعجاز ص ١١٨ وما بعدها .

(٣) دلائل الاعجاز ص ١١٧ .

الفصل والوصل

قيل للفارسي : ما البلاغة ؟ قال : معرفة الفصل من الوصل .
وذهب كثير من بلاغيي العرب الى ما ذهب اليه الفارسي ، واعتبروا
الفصل والوصل فنا عظيمًا ، صعب المسلك ، دقيق المآخذ لا يسيط
علما بكنهه الا من أوتي في فهم كلام العرب طبعًا سليما ، وورق في
ادراك أسرارهِ ذوقًا صحيحًا . ولهذا قصر بعضهم البلاغة على معرفته .
ولا يرى القزويني هذا الرأي ، يقول : « وما قصرها عليه لان الامر
كذلك ، وانما حاول بذلك التنبيه على مزيد غموضه ، وأن أحدا
لا يكمل فيه الاكمل في سائر فنونها ، فوجب الاعتناء بتحقيقه على
أبلغ وجه في البيان » (١) .

والوصل عطف بعض الجمل على بعض ، والفصل تركه ولذلك
نرى أن يبحث هذا الموضوع بعد بحث الجملة كما فعلنا .

لقد تكلم الجاحظ وأبو هلال (٢) على الفصل ، ولكنهما لم
يوضحا طرته واساليبه ، لان عنايتهم بالقضايا الادبية والنظرة الفنية
حالت دون ذلك . ولعل عبد القاهر كان من اوائل الذين بحثوه بحثا
مفصلا يقوم على التقسيم ، والتحديد ، والتعليل ، والتحليل ، وربطه

(١) الايضاح ص ١٤٧ .

(٢) البيان والتبيين ج ١ ص ٨٨ ، وكتاب الصناعين ص ٤٢٨ .

بباب العطف عندما ربط البلاغة بمعاني النحو وجعل النظم توخيها له ،
وأجمل مواضع الفصل والوصل بقوله : « أن الجمل على ثلاثة أضرب :

جملة حالها مع التي قبلها حال الصفة مع الموصوف والتأكيد مع
المؤكد فلا يكون فيها العطف البتة لشبه العطف فيها لو عطف بعطف
الشيء على نفسه •

وجملة حالها مع التي قبلها حال الاسم يكون غير الذي قبله الا انه
يشاركه في حكم ويدخل معه في معنى مثل أن يكون كلا الاسمين فاعلا
أو مفعولا أو مضافا اليه فيكون حقها العطف •

وجملة ليست في شيء من الحالين ، بل سبيلها مع التي قبلها سبيل
الاسم مع الاسم لا يكون منه في شيء فلا يكون اياه ولا مشارك له في
معنى بل هو شيء ان ذكر لم يذكر الا بأمر ينفرد به ، ويكون ذكر
الذي قبله وترك الذكر سواء في حاله لعدم التعلق بينه وبينه رأسا ،
وحق هذا ترك العطف البتة •

فترك العطف يكون اما للاتصال الى الغاية أو الانفصال الى الغاية،
والعطف لما هو واسطة بين الامرين وكان له حال بين حالين فاعرفه « (١) •

وعلى هذا الاساس وضع عبدالقاهر أصول بحث الفصل والوصل،
وقوانينه ، وذكر الامثلة الكثيرة • وجاء علماء البلاغة فاقتصروا بحوثه
وبوبوها وقسموها ، وكان تحديدهم أكثر ضبطا ، وقواعدهم أكثر
تقييدا • وكان السكاكي من أشهر الذين اتبعوه ولكنه لم يوضح
الموضوع ولم يبحثه كما ينبغي ، وانصرف الى البحث في الجامع
 وأنواعه ، واستفاد الخطيب القزويني من الرجلين فكان بحثه للفصل
والوصل يجمع بين تحديد القاعدة ، والشرح والتعليل ، أي بين طريقتي
عبد القاهر والسكاكي •

(١) دلائل الاعجاز ص ١٨٧ - ١٨٨ •

يذهب القزويني الى انه اذا أتت جملة بعد جملة فالاولى منهما اما ان يكون لها محل من الاعراب ، أو لا ، وعلى الاول ان قصد التشريك بينها وبين الثانية في حكم الاعراب عطف عليها ، وهذا كعطف المفرد لان الجملة لا يكون لها محل من الاعراب حتى تكون وقعة موقع المفرد فكما يشترط في كون العطف بالواو ونحوه مقبولا في المفرد أن يكون بين المعطوف والمعطوف عليه جهة جامعة كما في قوله تعالى :

« يَعْلَمُ مَا يَلْجِ فِي الْأَرْضِ ، وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا ، وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا » (١) . ولهذا عيب على أبي تمام قوله :

لا والذي هو عالم أن النوى صبر وأن أبا الحسين كريم

اذ لا مناسبة بين كرم أبي الحسين ومرارة النوى ، ولا تعلق لاحدهما بالآخر ولاتّه لم يقصد ذلك ترك عطفها .

وعلى الثاني ان قصد بيان ارتباط الثانية بالاولى على معنى بعض حروف العطف سوى الواحد عطف عليها بذلك الحرف فنقول « دخل زيد فخرج عمرو » . وان لم يقصد ذلك فان كان للاولى حكم لم يقصد اعطاؤه للثانية تعين الفصل كقوله تعالى : « واذا خَلَوْا الى شياطينهم قالوا إنا معكم ، إنما نحن مستهزئون ، الله يستهزئ بهم » (٢) . وان لم يكن للاولى حكم فان كان بين الجملتين كمال الاقطاع ، وليس في الفصل ايها خلاف المقصود ، أو كمال الاتصال ، أو كانت الثانية بمنزلة المنقطعة عن الاولى أو بمنزلة المتصلة بها كذلك يتعين الفصل .

(١) سورة سبأ ، الآية ٢ .

(٢) سورة البقرة ، الآية ١٤ - ١٥ .

وأما كمال الاقتران فيكون لامر يرجع الى الاسناد أو الى طرفيه :
الاول : ان تختلف الجملتان خيراً وانشاء ، لفظاً ومعنى
كقول الشاعر :

وقال رائدهم : أرسوا نزاولها فكل حنط امرىء يجري بمقدار

• أو معنى لا لفظاً مثل « مات، فلان ، رحمه الله » .

وأما قول اليزيدى :

مأكنته حبلي ولكنته القاه من زهدٍ على غاربي
وقال : إني في الهوى كاذبٌ انتقم الله من الكاذبِ

فَعَدَّه السكاكي من هذا النوع ، وحمله عبد القاهر على
الاستئناف بتقدير « قلت » (١) .

الثاني : ألا يكون بين الجملتين جامع .
وأما كمال الاتصال فيكون لامور ثلاثة :

الاول : أن تكون الثانية مؤكدة للاولى ، والمقتضى للتأكيد دفع
توهم التجوز والغلط وهو قسمان :

أحدهما : أن تنزل الثانية من الاولى منزلة التأكيد المعنوي من
متبوعه في افادة التقرير مع الاختلاف في المعنى ، كقوله تعالى : « ألم .
ذلك الكتاب لا ريب فيه » (٢) .

وثانيهما : أن تنزل الثانية من الاولى منزلة التأكيد اللفظي من
متبوعه في اتحاد المعنى كقوله تعالى : « ذلك الكتاب لا ريب فيه
هدى للمتقين » (٣) .

(١) مفتاح العلوم ص ١٣ ، ودلائل الاعجاز ص ١٨٣ .

(٢) سورة البقرة ، الايتان ١ - ٢ .

(٣) سورة البقرة ، الآية ٢ .

الثاني : ان تكون الثانية بدلا من الاولى والمقتضي للابدال كون
الاولى غير وافية بتمام المراد بخلاف الثانية، او المقام يقتضي اعتناء بشأنه
لنكته ، ككونه مطلوباً في نفسه ، أو فظيحا ، أو عجيبا ، أو لطيفا • وهو
ضربان :

أحدهما : أن تنزل الثانية من الاولى منزلة بدل البعض من متبوعه
كقوله تعالى :

« أمدِّكُمْ بما تَعْلَمُونَ • أمدِّكُمْ بأنعام وبنين • وجنات
وعيون » (١) •

وثانيهما : أن تنزل الثانية من الاولى منزلة بدل الاشتمال من
متبوعه كقوله تعالى :

« اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ • اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ
مَهْتَدُونَ » (٢) •

الثالث : أن تكون الثانية بياناً للاولى ، وذلك بأن تنزل منها
منزلة عطف البيان من متبوعه في افادة الأيضاح ، والمقتضي للتبيين أن
يكون في الاولى نوع خفاء مع اقتضاء ازالته ، كقوله تعالى :
« فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ : يَا آدَمُ هَلْ أَدْرَاكَ عَلَى
شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمِثْلِكَ لَا يَبْلَى » (٣) •

وأما كون الثانية بمنزلة المنقطعة عن الاولى فلكون عطفها عليها
موهما لعطفها على غيرها ، ويسمى الفصل لذلك قطعاً ، مثاله قول الشاعر :

وتظنُّ سلمى أني أبغي بها بدلاً أراها في الضلالِ تهميمٌ

واما كونها بمنزلة المتصلة بها فلكونها جواباً عن سؤال اقتضته

(١) سورة الشعراء ، الآية ١٢٢ - ١٣٤ •

(٢) سورة يس ، الآية ٢٠ - ٢١ •

(٣) سورة طه ، الآية ١٢٠ •

الاولى فتنزل منزلته ، فتفصل الثانية عنها كما يفصل الجواب عن السؤال ، ويسمى الفصل لذلك استئنافا ، وكذا الجملة اثنائية تسمى استئنافا . والاستئناف ثلاثة أضرب ، لان السؤال الذي تضمنته الجملة الاولى أما عن سبب الحكم فيها مطلقا كقوله :

قال لي : كيف أنت ؟ قلت : عليلٌ سَهْرٌ دائِمٌ ، وحرزٌ طويلٌ

واما عن سبب خاص له ، كقوله تعالى « وما أبري نَفْسِي ، إنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ » (١) . واما عن غيرهما كقوله تعالى : « قالوا سلاماً ، قال : سلامٌ » (٢) . ومنه قول الشاعر :

زعم العواذلُ أنني في غَمْرَةٍ صدَّقوا ، ولكن غَمْرَتِي لا تنجلي

ومن الاستئناف ما يأتي باعادة اسم ما استؤنف عنه مثل « أحسنت الى زيد ، زيدٌ حقيقٌ بالأحسان » . ومنه ما بينى على صفته مثل : « أحسنت الى زيد ، صديقك القديم أهلٌ لذلك » . وهذا أبلغ لانطوائه على بيان السبب .

وقد يحذف صدر الاستئناف لقيام قرينة كقوله تعالى : « يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رجالٌ » (٣) . فيمن قرأ « يسبح » مبنياً للمفعول ، وعليه نحو قولهم « نعم الرجل او رجلا زيد » . وقد يحذف الاستئناف كله ويقام ما يدل عليه مقامه كقول الحماسي :

زَعَمْتُمْ أَنَّ أَخوتَكُمْ قريشٌ لهم إلفٌ وليس لكم إلفٌ

هذه هي المواضع التي يكون فيها الفصل ، فان لم يكن بين الجملتين شيء من هذه الاحوال تعين الوصل اما لدفع ايهام خلاف

(١) سورة يوسف ، الآية ٥٣ .

(٢) سورة هود ، الآية ٦٩ .

(٣) سورة النور ، الآيتان ٣٦ و ٣٧ .

المقصود كقول البلغاء « لا ، وأيدك الله » • وإمّا للتوسط بين حالتي
كمال الاقطاع وكمال الاتصال ، وهو ضربان :

احدهما : ان يتفقا خبرا أو انشاء ، لفظا ومعنى ، كقوله تعالى :
« إِنَّ الْإِبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ، وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ » (١) •

والثاني : أن يتفقا كذلك معنى لا لفظا كقوله تعالى : « وَإِذْ
أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ، وبالوالدين
إِحْسَانًا ، وَذِي الْقُرْبَى ، وَالْيَتَامَى ، وَالْمَسَاكِينِ ، وَقُولُوا » (٢) •

وتكلم القزويني بعد هذا على الجامع وأنواعه ، وقسمه الى عقلي،
ووهمي ، وخيالي ، وقد تابع السكاكي في ان لصاحب المعاني فضل
احتياج الى التنبه لانواع الجامع لا سيما الخيالي • ونرى ان هذه
البحوث ليست من البلاغة في شيء، وان صاحب علم المعاني لا يحتاج اليها
بدليل اننا ندرس الفصل والوصل الآن ونفهم اسلوبيهما وطرفهما ولا
نعرف شيئا عن الجامع وأنواعه ، وأن صعوبة هذه البحوث في كتب
المتأخرين ناتجة عن ادخال هذه الموضوعات الغريبة في البلاغة •

وبعد أن انتهى من هذه البحوث الفلسفية ، تكلم على الجملة
الحالية وحكم الواو معها ، وهذا البحث وان لم يكن من الفصل
والوصل الا ان البلاغيين يرون أنه لما كانت الجملة الحالية تارة تجيء
بالواو وأخرى بغيرها ناسب الكلام عليها من هذه الناحية في باب الفصل
والوصل • والى ذلك أشار القزويني قائلا : « ومما يتصل بهذا الباب
القول في الجملة اذا وقعت حالا منتقلة فانها تجيء تارة بالواو وتارة
بغير الواو » (٣) •

والجملة الحالية ان خلت من ضمير صاحبها ، فهي تارة تأتي بالواو،

(١) سورة الانفطار ، الايتان ١٣ - ١٤ •

(٢) سورة البقرة ، الآية ٨٣ •

(٣) الايضاح ص ١٦٥ •

وثانية تأتي بدونها ، وإذا كانت الجملة فعلية والفعل مضارع مثبت امتنع الواو كقوله تعالى : « وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ » (١) ، وأما ما جاء نحو قول بعض العرب : « قمت وأصك عينه أو وجهه » ، وقول عبد الله بن همام السلولي :

فلما خشيت* أظافيرهم نجوت وأرهنهم مالِكا

فقيل : على حذف المبتدأ ، أي : وأنا اصك عينه ، وأنا أرهنهم ، وقيل : الاول شاذ ، والثاني ضرورة .

وان كان الفعل مضارعا منفيا ، فيجوز فيه الامران من غير ترجيح لدلالته على المقارنة لكونه مضارعا ، وعدم دلالاته على الحصول لكونه منفيا . أما مجيئه بالواو فكقول مسكين الدارمي :

أكسبته الورق* البيض* أبأ ولقد كان ولا يدعنى لأب*

وقول مالك بن ربيع ، وكان قد جنى جناية ، فطلبه مصعب بن الزبير :

بغاني مصعب* وبنو أبيه فأين أحيده عنهم؟ لا أحيده
أفادوا من دمي وتوعسدوني وكنت وما ينهنني الوعيد

وأما مجيئه بغير واو ، فكقوله تعالى : « وما لنا لا نُؤمن باللهِ » (٢) ، وقول الاعشى :

أتينا أصبهانَ فهزلتسنا وكنا قبل ذلك في نعيمٍ
وكان سفاهةً مني وجهلا مسيري ، لا أسير الى حميمٍ

وان كان ماضيا لفظًا أو معنى ، فكذلك يجوز الامران من غير

(١) سورة الانعام ، الآية ١١٠ .

(٢) سورة المائدة ، الآية ٨٤ .

ترجيح ، أما مجيئه بالواو فكقوله تعالى : « أئنّى يكون لي غلام » وقد بلغني الكبير «^(١)» ، وكقول امرىء القيس .

أقتلني وقد شَعَفْتُ فؤادها كما شَعَفَ المهنوءة الرجل الظالم

وأما مجيئه بلا واو فكقوله تعالى : « أو جاءكم حصرت صدورهم »^(٢) ، وقول الشاعر :

وإني لتعروني لذكر الكثر هزئة^٣ كما اتقض العصفور بكأله القطر^٤

وان كانت الجملة اسمية ، فالمشهور انه يجوز فيها الامران ، ومجيء الواو أولى ، أما الاول فلعكس ما ذكرناه في المصدرة بالماضي المثبت ، فمجيء الواو كقوله تعالى :

« فلا تَجْعَلُوا لله أنداداً وأنتم تَعْلَمُونَ »^(٣) . وقوله : « ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد »^(٤) . وقول الشاعر امرىء القيس :

أقتلني والمشرقي^٥ مضاجعي ومسنونة زرق^٦ كأنياب أحوال

والخلو منها كما رواه سيويه : « كلمته فوه الى في » و « رجع عوده على بدئه » .

وأما الثاني فلعدم دلالة الاسمية على عدم الثبوت مع ظهور الاستئناف فيها لاستقلالها بالفائدة ، فتحسن زيادة رابط نيتأكد الربط . وقد نقل بعد ذلك كلام عبد القاهر في هذا الموضوع .

ومحسنات الوصل عند القزويني تناسب الجملتين في الاسمية

(١) سورة آل عمران ، الآية ٤٠ .

(٢) سورة النساء ، الآية ٩٠ .

(٣) سورة البقرة ، الآية ٢٢ .

(٤) سورة البقرة ، الآية ١٨٧ .

والفعلية وفي الماضي أو المضارعة ، الا لمانع ، كما اذا أريد باحدهما التجدد
وبالآخرى الثبوت ، كما اذا كان زيد وعمرو قاعدين ، ثم قام زيد دون
عمرو ، وقلت : « قام زيد وعمرو قاعد » .

وقد جرى القزويني في جعل الفصل والوصل خاصا بالجمل كما
فعل عبد القاهر في « دلائل الاعجاز » والعلوى في « الطراز » وابن قيم
الجوزية في « الفوائد » ، وذهب السكاكي الى انهما يأتيان في عطف
الجمل والمفردات ، وفي العطف بالواو وغيره من حروف العطف وان
المعول عليه في ذلك هو الجهة الجامعة فمتى وجدت صح العطف في
الجمل لانواع هذا الجامع والتيقظ لها ، لا سيما النوع الخيالي فان
جمعه على مجرى الالف والعادة بحسب ما تتعقد الاسباب في استيداع
الصور وخزانة الخيال ، وأن الاسباب لكما ترى الى اي حد تتباين في
شأن الجمع بين صور وصور ، فمن أسباب تجمع بين صومعة ، وقنديل ،
وقرآن ، ومن أسباب تجمع بين دسكرة وابريق وأقران^(١) . وتبعه
في ذلك المتأخرون .

والحق ما ذهب اليه عبد القاهر والقزويني ، لان العطف بالواو
لا يفيد معنى خاصا كما تفيد حروف العطف الاخر كالفاء التي تفيد
العطف باتصال ، و « ثم » التي تفيد العطف باتصال . وان دقة الوصل
والفصل تظهر في ذلك ، أما عطف المفرد على المفرد فانه يأتي للتشريك
في الحكم وكذلك الجمل التي لها محل من الاعراب لوقوعها موقع
المفرد ، وبذلك نرى ان عبد القاهر والقزويني ابتعدا قليلا عن اتجاه
النحاة في بحث الفصل والوصل .

وكم كنا نود لو ان القزويني أظهر محسنات الوصل في أثناء بحثه ،
ووضع اليد على مواطن الجمال كما فعل عبد القاهر ، ولكنه لم
يستفد من تحليله وتعليقه كما استفاد في حصر القواعد وضبطها . ولا

(١) مفتاح العلوم ص ١٢٤ .

يمكن أن ننظر الى الفصل والوصل هذه النظرة لانه « ليس للعبارة في العلم استقلال بل هي تخضع خضوعا شديدا للعبارات السابقة واللاحقة اذ ليس لها وجود متميز ، وهي ترتبط بما يتقدمها ويتأخر منها ارتباط الاسباب بالمسببات والعلل الحتمية بالمعلومات ، ولهذا الارتباط المنطقي الشديد أو قل الحاد ، ظاهرة نحوية واضحة هي كثرة لا نلاحظها في العبارات الادبية ، بل قد تفقد فيها حروف العطف . وحتى ان وجدت قلما تتبين وظيفتها في الربط ، ولذلك كان البلاغيون يهتمون بدراسة باب الوصل والفصل ، أو بعبارة أخرى باب الاتصال والافتصال بين الجمل الادبية ويتمحلون فيه تمحلات يبدو فيها التعسف ، لانهم يريدون أن يخضعوا الجمل في الادب لمنطق العقل ، وهي انما يسيطر عليها منطق العاطفة» (١) .

(١) في النقد الادبي ص ٧٤ .

الايجاز والاطناب والمساواة

ولقد كان القزويني اكثر توفيقا في هذا البحث منه في بحوث الجملة، والفصل والوصل ، وعلّة ذلك - كما نرى - أن هذا الموضوع اكثر بعدا من غيره عن بحوث النحو المحضّة ، فاستطاع أن ينجو من قيده ويخلق بعيدا ، يضاف الى ذلك أن هذا الموضوع قد بحث قبله وأشبع تفصيلا . والجديد في بحث القزويني هذا انه جمع شتات الموضوع ووجد فروعه وأبوابه ، فقد كان كل جزء منه يبحث منفردا ، وأوضح مثال على ذلك أنواع الاطناب التي ذكرها ، كالتوشيح ، والتكرار والايغال ، والتذليل ، والتكميل ، والتتسيم . ونظرة في « كتاب الصناعتين » لابي هلال العسكري ترينا كيف كانت هذه الفنون مستقلة لها أبوابها وتقسيماتها ، ولكن القزويني استطاع أن يجمع الاشباه والنظائر ، ويوحّد بينها في باب واحد تقريبا للمصطلحات وابتعادا عن كثرة الابواب . ومن هنا نرى ان القزويني أحسن وأجاد في عمله ، ومنع هذه الفنون من الاضطراب ، فهي عند بعضهم مستقلة ، وهي عند آخرين من ضروب البديع .

ولا نعتبر بحث القزويني لهذا الموضوع كاملا ، خاليا من كل عيب فان النقص ليلفه من كل جانب ، ولكننا نرى أن نستفيد منه في بلاغتنا الجديدة ، ولكي نعطي فكرة واضحة عن معالجه للموضوع نذكر التكرار فنقول : انه الحاح على جهة هامة في العبارة يعنى بها الاديب

أكثر من عنايته بسواها^(١) . وقد عرفه القدماء من الشعراء والكتاب
وعلماء البلاغة والنقد ، وشغل النقاد تكرار القرآن الكريم . وذكروا
أنواع التكرار واقسامه ، ومتى يحسن ، ومتى يقبح . وكان الجاحظ قد عرض
له في كتبه ، يقول : « وجعل ابن السماك يوماً يتكلم وجارية له حيث
تسمع كلامه فلما انصرف إليها قال لها : كيف سمعت كلامي ؟ قالت
« ما أحسنه لولا أنك تكثر ترداده قال : أردده حتى يفهمه من لم
يفهمه . قالت : الى ان يفهمه من لا يفهمه قد مله من يفهمه »^(٢) ،
وتناول بحثه العلماء الذين تكلموا في اعجاز القرآن كالباقلاني
والسكاكي والعلوي^(٣) ، والباحثون في البلاغة والنقد كالعسكري
وابن رشيقي وابن الاثير^(٤) . وقسمه الاخيران ، وذكروا أنواعه وعرضوا
أمثلة كثيرة له .

ولم يعرف القدماء من التكرار الا التكرار اليباني ، أما تكرار
التقسيم والتكرار اللا شعوري فأغلب الظن انهم لم يعرفوهما ، ولتكرار
اليباني أبسط الانواع جميعا وقد أوجدت الحياة الادبية الجديدة
فنونا من التكرار .

والتكرار اما ان يكون بكلمة ، او بعبارة ، او بمقطع . وكان اهتمام
القدماء بالاول اكثر الا ما كان من حديثهم عن تكرار قوله تعالى :
« فبأي آلاء ربكما تكذبان » في سورة الرحمن .

أما التكرار عند القزويني فليس بالبحث الطريف فلا تقسيم
لأنواعه ، ولا عرض لامثلة جيدة . وقد اكتفى بان ذكر ان الاطناب
يكون بالتكرار لنكتة كتأكيد الانذار في قوله تعالى : « كلا سوف
تعلمون » ثم كلا سوف تعلمون^(٥) . وكريادة التنبيه على ما ينهني

(١) ينظر بحث التكرار في كتاب قضايا الشعر المعاصر ص ٢٤٠ وما بعدها .

(٢) البيان والتبيين ج ١ ص ١٠٤ .

(٣) اعجاز القرآن ص ١٦٠ ، مفتاح العلوم ص ٢٨١ ، والطراز ج ٣ ص ٤٤٣ .

(٤) الممددة ج ٢ ص ٧٣ ، والمثل السائر ج ٢ ص ١٥٧ .

(٥) سورة التكاثر ، الايتان ٣ ، ٤ .

التهمة ليكمل تلقي الكلام بالقبول كما في قوله تعالى : « وقال الذي آمن يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد • يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع »^(١) • وقد يكرر اللفظ لطول في الكلام كما في قوله تعالى : « ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة ، ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا ، إن ربك من بعدها لغفور رحيم »^(٢) ، وقد يكرر لتعدد المتعلق كما كرر تعالى في قوله : « فبأي آلاء ربكما تكذبان » •

هذه هي المعاني التي ذكرها القزويني للتكرار ولم يفصل فيها، ولم يتوسع في دراستها ، ولو رجعنا الى كلام العرب لوجدنا للتكرار معاني كثيرة فقد ذكروا انه يكون لتأكيد غرض من الاغراض أو للمبالغة فيه وذلك كالغزل والتنويه والاشارة اليه • ويشمل المدح ، والهجاء على سبيل التشهير ، والازدراء ، والتهكم ، والتنقيص ، والتفريع ، والتوبيخ ، والتعظيم ، للمحكي عنه ، والوعيد ، والتهديد ، والتوجع في الرثاء ، والتأبين ، والاستغاثة ، والتفخيم ، والتعجب ، والاستبعاد ، والتهويل ، والتقرير ، والانكار ، وغير ذلك^(٣) •

ومع ذلك فان هذه البحوث القصيرة خير من بحوث الجملة ، أو الفصل والوصل ، وقد انطبق فيها القزويني ، وابتعد كثيراً عن الاجواء النحوية التي تقتل الاحساس المرهف والشعور الفني •

وإذا ما اردنا ان نحكم على بحث القزويني لاساليب التعبير ، فاننا نرى أنه لم يبتعد كثيراً في بحث الجملة ، أو الفصل والوصل ، عن منهج النحاة وان أشار الى المعاني الاضافية التي تؤديها الجمل أو الى معنى المعنى ، وهو ما لم يشر اليه النحاة ، لان الاعراب والنصحة والخطأ شغلتهن عن هذا كله • ولعل أحسن ما في بحث علم المعاني عند القزويني

(١) سورة غافر ، الايتان ٣٨ ، ٣٩ •

(٢) سورة النحل ، الآية ١١٩ •

(٣) تنظر هذه المعاني في كتاب البلاغة الفنية ص ١٨٢ وما بعدها •

موضوعات المساواة والايجاز والاطناب ، ويمكن أن نستفيد من تقسيماته في بلاغتنا الحديثة ونضيف اليها ما استجد من أساليب التعبير مع تعمق في التحليل ، ونظرة شاملة تأخذ الكل أساسا لدراستها لا الجزء الذي لا يجدي في دراسة الفنون الادبية كثيرا . ويستطيع النحوي المجدد ان يأخذ من اشارات البلاغيين - ومنهم القزويني - منهجا لتجديد النحو واعادة الحياة اليه ، لان النحو ينبغي ألا يهتم بالصحة والخطأ والاعراب وانما يجب ان يتجاوزها الى معاني العبارات وهو الذي اتبعه عبد القاهر اليه ، وأطلق عليه اسم النظم وما أوجنا الى العودة لمنهج عبد القاهر وتلاميذ مدرسته في دراسة النحو ليكون أقرب الى واقع اللغة العربية .

ومهما يكن من شيء فقد استطاع القزويني أن يخلق في بحثه موضوعات علم المعاني اكثر مما فعل السكاكي ، وأن ينسجها تنسيقا فيه دقة ووضوح .

الفصل الثالث

علم البيان

عرف العرب كثيراً من ألوان الخيال ، ولكنهم لم يهتموا به ، ولم يقسموه هذا التقسيم انذي تعارف عليه النقاد حديثاً ، ووقفوا عند ما يمكن ان يكون الخيال تداعي معانٍ ، فحصرُوا دراسته في أبواب المجاز المرسل والتشبيه والاستعارة والكناية ، وهي مبنية على تداعي المعاني « لان الصلة في المجاز المرسل غير المشابهة ، ولكن هناك صلة أخرى تجمع بينهما كالصلة بين السبب والمسبب ، والمكان والحال فيه ، والجار ومجاوره ، والجزء والكل ، بما يندرج تحت قانون تداعي المعاني » (١) وهذه القنون ليست غاية في ذاتها ، وانما هي غاية لمعان تمثلها ، معان تصور انطباعات روح الكون في خيال الاديب ولكل اديب انطباعاته ، ولكل اديب استعاراته ، وتشبيهاته ، ومجازاته ، بحيث نستطيع ان نقول أنها صورته ، صور نفسه ، وما انعكس عليها من روح الوجود .

(١) اسس النقد عند العرب ص ٤٧٢ .

ودراستهم لهذه الموضوعات لا تكاد تخرج عن الجملة أو الجملتين، ولينهم اهتموا بالقطعة الالدية والعمل الفني الكامل • وشغل القدماء بهذه الفنون وعرفوا أساليبها وكان اهتمامهم منصبا على التشبيه في أول الامر ، لانه اقرب الى الواقع الحسي وأقرب الى طبيعة الشعر في العصر الجاهلي ، وصدر الاسلام ، حتى أن الدكتور عبدالعزيز الالهواني اعتبره في كثير من الحالات مظهرا من مظاهر البدائية في التفكير والسذاجة الالوية في التعبير^(١) • واتبها الى روعة انشبيه وجماله قبل ان يلتفتوا الى روعة الاستعارة وسحرها ، ونعل ما كتبه المبرد عن التشبيه خير دليل على اهتمامهم بهذا النوع من اساليب التعبير ، وقد قسمه الى أربعة اضرب : تشبيه مفرط ، وتشبيه مصيب ، وتشبيه مقارب ، وتشبيه بعيد^(٢) • واتبه الى تشبيه صورة بصورة في قول مجنون بني عامر :

كَأَنَّ الْقَلْبَ لَيْلَةٌ قَبْلَ يَغْذَى بَلِيْلَى الْعَامِرِيَّةِ أَوْ يَرَّاحُ
قَطَاةٌ عَزَّهَا شَرَكٌ فَبَاتَتْ تُعَالِجُهُ وَقَدْ عَلَّقَ الْجِنَاحُ
لَهَا فَرَّخَانَ قَدْ غَلَقَا بُوَكْرٍ فَعَشِمَا تَصَفَّقُوهُ الرِّيَّاحُ
فَلَا بِاللَّيْلِ نَالَتْ مَا تُرْجِي وَلَا بِالصَّبْحِ كَانَ لَهَا بَرَّاحُ

لقد أحسَّ المبرد بما في هذا التشبيه من روعة وجمال ، وقد قال الشعراء قبله وبعده فلم يبلغوا هذا المقدار من الاصابة في التشبيه^(٣) •

وعندما تقدمت الدراسات البيانية افرد النقاد والبلاغيون لصور التعبير بحوثا مستفيضة، فتكلموا على التشبيه، والمجاز وانواعه، والكناية وما فيها من صور خيالية ، لانها هي التي « تخلق الإتران اللطيف في ثنایا العمل الشعري وتضفي عليه وشاحا من الجمال والرونق اذا

(١) ابن سناء الملك ومشكلة العقم والابتكار في الشعر ص ١٢٨ •

(٢) الكامل ج ٣ ص ٨٥٣ وما بعدها •

(٣) الكامل ج ٢ ص ٧٤٧ •

استخدمت استخداما طبيعيا لا أثر للتكلف فيه ، واذا ابتعدت عن الاغراق في التخيل والتيه فيما وراء الطبيعة» (١) .

وكرس عبد القاهر جهوده في كتاب « اسرار البلاغة » لدراسة التشبيه والاستعارة ، و اظهار ما لها من قيمة في التعبير ، و درسهافي «دلائل الاعجاز» على أنها من النظم ، يقول : «وذلك لان هذه المعاني التي هي الاستعارة ، والكناية ، والتمثيل ، وسائر ضروب المجاز من بعدها من مقتضيات النظم وعنها يحدث وبها يكون ، لانه لا يتصور ان يدخل شيء منها في الكلم وهي افراد لم يتوخ فيما بينها حكم من أحكام النحو ، فلا يتصور ان يكون ههنا فعل او اسم قد دخلته الاستعارة من دون أن يكون قد ألفت مع غيره أفلا ترى انه ان قدر في « اشتعل » من قوله تعالى : « واشتعل الرأس شيئا » (٢) ان لا يكون الرأس فاعلا له ، ويكون « شيئا » منصوبا عنه على التمييز لم يتصور أن يكون مستعارا ، وهكذا السبيل في نظائر الاستعارة فاعرف ذلك» (٣) .

واعتبر التشبيه ، والتمثيل ، والاستعارة عمدة الكلام ، وكان جل محاسنه متفرعة عنها وراجعة اليها ، وكأنها اقطاب تدور عليها المعاني في متصرفاتها واقطار تحيط بها من جهاتها (٤) وعندما بحثها بدأ بذكر الحقيقة والمجاز ، وبحث التشبيه والتمثيل وبنى بحث الاستعارة عليها ، وقد وفى هذه الفنون حقها ، وفصل القول فيها تفصيلا .

ادخال الدلالات :

وعندما جاء السكاكي وقسم البلاغة الى المعاني ، والبيان ، والمحسنات اللفظية والمعنوية ، ادخل الدلالات في تقسيم موضوعات علم البيان ، وأفحمها فيه اقحاما ، ورأى ان صاحب علم البيان له فضل

(١) الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث ص ٤٦ .

(٢) سورة مريم ، الآية ٤ .

(٣) دلائل الاعجاز ص ٢٠٠ - ٢٠١ .

(٤) اسرار البلاغة ص ٢٢ .

احتياج الى التعرض لانواع دلالات الكلم • ولجل هذا بحثها ، وذكر أنواعها ، يقول : « لا شبهة في ان اللفظة متى كانت موضوعة لمفهوم أمكن ان تدل عليه من غير زيادة ولا نقصان بحكم الوضع وتسمى هذه دلالة المطابقة ودلالة وضعية • ومتى كان المفهوم ذلك ولنسمه أصليا تعلق بمفهوم آخر امكن ان تدل عليه بواسطة ذلك التعلق بحكم العقل سواء كان ذلك المفهوم الآخر داخلا في مفهومها الاصيلي كالسقف مثلا في مفهوم البيت ، ويسمى هذا دلالة التضمن ودلالة عقلية أيضا • او خارجا عنه كالحائط عن مفهوم السقف وتسمى هذه دلالة الالتزام ودلالة عقلية أيضا » (١) •

فالدلالات التي تحدث عنها السكاكي وذكرها في بحث البيان هي: دلالة اللفظ على تمام ما وضع له ، ودلالة التضمن وهي دلالة اللفظ على جزء ما وضع له او جزء مسماه مع دخوله فيه • ودلالة الالتزام وهي دلالة اللفظ على معنى خارج عن مسماه لازم له • وتسمى دلالة المطابقة دلالة وضعية ، لان السبب في ذلك حصولها عند سماع اللفظ او تذكره هو معرفة الوضع دون حاجة الى شيء آخر • اما دلالتا التضمن والالتزام فتسميان دلالتين عقليتين ، لان حصولهما بانتقال العقل من الكل الى الجزء في الاولى ، ومن الملزوم الى اللازم في الثانية • بمعنى ان الواضع وضع اللفظ ليفيد جميع المعنى غير ان العقل اقتضى ان الشيء لا يوجد بدون جزئه او لازمه (٢) •

وقد بنى السكاكي تقسيم البيان على هذه الدلالات فاخرج التشبيه ، لان دلالاته وضعية ، والدلالة الوضعية لا يسكن بها ايراد المعنى الواحد بطرق مختلفة ، ويؤيد ذلك بقوله : « فانك اذا اردت تشبيه الخد بالورد في الحسرة مثلا وقلت : خد يشبه الورد امتنع أن يكون كلام مؤد لهذا المعنى بالدلالات الوضعية اكمل منه في الوضوح او اقص منه ،

(١) مفتاح العلوم ص ١٥٦ •

(٢) بنظر الطراز ج ١ ص ٣٤ - ٣٩ ، وفر التشبيه ج ١ ص ١٨ - ١٩ •

فانك اذا اقامت مقام كل كلمة منها ما يرادفها فالسامع ان كان عالما بكونها موضوعا لتلك المفهومات كان فهمه منه كفهمة من تلك من غير تفاوت في الوضوح ، وإلا لم يفهم شيئا اصلا . وانما يمكن ذلك في الدلالات العقلية مثل أن يكون لشيء تعلق بآخر ولثان ولثالث ، فاذا اريد التوصل بواحد منها الى المتعلق به فمتى تفاوتت تلك الثلاثة في وضوح التعلق وخفائه صح في طريق افادته الوضوح والخفاء» (١) .

وهو في هذا قد اخرج التشبيه من البيان ، أما الموضوعات الاخرى فيقول في حصرها : « واذا عرفت ان اراد المعنى الواحد على صور مختلفة لا يتأتى الا في الدلالات العقلية ، وهي الانتقال من معنى الى معنى بسبب علاقة بينهما كلزوم احدهما الآخر بوجه من الوجوه ، ظهر لك ان علم البيان مرجعه المعاني . ثم اذا عرفت ان اللزوم اذا تصور بين الشئيين فاما أن يكون من الجانبين كالذي بين الامام والخلف بحكم العقل ، وبين طول القامة وبين طول النجاد بحكم الاعتقاد ، او من جانب واحد كالذي بين العلم والحياة بحكم العقل أو بين الاسد والجرأة بحكم الاعتقاد ، ظهر لك ان مرجع علم البيان اعتبار هاتين الجهتين : جهة الانتقال من ملزوم الى لازم ، وجهة الانتقال من لازم الى ملزوم . ولا يربك بظاهرة الانتقال من أحد لازمي الشئ الى الآخر ما اذا انتقل من بياض الثلج الى البرودة فمرجه ما ذكر ينتقل من البياض الى الثلج ، ثم من الثلج الى البرودة فتأمل .

واذا ظهر لك ان مرجع علم البيان هاتان الجهتان علمت انصباب علم البيان الى التعرض للمجاز والكناية ، فان المجاز ينتقل فيه من الملزوم الى اللازم كما تقول « رعينا الغيث » والمراد لازمه وهو النبت . وقد سبق ان اللزوم لا يجب ان يكون عقليا ، بل ان كان اعتقاديًا اما لعرف او لغير عرف صح البناء عليه . واما نحو قولك « امطرت السماء نباتا » أي غيثا من المجازات المنتقل فيها من اللازم الى الملزوم

(١) مفتاح العلوم ص ١٥٧ .

فمنخرط. في سلك « رعيئا الغيث » ، وان الكناية ينتقل فيها من اللازم الى الملزوم كما تقول « فلان طويل النجاد » فلا يصار الى جعل النجاد طويلا او قصيرا ، إلاّ لكون القامة طويلة او قصيرة ، فلا علينا ان نتخذهما اصلين « (١) » .

وبهذه الطريقة البعيدة عن دراسة الادب ومقاييسه ، حصر السكاكي علم البيان في بحثين هما : المجاز ، والكناية ، لان دالتهما عقلية ، والدلالة العقلية هي التي يمكن بها ايراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه . اما التشبيه فقد أخرجه في هذا الحصر من البيان لان دلالته وضعية ، والدلالة الوضعية لا يمكن بها ايراد المعنى بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه ، لان السامع اذا كان عالما بوضع الالفاظ لم يكن بعضها اوضح دلالة من بعض ، وإلا لم يكن كل منها دالا عليها .

ولم يستطع السكاكي ان يُخرج التشبيه من علم البيان مع انه صرح بأن دلالته وضعية ، وأنى له ان يخرجوه وهو يعلم أنه باب كثير الاستعمال في اللغة ، وان له مزايا تورث الكلام حسنا وجمالا . ولكن كيف يضمه الى مباحث علم البيان ؟

لقد احتال واصطنع طريقة فيها تكلف وتعسف ، يقول : « ثم ان المجاز أعني الاستعارة من حيث أنها من فروع التشبيه لا تتحقق بمجرد حصول الانتقال من الملزوم الى اللازم ، بل لا بد فيها من مقدمة تشبيهية شيء بذلك الملزوم في لازم له تستدعي تقديم التعرض للتشبيه ، فلا بد من ان تأخذه اصلا ثالثا وتقدمه ، فهو الذي اذا مهرت فيه ملكت زمام التدرب في فنون السحر البياني » (٢) .

وليس التشبيه فنا طارئا — كما يزعم — وانما هو فن كثير الدوران في كلام العرب ، يقول المبرد : « والتشبيه جار في كثير من الكلام أعني

(١) مفتاح العلوم ص ١٥٧ .

(٢) مفتاح العلوم ص ١٥٧ .

كلام العرب حتى لو قال قائل انه اكثر كلامهم لم يبعد»^(١) . ولا ندري لماذا أسرف السكاكي في اصطناع هذا الاسلوب وهو يعترف بأن التشبيه اذا مهر الانسان فيه ملك زمام التدرب في فنون السحر البياني ، ولكن البلاغين بحثوه في علم البيان واعتبروه من أهم بحوثه ، بل اعتبره السكاكي اصلا ثالثا من اصول البيان وقدمه على جميع الاصول . وقد حمل المولى عصام حملة شديدة على السكاكي لعدوه التشبيه اصلا ثالثا من اصول البيان^(٢) .

ولما جاء القزويني وجد الطريق معبدة ، ووجد فنون البيان قد انحصرت واستقرت ، وسار على هديه فعرفه بقوله : « هو علم يعرف به ايراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه »^(٣) . وكان قوله « بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه » مدعاة للكلام في الدلالات التي ورّط السكاكي البلاغين فيها . وقد أطنب في ذكر شروط دلالة الالتزام وذكر ان ايراد المعنى الواحد بطرق مختلفة لا يتأتى بالدلالة الوضعية ، لان السامع از كان عالما بوضع الالفاظ لم يكن بعضها اوضح دلالة من بعض وإلا لم يكن كل واحد منها دالا ، وانما يتأتى بالدلالات العقلية لجواز ان يكون للشيء لوازم بعضها اوضح لزوما من بعض . وقد ظن بعض شراح التلخيص ان دلالة التضمن ليست كدلالة الالتزام ، ولذلك يقول السبكي : « وليس كذلك بل الذي يظهر انها تتأتى بالدلالة العقلية تضمنا كانت أم التزاما »^(٤) . وقسمه كما قسمه السكاكي ، لان اللفظ المراد به لازم ما وضع له ان قامت قرينة على عدم ارادة ما وضع له فهو مجاز ، والا فهو كناية ، ثم المجاز منه الاستعارة ، وهي ما ثبتت على التشبيه فيتعين التعرض له ، فانحصر المقصود في التشبيه والمجاز والكناية . وقدّم التشبيه على المجاز لابتناء الاستعارة عليه ، وقدم

(١) الكامل ج ٣ ص ٨١٨ .

(٢) ينظر الفوائد الفيانية ص ١٩٥ ، وفي التشبيه ج ١ ص ٢٣ .

(٣) الايضاح ص ٢١٢ .

(٤) عروس الافراح ج ٢ ص ٢٧٩ .

المجاز على الكناية لنزول معناه من معناها منزلة الجزء من الكل • ولعل هذا هو السر في ادخال الكناية في البيان ، لانها تحتاج الى قرينة تدل على المعنى المراد منها ، كما ان المجاز في حاجة الى هذه القرينة ، غير ان قرينة المجاز تمنع من ارادة المعنى الاصلي وقرينة الكناية لا تمنع من ارادة المعنى الحقيقي •

وعلى هذا الاساس بحث القزويني اساليب الخيال عند النقاد العرب وجمع التشبيه والمجاز والكناية •

ولنبحث هذه الفنون عند القزويني مكثفين بأهم ما ذكر ، لان غرضنا ليس سرد أنواعها وتقسيماتها الكثيرة ، وانما هدفنا ذكر أهم ما فيها يتسنى لنا فهم ما ذهب اليه القزويني والمتأخرون ، وما ينبغي ان نأخذه منها! وما يجب رده ورفضه • ولنبدأ بالتشبيه :

التشبيه

١

رأينا كيف اخرج البلاغيون فن التشبيه من علم البيان، واعتبروه باباً ممهداً لدراسة الاستعارة المبنية عليه . وهذا رأي لا قهرهم عليه ، لان التشبيه باب واسع وهو اكثر الفنون استعمالاً ودوراناً في الاساليب العربية ، وكان من أوائل الموضوعات التي بحثت واهتم بها النقاد والبلاغيون ، فدار في كتبهم المختلفة ، وألفت كتب خاصة به كـ « التشبيهات » لابن ابي عون ، و « الجمالان في تشبيهات القرآن »^(١) لابن ناقي البغدادي و « فن التشبيه » للاستاذ علي الجندي وهو من المعاصرين .

ولا يختلف القدماء في بيان أهمية التشبيه وقيمه في التعبير ، ولكنهم لا يتفقون على جعله من فنون علم البيان ، ولا يتفقون على اعتباره من المجاز . ومدرسة السكاكي هي التي لا تعتبره من علم البيان وان بحثته فيه ، لان دلالاته وضعية واعتبره كثير من علماء البلاغة ركناً أساسياً في بحوث البلاغة . وذكر بعض من دار في فلك السكاكي ان الاختلاف في وضوح الدلالة وخفائها موجود في التشبيه،

(١) كلفت وزارة الثقافة والارشاد العراقية المؤلف والدكتورة خديجة الحدبسي بحقيقته لإخراجه في سلسلة « احياء التراث العربي الاسلامي » التي تصدرها .

ولذلك فهو فن مستقل عن علم البيان قصدا وان توقف عليه بعض أبوابه ، لان توقف بعض الابواب على بعض لا يوجب كون المتوقف عليه مقدمة للفن (١) .

لقد حاولوا ان يعللوا سبب بحثه منفصلا لا مقدمة للاستعارة ، غير انهم لم يدخلوه فيه . وكان من الاحسن ان يعتبروه فنا مستقلا من فنون البلاغة ، وبذلك يريحون أنفسهم عناء التعليل ، ويريحون الآخرين عناء الحيرة للتوفيق بين الآراء المضطربة المتناقضة .

اما من حيث اعتباره مجازا او غير مجاز فقد اختلفوا فيه ، فذهب بعضهم الى انه ليس مجازا ، ولعل عبدالقاهر من اوائل الذين صرحوا بذلك ، يقول : « ان كل متعاط لتشبيه صريح لا يكون نقل اللفظ من شأنه ولا من مقتضى عرضه ، فاذا قلت : « زيد كالاسد » ، و « هذا الخبز كالشمس في الشهرة » ، و « له رأي كالسيف في المضاء » ، لم يكن نقل للفظ عن موضوعه . ولو كان الامر على خلاف ذلك ، لوجب ألا يكون في الدنيا تشبيه ألا وهو مجاز وهو محال ، لان التشبيه معنى من المعاني وله حروف واسماء تدل عليه فاذا صرح بذكر ما هو موضوع للدلالة عليه كان الكلام حقيقة كالحلم في سائر المعاني فاعرفه » (٢) . وتبعه فخرالدين الرازي (٣) ، والمطرزي انذي يقول : « التشبيه وان لم يكن من باب المجاز في شيء الا اني اوردته لامرين :

أحدهما : ان يكون توطئة لمن يسلك سبيل الاستعارة، والتمثيل، لانه كالاصل لهما وهما كالفرع له .

والثاني : أنه ركن من اركان البلاغة لاخرجه الخفي الى الجلي ،

(١) ينظر مواهب الفتاح وحاشية الدسوقي من شروح التلخيص ج ٣ ص ٢٩٠ .

(٢) اسرار البلاغة ص ٢٧٦ .

(٣) نهاية الایجاز في دراية الاعجاز ص ٧٧ .

وإدناؤه البعيد من القريب» (١) .

وسار على خطوه انسكاكي ، والقزويني ، وشراح تلخيصه من المتأخرين ، والى ذلك أشار ابن قيم الجوزية بقوله : «وذهب المحققون من متأخري علماء هذه الصناعة وحذاقها الى ان التشبيه ليس من المجاز ، لانه معنى من المعاني وله حروف والفاظ تدل عليه» (٢) .

وذهبت جماعة اخرى الى ان التشبيه مجاز ، والى ذلك اشار ابن الجوزية بقوله : « والذي عليه جمهور أهل الصناعة ان التشبيه من انواع المجاز ، وتصانيفهم كلها تصرح بذلك وتشير اليه » (٣) .

ولعل ابن رشيق من اشهر من صرح بذلك فقال : « وأما كون التشبيه داخلا تحت المجاز فلان المتشابهين في اكثر الاشياء انما يتشابهان بالمقارنة على المسامحة والاصطلاح لا على الحقيقة » (٤) .

وقرر ابن الاثير ان الذي انكشف له بالنظر الصحيح ، ان المجاز ينقسم قسمين : توسع في الكلام وتشبيه ، والتشبيه ضربان : تشبيه تام ، وتشبيه محذوف وهو الاستعارة (٥) . والى ذلك ذهب والد بهاء الدين السبكي في تفسيره (٦) .

وذهبت جماعة ثالثة الى ان التشبيه يكون مجازا ، واليه ذهب عزالدين بن عبدالسلام والسبكي (٧) .

ولسنا هنا بصدد البحث في التشبيه عند النقاد العرب ونكتفي بذكر وجهة نظر القزويني فيه مع مقارنات وتوجيهات .

(١) الايضاح في شرح مقامات الحريري ص ٥ .

(٢) الفوائد ص ٥٤ .

(٣) الفوائد ص ٥٤ .

(٤) العمدة ج ١ ص ٢٦٨ .

(٥) المثل السائر ج ١ ص ٣٥٦ .

(٦) عروض الافراج ج ٢ ص ٢٩٠ .

(٧) عروض الافراج ج ٢ ص ٢٩٠ . والافتان في علوم القرآن ج ٢ ص ٤١ .

تعريف القزويني للتشبيه :

يقول القزويني : « التشبيه الدلالة على مشاركة امر لآخر في معنى » (١) . وهو ما لم يكن على وجه الاستعارة التحقيقية ولا الاستعارة بالكناية ولا التجريد . وليس في تعريفه ما يوضح معنى التشبيه ، وان كان أحسن من تعريف السكاكي ، لان التشبيه ليس الالمح صلة بين امرين من حيث وقعهما النفسي . ومن هنا فليس هناك شرط ان يشبه الادنى بالاعلى والاقبل بالأكثر .

تقسيماته :

ولا يختلف تقسيمه عن تقسيم السكاكي للتشبيه وان كان أكثر لباقة منه في العرض والتحليل ، فقد تكلم على اركانه الاربعة وهي : طرفاه ووجهه واداته . وطرفاه اما حسيان او عقليان او مختلفان ، والحسي : المدرك هو او مادته باحدى الحواس الخمس الظاهرة فدخل فيه الخيالي كما في قوله :

وكانَ محمراً الشقيق إذا تصوَّبَ أو تَصَعَّدَ
أعلامُ ياقوتٍ تُشِرْنَ على بساطٍ من زَبَرَجَدٍ

وقوله :

كثنا باسطاً اليدِ نحو نيلوفر ندي
كدبايس عَسَجَدٍ قُضِبُها من زَبَرَجَدٍ

والعقلي : ما عدا ذلك ، وأدخل فيه الوهمي وهو ما ليس مدركاً بشيء من الحواس الخمس الظاهرة ، مع انه لو ادرك لم يدرك الا بها ، كقول امرئ القيس :

(١) الايضاح ص ٢١٣ .

أَيَقْتَلْنِي وَالْمَشْرِفِيُّ مُضَاجِعِي وَمَسْنُونَةٌ زُرُقٌ كَأَنْيَابِ أَعْوَالِ

وقوله تعالى : « طَلَعَهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ » (١) .

ووجه الشبه : هو المعنى الذي يشترك فيه الطرفان تحقيقا او تخييلا ، والمراد بالتخييل ان لا يمكن وجوده في المشبه به إلا على تأويل ، كما في قول القاضي التنوخي :

وكانَّ النجومَ بين دجاها سننٌ لاح بينهن ابتداءً

ومن التشبيه التخيلي قول ابي طالب الرقبي :

ولقد ذكرتكَ والظلامُ كأنه يومُ التوى وفؤادُ مَنْ نَمَّ يَعشَقِ

وهو اما غير خارج عن حقيقة الطرفين أو خارج ، والاول : اما تمام حقيقتهما كما في تشبيه انسان بانسان في كونه انسانا ، أو جزؤهما كما في تشبيه بعض الحيوانات العجم بالانسان في كونه حيوانا. والثاني: صفة أما حقيقية أو اضافية . والحقيقية : اما حسية وهي الكيفيات الجسمية مما يدرك بالبصر من الالوان والاشكال والمقادير والحركات وما يتصل بها من الحسن والقبح وغير ذلك ، او بالسمع من الاصوات القوية والضعيفة والتي بين بين ، أو بالذوق من أنواع الطعوم ، أو بالشم من انواع الروائح ، أو باللمس من الحرارة ، والبرودة ، والرطوبة ، واليبوسة ، والخشونة ، والملاسة ، واللين ، والصلابة ، والخفة ، والثقيل ، وما ينضاف اليها . وأما عقلية كالكيفيات النفسية من الذكاء ، والتيقظ ، والمعرفة والعلم ، والقدرة ، والكرم ، والسخاء ، والغضب ، والحلم ، وما جرى مجراها من الغرائز والاخلاق . والاضافية كازالة الحجاب في تشبيه الحجة بالشمس .

(١) سورة الصافات ، الآية ٦٥ .

ويمضي الفزويني في هذه التقسيمات الكثيرة التي يتيه المتأدب والدارس فيها ويضل فكره • ويقسم وجه الشبكه تقسيماً آخر فهو اما واحد أو غير واحد ، والواحد اما حسي أو عقلي ، وغير الواحد اما بمنزلة الواحد نكوته مركبا من أمرين أو امور ، أو متعدد غير مركب • والمركب اما حسي أو عقلي • والمتعدد اما حسي أو عقلي أو مختلف • والحسي لا يكون طرفاه الا حسيين لامتناع أن يدرك بانحس من غير الحسي شيء • والعقلي طرفاه إما عقليان أو حسيان أو مختلفان لجواز أن يدرك بالعقل من الحسي شيء •

وتكلم على أداة التشبيه ، وقسم التشبيه باعتبارها الى مؤكد ومرسل ، وقسمه باعتبار طرفيه أربعة أقسام : تشبيه المفرد بالمفرد وهو ما طرفاه مفردان ، وتشبيه المركب بالمركب وهو ما طرفاه كترتان مجتمعتان ، وتشبيه المفرد بالمركب ، وتشبيه المركب بالمفرد •

وقسمه باعتبار وجهه الى تمثيل وغير تمثيل ، والتمثيل عنده ما وجهه وصف منتزع من متعدد أمرين أو امور كقول ابن المعتز :

اصبر على مَضَضِ الحَسْوِ دِ فَانَّ صَبْرَكَ قَاتِلَهُ
فالنارُ تَأْكُلُ بَعْضَهَا إِنَّ لَمْ تَجِدْ مَا تَأْكُلُهُ

وبذلك أدخل التمثيل في التشبيه ، واعتبره نوعا منه ، وهو بذلك يتابع عبد القاهر والسكاكي ، ولعل قدامة بن جعفر اول من عد التمثيل مخالفا للتشبيه وهو عنده من نعوت ائتلاف اللفظ والمعنى يقول عنه : « التمثيل وهو ان يريد الشاعر اشارة الى معنى فيضع كلاما يدل على معنى آخر ، وذلك المعنى الآخر والكلام منبتان عما اراد ان يشير اليه ، مثال ذلك قول الرماح بن ميادة :

ألم تك في يميني يدك جعلتني فلا تجعلني بعدها في شمالكا
ولو أنني أذبت ما كنت هالكا على خصلة من صالحات خصالكا

فعدل عن ان يقول في البيت الاول : انه كان عنده مقدا فلا يؤخره ، أو مقربا فلا يبعده ، أو مجتبى فلا يجتنبه ، الى ان قال انه كان في يميني يديه ، فلا يجعله في اليسرى • ذهابا نحو الامر الذي قصد الاشارة اليه بلفظ ومعنى يجريان مجرى المثل وقصد الاغراب في الدلالة والابداع في المقالة (١) •

ولكن عبد القاهر الجرجاني قسم التشبيه الى قسمين :

احدهما : أن يكون تشبيه الشيء بالشيء من جهة أمرٍ يبيّن لا يحتاج فيه الى تأول ، كتشبيه الشيء بالشيء من جهة الصورة والشكل ، وكالتشبيه من جهة اللون ، ومن جهة الصورة واللون ، أو من جهة الهيئة • والشبه في هذا لا يجري فيه التأويل ولا يفترق اليه في تحصيل •

وثانيهما : أن يكون التشبيه محصلا بضرب من التأويل مثل «هذه حجة كالشمس في الظهور» فذلك تشبيه لا يتم الا بتأول (٢) •

وهذا هو التمثيل عنده ، فكل تشبيه يكون وجه الشبه فيه حسيا مفردا أو مركبا ، أو كان من الغرائز مفردا ، فهو تشبيه غير تمثيلي ، أما اذا كان وجه الشبه فيه عقليا مفردا أو مركبا فهو تشبيه تمثيلي •

ويرى عبد القاهر ان التمثيل محتاج الى التأول بينما لا يحتاج التشبيه اليه ، ولعل سر ذلك أن وجه الشبه في التمثيل ظاهره خلاف المقصود منه ، وأن الاشتراك بين الطرفين في حكم لازم لوجه الشبه ومقتضى له ، فالجامع في الحقيقة لازم لما ذكر في الكلام أو فهم منه •

وفرّقَ عبد القاهر بين التشبيه والتمثيل ، والتشبيه عنده عام

(١) نقد الشعر ص ٩٠ •

(٢) اسرار البلاغة ص ١٠٠ وما بعدها •

والتمثيل أخص منه ، فكل تمثيل تشبيه ، وليس كل تشبيه تمثيلا ،
فأنت تقول في قول الشاعر :

وقد لاح في الصبح الثريا لمن رأى كعشقدٍ ملاحيةٍ حين نوراً^(١)

انه تشبيه حسن ولا تقول هو تمثيل • وكذلك تقول : ابن المعتز
حسن التشبيهات بديعها لانك تعنى تشبيهه المبصرات بعضها ببعض
وكل ما لا يوجد التشبيه فيه من طرق التأول كقوله :

كأنَّ العيونَ النرجسَ الغضَّ حولها مدهنٌ دُرِّ حشوهنَّ عقيقٌ

وقوله :

وأرى الثريا في السماء كأنها قدامٌ تبدت من ثياب حدادٍ

وما كان من هذا الجنس ، ولا تريد نحو قوله :

اصبر على مَضَضِ الحَسَوِ دِ فَا نَ صَبْرَكَ قَاتِلَهُ
فالنار تَأْكُلُ بَعْضَهَا إِنْ نَمَّ تَجَدَّ مَا تَأْكُلُهُ

ويرى ان المثل الحقيقي والتشبيه الذي هو الاولى بان يسمى
تمثيلا لبعده عن التشبيه الظاهر الصريح ، ما تجده لا يحصل الا من
الكلام : جملتين أو اكثر ، حتى ان التشبيه كلما كان اوغل في كونه
عقليا محضا كانت الحاجة الى الجملة اكثر ، وذلك كقوله تعالى :
« إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ
نَبَاتٌ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ ، حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ
زُخْرُفَهَا ، وَازَيَّجْتَهُ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا ، أَتَاهَا
أَمْرٌ نَالِيًّا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَبْ بِالْأَمْسِ » (٢) .

(١) الملاح : نبت من نبات الحمض ، الواحدة : ملاحه .

(٢) سورة يونس ، الآية ٢٤ .

فقد كثرت الجمل فيه حتى أنك ترى في هذه الآية عشر جمل اذا فصلت ، والشبه منتزع من مجموعها من غير أن يمكن فصل بعضها من بعض ، ولا حذف شيء منها ، فلو حذف منها جملة واحدة من أي موضع كان اخل ذلك بالمغزى من التشبيه^(١) .

ويرى السكاكي ان كل تشبيه يكون وجه الشبه فيه حسيا مفردا او مركبا أو عقليا أو حقيقيا مركبا ، فهو تشبيه تمثيلي ، والى ذلك أشار بقوله : « واعلم ان التشبيه متى كان وجهه غير حقيقي وكان منتزعا من عدة أمور خص باسم التمثيل »^(٢) .

والتمثيل عند الجمهور اعم مما كان الوجه فيه حقيقيا بان يكون حسيا ، كما في تشبيه النقع مع الاسياف بالليل مع الكواكب ، فانهما مركبان . ومما كان غير حقيقي كما في تشبيه حال المنافقين بحال الذي استوقد نارا فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم في قوله تعالى : « مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا »^(٣) . يقول الدسوقي : « التمثيل : هو هيئة مأخوذة من متعدد ، سواء كان الطرفان مفردين ، او مركبين ، او كان احدهما مفردا والآخر مركبا ، وسواء كان ذلك الوصف المنتزع حسيا بان كان منتزعا من حسي أو عقليا ، أو اعتباريا وهميا ، وهذا مذهب الجمهور »^(٤) . ولذلك فكل تمثيل عند السكاكي تمثيل عند الجمهور ، وليس كل تمثيل عندهم تمثيلا عنده ، فبين المذهبين عموم وخصوص مطلق باعتبار الصدق .

ولا يتعدد القزويني عنهم كثيرا ، فكل تشبيه يكون وجهه مفردا أو عقليا حقيقيا مفردا أو غير عقلي حقيقي مفردا ، فهو تشبيه غير تمثيلي ، أما اذا كان وجهه حسيا مركبا أو غير حقيقي مركبا ، فهو

(١) ينظر اسرار البلاغة ص ١٢٢ .

(٢) مفتاح العلوم ص ١٦٤ .

(٣) سورة البقرة ، الآية ١٧ . ينظر مواهب الفتح ج ٣ ص ٤٣٣ .

(٤) حاشية الدسوقي ج ٣ ص ٤٣٢ .

تشبيه تمثيلي ، والى ذلك اشار بقوله : « التمثيل ما وجهه وصف منتزع من متعدد أمرين او امور »^(١) . ولم يَرَ في تقييد السكاكي له وجهًا .

ولقد وافق القزويني السكاكي في امور كثيرة ، وخالفه ، وخالف عبد القاهر فيما اذا كان الوجه مركبا حسيا ، ورأى انه جدير باسم التمثيل لمشاركته العقلي في مزاياه ، وقد رجَّح الاستاذ العدل رأيه فقال : « واذا صح ما تقدم فاني ارجح رأي الخطيب ، فان في المركبات الحسية صورا عجيبة تحتاج الى حذق وذكاء »^(٢) .

واعترض العصام على القزويني في تقسيم التشبيه الى تمثيل وغيره ، وذكر ان تقسيمه للتمثيل وغيره من تقسيم الشيء نفسه وغيره ، لان التمثيل يرادف التشبيه كما ذهب اليه الزمخشري^(٣) .

ويعد كثير من البلاغيين التمثيل مجازا اذا جاء على الاستعارة ، والى ذلك يذهب عبد القاهر وابن قيم الجوزية^(٤) مع ان عبد القاهر فرق بين الاستعارة - وهي مجاز - والتمثيل ، فالاستعارة تكون في لفظ ينقل عن اصله اللغوي ويجرى على ما لم يوضع له من اجل شبه بين ما نقله اليه وما نقل عنه ، فاذا قلت : « رأيت أسدا » تريد به الرجل الشجاع كانت الاستعارة في كلمة الاسد ، والتمثيل هو التشبيه المنتزع من مجموع أمور لا تحصل الا بجملة من الكلام أو أكثر^(٥) . ويرى ابن يعقوب المغربي ان فيه استعارة مفرد وكلمة واحدة^(٦) .

(١) الابضاح ص ٢٤٩ .

(٢) دراسات تفصيلية ص ٢٧ .

(٣) الاطول ج ٢ ص ٩٩ ، وتنظر حاشية الدسوقي ج ٣ ص ٤٢٢ .

(٤) دلائل الإعجاز ص ٥٣ ، ٥٤ ، الفوائد ص ٦٦ .

(٥) ينظر فصل الفرق بين الاستعارة والتمثيل في ارار البلاغة ص ٢٧٣ وما بعدها .

(٦) مواهب الفتاح ج ٣ ص ٤٢٣ .

وهذا يجرنا الى بحث التشبيه المؤكد هل هو استعارة او تشبيه ؟ لقد ذكره قدامة والعسكري والغانمي وابن سنان في الاستعارة ، ولم يذكروا ان الاصل فيه انه تشبيه بليغ ، لذلك نجد ابن قيم الجوزية يستغرب من هذا قائلاً : « فما أعلم هل ذلك لخفائه عليهم أو أنهم عرفوه ولم يذكروه ، وهو الاصل المقيس عليه في التشبيه الذي اجمع عليه المحققون من علماء البيان » (١) .

وبحث ابن الاثير هذه المسألة بالتفصيل وذكر ان التشبيه نوعان : تشبيه مظهر الاداة ، وتشبيه مضمرة الاداة ، وهذا التشبيه المضمرة الاداة خلطه قوم بالاستعارة ، ولم يفرقوا بينهما وهذا خطأ محض ، ووضع قاعدة لمعرفة التشبيه من الاستعارة ، يقول : « اذا ذكر المنقول والمنقول اليه على انه تشبيه مضمرة الاداة قيل فيه : « زيد أسد » ، أي كالاسد ، فاداة التشبيه فيه مضمرة ، واذا اظهرت حسن حضورها ولم تقدر في الكلام الذي اظهرت فيه ولا تزيل عنه فصاحة ولا بلاغة ، وهذا بخلاف ما اذا ذكر المنقول اليه دون المنقول فانه لا يحسن فيه ظهور اداة التشبيه ومتى اظهرت أزالته من ذلك الكلام ما كان متصفاً به من جنس فصاحة وبلاغة ، وهذا هو الاستعارة . ولنضرب لذلك مثلاً نوضحه فنقول : قد ورد هذا البيت لبعض الشعراء وهو :

فرعاءٌ إنْ نهضت لحاجتها
عجل القضيب وأبطأ الدعص

وهذا قد ذكر فيه المنقول اليه دون المنقول ، لان تقديره : « عجل قد كالتضيب ، وأبطأ ردف كالدعص » . وبين ايراده على هذا التقدير وبين ايراده على هيئته في البيت بون بعيد في الحسن والملاحظة . والفرق اذن أن التشبيه المضمرة الاداة يحسن اظهار أداة التشبيه فيه والاستعارة لا يحسن ذلك فيها ، وعلى هذا فان الاستعارة لا تكون

(١) الفوائد ص ٥١ .

الا بحيث يطوى ذكر المستعار له الذي هو المنقول اليه ، ويكتفى
بذكر المستعار الذي هو المنقول» (١) .

ويرى القزويني انه تشبيه لا استعارة ، وان هذا النوع يسمى
تشبيها اذا حذفت فيه الاداة وكان اسم المشبه به خبرا للمشبه او في
حكم الخبر ، مثل « زيد أسد » وكفوله تعالى : « صمُّ بكم
عُسي » (٢) أي : هم . ونحوه قول من يخاطب الحجاج :

أسدٌ عليّ وفي الحروب نعامة^٣ فتخاء تنفيرا من صفير الصافير

ومثل : « رأيت زيدا بحرا » (٣) .

ولم يوضح هذه النقطة وقد شرحها المتأخرون ، وفصلوا القول
فيها ، ووضعوا لها قواعد واصولا (٤) .

وقد لا يراد التشبيه او التمثيل ، وانما يراد مجرد الجمع بين شيئين
في أمر ، لذلك يترك التشبيه الى الحكم بالتشابه ليكون كل واحد من
الطرفين مشبها به احترازا من ترجيح احد المتساويين على المعنى الآخر ،
كقول ابي اسحاق الصابي :

تشابه دمعى اذ جرى ومدامتى فمن مثل ما فى الكأس عيني تسكب
فو الله ما أدرى أبالخمر أسبلت جفونى ام من عبرتى كنت أشرب

وكقول صاحب بن عباد :

رقّ الزجاج وراقت الخمر^٥ وتشابها فتشاكل الأمر
فكأننا خمر ولا قدح^٦ وكأننا قدح ولا خمر

(١) المثل السائر ج ١ ص ٢٥٧ وتنظر ص ٢٨٨ وما بعدها .

(٢) سورة البقرة ، الآية ١٨ ، ١٧١ .

(٣) الابيضاح ص ٢١٣ .

(٤) شروح التلخيص ج ٢ ص ٢٩٧ وما بعدها .

ولم يدعُ القزويني الى هذا ، إلا ما كان في أذهان البلاغيين من كون التشبيه الحاق الناقص في وجه الشبه حقيقة أو ادعاء بالزائد ، ولذلك يشبه الاقل بالاكثر ، والادنى بالاعلى ، وهو ما ذهب اليه السكاكي حينما قال : « المشبه به حقه أن يكون أعرف بجهة التشبيه من المشبه ، واخص فيها ، وأقوى حالا معها »^(١) ، والى ذلك ذهب ابن الاثير فقال :

« انه قد تقرر في أصل الفائدة المستنتجة من التشبيه أنه يشبه الشيء بما يطلق عليه لفظة « أفعل » بما هو أبين وأوضح ، أو بما هو أحسن منه ، أو أقبح ، وكذلك يشبه الاقل بالاكثر ، والادنى بالاعلى »^(٢) . ومن هنا نراهم يلجأون الى تسمية ما اتفق فيه المشبه والمشبه به بالمنزلة : « التشابه » ويرون انه اذا كان المشبه به أتم وأقوى من المشبه في وجه الشبه سمي ذلك « تشبيها مقلوبا » كما سماه القزويني ، أو « الطرد والعكس » كما سماه ابن الاثير ، أو « غلبة الفروع على الاصول » كما يسميه المتأخرون^(٣) ، لانه لا يعقل ان يشبه شيء عظيم بأصغر منه .

وهذه نظرة لا نراها صحيحة لان الشاعر عندما يشبه لا يلتفت الى هذه الامور العقلية ، وانما يذهب وراءها تمليه عاطفته واحاسيسه، وقد اتبه عبد القاهر والقزويني الى ما في هذا النوع من أثر نفسي ، وعلاوة تعليلا ان لم يكن رائعا فان فيه لمحة مما زيده^(٤) .

(١) مفتاح العلوم ص ١٦٤ .

(٢) المثل السائر ج ١ ص ٤٢٢ .

(٣) بنظر الايضاح ص ٢٤٠ ، والمثل السائر ج ١ ص ٤٢١ .

(٤) بنظر اسرار البلاغة ص ٢٥٧ ، الايضاح ص ٢٤٥ .

اهمية التشبيه والتمثيل :

وتحدث النقاد والبلاغيون عن أهمية التشبيه والتمثيل في التعبير فقال ابن رشيق : « التشبيه والاستعارة جميعا يخرجان الاغراض الى الاوضح ، ويقربان البعيد كما شرط الرماني في كتابه »^(١) . ويرى ابن الاثير ان التشبيه يجمع صفات ثلاث هي : المبالغة ، والبيان ، والايجاز . وفائدته : « انك اذا مثلت الشيء بالشيء ، فانما تقصد به اثبات الخيال في النفس بصورة المشبه به او بمعناه ، وذلك أوكد في طرفي الترغيب فيه أو التنفير عنه ، الا ترى انك اذا شبهت صورة بصورة هي أحسن منها كان ذلك مثبتا في النفس خيالا حسنا يدعو الى الترغيب فيها ، وكذلك اذا شبهتها بصورة شيء أقبح منها كان ذلك مثبتا في النفس خيالا قبيحا ، يدعو الى التنفير عنها . وهذا لا نزاع فيه »^(٢) . وضرب لذلك مثلا فذكر ان ابن الرومي مدح العسل وذمه في بيت من الشعر هو :

تقول : « هذا مجاجُ النحل » تمدحه وان تعبقت : « ذا قيء الزنابير »

فقد مدح وذم الشيء الواحد بتصريف التشبيه المجازي المضمر

(١) الممددة ج ١ ص ٢٨٧ .

(٢) الملل السائر ج ١ ص ٣٩٤ .

الاداة الذى خيل به الى السامع خيالا يحسن الشيء عنده تارة ويقبح اخرى ، ولولا التوصل بطريق التشبيه على هذا الوجه لما امكنه ذلك .

واجاد عبدالقاهر في ذكر فائدة التشبيه والتمثيل وجمالهما وما لهما من تأثير في الكلام ، يقول : « واعلم ان مما اتفق العقلاء عليه ان التمثيل اذا جاء في أعقاب المعاني ، أو برزت هي باختصار في معرضه ، ونقلت من صورها الاصلية الى صورته كساها أبهة واكسبها منقبة ، ورفع من أقدارها » (١) . وذكر لذلك عللا واسبابا كل منها يقتضي ان يفخم المعنى التمثيلي ، وينبل ، ويشرف ، ويكمل . واول ذلك وأظهره ان أنس النفوس موقوف على ان تخرجها من خفي الى جلي نحو ان تنقلها عن العقل الى الاحساس ، واما يعلم بالفكر الى ما يتعلم بالطبع .

ذلك ان المعاني التي يجيء التمثيل في عقبيها على ضربين :

غريب بديع : يمكن ان يخالف فيه ويدعى امتناعه واستحالة وجوده
كقول الشاعر :

فان تَفَقَّ الانام وانت منهم فانَّ المسكَ بعضُ دمِ الغزالِ

وذلك انه اراد ان فاق الأنام وفاتهم الى حد بطل معه أن يكون بينه وبينهم مشابهة ومقاربة ، بل صار كأنه اصل بنفسه وجنس برأسه ، وهذا امر غريب وهو ان بتناهى بعض أجزاء الجنس في الفضائل الخاصة به الى ان يصير كأنه ليس من ذلك الجنس .

والضرب الثاني : ألا يكون المعنى غريبا نادرا ، بل ان ينفي عن فعل من الافعال التي يفعلها الانسان الفائدة ، ويدعي انه لا يحصل منه على طائل ثم يمثله في ذلك بالتقبض على الماء أو الراقم فيه فليس بمنكر مستبعد خطأ الانسان في فعله ، أو ظنه ، وأمله وطلبه كما في قول الشاعر :

(١) اسرار البلاغة ص ١٢٨ .

فأصبحت من ليلي الغداة كفايضٍ على الماءِ خاتتهُ فروجُ الاصابعِ

والشاعر هنا أراد أن يبين مقدار خيبة أمله ، فعندما جاء بالتمثيل أراك رؤية لا تشك معها ولا ترتاب انه بلغ في خيبة ظنه ، وبوار سعيه ، الى اقصى المبالغ ، واتهى فيه الى ابعد الغايات حتى لم يحظ لا بأقل ولا باكثر ، وهذا يعود الى التمثيل لانا نعلم ان المشاهدة تؤثر في النفوس حتى مع العلم بصدق الخبر (١) .

والتمثيل « يعمل عمل السحر في تأليف المتباين حتى يختصر بعد ما بين المشرق والمغرب ، وهو يريك للمعاني المثلة بالاوهام شها في الاشخاص الماثلة ، وينطق لك الاخرس ويعطيك البيان من الاعجم ، ويريك الحياة في الجماد ، ويريك التمام عين الاضداد ، ويجعل الشيء قريبا بعيدا معا » (٢) .

والتمثيل « يأتيك من الشيء الواحد باشياء عديدة ويشتق من الاصل الواحد اغصانا في كل غصن ثمر على حدة . . . ويعطيك من القمر الشهرة في الرجل ، والنباهة ، والعزة ، والرفعة ، ويعطيك الكمال عن النقصان ، والنقصان عن الكمال ، ويعطيك شبه الانسان في نشأته وتماهه الى ان يبلغ حد التمام ، ثم تراجعه اذا اقتضت حدة الشباب . وكذلك يتفرع من حالتي تمامه ونقصانه فروع لطيفة ، وهكذا ينظر الى مقابله الشمس واستمداده من نورها ، والى كون ذلك سبب زيادته ، ونقصه ، وحصوله في المحاق ، وغير ذلك مما يشبه به من حيث المنظر . هذا الى ان المعنى إذا اتاك ممثلا فهو في الاكثر ينجلي لك بعد أن يحوجك الى طلبه بالفكرة ومن المركز في الطبع أن الشيء اذا نيل بعد الطلب له والاشتياق اليه ، كان نيله أحلى ، وكان موقعه من النفس أجل والطف . وذلك يكون بتقرير الشبه بين الاشياء المختلفة (٣) .

(١) اسرار البلاغة ص ١٣٨ - ١٤٠ .

(٢) اسرار البلاغة ص ١٤٨ .

(٣) اسرار البلاغة ص ١٥٤ وما بعدها .

وسار القزويني على خطاه فذكر ان مما اتفق العقلاء على شرف قدره ، وفخامة أمره في فن البلاغة ، وان تعقيب المعاني به لا سيما قسم التمثيل منه يضاعف قواها في تحريك النفوس الى المقصود بها مدحا كان او ذما او افتخارا او غير ذلك ، وضرب لذلك امثلة منها قول البحثري :

دانٍ على أيدي العفاة وشاسعٌ عن كلِّ نِدٍ في التَّدَى وضْرِبِ
كالبدْرِ أفرط في العلوِ وضوءه للعصبةِ السارينِ جِدْشَ قَريبِ

وقول أبي تمام :

وإذا أرادَ اللهُ نَشْرَ فضيلةٍ طُويت أتاح لها لسانَ حَسودِ
لولا اشتعالُ النارِ فيما جاورت ما كان يُعرَفُ طيبَ عَرَفِ العودِ

وذكر أن لهذا الحسن ولهذه الروعة أسبابا ، منها ما يحصل للنفس من الأنس باخراجها من حفي الى جلي كالانتقال مما يحصل لها بالفكرة الى ما يعلم بالقطرة ، او باخراجها مما لم تألف الى ما الفته ، ومما تعلمه الى ما هي به اعلم .

ومن فضائل التشبيه انه يأتيك من الشيء الواحد باشيء عدة نحو ان يعطيك من الزند بايرائه شبه الجواد والذكي والنجح في الامور ، وباصلاده شبه البخيل والبليد والخيبة في السعي ، ومن القمر الكمال عن النقصان كما قال ابو تمام :

لَهْفِي على تلك الشواهدِ فيهما لو أمهلت حتى تصيرَ شمائِلا
لغدا سكوتهما حجي وصباهما حلما ، وتلك الاريحية نائِلا
ولأعقب النجمُ المرذُ بديمةً ولعاد ذاك الطلُّ جوداً وابِلا
إنَّ الهلالَ اذا رأيتَ ثمَّوهُ أيقنت أن سيصيرُ بدرًا كاملا

والنقصان من الكمال كقول ابي العلاء المعري :

واذ كنت تبغي العيشَ فابنغِ توسطًا
فعد التاهي يقصر المتناولُ
توقى البدور النقص وهي أهلة
وبدركها النقصانُ وهي كواملُ

وكذا ينظر الى بعده وارتفاعه ، وقرب ضوئه وشعاعه ، فى نحو
ما مضى فى بيتي البحرى ، والى ظهوره فى كل مكان كما فى
قول المتنبى :

كالبدرِ من حيثُ التفتَ وجَدتهُ يَهْدِي الى عينيك نوراً ثاقباً

وتكلم على الغرض من التشبيه وقسمه الى قسمين : قسم يرجع
الى المشبه ، وآخر يعود الى المشبه به •

واغراضه التى ترجع الى المشبه منها : بيان ان وجود المشبه ممكن ،
وذلك فى كل أمر غريب يمكن أن يخالف فيه ، ويُدعى امتناعه كما
فى بيت المتنبى :

فان تَفُوقَ الانام وأنتَ منهم فإنَّ المسكَ بعضُ دمِ الغزالِ

أو بيان حاله كما فى تشبيه ثوب بثوب آخر فى السواد ، اذا علم
لون المشبه به دون المشبه ، أو بيان مقدار حاله فى القوة والضعف
والزيادة والنقصان كقول الشاعر :

فأصبحت من ليلي الغداة كقابضٍ على الماءِ خاتته فروجُ الأصابعِ

أو تقرير حاله فى نفس السامع كما فى تشبيه من لا يحصل من
سعيه على طائل بسن يرقم على الماء، وعليه قوله تعالى : « وَإِذْ نَتَقْنَا
الجَبَلَ فَوَّقَهُمْ كَأَنَّهُ ظِلَّةٌ » (١) •

(١) سورة الاعراف ، الآية ١٧١ •

ومنها تزيينه للترغيب فيه كما في تشبيه وجه أسود بمقلة الغنبي أو تشويبه للتفكير عنه كبيت ابن الرومي في العسل • أو استطرافه كما في تشبيه فحم فيه جمر موقد ببحر من المسك موجه الذهب، لابرازه في صورة الممتنع عادة • وللإستطراف وجه آخر وهو أن يكون المشبّه به نادر الحضور اما مطلقا ، واما عند حضور المشبه كما في قول ابن الرومي :

ولازوردية تزهو بزرقتهما بين الرياض على حُمرِ اليواقيتِ
كأنها فوق قاماتٍ ضعفن بها أوائلُ النارِ في أطرافِ كبريتِ

ويقول القزويني: «فإن صورة اتصال النارِ بأطراف الكبريت لا يندر حضورها في الذهن ندره صورة بحر من المسك موجه الذهب ، وإنما النادر حضورها عند حضور صورة البنفسج ، فإذا حضر مع صحة الشبه استطرف ، لمشاهدة عناق بين صورتين لا تتراءى تاراهما» (١) •

وليس في هذا التفسير والتعليل ما في قول عبد القاهر من روعة حيث يقول : « ولذالك تجد تشبيه البنفسج في قوله أغرب ، واعجب ، واحق بالولوع ، واجدر من تشبيه النرجس بمداهن در حشوهن عقيق ، لانه اذ ذاك مشبه لنبات غض يرف ، واوراقه رطبة ترى الماء منها يشف باهب نار مستولٍ عليه اليبس وباد فيه الكلف ، ومبنى الطباع وموضوع الجيلة على أن الشيء اذا ظهر من مكان لم يعهد ظهوره منه وخرج من موضوع ليس بمعدن له كانت صبابة النفوس به اكثر ، وكان بالشغف منها اجدر فسواء في اثاره التعجب واخراجك الى روعة المستغرب وجودك الشيء في مكان ليس من امكته ، ووجود شيء لم يوجد ولم يعرف من اصله في ذاته وصفته ، ولو انه شبه البنفسج ببعض النبات ، او صادف له شبا في شيء من المتلونات لم تجد له هذه الغرابة ، ولم يخل من الحسن هذا الحفظ» (٢) •

(١) الايضاح ص ٢٢٨ - ٢٢٩ •

(٢) اسرار البلاغة ص ١٤٧ - ١٤٨ •

وليس فيما ذهب اليه القزويني او عبد القاهر جمال أَخْذ وتأثير رائع ، وان النفس لا ترتاح للعلاقة بين زهرة البنفسج - التي توحى الى النفس بالهدوء والاستسلام وفقدان المقاومة وأوائل النار التي تحمل الى النفس القوة والمهاجمة (١) .

وأغراضه التي ترجع الى المشبه به تكون في الغالب ايها ان المشبه به أتم من المشبه في وجه الشبه ، وذلك في التشبيه المقلوب ، وهو ان يكون الامر بالعكس كقول محمد بن وهيب :

وبدا الصباح كأن غرته ووجه الخليفة حين يمتدح

والحسن من القزويني ان اتبه هنا الى ما في هذا التعبير من أثر في النفس ، وان المعاني اذا وردت هذا المورد كان لها نوع من السرور عجيب . وقد يكون الغرض بيان الاهتمام بالمشبه به وغير ذلك . واذا اردنا ان نوجز فائدة التشبيه كما رأها القزويني وغيره من البلاغين فاننا نقول انه يأتي للايجاز والاختصار ، او للتوضيح والتيسير ، او للمبالغة ، أو التوكيد .

هذا بحث القزويني للتشبيه ، وهو بحث تابع فيه القدماء ، وقرر قواعدهم واصولهم التي رأوها ، وابتعد - كما ابتعدوا - عن تقرير أثر التشبيه النفسي ، وما يعثه من احياءات وصور جميلة، وتعلقوا بالقضايا العقلية ، والتقسيمات الشكلية التي لا تُجدي نفعا ، ولا توحى بجمال أَخْذ وسحر عجيب ، ولذلك اعتدوا في عقد التشبيه العقل يعتبرونه رابطا بين امرين او مفرقا بينهما ، ولذلك اعتبر القزويني من التشبيه الرائع قول ابن الرومي :

بذل الوعد للاخلاء سحطا وأبى بعد ذاك بذل العطاء
فعدا كالخلاف يثورق للعين ويأبى الاشار كل الاباء

(١) ينظر اسس النقد عند العرب ص ٤٨٨ ، ومن بلاغة القرآن ص ١٨٨ .

وليس في هذين البيتين ما يدعو الى هذا الاعجاب ء

ولقد جرتهم هذه النظرة الى ان يضطربوا في اغراض التشبيه فذكر القزويني ان من اغراضه بيان ان وجود المشبه ممكن ، وذلك في كل امر غريب يمكن أن يخالف فيه ويدعى امتناعه ومثل له بيت المتبني :

فان تَفُوقَ الانام وأنت منهم فإنَّ المسكَ بعضُ دمِ الغزالِ

وليس في هذا البيت تشبيه فني مقبول ، فليس الاثر الذي يحدثه المسك في النفس سوى الارتياح لرائحته الذكية ، ولا يمر بالخاطر انه بعض دم الغزال بل ان هذا الخاطر اذا مر بالنفس قلل من قيمة المسك ومن التلذذ به (١) .

وليس من اغراضه ما ذكره القزويني من الاستطراف ، « فليس تشبيه فحم فيه جمر موقد يبحر من المسك موجه الذهب تشبيها فنيا على هذا المقياس الذي وضعناه ، فان بحر المسك ذا الموج الذهبي ليس بهذا المصباح الوهاج الذي ينير الصورة ويهبها نورا ووضوحا » (٢) .

وقد كان على البلاغيين ان يستلهموا القرآن الكريم في بحث التشبيه كما استلهمه ابن ناقيا البغدادي ، ويسيروا على منهج ما جاء في الآيات من تشبيهات رائعة ، ويعقدوا المقارنة بينه وبين كلام البلغاء ، ويشيروا الى ما بينها من تفاوت ، لان التشبيه في القرآن ليس عنصرا اضافيا في الجملة ولكنه جزء أساسي لا يتم المعنى بدونه .

(١) ينظر من بلاغة القرآن ص ١٩٠ .

(٢) ينظر من بلاغة القرآن ص ١٩١ .

المجاز

١

وإذا ما اصر المتأخرون على جعل التشبيه مقدمة لبحث الاستعارة، وأنه ليس من علم البيان، لأن دلالاته وضعية، فإنهم لم يستطيعوا أن يخرجوا المجاز منه. فهو عندهم أصل هذا الفن بل هو علم البيان، وبه يمكن إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة فهو كالكناية وإن كان أكثر منها استعمالاً، وأوسع تفنناً في أداء المعاني والصور الأدبية.

والمجاز فن قديم قدم التعبير الأدبي نفسه، عرفه المتقدمون واتخذوه بعضهم عنواناً لكتبهم كمجاز القرآن لأبي عبيدة الذي كان من أقدم الكتب التي وصلت إلينا وفيها إشارات كثيرة إلى مسائل البلاغة وموضوعاتها، وإن لم يقصد المعنى الاصطلاحي له، وإنما عنى بمجاز الآية ما يعبر به عنها^(١).

واهتم النقاد والبلاغيون بعرض صور المجاز وأنواعه وإن لم يهتموا به كما اهتموا بالتشبيه والاستعارة، ولم يحدد معنى هذا المصطلح إلا بعد القرون الثلاثة الأولى وإلى هذا يشير ابن تيمية (٧٢٨ هـ) ويذكر أن تقسيم اللفظ إلى حقيقة ومجاز اصطلاح حدث بعد القرون الثلاثة

(١) ينظر البلاغة عند السكاكي ص ٨١ .

الاولى ، والغالب انه كان من جهة المعتزلة ونحوهم من المتكلمين^(١) .

تقسيم الاوائل :

وعندما وضع عبد القاهر كتابيه المشهورين اخذ هذا الفن البياني منزلته واستقرت قواعده واصوله ، يقول في تعريفه : « وأما المجاز فكل كلمة اريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها للملاحظة بين الثاني والاول فهو مجاز . وان شئت قلت : كل كلمة جزت بها ما وقعت له في وضع الواضع الى ما لم توضع له ، من غير ان تستأنف فيها وضعا للملاحظة بين ما تجوز بها اليه وبين اصلها الذي وضعت له في وضع واضعها فهي مجاز »^(٢) . وقسمَ المجاز الى عقلي ولغوي ، وفرَّقَ بينهما ، وانتهى الى انه « ينبغي ان تعلم ان من حقا ان اردت ان تقضي في الجملة بسجاز أو حقيقة أن تنظر اليها من جهتين :

احدهما : ان تنظر الى ما وقع بها من الاثبات أهو في حقه وموضعه أم قد زال عن الموضوع الذي ينبغي ان يكون فيه .

والثانية : ان تنظر الى المعنى المثبت اعني ما وقع عليه الاثبات كالحياة في قولك : « أحيأ الله زيدا » ، أثابت هو على الحقيقة أم قد عدل به عنه »^(٣) .

فمثال ما دخله المجاز من جهة الاثبات دون المثبت قول الشاعر :

أشاب الصغيرَ وأفنَى الكبيرَ
كُرِّثَ الغدَاةِ ومَرَّثَ العَشِيَّ

المجاز واقع في اثبات الشيب فعلا لكر الليالي ، وهو الذي ازيل عن موضعه الذي ينبغي أن يكون فيه ، لان من حق هذا الاثبات ألا يكون إلا مع اسماء الله تعالى ، واما المثبت فلم يقع فيه مجاز لانه

(١) كتاب الايمان ص ٣٥ .

(٢) اسرار البلاغة ص ٣٩٨ .

(٣) اسرار البلاغة ص ٤١١ .

الشيب وهو موجود •

ومثال ما دخل في المجاز في مثبته دون اثباته قوله عز وجل :
«أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَاحْيِينَاهُ، وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ»^(١) .
فالمعنى على ان جعل العلم والهدى والحكمة حياة للقلوب . ومن الواضح
في قوله تعالى : « فاحيينا به الأرضَ بعد مَوْتِهَا »^(٢) جعل خضرة
الارض ، ونضرتها بما يظهره الله تعالى فيها من النبات والازهار ، حياة
لها ، فكان ذلك مجازا في المثبت من حيث جعل ما ليس بحياة حياة على
التشبيه ، فاما نفس الاثبات فحقيقة ، لان الذي فعل ذلك هو الله •

وقد يتصور ان يدخل المجاز للجملة من الطريقتين جنبيعا ، وذلك ان
يشبه معنى ، بسعنى ، وصفة بصفة ، فيستعار لهذه اسم تلك ثم تثبت
فعلا لما لم يصح الفعل منه فيكون في كل واحد من الاثبات والمثبت
مجاز كما فى قول المتنبي :

وتحيري له المال الصوارم والقنا ويقتل ما يُحْيِي التَّبَسُّمُ والجدا

جعل الزيادة والوفور حياة في المال ، وتفريقه في العطاء قتلا له ، ثم
اثبت الحياة فعلا للتبسم مع العلم بان الفعل لا يصح منهما • فاذا كان
المجاز في الاثبات لزم الا يحصل الا بالجملة التى هى تأليف بين حديث
ومحدث عنه ، وكان المرجع فيه الى العقل المحض وأنه القاضى فيه دون
اللغة ، لان اللغة لم تأت لتحكم بحكم أو لتثبت وبقبي وما يعترض على
هذه الدعوى من تصديق او تكذيب هو اعتراض على امتكلم وليس
للغة في ذلك مدخل في قليل ولا كثير • أما اذا كان المجاز في المثبت كقوله
تعالى : « فاحيينا به الارض » فانما كان مأخذه اللغة ، لان طريقه أن
اجرى اسم الحياة على ما ليس بحياة تشبيها وتشبيلا ، واللغة هى التى
اقتضت ان تكون الحياة اسما للصفة التى هى ضد الموت • فاذا تجاوز

(١) سورة الانعام ، الآية ١٢٢ .

(٢) سورة قاطر ، الآية ٩ .

في الاسم فاجري على غيرها فالحديث مع اللغة ، والاول هو المجاز العقلي ، والثاني المجاز اللغوي .

ولا يكون الكلام مجازا من غير علاقة وهي الامر انذى يكون به الارتباط بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازى وبه الانتقال من الاول للثاني كالمشابهة في مجاز الاستعارة ، وكالسببية والمسببية في المجاز المرسل .

وسار البلاغيون على خطا عبد القاهر في بحث المجاز ، وقسّمه السكاكى الى مجاز لغوى ، ومجاز عقلي . وقسّم بحث المجاز الى خمسة فصول هي : المجاز اللغوى الراجع الى معنى الكلمة غير المفيد ، والمجاز اللغوى الراجع الى المعنى المفيد الخالى عن المبالغة في التشبيه ، والاستعارة ، والمجاز اللغوى الراجع الى حكم الكلمة في الكلام ، والمجاز العقلي . وهذا تقسيم السلف كما صرح السكاكى به ، ولم يقبله ورأى ان المجاز ينبغى ان يكون كله لغويا ، وقسّمه الى مفيد ، وغير مفيد . وقسّم المفيد الى استعارة وغير استعارة ، والاستعارة الى انواعها المختلفة .

تقسيم القزويني :

وعندما جاء القزويني لم يسر على هذا المنهج في تقسيم المجاز ، وانما قسمه الى مجاز مفرد ، ومركب . وقال عن المفرد : « اما المفرد فهو الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له في اصطلاح به التخاطب على وجه يصح مع قرينة عدم ارادته » (١) . وهو لغوى ، وشرعى ، وعرفى . وقال عن المركب : « واما المجاز المركب فهو اللفظ المركب المستعمل فيما شبه بعناه الاصني تشبيه التمثيل للمبالغة في التشبيه » (٢) كقول الوليد بن يزيد : « فاني اراك تقدم رجلا وتؤخر اخرى » ، وقوله تعالى :

(١) الايضاح ص ٢٦٨ .

(٢) الايضاح ص ٢٠٤ .

« والأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » (١) . وهذا ما يسمى التمثيل على سبيل الاستعارة وقد يسمى التمثيل ، يقول «ومتى فشا استعماله كذلك سمي مثلاً ، ولذلك لا تغير الامثال » (٢) والمجاز المفرد اما مرسل أو استعارة . ولم يدخل المجاز العقلي في هذا البحث ، لانه تكلم عليه في علم المعاني .

وقد جَرَّ البحث في المجاز الى الكلام على الحقيقة ، فعرفوها ، وذكروا أنواعها ، والى ذلك ذهب القزويني وتابعهم في تعريفها وتقسيماتها ، يقول عنها : « الحقيقة الكلمة المستعملة فيما وضعت له في اصطلاح به التخاطب » (٣) . وقَسَّمَهَا الى لغوية ، وشرعية ، وعرفية خاصة ، او عامة ، وهذا ما تعارف عليه البلاغيون عند بحث الحقيقة والمجاز .

ولما كنا قد صورنا منهج القزويني في بحث المجاز فاننا نبدأ بجمع مباحثه ، وضَمَّ بعضها الى الآخر .

(١) سورة الزمر ، الآية ٦٧ .

(٢) الايضاح ص ٣٠٧ .

(٣) الايضاح ص ٢٦٥ .

المجاز العقلي :

كان عبد القاهر من أوائل الذين بحثوا هذا النوع من المجاز ، وقد أولاه عناية كبيرة ، وفصّل فيه تفصيلا عظيما ، يقول : « وحّدشہ آن » كل كلمة اخرجت الحكم المفاد بها عن موضوعه في العقل لضرب من التأول فهو مجاز » (١) . وسماه مجازا عقليا ، ومجازا حكيميا ، ومجازا في الاثبات ، واسنادا مجازيا (٢) . وسماه السكاكي مجازا عقليا وتابعه القزويني في ذلك . وعلل المتأخرون هذه التسميات المختلفة فقال المغربي : « ومن الاسناد مطلقا مجاز عقلي ، لان حصوله بالتصرف العقلي ، ويسمى مجازا حكيميا لوقوعه في الحكم بالمسند اليه ، ويسمى أيضا مجازاً في الاثبات لحصوله في اثبات احد الطرفين للآخر ، والسلب حقيقته ومجازه تابعة لما يحق في الاثبات كما تقدم ، ويسمى ايضا اسنادا مجازيا نسبة الى المجاز بمعنى المصدر لان الاسناد جاوز به المتكلم حقيقته واصله الى غير ذلك » (٣) . ويرى السبكي أن يسمى هذا « مجاز الملابس » ، ولا يقال مجاز اسناد لقلّة استعمال الاسناد بين الفعل وفاعله أو ما قام مقامه . ولعل الذي دعاه الى ذلك أنه وجد أن علاقة المجاز العقلي هي الملابس كما يفهم من كلام القزويني ، وأنه لا بد منها في كل مجاز عقلي ، والى ذلك يشير السيوطي بقوله : « المجاز

(١) اسرار البلاغة ص ٤٣٠ .

(٢) دلائل الاعجاز ص ٢٢٧ ، ٢٣١ ، واسرار البلاغة ص ٤١١ .

(٣) مواهب المتاح ج ١ ص ٢٣١ .

في التركيب ، ويسمى مجاز الاسناد ، والمجاز العقلي ، وعلاقته الملازمة ،
وذلك أن يسند الفعل أو شبهه الى غير ما هو له اصالة لملازمته له
كقوله تعالى : « وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً » (١) .

وإذا ما ذهبنا نستقصي بحث المجاز العقلي عند القدماء فانتنا
لا نجدهم يشيرون الى اسمه هذا او الى انواعه ، وان رأينا بعض امثله
في كتاب سيبويه كقول الخنساء :

ترعى اذا نسيت حتى اذا ادكرت فانما هي إقبالٌ وادبارٌ

وكقولهم « نهارك صائم » و « ليلك قائم » (٢) . وهو عنده
محمول على السعة والحذف . وفي كتاب الكامل للمبرد كقول جرير :

لقد لمتنا يا أم غيلان في السرى ونمت وما ليل المطي بنائم
وقول رؤبة بن العجاج :

حارث قد فرجت عني غمّي فسام ليلي وتجلّى همّي

وقول العرب « نهارك صائم » و « ليلك قائم » (٣) . وهو في ذلك
يذهب مذهب سيبويه فيه ، الا انه يرى أن في هذه الاساليب مبالغة
الى جانب السعة والحذف .

ونجد امثلة للمجاز العقلي في « الموازنة » للأمدى ، و « الصاحبى »
لاحمد بن فارس ، ولكن هؤلاء لم يتكلموا عليه كما تكلم عبد القاهر ،
ومن هنا ذهب الدكتور طه حسين الى أن المجاز العقلي من ابتكار
عبد القاهر الجرجاني (٤) . وهذا رأي كان العلوي قد نبه اليه من
قبل وقال : « اعلم أن ما ذكرناه في المجاز الاسنادى العقلي هو ما قرره

(١) سورة الانفال ، الآية ٢ . ينظر الاثنان في علوم القرآن ج ٢ ص ٢٦ .

(٢) كتاب سيبويه ج ١ ص ١٦٩ ، وتنظر ص ٨٠ ، ٨٩ ، ١٠٨ ، ١١٠ .

(٣) الكامل ج ١ ص ١١٨ ، ١٨٨ ، ج ٢ ص ١١٢٠ .

(٤) البيان العربي من الجاحظ الى عبد القاهر - مقدمة نقد النشر ص ٢٩ .

الشيخ التحرير عبد القاهر الجرجاني ، واستخرجه بفكرته الصافية ،
وتابعه على ذلك الجهابذة من اهل هذه الصناعة كالزمخشري وابن
الخطيب الرازي وغيرهما» (١) .

والمجاز الواقع في الاثبات عند عبد القاهر متلقى من العقل ، وفي
المثبت متلقى من اللغة ، فالاول عقلي والثاني لغوي ، وذلك ان الاثبات
اذا كان من شرطه ان يقيد مرتين ولزم من ذلك الا يجعل الا بالجملة
التي هي تأليف بين حديث ومحدث عنه ، أو مسند ومسند اليه علمت
أن مأخذه العقل وانه القاضي فيه دون اللغة ، لان اللغة لم تأت لتحكم
بحكم أو لتثبت وتنفي (٢) . وتحدث عنه في كتابيه « دلائل الاعجاز »
و « أسرار البلاغة » وفصل القول فيه . و خلاصة ما قاله أن في الكلام
مجازا يكون التجوز في حكم يجرى على الكلمة وتكون الكلمة متروكة
على ظاهرها ويكون معناها مقصودا في نفسه ومرادا من غير تورية ولا
تعريض ، والمثال فيه قولهم « نهارك صائم » و « ليلك قائم » و
« نام ليلي وتجلت همي » وقوله تعالى : « فما ربحت تجارتهم » (٣)
وقول الفرزدق :

سقاها خروق في المسامع لم تكن علاطا ولا مخبولة في الملاغم (٤)

يقول : « انت ترى مجازا في هذا كله ، ولكن لا في ذوات انكلم
وأنتس الالفاظ ، ولكن في احكام اجريت عليها . أفلا ترى انك نس
تتجوز في قولك « نهارك صائم » و « ليلك قائم » في نفس « صائم »
و « قائم » ولكن في أن اجريتهما خبرين على النهار والليل . وكذلك
ليس المجاز في الآية في « ربحت » نفسها ولكن في اسنادها الى التجارة ،

(١) الطراز ج ٣ ص ٢٥٧ .

(٢) اسرار البلاغة ص ٤١٩ .

(٣) سورة البقرة ، الآية ١٦ .

(٤) غلط الناقة : وسماها بالعلاط . والعلاط : صفحة العنق ، او جبل يجعل في

عنق البعير . اللغم : الغم والائف وما حولهما . ج : ملاغم .

وهكذا الحكم في قوله « سقاها خروق » ليس التجوز في « سقاها » ولكن في ان اسندها الى الخروق . أفلا ترى انك لا ترى شيئا منها الا وقد اريد به معناه الذي وضعه على وجهه وحقيقته ، فلم يردب « صائم » غير الصوم ولا ب « قائم » غير القيام ، ولا ب « ربحت » غير الربح ، ولا ب « سقت » غير السقي ، كما أريد في قوله :

وسالت باعناقِ المَطِيِّ الأباطحِ

• غير السيل « (١) » .

وذكر أمثلة كثيرة له ، وقارنها بمجاز الحذف ، وأظهر ما في المجاز العقلي من روعة لا تكون في غيره « (٢) » .

ويرى عبدالقاهر انه ليس بواجب في المجاز العقلي ان يكون للفعل فاعل في التقدير اذا انت نقلت الفعل اليه عدت به الى الحقيقة مثل أنك تقول في : « ربحت تجارتهم » : ربحوا في تجارتهم ، وفي « يحيي نساءنا ضرب » : نحمي نساءنا بضرب ، فان ذلك لا يتأتى في كل شيء ، ألا ترى انه لا يمكنك أن تثبت للفعل في قولك : « اقدمنى بلدك حق » لي على انسان « فاعلا سوى الحق ، وكذلك لا تستطيع في قوله :

وَصَيَّرَنِي هَوَاكَ وَبِي لِحَيْنِي يُضْرَبُ الْمَثَلُ

وقوله :

يَزِيدُكَ وَجْهَهُ حَسَنًا إِذَا مَا زِدْتَهُ نَظْرًا

ان تزعم أن ل « صيرني » فاعلا قد نقل عنه الفعل فجعل للهوى كما في « ربحت تجارتهم » و « يحيي نساءنا ضرب » . ولا تستطيع كذلك ان تقدر ل « يزيد » في قولك « يزيدك وجهه » فاعلا غير

(١) دلائل الإعجاز ص ٢٢٨ ، وينظر كلامه في اسرار البلاغة ص ٤٥٠ وما بعدها .

(٢) ينظر دلائل الإعجاز ص ٢٢٣ وما بعدها .

الوجه « (١) » .

وهذا المجاز - كما يرى عبدالقاهر - كثر من كنوز البلاغة ، ومادة الشاعر المفلق ، والكاتب البليغ في الابداع ، والاحسان ، والاتساع في طرق البيان . وسبب اللطف فيه أنه ليس كل شيء يصلح لان يتعاطى فيه هذا المجاز بسهولة ، بل تجدك في كثير من الامر وانت تحتاج الى ان تهيء الشيء وتصلحه لذلك بشيء تتوخاه في النظم ، وان اردت مثالا في ذلك فانظر الى قوله :

تناسَ طِـلَابَ العَامِرِيَةِ إِنِّ نَأَتْ
بِأَسْجَعِ مِرْقَالِ الضَّحَى قَلْقِ الضَّفَرِ
اِذَا مَا احْسَنَتِ الْاَفَاعَى تَحِيَّرَتْ
شَوَاةَ الْاَفَاعَى فِى مِثْمَةِ سُمُرِ
تَجُوبُ لَهُ الظُّلْمَاءَ عَيْنٌ كَأَنَّهَا
زَجَاجَةٌ شَرِبَ غَيْرَ مَلْأَى وَلَا صَفَرِ

يصف جملا ويريد أن يهتدي بنور عينه في الظلماء ، ويمكن بها أن يخرقها ، ويمضي فيها ، ولولاها لكانت الظلماء كالسد والحاجز الذي لا يجد شيئا يفرجه به ، ويجعل لنفسه فيه سيلا . فأنت الآن تعلم أنه لولا انه قال « تجوب له » فعلق « له » بـ « تجوب » لما صلحت العين لان يسند « تجوب » اليها ، وكان لا تتبين جهة التجوز في جعل « تجوب » فعلا للعين كما ينبغي ، وكذلك تعلم أنه لو قال مثلا « تجوب له الظلماء عينه » لم يكن له هذا الموقع ، ولاضطرب عليه معناه ، وانقطع السلك من حيث يعيبه حينئذ ان يصف العين بما وصفها به الآن فتأمل هذا واعتبره « (٢) » .

واستفاد الزمخشري في كشافه من آراء عبد القاهر ومن ذلك

(١) دلائل الاعجاز ص ٢٢٩ - ٢٣٠ .

(٢) دلائل الاعجاز ص ٢٣١ .

تفسيره لقوله تعالى : « فما ربحت تجارتهم » يقول : « قلت هو من الاسناد المجازي ، وهو ان يسند الفعل الى شيء يتلبس بالذي هو في الحقيقة له كما تلبست التجارة بالمشتريين » (١) .

وسار الرازي على خطا عبد القاهر وخالفه احيانا ، فهو بعد ان عرض رأي عبد القاهر قال : « هذا رأيه وفيه نظر ، لان الفعل يستحيل وجوده الا من الفاعل ، فالفعل المسند الى شيء أما ان يسند الى ما هو مستند في ذاته اليه فيكون الاسناد حقيقيا ، واذا لم يسند الى ذلك الشيء فلا بد من شيء آخر يكون هو مستندا لذاته اليه ، وإلا لزم حصول الفعل لا عن الفاعل وهو محال . واما قولك « اقدمني بلدك حق لي » فالاقدام عبارة عن فعل القادر للقدوم ، والقادر في فعله للشيء لا يحتاج الا الى الداعي ، وهو العلم والاعتقاد لكون الفعل مصلحة وذلك هنا حاصل لان علمه بان له في تلك البلدة حقا هو الحامل له على ذلك الفعل . واذا ثبت ذلك ظهر انه لا مجاز في هذا الكلام أصلا ، لان الإقدام حاصل وذلك لا يستدعي الا الغرض والغرض هو ذلك الحق ، فاذن لا مجاز في هذا الكلام ، اللهم الا ان يقال الداعي هو العلم بذلك الحق لا نفسه فيكون مجازا من هذا الوجه ، ولكن لو ثبت ذلك بطل دعواه لان المجاز ههنا اظهر من وجود الحقيقة . وأما قوله « يزيدك وجهه حسنا » فالزيادة في الحسن لها فاعل حقيقي وهو الله تعالى ، وكذلك القول في سائر الامثلة المذكورة » (٢) .

ولما وضع السكاكي البلاغة وضعها الاخير ، بحث المجاز العقلي في علم البيان وقال عنه : « المجاز العقلي هو الكلام المنفاد به خلاف ما عند المتكلم من الحكم فيه لضرب من التأويل افادة المخلاف لا بواسطة وضع كقولك : « أنبت الربيع البقل » و « شفى الطيب المريض » و

(١) الكشف ج ١ ص ٥٣ ، وينظر المطول ص ٥٨ .

(٢) نهاية الايجاز في دراية الاعجاز ص ٥٢ - ٥٣ .

« كسا الخليفة الكعبة » و « هزم الامير الجند » و « بنى الوزير
القصر » (١) .

وتابع عبد القاهر ولكنه خالفه في انه لا يجوز ان لا يكون فاعل
للافعال في مثل « سررتني رؤيتك » و « اقدمني بلدك حق لي على
فلان » ، وفي قول الشاعر :

وصيّرني هواك وبي ليحيني يضرب المثل

ومثل :

يزيدك وجهه حسنا اذا ما زدتَه نظرا

لانه يرى ان المجاز لا يتحقق مهما كان بدون حقيقة يكون متعديا
عنها لامتناع تحقق فرع من غير أصل ، ولهذا فانه لا يجوز في الامثلة
المتقدمة « ان لا يكون لكل من هذه الافعال فاعل في التقدير اذا أنت
اسندت الفعل اليه وجدت الحكم واقعا في مكانه الاصيل عند
العقل » (٢) . وكان عبد القاهر قد رأى غير هذا ، وذكر أنه ليس
بواجب في هذا أن يكون للفعل فاعل في التقدير .

وبعد أن بحث السكاكي المجاز العقلي في علم البيان ، عاد وأنكره ،
ورأى نظمه في سلك الاستعارة بالكناية وذلك بجعل الربيع في « انبت
الربيع البقل » استعارة بالكناية عن الفاعل الحقيقي بواسطة المبالغة
في التشبيه على ما عليه مبنى الاستعارة ، وجعل نسبة الانبات اليه
قرينة الاستعارة ، ويجعل الاميري « هزم الامير الجند » المدبر لاسباب
هزيمة العدو إستعارة بالكناية عن الجند الهازم ، وجعل نسبة الهزم
اليه قرينة للاستعارة (٣) .

(١) مفتاح العلوم ص ١٨٥ .

(٢) مفتاح العلوم ص ١٨٧ .

(٣) مفتاح العلوم ص ١٨٩ .

وما ذهب اليه السكاكي حاصل شبهة ذكرها عبدالقاهر، ورد عليها يقول في اسلوب « صاغ الربيع الوشي » : « فان قلت : ليس الكلام على الجملة معقودا على تشبيه الربيع بالقادر في تعلق وجود الصوغ والنسج به فكيف لم يجز دخول « كأن » في الكلام من هذه الجهة ، فان هذا التشبيه ليس هو التشبيه الذى يعقد في الكلام ويفاد بـ « كأن » و « الكاف » ونحوهما ، وانما هو عبارة عن الجهة التي راعاها المتكلم حين اعطى الربيع حكم القادر في اسناد الفعل اليه ، ووزانه وزان قولنا انهم يشبهون « ما » بـ « ليس » فيرفعون بها المتبدأ وينصبون بها الخبر فيقولون : « ما زيد منطلقا » فنخبر عن تقدير قدروه في نفوسهم وجهة راعوها في اعطاء « ما » حكم « ليس » في العمل ، حكما لا يتصور ان يكون قولنا « ما زيد منطلقا » تشبيها على حد « كأن زيدا الاسد » كذلك لا يكون « صاغ الربيع » من التشبيه ، فكلامنا اذن في تشبيه منقول منطوق به وأنت في تشبيه معقول غير داخل في النطق ، هذا وان يكن ههنا تشبيه فهو في الربيع لا في الفعل المسند اليه . واختلافنا في صاغ وحاك هل يكون تشبيها واستعارة ام لا ، فلا يلتقي الشبهان أو يلتقي المشتم والمعرق » (١) .

وسار السكاكي على ضوء هذه الشبهة فانكر المجاز العقلي، ونظمه في سلك الاستعارة بالكناية ، مع أن علاقة الاستعارة المشابهة وعلاقته خلاف ذلك .

واعتر القزويني هذا المجاز مجازا بالاسناد ، وأخرجه من علم البيان ، وادخله في علم المعاني وعقد له فصلا بعنوان « الاسناد منه حقيقة عقلية ومنه مجاز عقلى » وقال عنه : « اننا لم نورد الكلام في الحقيقة والمجاز العقليين في علم البيان كما فعل السكاكى ، ومن تبعه لدخوله في تعريف علم المعاني دون تعريف علم البيان » (٢) .

(١) اسرار البلاغة ص ٤٢٩ .

(٢) الايضاح ص ٣١ .

ابتداءً بحث المجاز العقلي في تعريف الحقيقة العقلية ، وذكر أقسامها ، يقول : « اما الحقيقة : فهي اسناد الفعل او معناه الى ما هو له عند المتكلم في الظاهر » (١) . وهي اربعة اضرب : ما يطابق الواقع واعتقاده كقول المؤمن : « أنبت الله البقل » ، وما يطابق الواقع دون اعتقاده كقول المعتزلي لمن لا يعرف حاله وهو يخفيها عنه : « خالسق الافعال كلها هو الله تعالى » ، وما يطابق اعتقاده دون الواقع كقول الجاهل « شفى الطبيب المريض » ، وما لا يطابق شيئاً منهما كالاقوال الكاذبة التي يكون القائل عالماً بحالها دون المخاطب . وعرف المجاز العقلي بقوله : « واما المجاز فهو اسناد الفعل أو معناه الى ملابس له غير ما هو له بتأول » (٢) .

وللفعل ملابسات شتى ذكرها القزويني ، فهو يلبس الفاعل ، والمفعول به ، والمصدر ، والزمان ، والمكان ، والسبب . وهذه هي أنواع العلاقة فيه كقوله في المفعول به « عيشة راضية » و « ماء دافق » وفي عكسه « سيل مفعم » وفي المصدر « شعر شاعر » . وقد ذهب السبكي الى ان هذا المثال ليس صحيحاً لان « شعراً » في قولنا « شعر شاعر » المراد به المشعور وهو نفس المنظوم لا الشعر الذي هو المصدر ، والمثال الصحيح قول الشاعر :

سيدكرني قومي اذا جدد جدهم وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر

وقوله تعالى « فاذا نفع في الصبور نفعه واحده » (٣)

ومنه قولهم في الزمان « نهار صائم » و « ليله قائم » ، وفي المكان « طريق سائر » و « نهر جار » . وفي السبب « بنى الامير المدينة » .

وذكر التفتازاني ، وابن يعقوب المغربي أن الاسناد العقلي يبري

(١) الايضاح ص ٢١ .

(٢) الايضاح ص ٢٢ .

(٣) سورة الحاقة ، الآية ١٢ . ينظر عروس الافراح ج ١ ص ٢٢٦ .

في النسبة غير الاسنادية من الاضافية والايقاعية نحو : « اعجبنى انبات
الريبع وجري الانهار » ، قال الله تعالى : « ولا تطيعوا امرَ
المسرفين »^(١) . ومعنى هذا ان المجاز اوسع مما ذكره السكاكي
والقزوينى .

وعكسَ المغربي اعتبار النسبة الايقاعية والاضافية مجازية بقوله :
« وانما جعلت النسبة الايقاعية والاضافية مجازية لانه تجوز بها عما
ينبغي لها من كون الوقوع على المفعول به الحقيقي فى الاولى وكون
الاضافة الى الفاعل الحقيقي في الثانية الى غيرهما كما تجوز بالاسناد
عما ينبغي له الى غيره فكانت النسبة فيما ذكرت مجازية الا انها قد
تكون مع ذلك كناية عن المجاز الاسنادي كقولهم « سل الهموم »^(٢) .

وسمي الاسناد في هذين الضربين من الكلام عقليا لاستناده الى
العقل دون الوضع ، لان اسناد الكلمة شيء يحصل بقصد المتكلم دون
واضع اللغة فلا يصير « ضرب » خبرا عن « زيد » بواضع اللغة ، بل
بمن قصد اثبات الضرب لا لاثبات الخروج وانه لاثباته في زمن ماض
وليس لاثباته في زمان مستقبل ، فاما تعيين من ثبت له فانما يتعلق بمن
اراد ذلك من المخيرين ، ولو كان لغويا لكان حكما بانه مجاز في مثل
قولنا « خط أحسن مما وشى الربيع » من جهة ان الفعل لا يصح الا
من الحي القادر حكما بان اللغة هي التي اوجبت ان يختص الفعل
بالحي القادر دون الجماد ، وذلك مما لا يشك في بطلانه . وهذا ما
تكلم عليه عبد القاهر بالتفصيل ، وذكر الامثلة نفسها ، وتابعه القزوينى
في الشرح والتحليل^(٣) .

والمسمى بالحقيقة العقلية والمجاز العقلى عند السكاكي هو الكلام

(١) سورة الشعراء ، الآية ١٥١ . ينظر المختصر ج ١ ص ٢٤٠ ، والمطول ص ٥٩ ،

ومواهب الفتح ج ١ ص ٢٤٠ وما بعدها .

(٢) مواهب الفتح ج ١ ص ٢٤١

(٣) اسرار البلاغة ص ٤٥٠ والايضاح ص ٢٣ .

لا الاسناد ، وهذا يوافق كلام عبد القاهر في مواضع من « دلائل الاعجاز » ، أما عند القزويني فهو الاسناد لا الكلام وهذا ظاهر ما نقله ابو عمرو بن الحاجب من عبد القاهر وهو قول الزمخشري في الكشاف (١) .

وعلى سبب اختياره هذا الرأي بقوله : « وانما اخترناه ، لان نسبة المسمى حقيقة أو مجازا الى العقل على هذا لنفسه بلا وساطة شيء ، وعلى الاول لاشتماله على ما ينتسب الى العقل ، أعني الاسناد » (٢) ، وأَيَّدَهُ السبكي فقال : « قلت : بل لا يصح من جهة المعنى الا ذلك ، والسكاكي في جميع الباب يقول اسناد حقيقة واسناد مجاز كما قال غيره » (٣) .

وقسم الخطيب المجاز العقلي باعتبار طرفيه الى أربعة اقسام ، فهما اما حقيقتان مثل « انبت الربيع البقل » وعليه قول رؤبة بن العجاج :
حارث قد فرَّجَتْ عني غَمِّي فسام ليلى وتَجَلَّى هَمِّي
وقول جرير :

رشيَّب ايام الفراق مفارقي وانشزن قصي فوق حيث تكون
وقوله :

لقد لمتنا يا أم غيلان في السرى ونمت وما ليل المطي بنائم

واما مجازان مثل « أحيا الارض شباب الزمان » .

واما مختلفان مثل : « انبت البقل شباب الزمان » ، و« احيا الارض الربيع » وعليه قول الرجل لصاحبه « احيتي رؤيتك » ، أي آنستني

(١) ينظر عروض الافراح ج ١ ص ٢٤٨ .

(٢) الايضاح ص ٢٦ .

(٣) عروض الافراح ج ١ ص ٢٤٨ .

وسرتني • ومثله قول المتنبي :

وتحيي له المال الصوارم والقنا ويقتل ما تحيي التبسم والجدا

وهذه أقسام الحقيقة العقلية نفسها ، لكن يختلف الحال بالنظر لمن صدرت منه من كونه مؤمناً أو جاهلاً •

وترك القزويني بيان أقسام الحقيقة لعلمها بالمقايسة ولقلة الاهتمام بها •

وما ذكره القزويني من أقسام المجاز العقلي مبني على مذهبه ومذهب الجمهور ^{صح}م رده الى الاستعارة الممكنية ، وأما على مذهب السكاكي ومن رده اليها « فطرفاه حينئذ لا يكونان الا مجازين إن كان التخييل مجازاً ، أو مجازاً وحقيقة إن كان التخييل حقيقة » (١) •

وكرر القزويني ما قاله عبد القاهر والسكاكي من أن المجاز العقلي كثير في القرآن الكريم وضرب له امثلة كقوله تعالى : « واذا تثليت عليهم آياته زادتهم إيماناً » (٢) • وقوله « وذلكم ظننكم الذي ظننتم بربكم أرداكم » (٣) • وقوله « يذبح أبناءهم » (٤) • وقوله : « ينزع عنها لباسها » (٥) • وقوله : « ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلثوا قومهم داراً البوار؟ » (٦) • وقوله « يوماً يجعل الولدان شيباً » (٧) • وقوله « وأخرجت الارض أثقالها » (٨) •

(١) حاشية الدسوقي ج ١ ص ٢٤٨ •

(٢) سورة الانفال ، الآية ٢ •

(٣) سورة فصلت ، الآية ٢٣ •

(٤) سورة القصص ، الآية ٤ •

(٥) سورة الاعراف ، الآية ٢٧ •

(٦) سورة ابراهيم ، الآية ٢٨ •

(٧) سورة الزمل ، الآية ١٧ •

(٨) سورة الزلزلة ، الآية ٢ •

ولا يختص المجاز العقلي بالخبر بل يجري في الانشاء كقوله تعالى: « وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحاً^(١) » . وقوله « فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحاً^(٢) » . وقوله : « فلا تخرب جنكنا من الجنة فتشقى^(٣) » .

وفي هذا رد على الظاهرية الذين يذهبون الى عدم وقوع المجاز العقلي في القرآن لايهام المجاز الكذب ، والقرآن منزّه عنه . وهو رأي بعيد عن اسلوب العرب في التعبير ، ونرى ان القزويني وغيره قد احسن حينما قرر أن القرآن الكريم لا يخلو من هذا الاسلوب العربي ، وان التعبير به حسن جيد ما دامت فيه قرينة تمنع الايهام او الكذب . ولا بد للمجاز العقلي من قرينة اما لفظية كما في قول ابي النجم :

قد أصبحت أمّ الخيار تدعي عليّ ذباً كله نم أصنع
 من أن رأت رأسي كراسٍ الاصلح
 ميّزاً عنه قنزعاً في قنزع^(٤)
 جذب الليالي أبطيّ أو اسرعي

فهو مجاز بدليل قوله بعده :

أفناه قيل الله للشمس : اطلعي حتى اذا وارك أفق^(٥) فارجعي

او غير لفظية أي معنوية كاستحالة صدور المسند من المسند اليه المذكور أو قيامه به عقلاً مثل « مجبتك جاءت بي اليك » او عادة مثل « هزم الامير الجند » و « كسا الخليفة الكعبة » و « بنى الوزير القصر » وكصدور الكلام من الموحد في قول الحماسي :

(١) سورة غافر ، الآية ٣٦ .

(٢) سورة القصص ، الآية ٢٨ .

(٣) سورة طه ، الآية ١١٧ .

(٤) القنزع : الخصلة من الشعر تترك على رأس الصبي ، الشعر حول الراس .

أشبابَ الصغيرِ وأفنى الكبيرِ كَرِهَ الغَدَاةَ ومِرَّةَ العشي

وتابع عبدالقاهر والرازي في انه لا بد من التلطف، عند التجوز ،
ونقل كلام الاول وتعليقه على الايات المتقدمة في وصف الجمل^(١) .
وخالف عبدالقاهر في انه لا بد لكل مجاز من حقيقة ، وتابح الرازي
والسكاكي وذهب الى ان الفعل المبني للفاعل في المجاز العقلي واجب ان
يكون له فاعل في التقدير اذا اسند اليه صار الاسناد حقيقة ، وذكر
أمثلتهما . ولعل في قوله « وقد يكون خفيا لا يظهر الا بعد نظر
وتأمل »^(٢) ، تعريضا بعبد القاهر وردا عليه .

وذهب المتأخرون الى ان فيما ذهب القزويني اليه تكلفا وتطلبا لما
لا يقصد في الاستعمال ولا يتعلق به الغرض في التراكيب ، وان الحق
ما ذكره عبدالقاهر ، لانه لم يرد ان هذه الافعال الاعتبارية لا موصوف
لها في نفس الامر بكون الاسناد اليه حقيقة ، بل المراد انه لم يستعمل
لعدم تعلق الغرض به^(٣) .

ولم يسلكم القزويني بكل ما ذكره السكاكي ، ورَدَّ عليه ،
وناقشه في تعريف الحقيقة والمجاز العقليين، ورأى انه لم يحسن حدهما .
وقد عدل عن تعريفه لامور :

الاول : انه جعلها صفة للكلام بينما جعلها القزويني للاسناد .
والثاني : انه غير مطرد لصدقه على ما ليس المسند فيه فعلا او في
معناه نحو « الانسان جسم » ، مع انه لا يسمى حقيقة ولا مجازا .
الثالث : انه غير منعكس لعدم صدقه على ما يطابق الاعتقاد سواء

(١) ينظر دلائل الاعجاز ص ٢٣١ ونهاية الايجاز في دراية الاعجاز ص ٥٣ والايضاح
ص ٢٩ .

(٢) الايضاح ص ٢٩ .

(٣) شروح التلخيص ج ١ ص ٢٦١ - ٢٦٢ .

يطابق الواقع ام لا ، لانه ترك التقييد بقولنا « في الظاهر » (١) .
ويرى بعضهم أنه خرج من تعريف القزويني للاسناد المجازي أمران :
أحدهما : وصف الفاعل ، أو المفعول بالمصدر نحو « رجل عدل » ،
وقول الخساء :

ترعى اذا نسيت حتى اذا ادكرت فإئتما هي إقبال وإدبار
والثاني : وصف الشيء بوصف محدثه وصاحبه مثل « الكتاب
الحكيم » و « الاسلوب الحكيم » . فان المبني للفاعل قد اسند الى
المفعول لكن لا الى المفعول الذي يلابسه ذلك المسند بل فعل آخر من
افعاله مثل « انشأت الكتاب » .

وأجاب التفتازاني عن هذا قائلا : « ويمكن الجواب عن الاول
بانه ليس عنده بمجاز كما انه ليس بحقيقة . وعن الثاني بان الملابس
اعم من ان يكون بواسطة حرف او بدونها . وهذه الصورة من قبيل
الاول اذ الاصل هو حكيم في اسلوبه وكتابه ، وبعيد واليم في ضلاله
وعذابه ، فيكون مما بني للفاعل واسند الى المفعول بواسطة فتأمل وقس
عليه نظائره » (٢) .

ولم يقبل القزويني ما ذهب السكاكي اليه من نظم المجاز العقلي في
سلك الاستعارة بالكناية ، لانه يستلزم أن يكون المراد بـ « عيشة » في
قوله تعالى : « فهو في عيشة راضية » (٣) صاحب العيشة لا العيشة ،
و بـ « ماء » في قوله تعالى « خَلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ » (٤) فاعل الدفق
لا المني ، وان لا تصح الاضافة في نحو قولهم « فلان نهاره صائم ،
وليله قائم » لان المراد بالنهار على هذا فلان نفسه ، واطافة الشيء الى

(١) المطول ص ٥٥ وما بعدها ، وينظر الايضاح ص ٢٤ - ٢٥ .

(٢) المطول ص ٥٨ .

(٣) سورة الحاقة ، الآية ٢١ .

(٤) سورة الطارق ، الآية ٦ .

نفسه لا تصح . وان لا يكون الامر بالايقاد على الطين في احدى الآيتين وبالبناء فيهما لهامان مع ان النداء له ، وان يتوقف جواز التركيب في نحو قولهم « انبت الربيع البقل » و « سرتني رؤيتك » على الاذن الشرعي لان اسماء الله تعالى توقيفية ، وكل ذلك منتف ظاهر الانتفاء . يقول : « ثم ما ذكره منقوض بنحو قولهم : « فلان نهاره صائم » فان الاسناد فيه مجاز ، ولا يجوز أن يكون النهار استعارة بالكناية عن فلان ، لان ذكر طرفي التشبيه يمنع من حمل الكلام على الاستعارة ، ويوجب حمله على التشبيه ، ولهذا عد نحو قولهم « رأيت بفلان أسدا ولقيني منه اسد » تشبيها لا استعارة كما صرح السكاكي أيضا بذلك في كتابه» (١) .

وسار بعض المتأخرين على هدى السكاكي فقال احدهم في توجيه قوله : « اقدمني بلدك حق لي على فلان » يجوز ان يراد بالاقدماد الحمل على القدموم على جهة المجاز المرسل فيكون المعنى حملني على القدموم حق ، ويصح أن يكون في الكلام استعارة بالكناية بأن شبه الحق بمقدم تشبيها مضمرا في النفس ، وطوى ذكر المشبه به وهو المقدم ، ورمز له بذكر لازمه وهو الاقدام تخيلا . وعلى هذين الاحتمالين لا يكون في الكلام مجاز عقلي (٢) .

ومهما يكن من شيء فللمجاز العقلي أثره وقيمته في التعبير ، وان انكره السكاكي ، ونظمه في سلك الاستعارة بالكناية ، وادخله القزويني في علم المعاني . ونرى أن يبحث في المجاز لا في الاسناد كما فعل القزويني ، وقد كان منهجه هذا مثار نقد المتأخرين السائرين في ركابه ، يقول التفتازاني : « وفيه نظر ، لان علم المعاني انما يبحث عن الاحوال المذكورة من حيث انها يطابق بها اللفظ مقتضى الحال ، وظاهر ان البحث في الحقيقة والمجاز العقليين ليس من هذه الحثية فلا يكون داخلا في علم المعاني ، والا فالحقيقة والمجاز اللغويان ايضا من احوال المسند

(١) الايضاح ص ٢١ .

(٢) تنظر حاشية الدسوقي ج ١ ص ٢٦٢ .

اليه أو المسند» (١) .

ولا تتفق مع ما ذهب اليه الدكتور بدوي طبانة حيث يقول ان هذا « البحث أولى به ان يضم الى مباحث علم الكلام ، لانه كلام في الاثر والمؤثر والصنعة والصانع » (٢) . نعم قد يكون هذا صحيحا لو انشغل البلاغيون بالمناقشات العقلية وحدها ، ولكنهم اوضحوا ميزة المجاز العقلي وأثره ، وان ما نقلناه عن عبدالقاهر والقزويني ليبدل دلالة واضحة على ان هذا الضرب من المجاز كنز من كنوز البلاغة ، وذخر يعمد اليه الكتابات البليغ والشاعر المفلح ، والخطيب المصقع . وليس ادل على ما نذهب اليه من ان العرب المتقدمين استعملوه ، و اشار اليه النقاد والبلاغيون القدامى ، وذكروا امثله وان لم يطلقوا عليه اسم المجاز العقلي . وهذا كله يدل على انه لون من التعبير واسلوب له قيمته وأثره . ونحن حينما نعيد بحثه في بلاغتنا الجديدة ينبغي أن نحذف كل ما فيه من مناقشات كلامية بعيدة عن جو النقد والبلاغة ، وتذوق النص الادبي . وان فيما كتبه عبد القاهر والسكاكي والقزويني لمادة غزيرة لها اهميتها في بلاغتنا الجديدة .

(١) المطول ص ٥٤ .

(٢) البيان العربي (ط ٢) ص ٢٩٠ .

المجاز المرسل :

قسم القزويني المجاز المفرد الى قسمين : مرسل ، واستعارة ، لان العلاقة المصححة ان كانت تشبيه معناه بما هو موضوع له فهو استعارة ، والا فهو مرسل . وعرف المرسل بقوله : « وهو ما كانت العلاقة بين ما استعمل فيه وما وضع له ملاسبة غير التشبيه »^(١) . كاليد اذا استعملت في النعمة او في القدرة ، وكالراوية للمزادة مع كونها للبعير الحامل لها ، وكالأكاف في قول الشاعر :

إِنَّ لَنَا أَحْمَرَ عَجَافًا يَا كَلْنَ كُلَّ لَيْلَةٍ أَكَا فَا^(٢)

وسمي هذا النوع مرسلا لان الارسال في اللغة الاطلاق ، والمجاز الاستعاري مقيد بادعاء ان المشبه من جنس المشبه به ، والمرسل مطلق من هذا القيد ، وقيل : انما سمي مرسلا لارساله عن التقييد بعلاقة مخصوصة ، بل ردد بين علاقات ، بخلاف المجاز الاستعاري فانه مقيد بعلاقة واحدة وهي المشابهة^(٣) .

ولم نجد أحداً أطلق اسم المجاز المرسل على هذا النوع قبل

(١) الايضاح ص ٢٧٠ .

(٢) الاكاف : برزعة الحمار .

(٣) تنظر حاشية الدسوقي ج ٤ ص ٢٩ .

القزويني ، وكان القدماء قد ذكروا أنواعه كأبي حامد الغزالي ولم
يُسَمِّه ، يقول ابن الاثير : « وقسم المجاز الى أربعة عشر قسما وتلك
الاربعة عشر ترجع الى الثلاثة التي اشرت اليها وهى : التوسع ،
والتشبيه ، والاستعارة ، ولا تخرج عنها » (١) .

والانواع التى ذكرها له ورد عليها هى :

جعل الشيء بسبب المشاركة في خاصة كقولهم للشجاع « اسد » .
وتسميته الشيء باسم ما يؤول اليه كقوله تعالى : « إني أراني
أعصر خمراً » (٢) .

وتسمية الشيء باسم فرعه كقول الشاعر :

وما العيش إلا نومةً وتشرق
وتمّرٌ على رأس النخيل وماء

وتسمة الشيء باسم اصله كقولهم للادى « مضغة » .
وتسمية الشيء بدواعيه كتسميتهم الاعتقاد « قولا » .
وتسمية الشيء باسم مكانه كقولهم للمطر « سماء » .
وتسمية الشيء باسم مجاوره كقولهم للمزادة « راوية » .
وتسمية الشيء باسم جزئه كقولك لمن تبغضه « ابعد الله وجهه
عني » .

وتسمية الشيء باسم ضده كقولهم للاسود والايض « جون » .
وتسمية الشيء بفعله كتسمية الخمر « مسكرا » .
وتسمية الشيء بكله كقولك في جواب « ما فعل زيد؟ » : « القيام » .
والزيادة في الكلام لغير فائدة كقوله تعالى : « فبما رحمةٍ من
الله لنت لهم » (٣) .

(١) المثل السائر ج ١ ص ٣٦٨ .

(٢) سورة يوسف ، الآية ٣٦ .

(٣) سورة آل عمران ، الآية ١٥٩ .

وتسمية الشيء بحكمه كقوله تعالى : « وامرأة مؤمنة إن °
 وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا » (١)
 والنقصان الذي لا يبطل به المعنى كحذف الموصوف واقامة الصفة
 مقامه كقوله تعالى : « وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ
 بِهِ بَرِيئًا » (٢) أي شخصا بريئا .

وكحذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه كقوله تعالى « واسأل
 القرية » (٣) ، أي : أهلها .

وهذه الانواع التي ذكرها الغزالي لا تختص كلها بالمجاز المرسل ،
 وانما فيها ما يتعلق بالاستعارة ، ومجاز الزيادة ، ومجاز الحذف ، ولكن
 اكثرها مما ادخله المتأخرون في المجاز المرسل .

وتكلم عبد القاهر عليه في بحث الاستعارة ، ولم يُسمِّه ، لانه
 قَسَمَ الاستعارة الى مفيدة ، وغير مفيدة ، وجعل غير المفيدة ما
 استعملت في شيء بقيد مع كونها موضوعا لذلك الشيء بقيد آخر من
 غير قصد التشبيه . وصرَّحَ بأن الشفة والاتف موضوعان للعضوين
 المخصوصين من الانسان ، فان قصد التشبيه صار اللفظ استعارة
 كقولهم في مواضع الدم « غليظ المشفر » فإنه بمنزلة أن يقال كأن
 شفته في الغلظ مشفر البعير وعليه قول الفرزدق :

فلو كنت ضيياً عرفت قرابتي ولكن زنجي غليظ المشافر (٤)

وتكلم السكاكي عليه ، ولم يسمه مجازا مرسلا ، وانما قَسَمَ
 المجاز اللغوي الى مفيد وخالٍ عن الفائدة . يقول عن غير المفيد
 « المجاز اللغوي الراجع الى معنى الكلمة غير المفيد هو أن تكون الكلمة

(١) سورة الاحزاب ، الآية ٥٠ .

(٢) سورة النساء ، الآية ١١٢ .

(٣) سورة يوسف ، الآية ٨٢ .

(٤) ينظر اسرار البلاغة ص ٢٦ وما بعدها والابضاح ص ٢٧٧ .

موضوعه لحقيقة من الحقائق مع قيد فتستعملها لتلك الحقيقة لا مع ذلك القيد بمعونة القرينة» (١) • مثل أن تستعمل المرسن وأنه لمعنى الاتف مع قيد أن يكون اتف مرسون استعمال الاتف من غير زيادة قيد بمعونة القرائن كقول العجاج :

وفاحماً ومرسناً مسرَّجاً

ويقول عن الآخر : « المجاز اللغوي الراجع الى المعنى المفيد الخالي عن المبالغة في التشبيه ، وهو ان تعدى الكلمة عن مفهومها الاصلى بمعونة القرينة الى غيره لملاحظة بينهما ونوع تعلق ، نحو أن تراد النعمة باليد » (٢) • وهذا النوع هو الذي اطلق عليه المتأخرون اسم : « المجاز المرسل » •

والمجاز المرسل عند السكاكي نوع من الاستعارة ، فاذا كانت المشابهة في العلاقة قوية بحيث يمكن ادعاء ان هذا هو ذاك كان استعارة ، وإلا كان مجازاً مرسلًا • ويشهد لصحة ذلك قول السكاكي في المجاز المرسل انه « الخالي عن المبالغة في التشبيه » • ولم يقل « الخالي عن التشبيه » • وهذا قريب من رأي عبد القاهر •

وتابع بدر الدين بن مالك السكاكى في تقسيم المجاز ولم يأت بتقسيم جديد (٣) • وكان بحث ابن قيم الجوزية (٧٥١ هـ) معاصر القزويني من اوسع بحوث المجاز المرسل ، واكثرها تفصيلاً •

وخطا القزويني خطوة حسنة في دراسة المجاز المرسل ، وذكر له تسعة وجوه غير اطلاق اليد على النعمة والقدرة بعلاقة المجاورة • وقد ذكر التفتازاني ان انواع العلاقة المعبرة فيه كثيرة ترتقي الى خمسة وعشرين (٤) •

(١) مفتاح العلوم ص ١٧٢ •

(٢) مفتاح العلوم ص ١٧٢ •

(٣) المصباح ص ٥٩ وما بعدها •

(٤) المطول ص ٣٥٥ •

والانواع التي ذكرها القزويني غير ما ذكر في اول بحثه هي :

تسمية الشيء باسم جزئه كالعين في الريئة وعليه قوله تعالى :
« قم الليل إلا قليلا »^(١) أي : صلِّ ، ونحوه : « ولا تقم فيه ابدا »
أي : لاتصلِّ .

ومنها عكس ذلك أي التجوز باسم الكل عن الجزء كقوله تعالى :
« يجعلون أصابعهم في آذانهم »^(٢) .

ومنها تسمية المسبب باسم السبب كقولهم « رعينا الغيث » أي
النبات ، وعليه قوله تعالى : « فمَن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثلِ
ما اعتدى عليكم »^(٣) وعليه قول عمرو بن كلثوم :

ألا لا يجهلنَّ أحدٌ علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

ومنها تسمية السبب باسم المسبب كقولهم « امطرت السماء نباتا »
وقوله تعالى : « وأنزلَ لكم من الأنعامِ ثمانية أزواج »^(٤) وقوله :
« وَيُنزِلُ لكم من السماء رِزقا »^(٥) . وجعل من هذا النوع
قولهم « فلان اكل الدم » أي الدية التي هي مسيبة عن الدم ، قال
الشاعر :

أكلت دما ان لم اركع بضرةٍ بعيدة مهوى القرطِ طيبة النشورِ

وقد رد التفتازاني عليه قائلا « وأورد في الايضاح في امثلة نسبية
السبب باسم المسبب قولهم « فلان اكل الدم » أي الدية المسيبة عن
الدم وهو سهو ، بل هو من تسمية المسبب باسم السبب »^(٦) .

(١) سورة المزمل ، الآية ٢ .

(٢) سورة البقرة ، الآية ١٩ .

(٣) سورة البقرة ، الآية ١٩٤ .

(٤) سورة الزمر ، الآية ٦ .

(٥) سورة غافر ، الآية ١٣ .

(٦) المختصر ج ٤ ص ٣٨ ، وينظر مواهب الفتح ج ٤ ص ٣٩ .

ومنها تسمية الشيء باسم ما كان عليه كقوله عز وجل : « وآتوا
اليتامى أموالهم »^(١) اي الذين كانوا يتامى اذ لا يتم بعد البلوغ .
ومنها تسمية الشيء باسم ما يؤول اليه كقوله تعالى : « إني أراني
أعصر خمرا »^(٢) أي : عنبا .

ومنها تسمية الحال باسم محله كقوله تعالى : « فليبدع
ناديه »^(٣) ، أي اهل ناديه .

ومنها عكس ذلك نحو قوله تعالى : « وأما الذين ابضت
وجوههم ففى رحمة الله »^(٤) . أي في الجنة .

ومنها تسمية الشيء باسم آلته كقوله تعالى : « وما أرسلنا من
رسول إلا بلسان قومه »^(٥) أي بلغة قومه ، وقوله تعالى « واجعل
لي لسان صدق في الآخرين »^(٦) ، اي ذكرا جميلا ، وثناء
حسنا .

واكتفى القزويني بذكر هذه الانواع ووضع للمجاز المرسل قاعدة
عامة ، يقول : « وكذا غير ذلك مما بين معنى اللفظ وما هو موضوع
له تعلق سوى التشبيه »^(٧) . وكان اهماله لكثير من انواعه مشا
ر لقد المتأخرين مما سنذكر بعضه في فصل آخر .

ولم يوضح القزويني بلاغة المجاز المرسل واهميته لانه يراه قسما
من المجاز الذي تكلم على اهميته بصورة عامة بعد ان انتهى من بحثه ،
والاديب عندما يستعمل هذا النوع من المجاز لا يستعمله عبثا وانما

(١) سورة النساء ، الآية ٢ .

(٢) سورة يوسف ، الآية ٣٦ .

(٣) سورة العلق ، الآية ١٧ .

(٤) سورة آل عمران ، الآية ١٠٧ .

(٥) سورة ابراهيم ، الآية ٤ .

(٦) سورة الشعراء ، الآية ٨٤ .

(٧) الايضاح ٢٧٦ .

يجد فيه تعبيراً عن فكرته وافصاحاً عن عواطفه ومشاعره لما بين السبب
والمسبب ، او الجزء والكل او غير ذلك من علاقة واضحة يدركها
بشعوره ويحسها بملكته الادبية ، وقد احسن المغربي في بيان بلاغته
حينما قال : « ان الانتقال في المجاز المرسل واضح والابلية فيه ليست
الا من جهة تقرير المراد في الذهن لاشعار المزموم باللائم ، وسوق
التقنية الى خصومه فكأنه قرر مرتين » (١) .

(١) مواهب الفتح ج٤ ص ٢٧٧ .

الاستعارة :

لعل الجاحظ أول من عرّف الاستعارة بقوله « الاستعارة تسمية الشيء باسم غيره اذا قام مقامه » (١) ، وهذا تعريف لغوي ليس فيه حصر لانواعها ، وتابعه البلاغيون الاوائل كابن قتيبة ، والمبرد ، وابن المعتز . وكان عبد القاهر من أدق الذين حصروا هذا المصطلح حصرا منطقيا حيث يقول : « الاستعارة ان تريد تشبيه الشيء بالشيء فتدع ان تفصح بالتشبيه ، وتظهره ، وتجيء الى اسم المشبه به فتعيره المشبه وتجريه عليه » (٢) . وقدّمَ بحثها على التشبيه ، والتمثيل ، لانه يحلها بين فنون القول مكانة رفيعة ، وقسّمها الى استعارة مفيدة وغير مفيدة ، وتكلم على الحقيقية ، والتخيلية ، والتمثيلية .

وجاء الرازي فضبط أقسامها ، وحدد رسوما ، وذكر الاصلية والتبعية . وتكلم على ترشيح الاستعارة وتجريدها والاستعارة بالكناية والاستعارة التخيلية (٣) . واستفاد السكاكي من الرازي ويكاد تعريفه للاستعارة وتقسيمها الى عدة انواع لا يخرج عما ذكره ، يقول في تعريفها : « هي ان تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر

(١) البيان والتبيين ج ١ ص ١٥٣ .

(٢) دلائل الاعجاز ص ٥٣ .

(٣) نباية الایجاز في دراية الاعجاز ص ٨٩ ، ٩٢ ، ١٠٢ .

مدعيا دخول المشبه في جنس المشبه به ، دالاً على ذلك باثباتك للمشبه ما يخص المشبه به» (١) . وفي هذا التعريف حصر للاستعارة التصريحية والمكنية ، وهو أدق التعريفات تحديداً ، وأحسنها ضبطاً ويعتبر السكاكي هذا التعريف أحسن من تعريف الذي قال : « إنها نقل العبارة من معنى الى معنى » ، لان الاستعارة لا يمكن ان تكون الا ادعاء لا نقلاً لان فيها ما لا يتصور تقدير النقل فيه كقول لبيد :

وغداة ريح قد كسفت ورقةٍ اذ أصبحت بيد الشمال زمامها

انه لا يمكن أن تزعم أن لفظ « اليد » قد نقل عن شيء الى شيء، لانه ليس المعنى على أنه شبه شيئاً باليد فيمكن أن تزعم أنه نقل لفظ اليد اليه ، وانما المعنى أنه اراد أن يثبت للشمال في تصريفها الغداة على طبيعتها شبه الانسان قد اخذ الشيء بيده يقلبه ويصرفه كيف يريد ، ولا يمكن أن يكون هذا الادعاء . وكان عبد القاهر أول من تنبه الى ان الاستعارة ادعاء الاسم للشيء لا نقل الاسم عن الشيء (٢) .

وقسمها السكاكي الى ثمانية أنواع : الاستعارة المصرح بها التحقيقية مع القطع ، الاستعارة المصرح بها التخيلية مع القطع ، الاستعارة المصرح بها المحتمل للتحقيق والتخييل ، الاستعارة بالكناية ، الاستعارة الاصلية ، الاستعارة التبعية ، تجريد الاستعارة وترشيحها .

ولم يتعد القزويني عن السكاكي وهو يختصر « مفتاح العلوم » أو يشرح تلخيصه فقسم المجاز المفرد الى مجاز مرسل واستعارة ، والاستعارة عنده : « هي ما كانت علاقته تشبيه معناه بما وضع له » (٣) وهذه هي الاستعارة التحقيقية عنده ، أو التصريحية التي يذكر فيها

(١) مفتاح العلوم ص ١٧٤ .

(٢) دلائل الاعجاز ص ٣٣ وما بعدها .

(٣) الايضاح ص ٢٧٨ .

المشبه به دون المشبه * وسبب تقييد هذا النوع من الاستعارة بالتحقيقية لتحقق معناها حسا او عقلا ، أي التي تتناول أمرا معلوما يمكن ان ينص عليه ويشار اليه اشارة حسية أو عقلية فيقال : ان اللفظ نقل من مسماه الاصلي فجعل اسما له على سبيل الاعارة للمبالغة في التشبيه *

ومثال الحسي : « رأيت أسدا » أي : رجلا شجاعا ، والعقلي : « ابدت نورا » أي : حجة ، يقول عبدالقاهر عن هذه الاستعارة : « فالاسم في هذا كله كما تراه متناولا شيئا معلوما يمكن أن ينص عليه فيقال انه عنى بالاسم وكفى به عنه ونقل عن مسماه الاصلي فجعل اسما له على سبيل الاستعارة والمبالغة في التشبيه » (١) *

ونبه القزويني الى ما ذكره في بحث التشبيه من حذف اداة التشبيه هل يكون تشبيها أو استعارة ووضع هاتين القاعدتين :

الاولى : ان لا يكون المشبه مذكورا ولا مقدرا مثل « رنت لنا ظبية » وأنت تريد امرأة ، وهذا بلا خلاف ليس بتشبيه وان الاسم فيه استعارة *

الثانية : ان يكون المشبه مذكورا أو مقدرا ، فاسم المشبه به ان كان خبرا أو في حكم الخبر كخبر « كان » و « إن » والمفعول الثاني لباب « علمت » ، والحال ، فالاصح أن يسمى تشبيها ، وأن الاسم فيه لا يسمى استعارة *

وان لم يكن اسم المشبه به خبرا للمشبه ولا في حكم الخبر كقولهم « رأيت بفلان أسدا » و « لقيني منه أسد » سمي تجريدا ، ولم يُسمَّ استعارة ، لانه انما يتصور الحكم على الاسم بالاستعارة اذا جرى بوجه على ما يدعى انه مستعار له ، اما باستعماله فيه ، أو باثبات

(١) اسرار البلاغة ص ٥١ .

معناه له ، والاسم في مثل هذا غير جارٍ على المشبه بوجه ، ولانه يجيء على هذه الطريقة ما لم يتصور فيه التشبيه فيظن انه استعارة كقوله تعالى : « لهم فيها دارٌ الخلد »^(١) اذ ليس المعنى على تشبيه جهنم بدار الخلد اذ هي نفسها دار الخلد ، وكقول الشاعر :

يا خير من يركب المطيِّ ولا يشرب كأساً بكفٍ من بخلا

فانه لا يتصور فيه التشبيه ، وانما المعنى انه ليس بيخيل ، ولا يسمى تشبيها ، لان اسم المشبه به لم يجتلب فيه لاثبات التشبيه .

والاستعارة عنده مجاز لغوي ، ودليله على ذلك كونها موضوعة للمشبه به لا للمشبه ولا لامر اعم منهما ، كالاسد فانه موضوع للسمع المخصوص لا للرجل الشجاع ولا للشجاع مطلقا، لانه لو كان موضوعا لاحدهما لكان استعماله في الرجل الشجاع من جهة التحقيق لا من جهة التشبيه . وايضا لو كان موضوعا للشجاع مطلقا لكان وصفا لاسم جنس . وهو في ذلك يتابع السكاكي في جعلها مجازا لغويا . وليس له او لاستاذه ان يرى غير هذا الرأي ، لان السكاكي اكرر المجاز العقلي ، ونظمه في سلك الاستعارة بالكناية ، وليس عنده الا المجاز اللغوي . وبحث القزويني العقلي في الاسناد ، ولم يدخله في علم البيان ، ولم يبق الا المجاز اللغوي فعد الاستعارة منه .

وعرض القزويني رأي من يذهب الى ان الاستعارة مجاز عقلي ، بمعنى ان التصرف فيها في امر عقلي لا لغوي لانها لا تطلق على المشبه الا بعد ادعاء دخوله في جنس المشبه به ، لان نقل الاسم وحده لو كان استعارة لكانت الاعلام المنقولة ك « يزيد » و « يشكر » استعارة ، ولما كانت الاستعارة ابلغ من الحقيقة لانه لا بلاغة في اطلاق الاسم المجرد عاريا عن معناه ، ولما صح ان يقال لمن قال « رأيت اسدا » يعني زيدا : انه جعله اسدا .

(١) سورة فصلت ، الآية ٢٨ .

وإذا كان نقل الاسم تبعاً لنقل المعنى كان الاسم مستعملاً فيما
وضع له ولهذا صح التعجب في قول ابن العميد :

قامت تظللني من الشمسِ شمسٌ أعز عليّ من نفسي
قامت تظللني ، ومن عجبٍ شمسٌ تظللني من الشمسِ

والنهي عنه في قول الآخر :

لا تعجبوا من بلى غلاته قد زرّ أزراره على القمرِ

وقوله :

ترى الثياب من الكتان يلمحها نورٌ من البدر أحيانا فيليها
فكيف تنكر أن تبلى معاجرها^(١) والبدر في كل وقت طالعٌ فيها

ولكن القزويني لا يرى هذا الرأي ، ويرجح أن الاستعارة مجاز
لغوي ، وينقض هذا الرأي بقوله : « والجواب عنه أن ادعاء دخول
المشبه في جنس المشبه به لا يخرج اللفظ عن كونه مستعملاً في غير ما
وضع له ، وأما التعجب والنهي عنه فيما ذكر فلبناء الاستعارة على
تناسي التشبيه قضاء لحق المبالغة »^(٢) .

وهنا يعترضه سؤال من قال : إنَّ اصرار المتكلم على ادعاء
الاسدية للرجل ينافي نصبه قرينة مانعة من أن يراد به السبع
المخصوص . ويجب القزويني قائلاً « لا منافاة » وهنا يستعين
بما ذكره السكاكي .

ووجه التوفيق كما ذكر السكاكي أن تبنى دعوى الاسدية للرجل
على ادعاء أن افراد جنس الاسد قسماً بطريق التأويل : متعارف وهو

(١) المعجزة : ثوب تشده المرأة على رأسها .

(٢) الايضاح ص ٢٨٦ .

الذي له غاية الجرأة ونهاية قوة البطش ، مع الصورة المخصصة ، وغير متعارف وهو الذي له تلك الجرأة وتلك القوة لا مع تلك الصورة بل مع صورة اخرى على نحو ما ارتكب المتنبي هذا الادعاء في عد نفسه وجماعته من جنس الجن ، وعد جماله من جنس الطير حين قال :

نحن قومٌ من الجنِ في زي ناسٍ فوق طيرٍ لها شخوصُ الجبالِ

مستشهدا لدعواه هاتيك بالمخيلات العرفية ، وان تخصص القرينة بنفها المتعارف الذي يسبق الى الفهم ليتعين الآخر .

ومن البناء على هذا التنوع قول عمرو بن معد يكرب الزبيدي :

وخيل قد دلفت لها بخيلٍ تحية بينهم ضربٌ وجيعٌ

وقولهم « عتابك السيف » وقوله تعالى « يَوْمَ لَا يَنْتَفِعُ مالٌ ولا بنونٌ ، إِلَّا مَنْ آمَنَ أتى اللهَ بقلبٍ سليمٍ »^(١) ومنه قول الشاعر :

وبلدةٍ ليس بها أنيسٌ الا اليعافيرُ وإِلاَّ العيسُ^(٢)

ولا نرى لهذه التعليلات فائدة في فهم الاستعارة ، وتدووقها ، وكان عليهما أن يتعدا عن هذا التمثل والاغراق في التأويل . وان الاستعارة سواء كانت مجازا لغويا أم عقليا تورث الكلام حسنا وجمالا ، وتضفي على الادب خيالا وصورا رائعة . ولا يقع الاديب في ورطة الكذب ان استعملها لانها تفارقه من وجهين : بناء الدعوى فيها على التأويل ، ونصب القرينة على أن المراد بها خلاف ظاهرها . وهذان الامران يمنحانها القوة في التعبير والتأثير العظيم .

وقرينة الاستعارة اما معنى واحد مثل « رأيت أسداً يرمي » : أو

(١) سورة الشعراء ، الايتان ٨٨ - ٨٩ .

(٢) بنظر مفتاح العلوم ص ١٧٦ والايضاح ص ٢٨٦ - ٢٨٧ .

أكثر كقول بعض العرب :

فان تعافوا العدلَ والايمانا فان في أيماننا نيرانا

• أي سيوفا كأنها شعل نيران •

أو معانٍ مربوط بعضها ببعض كما في قول البحري :

وصاعقةٍ من نصلهٍ تنكفي بها على رؤسِ الاقرانِ خمسُ سحائبٍ

• عنى بـ « خمس سحائب » انامل المدوح •

وقسّم القزويني هذا النوع من الاستعارة اقساماً كثيرة ، قسمها باعتبار الطرفين ، وباعتبار الجامع ، وباعتبار طرفيها والجامع معا ، وباعتبار اللفظ ، وباعتبار الخارج • وهذه تقسيمات لم نرها عند المتقدمين وسنشرح بذكرها لأنها جديدة وجديرة بالعرض والتحليل •

١ - انقسام الاستعارة باعتبار الطرفين :

وهي قسمان ، لان اجتماعهما اما ممكن أو ممتنع ، والاولى وفاقية ، والثانية عنادية • أما الوفاقية فكقوله تعالى « أحييناه » في قوله « أو من ° كان ميّتاً فأحييناه » (١) • فان المراد هديناه • وأما العنادية فمنها ما كان وضع التشبيه فيه على ترك الاعتداد بالصفة وان كانت موجودة لخلوها مما هو ثمرتها والمقصود منها واذا ما خلت منه لم تستحق الشرف كاستعارة اسم المعدوم للموجود اذا لم تحصل منه فائدة من الفوائد المطلوبة من مثله ، فيكون مشاركا للمعدوم في ذلك ، أو اسم الموجود للمعدوم اذا كانت الآثار المطلوبة من مثله موجودة حال عدمه ، فيكون مشاركا للموجود في ذلك او اسم الميت للحَيّ الجاهل لانه عدِم فائدة الحياة والمقصود بها، أعني العلم فيكون مشاركا للميت في ذلك • والضدان ان كانا قابلين للشدة والضعف كان استعارة

(١) سورة الانعام : الآية ١٢٢ •

اسم الاشد للاضعف اولى ، فكل من كان اقل علما واطرف قوة كان اولى بان يستعار له اسم الميت ، وكذا في جانب الاشد فكل من كان اكثر علما كان اولى بأن يقال له « انه حي » وكذا من كان اشرف علما وعليه قوله تعالى : « او من كان ميتا فاحييناه » .

وأدخل القزويني في هذا النوع ما سمي بالاستعارة التهكمية او التمليجية ، وذلك اذا استعمل في ضد معناه او تقيضه كقوله تعالى : « فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ » (١) .

٢ - انقسام الاستعارة باعتبار الجامع :

وهي قسمان :

أحدهما : ما يكون الجامع فيه داخلا في مفهوم الطرفين كاستعارة الطيران للعدو ، كقول الشاعرة ترثي قتيلاً :

لو يشأ طاربه ذو ميعةٍ لاحق الآطالِ نَهْدُ ذُو خصلٍ (٢)

وكاستعارة الفيض لانبساط الفجر في قول الشاعر :

يتراكمون على الاسنة في الوغى كالفجر فاض على نجوم الغيبِ

وكاستعارة التقطيع لتفريق الجماعة وابعاد بعضهم عن بعض في قوله تعالى : « وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَّمًا » (٣) . وكاستعارة الخياطة لسرد الدرع في قول القطامي :

لم تلق قوما هم شرُّ لآخوتهم مِنَّاعَشِيَةٍ يجري بالدمِ الوادي
تقريبهم لهذمياتٍ نَقْدَتْ بها ما كان خاط عليهم كلُّ زَرَادٍ (٤)

(١) سورة آل عمران ، الآية ٢١ .

(٢) ميعة الفرس : اول جريده ، الاطال جمع اطل : الخامرة . نهد الفرس : كان نهداً ، ونهد : اسرع .

(٣) سورة الاعراف ، الآية ١٦٨ .

(٤) اللهمم : الحاد القاطع من السيوف .

وكاستعارة النثر لاسقاط المنهزمين وتفريقهم في قول المتنبي :

نثرتهم فوق الأحيـدبِ نثرةً^١ كما نثرت فوق العروسِ الدراهمُ

والثاني : ما يكون الجامع فيه غير داخل في مفهوم الطرفين مثل قولك : « رأيت شمسا » أي انسانا يتهلل وجهه، فالجامع بينهما التلاؤم، وهو غير داخل في مفهومهما .

وتتقسم باعتبار الجامع ايضا الى عامية وخاصة ، فالعامية المبتدلة لظهور الجامع فيها مثل « رأيت اسدا » . والخاصية الغريبة التي لا يظهر بها الا من ارتفع عن طبقة العامة كقول طفيل الغنوي :

وجعلت كوري فوق ناجيةٍ يقنات شحْمَ سنامها الرَّحْلُ^(١)

والغرابة قد تكون في الشبه نفسه كقول يزيد بن مسلمة :

وإذا احتبى قَرَّ بوسه بعنانه علك الشكيمَ الى انصراف الزائر^(٢)

شبه هيئة العنان في موقعه من حنو السرج بهيئة الثوب في موقعه من ركة المحتبى . وقد تحصل بتصريف في العامية ، كما في قول الشاعر :

ولما قضينا من منى كل حاجةٍ ومسحَّ بالأركان من هو ما مسحُ
وشدت على دهمِ الهاري رحالنا ولم ينظر الغادي الذي هو راحِ
أخذنا باطرافِ الاحاديثِ بيننا وسالت باعناقِ المطي الأباطحُ

وكقول ابن المعتز :

سالت عليه شعابُ الحي حين دعا أنصارهَ بوجوه كالدنانيرِ

(١) الكور : الرحل، وهو ما يجلس على ظهر الجمل كالسرج . الناجية : الناقة السريعة .
(٢) احتبى احتباء : جمع بين ظهره وساقيه بسلامة ، بالثوب اشتمل به والتف .
القربوس : حنو السرج ، أي تسمه القربوس المرتفع من قدام المقعد ومؤخره . الشكيم :
حديده اللجام المعتزلة في فم القرس .

وقد تحصل الغرابة في الجمع بين عدة استعارات للاحاق الشكل
بالشكل كقول امرىء القيس :

فقلت له لما تمطى بصلبه وأردف أعجازاً وناءً بكلكلٍ

ولم يخرج القزوينى في تحليل هذه الامثلة عن عبد القاهر وتحليله
واعجابه بالاستعارات^(١) .

٣ - انقسام الاستعارة باعتبار طرفيها والجماع :

وهي ستة أقسام :

استعارة محسوس لمحسوس بوجه حسي كقوله تعالى : « فَأَخْرَجَ
لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ »^(٢) . فالمستعار منه ولد البقرة
والمستعار له الحيوان ، والجامع لهما الشكل والجميع حسي . واستعارة
محسوس لمحسوس بوجه عقلي كقوله تعالى : « وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ
نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ »^(٣) . فالمستعار منه كشط الجلد وازالته عن
الشاة ، والمستعار له ازالة الضوء عن مكان الليل وهما حسيان ،
والجامع لهما ما يعقل من ترتب أمر على آخر . واستعارة محسوس
لمحسوس بما بعضه حسي وبعضه عقلى مثل « رأيت شمسا » أي انسانا
شبيها بالشمس في حسن الطاعة ونباهة الشأن .

واستعارة معقول لمعقول كقوله تعالى : « مَنْ بَعَثْنَا مِنْ
مَرْقَدِنَا »^(٤) . فالمستعار منه الرقاد ، والمستعار له الموت ، والجامع لهما
عدم ظهور الافعال والجميع عقلي .

واستعارة محسوس لمعقول كقوله تعالى : « فاصدع بما

(١) ينظر دلائل الاعجاز ص ٥٨ وما بعدها ، والايضاح ص ٢٩٢ وما بعدها

(٢) سورة طه ، الآية ٨٨ .

(٣) سورة يس ، الآية ٢٧ .

(٤) سورة يس ، الآية ٥٢ .

تثوّمَرٌ»^(١) . فان المستعار منه صدع الزجاجة وهو حسي والمستعار له تبليغ الرسالة والجامع لهما التأثير وهما عقليان .

وأستعارة معقول محسوس كقوله تعالى : « إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ »^(٢) فالمستعار كثرة الماء وهو حسي والمستعار منه التكبير والجامع الاستعلاء المفرط وهما عقليان .

وكان الرازي والسكاكي قد قسماها الى استعارة اسم المحسوس للمحسوس بسبب المشاركة في وصف محسوس ، واستعارة المحسوس لمحسوس لثبه عقلي ، واستعارة المحسوس للمعقول ، واستعارة المعقول للمعقول ، واستعارة المعقول للمحسوس^(٣) .

وأخذ القزويني هذا التقسيم وأضاف اليه قسما سادسا ، وهو استعارة محسوس لمحسوس بما بعضه حسي وبعضه عقلي . ولعل الرجلين اهملاه لشهرته ، ولان معظم الاستعارات المعروفة من هذا النوع ، وقد علل التفتازاني اهمال السكاكي لهذا النوع بقوله : « وقد أهمل صاحب المفتاح هذا القسم لندرة وقوعه ، ولانه في الحقيقة استعارتان ، فان الجامع في احدهما حسي وفي الاخرى عقلي ، فيدخل فيما تقدم ولا يكون نوعا آخر »^(٤) ، وللسبكي كلام قريب من هذا ، وان اختلف عنه بعض الاختلاف^(٥) .

ويمتاز القزويني عن الرازي والسكاكي انه لم يكتفِ بالنقل ، وانما حكّم ذوقه وعقله في كثير من الامثلة ، ومن أمثلة تقدمه ما قاله في قوله تعالى : « واشتعل الرأس شيبا »^(٦) فقد جعله الرازي

(١) سورة الحجر ، الآية ٩٤ .

(٢) سورة العنكبوت ، الآية ١١ .

(٣) نهاية الایجاز في دراية الاعجاز ص ٩٩ ، ومفتاح العلوم ص ١٨٢-١٨٤ .

(٤) المطول ص ٣٧٠ .

(٥) عروس الافراح ج ٤ ص ١٠٢ .

(٦) سورة مريم ، الآية ٤ .

والسكاكي من استعارة محسوس لمحسوس بوجهه حسي ، ورأى
 القزويني أنها ليست من هذا النوع ، يقول : « واما قوله تعالى :
 « واشتعل الرأس شيبا » فليس مما نحن فيه وان عد منه ، لأن فيه
 تشبيهين : تشبيه الشيب بشواظ النار في بياضه وانارته ، وتشبيه
 انتشاره في الشعر باشتعالها في سرعة الانبساط مع تعذر تلافيه . والاول
 استعارة بالكناية والجامع في الثاني عقلي ، وكلامنا في غيرهما « (١) ،
 ومن أمثلة ذلك ما ذكره في استعارة محسوس لمحسوس بوجه عقلي فقد
 جعل السكاكي منه قوله تعالى : « إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ » (٢)
 وقال : « فالمستعار له الريح ، والمستعار منه المرء ، والجامع المنع من
 ظهور النتيجة والأثر فالطرفان حسيان ووجه الشبه عقلي » (٣) ، ورد
 عليه قائلا : « وفيه فطر ، لان العقيم صفة للمرأة لا اسم لها ، وكذلك
 جعلت صفة للريح لا اسما ، والحق أن المستعار منه ما في المرأة من الصفة
 التي تمنع من الحمل ، والمستعار له ما في الريح من الصفة التي تمنع من
 انشاء مطر والقاح شجر والجامع لهما ما ذكر » (٤) .

٤ - انقسام الاستعارة باعتبار اللفظ :

وهي قسمان ، لأنه ان كان اسم جنس فأصلية كأسد وقتل ، وإلا
 فتبعية كالافعال والصفات المشتقة منها والحروف ، لان الاستعارة تعتمد
 التشبيه والتشبيه يعتمد كون المشبه موصوفا وانما يصلح للموصوفية
 الحقائق والصفات المشتقة منها والحروف . ومدار قرينة التبعية في
 الافعال والصفات المشتقة منها على نسبتها الى الفاعل كما في قولنا
 « نطق الحبال » ، او الى المفعول ، كقول ابن المعتز :

جُمِعَ الحَقُّ لَنَا فِي امَامٍ قَتَلَ البُخْلُ وَأَحْيَا السَّمَاخَا

(١) الايضاح ص ٢٩٦ ، وينظر نهاية الايجاز في دراية الامعاز ص ٩٩ ومفتاح

العلوم ص ١٨٣ .

(٢) سورة الذاريات ، الآية ٤١ .

(٣) مفتاح العلوم ص ١٨٢ - ١٨٤ .

(٤) الايضاح ص ٢٩٧ .

أو الى المفعولين الاول والثاني كقول الحريري :

واقري المسامع إما نطقتُ بيانا يقود الحرَّ وونَ الشَّموسا

• او الى المجرور كقوله تعالى : « فبشّرْهُمْ بعذابٍ أليمٍ » (١) .

وأضاف السكاكى أنها تكون الى الجميع كقول الشاعر :

تقرى الرياح رياض الحزن مزهرةً اذا سرى النومُ في الاجفان إيقاظا

• ولم يقبله القزويني ورأى ان فيه نظرا (٢) .

٥ - انقسام الاستعارة باعتبار الخارج :

وهي ثلاثة أقسام : المطلقة : وهي التي لم تقترن بصفة ولا تفرع كلام ، والمراد المعنوية لا النعت . والمجردة : وهي التي قرنت بما يلائم المستعار له كقول كثير :

غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا غلقت لضحكته رقاب المال

• وعليه قوله تعالى : « فأذاقها الله لباسَ الجوعِ والخوفِ » (٣) .
واختلف الزمخشري والسكاكى في استعارة هذه الآية فذهب الاول الى انها استعارة عقلية ، يقول : « فان قلت : الاذاقة واللباس استعارتان فما وجه صحتهما والاذاقة المستعارة موقعة على اللباس المستعار فما وجه صحة ايقاعهما عليه ؟ قلت : أما الاذاقة فقد جرت عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها في البلايا والشدائد وما يمس الناس منها فيقولون ذاق فلان البؤس والضر واذاقه العذاب ، شبه ما يدرك من أثر الضرر والالام بما يدرك من طعم المر والبشع . وأما اللباس فقد شبه به

(١) سورة آل عمران ، الآية ٢١ .

(٢) الايضاح ص ٣٠٠ ، وينظر مفتاح العلوم ص ١٨١ .

(٣) سورة النحل ، الآية ١١٢ .

لاشتماله على الملابس ما غشي الانسان والتبس به من بعض الحوادث ،
واما ايقاع الاذاقة على لباس الجوع والخوف فلأنه لما وقع عبارة عما
يغشى منهما ويلابس فكأنه قيل : فأذاقه الله ما غشيه من الجوع
والخوف « (١) » . واعتبرها السكاكي استعارة حسية ، يقول : « الظاهر
على اللباس عند اصحابنا الحمل على التخيل ، وان كان يحتمل عندي
ان يحمل على التحقيق وهو أن يستعار لما يلبسه الانسان عند جوعه من
انتقاع اللون وراثثة الهيئة » (٢) . واستفاد القزويني من تفسير الآية
في توجيه الاستعارة .

والمرشحة : هي التي قرنت بما يلائم المستعار منه كقوله :

يُبَازِعُنِي رِدَائِي عَبْدُ عَمْرُو رويدك يا أبا عمرو بن بكر
لي الشطر الذي ملكت يميني ودونك فاعتجر منه بشطر (٣)

وعليه قوله تعالى : « أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما
رَبِحَتْ تجارتُهُمْ » (٤) . وقد يجتمع التجريد والترشيح كما
في قول زهير :

لدى أسدٍ شاكِي السلاح مقذِف له لبد أظفاره لم تُقَلِّم

ويرى القزويني ان الترشيح ابلغ من التجريد لاشتماله على
تحقيق المبالغة ، ولهذا كان مبناه على تناسي التشبيه حتى انه يوضع
الكلام في علو المنزلة وضعه في علو المكان (٥) . ونقل هنا الامثلة التي
ذكرها السكاكي وزاد أمثلة اخرى ، ومعظم ما جاء به لا يخرج عما
ذكره السكاكي في الامثلة والتعليل ، وما اروع عبارة السكاكي في هذا

(١) الكشاف ج ٢ ص ٤٩٨ .

(٢) مفتاح العلوم ص ١٧٩ .

(٣) اعتجر اجتاراً بالعمامة : لفها على رأسه ، ورد طرفها على وجهه .

(٤) سورة البقرة : الآية ١٦ .

(٥) الايضاح ص ٣٠٢ .

الموضوع : يقول بعد ان ذكر الامثلة : « أو ماترى هؤلاء فيما فعلوا كيف نبذوا أمر التشبيه وراء ظهورهم، وكيف نسوا حديث الاستعارة كأن لم تخطر منهم على بال ولا رأوها ولا طيف خيال . وإذا كانوا مع التشبيه والاعتراف بالاصل يسوغون أن لا يبنوا الا على الفعل فهم الى تسوية ذلك مع جحد الاصل في الاستعارة اقرب » (١) . وهذه نظرة بعيدة عن تمحلات الفلسفة وتعليقات المتحذلقين ، وانها لانتفاة حسنة من السكاكى الذى غاص في الفلسفة وعلم الكلام حتى نسي انه يبحث في فن جميل .

وبعد ان انتهى القزوينى من الاستعارة التحقيقية تحدث عن المجاز المركب وهو ما أشرنا اليه سابقا ، ثم عقد فصلا خاصا في « بيان الاستعارة بالكناية والاستعارة التخيلية » (٢) وسبب افرادهما أنهما عنده أمران معنويان غير داخلين في تعريف المجاز .

الاستعارة بالكناية :

وعرّف الاستعارة بالكناية بقوله : « قد يضم التشبيه في النفس فلا يصرح بشيء من أركانه سوى لفظ المشبه ، ويدل عليه بأن يثبت للمشبه أمر مختص بالمشبه به من غير أن يكون هناك أمر ثابت حسا أو عقلا أجري عليه اسم ذلك الامر فيسمى التشبيه استعارة بالكناية أو مكنيا عنها ، واثبات ذلك الامر للمشبه استعارة تخيلية » (٣) .

وقرينة المكنية عنده يجب أن تكون تخيلية ، خلافا للزمخشرى الذى يذهب الى انه ليس من الواجب ان تكون تخيلية ، بل ان تكون حقيقية فان في قوله تعالى : « يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ » (٤) استعارة بالكناية بتشبيه العهد بالحبل والنقض استعارة لابطال العهد ، وبذلك

(١) مفتاح العلوم ص ١٨٢ .

(٢) الايضاح ص ٣٠٩ وما بعدها .

(٣) الايضاح ص ٣٠٩ .

(٤) سورة البقرة ، الآية ٢٧ .

وجد هذا النوع من الاستعارة بدون التخيلية^(١) • وضرب القزويني
لذلك مثلاً قول لبيد :

وغداة ريح قد كشفت ورقة إذ أصبحت بيد الشمال زمامها

فقد أثبت للشمال يد أعلى سبيل التخيل مبالغة في تشبيهها بالإنسان
المصرف لزمامه • وإن الأمر المختص بالمشبه به المثلث للمشبه ، منه
ما لا يكمل وجه الشبه في المشبه به بدونه كما في قول أبي ذؤيب الهذلي :

وإذا المنيّة أنشبت أظفارها الفيت كلّ تميمة لا تنفع

ومنه ما به يكون قوام وجه الشبه في المشبه به كما في قول الشاعر :

فلئن نطقت بشكر برّك مفضحاً فلسان حالي بالشكاية أنطق

وذكر بيت زهير :

صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله وعرّى أفراس الصبا ورواحله

ورأى أنه يحتمل أن يكون استعارة تخيلية ، أو استعارة حقيقية ،
يقول : « أما التخيل فأن يكون أراد أن يبين أنه ترك ما كان يرتكبه
أو أنّ المحبة من الجهل والغي واعرض عن معاودته فتعطلت آلاته كأبي
امر وطنت النفس على تركه فانه تهمل آلاته فتتعطل ، فشبه الصبا بجهة
من جهات المسير كالبحج والتجارة فضي فيها الوطر فأهملت آلاتها
فتعطلت فأثبت له الأفراس والروحل ، فالصبا على هذا من الصبوة
بمعنى الميل إلى الجهل ، والفتوة لا بمعنى الفتاة ، وأما التحقيق فان
يكون أراد دواعي النفوس وشهواتها والقوى الحاصلة لها في استيفاء
الذات ، أو الأسباب التي قلما تتأخذ في اتباع الغي إلا وأن الصبا»^(٢) •

(١) ينظر الكشف ج ١ ص ٩٠ والاطول ج ٢ ص ١٦٣ وحاشية الدسوقي ج ٤ ص ١٥٩

(٢) الإيضاح ص ٣١١ •

والامر في هذا النوع من الاستعارة لا يتعدى التخيل والوهم والتقدير في النفس من غير أن يكون هناك شيء يحس وذات تنحصل^(١) . ولعل تفريق عبد القاهر بين التحقيقية والتخيلية كان من أحسن ما كتب في هذا الموضوع ، فقد ذكر ان الفصل بين القسمين هو أنك اذا رجعت في القسم الاول الى التشبيه الذي هو المغزى من كل استعارة تفيد وجدته يأتيك عفوا ، وان رمته في القسم الثاني وجدته لا يواتيك تلك المواتاة وانما يترأى لك التشبيه بعد ان تخرق اليه سترا ، وتعمل تأملا وفكرا ، وبعد ان تغير الطريقة وتخرج عن الحذو الاول .

وطريقة اخرى في بيان الفرق بين القسمين هو ان الشبه في القسم الاول وصف موجود في الشيء انذى استعرت له ، واليد في « اذ اصبحت بيد الشمال زمامها » ليست توصف بالشبه ولكنه صفة تكسبها اليد صاحبها وتحصل له بها وهي التصرف على وجه مخصوص^(٢) .

والمكنية والتخييلية عند القزويني أمران معنويان أي فعلان من افعال المتكلم القائمة بنفسه ، وهما غير داخلين في تعريف المجاز الذي هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة مانعة ، فالمجاز من عوارض الالفاظ ، وهما عنده ليسا بلفظين لان احدهما التشبيه المضمر والآخر اثبات لوازم المشبه به للمشبه ، وهذا خلاف ما ذكره عبد القاهر والزمخشري والسكاكي ، فقد ذهب الاولان الى ان الاستعارة بالكناية اسم المشبه به المحذوف والمرموز له باثبات شيء من لوازمه للمشبه ، وصرح الزمخشري في تفسير قوله تعالى : « الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ »^(٣) ، أن من اسرار

(١) ينظر اسرار البلاغة ص ٥٣ .

(٢) اسرار البلاغة ص ٥٢ - ٥٨ .

(٣) سورة البقرة ، الآية ٢٧ .

البلاغة ولطائفها أن يسكتوا عن ذكر الشيء المستعار ، ثم يرمزوا اليه
بذكر شيء من روادفه فينبهوا بتلك الرمزة على مكانه ، ونحوه قولك
« شجاع يفترس أقرانه وعالم يفترس منه الناس » (١) .

وذهب السكاكي الى انها لفظ المشبه المستعمل في المشبه به ادعاء
بقريئة استعارة ما هو من لوازم المشبه به لصورة متخيلة متوهمة .
ويستفاد من كلام السكاكي في موضع من مفتاحه انها اسم المشبه به
المحذوف ، يقول : « ويسمى المشبه به - مذكورا أو محذوفا - مستعارا
منه ، واسمه مستعارا ، والمشبه به مستعارا له » (٢) .

وللعصام رأي رابع في الاستعارة بالكناية فقد ذكر بعد أن اورد
رأي القدماء والسكاكي والقزويني ان الاستعارة بالكناية فيما بين
الاستعارات استعارة مقلوبة مبنية على التشبيه المقلوب لكمال المبالغة
في التشبيه فهو ابلغ من المصراحة فكما ان قولنا : « ان السبع كالمنية »
تشبيه مقلوب يعود الغرض منه الى المشبه به ، كذلك أنشبت اظفارها
استعارة مقلوبة استعير بعد تشبيه السبع بالمنية المنية للسبع الادعائي ،
واريد بالمنية معناها بعد جعلها سبعا تنبئها على ان المنية بلغت في الاغتيال
مرتبة ينبغي ان يستعير السبع عنها اسمها دون العكس فالمنية وضعت موضع
السبع (٣) . ورجح الانبائي في حاشيته على الرسالة البيانية رأي
القزويني وجعله مستنبطاً من كلام عبد القاهر (٤) .

الاستعارة التخيلية :

واختلف القوم في الاستعارة التخيلية ، فذهب عبد القاهر
والزمخشري والقزويني الى انها اثبات لازم للمشبه به للمشبه ، ورأى

(١) الكشاف ج ١ ص ٩٠ .

(٢) مفتاح العلوم ص ١٧٤ .

(٣) الاطول ج ٢ ص ١٥٠ .

(٤) بنظر الايضاح (طبعة خفاجي) ج ٥ هامش ص ١٤٠ .

السكاكي انها اسم لازم المشبه به المبتعار الصورة الوهمية التي اثبتت
للمشبه ، وهي عند القزويني حقيقة ، ولفظ الاظفار في قول الشاعر :

واذا المنية أنشبت أظفارها ألفت كل تميمة لا تنفع

مستعمل في معناه الحقيقي وليس مجازا اصلا ، وانما التجوز في
اثباتها للمنية .

حسن الاستعارة :

ووضع البلاغيون لحسن الاستعارة وجمالها شروطا ، يرى عبد
القاهر ان جمالها يعود الى ما توخي في جملتها من نظم ، وما توخي في
وضع الكلام من ترتيب على نحو خاص ، وأخذ لذلك مثلا قول الشاعر:
سالت عليه شعاب الحي حين دعا أنصاره بوجوه كالدنانير

يقول : « فانك ترى هذه الاستعارة على لطفها وغرابتها انما تم لها
الحسن ، وانتهى الى حيث انتهى بما توخي في وضع الكلام من التقديم
والتأخير . وتجدها قد ملحت ولطفت بمعاونة ذلك ومؤازرته لها ، وان
شككت فاعمد الى الجارين والظرف ، فأزل كلا منها عن مكانه الذي
وضعه الشاعر فيه فقل : « سالت شعاب الحي بوجوه كالدنانير عنيه
حين دعا أنصاره » ثم انظر كيف يكون الحال وكيف يذهب الحسن
والحلاوة وكيف تعدم اريحيته التي كانت ، وكيف تذهب انشودة التي
كنت تجدها » (١) .

ويذكر أن سر جمالها ليس في ثقل كلمة من معنى الى معنى ، لأن
ذلك يفقدها قوتها بل يضيع معناها ، لاننا لو نقلنا « الاسد » من معناه
الحقيقي الى معنى الرجل الشجاع لصار معنى « رأيت أسدا » رأيت
رجلا شجاعا فنفقد الاستعارة قوتها ولا تكون أقوى من الحقيقة في

(١) دلائل الاعجاز ص ٧٨ .

شيء ولكن مصدر قوتها انما هي في ادعاء ان الرجل من جنس الاسد
حقيقة له صفاته وطبيعته .

وذهب القزويني مذهباً آخر في التعليل ، ورأى ان من شروط
جمال التحقيقية والتمثيل ان لا تشتم رائحة التشبيه من اللفظ لذلك ينبغي
ان يكون الشبه بين طرفيها جلياً بنفسه او عرّفٍ أو غيره ، وإلا صار
تعمية والغازا لا استعارة وتمثيلاً ، واذا ما قوي الشبه بين الطرفين
بحيث صار الفرع كالاصل لم يحسن التشبيه ، وتعينت الاستعارة ،
ويكون حسن المكني عنها برعاية جهات حسن التشبيه . ولا تخرج عن
هذه القاعدة الا التخيلية فانه يرى ان حسنها بحسب حسن المكني
عنها ، لانها لا تكون الا تابعة لها^(١) .

وبذلك لم يستطع القزويني ان يظهر لنا قيمة الاستعارة كما ينبغي
وكما توحيه وربط بينها وبين التشبيه ، لانه يرى انها مبنية عليه ، وهذا
ما ذهب اليه عبد القاهر فاكد في كتبه انها ليست تخيلاً وانما هي مبنية
على التشبيه ، يقول : « واعلم ان الاستعارة لا تدخل في قبيل التخيل
لان المستعير لا يقصد الى اثبات معنى اللفظة المستعارة ، وانما يعتمد
الى اثبات شبه هناك فلا يكون مخبره على خلاف خبره . وكيف يعرض
الشك في أن لا مدخل للاستعارة في هذا الفن ، وهي كثيرة في التنزيل
على ما لا يخفى كقوله تعالى : « واشتعل الرأس شيباً » ثم لا شبهة
في أن ليس المعنى على اثبات الاشتعال ظاهراً ، وانما المراد اثبات
شبهه^(٢) . وشرح معنى التخيل قائلاً : « وجملة الحديث الذي
أريده بالتخيل ههنا ما ثبت فيه الشاعر أمراً غير ثابت اصلاً ويدعي
دعوى لا طريق الى تحصيلها ويقول قولاً يخدع فيه نفسه ويربها
ما ترى . أما الاستعارة فان سيلاً سبيل الكلام المحذوف في انك اذا
رجعت الى اصله وجدت قائله وهو ثبت أمراً عقلياً صحيحاً ويدعي

(١) بنظر الايضاح ص ٢١٧ .

(٢) اسرار البلاغة ص ٢١٠ .

دعوى لها شبيح في الاصل • وستمرك ضروب من التخيل هي أظهر
أمراً في البعد عن الحقيقة تكشف وجهه في انه خداع للعقل وضرب من
التزويق» (١) •

ويؤكد عبد القاهر على ان الاستعارة ضرب من التمثيل فيقول :
« أما الاستعارة فهي ضرب من التشبيه ونمط من التمثيل » (٢) • وهو
عندما يعلل حسن الاستعارة يذكر ان حسنها يكون على قدر اخفاء
التشبيه ، يقول : « واعلم ان من شأن الاستعارة انك كلما زدت ارادتك
التشبيه اخفاء ازدادت الاستعارة حسنا حتى انك تراها أقرب ماتكون
اذا كان الكلام قد أُلِّفَ تأليفاً ان أردت أن تفصح فيه التشبيه خرجت
الى شيء تعافه النفس ، ويلفظه السمع ومثال ذلك قول ابن المعتز :

أثمرت أغصان راحته بجان الحسّن عتابا

ألا ترى انك إن حملت نفسك على ان تظهر التشبيه ، وتفصح به
احتجت الى ان تقول : أثمرت أصابع يده التي هي كالأغصان لطائي
الحسن شبيه العذاب من اطرافها المخضوبة ، وهذا ما لا تخفى غثائته» (٣) •
ولكنه يرى أن الاستعارة ادعاء وليست نقلا ، لاننا في كثير من الاحيان
نرى في الاستعارة ما لا يتصور تقدير النقل فيه ، يقول : « فقد تبين من
غير وجه أن الاستعارة انما هي ادعاء معنى الاسم للشيء لا نقل الاسم
عن الشيء • واذا ثبت انها ادعاء معنى الاسم للشيء علمت ان الذي
قالوه من انها تعليق للعبارة على غير ما وضعت له في اللغة ونقل لها
عما وضعت له ، كلام قد تسامحوا فيه ، لانه اذا كانت الاستعارة ادعاء
معنى الاسم لم يكن الاسم مزالا عما وضع له بل مقرا عليه» (٤) •

ولم ينس عبد القاهر وهو يتحدث عن حسن الاستعارة ومزيتها

(١) اسرار البلاغة ص ٣١١ •

(٢) اسرار البلاغة ص ٢٦ •

(٣) دلائل الاعجاز ص ٢٤٦ •

(٤) دلائل الاعجاز ص ٢٣٥ ، وتنظر ص ٢٢٢ •

التَّظْمَ الذي شغل نفسه به وأخذ يعيده ويكرره في كتبه ، ويرى أن
حسنها يعود في كثير من الاحيان الى النظم ، وضرب لذلك مثلاً ان
اللفظة الواحدة تستعار في مكان فتكون جميلة حسنة ولكنها تكون
أجمل واحسن اذا استعيرت في مكان آخر ، مثال ذلك ان تنظر الى
لفظة الجسر في قول ابي تمام :

لا يطمع المرء ان يجتاب نجتة بالقول ما لم يكن جسراً له العمل

وقوله :

بصرت بالراحة العظمى فلم ترها تنال إلا على جسر من الشعب

فترى في الثاني حسناً لا نراه في الاول ثم تنظر اليها في قول ربيعة
الرقبي :

قولي نعم ، ونعم إن قلت واجبة قالت: عسى ، وعسى جسر الى نعم

فترى لها لطفاً ، وخلافة ، وحسناً ليس الفضل فيه بقليل « (١) » .

لقد استطاع عبدالقاهر بما أوتي من ذوق وحس مرهفين ومقدرة
على التحليل والتعليل أن يظهر لنا قيمة الاستعارة وميزتها مع انها في
رأيه ورأى القزويني مبنية على التشبيه ، وكان جديراً بالقزويني أن
يستفيد منه في هذه الناحية فيجعل من الاستعارة فنا له قيمته وأثره في
التعبير ، وفي احياء الصور والاختلة الجميلة .

وفكرة بناء الاستعارة على التشبيه مقتبسة من خطابة أرسطو نقلها
قدامة وأشار اليها صاحب « الوساطة » وصاحب « الموازنة » وابن
رشيقي في « العمدة » ، وآمن بها عبد القاهر ومن بعده من علماء
البيان (٢) كالقزويني وشرح تلخيصه . والذي دعاهم الى ذلك نظرة

(١) دلائل الاعجاز ص ٦٢ .

(٢) ينظر عبدالقاهر والبلاغة العربية ص ١١١ .

بعضهم الى المجاز على أنه كذب وقد فرَّقَ عبد القاهر والقزويني بين الاستعارة والكذب ، وانها مبنية على التأويل ونصب القرينة على أن المراد بها خلاف الظاهر ، وذلك ليبتعدا عن هذه الشبهة .

ولا نرى أن تبني الاستعارة على التشبيه لاننا لا نستطيع في كثير من الاحيان أن نثبت في الاستعارة التخيلية ، وانه لمن الخير لهذا الفن أن ينظر اليه نظرة أدبية محضة وان نشير الى ما يوحيه من صور ويبعث من أخيلة ، وقد استطاع ابن رشيق أن يتخلص من سيطرة هذه النزعة ، ورأى انها من التشبيه ولكن بغير اداته وعلى غير أسلوبه ، والتشبيه عنده تخيل وأيهام لا تحقيق وإثبات واقع ، وهو داخل تحت المجاز ، لان المتشابهين في اكثر الاشياء انما يتشابهان بالمقارنة على المسامحة والاصطلاح لا على الحقيقة (١) . ولذلك لا نذهب الى ان الاستعارة من باب التشبيه ، لان كثيرا من اقسامها مبني على التخيل كالتخيلية ، يضاف الى ذلك ان بعض الاستعارات شديدة التخيل بحيث تنوسي فيها التشبيه كالايات التي ذكرت في الاستعارة الترشيحية كقول ابي تمام :

ويصعد حتى يظن الجهول* بأن له حاجة في السماء

وقول ابن الرومي :

يا آل نوبخت لاعدمتكم
إن صح علم النجوم كان لكم
كم عالم فيكم وليس بأن
أعلاكم في السماء مجدكم
شافهتم البدر بالسؤال عن الـ
ولا تبدلت بعدكم بدلا
حقا اذا ما سواكم اتحلا
قاسى ، ولكن بان رقى فعلا
فلستم تجهلون ما جهلا
أمر الى ان بلغتم زحلا

(١) ينظر العمدة ج ١ ص ٢٦٨ .

وقول بشار :

اتنى الشمس زائرة ولم تك تبرح الفلكا

وقول المتنبي :

ولم أرتبلي من مشى البدر نحوہ ولا رجلا قامت تعانقه الأسد

وقد ذكر القزويني نفسه ان الترشيح مبناه على التناسي ، وليس من البعيد ان تكون الاستعارة كلها مبنية عليه ، يقول : « والترشيح ابلغ من التجريد لاشتماله على تحقيق المبالغة ، ولهذا كان مبناه على تناسي التشبيه » (١) . وبذلك نخلص من تقدير التشبيه الذي يكون في كثير من الاحيان قبيحا لا قيمة له ، ونخلص انفسنا من النقاش في بعض الاستعارات وهل هي تشبيه ام استعارة .

(١) الايضاح ص ٣٠٢ .

انواع اخرى من المجاز :

بحث علماء البلاغة المتأخرون كثيرا من المعاني المجازية في غير بحث المجاز أو علم البيان ، وعلّة ذلك انها جاءت في اماكن لا علاقة لها بعلم البيان في نظرهم كبحثهم الخروج على مقتضى الظاهر ، ومعاني الفنون الانشائية ، وبعض فنون البديع . ونرى ان هذه الموضوعات تختص ببحث المجاز . ولا نبعد كثيرا في هذا الرأي او نخالف البلاغيين ، لانهم صرحوا بهذا و اشاروا اليه ، ولعل ابن قتيبة اقدم من اشار الى ذلك حينما عقد بابا في « مخالفة ظاهر اللفظ معناه »^(١) . وذكر خروج الدعاء ، والاستفهام ، والامر الى معان آخر غير مطلوب بها المعنى الحقيقي ، فالدعاء يأتي على جهة الذم كقوله تعالى : « قَتَلَ الْإِنْسَانَ مَا أَكْفَرَهُ »^(٢) . والتعجب مثل : « قَاتَلَ اللَّهُ مَا أَحْسَنَ مَا قَالَ » . والاستفهام يكون للتقرير كقوله تعالى : « أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي الْهَيْنَ مِنْ دُونِ اللَّهِ »^(٣) ، وللتعجب كقوله : « عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ » . عن النبا العظيم^(٤) ، والتوبيخ كقوله : « أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ فِي الْعَالَمِينَ »^(٥) ، والامر يكون للتهديد كقوله : « اعْمَلُوا مَا

(١) ينظر تاويل مشكل القرآن ص ٢١٣ وما بعدها .

(٢) سورة عبس ، الآية ١٧ .

(٣) سورة المائدة ، الآية ١١٦ .

(٤) سورة النبا الايتان ١ ، ٢٤ .

(٥) سورة الشعراء ، الآية ١٦٥ .

شِئْتُمْ»^(١) ، وللتأديب كقوله : «وأشهدوا دَوِيَّ عَدْلٍ مِنْكُمْ»^(٢) وقوله : « واهْجَرَوْهِنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ »^(٣) وللإباحة كقوله : « فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا »^(٤) . ومنه عام يراد به خاص ، وجمع يراد به واحد واثنان ، وواحد يراد به جميع ، ووصف الجميع بصفة الواحد .

وأشار ابن قيم الجوزية الى هذه الناحية وعقد فصلا في التجوز في الافعال وفصلا في التجوز بالحروف^(٥) . وقرر ان الخروج عن الظاهر مجاز ، ولذلك عد منه التجوز بالماضي عن المستقبل ، والتعبير بالمستقبل عن الماضي ، وان خروج الخبر والانشاء مجاز . وذهب ابعده من هذا فذكر رأي من يذهب الى ان التقديم والتأخير مجاز ، لان فيه تقديم ما رتبته التأخير كالمفعول ، وتأخير ما رتبته التقديم كالفاعل والمفعول به في نقل كل واحد منهما على رتبته وحقه^(٦) .

وقال النفتازاني عن ادوات الاستفهام : « ثم ان هذه الكلمات الاستفهامية كثيرا ما تستعمل في غير الاستفهام مما يناسب المقام بمعونة القرائن ، وتحقيق كيفية هذا المجاز وبيان انه من اي نوع من أنواعه مما لم يحتم احد حوله »^(٧) .

وقال السبكي بعد ان تكلم على خروج الكلام على مقتضى الظاهر : « لعلك تقول غالب ما سبق او كله من انواع المجاز ومحلّه علم البيان ، فالجواب ان الامر كذلك ولكن جرت عادة اكثرهم بذكر هذه الانواع في هذا العلم فتبعناهم ، وتداخل علم البيان وعلم المعاني

(١) سورة فصلت ، الآية ٤٠ .

(٢) سورة الطلاق ، الآية ٢ .

(٣) سورة النساء ، الآية ٢٤ .

(٤) سورة النور ، الآية ٢٣ .

(٥) الفوائد ص ٣٢ وما بعدها .

(٦) الفوائد ص ٨٢ .

(٧) المطبول ص ٢٣٥ .

كثير»^(١) . وذهب الى ان بعض انواع البديع مجاز كالمشاكلة ،
والتورية المرشحة ، والاستخدام^(٢) .

وذهب العصام الى ان الخبر عندما يخرج عن معناه يكون مجازا
لاستعماله في غير ما وضع له ويحتمل بعضها الكناية^(٣) .

وذهب ابن يعقوب المغربي الى ان اغراض الانشاء والخبر مجاز
له علاقة وان في المشاكلة ، والتورية مجازا^(٤) .

وبحث السيوطي المجاز اللغوي او المجاز المفرد ، وقسّمه الى
أنواع كثيرة وأدخل فيه خروج الخبر والانشاء الى معان مجازية ،
وأشار الى من يذهب الى ان التقديم والتأخير ، والتأكيد ، والالتفات ،
والتغليب من المجاز^(٥) .

وفصلّ الدسوقي الكلام في هذه الموضوعات ، وذهب الى أن
معظم الخروج عن الظاهر مجاز مرسل ، وبذلك اكمل ما اشار اليه
التفتازاني من ان هذا البحث لم يحم حوله احد .

ولاجل هذا سنجمع البحوث المتعلقة بالمجاز في هذا الفصل بعد
ان فرقها القزويني في مواضع مختلفة ، فذكرها في علم المعاني تارة وفي
علم البيان اخرى .

مجاز الحذف والزيادة :

واول ما نبدأ بذكره هنا مجاز الحذف والزيادة ، فقد ذكرهما
القزويني في علم البيان بعد مناقشة السكاكي وقال ان الكلمة كما
توصف بالمجاز لنقلها عن معناها الاصلي توصف به لنقلها عن اعرابها

(١) عروس الافراح ج ١ ص ٤٩٣ .

(٢) ينظر عروس الافراح ج ٤ ص ٣١١ ، ٣٢٥ ، ٣٢٧ .

(٣) الاطول ج ١ ص ٢٥٣ .

(٤) مواهب المفتاح ج ٢ ص ٣٣٧ ، وج ٤ ص ٣٠٩ ، ٣٢٢ .

(٥) الاتقان في علوم القرآن ج ٢ ص ٣٦ وما بعدها

الاصلي الى غيره لحذف لفظ او زيادة لفظ ، فالحذف كقوله تعالى :
« واسأل القرية » (١) أي أهل القرية فاعراب القرية في الاصل هو
انجر فحذف المضاف واعطي المضاف اليه اعرابه ، والزيادة كقوله تعالى:
« ليس كمثله شيء » (٢) على القول بزيادة الكاف أي: ليس مثله شيء .
وليس كل حذف او زيادة توجب وصف الكلمة بالمجاز ، وانما يكون
كذلك اذا اوجب الحذف او الزيادة تغيير الاعراب ، فان كان الحذف او
الزيادة لا يوجب تغيير الاعراب نحو قوله تعالى : « أو كصيبٍ من
السماء » (٣) وقوله : « فبما رحمةٍ من الله لنت لهم » (٤) فلا
توصف بالمجاز (٥) . وقد ذهب السكاكي الى ان الموصوف بالتجوز
المذكور والمسمى بلفظ المجاز هو نفس الاعراب ، فالنصب في القرية
مثلا يوصف بانه تجوز فيه بنقله لغير محله ، لان القرية بسبب التقدير
في محل جر ، وقد اوقع فيها النصب . ويسمى ذلك الاعراب بنفسه
مجازا لما وقع التجوز فيه ورأيه فيه ان يعد ملحقا بالمجاز ، ومشبهها له
لما بينهما من الشبه وهو اشتراكهما في التعدي عن الاصل الى غير أصل ،
لا ان يعد مجازا ، ولاجل هذا لم يذكر حده شاملا (٦) .

والمسمى بالمجاز الموصوف بالتجوز عند القزويني هو الكلمة
المعربة لا اعرابها ، ويرى المغربي ان هذا هو الاقرب لوجهين :

أحدهما : كون مدلول لفظ المجاز في الموضعين هو الكلمة بخلاف
اطلاقه على الاعراب ، فانه يقتضي مخالفة في المدلولين اذ يكون لفظ
المجاز هنا كيفية الكلمة لا نفسها ، ومدلولها فيما تقدم نفس الكلمة .

وثانيهما : ان اطلاق لفظ المجاز على الاعراب كما هو ظاهر كلام

(١) سورة يوسف ، الآية ٨٢ .

(٢) سورة الشورى ، الآية ١١ .

(٣) سورة البقرة ، الآية ١٩ .

(٤) سورة آل عمران ، الآية ١٥٩ .

(٥) الايضاح ص ٣١٧ - ٣١٨ .

(٦) مفتاح العلوم ص ١٨٥ .

السكاكى سببه كما تقدم ان الاعراب وقع في غير اصله ، وذلك ربما يدعى ظهوره في النقصان لان المقدر كالمذكور ، فالقرية في قوله تعالى « واسأل القرية » حكمها الجر بتقدير المضاف فقد وقع النصب في محل الجر الذي هو الاصل بسبب التقدير الذي هو الذكر ، فصح ان الاعراب في النقصان الذي يستدعي التقدير في غير محله فيسمى مجازاً (١) .

وبالغ عبدالقاهر في التكبير على من اطلق القول بوصف الكلمة بالمجاز للحذف او الزيادة ، ولكن السيوطى يرى ان المشهور في الحذف انه من المجاز وان انكره بعضهم ، لان المجاز استعمال اللفظ في غير موضعه والحذف كذلك (٢) . والى هذا ذهب الرماني وابن رشيق ، يقول الاخير وهو يتحدث عن الايجاز : « والضرب الثاني بما ذكره الرماني وهو قول الله عز وجل : « واسأل القرية » يسموته الاكتفاء وهو داخل في باب المجاز » (٣) .

الخروج على مقتضى الظاهر :

وثانيهما : الخروج على مقتضى الظاهر ، وهو ما ذكره القزويني في علم المعاني فقد يخرج المسند اليه على مقتضى الظاهر فيوضع المضمرة موضع المظهر كما في باب « نعم وبئس » مثل : « نعم رجلا زييد » و « بئس رجلا عمرو » . وكما في ضمير الشأن والقصة نحو قوله تعالى : « قتل هو الله أحد » (٤) ، وقوله : « إني لا يفلح الكافرون » (٥) وقوله : « فإنيها لا تعمي الأبصار » (٦) .

(١) مواهب المفتاح ج ٤ ص ٢٢٤ - ٢٢٥ .

(٢) ينظر اسرار البلاغة ص ٤٥٧ ، والاتقان في علوم القرآن ج ٢ ص ٤٠ .

(٣) العمدة ج ١ ص ٢٥١ .

(٤) سورة الاخلاص ، الآية ١ .

(٥) سورة الانعام ، الآية ١٣٥ .

(٦) سورة الحج ، الآية ٤٦ .

وقد يعكس فيوضع المظهر موضع المضمر ، فان كان المظهر اسم
اشارة فذلك اما لكمال العناية بتمييزه لاختصاصه بحكم بديع كقوله :

كم عاقلٍ عاقلٍ أعيت مذاهبه وجاهلٍ جاهلٍ تلقاه مرزوقا
هذا الذي ترك الاوهام حائرة وصيرَّ العالم النحريرَ زنديقا

واما للتهكم بالسامع كما اذا كان فاقد البصر ، او لم يكن ثم مشار
اليه اصلا . واما للنداء على كمال بلاذته بانه لا يدرك غير المحسوس
بالبصر ، أو على كمال فطاطته بان غير المحسوس بالبصر عنده
كالمحسوس عند غيره . واما لادعاء انه كمل ظهوره حتى كأنه
محسوس بالبصر .

وان كان المظهر اسم اشارة فالعدول اليه عن المضمر اما لزيادة
التمكين كقوله تعالى : « قل هو الله احد . الله الصمد » . واما لادخال
الروع في ضمير السامع وتربية المهابة . واما لتقوية داعي المأمور ،
مثالهما قول الخلفاء : « أمير المؤمنين يأمرُك بكذا » . واما للاستعطف
كقولهِ :

إِلهي عبدُك العاصي أتاكَا مقرأً بالذنوب وقد دعاكَا

وقد يخرج غير المسند اليه على مقتضى الظاهر كقول الشاعر :
تعالتِ كي أشجى وما بك علةٌ ثريدين قنلي قد ظفرت بذليكا
وكقوله تعالى : « وبالحق أنزلناه ، وبالحق نزل » (١) وقوله :
« فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ ، فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ
ظَلَمُوا » (٢) . وقول الشاعر :

إِنْ تَسْأَلُوا الْحَقَّ نَعَطِ الْحَقَّ سَائِلُهُ والدرع محقبة والسيف مقروب

(١) سورة الاسراء ، الآية ١٠٥ .

(٢) سورة البقرة ، الآية ٥٩ .

ومن الخروج على مقتضى الظاهر التعبير عن المستقبل بلفظ المضي
تنبيها على تحقق وقوعه وان ما هو للوقوع كالواقع كقوله تعالى :
« وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَنْزِعُ مِنَ فِي السَّمَاوَاتِ ، وَمَنْ فِي
الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ » (١) .

ومثله التعبير عنه باسم الفاعل كقوله تعالى : « وَإِنَّ الدِّينَ
لَوَاقِعٌ » (٢) . وكذا اسم المفعول كقوله تعالى : « ذَلِكَ يَوْمٌ
مَجْمُوعٌ لِهَ النَّاسِ ، وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ » (٣) وهذا ما تكلم
عليه ابن الاثير ووعده من الالتفات .

وذهب بعضهم الى ان تخريج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر
من باب الكناية ، وقيل انه من قبيل الاستعارة بالكناية والتخييل ، ولكن
الدسوقي يقول : « والحق انه لا يقال فيه شيء من ذلك ، لان المجاز
والكناية انما هو اعتبار المعاني التي يوضع لها اللفظ ، وهذا بخلاف
ذلك اذ لم يستعمل اللفظ فيه لانها معان عرضية » .

وادخل القزويني في هذا البحث الالتفات والاسلوب الحكيم والقلب
وهو عند غيره من البديع .

الانشاء المجازي :

وثالثها : خروج الانشاء عن معانيه ، فان الفاظ الاستفهام تستعمل في
معان غير معانيه بحسب ما يناسب المقام منها : الاستبطاء كقوله تعالى :
« حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ ، مَسَى نَصْرُ اللَّهِ ؟ » (٤) .
والتعجب كقوله : « مَا لِي لَا أَرَى الْهُدَى هُدًى ؟ » (٥) . والتنبيه على الضلال

(١) سورة النمل ، الآية ٨٧ .

(٢) سورة الداريات ، الآية ٦ .

(٣) سورة هود ، الآية ١٠٣ .

(٤) سورة البقرة ، الآية ٢١٤ .

(٥) سورة النمل ، الآية ٢٠ .

كقوله : « فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ » (١) . والوعيد كقوله : « أَلَمْ نَهْلِكِ
 الأولينَ » (٢) . والامر كقوله : « فَهَلْ أَنتُمْ مُسْلِمُونَ » (٣) والتقرير
 كقوله تعالى : « أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِالْهَتَانِ يَا إِبْرَاهِيمُ » (٤) .

ويرى القزويني ان الهمزة هنا يجوز ان تكون على اصلها اذ ليس
 في السياق ما يدل على انهم كانوا عالمين بأنه عليه السلام هو الذي كسر
 الاصنام (٥) . والانكار اما للتوبيخ نحو : « أَعصيت ربك » ، او للتكذيب
 بمعنى : « لم يكن » كقوله تعالى : « أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ
 مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا » (٦) ، أو بمعنى « لا يكون » كقوله تعالى :
 « أَتَلْزَمُكُمْ مَكْمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ » (٧) . وعليه قول امرئ القيس :

أَيَقْتَلِنِي وَالْمَشْرِفِيُّ مَضْجَعِي وَمَسْنُونَةٌ زُرُّقٌ كَأَنْيَابِ أَغْوَالٍ

ومن مجيء الهمزة للانكار قوله تعالى : « أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ
 عَبْدَهُ » (٨) .

وقول جرير :

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمُطَايَا وَانْدَى الْعَالَمِينَ بَطُونَ رَاحٍ

والتهكم كقوله تعالى : « أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ
 آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ » (٩) .

والتحقير كقولك : « من هذا؟ » . والتهويل كقراءة ابن عباس رضي

- (١) سورة التكويد ، الآية ٢٦ .
- (٢) سورة المرسلات ، الآية ١٦ .
- (٣) سورة هود ، الآية ١٤ .
- (٤) سورة الانبياء ، الآية ٦٢ .
- (٥) الايضاح ص ١٣٨ .
- (٦) سورة الاسراء ، الآية ٤٠ .
- (٧) سورة هود ، الآية ٢٨ .
- (٨) سورة الزمر ، الآية ٣٦ .
- (٩) سورة هود ، الآية ٨٧ .

الله عنهما: « وَلَقَدْ تَجَبْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُثْمِنِ • مِنْ فِرْعَوْنَ » (١) بلفظ الاستفهام •

والاستبعاد كقوله : « أَتَى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ • ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ ، وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ » (٢) •

والتوبيخ والتعجب جميعا كقوله : « كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ » (٣) • وتستعمل صيغة الامر ، في غير طلب الفعل مجازا بحسب مناسبة المقام كالأباحة في قول كثير :

أسيئي بنا أو أحسنني لاملومة لدينا ولا مقلية ان ثقلتِ

والتهديد كقوله تعالى : « اَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ » (٤) • والتعجيز كقوله : « فَاتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ » (٥) • والتسخير كقوله : « كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَرَدَةً خَاسِئِينَ » (٦) • والأهانة كقوله : « كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَرَدَةً أَوْ حَرَدَةً خَاسِئِينَ » (٧) • والتسوية كقوله : « أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ » (٨) • والتمني كقول امرئ القيس :

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلى بصبح وما الاصبح منك بأمثل

والدعاء كقوله تعالى : « رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدِي » (٩) •

(١) سورة الدخان ، الآيتان ٣٠ ، ٣١ •

(٢) سورة الدخان ، الآيتان ١٣ ، ١٤ •

(٣) سورة البقرة ، الآية ٢٨ •

(٤) سورة فصلت ، الآية ٤٠ •

(٥) سورة البقرة ، الآية ٢٣ •

(٦) سورة البقرة ، الآية ٦٥ •

(٧) سورة الاسراء ، الآية ٥٠ •

(٨) سورة التوبة ، الآية ٥٣ •

(٩) سورة نوح ، الآية ٢٨ •

والالتماس كقولك لمن يساويك في الرتبة : « أفل » بدون الاستعلاء ،
والاحتقار كقوله تعالى : « أَلْتَقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْتَقُونَ » (١) .

• ويستعمل النهي في غير معناه كالتهديد وغيره .

وتستعمل صيغة النداء في غير معناه مجازاً ، كالأغراء في قولك لمن
أقبل يتظلم : « يا مظلوم » ، والاختصاص في قولهم : « أنا أفل كذا أيها
الرجل » .

ويقع الخبر موقع الانشاء للتفاؤل أو لاطهار الحرص في وقوعه
وغير ذلك (٢) .

ولم يذكر القزويني علاقات المجاز في هذه الأنواع ، ولعل
الدسوقي كان من أول من فصل فيها ، فذكر أن معظم هذه الفنون مجاز
مرسل له علاقة .

التغليب :

ورابعها : التغليب الذي عدته التفتازاني ، والدسوقي من المجاز ،
يقول الأخير : « وبالجملة فالتغليب اما مجاز مرسل علاقته الجزئية أو
المصاحبة ، او من قبيل عموم المجاز » (٣) .

(١) سورة يونس ، الآية ٨٠ .

(٢) الإيضاح ص ١٣٠ - ١٤٧ .

(٣) حاشية الدسوقي ج ٢ ص ٥١ ، وينظر المطول ص ١٥٩ .

الكناية

للكناية عدة معانٍ ، فقد جاءت بمعنى الضمير ، والكنية ، وبمعناها الاصطلاحي . وذكرت أنواعها في الكتب الأولى ، وبقي مدلولها لغويا حتى ضبطها عبد القاهر بقوله : « الكناية أن يريد المتكلم اثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ، ولكنه يجيء الى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومي به اليه ويجعله دليلا عليه» (١) .

والكناية لون من ألوان الخيال ، وقد عني بها نقاد العرب ، وعرفوا لها مكاتنها في الايضاح والتأثير ، ويرى ابن الاثير أنها جزء من الاستعارة ولا تأتي الا على حكمتها خاصة ، لان الاستعارة لا تكون الا بحيث يطوى ذكر المكنى عنه . ونسبتها الى الاستعارة نسبة خاص الى عام فيقال : كل كناية استعارة ، وليس كل استعارة كناية ، فالكناية وان كانت جزءاً من الاستعارة الا ان بينهما ثلاثة فروق : الخصوص والعموم ، والتصريح وعدمه ، والحمل على جانب الحقيقة والمجاز . ومن هنا قد يأتي ما يجوز أن يكون كناية ، ويجوز أن يكون استعارة وذلك يختلف باختلاف النظر اليه بمفرده والنظر الى ما بعده كقول نصر ابن سيار :

أرى خلك الرماد وميض جمرٍ ويوشك أن يكون له ضرامٌ
فان النارَ بالزندانِ ثورِي وان الحرب أوثقها كلامٌ

(١) دلائل الإعجاز ص ٥٢ .

أقول من التعجب: ليت شعري أيقاظ أمية أم نيام؟
فإن هبوا فذاك بقاء ملك وإن رقدوا فاني لا أنام

فالبيت الاول لو ورد بمفرده كان كناية ، لانه يجوز حمله على
جانب الحقيقة وحمله على جانب المجاز ، أما الحقيقة فانه أخبر أنه رأى
وميض جمر في خلل الرماد وأنه سيضطرم ، وأما المجاز فانه أراد أن
هناك ابتداء شرٍ كامنٍ ومثله بوميض جمر من خلل الرماد . واذا
نظرنا الى الايات جملتها أختص البيت الاول منها بالاستعارة دون
الكناية (١) .

وقسم ابن الاثير الكناية الى ما يحسن استعماله ، وما يقبح ،
وقسّم الاول الى التمثيل ، والارداف ، والمجاورة . ولكنه عاد وأنكر
التقسيم الاخير في « المثل السائر » ، ورأى انه غير صحيح ، لان شرط
التقسيم أن يكون كل قسم منه مختصا بصفة خاصة تفصله عن عموم
الاصل . واكتفى بتقسيمها الى ما يحسن استعماله ، وما لا يحسن .
ووضح ما يراد من التمثيل والارداف والمجاورة (٢) .

ولم يفرق كثيرون بين الكناية والتعريض ، ولكن الزمخشري فرق
بينهما وجعل كلا منهما قائما بنفسه ، يقول : « فان قلت : أي فرق بين
الكناية والتعريض ؟ قلت : الكناية أن تذكر الشيء بغير لفظه له كتقولك :
« طويل النجاد والحمائل » لطويل القامة و « كثير الرماد » للمضياف .

والتعريض أن تذكر شيئا تدل به على شيء لم تذكره ، كما يقول
للمحتاج اليه « جئتك لاسلم عليك ولا نظر الى وجهك الكريم »
ولذلك قالوا :

وحسبك بالتسليم مني تقاضيا

(١) المثل السائر ج ٢ ص ١٩٧ .

(٢) ينظر المثل السائر ج ٢ ص ١٩٩ وما بعدها . والجامع الكبير ص ١٥٦ وما بعدها

وكأنه احالة الى عرض يدل على الغرض ، ويسمى : « التلويح ،
لانه يلوح منه ما يريد »^(١) .

وشدد ابن الاثير النكير على من خلط بينهما كالغانمي ، وابن
سنان ، وأبي هلال ، وذهب الى ان لكل منهما حدا خاصا ، وأغراضا
معينة . والكناية عنده « كل لفظة دلت على معنى يجوز حمله على
جانبي الحقيقة والمجاز بوصف جامع بين الحقيقة والمجاز »^(٢) .

والتعريض : « هو اللفظ الدال على الشيء من طريق المفهوم لا
بالوضع الحقيقي ولا المجازي »^(٣) .

فالفرق بينهما ان الكناية تشمل اللفظ المفرد والمركب معا فتأتي على
هذا تارة وعلى هذا أخرى ، أما التعريض فانه يختص باللفظ المركب
ولا يأتي في اللفظ المفرد البتة ، والدليل على ذلك أنه لا يفهم المعنى فيه
من جهة الحقيقة ولا من جهة المجاز ، وانما يفهم من جهة التلويح
والاشارة ، وذلك لا يستقل به اللفظ المفرد ، ولكنه يحتاج في الدلالة
عليه الى اللفظ المركب .

وكان على السكاكي وهو المولع بالتحديد والتقسيم أن يفرق بين
الكناية والتعريض ، ولكنه لم يفعل واكتفى بان قال : « متى كانت
الكناية عرضية على ما عرفت كان اطلاق اسم التعريض عليها مناسبا ،
وإذا لم تكن كذلك نظر ، فان كانت ذات مسافة بينها وبين المكنى عنه
متباعدة لتوسط لوازم كما في كثير الرماد وأشباهه كان اطلاق اسم
التلويح عليها مناسبا ، لان التلويح هو ان تشير الى غيرك عن بعد ، وان
كانت ذات مسافة قريبة مع نوع من الخفاء كنحو عريض القفا ، وعريض
الوسادة كان اطلاق اسم الرمز عليها مناسبا »^(٤) . وذكر أن التعريض

(١) الكشاف ج ١ ص ٢١٥ .

(٢) المثل السائر ج ٢ ص ١٩٤ .

(٣) المثل السائر ج ٢ ص ١٩٨ .

(٤) مفتاح العلوم ص ١٩٤ .

يكون على سبيل الكناية تارة وعلى سبيل المجاز تارة اخرى •

وسار القزويني على خطا السكاكي ، ولم يخرج عما كتبه عن الكناية ، يقول : « الكناية : لفظ أريد به لازم معناه مع جواز ارادة معناه حينئذ » (١) • وفرّق بينها وبين المجاز على أساس هذا التعريف أي من جهة ارادة المعنى مع ارادة لازمه ، لان المجاز يتنافى مع ذلك ، ورفض ما ذهب اليه السكاكي من أن الفرق بينهما هو أن مبنى الكناية على الانتقال من اللازم الى الملزوم ومبنى المجاز على الانتقال من الملزوم الى اللازم • يقول : « وفيه نظر ، لان اللازم ما لم يكن ملزوما يمتنع ان ينتقل منه الى الملزوم فيكون الانتقال حينئذ من الملزوم الى اللازم • ولو قيل : « اللزوم من الطرفين من خواص الكناية دون المجاز أو شرط لها دونها اندفع هذا الاعتراض ، لكن اتجه منع الاختصاص والاشتراط » (٢) •

رأي القزويني :

والكناية عند القزويني واسطة بين الحقيقة والمجاز ، اما عند السكاكي فهي حقيقة لاستعمال اللفظ في معناه وان اريد منه لازم ذلك المعنى • وذهب ابن الاثير الى ان « الكناية ما جاز حمله على جانب الحقيقة كما يجوز حمله على جانب المجاز » (٣) •

وعلى المتأخرون مذهب القزويني فقال الدسوقي : « الكناية اخرجها بناء على انها واسطة لا حقيقة ولا مجاز ، أما انها ليست حقيقة فلأنها كما سبق اللفظ المستعمل فيما وضع له والكناية ليست كذلك ، وأما انها ليست مجازا فلأنه اشترط فيه القرينة المانعة عن ارادة الحقيقة ، والكناية ليست كذلك ، ولهذا اخرجها من تعريف المجاز » (٤) •

(١) الابضاح ص ٢١٨ •

(٢) الابضاح ص ٢١٩ •

(٣) المثل السائر ج ٢ ص ٢١٠ •

(٤) حاشية الدسوقي ج ٤ ص ٢٦ •

وقد لخص السيوطي المذاهب المختلفة في الكناية ، يقول : «الكناية وفيها اربعة مذاهب :

أحدها : أنها حقيقة ، قاله ابن عبد السلام ، وهو الظاهر ، لانها استعملت فيما وضعت له ، واريد بها الدلالات على غيره •

الثاني : أنها مجاز •

الثالث : أنها لا حقيقة ولا مجاز ، واليه ذهب صاحب التلخيص لمنعه في المجاز أن يراد المعنى الحقيقي مع المجازي وتجويزه ذلك فيها •

الرابع : وهو اختيار الشيخ تقي الدين السبكي ، أنها تقسم الى حقيقة ومجاز ، فان استعملت اللفظ في معناه مرادا من لازم المعنى أيضا فهو حقيقة ، وان لم يرد المعنى بل عبر بالملزوم عن اللازم فهو مجاز لاستعماله في غير ما وضع له « (١) •

وقسم القزويني الكناية الى ثلاثة أقسام :

الاول : الكناية المطلوب بها غير صفة ولا نسبة ، ومنها ما هو معنى واحد كقول الشاعر كناية عن القلب :

الضارين بكل أبيض مخدّمٍ والطاعنين مجامعَ الاضغانِ

وبيت البحترى :

فاتبعتهما أخرى فأضلت نصلها بحيث يكون اللبُّ والرعبُ والحقدُ

ومنها ما هو مجموع معانٍ كقولنا كناية عن الانسان : « حي مستوي القامة ، عريض الاطفار » •

الثاني : المطلوب بها صفة ، وهي ضربان قريبة وبعيدة ، والقريبة ما ينتقل منها الى المطلوب بها لا بواسطة ، وهي اما واضحة كقولهم

(١) الاثنان ج ٢ ص ٤١ •

كناية عن طویل القامة : « طویل نجاده ، وطویل النجاد » • ومنها
قول الحماسي :

أبت الروادفُ والثدىُ لقمصها مسَ البطون وأن تمسَّ ظهورا

واما خفية كقولهم كناية عن الابله : « عريض القفا » •
والبعيدة ما ينتقل منها الى المطلوب بها بواسطة ، كقولهم كناية عن
الابله : « عريض الوسادة » فانه ينتقل من عرض الوسادة الى عرض
القفا ومنه الى المقصود • وكقوله :

وما يك فيَّ من عيبٍ فاني جانُ الكلبِ مهزولُ الفصيلِ

ومن هذا النوع قول نصيب :

لعبد العزيز على قومه وغيرهم ممن ظاهره
فبابك أسهلُ أبوابهم وداركُ مأهولةٌ عامره
وكلبك أنس بالزائرين من الأمِّ بالابنةِ الزائره

الثالث : المطلوب بها نسبة كقول زياد الاعجم :

إن السماحةَ والمروءةَ والندی في قبَّةٍ ضربت على ابنِ الحشرجِ

ونظيره قولهم : « المجد بين ثوبيه ، والكرم بين برديه » • وهذا
النوع من الكناية جعله عبد القاهر من قبيل المجاز الاسنادي ، وأنشد
عليه قول يزيد بن الحكم يمدح يزيد بن المهلب وهو في سجن الحجاج :

أصبح في قيدك السماحة والمج دُ وفضلُ الصلاح والحسبِ^(١)

وأشار القزويني الى انه قد يظن أن هنا قسما رابعا ، وهو أن

(١) دلائل الاعجاز ص ٢٢٨ ، وينظر عروس الافراح ج ٤ ص ٢٥٨ •

يكون المطلوب بالكنية الوصف والنسبة معا كما يقال : « يكثر الرماد في ساحة عمرو » في الكناية عن أن عمراً مضيافاً . يقول : « وليس بذلك ، اذ ليس ما ذكر بكنية واحدة بل هو كنيانان : أحدهما عن المضيافية ، والثانية : عن اثباتها لعمرو » (١) .

هذه هي اقسام الكناية التي ذكرها السكاكي والقزويني ، وقال السبكي أن الطيبي ذكر نوعاً من الكناية وهو اختصاص الموصوف بالصفة واعاده السبكي الى الانواع الاخرى ، وذكر ان الزمخشري استنبط نوعاً من الكناية وهو أن يعمد الى جملة معناها على خلاف الظاهر فيأخذ الخلاصة منها من غير اعتبار مفرداتها بالحقيقة أو المجاز . ولكن السبكي يرى أن يكون هذا من الاستعارة بالتمثيل كما في قوله تعالى : « والأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ » (٢) .

وليس في هذه التقسيمات فائدة كبيرة ، ونرى ان نعود الى تقسيم ابن الاثير فنقسمها الى ما يحسن استعماله ، وما لا يحسن ، ونضع لها بعض القواعد والاصول ، وبذلك نخلص البلاغة من كثرة التقسيمات ، واضطراب المصطلحات ، واختلاف البلاغيين فيها .

وقل القزويني ما ذكره السكاكي من ان الكناية تتفاوت الى تعريض ، وتلويح ، ورمز ، وايماء ، واشارة ، فان كانت عرضية فالمناسب أن تسمى تعريضاً ، والا فان كان بينها وبين المكنى عنه مسافة متباعدة لكثرة الوسائط كما في « كثير الرماد » وأشباهه فالمناسب أن تسمى تلويحاً ، لان التلويح هو أن تشير الى غيرك عن بعد ، والا فان كان فيها نوع خفاء فالمناسب ان تسمى رمزا ، لان الرمز هو ان تشير الى قريب منك على سبيل الخفية ، والا فالمناسب ان تسمى ايماء واطاراة كقول أبي تمام يصف ابلا :

(١) الابيضاح ص ٢٢٧ .

(٢) سورة الزمر ، الآية ٦٧ . ينظر عروس الانراج ج٤ ص ٢٦١ - ٢٦٢ .

أبين فما يَزِرْ رَنَ سَوَى كَرِيمٍ وحسبك أن يزرن أبا سعيد

والكناية صور مختلفة لا يمكن حصرها ، وقد صدق عبد القاهر
حينما قال : « وليس لشعب هذا الاصل ، وفروعه ، وأمثله ، وصوره ،
وطرقه ، ومسالكه ، حداثته ونهاية » (١) .

والتعريض قد يكون مجازا مثل « آذيتني فستعرف » وأنت
لا تريد مخاطب ، بل تريد انسانا معه ، وان اردتهما جميعا كان كناية .

اهمية الكناية :

وليس في بحث القزويني ما ينفع في دراسة الكناية على اعتباراتها
لون من ألوان الخيال ، ووسيلة من وسائل التعبير . ولعل ما كتبه ابن
الاثير في « الجامع الكبير » و « المثل السائر » يعنى الباحث في هذا
الموضوع ، فقد جعل لهذا الفن روحا ، وبعث فيه حياة ، فاذا بالكناية
صور متحركة ، واذا بالامثلة توحى بكل بديع عجيب .

وليت المتأخرين استفادوا مما ذكره ابن الاثير ، وتركوا ما كتبه
السكاكي والقزويني وراءهم ظهريا .

قيمة هذه الفنون :

وبعد أن أتتهى القزويني من بحث المجاز والكناية ذكر ان البلغاء
اطبقوا على أن المجاز أبلغ من الحقيقة ، وان الاستعارة ابلغ من
التصريح بالتشبيه ، وان التمثيل على سبيل الاستعارة ابلغ من
التمثيل لا على سبيل الاستعارة ، وان الكناية ابلغ من الافصاح
بالذكر .

ولم يأت القزويني بجديد في ذلك ، وانما لخص ما ذكره عبد
القاهر في « دلائل الاعجاز » و « اسرار البلاغة » . وليته نقل عنه

(١) دلائل الاعجاز ص ٥٤١ .

تحليله للامثلة وتعليقه عليها، ووقوفه عند مواطن الجمال وتحسسها^(١) ولكنه اعرض عنه واكتفى بذكر تنف قليلة لا تدل على شيء، ولا تزيد المجاز والكناية قيمة، أو تجعل لها أثرا في التعبير، وان كان ما ذكره الحق • يقول السبكي: « وبالجملة، الذي قاله المصنف هو الحق ولكنه لم يتوصل اليه بطريقة » (٢) •

ولا يرى الاستاذ الخولى قيمة في تعليل القزويني والتقدماء للبلاغة والمجاز والكناية، وأن تعليقاتهم لا تخرج عن الاحكام القضائية، يقول بعد ان ذكر آراءهم: « يقولون هذا ثم لا يعللون شيئا منه كله إلا بالفكرة السابقة في تأكيد المدح بما يشبه الذم من قولهم: « انه كدعوى الشيء بيّنة »، ويعودون الى الاستدلال والتلازم والافتكاك • وشهد الله والادباء وأولو الفن أن ليس شيء من ذلك الاستدلال، ولا تلك البيّنة، ولا هاتيك الشهادة قد مرّ بخاطر القائل أو السامع، أو وجدته نفس ادبية، ولو كانت العرب انما تصوغ عباراتها، وتبتدع أساليبها على هذا المنوال من الاستدلال القضائي، لكانت عبارة التوثيقات المؤكدة، ولغة الشهادات المسهبة هي الفصحى، ولوجب أن تكون هي لغة المعجزة القرآنية، ولكن العرب لم تفعل ذلك ولا قام عليه ذوقها الفني • ولعل الاعتبار النفسية في تداعى المعانى وتجاذب الصور ونحو ذلك مما يكشف حسن هذه التعابير ويجسم ناحية القوة فيها دون برهان ولا اعادة ولا قضاة او احتجاج » (٣) •

وما ذهب اليه الاستاذ الخولى أمر ينبغي أن يؤخذ به، ويستفاد منه في البلاغة، لا سيما بعد أن اصبح لعلم النفس أثر في الدراسات الادبية والنقدية في هذه الايام •

(١) ينظر دلائل الاعجاز ص ٥٦ وما بعدها بشأن المجاز و ص ٢٢٧ و ٢٤٣ وما بعدها بصدد الكناية •

(٢) عروس الافراح ج ٤ ص ٢٨١ •

(٣) مناهج تجديد ص ١٩٨ •

الفصل الرابع

علم البديع

١

في اللفظة :

جاء في لسان العرب :

« بدع الشيء يبدعه بدعا ، وابتدعه : أنشأه ، وبدأه • وبدع الركية : استنبطها واحدها • وركى بديع : حديثه الحفر • والبديع والبديع : الشيء الذي يكون أولا ، وفي التنزيل : « قُلْ مَا كُنْتُ بِدِعًا مِنَ الرُّسُلِ » (١) • أي : ما كنت اول من ارسل ، قد ارسل قبلي رسل كثير • والبدعة : الحدث وكل محدثة • والبديع : المحدث العجيب ، والبديع والمبدع • وابتدعت الشيء اخترعته لا على مثال ، والبديع من اسماء الله تعالى لا بداعه الاشياء واحداه اياها ، وهو البديع الاول قبل كل شيء • وسقاء بديع : جديد ، وكذلك زمام بديع ، وأنشد ابن

(١) سورة الاحقاف ، الآية ٦ .

الاعرابى في السقاء لابي محمد الفقعي :

نضحن ماء البدن المرسي نضح البديع العنق المصفرا

وحبل بديع : جديد ° والبديع المتدع والمتبتدع ، وشيء
ابدع - بالكسر - أي متبوع ، وابدع الشاعر : جاء بالبديع (١) °

أثره والبديع :

ولا يخرج معنى كلمة البديع في المعاجم الاخرى عن معنى الجودة
والبراعة ، وقد كان الرواة اول من اطلق معنى البديع على المستطرف
الجديد من الفنون الشعرية ، وعلى بعض الصور البيانية التي يأتي
بها الشعراء في اشعارهم فتزيدها حسنا وجمالا ، يقول الجاحظ معلقا
على بيت الاشهب بن رميلة :

همُّ ساعدُ الدهرِ الذي يُستقى به وما خيرُ كفٍّ لا تنوءُ بساعد

« قوله - هم ساعد الدهر - انما هو مثل ، وهذا الذي تسميه
الرواة البديع » (٢) ° وقد دفعه غلوه في حب العرب والرد على
الشعوية الحاقدة الى ان يقول : « والبديع مقصور على العرب ، ومن
أجله فاقت لغتهم كل لغة ، وأربت على كل لسان » (٣) °

المولدون والبديع :

وكان المولدون من شعراء الدولة العباسية قد أكثروا في أشعارهم
من الصور البيانية التي سماها الجاحظ « البديع » ° فكلثوم بن
عمرو يذهب بشعره هذا المذهب ، وقد تبعه كثير من الشعراء كمنصور
النمري ، ومسلم بن الوليد الانصاري ، وبشار بن برد ، وابن هرمة °

(١) لسان العرب (بدع) .

(٢) البيان والتبيين ج٤ ص ٥٥ .

(٣) البيان والتبيين ج٤ ص ٥٥ ، وينظر ج١ ص ٥١ .

وهذه ظاهرة ليست عجيبة غريبة بعد أن خرج العرب من جزيرتهم وأتصلوا بالعالم ، ودخلت حياة الترف مجتمعهم الجديد وتأقنوا في حياتهم المعاشية ، فكان لا بد أن يصطبغ أدبهم بهذه الصبغة الجديدة وأن يكثر الشعراء في شعرهم من البديع . وقد حمل لواء هذا الاتجاه بشار ، وابن هرمة ، وابو تمام ، وأضرابهم من الشعراء . وشاع هذا الاتجاه في الادب ، ولج المولدون في استعماله ، وتباهوا بانهم السابقون اليه مما حدا بالخليفة العباسي الشاعر عبد الله بن المعتز ان يؤلف كتاب « البديع » ، ليعلم ان بشار ومسلما و ابا نواس ومن تقيهم (١) ، وسلك سبيلهم لم يسبقوا الى هذا الفن ، ولكن كثري اشعارهم فعرف في زمانهم حتى سمي بهذا الاسم ، فأعرب عنه ودل عليه ، وليعرف أن المحدثين لم يسبقوا المتقدمين الى شيء من ابواب البديع - (٢) .

اول كتاب في البديع :

وظن بعض الباحثين أن كتاب البديع كان أول مؤلف في البلاغة يتناول الادب تناولا فنيا ، يقول الدكتور بدوي طبانة : « انه اول كتاب يتناول الادب تناولا فنيا » (٣) . ويقول توري عن ابن المعتز : « وكتابه الذي يعد فتحا جديدا هو البديع » (٤) .

والواقع ان كتاب البديع لم يكن فتحا جديدا في البلاغة ، وانما كان خطوة جديدة في تقدمها وتطورها ، فقد سبقه الجاحظ بما كتب فيها وان لم يكن بحثه مبويا كتبويب ابن المعتز . وسبقه ابن قتيبة الذي نظم قسما كبيرا من موضوعات البلاغة في كتابه « تأويل مشكل القرآن » . وبحث استاذُه ثعلب البلاغة بطريقة لا تختلف عن

(١) تقييل : اشبه .

(٢) البديع ص ١ - ٣ .

(٣) دراسات في نقد الادب العربي ص ١٧٧ .

(٤) دائرة المعارف الاسلامية ج ١ ص ٢٨٠ مادة « ابن المعتز » .

طريقته كثيرا ، ولعل عدم اطلاع بعض الباحثين على كتابي « تأويل
مشكل القرآن » لابن قتيبة ، و « قواعد الشعر » لثعلب ، كان
سبب اعتبار بديع ابن المعتز فتحا جديدا .

وليس البديع عند ابن المعتز ما تعارف عليه المتأخرون من وجوه
تحسين الكلام اللفظية والمعنوية ، وانما هو معنى واسع أو مصطلح
عام تنطوي تحته كثير من موضوعات البلاغة كالاستعارة ، والجناس ،
والكناية ، والتشبيه ، والطباق .

وعاصر قدامة^٢ بن جعفر الشاعر ابن المعتز ، وجمع من البديع
أنواعا كثيرة كالتصريح ، والسجع ، والجناس ، والطباق ، والالتفات ،
ولكنه لم ينظر اليه غير نظرة معاصره . وتبعهما في ذلك ابو هلال
العسكري ، وعقد الباب التاسع من « كتاب الصناعتين » في شرح
البديع . وهو عنده مختلف الصور البيانية من استعارة ، وتعريض ،
وتطريز ، وتشطير . ولم يهتم علي بن عبد العزيز الجرحاني باصناف
البديع ، ولم يذكر منها الا انواعا قليلة ، ويبدو انه يسمي جميع فنون
القول بديعا كما كان الباقلاني يسميه .

واهتم المغاربة بالبديع اهتماما كبيرا ، وكان أشهر من كتب فيه
ابن رشيق ، ويقصد به فنون البلاغة كلها .

ولم يفرق ابن سنان بين موضوعات البلاغة وكان معاصره عبد
القاهر مثله ، فهو في كتابه « أسرار البلاغة » أطلق البديع على
التشبيه ، والتمثيل ، والاستعارة ، وعلى سائر أقسام البديع كالتجنيس ،
والحشو ، والطباق ، وحسن التعليل ، ويسمى هذه الموضوعات
— وبحوثا اخرى دخلت في علم المعاني — : « بيانا » في كتابه « دلائل
الاعجاز » . فكلمتا البيان والبديع متقاربتا المعنى عند عبد القاهر ،
ولم يكن لهما المدلول الخاص الذي اطلقه السكاكي والمتأخرون .

وزاد الاهتمام بالبديع في القرنين السادس والسابع ، واختلف

اتجاه اهل الشام ومصر عن المشاركة في بحثه ، فالبديع وان كان في هذا العصر يميل الى الشكلية اكثر من اتجاهه الى المعنى ، فأن اهل مصر والشام كانوا في بحثهم يعتمدون على الذوق الادبي ، وكان ابن منقذ وابن أبي الاصبع المصري خير من يمثل هذا الاتجاه .

ولم يهتم المشاركة بالبديع كما اهتم به المغاربة ، فالزمخشري — مثلا — لم يذكر منه الا انواعا قليلة جدا ، وتابعه المطرزي وغيره في هذا الاتجاه .

البديع عند السكاكي :

وكان للبيئة المشرقية التي عاش فيها السكاكي أثرٌ في بحثه انواع البديع ، فلم يهتم به اهتماما كبيرا ، ولعله كان ينظر اليه نظرة عبد القاهر والزمخشري وغيرهما ممن اهتم بعلمي المعاني والبيان ، ولم يذكر في البديع الا ستة وعشرين نوعا ، ويرى انه اكثر من هذا ، يقول : « فلك ان تستخرج من هذا القبيل ما شئت ، وتلقب كلاً من ذلك بما احببت » (١) ولم يُسمَّ السكاكي هذا القسم من البلاغة بديعا ، وانما هو محسنات أو وجوه كثيرا ما يصار اليها لقصد تحسين الكلام ، ولم يحدد معنى هذه المحسنات كما حدد بقية المصطلحات . وكان الذي اطلق مصطلح البديع على المحسنات بدر الدين بن مالك (٦٨٦ هـ) وقال عنه : « هو معرفة توابع الفصاحة » (٢) وقسمه الى ثلاثة اقسام .

ولم يدخل السكاكي البديع في البلاغة ، لانها عنده تختص بعلمي المعاني والبيان ويتضح هذا من تعريفه البلاغة ، يقول « البلاغة هي بلوغ المتكلم في تأدية المعاني حداله اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها ، وايراد أنواع التشبيه ، والمجاز ، والكناية ، على وجهها » (٣) .

(١) مفتاح العلوم ص ٢٠٤ .

(٢) المصباح ص ٧٥ .

(٣) مفتاح العلوم ص ١٩٦ .

وبعد ان انتهى من بحث المعاني والبيان قال : « واذ قد تقرر ان البلاغة بمرجعها ، وان الفصاحة بنوعها مما يكسو الكلام حلة التزين ، ويرقيه أعلى درجات التحسين ، فها هنا وجوه مخصوصة كثيرا ما يصار اليها لقصد تحسين الكلام ، فلا علينا ان نشير الى الاعرف منها وهى قسمان : قسم يرجع الى المعنى ، وقسم يرجع الى اللفظ » (١) .

فمن القسم الاول : المطابقة ، والمقابلة ، والمشاكله ، ومراعاة النظر ، والمزاوجة ، واللف والنشر ، والجمع ، والتفريق ، والتقسيم ، والجمع مع التفريق ، والجمع مع التقسيم ، والجمع مع التفريق والتقسيم ، والابهام ، وتأکید المدح بما يشبه الذم ، والتوجيه ، وسوق المعلوم مساق غيره ، والاعتراض ، والاستتباع ، والاتفات ، وتقليل اللفظ .

ومن القسم الثاني التجنيس ، ورد العجز الى الصدر ، والقلب ، والسجع ، والفواصل ، والترصيع .

البديع عند القزويني :

وكان هذا من السكاكي فتحا جديدا في تقسيم البلاغة ، وفصل المعاني والبيان ، وتبعه القزويني وفصل البديع فصلا تاما عن البلاغة ، وجعلها محصورة في المعاني والبيان ، يقول : « إنَّ البلاغة في الكلام مرجعها الى الاحتراز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد والى تمييز الكلام الفصيح من غيره ، والثاني اعني التمييز منه ما يثبت في علم متن اللغة ، أو التصريف ، أو النحو ، أو يدرك بالحس ، وهو ما عدا التعقيد المعنوي ، وما يحترز به عن الاول أعني الخطأ هو علم المعاني ، وما يحترز به عن الثاني أعني التعقيد المعنوي هو علم البيان ، وما يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه

(١) مفتاح العلوم ص ٢٠٠ .

على مقتضى الحال وفصاحته هو علم البديع» (١) .

وقال عن البديع : « هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد
رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة » (٢) .

والبديع - عنده - ضربان : ضرب يرجع الى المعنى ، وضرب
يرجع الى اللفظ . وقد تكلم في الاول على المطابقة ، والمقابلة ، ومراعاة
النظير ، والارصاد ، والمشاكلة ، والاستطراد ، والمزاوجة ، والعكس
والتبديل ، والرجوع ، والتورية ، والاستخدام ، واللف والنشر ، والجمع
والتفريق ، والتقسيم ، والجمع مع التفريق ، والجمع مع التقسيم ، والجمع
مع التقسيم والتفريق ، والتجريد ، والمبالغة والمذهب الكلامي ، وحسن
التعليل ، والتفريع ، وتأکید المدح بما يشبه الذم ، وتأکید الذم بما
يشبه المدح ، والاستتباع والادماج ، والتوجيه ، والهزل الذي يراد به
الجد ، وتجاهل العارف ، والقول بالموجب ، والاطراد .

وتكلم في الثانى على الجناس ، ورد العجز على الصدر ، والسجع ،
والموازنة ، والقلب ، والتشريع ، ولزوم ما لا يلزم .

والقروينى في هذا يتابع السكاكى في تقسيمه الى هذين النوعين ،
ولكنه زاد عليه فعدّ من المعنوى ثلاثين ضربا في «التلخيص» وواحداً
وثلاثين في «الايضاح» ليس من بينها الالتفات ، والاعتراض ، والايجاز
والاطناب . واكتفى بذكرها في علم المعاني ، وجعل الطباق مشتملا على
المقابلة متأثرا بابن سنان .

والفنون البديعية التى زادها على ما ذكر السكاكى في المعنوية :
الارصاد ، والعكس ، والرجوع ، والاستخدام ، والتجريد ، والمبالغة ،
والمذهب الكلامى ، وحسن التعليل ، والتفريع ، وتأکید الذم بما يشبه
المدح ، والادماج ، والهزل الذى يراد به الجد ، والقول بالموجب ،

(١) الايضاح ص ١١ .

(٢) الايضاح ص ٣٣٤ .

والاطراد ، والاستطراد • وزاد على المحسنات اللفظية : الموازنة ،
والتشريع ، ولزوم ما لا يلزم •

وذكر القزويني أن أصل المحسنات في القسم اللفظي أن تكون
الالفاظ تابعة للمعاني ، فإن المعاني اذا ارسلت على سجيبتها وتركت وما
تريد ، طلبت لانفسها الالفاظ ولم تكتسب إلا ما يليق بها ، فإن كان
خلاف ذلك كان كما قال أبو الطيب :

اذا لم تشاهد غيرَ حَسَنِ شِياتِها وَاَعْضائِها فَالْحَسَنُ عَنكَ مُعَيَّبٌ

وذكر رأيه في المتأخرين واهتمامهم بالبديع فقال : « وقد يقع في
كلام بعض المتأخرين ما حمل صاحبه فرط شغفه بامور ترجع الى ما له
اسم في البديع على ان ينسى انه يتكلم ليفهم ، ويقول لبيّن ، ويخيل
اليه انه اذا جمع عدة من اقسام البديع في بيت فلا ضير أن يقع ما عناه
في عمياء ، وأن يوقع السامع من طلبه في خبط عشواء » (١) •

وذكر أن بعضهم يذكر اشياء في البديع لا قيمة لها ، وقد تركها
لعدم دخولها في فن البلاغة نحو ما يرجع في التحسين الى الخط دون
اللفظ على انه لا يخلو من التكلف ككون الكلمتين متماثلتين في الخط ،
وكون الحروف منقوطة أو غير منقوطة ، ونحو ما لا أثر له في التحسين
كما يسمى الترديد • أو لعدم جدواه نحو ما يوجد في كتب بعض
المتأخرين مما هو داخل فيما ذكره ، كما سماه الايضاح فانه في الحقيقة
راجع الى الاطناب • أو خلط فيه كما سماه حسن البيان ، كما انهم
يدخلون فيه ما يخص السرقات ، وحسن الابتداء ، والتخلص ، والانتهاء •
وقد عقد لها فصلين ختم القزويني بهما كتابه •

إن البديع عند القزويني وغيره يعود على الكلام بالتحسين العرضي
لا الذاتي ، مع ان كثيرا من الوان البديع يقتضيها الحال ، ويحتاج اليها

(١) الايضاح ص ٤٠٠ - ٤٠١ •

الاديب في شعره وثره • وقد استطاع الدكتور حفني محمد شرف ان يظهر ذلك فعرض في كتابه : « ابن ابي الاصبع المصري بين علماء البلاغة » لالوان منه هي : صحة التقسيم ، والطباق ، والتسليم ، واللف والنشر • وانتهى الى أن " تحسينها ذاتي لا عرضي ، وختم كلامه بقوله : « ولعلي بعد سياقة تلك النصوص ، وهذه الامثلة أن " أكون قد ألقيت شيئا من الوضوح على ذلك الغموض الذي اكتنف البديع فاعتبروه ذيلا من ذيول البلاغة ، وجعلوا تحسينه عرضيا لا ذاتيا » (١) •

المتأخرون والبديع :

وسار أكثر البلاغيين على خطاه ، وخالفه بعضهم ، يقول السبكي معلقا على تعريف القزويني للبديع : « يحتمل أن يراد بعد معرفة رعاية تطبيقه وضوح الدلالة ، ويكون المراد هو قواعد يعرف بها وجوه التحسين ووجوه التطبيق والوضوح ، ومعرفة التطبيق والوضوح سابقان على معرفة التحسين فيكون المعاني والبيان جزأين للبديع • ويحتمل ان يراد قواعد يعرف بها بعد معرفة التطبيق والوضوح وجوه التحسين ، فلا يكون المعاني والبيان جزأين للبديع بل مقدمتين له • وقد صرحوا بان المراد هو الاول •

والحق الذي لا ينازع فيه منصف ان البديع لا يشترط فيه التطبيق ولا وضوح الدلالة ، وان كل واحد من تطبيق الكلام على مقتضى الحال ومن الايراد بطرق مختلفة ، ومن وجوه التحسين قد يوجد دون الاخرين • وأول برهان على ذلك انك لا تجدهم في شيء من أمثلة البيان يتعرضون لاشتماله على التطبيق والايراد ، بل تجد كثيرا منها خاليا عن التشبيه ، والاستعارة ، والكناية ، التي هي طرق علم البيان • هذا هو الانصاف وان كان مخالفنا لكلام الاكثرين » (٢) •

(١) ابن ابي الاصبع المصري بين علماء البلاغة ص ٩٤ •

(٢) عروس الافراج ج ٤ ص ٢٨٣ - ٢٨٤ •

واضطربوا في توزيع فنون البديع ، فوضع قسم منها في علم المعاني ، وأعيد بحثه في علم البديع . وعلّة ذلك انهم كانوا ينظرون اليه من زاويتين الأولى : انّ تحسينه عرضي ، والثانية : انّ تحسينه ذاتي . فان كان من الاول فهو من البديع ، وان كان من الثاني فهو من علم المعاني . والى ذلك اشار الدسوقي بقوله : « واعلم ان المحسنات البديعية انما يكون تحسينها عرضيا اذا اعتبرت من حيث انها محسنة ، وهي من هذه الجهة يبحث عنها في علم البديع ، واما اذا اعتبرت من حيث انها مطابقة لمقتضى الحال لكون الحال اقتضاها كانت موجبة للحسن الذاتي ، ومن هذه الجهة يبحث عنها في علم المعاني ، ولهذا ذكر المصنف فيه الالتفات الذي هو من المحسنات البديعية » (١) .

وكان ابن يعقوب المغربي قد ذهب الى هذا من قبل وقال : « ان البديعيات اذا قصد بها مناسبة الاحوال التي اوردت لاجلها عادت معاني . والمعاني اذا ذهل عن تلك المناسبات فيها واتي بها لاجل ظرافتها فقط كانت بديعيات » (٢) .

ولكنّ المتأخرين لم يحاولوا ان يصلحوا من منهج القزويني في البديع ، وان وضع بعضهم بديعيات تكلموا فيها على فنون البديع المختلفة واكدوا على البديع بصورة خاصة ، وساروا على هذا المنهج حتى عصرنا الحديث . وإِنَّه لمن المفيد حقا ان يعاد النظر فيه ، لان العصر الحاضر لن يستغني عن دراساته ما دام مقياسا بلاغيا جماليا يقاس به أدبنا الموروث وأدبنا الحديث .

لقد وقفت دراسة البديع عند القزويني وشرايح تلخيصه ، ولم تتسع الا على يدي ابن حجة الحموي صاحب « خزنة الادب » ، ويلاحظ ان القزويني لم يقدم جديدا في هذا الفن البلاغي . وكل ما فعله توزيع موضوعاته على المحسنات المعنوية واللفظية ، وبذلك

(١) حاشية الدسوقي ج ١ ص ١٢١ .

(٢) مواهب الفتح ج ٣ ص ٢٢٤ .

أوقف هذا الفن البديع ، وجعله هياكل لا تغني ولا تفيد في دراسة
الادب وتقده . ولكن الباحث - مع ذلك - يستفيد كثيرا من
مصطلحات البديع عنده ، لانها الصورة الاخيرة التي وقفت عندها كما
يستفيد من بعض التقسيمات والامثلة التي عرضها ، وهي استفادة
لا بأس بها .

نموذجان :

ولكي نعطي صورة واضحة عن البديع عند القزويني نعرض
نموذجين منه .

التقسيم :

فمن قسم المحسنات المعنوية التقسيم ، وهو أول أبواب قدامة بن
جعفر . وهذا ليس مذهبا عربيا في النقد ، وإن كان الشعراء وغيرهم
يستعملونه في اساليبهم ، وانما نقلوه عن حكماء اليونان وهو من اوائل
مباحث المنطق ^(١) . ولكن ابن الاثير حينما يتكلم عليه يميز بين
نوعين منه :

الاول : ما تقتضيه القسمة العقلية كما يذهب اليه المتكلمون
كقولهم : « الجواهر لا تخلو اما ان تكون مجتمعة ، أو مفترقة ، أو لا
مجتمعة ولا مفترقة ، أو مجتمعة ومفترقة معا ، أو بعضها مجتمعة وبعضها
مفترقة . وهذه القسمة صحيحة من حيث العقل لاستيفاء الاقسام
جميعا ، وان كان بعضها ما يستحيل وجوده .

والثاني : ما يقتضيه المعنى مما يمكن وجوده من غير ان يترك
قسم واحد ^(٢) . وهذا ما يبحثه علماء البيان ، أما القسم الاول فلا دخل
له في البحوث البلاغية ، لانه يقتضي اشياء مستحيلة وقد استفاد منه

(١) ينظر نقد الشعر ص ٧٠ ، وقدامة بن جعفر والنقد الادبي ص ٢٤١ وما بعدها.

(٢) المثل السائر ج ٢ ص ٣٠٤ .

علماء الصرف في انقسة العقلية وذكروا أبنية لا وجود لها في كلام العرب .

واختلفت العبارات في التقسيم ، ولكنها كلها راجعة الى هدف واحد ، ويرى ابن حجة ان كلام ابن ابي الاصبع اكثرها دلالة عليه وبذلك يعجبه تعريفه : « التقسيم عبارة عن استيفاء المتكلم اقسام المعنى الذي هو آخذ فيه بحيث لا يغادر منه شيئاً » (١) . ويبدو انه لم يعجب بتعريف القزويني في « التلخيص » و « الايضاح » ، فقد قال عنه : انه « ذكر متعدد ثم اضافة ما لكلٍ اليه على التعيين » (٢) . كقول ابي تمام :

فما هي الا الوحي أو حده مرهفٍ تميل ظباه أخذعي كل ماثلٍ
فهذا دواء الداء من كل عالم وهذا دواء الداء من كل جاهلٍ

وقل تعريف السكاكي وشواهدة ، وانتهى الى ان التقسيم أعم من اللف والنشر . وقد يأتي في الكلام جمع مع تفريق وذلك ان يدخل شيئان في معنى واحد ، ويفرق بين جهتي الادخال كقول الوطواط :

فوجهك كالنارِ في ضوءها وقلبي كالنارِ في حرّها

ومنه قوله تعالى : « وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ ، فمحونا آيةَ الليلِ ، وَجَعَلْنَا آيةَ النَّهَارِ مِثْبُورَةً » (٣) .

وقد يجيء جمع مع تقسيم ، وهو جمع متعدد تحت حكم ، ثم تقسيمه ، أو تقسيمه ثم جمعه فالاول كقول المتنبي :

حتى أقام على أرباض خرسنة تشقى به الرومُ والصلبانُ والبيعُ
للسبي ما نكحوا ، والقتل ما ولدوا والنهب ما جمعوا ، والنار ما زرعو

(١) بديع القرآن ص ٦٥ ، وخزانة الادب ص ٣٦٢ .

(٢) الايضاح ص ٢٥٨ .

(٣) سورة الاسراء ، الآية ١٢ .

والثاني كقول حسان :

قوم اذا حاربوا ضرّوا عدوهم أو حاولوا النفعَ في أسياعهم تفعلوا
سجيةً تلك منهم غيرٌ محدثةٍ إنَّ الخلائقَ فاعلم شرها البدعُ

وقد يكون في الكلام الجمع مع التفريق والتقسيم كقوله تعالى :
« يَوْمَ يَأْتِي لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِأَذْنِهِ ، فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ .
فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ خَالِدِينَ فِيهَا
مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ، إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ
لِّمَا يُرِيدُ . وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ
السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُوذٍ » (١) .

وقد يطلق التقسيم على امرين :

أحدهما : ان يذكر احوال الشيء مضافا الى كل حال ما يليق بها
كقول المتنبي :

سأطلب حَقِّي بالقنا ومشايخٍ كأنهم من طول ما التشموا مرّ دُ
تقال " اذا لاقوا ، خفاف " اذا دعوا كثير " اذا شدوا ، قليل " اذا عُدشوا

والثاني : استيفاء أقسام الشيء بالذكر كقوله تعالى : « ثُمَّ أَوْرَثْنَا
الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ، فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ، وَمِنْهُمْ
مُقْتَصِدٌ ، وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْذُنِ اللَّهِ » (٢) . وقول نصيب :

فقال فريق القوم : لا ، وفريقهم : نعم ، وفريق : لا يمن الله ما ندرى

ولم يتكلم القزويني على فساد التقسيم ، مع أن قدامة بن جعفر
عقد له باباً ، وجعل هذا الفساد أنواعاً منها : التكرار ، كقول هذيل

(١) سورة هود ، الآيات ١٠٥ - ١٠٨ .

(٢) سورة فاطر ، الآية ٢٢ .

الاشجعي :

فما برححت^٥ تومي إلي^٦ بطرفها وتومض أحيانا اذا خصمها غفل^٧

لان « تومض » و « تومي بطرفها » متساويان في المعنى •
ودخول أحد القسمين في الآخر كقول أحدهم :

ابادر اهالك مستهلك^٨ لما لي أو عبث العابث^٩

ف « عبث العابث » داخل في « اهالك مستهلك » •

أو أن يكون القسمان مما يجوز دخول أحدهما في الآخر كقول أبي
عدي القرشي :

غير ما أن^{١٠} اكون نلت نوالا^{١١} من نداها عفوا ولا مهنيا

ف « العفو » قد يجوز ان يكون مهنيا ، و « المهني » قد يجوز ان
يكون عفوا •

أو ان يترك بعض الاقسام مما يحتمل الواجب تركه ، كقول جرير
في بني حنيفة :

صارت حنيفة أثلاثا فثلثهم^{١٢} من العبيد وثلث من موالها^(١)

ويلاحظ أن القزويني لم يستطع ان يوضح قيمة هذا الفن
البديعي ، أو أن يشير الى اهميته في الكلام مع ان قدامة بن جعفر
وغيره من علماء البلاغة المتقدمين تحدثوا عنه ، وذكروا أقسامه
وأمثلته الرائعة •

(١) ينظر نقد الشعر ص ١١٩ ، وقدامة بن جعفر والنقد الادبي ص ٢٤٤ - ٢٤٦ .

الجناس :

ومن المحسنات اللفظية الجناس ، وهو فن قديم عرف قبل أن يؤلف ابن المعتز بديعه ، حيث ألف الاصمعي « كتاب الاجناس » ، وكانت فكرة تشابه الالفاظ في الشكل تراود ذهنه . وتبعه القاسم بن سلام ، « وكان الجناس بعينه ضمن قضية اللفظ والمعنى التي اثارها بيان القرآن »^(١) ، يقول ابن المعتز عنه : « هو ان تجيء الكلمة تجانس اخرى في بيت شعر وكلام ، ومجانستها لها ان تشبهها في تأليف حروفها »^(٢) .

وأصبح الجناس أحد الفنون التي يدير فيها البلاغيون أقلامهم ، ويذكرونها في كتبهم ، وهو عند بعضهم « غرة شادخة في وجه الكلام »^(٣) .

وشرّقوا في بحثه وغرّبوا ، واختلفوا فيما بينهم . وأهتم المشاركة ببحثه ، وفصّل فيه رشيد الدين الوطواط ايما تفصيل ، وقسّمه الى سبعة اقسام : التجنيس التام ، والتجنيس الناقص ، والتجنيس الزائد ، والتجنيس المركب ، والتجنيس المكرر ، والتجنيس المطرف ، وتجنيس الخط »^(٤) .

واستفاد السكاكي منه ، وتابعه القزويني في معظم تقسيماته ، وإن كان قد أجاد في بحثه وذكر امثله ، يقول : « الجناس بين اللفظين وهو تشابههما في اللفظ »^(٥) ، وقسّمه الى : التام وهو ان يتفق اللفظان في أنواع الحروف وأعدادها وهيئاتها وترتيبها ، فان كانا من نوع واحد كاسمين سمي مماثلا كقوله تعالى : « ويوم تقوم الساعة يُقسّم

(١) اثر القرآن في تطوير النقد العربي ص ٢٢٣ .

(٢) البديع ص ٥٥ .

(٣) المثل السائر ج ١ ص ٢٤٦ .

(٤) حدائق السحر في دقائق الشعر ص ٩٤ وما بعدها .

(٥) الايضاح ص ٣٨٢ .

المجرمونَ ما لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ» (١) • وان كانا من نوعين كاسم
وفعل سمي مستوفى كقول أبي تمام :

ما مات من كرمِ الزمانِ فانه يحيا لدى يحيى بن عبدالله

ونحوه قول الآخر :

وسميته يحيى ليحيا فلم يكن الى رَدِّ أمرِ الله فيه سبيل

وإن كان أحد لفظي التام مركبا سمي جناس التركيب ، ثم ان كان
المركب منهما مركبا من كلمة وبعض كلمة سموه مرفوعاً كقول الحريري :

ولا تله عن تذكاري ذنبك وابكه بدمع يحاكي الوبل حال مصابه
ومثل لعينيك الحمام ووقعه وروعة ملقاه ، ومطعم صابه

وإلا فان اتفقا في الخط سمي متشابهاً كقول أبي الفتح البستي :

إذا ملك لم يكن ذاهبه فدعه فدولته ذاهبه

وإن اختلفا سمي مفروقا كقول أبي الفتح :

كلكم قد أخذ الجا م ولا جام لنا
ما الذي ضرَّ مدير ال جام لو جاملنا

وإن اختلفنا في هيات الحروف سمي محرفا ، والاختلاف قد
يكون في الحركة كقوله تعالى : « ولقد أرسلنا فيهم مُنذِرِينَ •
فانظروا كيف كان عاقبة المُنذِرِينَ » (٢) • وقد يكون في الحركة
والسكون كقولهم : « البدعة شركُ الشركِ » ، وقول أبي العلاء :

والحُسن يظهر في بيتين رونقه بيت من الشعر أو بيت من الشعير

(١) سورة الروم ، الآية ٥٥ •

(٢) سورة الصافات ، الايتان ٧٢ ، ٧٣ •

وإن° اختلغا في اعداد الحروف سمي ناقصا ، ويكون ذلك على وجهين :

أحدهما : ان يخلتفا بزيادة حرف واحد في الاول كقوله تعالى : « والتفتت الساقُ بالساقِ إلى ربك يومئذ المساقُ »^(١) ، أو في الوسط كقولهم : « جدي جهدي » ، أو في الآخر كقول أبي تمام :

يَمدون من أيدي عواصٍ عواصمٍ
تصول باسيافٍ قواضٍ قواضبٍ

وقد يسمى هذا مطرفا •

والثاني : ان يخلتفا بزيادة أكثر من حرف واحد ، كقول الخنساء :

إن° البكاءَ هو الشفا ءٌ من الجوى بين الجوانح

وربما سمي هذا الضرب مذيلا •

وان اختلفا في انواع الحروف اشترط ان لا يقع الاختلاف باكثر من حرف ، ثم الحرفان المختلفان ان كانا متقاربين سمي الجناس مضارعا ويكونان اما في الاول كقول الحريري « بينى وبين كنى ليل دامس وطريق طامس » • واما في الوسط كقوله تعالى « وهُمٌ يَسْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ »^(٢) • واما في الآخر كقول النبي (ص) : « الخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيامة » وان كانا غير متقاربين سمي لاحقا ، ويكونان في الاول كقوله تعالى « وَيَلْ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ »^(٣) • واما في الوسط كقوله : « ذلكم بما كنتم تفرحون

(١) سورة القيامة ، الايتان ٢٩ ، ٣٠ •

(٢) سورة الانعام ، الآية ٢٦ •

(٣) سورة الهمزة ، الآية ١ •

في الأرضِ بغيرِ الحقِّ وبما كنتم تَمْرَحُونَ» (١) • واما في الآخر
كقوله « واذا جاءهم أمر من الامن » • وقول البحترى :

هل لما فات من تلاقٍ تلافٍ أم لشاكٍ من الصبابةِ شافٍ

وان اختلفا في ترتيب الحروف سمي جناس القلب وهو ضربان :
قلب الكل كقولهم : « حسامه فتح لأوليائه، حنف لاعدائه»، وقلب البعض
كما جاء في الخبر : « اللهم استر عوراتنا ، وآمن من روعاتنا » • وعليه
قول المتنبي :

مُتَنَعَةٌ مُنَعَمَةٌ رَدَاحٌ يكلف لفظها الطيرَ الوقوعا

واذا وقع احد المتجانسين جناس القلب في اول البيت والآخر في
آخره سمي : مقلوبا مجنحا ، واذا ولي احد المتجانسين الآخر سمي
مزدوجا ومكررا ومرددا ، كقوله تعالى : « وجئتُكَ من سَبَأٍ نَبَأٍ
يَقِينٍ » (٢) •

وهذا تقسيم القزويني للجناس ، وقد وهم المرشدي فقال عن
السيوطى انه تبع الخطيب في تلخيصه وايضاحه بجعل الجناس المحرف
في اقسام الجناس التام لان القزوينى عده قسما مستقلا ، وانما بدأ به
بعد التام لقربه منه (٣) وتقسيمه لا بأس به وبمقارنة ما كتب عن
الجناس وامعان النظر فيما ورد منه في الكلام يتبين ان تقسيم القزوينى
أحسن هذه التقسيمات وابعدها عن الاسراف ، ولهذا يمكن ان نعدّها
اصول الجناس •

(١) سورة غافر ، الآية ٧٥ •

(٢) سورة النمل ، الآية ٢٢ •

(٣) ينظر المرشدي على العقود ج ٢ ص ١٣ ، ومواهب الفتح ج ٤ ص ٤١٩ ، ونز
الجناس ص ٨٧ •

والحق القزويني بالجناس شيئين :

أحدهما : ان يجمع اللفظين الاشتقاق كقوله تعالى : « فَأَقِمْ وَجْهَكَ
لِلدِّينِ الْقَيِّمِ » (١) ، وقول البحري :

يعشى عن المجد الغبي ولن ترى في سؤدد اربا لغير أريب

والثاني : ان يجمعهما المشابهة وهي ما يشبه الاشتقاق وليس به
كقوله تعالى : « اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ
الْآخِرَةِ » (٢) وقوله : « وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ » (٣) .

والاشتقاق هو الذى استخرجه أبو هلال يقول « وقد عرض لي
بعد نظم هذه الانواع نوع آخر لم يذكره أحد ، وسميته المشتق » (٤) .
والغريب ان ابن حجة يذكر ان هذا النوع لم يأت في كتابي « التلخيص »
و « الايضاح » ، وهذا سهو ، لان السكاكى ذكره والحقه بالجناس
واعتبره ابن الاثير كذلك ، يقول : « اعلم ان جماعة من علماء البيان
يفصلون الاشتقاق عن التجنيس وليس الامر كذلك بل التجنيس أمر
عام لهذين النوعين في الكلام » (٥) .

وتابعهم القزويني في « التلخيص » و « الايضاح » .

ويذكر علماء البديع المتأخرون نوعا آخر للجناس وهو الجناس المعنوي ،
ولم يذكره القزويني ولم يشر اليه ، وكان ابن حجة الحموي قد تكلم عليه
فيما بعد ، يقول : « المعنوي طرفة من طرف الادب عزيز الوجود ، ولم
يذكره الشيخ جلال الدين القزويني في التلخيص ولا في الايضاح » (٦) .

(١) سورة الروم ، الآية ٤٣ .

(٢) سورة التوبة ، الآية ٣٨ .

(٣) سورة الرحمن ، الآية ٥٤ .

(٤) كتاب الصناعتين ص ٤٣٠ ، وخزانة الادب ص ٣٦٨ ، وابو هلال العسكري

ومقاييسه البلاغية والتقدية ص ٢٢٥ .

(٥) المثل السائر ج ٢ ص ٣٣٧ .

(٦) خزانة الادب ص ٤١ .

وهو ضربان : تجنيس اضمار ، وتجنيس اشارة ، والمعنوي المضمّر هو ان يضمّر الناظم ركبي التجنيس ويأتي في الظاهر بما يرادف المضمّر للدلالة عليه ، فإنّ تعذر المراد أتى بلفظ فيه كناية لطيفة تدل على المضمّر بالمعنى كقول أبي بكر بن عبدون ، وقد اصطحب بخمرة ترك بعضها الى الليل فصارت خلا :

ألا في سبيل اللهو كأس مدامة أتتا بطعم عهده غير ثابت
حكّت بنت بسطام بن قيس صبيحة وأمست كجسم الشنفرى بعد ثابت

والضرب الثاني من المعنوي : جناس الاشارة والكنائية ، وسبب وروده في النظم ان الشاعر يعقد المجانسة في بيته بين الركنين في الجناس فلا يوافقّه الوزن على ابرازهما فيضمّر الواحد ، ويعدل بقوته الى مرادف فيه كناية لطيفة تدل عليه ، وهذا لا يتفق في الكلام المنشور^(١) .

ونرى ان هذا لا تعلق له فيما نحن فيه ، ولذلك أهمله القزويني ، ولم يشر اليه مع ان فخر الدين الرازي ومعاصره الشهاب محمود ذكرا تجنيس الاشارة .

وللجناس تأثيره وقيّمته لما فيه من ايهام النفس بان الكلمة المكررة ذات معنى واحد فاذا امعن المرء فيها النظر رأى للكلمتين معنيين مختلفين فيدفع ذلك الى الاعجاب بالكاتب أو الشاعر الذي اهتدى الى هذا الاستخدام^(٢) .

وللتجنيس أصله في الدراسات النفسية ، فهو لا يخرج عن نظرية تداعي الالفاظ وتداعي المعاني في علم النفس ، وجماله « يأتي في أنّ السامع كان ينتظر معنى فخاتله الاديّب وردد اللفظ بمعنى آخر فالسامع استفاد شيئاً جديداً وهو يعاني انفعال المختلة والخداع الاديبي . وبعد أن يفهم الجديد في الجناس يقع في انفعال آخر من المسرة والاعتراف

(١) خزانة الادب ص ٤١ وما بعدها .

(٢) ينظر اسس النقد عند العرب ص ٤٤٣ .

بان مستواه في الذكاء أقل من مستوى الأديب» (١) .

ولكن هل أحس القزويني بجمال الجناس وروعته ؟

ان القزويني لم يبين أثره وجماله ، ولم تكن اشاراته عن حسنه الا اشارات عابرة وان كانت تدل على ذوق وادراك فني ، يقول في الجناس التام : « ووجه حسن هذا القسم ، حسن الافادة مع ان الصورة صورة الاعادة » (٢) .

ويقول في بيت أبي تمام :

يمدون من أيدٍ عواصمٍ عواصمٍ
تصول باسيافٍ قواضٍ قواضٍ

بعد ان ذكر الجناس المطرف : « ووجه حسنه أنك تتوهم قبل ان يرد عليك آخر الكلمة كالميم من « عواصم » انها هي التي مضت ، وانما اتى بها للتأكيد حتى اذا تمكن آخرها في نفسك ووعاه سمعك ، انصرف عنك ذلك التوهم ، وفي هذا حصول الفائدة بعد ان يخالطك اليأس منها » (٣) . وهذه التفاتة حسنة منه ، وان كان عبد القاهر يحمل على الذين يذهبون الى أن فصاحة الكلام تكون بالتجنس من غير الالتفات الى نظمها وترتيبها ، وان التجنيس لا يكون مقبولا حتى يكون المعنى هو الذي طلبه واستدعاه وساق نحوه ، وأن جماله لا يعود الى اللفظ ابدا . يقول بعد ان ذكر بيت أبي تمام :

ذهبت بمذهبه السباحة والتوت فيه الظنون أم مذهب أم مذهب

وإذا نظرت اني تجنيس أبي تمام : «امذهب أم مذهب» فاستضعته والى تجنيس القائل « حتى نجا من خوفه وما نجا » ، وقول المحدث :

(١) بلاغة ارسطو بين العرب واليونان ص ١٢٠ ، وقدامة بن جعفر والنقد الادبي

ص ٢٩٧ .

(٢) الايضاح ص ٢٨٤ .

(٣) الايضاح ص ٢٨٦ .

ناظراه فيما جنى ناظراه اودعاني أمّت بما اودعاني

فاستحسنته ، لم تشك بحال ان ذلك لم يكن لامر يرجع الى اللفظ ولكن لانك رأيت الفائدة ضعفت في الاول وقويت في الثاني ، وذلك انك رأيت أبا تمام لم يزدك بمذهب ومذهب على أن اسمعك حروفا مكررة لا تجد لها فائدة ان وجدت الا متكلفة متحولة ، ورأيت الآخر قد أعاد عليك اللفظة كأنه يخدعك عن الفائدة ويوهمك انه لم يزدك وقد احسن الزيادة ووفاهها ، ولهذه النكتة كان التجنيس وخصوصا المستوفى منه مثل : « نجا نجا » من حلى الشعر» (١) .

ولعل بهاء الدين السبكي كان اكثر توفيقا من القزويني في اظهار روعته وجماله ، فقد نقل عن صاحب « كنز البلاغة » أن أهميته هي الميل الى الاصغاء اليه ، فان مناسبة الالفاظ تحدث ميلا واصغاء اليها ، ولان اللفظ المشترك اذا حمل على معنى ثم جاء المراد به معنى آخر كان للنفس تشوف اليه (٢) .

ولعل في هذين المثالين ما يوضح اتجاه القزويني في البديع ، وهو اتجاه لا نحمده عليه كثيرا ، لان اخراج البديع عن البلاغة واعتباره ملحقا بها يؤتى به للزينة وتحسين الكلام غير صحيح ، بل المعنى هو الذي يتطلبه . وقد يجيء فن بديعي وحده في الكلام فيزيئنه ، ويجعل له تأثيرا عظيما ، وقد اتتبه القدماء لاهمية فنون البديع واعتبروها كفنون البلاغة والنقد الاخرى ، لها قيمتها وأثرها في التعبير . وإن ما ذكره القزويني منها ضروري ولا يمكن الاستغناء عنه ، اما ما ذكره المتأخرون فمعظمه لا قيمة له ، لان البديع ليس حلية يؤتى بها قسرا . وقد جرد القزويني كتابه منها ولم يأت إلا بما فيه النفع وله اهمية في التعبير .

(١) دلائل الامجاز ص ٤٠٢ ، وينظر اسرار البلاغة ص ١٣ ، ١٤ .

(٢) ينظر عروس الافراح ج ٤ ص ٤١٢ - ٤١٣ .

البديعيات :

وكان لفصل البديع عن المعاني والبيان وجعله ذيلًا له كما فعل القزويني أثر في اتجاه الأدباء في عصر القزويني وما بعده إلى البديع ودراسته دراسة عميقة واسعة وقد بدأت هذه الدراسات مبكرة ، ولكنها قويت في هذا العصر فكان « بديع القرآن » و« تحرير التحبير » لابن أبي الأصعب المصري •

واتجه الشعراء ينظمون البديع في مدح الرسول المنقذ محمد (ص) أو في الغزل ، ويحصرّون فنونه في قصائد أطلق عليها اسم البديعيات • ومن أهم بديعيات عصر القزويني وما بعده بديعة صفي الدين الحلبي (٧٥٠ هـ) (١) وهي في مائة وخمسة وأربعين بيتًا من بحر البسيط وروي الميم مطلعها :

إِنْ جِئْتَ سَلْعًا فَسَلِّ عَنْ جِيرةِ العَلَمِ
واقْرَ السَّلَامَ عَلَى عَرَبٍ بَنِي سَلَمِ

وضمن كل بيت فيها محسنا من محسنات البديع ، وقد ضمت مائة وخمسين محسنا ، حيث جعل فيها للجناس اثني عشر ضربًا نظمها في الايات الخمسة الاولى • وسماها « الكافية البديعية في المدائح

(١) تنظر ترجمته في الدرر الكامنة ج ٢ ص ٣٦٩ ، وقد طبعت ببديعته مع شرحها .

النبوية» ، وشرحها بكتاب سمّاه : « النتائج الالهية في شرح الكافية البديعية » • وصنف عبد الغنى انابلسي على هذه القصيدة شرحا سماه « الجوهر السني في شرح بديعية الصفي » •
 ونظم ابن جابر الاندلسي (٧٨٠ هـ)^(١) بديعية وهي كالبردة في الوزن والروي والموضوع ، وضمن كل بيت فيها نوعاً بديعياً من غير أن يسميه ، ومطلعها :

بطيبة انزل° ويمّم° سيد الأمم
 وانتثر° له المدح وانتثر° أطيب الكلام

وسماها : « الحلة السّيّرا في مدح خير الورى » • وقد شرحها ابو جعفر احمد بن يوسف بن مالك الرعيني الغرناطي (٧٧٩ هـ) بكتاب سماه : « طراز الحلة وشفاء الغلة »^(٢) • وقدّم لها مقدمة تتعلق بفن البديع ، تحدث فيها عن معناه لغة واصطلاحاً ، وعن الفصاحة وشروطها في الكلمة والكلام المركب ، وتكلم على البلاغة والفرق بينها وبين الفصاحة • و اشار الى ان ابن جابر اتبع في سرد المحسنات البديعية الخطيب القزويني في كتابيه « التلخيص » و « الايضاح » ، ولكنه بدأ بالقسم المتعلق باللفظ ، وآخر القسم المتعلق بالمعنى ، وهو في ذلك يمضي على غرار بدر الدين بن مالك في كتابه « المصباح » •

يقول الرعيني : « وقد آن أن آخذ في الكلام على أبيات القصيدة حسبما تحصل به الفائدة ، ويعود على الناظر فيه بأحسن عائدة ، فنقول : ان المصنف تبع في هذه القصيدة القاضي جلال الدين القزويني صاحب الايضاح والتلخيص ، فذكر من ألقاب البديع ما ذكره ، إلا أن

(١) تنظر ترجمته في شذرات الذهب ج٦ ص ٢٦٨ ، والدرر الكامنة ج٣ ص ٣٣٩ • ونكت الهميان ص ٢٤٤ •

(٢) في مكتبة الاوقاف ببغداد نسخة منها برقم ١٢١٤٢ (ينظر وصفها في كتاب المستدرک لعبدالله الجبوري ص ٢٦٧ - ٢٦٩) • وفي دار الكتب بالقاهرة ثلاث نسخ منها ، برقم ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٨٢ بلاغة •

المصنف بدأ بالقسم الذى يتعلق باللفظ ، وأخّر القسم الذى يتعلق بالمعنى على ما ستقف عليه . وهو في هذا الترتيب موافق لصاحب المصباح ، وهو ترتيب حسن ، لان اللفظ وسيلة الى المعنى ، وحق الوسيلة أن تكون متقدمة، وايضافان ما يتعلق بالمعنى لا يكون الا بعد التراكيب بخلاف ما يتعلق باللفظ . وحال الافراد مقدم على حال التركيب « (١) » .

ونظم عز الدين الموصلى (٧٨٩ هـ) (٢) بديعية التزم فيها تسمية الفن البديعي مورياً بكلمة عنه في البيت الذي يتضمنه ، ومطلعها :

براعة تستهلّ الدمع في العلم عبارة عن نداء المفرد العكّم

وظهر في هذه الفترة اديب ناقد كان له أثر كبير في البديعيات أو في البلاغة العربية ، وذلك الناقد أبو بكر علي بن حجة الحموي المولود في حماة سنة ٧٦٧ هـ أو ٧٧٧ هـ والمتوفى فيها سنة ٨٣٧ هـ (٣) . وقد وجد ابن حجة عصره يزخر بالبديعيات وكان قد أعجب ببديعيتي الحلبي والموصلى فاراد ان يضع بديعية تفوقهما وتعفو عليهما ، ووضع بديعته وضمن كل بيت نوعا بديعيا مع الاشارة الى اسم هذا الفن في البيت نفسه ، وسماها « تقديم أبى بكر » وأبياتها مائة واثنان واربعون بيتا، وهي على البحر البسيط ، وروي الميم مطلعها :

لي في ابتدا مدحكّم يا عرّب ذى سكّم
براعة تستهلّ الدمع في العكّم

يقول مفتخرا بها : « فجاءت بديعية هدمت بها ما نحته الموصلى

(١) طراز الحلة وشفاء الفلة ص ١٧ (مخطوطة الاوقاف ببغداد) .

(٢) تنظر ترجمته فى الدرر الكامنة ج ٣ ص ٤٣ .

(٣) تنظر ترجمته فى الضوء اللامع ج ١١ ص ١٤٤ وشدرات الذهب ج ٧ ص ٢١٩ ،

وللاستاذ محمود رزق سليم دراسة عنه بعنوان « تقى الدين بن حجة الحموى » وكتب عنه

فصلا كبيرا فى كتابه « عصر سلاطين المماليك » ج ٦ .

في بيوته من الجبال ، وجاريت الصفي مقيدا بتسمية النوع وهو من ذلك محلول العقل ، وسميتها « تقديم ابى بكر » ، عالما انه لا يسمع من الحلبي والموصلي في هذا التقديم مقال «^(١)» ، وتضمنت هذه البديعية نحو مائة واربعين نوعا *

ورأى ابن حجة ان هذه البديعية لن تكون ذات فائدة وقيمة كبيرة ان بقيت ابيات شعر تحفظ وتروى من غير تفهم وتبصر بفنونها البديعية فوضع لها شرحا سماه « خزانة الادب وغاية الارب » ووازن بينها وبين بديعتي الموصلي والحلي *

ومنهجه فيها يختلف عن منهج البلاغيين الذين عرفوا في عصره بعد سيطرة تلخيص القزويني وشرحه على الدراسات البلاغية ، فلم يقسم البلاغة الى فنونها الثلاثة ، ولم يلتزم بالحدود والتقسيمات التي فرضتها بلاغة السكاكي والقزويني ، وانما سلك مذهبا آخر فيه ابتعاد عن كل ما يفسد الذوق ، وينفر الناس عن دراسة البلاغة والنقد . لقد كان ابن حجة يعرض الفن الذي ضمنه بيتا من البديعية ، فيعرفه تعريفاً بلاغيا ، ويذكر أمثلة شعرية وثرية كثيرة ، ويرد على بعضهم إن كان هناك مجال للرد والمناقشة ، ويوازن بين الآراء المختلفة *

ويسكن ان نعد « خزانة الادب » من خيرة كتب النقد والبلاغة بعد القزويني ، لان مؤلفها لم يلتزم بالمنهج السائد ، ولم يقلد المتقدمين تقليداً اعمى ، وانما جاء بكل طريف جديد بالنسبة لكتب عصره الذي سادته موجة التقليد واجترار الماضي * وللكتاب أهمية نقدية وبلاغية وتاريخية ، أما أهميته النقدية فلان ابن حجة كان ناقدا ماهرا في هذا الكتاب يعرض الامثلة ، ويوازن بينها ، ويعطي رأيه في كثير من الاحيان *

وأما أهميته البلاغية فقد شرح المؤلف فيه معاني الفنون البلاغية،

(١) خزانة الادب ص ٣ .

وذكر التعريفات والآراء المختلفة ، ونجد فيه كثيرا من أقوال علماء
البلاغة الذين طمس الزمان آثارهم ، وغفَى عليها ، ومن هنا كانت له
أهمية بلاغية كبيرة .

وأما فائدته التاريخية والادبية فهي ان المؤلف يذكر أخبارا ادبية،
ويسوق كثيرا من الامثلة الشعرية والنثرية مما لا يمكن العثور عليها في
كتب أخرى . وقد خلد صفحات كثيرة من شعر معاصريه وأدبهم ، ونولا
الخزانة لضاع واندثر ، وان الباحث ليستطيع ان يستخرج منها شعرا
كثيرا لمعاصريه أو ممن عاشوا في العصر المملوكي .

ولا يخلو الكتاب من آراء شخصية ، والتفادات تقديية صائبة ك رأي
ابن حجة في الجنس فهو يرى ان لا قيمة لما فيه من محسن لفظي ، وانما
تأتى أهميته وقيمه في كونه محسنا معنويا له أثر في التعبير والاداء .
ومن أجل هذا بحث الجنس المعنوي الذي اهمله القزويني وغيره من
علماء البلاغة ، يقول : «أما الجنس فانه غير مذهبي ومذهب من نسجت
على منواله من أهل الادب ، وكذلك كثرة اشتقاق الالفاظ. فان كلا
منهما يؤدي الى العقادة والتعقيد عن اطلاق عنان البلاغة في مضمار
المعاني المبتكرة كقول القائل واستحيى أن اقول انه ابو الطيب :

فقلقت بالهم الذي قلقل الحشا قلاقل عيش كلهن قلاقل

ولقد تصفحت ديوانه فلم اجد لوافد هذا النوع نزولا الا ما قل
في آياته وهو نادر جدا ، ولا العرب من قبله خيمت باياتها عليه غير أن
هذا البيت حكمت على أبي الطيب به المقادير « (١) » .

وفي « خزانة الادب » آراء كثيرة مبثوثة يمكن الاستفادة منها في
بلاغتنا الحديثة . والى جانب هذا كله آراء يناقش فيها القزويني ويرد
عليه ، وقد يوافقه أحيانا . واول ما نرى اشارته الى اهمال القزويني

(١) خزانة الادب ص ٢٠ .

الجناس المعنوي ، فقد قسمه الحموي الى ضربين : تجنيس اضرار ،
وتجنيس اشارة • وهو عنده من أروع انواع الجناس لانه يتعلق
بالمعنى ، ويضفى على الكلام جمالا دونه جمال الجناس اللفظي ، يقول
عنه : « فان المعنوي طرفة من طرف الادب عزيز الوجود جدا ، ولم
يذكره الشيخ جلال الدين القزويني في التلخيص ولا في الايضاح ، ولا
ذكره ابن رشيق في العمدة ، ولا زكي الدين بن ابي الاصبع في التحرير
ولا ابن منقذ في كتابه » (١) •

والجناس المعنوي عنده : « ان يضمر الناظم ركني التجنيس ، ويأتي
في الظاهر بما يرادف المضمرة للدلالة عليه ، فان تعذر المراد أتى بلفظ
فيه كناية لطيفة تدل على المضمرة بالمعنى » (٢) •

وقتل عن القزويني تعريف الاستطراد ، ويراها أقرب الى الغرض
وأوفى بالمرام ، يقول « وحده » صاحب الايضاح الاستطراد بحد أتى
فيه بالغرض بعدما بالغ في الايجاز فانه قال : الاستطراد هو الانتقال من
معنى الى معنى آخر متصل به ، ثم يقصد بذكر الاول التوصل الى الثاني ،
ففي قوله « متصل به » جل القصد ، وعدم الاحتياج الى الكلام
الكثير » (٣) •

وادخل القزويني المقابلة في المطابقة (٤) ، ولكن الحموي لا يقبل
رأيه لانهما شيان مختلفان ، يقول : « المقابلة أدخلها جماعة في المطابقة
وهو غير صحيح ، فان المقابلة أعم من المطابقة وهي التنظير بين شيئين
وأكثر وبين ما يخالف وما يوافق • • وهذا مذهب زكي الدين بن ابي
الاصبع (٥) • والفرق بين المطابقة والمقابلة من وجهين :

(١) خزانة الادب ص ٤١ •

(٢) خزانة الادب ص ٤١ •

(٣) خزانة الادب ص ٤٤ ، وينظر الايضاح ص ٣٤٩

(٤) ينظر الايضاح ص ٣٤١ •

(٥) خزانة الادب ص ٥٧ •

أحدهما : ان المطابقة لا تكون الا بالجمع بين ضدین ، والمقابلة
تكون غالبا بين أربعة أضداد ، ضدان في صدر الكلام ، وضدان
فسي عجزه •

والثاني : ان المطابقة لا تكون الا بالاضداد ، والمقابلة بالاضداد
وغير الاضداد ، ولكن بالاضداد أعلى رتبة ، وأعظم موقعا •

وهذا اختلاف شكلي بين الفنين ، وأى فرق بين الجمع بين ضدین
أو أكثر ، ولكن ابن حجة ومن قبله ابن ابي الاصبغ كانا مولعين
بالتقسيمات وتفريع الفن الواحد الى عدة فروع لاجل التباهي بايجاد
فنون بلاغية أو بديعية جديدة • ونرى ان القزويني كان اسلم نظرا ،
وأصوب رأيا ، لانه لم يرد ان يفرع الفن الواحد الى فنون ، تقليلا
للمصطلحات والاقسام التي لا قيمة لها في البلاغة والتقد •

واعجب ابن حجة بيت القاضي الارجاني الذي جاء به القزويني
شاهدا في الطباق يقول : « ومن لطيف هذا الطباق ما أورده القاضي
جلال الدين القزويني في ايضاحه على تلخيصه وهو قول القاضي
الارجاني :

ولقد نزلت من الملوك بماجدٍ فقر الرجال اليه مفتاح الغنى^(١)

ونقل عن القزويني تفسير القول بالموجب الى ضربين :

أحدهما : ان تقع صفة في كلام الغير كناية عن شيء أثبت له حكم
فتثبت في كلامك تلك الصفة لغير ذلك الشيء من غير تعرض لثبوت
ذلك الحكم له أو انتفائه عنه •

والثاني : حمل لفظ وقع في كلام الغير عنى خلاف مراده مما
يحتمله بذكر متعلقه • وهذا هو القسم الذي عرف بين الناس ونظمه

(١) خزائن الادب ص ٧١ ، وينظر الايضاح ص ٢٢٥ •

اصحاب البديعيات •

وكان ابن ابي الاصبع قد تكلم عليه ، ولكنه لم يقسمه هكذا
التقسيم فنقله ابن حجة عن القزويني الا انه خلط بينه وبين اسلوب
الحكيم ، وذكر الامثلة التي ذكرها السكاكي والقزويني في اسلوب
الحكيم في علم المعاني ، وأدخله في بحث خروج الكلام على مقتضى
الظاهر (١) .

وتقدمه في بحث التورية ، لانه لم يفصل الكلام فيها ، ولم يعرض
أنواعها التي عاشت في كلام المتأخرين ، يقول : « واما صاحب التلخيص
فانه قال مشيرا الى البديع : ومنه التورية وتسمى الايهام ايضا ، وهي
ان يطلق لفظ له معنيان قريب وبعيد وهي ضربان : مجردة ومرشحة ،
ولم يزد على ذلك » (٢) .

وهذا القول صحيح بالنسبة لما ذكره القزويني في التلخيص ، ولكن
فيه بعدا عن الحقيقة بالنسبة لما جاء في الايضاح فقد تكلم عليها وذكر
أمثلة كثيرة (٣) ، ولكن الحموي لم يكفه هذا كله لان التورية في عصره
استأثرت بجزء غير قليل من ادب العصر المملوكي ، وكان ميدانها مراح
تسابق لادبائه ، وalf الصفدي فيها كتاب « فض الختام عن التورية
والاستخدام » . وكان ابن حجة متعصبا لها تعصبا عظيما ومتحمسا
تحمسا شديدا وهي عنده في أعلى مراتب الادب ، يقول : « هذا النوع
— اعني التورية — ما تنبه لمحاسنه الا من تأخر من حذاق الشعراء وأعيان
الكتابة ، ولعمري انهم بذلوا الطاقة في حسن سلوك الادب الى ان
دخلوا اليها من باب التورية ، فان التورية من اغلى فنون الادب واعلاها
رتبة ، وسحرها ينفث في القلوب ، ويفتح بها ابواب عطف ومحبة ، وما
ابرز شمسها من غيوم النقد الاكل ضامر مهزول ، ولا احرز قصبات

(١) ينظر مفتاح العلوم ص ١٥٥ ، وتحرير التجبير ص ٥٩٩ ، وبديع القرآن ص ٣١٤ ،

والايضاح ص ٧٥ ، ٢٨٠ ، وخرانة الادب ص ١١٦ .

(٢) خزانة الادب ص ٢٤٢ .

(٣) التلخيص ص ٣٥٩ ، والايضاح ص ٣٥٣ .

سبقها من المتأخرين غير الفحول»^(١) . ومن هنا أفاض في بحثها ،
 وقصّل في انواعها وامثلتها واخذت جزء كبيرا من كتابه ، واستغرق
 بحث التورية ١٤٠ صفحة ، ويمكن ان يعد هذا البحث وحده كتابا كاملا
 عن التورية اضافة الى كتابه عن التورية المسمى « كشف اللثام عن وجه
 التورية والاستخدام » الذي استدرك فيه على الصفدى ، وأوفى
 التورية حقها من البحث . ومن هنا رأى ان القزوينى لم يذكر
 شيئا عنها .

ويرى الحموى ان تعريف السكاكى والقزوينى للتقسيم ليس بذى
 قيمة اذا ما قورن بكلام ابن ابى الاصبع وتعريفه ، يقول بعد ان ذكر
 تعريفهما : « ويعجبني بلاغة زكي الدين بن ابى الاصبع فانه قال :
 التقسيم عبارة عن استيفاء المتكلم أقسام المعنى الذى هو آخذ
 فيه »^(٢) . وقد قال السكاكى : « والتقسيم ، وهو ان تذكر شيئا ذا
 جزءين أو اكثر ثم تضيف الى كل واحد من اجزائه ما هو له عندك » .
 وقال القزوينى : « هو ذكر متعدد ثم اضافة مالكل اليه على التعيين »^(٣) .
 ويلاحظ أن تعريفى السكاكى والقزوينى أقرب الى مفهوم هذا
 الفن ، وانهما يدلان على معناه .

ويفضل رأى القزوينى في الرجوع وتسميته ، ولا يرى وجها في
 تسمية ابن المعتز وابى هلال وغيرهما لهذا الفن استدراكا واعتراضا ،
 ونقل تعريف القزوينى له ، وأثنى عليه ثناء عظيما^(٤) ، وذكر انه لم
 يبحث الاشتقاق . يقول وهو يتحدث عنه : « وهذا النوع أعنى
 الاشتقاق استخرجه الامام ابو هلال العسكرى وذكره في اخر البديع
 من كتابه المعروف الصناعتين وعرفه بان قال : هو ان يشتق المتكلم من

(١) خزانة الادب ص ٢٣٩ .

(٢) خزانة الادب ص ٣٦٢ .

(٣) مفتاح العلوم ص ٢٠١ ، والايضاح ص ٣٥٨ ، والتلخيص ص ٣٦٤ .

(٤) خزانة الادب ص ٣٦٧ .

الاسم العلم معنى في غرض يقصده في مدح او هجاء أو غيره • وهذا النوع ما ذكره القاضي جلال الدين القزويني في التلخيص ولا في الايضاح « (١) » •

وهذا نكران من الحموى ، لان القزويني تكلم عليه ولكنه لم يفرد به بالبحث ، وانما الحقه بالجناس لذلك يقول في التلخيص : « ويلحق بالجناس شيان : احدهما : ان يجمع اللفظين الاشتقاق نحو : « فأقم وجهك للدين القيم » • والثاني : ان يجمعهما المشابهة وهي ما يشبه الاشتقاق نحو : « قال اني لعلمكم من القالين » (٢) » •

وقد اتخذ الحموى من اقوال القزويني تأييدا الى ما ذهب اليه ، يقول في الايداع ، دعما لرأيه :

«ومما يؤيد قولي هذا قول القاضي جلال الدين القزويني في التلخيص • واحسنه ما زاد على الاصل بنكتة كالتورية والتشبيه » (٣) • وقيل عنه تعريف التجريد ، ولكنه لم يستفد من أمثله البديعة ، وذكر أمثلة لا رونق فيها ولا رواء كقول الشاعر :

اعانقُ غُصْنَ البانِ من لِينِ قَدِها
وأجني جَنِيَّ الوَرْدِ من وَجَناتِها

فانه جرد من قدها غصنا ، ومن وجنتيها وردا (٤) •

هذا ما نقله ابن حجة الحموى عن القزويني وما وافقه فيه أو خالفه، وهو يوضح لنا أثر الخطيب في البلاغة على نطاق واسع ، فلم ينج منه حتى اولئك الذين ابتعدوا عن منهجه ، وخاضوا في بحوث البديع •

(١) خزانة الادب ص ٣٦٨ •

(٢) التلخيص ص ٣٩٢ ، وينظر الايضاح ص ٢٨٩ •

(٣) خزانة الادب ص ٣٧٠ •

(٤) خزانة الادب ص ٤٣٦ •

ويلاحظ أن الحموى - وان استفاد من الخطيب القزوينى - استطاع ان يصنع تلك الفائدة بصيغة جديدة ، وان يضفي عليها ظلالا ، ولم يكن الحموي ليستطيع ان يقلده في كل شيء وهو يشرح بديعته التى كان لها تنسيق خاص لموضوعات البلاغة التى لم يقسمها كالقزوينى الى المعانى والبيان والبديع ، ولم يوزعها كأبن الاثير في باين كبيرين هما : الصناعة اللفظية والصناعة المعنوية . ومن هنا كانت له الحرية في ترتيب الموضوعات ، وعرضها ، وكانت له الحرية في الشرح والتحليل فجاء بديعه اندى من بديع القزوينى ، واكثر روعة وتأثيرا .
 يضاف الى ذلك ان الحموي كان ادبيا موهوبا ، وشاعرا مطبوعا فأنثر هذا كله في بلاغته ، اما القزوينى فلم تكن له اليد الطولى في الادب والشعر ، وانما كان عالما فقيها فأنثر ذلك في بلاغته ، وطبعها بطابع علمى ليس فيه من التحليل الادبى ، وتحسن مواطن الجمال ما في خزانة الحموى .

ومهما يكن من شيء فان الحموى قدم للبديع أكثر مما قدم القزوينى ، وابدع في بحثه ، وعرض اقسامه وامثلته أكثر مما فعل الخطيب ، ومن هنا نرى ان قيمة « خزانة الادب » كبيرة لا تدانيها قيمة ايضاح القزوينى .



وللسيوطى بديعية سماها « نظم البديع في مدح خير شفيح » وله عليها شرح . ونظمت عائشة الباعونية (٩٢٢ هـ) بديعية سمتها « الفتح المبين في مدح الامين » أولها :

في حُسْنِ مَطْعِ اِقْمَارِي بَدِي سَلَمِ

أصبحت في زمرة العشاقِ كالعَلَمِ

وقد نظمتها على منوال بديعية ابن حجة مع عدم تسمية النوع

البدعي تمسكا بطلاقة الالفاظ وانسجام الكلمات ، وشرحتها كما فعل ابن حجة واعتمدت عليه كثيرا ، تقول : « وبعد فهذه قصيدة صادرة عن ذات قناع شاهدة بسلامة الطباع • منقحة بحسن البيان ، مبنية على أساس تقوى من الله ورضوان • سافرة عن وجوه البديع ، سامية بمدح الحبيب الشفيع • مطلقة من قيود تسمية الانواع ، مشرقة الطوالع في افق الابداع • موسومة بين القصائد النبويات ، بمقتضى الالهام الذي هو عمدة اهل الاشارات بالفتح المبين في مدح الامين • استخرت الله تعالى بعد تمام نظمها ، وثبوت اسمها ، في شيء يروق الطالب موارده ، وتعظم عند المستفيد فؤاده • وهو ان اذكر بعد كل بيت حد النوع الذي بنيت عليه ، وأقر شاهده فان ذلك مما يفترق اليه وأنحو في ذلك سبيل الاختصار ولا أخل بواجب ، وأنبه على ما لا بد منه قصدا لنفع الطالب • والمسؤول من الفتح بتأسيسها على قواعد اذن الله ان ترفع ومن مثبت رفعها بوجاهة مدح الوجيه المشفع ان يصلّى ويسلم عليه ويجعلها خالصة لوجهه الكريم » (١) •

ولصدر الدين بن معصوم الحسيني المدني (١١١٧ هـ) (٢)
بديعية مطلعها :

حَسَنٌ اِبْتِدَائِي بِذِكْرِ جِيْرَةِ الْحَرَمِ
لَهُ بَرَاةٌ شَوْقٌ تَسْتَهْلُثُ دَمِي

ونظم عبد الغنى النابلسي المتوفى سنة (١١٤٣ هـ - ١٧٣١ م) (٣)
بديعيتين لم يلتزم في أولهما تسمية النوع والتزمها في الثانية ،
ومطلع الاولى :

يَا مَنْزِلَ الرِّكْبِ بَيْنَ الْبَانِ فَالْعَلِمِ
مَنْ سَفَّحَ كَاطِمَةَ حَيْثِيَّتِ بِالْدَيْمِ

- (١) شرح بديعية الباعونية - حاشية خزانة الادب ص ٢١٠ - ٢١١ •
(٢) تنظر ترجمته في البدر الطالع ج ١ ص ٤٢٨ ، وروضات الجنات ص ٤٢١ •
(٣) تنظر ترجمته في سلك الدرر في اعيان القرن الثاني عشر للمراي ، ج ٢ ص ٢٠ •

ومطلع الثانية :

يا حُسْنَ مَطْلَعٍ من أهوى بذِي سَلَمٍ
براعة الشُّوقِ في استهلالها ألمي

وسمى منظومته « نسمات الاسحار » (١) .

وهناك بديعيات أُخر ، وكلها من البحر البسيط ومعظمها على روي الميم وفي مدح الرسول محمد (ص) واصحابه (٢) .

وبقي البديع على هذه الحال تتقاذفه أشعار أصحاب البديع ، وتقضي على طلاوته كتب المختصرين والناظمين حتى أصبح قوالب جامدة ليس فيها النفع وانارة السبيل . وما أحوجنا اليوم الى ان نعيد النظر في فنونه على ضوء الدراسات الحديثة ، فنأخذ منها ما كثر استعماله في كلام العرب ، وما كان له تأثير في ادبنا الحديث ، وبذلك نبعث الحياة فيه من جديد، ونعطيه حقه في الدراسات البلاغية والنقدية .

(١) تنظر دائرة المعارف الاسلامية (الطبعة العربية) ج ٣ هامش ص ٤٧٠ ، والبلاغة

تطور وتاريخ ص ٣٦٤ - ٣٦٥ .

(٢) تنظر دائرة المعارف الاسلامية (الطبعة العربية) ج ٣ ص ٤٧٠ ، والبلاغة تطور

وتاريخ ص ٣٦٥ - ٣٦٧ .

الفصل الخامس

السَّرِقَات

١

الابتداع والاتباع :

فطن النقاد العرب الى التجديد والتقليد ، وفرقوا بين الابتداع والاتباع ووضعوا لذلك قواعد واصولا ، وقسموا المعانى الى ضربين: ضرب يبتدعه مؤلف الكلام من غير ان يقتدي فيه بمن سبقه ، ومن ذلك ما ورد في شعر ابي تمام في وصف مصليين :

بكروا واسروا في متون ضوامر قيدت لهم من مربوطِ النَجَارِ
لا ييرحون ومن رآهم خالهم أبدأ على سَقَرٍ من الأسفارِ

وهذا المعنى مما يعثر عليه عند الحوادث المتجددة ، والخاطر في مثل هذا المقام ينساق الى المعنى المخترع من غير كبير كلفة لشاهد الحال الحاضرة .

وضرب يحتذى فيه على مثال سابق ومنهج مطروق ، وهو جل ما يستعمله ارباب صناعة الكلام .

وقد سمي ابن رشيح النوع الاول المخترع ، والثاني التوليد (١) .
وكان هذا مدعاة للبحث في السرقات ومتابعة الشعراء والكتاب فيما
ابتدعوه وأخذوه ، وتفصيل انواع الاخذ .

السرقات قديمة :

والسرقات قديمة في الادب العربي وقد وجدت بين شعراء الجاهلية ،
وفطن اليها النقاد والشعراء جميعا ، ولحظوا مظاهرها بين امرئ
القيس وطرفة بن العبد ، وبين الاعشى والنابغة الذبياني ، وبين أوس
ابن حجر وزهير بن أبي سلمى ، وكان حسان بن ثابت يعتز بكلامه وينفي
عن معانيه الأخذ والاغارة فيقول :

لا أسرق الشعراء ما نطقوا بل لا يوافق شعرهم شعري

وكانت السرقة من موضوع الملاحاة بين جرير والفرزدق ، كئل^٣
ادعى أن صاحبه يأخذ منه ، ومن ذلك قول الفرزدق يخاطب جرير :

إن تذكروا كرمي بلؤم ايكم وأوابدي تنتحلوا الاشعارا

وغضب على البعيث المجاشعي لما اخذ احد معانيه فقال فيه :

اذا ما قلت قافية شرودا تنحلها ابن حمراء العجان

ولما قال بشار بن برد :

من راقب الناس لم يظفر بحاجته وفاز بالطيبات اثباتك^٤ اللهج

وتبعه سلم الخاسر فقال :

من راقب الناس مات غمًا وفاز باللذة الجسور^٥

(١) ينظر العمدة ج ١ ص ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، والمثل السائر ج ١ ص ٢١٠ وما بعدها .

غضب منه بشار « وان كان بيت اسلم اخصر واجود سبكا
واقرب الى الغاية » (١) .

وقد قال علي بن عبد العزيز الجرجاني : « والسرقة - ايديك الله
داء قديم وعيب عتيق ، وما زال الشاعر يستعين بخاطر الاخر ، ويستمد
من قريحته ، ويعتمد على معناه ولفظه » (٢) ، وقال الآمدي : « انها
باب ما يعرى منه أحد من الشعراء الا القليل » (٣) وقال في موضع آخر
انه « باب ما تعرى منه متقدم ولا متأخر » (٤) . وقال ابن رشيق انها
« باب متسع جدا ، ولا يقدر احد من الشعراء ان يدعي السلامة
منه » (٥) .

وكان الجاحظ قد اشار قبلهم الى السرقات ، ومهد للباحثين
السييل ، يقول : « لا يعلم في الارض شاعر تقدم في تشبيه مصيب تام ،
وفي معنى غريب عجيب ، أو في معنى شريف كريم ، أو في بديع مخترع ،
الا وكل من جاء من الشعراء من بعده أو معه ان هو لم يعدد على
لفظه فيسرق بعضه أو يدعيه بأسره فانه لا يدع أن يستعين بالمعنى
ويجعل نفسه شريكا فيه ، كالمعنى الذي تتنازعه الشعراء فتختلف
الفاظهم وأعاريض اشعارهم ولا يكون أحد منهم أحق بذلك المعنى من
صاحبه ، أو لعله ان يجحد انه سمع بذلك المعنى قط ، وقال : « انه
خطر على بالي من غير سماع كما خطر على بال الاول » (٦) .

ولذلك نجد العرب يهتمون بدراسة السرقات ومشكلاتها ، وقد
الفوا فيها الرسائل والكتب ولم تنفرد ببحثها جماعة دون جماعة ، وانما

(١) ينظر اصول النقد الادبي ص ٢٦٤ .

(٢) الوساطة ص ٢١٤ .

(٣) الموازنة ص ١١٥ .

(٤) الموازنة ص ٢٥٠ .

(٥) العمدة ج ٢ ص ٢٨٠ .

(٦) الحيوان ج ٣ ص ٣١١ .

اهتمت بها جماعات مختلفة فنجدها في كتب الطبقات والتراجم كما نجدها في كتب الادب والنقد والبلاغة .

كتب قديمة في السرقات :

وباب السرقات من أهم ابواب النقد العربي ، لانها كانت عماد الشعر وأساسه ، وقد ظهرت دراستها قبل وجود الحركة النقدية حول أبي تمام ، ومن اقدم الكتب التي تبحث في ذلك كتاب «سرقات الكميت من القرآن وغيره» لابي محمد عبدالله بن يحيى المعروف بأبي كناسة (٢٠٧ هـ) . وكتاب « سرقات الشعراء وما اتفقوا عليه» لابن السكيت (٢٤٠ هـ) ، وكتاب «إغارة كثير على الشعراء» للزبير بن بكار بن عبد الله القرشي (٢٥٦ هـ) . وكتاب « سرقات الشعراء» لاحمد بن أبي طاهر طيفور (٢٨٠ هـ) (١) .

واحتدم الصراع في القرن الثالث الهجري وما بعده ، والفت كتب كثيرة في السرقات وكان لابي تمام والبحري أثر في ذلك حيث انقسم الناس الى قسمين : فمن مؤيد لهما ، ومن منقصر قدرهما موضحا ما اخذه البحري من ابي تمام أو ما اخذه الشاعران من غيرهما . والفت كتب في ذلك منها : « كتاب السرقات » لجعفر بن حمدان أبي انقاسم الفقيه (٣٢٣ هـ) ، يقول ابن النديم : « ولم يتمه ولو أتمه لاستغنى الناس عن كل كتاب في معناه» (٢) . وكتاب « سرقات البحري من أبي تمام» ، وكتاب «السرقات الكبير» لابي ضياء بشر بن يحيى بن علي النصيبي ، و« الموازنة بين الطائيين » للآمدى وغيرها .

ابن طباطبا والسرقات :

وعالج محمد بن احمد بن طباطبا العلوي (٣٣٢ هـ) موضوع

(١) ينظر فهرست ابن النديم ص ١١٤ ، ١٦٧ ، ٢١٥ ، ومعجم الادباء ج ٢ ص ٥٢ ،

ج ١١ ص ١٦٤ ، ومشكلة السرقات ص ٧٦ - ٧٧ .

(٢) فهرست ابن النديم ص ٢١٩

السرققات في كتابه « عيار الشعر » ، وتكلم فيه على المعاني الشعرية ، وكيف ان الشعراء السابقين غلبوا عليها فضاقت السبيل امام المحدثين ولم يكن من التقليد والاخذ بد ، ويرى انه ينبغي ألا يغير الشاعر على معاني الشعر فيودعها شعره ، ويمزجها في أوزان مخالفة لأوزان الاشعار التي يتناول عنها ما يتناول ، لان هذا لا يستر سرقة ، وانما ينبغي عليه أن يديم النظر في الاشعار لتعلق معانيها بفهمه وترسخ أصولها في قلبه (١) . واذا تناول الشاعر المعاني التي سبق اليها فأبرزها في أحسن من الكسوة التي عليها لم يجب بل وجب له فضل لطفه واحسانه فيه
كقول ابي نواس :

وان جرت الألفاظ منا بمدحةٍ لغيرك أنسانا فأنت الذي نعني

أخذه من الاحوص حيث يقول :

متى ما أقل في آخر الدهر مدحةٌ فما هي الا لابن ليلي المكرم

وكقول دعبل :

أحبُّ الشيبَ لما قيل ضيف كحبي للضيوفِ النازلينا

أخذه من الاحوص حيث يقول :

فبان مني شبابي بعد لذته كأنما كان ضيفاً نازلاً رحلاً

وكقول دعبل :

لا تعجبي يا سلمٌ من رجلٍ ضحك المشيبُ برأسه فبكتي

أخذه من قول الحسين بن مطير :

كل يوم بأقحوان جديد تضحك الأرض من بكاء السماء

(١) عيار الشعر ص ١٠ .

ويحتاج من سلك هذه السبل الى الطاف الحيلة ، وتدقيق النظري
تناول المعاني ، واستعارتها ، وتلييسها حتى تخفى على تقادها والبصراء
بها ، وينفرد بشهرتها كأنه غير مسبوق اليها فيستعمل المعاني المأخوذة
من غير الجنس الذي تناولها منه (١) .

وليس في بحث ابن طباطبا تقسيم لهذا الفن ، وتنويع لمسائله ، ولو
أنه قرر بعض أصول السرقات .

الجرجاني والسرقات :

وذكر علي بن عبد العزيز الجرجاني (٣٦٦ هـ) أن الشاعر لا يزال
يستعين بخاطر الآخر ، ويستمد من قريحته ، ويعتمد على معناه ولفظه ،
لان من تقدم استغرق المعاني وسبق اليها واتى على معظمها ، ومن هنا
يعذر أهل عصره ان اخذوا من غيرهم واعتمدوا عليهم ، ولا يدعي
الجرجاني القدرة على الاحاطة بجميع السرقات أو امكان تمييزها ، وهو
يدعو الى التحرز من الاقدام قبل التيشن والحكم الا بعد الثقة .
والسرقات كثيرة وقد حصرها في : السرقة ، والغصب ، والاغارة ،
والاختلاس ، والالمام ، والملاحظة ، والمشارك الذي لا يجوز ادعاء
السرقة فيه ، والمبتذل الذي ليس أحد اولى به ، ووضع قاعدة عامة وهي
أن المعاني المشتركة والمتداولة لا تعتبر سرقة يقول : « فمتى نظرت فرأيت
أن تشبيه الحسن بالشمس والبدر ، والجواد بالفيث والبحر ، والبليد
البطيء بالحجر والحمار ، والشجاع الماضي بالسيف والنار ، والصب
المستهام بالمخبول في حيرته ، والسليم في سهره ، والسقيم في أنينه
وتأمله ، أمور متفرقة في النفوس متصورة للعقول ، يشترك فيها الناطق ،
والأبكم ، والفصيح ، والاعجم ، والشاعر ، والمفحم ، حكمت بأن
السرقة عنها منتفية والاخذ بالاتباع مستحيل ممتنع » (٢) . ولا يمكن

(١) عيار الشعر ص ٧٦ وما بعدها .

(٢) الوساطة ص ١٨٣ .

أن نطلق السرقة الا في الامور المنسوبة لشاعر أو كاتب بعينه ، فالناس لا يزالون يشبهون الورد بالخدود ، والخدود بالورد ثرا ونظما وتقول فيه الشعراء فتكثر وهو من الباب الذي لا يكمن ادعاء السرقة فيه الا بتناول زيادة تضم اليه أو معنى يشفع به كقول علي بن الجهم :

عشية حياي بوردي كآئته خدود^١ أضيفت بعضهن الى بعض^٢

فأضاف بعضهن الى بعض له ، وان^٣ أخذ فمنه يؤخذ واليه ينسب ، وكقول ابن المعتز :

بياض في جوانبه احمرار^٤ كما احمررت^٥ من الخجل الخدود^٦

والخجل انما يحمر وجنتاه ، فاما منبت الاصداع ومحط العذار قليلا ما يحمران فهذا التمييز مسلم به ، وان لم يكن يسبق اليه ولو اتفق له أن يقول : « حمرة في جوانبها بياض » لكان قد طبق المفصل ، وأصاب الطرف ، ووافق شبه الخجل ، لكن أراد أن البياض والحمرة يجتمعان فجعل الاحمرار في جوانب البياض فراغ عن موقع التشبيه ثم قال أبو سعيد الخزومي :

والورد فيه كأنما أوراقه^٧ نزلت ورد مكانهن خدود^٨

فلم يزد على ذلك التشبيه المجرد ، لكنه كساه هذا اللفظ الرشيق ، فصرت اذا قسته الى غيره وجدت المعنى واحداً ، ثم أحسبت في نفسك عنده هزة ، ووجدت طربة تعلم لها انه انقرد بفضيلة لم ينازع فيها .

يقول في السرقة المدوحة : « ومتى جاءت السرقة هذا المجيء لم تعد من المعاييب ، ولم تحص في جملة المثالب ، وكان صاحبها بالتفضيل أحق ، وبالمدح والتزكية أولى » (١) .

(١) الوساطة ص ١٨٨ .

وقد يحصل التفتن في السرقة ، ولا ينتبه اليها الا الحاذق الفطن
وذلك كأن يؤخذ النسيب فيحول الى المديح كقول كثير :

أريدُ لأنسى ذِكْرَها فكأنما تمثل لي ليلي بكل سبيلٍ

أخذه أبو نواس فقال مادحا :

ملك تصور في القلوب مثاله فكأنه لم يَخَلْ منه مكانٌ

وليس من شك في أن أحدهما من الآخر ، وإن كان الاول نسبيا
والثاني مديحا^(١) . ومن لطيف السرق ما جاء على وجه القلب وقصد
به النقض كقول المتنبي :

أأحبه وأحب فيه ملامةٌ إن الملامة فيه من أعدائه

نقض قول أبي الشيص :

أجد الملامة في هواك لذيدةٌ حبا لذكرك فليمني اللثوم^(٢)

وأصله لابي نواس في قوله :

إذا غاديتني بصبح عدلٍ فمزوجاً بتسمية الحبيب
فاني لا اعد اللثوم فيه عليك إذا فعلت من الذنوب^(٢)

ولعل أحسن ما في بحث القاضي الجرجاني تفصيله القول في انواع
السرقة المدوحة ، وتحزره في الحكم على السرقة ، وبذلك تظهر لنا
روح القاضي الذي لا تأخذه في الحق لومة لائم ، ولا يدين أحدا
الا بعد ثبوت التهمة .

(١) الوساطة ص ٢٠٤ - ٢٠٥ .

(٢) الوساطة ص ٢٠٦ - ٢٠٧ .

الامدي والسرفات :

ويرى الحسن بن بشر بن يحيى الأمدي (٣٧١ هـ) أن لا سرقة في الالفاظ ، لانها مباحة غير محظورة ، وانما السرقة تتحقق في المعاني البديعة المخترعة التي يختص بها شاعرا في المعاني المشتركة بين الناس ، الجارية في عاداتهم والمستعملة في أمثالهم ومحاوراتهم مما ترتفع أنظمة فيه عن الذي يورده ، أن يقال أخذه من غيره يقول : « وانما السرقة في البديع الذي ليس للناس فيه اشتراك » (١) . ويؤمن أنها ليست « من كبير مساويء الشعراء وخاصة المتأخرين اذ كان هذا بابا ما تعرى عنه متقدم ولا متأخر » (٢) . ويؤمن بالسرقة المدوحة والأخذ الحسن ، ويقرر أن تقارب بيئة الشعارين يجعلهما متفقين في كثير من المعاني يقول : « غير منكر لشاعرين متناسبين من أهل بلدين متقاربيين أن يتفقا في كثير من المعاني » (٣) . وهذا ما كرره أبو هلال حيث يقول : « واذا كان القوم في قبيلة واحدة وفي ارض واحدة فان خواطرهم تقع متقاربة كما أن اخلاقهم وشمالهم تكون متضارعة » (٤) .

العسكري والسرفات :

وعني أبو هلال العسكري (٣٩٥ هـ) بالسرفات الشعرية في كتاب الصناعتين وجعل هذه الدراسة في فصلين :

الاول : في حسن المأخذ ، وهو أن تأخذ المعنى وتكسوه لفظا جديدا أجود من لفظه الاول ومن فعل ذلك كان أحق بالمعنى من صاحبه الاول ، وقد فصل الكلام في وسائل الاخذ الحسن وهى : أخذ معنى منظوم وايراده في كلام مشثور أو من ثر فيورد في نظم ،

(١) الموازنة ص ٤٧ .

(٢) الموازنة ص ٢٥٠ .

(٣) الموازنة ص ٤٧ .

(٤) كتاب الصناعتين ص ٢٣٠ .

والنقل من غرض الى غرض • أما حل المنظوم ونظم المشور فقد قسمه الى اربعة أضرب : ضرب منها يكون بادخال لفظة بين انفاظه ، وضرب ينحل بتأخير لفظة منه وتقديم أخرى فيحسن محلولة ويستقيم ، وضرب منه أن توضع ألقاظ البيت في مواضع ولا يحسن وضعها في غيرها فيختل اذا نثر بتأخير لفظ وتقديم آخر ، وضرب تكسو ماتحله من المعانى ألقاظا من عندك ، وهذا ارفع الدرجات •

والثانى : في قبج الأخذ ، وهو أن يعمد الى المعنى فيتناولوه لفظه كله أو اكثره ، او تخرجه في معرض مستهجن (١) •

فما أخذ بلفظه ومعناه ، وأدعي أخذه ، أو ادعي له انه لم يأخذه ، ولكن وقع له ما وقع للأول قول طرفة :

وقوفاً بها صحبي عليّ مطيهم يقولون لا تهلك أسى وتَجَكِّدِ
وهو قول امرىء القيس :

وقوفاً بها صحبي عليّ مطيهم يقولون لا تهلك أسى وتَجَمَّلِ

وهذا الاخذ معيب وان ادشعي ان الآخر لم يسمع الاول بل وقع لهذا كما وقع لذلك ، فان صحة ذلك لا يعلمها الا الله عز وجل ، والعيب لازم للآخر •

والضرب الآخر من الاخذ المستهجن أن يأخذ المعنى فيفسده أو بعوصه أو يخرج في معرض قبيح وكسوة مسترذلة كقول أبي كريمة :

قفاه وجه ثم وجه الذي قفاه وجه يشبه البدر

(١) ينظر كتاب الصناعتين ص ٢١٦ وما بعدها ، وابو حلال السكري ومقاييسه اللامية والتقدية ص ١٧٢ •

أخذه من قول أبي نواس :

بأبي أنت من مليحٍ بديعٍ بد حُسْنِ الوجوهِ حسنٌ قفاكا

وأحسن ابن الرومي فيه فقال :

ما ساءني إعراضه عني ولكن سرّاني
سالفته عَوْضٌ من كل شيء حسن

وقد تابع أبو هلال في دراسته هذه حسه الفني ، وسائر ذوقه الأدبي وتخلص فيها من أساليب العلماء ومناهج المتكلمين (١) . ويرى الاستاذ محمد مصطفى هدارة أن أبا هلال سار في الاتجاه الذي يرمي الى ابعاد مشكلة السرقات عن محيط النقد الأدبي ، وربطها بالبلاغة . وذلك واضح في كلامه على كمال الحلية والصيغة والحدق في رصف الالفاظ وعقد المنثور أي السرقة من النثر (٢) وهذا حق لان أبا هلال لم يكن ناقدا بحتا وانما كان رجلا عالما وضع للبلاغة أصولها وقواعدها وكان من الطبيعي ان يضع لهذا البحث أصوله ويقنن قواعده . وبذلك ابتعد عن طريقة القاضي الجرجاني والآمدي في بحثها ، لأنهما سارا فيها في محيط النقد الأدبي ، ولم يضعوا القواعد ، ويضبطا الاصول كما فعل أبو هلال والمتأخرون .

ابن رشيق والسرقات :

وَألمَّ ابن رشيق القيرواني (٤٥٦ هـ) بأراء من سبقه من النقاد والبلاغيين في بحث السرقات ، ويعتبر كتاباه : « العمدة » و « قراضة الذهب » من خيرة الكتب التي تطرقت لهذا الموضوع ، وإن كان الاول أوفى وأكثر تفصيلا . وقد استهل ابن رشيق بحثه بقوله : « هذا باب متسع جداً لا يقدر أحدٌ من الشعراء أن يدعى السلامة منه ، وفيه

(١) ينظر أبو هلال العسكري ومقاييسه البلاغية والنقدية ص ١٧٢ .

(٢) ينظر مشكلة السرقات ص ٩٨ .

أشياء غامضة الا عن البصير الحاذق بالصناعة ، واخر فاضحة لا تخفى على الجاهل المغفل» (١) . ويكون السرقة في البديع الذي يختص به الشاعر لا في المعاني المشتركة الجارية في عاداتهم المستعملة في أمثالهم ومحاوراتهم .

وقد ذكر أنواع السرقات وحدد مصطلحاتها ، وحصر أمثاتها وفنونها ، فتكلم على الاضطراب ، والاجتلاب أو الاستلحاف ، والانتحال ، والادعاء ، والإغارة ، والغصب ، والمرافدة أو الاسترفاد ، والاهتمام أو النسخ ، والنظر ، والملاحظة ، والالمام ، والاختلاس أو النقل ، والموازنة ، والعكس ، والمواردة ، والالتقاط ، والتلفيق أو الاجتذاب ، والتركيب ، وكشف المعنى .

ويمتاز ابن رشيق بأنه حدد هذه المصطلحات ، ووضعها وضعاً يكاد يكون نهائياً بالنسبة لهذه البحوث .

والاخذ الحسن عنده يكون في اختصار المعنى ، أو بسطه ، أو تبيينه أو أن يختار له حسن الكلام ، أو رشيق الوزن ، أو صرفه عن وجهه الى وجه آخر . وسوء الاتباع أن يعمل الشاعر معنى رديئاً مستهجنًا ، ثم يأتي من بعده فيتبعه على رداءته (٢) . كقول أبي تمام :

باشرت أسباب الغنى بمدائحٍ ضربت بأبواب الملوك طبولاً

فقال أبو الطيب :

إذا كان بعض الناس سيفاً لدولةٍ ففى الناس بوقات لها وطبولٌ

واتبع ابن رشيق في «قراضة الذهب» سيلاً آخر ، وحصر السرقات في الانواع البديعية ، يقول : « السرقة انما تقع في البديع النادر

(١) المدة ج ٢ ص ٢٨٠ .

(٢) بنظر المدة ج ٢ ص ٢٩١ .

والخارج عن العادة ، وذلك في العبارات التي هي الالفاظ « (١) » .
وجعل المطابقة والتجنيس أفصح سرقة من غيرها ، لان التشبيه وما
شاكل يتسع فيه القول ، والمجانسة والتطبيق يضيق فيما تناوله
اللفظ (٢) . ومضى في ذكر أنواع السرقات البديعة كالايفال ، والتتبع ،
والمبالغة ، والتتميم ، والانتفات .

وإذا ما أردنا أن نقارن بين « العمدة » و « القراضة » في بحث
السرقات نجد أن ابن رشيق سار في الاول سيرة علماء البلاغة ، وأولع
بالتحديد والتقسيم ، وذكر المصطلحات الكثيرة ، بينما نحا في الثاني
منحى تقديا ، وكان لملكته الادبية ، وذوقه الصافي أثر واضح فيه .

عبدالقاهر والسرقات :

ودرس عبد القاهر (٤٧١ هـ) السرقات في كتابه « أسرار البلاغة »
و « دلائل الاعجاز » ، وجعل المعانى في قسمين :

الاول : عقلى يتفق العقلاء على الاخذ به ، والحكم بموجه في
كل جيل وأمة ، ويوجد له أصل في كل لسان ولغة ، ويكون مجراه في
الكتابة الادبية مجرى الادلة التي يستنبطها العقلاء والفوائد التي
تثيرها الحكماء ، ولذلك تجد الاكثر من هذا التجنيس منتزعا من أحاديث
النبي (ص) ، وكلام الصحابة ، ومنقولا من آثار السلف الذين شأنهم
الصدق ، وقصدهم الحق ، أو ترى له أصلا في الامثال القديمة والحكم
المأثورة عند القدماء ، فمثلا قول المتنبي :

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم

مضى يقول لهم يزل العقلاء يقضون بصحته ، ويرى العارفون
بالسياسة الأخذ بسنته وبه جاءت أوامر الله سبحانه ، وعليه جرت

(١) نراضة الذهب ص ١٤ .

(٢) نراضة الذهب ص ١٨ .

الاحكام الشرعية والسنن النبوية وبه استقام لاهل الدين دينهم وانتمى
عنهم اذى من يفتنهم ويضرهم اذ كان موضع الجبله على ألا تخلو الدنيا
من الطغاة الماردين والغزاة المعاندين (١) .

الثانى : تخيلى ، وهو الذى لا يمكن ان يقال انه صدق ، وانه ما
أثبتته ثابت ، وما نفاه منفى ، هو مفتن المذاهب كثير المسالك لا يكاد
يحصر ، ومنه قول ابى تمام :

لا تنكري عطل الكريم من الغنى فالسيل حَرَبٌ للمكانِ العالى

فهذا تدخيل الى السامع الكريم اذ كان موصوفا بالعلو والرفعة في
قدره وكان الغنى كالغيث في حاجة الخلق اليه وعظم نفعه وجب بالقياس
ان ينزل من الكريم نزول ذلك السيل عن الطود العظيم ، ومعلوم انه
قياس تخييل وايهام ، لا تحصيل واحكام .

ومن هذا القسم نوع يجيء مصنوعا في تल्पف ، واستعين عليه
بالرفق والحدق حتى أعطي شبا من الحق وغشي رونقا من الصدق
كقول بشار :

الشيْبُ كره ، وكره أن يفارقي أعجب بشيء على البغضاء مودود

هو من حيث الظاهر صدق وحقيقة ، لان الانسان لا يعجب ان
يدرك المشيب ، فاذا ادركه كره ان يفارقه فنراه لذلك ينكره ويكرهه ،
الا أنك اذا رجعت الى التحقيق كانت الكراهية والبغضاء لاحقة للشيْب
على الحقيقة ، فاما كونه مرادا ومودودا فمتخيل فيه وليس بالحق
والصدق (٢) .

وعقد فضلا في « الأخذ والسرقه والاستمداد والاستعانة » (٣) ،

وجعل الاتفاق بين الشاعرين على وجهين :

(١) ينظر اسرار البلاغة ص ٢٩٨ - ٣٠١ .

(٢) ينظر اسرار البلاغة ص ٣٠٢ - ٣٠٣ .

(٣) اسرار البلاغة ص ٣٨٣ وما بعدها .

الاول . أن° يكون في الغرض على العموم وهذا الاتفاق لا يدخل في الاخذ ، والسرقه ، والاستمداد ، والاستعانة ، كوصف المدوح بالشجاعة ، والسخاء ، أو حسن الوجه والبهاء .

الثاني : الاشتراك في وجه الدلالة على الغرض ، وذلك بان يذكر ما يستدل به على اثباته له بالشجاعة والسخاء مثلا ، يقول في هذا : « وأما الاتفاق في وجه الدلالة على الغرض فيجب ان ينظر فيه ، فان كان مما اشترك الناس في معرفته وكان مستقرا في العقول والعادات ، فإن° حكم ذلك وان كان خصوص المعنى حكم العموم . من ذلك التشبيه بالاسد في الشجاعة ، وبالبدر في النور والبهاء ، وبالصبح في الظهور والجلء وفي الالتباس عنه والخفاء ، وكذلك قياس الواحد في خصلة من الخصال على المذكور بذلك والمشهور به ، والمشار اليه . سواء كان ذلك ممن حضرك في زمانك ام كان ممن سبق في الأزمنة الماضية والقرون الخالية ، لان هذا مما لا يختص بمعرفته قوم دون قوم ولا يحتاج في العلم به الى رؤية واستنباط وتدبر وتأمل ، وانما هو في حكم الغرائز المركوزة في النفوس والقضايا التي وضع العلم بها في القلوب ، وان كان مما ينتهي اليه المتكلم بنظر وتدبر ، ويناله بطلب واجتهاد ، ولم يكن كالاول في حضوره اياه ، وكونه في حكم ما يقابله الذي لا معاناة عليه فيه ، ولا حاجة به الى المحاولة والمزاولة ، والقياس ، والمباحثة ، والاستنباط ، والاستشارة » (١) . فهو الذي يجوز أن يدعى الاختصاص فيه والسبق والتقدم .

واتجه اتجاها آخر في « دلائل الاعجاز » ، ورأى ان السرقه ليست مجرد لفظ ومعنى وانما الامر صياغة وتصوير ، وأجمل فكرته في حقيقة الاخذ طبقا لنظرية النظم التي نادى بها ، يقول : « وجملة الامر انه كما لا تكون الغضة خاتما أو الذهب سوارا أو غيرها من أصناف الحلى بانفسهما ، ولكن بما يحدث فيهما من الصورة كذلك

(١) اسرار البلاغة ص ٢٨٥ .

لا تكون الكلم المفردة التي هي اسماء وافعال وحروف كلاما وشعرا من غير ان يحدث فيها النظم الذي حقيقته توخي معاني النحو وأحكامه ، فاذن ليس لمن يتصدى لما ذكرنا من ان يعمد الى بيت فيضع مكان كل لفظة منها لفظة في معناها الا ان يترك عقله ويستخف ، ويعد معد الذي حكى انه قال اني قلت بيتا هو اشعر من بيت حسان ، قال حسان :

يعشون حتى ما تهر كلابهم لا يسألون عن السواد المتقبل

وقلت :

يعشون حتى ما تهر كلابهم أبداً ولا يسألون عن ذا المقبل

فقيل هو بيت حسان ولكنك قد افسدته « (١) » .

وجعل المعنى المتداول بين الآخذ والمأخوذ منه قسمين :

الاول : ترى فيه أحد الشعارين قد أتى بالمعنى غفلا ساذجا ، وترى الآخر قد أخرجه في صورة تروق وتعجب ، ويكون ذلك أما لأن متأخرا قصر عن متقدم ، وأما لان هدي متأخر لشيء لم يهتد اليه المتقدم .

الثاني : ترى كل واحد من الشعارين قد صنع في المعنى وصور ، وهذا يدل على أن المعنى ينتقل من صورة الى صورة (٢) .

واهتم عبد القاهر بهذا النوع اهتماما كبيرا باعتبار أن النوع الاول ليس مجال دراسة البلاغيين ، لانه أمر ظاهر للعيان ولكن هذا القسم هو الميدان الذي يصول فيه البلاغي ليستخدم أدواته في الحكم على أي الصورتين أجمل من الاخرى ما دام المعنى واحدا « (٣) » .

ويبدو من هذا الكلام كله أن عبد القاهر لم يعبر السرقة والأخذ كبير اهتمام ، ولم يبحثها الا على أنها لون من الوان اشتراك الشعراء

(١) دلائل الاعجاز ص ٣٧٣ .

(٢) دلائل الاعجاز ص ٣٧٤ ، ٣٨٥ .

(٣) مشكلة السرقات ص ١٤١ .

في المعنى ، وسبب يمهّد للموازنة بين المعاني ، ويرى الفرق في الصور التي يتناول بها الشعراء معنى واحدا .

ابن منقذ والسراقات :

وعقد أسامة بن منقذ فصولا مختلفة في : « البديع في نقد الشعر » ويبيّن المقبول من السراقات وغير المقبول ، وجمع جمعاً يكاد يكون تاماً ما قيل أن المتنبي أخذه عن أرسطو فسَهّل سبيل الموازنة بين شعر الشاعر وافكار الفيلسوف اليوناني ، وعقد باباً في الحل والعقد ، تكلم فيه على المناقشة بين أرسطو طاليس وأبي الطيب ، وأطال الحديث في هذا الموضوع (١) . ولم يفته في البحث أن يذكر كلام أرسطو ثم يذكر بيت المتنبي مثل : « قال الحكيم : إذا كانت الشهوة فوق القدرة كان هلاك الجسم دون بلوغ الشهوة ، وقال أبو الطيب المتنبي :

وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسام

واستمر في بحث سرقات المتنبي بهذه الطريقة ، وليس لاسامة شيء في هذا البحث الطويل ، وإنما هو « الرسالة الحاتمية فيما وافق المتنبي في شعره كلام أرسطو في الحكمة » للإمام أبي علي محمد بن محمد بن الحسن بن المظفر البغدادي ، وقد نقلها ابن منقذ نقلاً يكاد يكون تاماً ، ولم يشر إلى ذلك ، ولا إلى الرسالة الحاتمية في مصادره التي ذكرها في مقدمة كتابه مع أنه ذكر كتابي : « الحالي » و « المحاضرة » للحاتمي ، وعدهما من جملة مصادره التي وقف عليها واستفاد منها ، ولم ينتبه الدكتور أن أحمد أحمد بدوي وحامد عبد المجيد محققا « البديع في نقد الشعر » إلى هذا واكتفيا في المقارنة بين كلام المتنبي وكلام أرسطو بالرجوع إلى شرح العكبري لديوان المتنبي ، مع أن رسالة الحاتمي طبعت ثلاث مرات (٢) .

(١) البديع في نقد الشعر ص ٢٦٤ - ٢٨٣ .

(٢) ظهرت الطبعة الأولى في مجموعة للنس انطون بولاد دعاها راشد سوريا وطبعها

ابن الاثير والسراقات :

ولعل أوفى دراسة للسراقات ، وأوسعها ، وأكثرها تفصيلا ، ما كتبه ابن الاثير في « المثل السائر » و « الجامع الكبير » و « الاستدراك » ، وقد اتبع منهجا فيه تحديد وحصر ، وعرض وتحليل ، وبذلك جمع بين القواعد البلاغية والنقد الذوقي في هذه الكتب الثلاثة ، ولا نعرف شيئا عن منهجه في كتابه الخاص بالسراقات الذي ذكره في المثل السائر . وليس من سبيل الى معرفة السراقات الشعرية والوقوف عليها الا بحفظ الاشعار الكثيرة التي لا يحصرها عدد يقول : « فمن رام الاخذ بنواحيها ، والاشتمال على قواصيهما بان يتصفح الاشعار تصفحا ، ويقتنع بتأملها ناظرا » (١) .

وكان ما كتبه ابن الاثير في هذا الموضوع خاتمة البحوث النقدية في السراقات وقد قسمها الى خمسة أقسام :

- الاول : النسخ ، وهو أخذ اللفظ والمعنى برتمته من غير زيادة عليه مأخوذاً ذلك من نسخ الكتاب .
- الثاني : السلخ ، وهو أخذ بعض المعنى ، مأخوذاً من سلخ الجلد .
- الثالث : المسخ ، وهو احالة المعنى الى ما دونه ، مأخوذاً ذلك من مسخ الآدميين قرودة .
- الرابع : أخذ المعنى مع الزيادة عليه .
- الخامس : عكس المعنى الى ضده .

والنوعان الاخيران لم يذكرهما في كتابه الاستدراك ولا في كتابه عن السراقات الذي قسمها فيه الى نسخ ، وسلخ ، ومسخ . وقد تنبه اليهما في المثل السائر ، يقول : « وههنا قسمان أخلت بذكرهما في

في بيروت سنة ١٨٦٨ م وظهرت الطبعة الثانية في مطبعة الجوانب في القسطنطينية سنة ١٢٠٢ هـ (١٨٨٤م) في مجموعة التحفة البهية والطرفة الشبية ، وظهرت الطبعة الثالثة سنة ١٩٣١ مطبوعة بالمطبعة الكاثوليكية بتحقيق فؤاد افرام البستاني .

(١) المثل السائر ج ٢ ص ٣٦٦ .

الكتاب الذي ألفته ، فأحدهما : أخذ المعنى مع الزيادة عليه ، والآخر :
عكس المعنى الى ضده . وهذان القسمان ليسا بنسخ ، ولا سلخ ،
ولا مسخ « (١) » .

وقسم هذه الاقسام الى فروع كثيرة وجعل النسخ على ضربين :
الاول : يسمى وقوع الحافر على الحافر كقول امرئ القيس :
وقوفا بها صحبي عليّ مطيهم يقولون لا تهلك أسيّ وتجمّل
وكقول طرفة :

وقوفا بها صحبي عليّ مطيهم يقولون لا تهلك أسيّ وتجمّل

الثاني : وهو الذي يؤخذ فيه المعنى وأكثر اللفظ كقول بعض
المتقدمين يمدح معبدا صاحب الغناء :

أجاد طويس والسريجي بعده وما قصباتُ السبق إلاّ لمعبد

ثم قال أبو تمام :

محاسنُ أصنافِ المغنينِ جمّةٌ وما قصباتُ السبقِ إلاّ لمعبد

وقسّمَ السلخ الى أحد عشر نوعا ، يقول : « وهذا تقسيم
أوجبه القسمة » (٢) .

الاول : ان يؤخذ المعنى ويستخرج منه ما يشبهه ولا يكون هو
إيّاه . وهذا من أدق السرقات مذهبيا ، وأحسنها صورة ، ولا يأتي الا
قليلا ، فمن ذلك قول بعض شعراء الحماسة :

لقد زادني حبا لنفسي أني بغيضٌ الى كل أمرئ غيرِ طائل

(١) المثل السائر ج ٢ ص ٣٦٦ .

(٢) المثل السائر ج ٢ ص ٣٧٢ .

أخذ المتنبّي هذا المعنى واستخرج منه معنى آخر غيره إلا أنه شبيه به فقال :

وإذا أتتك مذمتي من ذاقِصٍ فهي الشهادةُ لي بأني كاملٌ

الثاني : أن يؤخذ المعنى مجردا من اللفظ ، وذلك مما يصعب جدا ، ولا يكاد يأتي الا قليلا ، فمنه قول عروة بن الورد من شعراء الحماسة :

ومن يك مثلي ذا عيال ومقترا من المال يطرح نفسه كل مطرح
ليبلغ عذراً أو ينال رغبةً ومبلغ نفسٍ عذرها مثل منجح

أخذ أبو تمام هذا المعنى فقال :

فتى مات بين الضرب والطعن ميتةً

تقوم مقام النصر إن فاته النصر

وهذا الضرب في سرقات المعاني من أشكلها ، وأدقها ، وأغربها ، وأبعدها مذهبا ، ولا يتفطن له ويستخرجه من الأشعار الا بعض الخواطر دون بعض .

والثالث : وهو أخذ المعنى ويسير من اللفظ ، وذلك من أقبح السرقات ، وأظهرها شناعة على السارق . فمن ذلك قول البحري في غلام :

فوق ضعف الصغير إن وكل الامر اليه ودون كيد الكبار

سبقه أبو نواس فقال :

لم يخف من كبر عما يراد به من الامور ولا أزرى من الصغر

الرابع : وهو أن يؤخذ المعنى فيعكس وذلك حسن يكاد يخرج منه حسنه عن حد السرقة . فمن ذلك قول ابن جعفر :

ولما بدا لي أنها لا تريدني وأن هواها ليس عني بمنجلي
تمنيت أن تهوى سواي لعلها تذوق صبايات الهوى فترق لي

وقال غيره :

ولقد سرّني صدودك عني في طلاييك وامتناعك مني
حذراً أن أكون مفتاح غيري وإذا ما خلوت كنت التمني

أما ابن جعفر فإنه تداءب وألقى عن منكبه رداء الغيرة ، وأما الآخر
فجاء بالضد من ذلك وتعالى به غاية الغلو •

الخامس : وهو أن يؤخذ بعض المعنى ، فمن ذلك قول أمية بن أبي
الصلت يمدح عبد الله بن جدعان :

عطاؤك زين لامرئ ان حبوته يبذل وما كل اعطاء يزين
وليس بشين لامرئ بذل وجهه اليك كما بعض السؤال يشين

أخذه أبو تمام فقال :

تدعى عطاياه وفرا وهي إن شهرت كانت فخاراً لمن يعفوه مؤتفعا
ما زلت منتظراً أعجوبة زمننا حتى رأيت سؤالاً يجتنى شرفا

السادس : وهو أن يؤخذ المعنى فيزاد عليه معنى آخر ، فمما جاء
منه قول الاخنس بن شهاب :

إذا قصرت أسيافنا كان وصلها خطانا الى أعدائنا متضارب

أخذه مسلم بن الوليد فزاد عليه وهو قوله :

إن قصر الرمح لم يمش الخطا عددا
أو عرد السيف لم يهجم بتعريدا

السابع : وهو أن يؤخذ المعنى فيكسى عبارة أحسن من العبارة

الأولى ، وهذا هو المحمود الذي يخرج حسنه عن باب السرقة ، فمن ذلك قول أبي تمام :

جدلان من ظفر ، حران ان رجعت مخضوبة منكم أظفاره بدم
أخذه البحرني فقال :

إذا احتربت يوما ففاضت دماؤها تذكرت القربي ففاضت دموعها

الثامن : وهو إن يؤخذ المعنى ويسبك سبكا موجزا ، وذلك من أحسن السرقات لما فيه من الدلالة على بسطة الناظم في القول ، وسعة بابه في البلاغة ، فمن ذلك قول بشار :

من راقب الناس لم يظفر بحاجته وفاز بالطيبات الفاتك اللهج
أخذه سلم الخاسر وكان تلميذه فقال :

من راقب الناس مات غمًا وفاز باللذة الجسور

التاسع : وهو أن يكون المعنى عاما فيجعل خاصا ، أو خاصا فيجعل عاما ، وهو من السرقات التي يسامح صاحبها ، فمن ذلك :

لا تنه عن خلقت وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم
أخذه أبو تمام فقال :

ألوم من بخت يداه واغتدي للبخل قربا ؟ ساء ذاك صنيعا

العاشر : وهو زيادة البيان مع المساواة في المعنى ، وذلك بان يؤخذ المعنى فيضرب له مثال يوضحه فيما جاء منه قول أبي تمام :

هو الصنع ان يعجل فنفع وان يرث فللريث في بعض المواطن أتع
أخذه المنتبي فأوضحه بشال ضربه له وذلك قوله :

ومن الخير بطاء سيبك عني أسرع السحب في المسير الجهم

الحادى عشر : وهو اتحاد الطريق ، واختلاف المقصد . ومثاله أن يسلك الشاعران طريقا واحدة فتخرج بهما الى موردين أو روضين . وهناك يتبين فضل أحدهما على الآخر (١) .

وفي هذا الضرب تظهر قدرة ابن الاثير على التحليل ، والنقد ، وعرض الصور المختلفة ، والموازنة بينها . وقد اختار قصائد معينة وحللها وقارن بينها ، وحلل قصيدتي أبي تمام والمتنبي في رثاء طفل ، وقصيدتي البحرى والمتنبي في وصف الاسد ، وبذلك ينتقل من النظرة الجزئية الى النظرة العامة التى ترى العمل الادبي ككلام متكامل لا يقبل التجزئة ، ولا النظرة الضيقة . ولا يرى الدكتور محمد مندور علاقة لهذا النوع بالسرقات ، وان ابن الاثير خلط بين السرقات والموازنات حرصا على كثرة الابواب واستقصائها (٢) . ومن ينظر في هذا البحث يجد أنه من السرقة لا من الموازنة وان اتخذ ابن الاثير المقارنة سبيلا الى ذلك . ونرى أن هذا العمل من أجل اعمال دراسة السرقات، وحبذا لو استمر ابن الاثير في هذا المنهج ليأتي بكل ما يدهش ، ويبعث على الاعجاب ، ولكنه اكتفى بهذه النماذج القليلة عارضا ، وموازنا ، وناقدا .

وتحدث عن السرقات في كتابيه الآخرين : « الجامع الكبير » و « الاستدراك » (٣) . وكان بحث الاستدراك اكثر نضجا ، وأبعد عن تقنين القواعد والتقسيمات ، وبذلك اضاف الى هذه الدراسة أشياء كثيرة لها قيمتها في النقد والموازنات الادبية ، وقد تعرضنا لبعضه في فصل سابق . ونرى أن بحث ابن الاثير في السرقات من امتع واروع ما كتب فيها وينبغي ان تتبعه في بحثها وفي كل موازنة تعتمد بين أدبيين

(١) المثل السائر ج ٢ ص ٣٧١ وما بعدها .

(٢) النقد المنهجي عند العرب ص ٣٦٨ - ٣٦٩ .

(٣) الجامع الكبير ص ٢٤٢ وما بعدها ، والاستدراك ص ٩ وما بعدها وص ٦١ وما بعدها .

تأثر أحدهما بالآخر • وكان ابن الاثير في هذا الميدان واسع الأفق ،
عظيم الادراك ، وقد جاء بالكثير مما لم يفعله غيره ، يقول : «وقد أوردت
في هذا الموضوع من السرقات الشعرية ما لم يورده غيري ، ونهت على
غوامض منها»^(١) • وهذا حق ، لانه استفاد فائدة عظيمة ممن سبقوه
كالجرجاني والآمدي •

واحتضرت المواهب وكادت تموت بعد ابن الاثير ، وانصرف
البلاغيون والنقاد الى العبث ، والتفلسف في البحث ، وحشر ما لا
يتم الى البلاغة والنقد بصلة امعانا في التعقيد والفلسفة وعلم المنطق ،
فاخرجوها عن اهدافها الادبية ، وكان نصيب السرقات كنصيب فنون
الادب الاخرى فاصابها الجمود وصارت قواعد لا تغني كثيرا •

(١) المشل السائر ج ٢ ص ٣٧١ •

السرقات في عصر القزويني :

وشاعت السرقات في عصر القزويني ، وألفت الكتب فيها ، وكانت مثارا لحركة نقد محمودة . ومن لطيف ما قال مجير الدين بن تميم (٦٨٤ هـ) منوها بسرقاته وتضميناته :

أطالع كل ديوانٍ أراه ولم أزجر عن التضمين طيري
أضمّن كل بيت فيه معنى فشعري نصفه من شعر غيري^(١)

واشتهرت سرقات ابن نباتة من علماء الدين الوادعي (٧١٦ هـ) ، وسرقات صلاح الدين الصفدي من ابن نباتة . ولما وقف جمال الدين بن نباتة على سرقات الصفدي منه ألف في ذلك كتابا أسماه « خبز الشعير » لأنه مأكول مذموم ، وقد نقد الصفدي فيه ، وأورد كثيرا من سرقاته واستهل الحديث بقوله : « رَبِّ اغفر لي ولوالدي » ولمن دخل بيتي مؤمنا » (٢) .

ويلاحظ أن أدباء هذا العصر لم يهتموا بدراسة السرقات النثرية ، وانما اتجهوا اتجاها تاما الى دراسة السرقات الشعرية وان كان

٥

(١) فوات الوفيات ج ٢ ص ٢٤٠ .

(٢) سورة نوح الآية ٢٨ . ينظر عصر سلاطين المماليك ج ٦ ص ١٢١ .

القلقشندى قد ربأ بالكاتب أن يسرق من غيره معناه وثقله ، ولم يمنع أن يأخذ بعض الفقرات ويحور فيها بما يناسب كلامه ، وما يشعر بدوقه (١) .

الفزويني والسرقات :

ولم يترك الفزويني وهو من أعلام القرن السابع البحث في السرقات ، فدلا بدلوه ، وأحقها بالبديع ، فبعد أن انتهى من بحث فنون البديع المختلفة ذكر ان للبديع ملحقات ينبغي أهملها وملحقات لا مانع من ذكرها وهي : القول في السرقات الشعرية وما يتصل بها ، والقول في الابتداء والتخلص والانتهاء . وهذا اتجاه جديد بالنسبة لدراسة السرقات ، وقد رأينا ان المتقدمين تكلموا عليها مع فنون البلاغة والنقد الاخرى ولم يجعلوها من البديع أو يلحقوها به ، وإن كان بعض الباحثين يرى ان ابن وكيع (٣٩٣ هـ) أول من ربط بين السرقات وعلم البديع في دراسة منهجية وسار على منهجه ابو هلال وابن رشيق (٢) . والواقع أن هؤلاء لم يجعلوه من البديع الذي فهمه المتأخرون ، لان البديع عندهم فنون البلاغة كلها قبل ان يقسمها السكاكي الى معاني ، ويان ، ومحسنات . وقد أثار العلوى هذه المشكلة وتساءل قائلاً : «هل تعد السرقة الشعرية من علم البديع أم لا ؟» وأجاب ان للمسألة وجهين :

أحدهما : أنها تكون معدودة فيه ، لان كل واحد من السابق واللاحق ، انما يتصرف في تأليف الكلام ، ونظمه ، وترديده بين الفصح والافصح ، والاقبح والاحسن ، وهذه هي فائدة علم البديع وخلاصة جوهره .

وثانيهما : أنها غير معدودة في علم البديع ، لان معنى السرقة هو

(١) ينظر صبح الامشى ج ٢ ص ٢٢٩ .

(٢) مشكلة السرقات ص ١١٨ ، ١٦١ ، ١٧٩ .

الآخذ ، ومجرد الآخذ لا يكون متعلقا بأحوال الكلام ولا بشيء من صفاته فلاجل هذا لم تكن معدودة في علم البديع (١) .

واختار العلوي الاول وهو عدها من جملة اصناف البديع وأكد هذا بقوله : « والبرهان القاطع على ما ذكرناه هو ان علم البديع أمر عارض لتأليف الالفاظ ، وصوغها ، وتنزيلها على هيئة تعجب الناظر ، وتشوق القلب وال خاطر . وهذا موجود في السرقات الشعرية ، فان الشعارين المقلقين يأخذ كل واحد منهما معنى صاحبه ، ويصوغه على خلاف تلك الصياغة ، ويقبله على قالب آخر ، فاما زاد عليه وأما نقص عنه . وكل ذلك انما هو خوض في تأليف الكلام ونظمه ، وإذن الأخلق عدها منه لما ذكرناه ، بل هي اخلق بذلك ، لانا اذا عددنا الطباق ، والتجنيس ، والترصيع ، والتصريح ، من علوم البديع مع انها انما اخصت بما اخصت به من التأليف وتنزيلها على تلك الهيئات من لسان واحد فكيف حالها اذا كانت مختصة بما ذكرناه من لسانين على هئتين مختلفتين » (٢) .

ولا نذهب الى ما ذهب اليه العلوي والقزويني في اعتبار السرقات الشعرية من البديع او ملحقة به ، لان هذا الفن باب اصيل من ابواب النقد له اصوله وفروعه ، وهو ليس حلية تقتسر لتزيين الكلام وتنميته وانما هو باب واسع يجول فيه الناقد جولات ، فيوازن ، ويحلل ، ويشير الى الآخذ والاتفاق ، والى الابداع والاتباع ، وكيف يكون جزء منه ، وفيه من العيوب ما لا يرضاه البديع ولا تقبله الزينة البديعية التي وقف عندها المتأخرون ، كالنسخ . ولعل بحث ابن المعتز لحسن التضمين في كتاب البديع هو الذي دفع المتأخرين الى ان يعتبروا السرقات من علم البديع أو ملحقاته .

(١) الطراز ج ٣ ص ١٨٩ .

(٢) الطراز ج ٣ ص ١٨٩ - ١٩٠ .

ونرى ان يكون هذا البحث فنا مستقلا من فنون البلاغة والنقد
لا ان يلحق بالبديع او غيره من فنون البلاغة ، لانه موضوع هام ولان
السرقا ت « ليست مشكلة صياغة وتباين في أوجه البديع فحسب ،
ولكنها تطور المعنى من عصر لعصر ، ومن شاعر لآخر مما يخرج عن
نطاق علم البديع» (١) . ويس ما ندعو اليه بجديد فقد بحثه المتقدمون
على هذا الاساس ، وادخله ابن الاثير في ابواب الصناعة المعنوية الى
جانب التشبيه ، والاستعارة ، والكناية ، والتقديم والتأخير ، والاتفا ت ،
وبذلك كانت نظرتة اليه نظرةً واسعة ، نظرةً فيها فهم عميق لاهمية
هذا الموضوع وعلاقته بفنون البلاغة والنقد الاخرى .

ولم أرَ قبل القزوينى من ربط السرقا ت بعلم البديع وجعلها ملحقة
به ، وان كل من كتب فيها اعتبرها فنا من فنون البلاغة الاخرى ، ولم
استطع ان اضع يدى على الكتاب الذى استفاد منه في هذا الموضوع
والتقسيم ، فالسكاكى لم يتكلم على السرقا ت في كتابه «مفتاح العلوم»
مطلقا ، ولا ندرى كيف جاز للاستاذ محمد مصطفى هدارة ان يقول :
« أن جمود السرقا ت قد بدا واضحا في كتاب السكاكى » (٢) . ولعله
ظن ان القزوينى لم يصف شيئا في تلخيصه للمفتاح على ما ذكره
السكاكى فوقع في هذه الشبهة ، وبذلك كان القزوينى اول من الحقها
بالبديع - فيما نعلم - وعلل ابن يعقوب المغربى سبب الحاق القزوينى
للسرقا ت وحسن الابتداء بالبديع فقال : « وانما جمع هذه الاشياء في
الخاتمة ، ولم يجعلها بابا من البديع او يجعل كل واحد منها بابا على
حدة لوجهين :

أحدهما : أن كلا منها ليس أمرا يعم كل كلام ويغلب مكان جريانه
في كل موطن ، أما في السرقا ت فظاهر لخروج النثر فيما يتصل بها
لاختصاصها بالاخذ عن الغير ، واما في الابتداء والانتها ت والتخلص

(١) مشكلة السرقا ت ص ١٤٤ .

(٢) مشكلة السرقا ت ص ١١٩ .

فلخروج ما ليس في تلك المحال ، وهذا الوجه بعينه يمكن ان يجعل هو السر في جمعها لاشتراكها فيه .

والوجه الثاني : ان الحسن فيها دون الحسن في غيرها مع سهولة التناول فلم تجعل بابا لقللة الاهتمام بشأنها ويسرها باعتبار غيرها وان كان الناس يهتمون بامورها ، أما في السرقات فلما علم من ان الابتداع ارفع واصعب من الاتباع ، وان كان فيه تغيير ما وكذا فيما يتعلق بها ، واما في الابتداء وما والاها فلما علم من ان رعاية تمام الحسن في جميع أجزاء الكلام أعلى واصعب ، ويمكن جعل هذا ايضا هو السرفي جمعها » (١) .

ومهما حاول انصار البديع ان يدعموا رأيهم ويبرهنوا على وجهة نظرهم ، فان السرقات الشعرية تبقى فنا قائما بذاته الى جانب فنون البلاغة ، ولا يمكن ان تعتبر خاتمة للبديع او ملحقة به . وان ما ذهب اليه بعضهم من ان هذا الفن لا يحتاج الى كبير عناء لا اساس له لان المتقدمين بذلوا في بحثه كل جهد وصرفوا كل طاقة وأشاروا الى ما فيه من صعوبة ، والى ما يحتاج اليه من اعتناء واهتمام ، وقد قال ابن الاثير : « ومن المعلوم ان السرقات الشعرية لا يمكن الوقوف عليها الا بحفظ الاشعار الكثيرة التي لا يحصرها عدد فمن رام الاخذ بنواصيها والاشتغال عليها على قواصيها بان يتصفح الاشعار تصفحاً ويقتنع بتأملها ناظراً » (٢) .

وإذا كانت السرقات لا قيمة لها وكانت من اليسر والسهولة بمكان، فلماذا أفرد المتقدمون كتباً فيها ، وذكروا أنواعها ، ووازنوا بين الشعراء وبَيَّنوا كل ما يتعلق بالابتداع والاتباع ، ووضحوا السرقات ، ودلوا عليها ، وارجعوها الى اصحابها ، وكانت مثار جدل وتقاش ، واختلاف في الرأي طوال القرون الماضية ، واصبحت في العصر الحديث فصلاهما من فصول النقد الادبي ، وبحثاً له قيمته في الدراسات الادبية الحديثة .

(١) مواهب الفتح ج ٤ ص ٤٧٥ .

(٢) المثل السائر ج ٢ ص ٣٦٦ .

ما السرقة ؟

وقد ابتدأ القزويني بحث السرقات بالكلام على انواع الاتفاق فذكر ان اتفاق القائلين ان كان الغرض على العموم كالوصف بالشجاعة والسخاء والبلادة والذكاء فلا يعد سرقة ولا استعانة ولا نحوهما ، لان هذه امور متقررة في النفوس متصورة للعقول يشترك فيها الفصيح والاعجم ، والشاعر والمفحم . وان كان في وجه الدلالة على الغرض - وينقسم الى اقسام كثيرة - منها التشبيه بما توجد الصفة فيه على الوجه البليغ ، ومنها ذكر هيئات تدل على الصفة لاختصاصها بمن له الصفة ، كوصف الرجل حال الحرب بالابتسام وسكون الجوارح وقلة الفكر كقوله :

كأن دنائراً على قسماهم وان كان قد شف الوجوه لقاء

وكذا وصف الجواد بالتهلل عند ورود العفاة والارتياح لرؤيتهم ، ووصف البخيل بالعبوس وقلة البشر على سعة ذات اليد ومساعدة الدهر . فان كان مما يشترك الناس في معرفته لاستقراره في العقول والعادات كتشبيه الفتاة الحسنة بالشمس والبدر ، والجواد بالغيث والبحر ، والبليد البطيء بالحجر والحصار ، والشجاع الماضي بالسيف والنار ، فالاتفاق فيه كالاتفاق في عموم الغرض .

وان كان مما لا ينال الا بفكر ، ولا يصل اليه كل أحد فهذا الذي يجوز ان يدعى فيه الاختصاص والسبق ، وان يقضى بين القائلين فيه بالتفاضل وان احدهما فيه افضل من الآخر وان الثانى زاد على الاول او نقص عنه ، وهذا نوعان :

أحدهما : ما كان في أصله خاصيا غريبا .

والثانى : ما كان في اصله عاميا مبتدلا ، لكن تصرف فيه بما اخرجه من كونه ظاهرا ساذجا الى خلاف ذلك .

اقسام السرقة :

وبعد ان قدم هذا التمهيد للسرقات ، قَسَمَ الاخذ والسرقة الى نوعين : ظاهر وغير ظاهر ، فالأخذ الظاهر هو ان يؤخذ المعنى كله ، اما مع اللفظ كله او بعضه ، واما وحده ، وتكلم على أنواع الاخذ الظاهر وهو ثلاثة أضرب :

الاول : الاتحال أو النسخ ، وذلك اذا أخذ الكلام كله من غير تغيير لنظمه فهو مذموم مردود ، لانه سرقة محضة كما حكى ان عبد الله بن الزبير دخل على معاوية فأنشده :

إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته على طرف الهجران ان كان يعقل
ويركب حد السيف من ان تضيئه اذا لم يكن عن شفرة السيف مزحل

فقال له معاوية : لقد شعرت بعدى يا أبا بكر . وانم يفارق عبد الله المجلس حتى دخل معن بن أوس المزني فأنشد كلمته التي اولها :

لعمرك ما ادري واني لأوجل
على أيننا تعدو المنية أول

حتى أتى عليها وفيها ما أنشده عبدالله فأقبل معاوية على عبدالله وقال له : ألم تخبرني أنهما لك ، فقال المعنى لي واللفظ له ، وبعد فهو

أخي من الرضاة وأنا أحق بشعره •

وروي لبعض المتقدمين يمدح معبدًا :

أجاد طويس^١ والسريجي^٢ بعده وما قصبات^٣ السبق إلا لمعبد^٤

ولأبي تمام :

محاسن^٥ أصناف المغنين جمّة^٦ وما قصبات^٧ السبق إلا لمعبد^٨

وفي هذا المعنى ما كان التغيير فيه بإبدال كلمة أو أكثر بما يُراد فيها
كقول امرئ القيس :

وقوفاً بها صحبي علي^٩ مطيهم يقولون لا تهلك أسي وتجمّل^{١٠}

وقول طرفة :

وقوفاً بها صحبي علي^{١١} مطيهم يقولون لا تهلك أسي وتجمّل^{١٢}

وهذا النوع معيب باتفاق النقاد ، وليست له قيمة ، ويؤاخذ عليه ،
وهذا الذي سماه النقاد وابن الأثير : « وقوع الحافر على الحافر » •

والثاني : الاغارة أو المسخ ، وذلك ان كان مع تغيير لنظمه أو كان
المأخوذ بعض اللفظ • فان كان الثاني ابلغ من الاول لاختصاصه
بفضيلة كحسن السبك ، أو الاختصار ، أو الايضاح أو زيادة معنى ،
فهو ممدوح مقبول كقول بشار :

من راقب الناس لم يظفر بحاجته وفاز بالطيبات انفاتك^{١٣} اللهج^{١٤}

وقول سلم الخاسر :

من راقب الناس مات غمًا وفاز باللذة الجسور^{١٥}

فبيت سلم أجود سبكا وأخصر •

وكقول الآخر :

خَلَقْنَا لَهُمْ فِي كُلِّ عَيْنٍ وَحَاجِبٍ بِسُمْرِ الْقَنَا وَالْبَيْضِ عَيْنًا وَحَاجِبًا

وقول ابن نباتة بعده :

خَلَقْنَا بِأَطْرَافِ الْقَنَا فِي ظُهُورِهِمْ عِيونًا لَهَا وَقَعُ السُّيُوفِ حَوَاجِبِ

فبيت ابن نباتة أبلغ ، لاختصاصه بزيادة معنى وهو الاشارة الى انهزامهم * ومن الناس من جعلهما متساويين *

وان كان الثاني دون الاول في البلاغة فهو مذموم مردود كقول
أبى تمام :

هِيَهَاتَ لَا يَأْتِي الزَّمَانُ بِمِثْلِهِ إِنَّ الزَّمَانَ بِمِثْلِهِ لَبَخِيلٌ

وقول المتنبي :

أَعْدَى الزَّمَانِ سَخَاؤُهُ فَسَخَا بِهِ وَلَقَدْ يَكُونُ بِهِ الزَّمَانُ بِخَيْلًا

فان مصراع أبى تمام أحسن سبكا من مصراع ابى الطيب ، لقد أراد أن يقول : « ولقد كان الزمان به بخيلا » فعدل عن الماضي الى المضارع للوزن * وان كان مثله فالخطب فيه أهون ، وصاحب الثاني أبعد من المذمة والفضل لصاحب الاول كقول الشاعر :

يَا قَوْمِ اذْنِي لِبَعْضِ الْحَيِّ عَاشِقَةٌ وَالْاِذْنَ تَعَشَّقُ قَبْلَ الْعَيْنِ أحيانا

وقول ابن الشحنة الموصلي :

وَإِنِّي أَمْرٌ أَحْبَبْتُمْ لِمَكَارِمِ سَمِعْتُ بِهَا وَالْاِذْنَ كَالْعَيْنِ تَعَشَّقُ

وكقول القاضي الارجاني :

لَمْ يَكُنِي إِلَّا حَدِيثَ فِرَاقِكُمْ لَمَّا أَسْرَ بِسَهْ أَلْتِي مودعي

هو ذلك الدر الذي أودعتم في مسعي ألقيته من مدمعي

وقول جار الله الزمخشري :

وقائلة : ما هذه الدرر التي تساقطها عيناك سمطين سمطين
فقلت: هي الدر الذي قد حشا به أبو مضر أذني تساقط من عيني

وذكر في هذا الضرب نوعا قبيحا جدا ، وهو ما يدل على السرقة
باتفاق الوزن والقافية كقول ابي تمام :

مقيم الظن عندك والاماني وان قلت ركابي في البلاد
ولا سافرت في الآفاق الا ومن جدواك راحتي وزادي

وقول المتنبي :

واني عنك بعد غد لغاد ومحبك حيثما اتجهت ركابي
وقلبي عن فائك غير غاد وضيفك حيث كنت من البلاد

والثالث : الامام أو السلخ وهو ان يكون المأخوذ المعنى وحده وهو
ثلاثة أنواع :

اولها ، كقول البحثري :

تصد حياءً ان تراك باوجه اتي الذنب عاصيها فليم مطيعها

وقول المتنبي :

وجرم جرّه سفهاء قوم وحل بغير جارمه العذاب

فان بيت ابي الطيب احسن سبكا وكأنه اقتبس من قوله تعالى :

« أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السَّفَهَاءُ مِنَّا ؟ » (١) *

(١) سورة الاعراف ، الآية ١٥٥ .

وثانيها ، كقول بعض الاعراب :

وريحها أطيب من طيبها
والطيب فيه المسك والعنبر
وقول بشار :

وإذا أدنيت منه بصلا
غلب المسك على ريح البصل
وقول أشجع :

وعلى عدوك يابن عم محمد
رصدان : ضوء الصباح والاظلام
فاذا تنبه رعته واذا هدا
سلت عليه سيوفك الاحلام

وقول أبي الطيب :

يرى في النوم رمحك في كلاه
ويخشى أن يراه في السهاد

وثالثها ، كقول الاعرابي :

ولم يك اكثر الفتيان مالا
ولكن كان أرحبهم ذراعا

وقول أشجع :

وليس بأوسعهم في الغنى
ولكن معروفه أوسع

وأما الأخذ غير الظاهر فمنه ان يتشابه معنى الاول ومعنى الثاني
كقول الطرماح :

لقد زادني حبا لنفسي أتني
بغيض " الى كل امرئ غير طائل

وقول المتنبى :

وإذا أتتك مذمتي من ناقص
فهي الشهادة لي بأبئي كامل

وأوضح من ذلك قول جرير :

فلا يمنعك من أرب لحاهم
سواء ذو العمامة والخمار

وقول المتنبي :

ومن في كفه منهم قناة
كمن في كفه منهم خضاب

يقول القزويني : « ولا يفرك من البيتين المتشابهين أن يكون أحدهما نسيبا ، والآخر مديحا أو هجاء أو افتخارا أو غير ذلك ، فإن الشاعر الحاذق إذا عمد الى المعنى المختلس لينظمه تحيّل في اخفائه فَعَيَّرَ لفظه ، وعدل به عن نوعه ووزنه وقافيته » (١) .

وعد ابن الاثير هذا النوع من السلخ ، وهو ان يؤخذ المعنى ويستخرج منه ما يشبهه ولا يكون هو إيّاه ، وهذا من أدق السرقات مذهبا ، وأحسنها صورة ، ولا يأتي الا قليلا (٢) .

ومنه النقل، وهو أن ينقل معنى الاول الى غير محله كقول البخري :

سلبوا وأشرفت الدماء عليهم
محمرة فكأنهم لم يسلبوا

نقله المتنبي الى السيف فقال :

ييس النجيع عليه وهو مجرد
عن غمده ، فكأنما هو مُعْغَمَدٌ

ومنه أن يكون معنى الثاني أشمل من معنى الاول كقول جرير :

إذا غضبت عليك بنو تميم
وجدت الناس كلّهم غضابا

وقول أبي نواس :

ليس على الله بمستنكر
أن يجمع العالم في واحد

ومنه القلب، وهو أن يكون معنى الثاني نقيض معنى الاول، سُدِّيَ

(١) الايضاح ص ٤١٣ .

(٢) المثل السائر ج ٢ ص ٣٧٣ .

بذلك لقلب المعنى الى تقيضه كقول أبي الشيص :

أجد الملامة في هو الكليذة
حبا لذكرك فليكنني الشوم

وقول أبي الطيب :

أأحبه وأحب فيه ملامة
إن الملامة فيه من أعدائه

ومنه أن يؤخذ بعض المعنى ويضاف اليه زيادة تحسنه كقول الأفوه الاودي :

وترى الطير على آثارنا
رأي عين ثقة ان ستمار

وقول أبي تمام :

وقد ظلت عقبان أعلامه ضحى
بعقبان طير في الدماء نواهل
أقامت مع الرايات حتى كائنها
من الجيش ، الا أنها لم تقاتل

وهذه الانواع ونحوها اكثرها مقبولة .

ومنها ما أخرجه حسن التصرف من قبيل الاخذ والاتباع الى حيز
الاختراع والابتداع ، وكلما كان اشد خفاء كان اقرب الى القبول ،
وهذا خير انواع الاخذ ، ولكن متى يحكم على أحد الشعارين
بالاخذ . . ؟

لم يترك القزويني هذه النقطة من غير ان يشير اليها ، ويضع لها
حكما وهو القاضي الذي شهدت له محافل دمشق والقاهرة بالعدل
والانصاف وحسن السيرة ، ولم يكن ليلقي القول جزافا في السرقات
لانه كثيرا ما تتوارد الخواطر كما يحكى عن ابن ميادة انه انشد لنفسه :

مفيد ومتلاف اذا ما آتيته
تهلل واهتز اهتزاز المهتد

فقيل له : أين يذهب بك ؟ هذا للحطيئة . فقال : الآن علمت أني

شاعر اذ وافقته على قوله ولم اسمعه • وتوارد الخواطر لا يمكن انكاره فاللغة الواحدة ، والبيئة الواحدة ، والجنس الواحد ، والثقافة الواحدة قد تؤدي الى ان يفكر اكثر من اثنين بمسألة واحدة ، وأن ينطقوا بعبارات واحدة ، وقد يصدرن عن نزعة انسانية مشتركة ليس لاحد فيها فضل سبق • ولذلك فالحكم بالسرقة ليس سهلا الا اذا علم بان الثاني كان يحفظ كلام الاول ، أو أخبر هو عن نفسه أنه أخذه منه وهو بذلك لا يدين الثاني بالسرقة والاخذ من غير دليل ، يقول : « ولهذا لا ينبغي لاحد بت الحكم على شاعر بالسرقة ما لم يعلم الحال ، وإلا فالذي ينبغي ان يقال : قال فلان كذا ، وقد سبقه إليه فلان فقال كذا ، فيغتم به فضيلة الصدق ، ويسلم من دعوى العلم بالغيب ، ونسبة النقص الى الغير » (١) • وهذا شأن القاضي الذى يحكم بين الناس بالعدل ، وقد اتبع القاضي الجرجاني صاحب « الوساطة » من قبل هذه السبيل فكان منصفا عادلا •

والقزوينى متأثر الى حد كبير بالمتقدمين في بحث السرقات ، وقد استفاد — كما يبدو جليا — من « الوساطة » و « كتاب الصناعتين » و « أسرار البلاغة » و « ودلائل الاعجاز » و « المثل السائر » ، ولكننا لا نقبل ما ذهب اليه الاستاذ هدارة قبولاً تاماً حيث قال : « الملاحظ في كتاب القزوينى وفي الشروح جميعاً قتلهم المباشر لكلام عبد القاهر الجرجاني في اتفاق القائلين في الغرض على العموم أو في الدلالة على الغرض » (٢) ، لاننا رأينا ان عبد القاهر لم يبحث الموضوع بهذه الطريقة ولم يقسمه هذه التقسيمات ، وان الحديث عن اتفاق القائلين في الغرض أو في الدلالة عليه قديم ، واننا لنجده في الوساطة والموازنة • ويمكن القول ان القزوينى استفاد من عبد القاهر الى حد ما ، أما استفادته الكبيرة فقد كانت من « الوساطة »

(١) الايضاح ص ٤١٥ - ٤١٦ •

(٢) مشكلة السرقات ص ١١٩ •

و « الصناعتين » و « المثل السائر » • ونستطيع على ضوء ما تقدم أن نعرف العبارات التي نقلها عن الوساطة بكل سهولة ، وهي تدل على نفسها اذا ما قورنت بالكلام الذي ذكرناه عن المتقدمين •

والجدير بالذكر اننا نجد القزويني لا يتابع احدا في التقسيم وان نقل عبارات او امثلة من غيره ، ونحن لا نجد عند غيره هذا التقسيم الثنائي ، الاخذ الظاهر والاختد الخفي ، فابن الاثير - مثلا - مع تفصيلاته الكثيرة وتعمقه في البحث - لم يقسمها هذا التقسيم ، وانما جمع أضرب الاخذ الخفي في بحث السلخ واعتبرها انواعا منه •

وقد وفق القزويني في بحث السرقات الى حد ما ، بيد أن لنا ملاحظة تتعلق بطريقة العرض وهي انه لم يهتم بالموازنة والتحليل اهتماما كبيرا ، وكانت اشارته الى الموازنة بين بيت وآخر قليلة وحتى اذا وجدت ، فهي التفاتات جزئية لا تنظر الى الكل نظرة عامة فتوازن ، وتحسن التعليل والتحليل • وهذه النظرة لم ينفرد بها القزويني وحده وانما هي نظرة اكثر نقاد العرب • وجبذا لو استفاد القزويني من موازنات ابن الاثير في الضرب الحادي عشر من السلخ حينما قارن بين قصيدتي ابي تمام والمتنبي في رثاء طفلين ، وبين قصيدتي البحترى والمتنبي في وصف الاسد ، فقد اتسعت نظرتة في هذا البحث ، ورأى القصائد وحدة متكاملة بما فيها الالفاظ ، والمعاني ، وانصور الادبية ، وبما بينها من اتفاق ، واقتراق ، واتباع ، وابتداع •

والحق القزويني يبحث السرقات الاقتباس ، والتضمين ، والعقد ، والحل ، والتلميح • وهي موضوعات يبحثها المتقدمون ، وافردوا لكل منها فصلا أو بابا كأبن الاثير الذي تكلم على الحل والعقد في الفصل العاشر من مقدمة المثل السائر ، ويبحث التضمين في الفصل السابع والعشرين من المقالة الثانية المتعلقة بالصناعة المعنوية •

وختم القزويني بلاغته بالبحث في حسن الابتداء والتخلص

والانتهاء ، يقول : « ينبغي للمتكلم ان يتأق في ثلاثة مواضع من كلامه حتى تكون أعذب لفظاً واحسن سبكاً واصح معنى . الاول : الابتداء ، لانه اول ما يقرع السمع فاذا كان كما ذكرنا أقبل السامع على الكلام فوعى جميعه وان كان بخلاف ذلك اعرض عنه ورفضه وان كان في غاية الحسن . . . »

والثاني : التلخيص ، ونعني به الانتقال مما شبب الكلام به من تشبيب أو غيره الى المقصود مع رعاية الملاءمة بينهما ، لان السامع يكون مترقبا للانتقال من التشبيب الى المقصود كيف يكون . ؟ فاذا كان حسنا متلائم الطرفين ، حررنا من نشاط السامع وأعان على اصغائه الى ما بعده ، وان كان بخلاف ذلك كان الامر بالعكس . . .

الثالث : الانتهاء لانه آخر ما يعيه السامع ويرتسم في النفس فان كان مختاراً كما وصفنا جبر ما عساه وقع فيما قبله من التقصير ، وان كان غير مختار كان بخلاف ذلك وربما انسى محاسن ما قبله « (١) . . . وليس في بحث القزويني لهذه الموضوعات جديد ولذلك لم تقف عليها ، ونرى ان العودة الى كتب المتقدمين أجدى واثم ، فقد بحثها ابن الاثير في « المثل السائر » و « الجامع الكبير » بحثاً موفقاً ، وعرضها عرضاً حسناً ، وذكر الامثلة الرائعة ، وقارن ، وحلل ، وبذلك اعطى للموضوعات قيمة كبيرة ، أما القزويني فقد جعلها قواعد جامدة ، وامثلة لا تنبض بالحياة . . .

* * *

هذه بلاغة القزويني ، وهو يمثل فيها النقاد البلاغيين ، ويعتبر عمدتهم في العصر المملوكي . وقد وقفت البلاغة عندها ولم يأت المتأخرون بشيء جديد الا ما كان من شرح ، وتوجيه ، والتفادات

(١) الابيضاح ص ٤٢٨ - ٤٣٥ .

تقدية لا تكون اتجاها ، أو ترسم منهجا خاصا • ولعل ابن قيم
الجوزية ، والعلوى ، وبهاء الدين السبكي، وابن حجة الحموى أشهر
النقاد البلاغيين الذين جاؤا بعد القرن السابع الهجرى • وكان للقزوينى
تأثير واضح في توجيه البلاغة العربية ويتجلى هذا الاثر بوضوح
في شروح التلخيص التى سيطرت على مجالس الدرس بعد القزوينى •

فما هذه الشروح ؟ وما قيمتها ؟ وما قيمة بلاغة القزوينى ؟••

الباب الثالث

شرح التلخيص

شُرُوحُ التَّلْخِصِصِ

١

النقد والبلاغة في عصر القزويني :

لقد شغل الناس بكتاب « مفتاح العلوم » للسكاكي ، فطفقوا يضعون عليه التلخيصات والشروح ، وكان المشرق اول من خطا هذه الخطوات ، لان المفتاح ولد فيه ، ومنه انتشر الى الاقاليم الاسلامية والعربية فدخل مصر والشام ، ووضع بدر الدين بن مالك كتاب « المصباح » وكتاب « روض الازهان » تلخيصا للقسم الثالث منه ، وتوالى بعده الشرح والتلخيص حتى ايامنا .

وكان الخطيب القزويني من اعظم الذين هذبوا المفتاح ، ورتبوه ، وصاغوه صياغة جديدة ، فيها من روح السكاكي التحديد والتقسيم والحصر المنطقي ، ومن روح مصر والشام تحكيم الذوق والسير في العرض والتحليل . ولا نريد هنا ان نتحدث عن معاصري القزويني ممن عاشوا في البيئة المشرقية ، لانه لم تكن له صلة بهم لبعده الدار

واختلاف الحياة • ففي شيراز ولد محمود بن مسعود بن مصلح ابو
 الثناء قطب الدين الشيرازي سنة ٦٣٤ هـ ، وشرح مفتاح العلوم
 بكتاب سماه « مفتاح المفتاح » • ولو رجعنا الى نسخته المحفوظة
 في مكتبة الاوقاف العامة ببغداد لوجدنا الرجل لم يبعد كثيرا عن منهج
 السكاكي ، وأتى له ذلك وهو يشرح القسم الثالث من مفتاح العلوم؟
 وليس في هذا الشرح مسحة ادبية فهو وليد البيئة المشرقية التي غلبت
 عليها العجمة وسيطرت عليها النزعة العقلية المحضة • وقد أوغل
 الشيرازي في التمثلات فهو يرى ان صاحب علم المعاني يحتاج الى
 معرفة انواع الدلالات كما يحتاجها صاحب علم البيان عند تقسيمه
 البيان الى فنونه المختلفة ، يقول : « وصاحب علم المعاني وان احتاج
 الى معرفة الدلالات لكن بالذات ، لانه ينظر في مدلولات الدلالات
 أي فيما يفيد منها التراكم ليختص بعلم المعاني وهو ينظر في انفس
 الدلالات فلهذا قال - أي السكاكي - « فضل احتياج » ليعرف ان
 لصاحب علم المعاني احتياجا الى معرفة انواع الدلالات ولكن لا الى
 تلك الغاية» (١) • والشيرازي معاصر للقزويني لانه توفي في الرابع
 عشر من شهر رمضان سنة ٧١٠ هـ ، ولكننا لم نر في كتب القزويني
 اشارة اليه او قفلا عنه ، وان التشابه بين الرجلين في المنهج او المادة
 مرجعه كتاب مفتاح العلوم الذي عكف الرجلان عليه فشرحه الاول ،
 ولخصه ثم شرحه الثاني •

وعاصر محمد بن النحوية (٧١٨ هـ) الخطيب القزويني ، فقد
 ولد بحماة سنة ٦٥٩ هـ ، وانتقل الى دمشق ، ولقي القزويني فيها •
 وقد سبق ان ذكرنا ان القزويني قابله في دمشق وسأله عن قول ابي
 النجم « كله لم اصنع » من جهة تقديم حرف السلب وتأخيره فما
 أجاب بشيء يعتد به • واختصر ابن النحوية « المصباح » لبدر الدين
 ابن مالك وسماه « ضوء المصباح » وشرحه بعد ذلك شرحا لطيفا •

(١) مفتاح المفتاح ص ٢٩١ •

وليس بين القزويني وهذا الرجل علاقة ، وكل ما بينهما من تشابه ان القزويني استفاد من بدر الدين فنقل من مصباحه بعض المسائل كما رأينا ، وقد لخص ابن النحوية المصباح وشرحه ، فكان لابد أن يلتقي الرجلان في كثير من الامور •

ولن نذهب بعيدا في البحث عن معاصري القزويني وسنكتفي ببعض الامور لنرى ما كان في عصره وفي بيئته من نشاط في النقد الادبي والبلاغة •

لقد كانت هذه البيئة محط انظار العالم ، إذ بعد سقوط بغداد سنة ٦٥٦ هـ اتجه الناس اليها ينهلون العلم من معاهدها ، ويأخذون عن علماءها المنتشرين في مصر والشام والاقليم العربيّة الاخرى ، ونشطت الحركة النقدية في هذا العصر واقسم النقد الى قسمين : نقد بلاغي ، ونقد ادبي ، وكان النقد وليد هذه البيئة التي غلبت عليها أساليب معينة ، ويكاد معظم الادباء في هذا العصر لا يخرجون عما رسمه القاضي الفاضل (٥٩٦ هـ) كبير ادباء العصر الايوبي ، وما خطه شاعر الاقليم المصري جمال الدين بن نباتة (٧٦٨ هـ) ، وكان لا بد للنقد أن يتابع الادب في هذا الاتجاه ، وأن يستخلص أحكامه منه كما اخذ احكامه من الادب في عصوره الاولى • ولما كان الادب في هذه الفترة يميل الى الزخرفة والاهتمام بالمحسنات ، وجدنا النقد والبلاغة تؤكد عليها ، وتجعلها الهدف الاسمي في نقد الادب واصدار الحكم عليه •

واتعشت الحياة الادبية والنقدية لاهتمام السلاطين والامراء بالحركة العلمية ، وبعث الروح الادبية في كل مجال • ولم يكن هذا لان السلاطين والحكام كانوا يتذوقون الادب، ويحسون بجماله ولكن ليكون لهم عوناً في الملمات ، وليتخذوا منه دعاية في كل مكان، ولاجل هذا قربوا العلماء ، وشجعوا الادباء ، واجزلوا لهم الهدايا والاعطاء ،

وئارت بين الادباء المناقشات، وطال الجدل في الادب، وانقسم الناس مذاهب شتى، فمنهم من كان يفضل طريقة القاضي الفاضل في الكتابة واتجاه ابن نباتة في الشعر، ومنهم من حمل عليها واعتبرها مفسدة للادب. وكانت مجالس السلاطين والحكام والامراء وغيرهم من الادباء والعلماء ميدانا للحركة النقدية والادبية. وفي كتب التاريخ والادب نماذج كثيرة لهذه المجالس والاحكام، ويرى المقرئ ان الملك الاشرف خليلا عاد في سنة ٦٩٠ هـ من الشام بعد ان فتح عكا فلقيته القاهرة برجالها في حفل عظيم، وتقدم ابن العنبري الشاعر فانشد قصيدة قال في مطلعها:

زر والديك وقف على قبريهما فكأنتى بك قد ثقلت اليهما

فتطير الاشرف من هذا البيت، ونهض قائما حاققا وهو يقول:
« ما وجد هذا شيئا يقوله سوى هذا البيت » (١) .

وذكر تاج الدين السبكي عن تاج الدين المراكشي انه دخل عليه مرة وهو ينشد قول ابن تقي:

حتى اذا مالت به سنة الكرى زحزحته شيئا، وكان معانقي
أبعدته عن أضلع تشتاقه كي لا ينام على وساد خافق

وقول الحكم بن عقال:

ان كان لا بد من رقاد فاضلي هالك من وساد
ونم على خفقتها هدوءا كالطفل في هزة المهاد

وهو ومن عنده يقولون: ان قول الحكم اجدر بالصواب، فانه لا يناسب المحب ان يبعد حبيبه، وينشدون قول صلاح الدين الصفدي في ذلك ردا على ابن تقي:

(١) خطط المقرئ ج ٤، ص ٢٢٠، وينظر عصر سلاطين المماليك ج ٦، ص ١١٩ .

أبعده من بعد ما زحزحته ما أنت عند ذوي الغرام بعاشق
 ان شئت قل: أبعدت عنه اضالعي ليكون فعل المستهام الوامق
 أو قلفبات على اضطراب جوانحي كالطفل مضطجعا بمهد خافق

فقال السبكي : ان ابن تقي وان ساء لفظا فقد قال « أبعده » وهو أحسن معنى لانه وصف أضلعه بالخفقان والاضطراب الزائد الذي لا يستطيع الحبيب النوم معه عليها ، فقدّم مصلحته على مصلحته ، وترك ما يريد لما يريد ، وابعده عما يقلقه ، ولو قال « أبعدت عنه أضلعا تشتاقه » لاجسن لفظا كما أحسن معنى . واما الحكم فانه وصف خفقانه بالهدوء ، وهو خفقان يشبه اضطراب سرير الطفل ، وهذا قصص . فوقع النزاع في ذلك وارسلوا الى القاضي شهاب الدين احمد ابن فضل الله صورة سؤال من الرجلين ابن تقي والحكم ايهما المصيب ؟ فكتب : قول ابن تقي عليه مأخذ لكنه قول المحب الصادق :

يكفيه في صدق المحبة قوله كى لا ينام على وساد خافق
 ما الحب الا ما يهد له الحشا ويهد أيسره فؤاد العاشق (١)

هذا مثل من أمثلة المجالس الادبية والنقدية في عصر القزويني ، وهو يمثل ما كانت عليه البلاد يومذاك من اتجاه الى النقد ، وان كان اتجاهها تعوزه الاداة والذوق الذي احتضر ، وكاد يموت منذ عهد بعيد .

كتب نقدية :

وألفت كتب نقدية ، في هذه الفترة ، ولكن مؤلفات النقد الادبي كانت تتجلى في الكلام على شعر ابن سناء الملك ، والنقد الموجه اليه من ابن جبارة وابي حيان النحوي الاندلسي ، وصفي الدين الحلبي ، وفي انتصار صلاح الدين الصفدي له والذب عنه ، وكانت هذه الحركة

(١) طبقات الشافعية ج ٥ ص ٢٣٣ ، وينظر عصر سلاطين المماليك ج ٦ ص ١١٩ .

النقدية مناقضات ، أو مراجعات في آراء أدبية ، ومباريات في توجيهات لغوية يقصد منها ، ما هو أجل من النقد ، يقصد منها تثبيت الآراء وتعيين التوجيهات في تاريخ النقد الادبي ومصادره (١) .

ومن الكتب التي صورت حركة النقد في عصر القزويني :

كتاب «نظم الدر في نقد الشعر» للقاضي الرئيس الشيخ شرف الدين أبي الحسن علي بن اسماعيل بن ابراهيم بن جبارة الكندي التجيبي السخاوي المولود في القاهرة سنة ٥٥٤ هـ (١١٥٩ م) والمتوفى بها سنة ٦٣٢ هـ (١٣٣٥ م) .

وكتاب « نقد الشعر » للشيخ أبي حيان أثير الدين محمد بن يوسف الاندلسي النحوي المولود سنة ٦٥٤ هـ (١٢٥٦ م) والمتوفى بالقاهرة سنة ٧٤٥ هـ (١٣٤٤ م) .

وكتاب « العاقل الحاني والمرخص الغالي » للشيخ صفي الدين الحلبي المتوفى ببغداد سنة ٧٥٠ هـ (١٣٤٨ م) .

وكتاب « الاقتصار على جواهر السلك في الانتصار » لابن سناء الملك .

وكتاب « الغيث الذي انسجم في شرح لامية العجم » و « نصره الثائر على المثل السائر » للشيخ خليل بن ابيك الصفدي المتوفى بدمشق سنة ٧٦٤ هـ (١٣٦٣ م) .

وكتاب « خبز الشعير » لجمال الدين بن نباة المصري المولود بالقاهرة سنة ٦٨٦ هـ (١٢٨٧ م) والمتوفى سنة ٧٦٨ هـ (١٣٦٦ م) .
وغيرها من الكتب التي كانت تبحث في النقد (٢) .

(١) ينظر تاريخ الادب العربي في العراق ج ١ ص ٣٤٦ ، ومقالة النقد الادبي ومصادره للاستاذ عباس الراوي المنشورة في مجلة المجمع العلمي العراقي (المجلد السابع) .
(٢) تنظر هذه الكتب في تاريخ الادب العربي في العراق ج ١ ص ٣٤٥ وما بعدها ، ومقالة النقد الادبي ومصادره .

الشهاب الحلبي :

ولسنا نبحت هنا حياة النقد ، وانما نريد ان نصور ما كانت عليه البلاغة في عصر القزويني ، ونلقي الضوء على بعض معاصريه قبل البحث في شراح التلخيص ، لنرى مدى تأثير مفتاح العلوم في البيئة العربية ومدى علاقة القزويني بعلماء عصره من رجال البلاغة . وأول ما يلاحظ ان منهج السكاكي لم يسيطر سيطرة تامة على البلاغة في هذا العصر ، فقد كانت هناك بقايا للمدرسة الادبية تتمثل في كتاب « حسن التوسل الى صناعة الترسل » ، لشهاب الدين الحلبي (٧٢٥ هـ) الذي « اراد فيه مؤلفه ان يبين للناشئ المتأدب أفضل الوسائل ، وأنجع الطرق التي بها يستطيع ان يكون كاتباً ومنشئاً ، ويبرز له الادوات التي ينبغي ان يحتازها ، والمزايا التي عليه ان يتحلّى بها ليسلك في عدد الادباء المنشئين »^(١) . وتتضح في الكتاب ثلاثة أقسام متميزة ، فقد تكلم على ما ينبغي للمتأدب معرفته ، وفنون البلاغة المعروفة ، وذكر في خاتمته أمثلة تطبيقية ونماذج متعددة ورسائل شتى كلها من انشاء المؤلف في أغراض كتابيه مختلفة ، بعضها مما كتبه في الديوان ، وبعضها مما كتبه تمريناً لقريحته وتميلاً للناشئين . ولا تبدو فيه علاقة بكتابي الخطيب القزويني لان الحلبي درس البلاغة كما درسها الاوائل ، ولم يفرق بين فنونها بل عقد لها فصولاً متوالية ، ويمكن القول ان كتاب « حسن التوسل » من خيرة الكتب التي تمثل المدرسة الادبية في عصر القزويني .

العلوي :

ومن هذه الكتب « الطراز المتضمن لاسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز » للسيد يحيى بن حمزة العلوي المولود بمدينة صنعاء في ٢٧ من صفر سنة ٦٦٩ هـ والمتقلد باليمن امارة المؤمنين سنة ٧٢٩ هـ ،

(١) عصر سلاطين المالك ج ٦ ص ١٢٥ .

والتوفى سنة ٧٤٩ هـ (١) . والباعث على تأليف الكتاب أن جماعة من أصدقائه وأخوانه ، شرعوا عليه في قراءة كتاب «الكشاف» للزمخشري ، ولما كان هذا التفسير يعتمد على البلاغة كثيرا ، وإن أسسه قائمة عليها فقد سأله بعضهم أن يملئ في البلاغة كتابا يكون عوناً لهم في دراسة تفسير الزمخشري .

وبحث العلوي يختلف عن غيره ، ففيه اتجاه نحو المدرسة الأدبية مدرسة مصر والشام ، وفيه جنوح نحو مدرسة السكاكي حينما فصل بين فنون البلاغة ، يقول موضحاً منهجه «ونشرع الآن في شرح مقاصده فنذكر ما يتعلق بذكر علوم البيان في مواقع المجاز في البلاغة ، ثم نردفه بما يتعلق بالمعاني الأفرادية وهو المعبر عنه بعلم المعاني ، ثم نذكر على أثره ما هو منه وهو ما يتعلق بمراعاة أحوال التأليف وهو المعبر عنه بعلم المعاني أيضاً ، ثم نذكر خاتمة الفن فيما يتعلق بمجموع الأفراد والتركيب وهو المعبر عنه بعلم البديع فهذه أبواب أربعة» (٢) .

ويتضح من كلامه أنه يسير على منهج السكاكي وأنه يفرق بين مصطلحات المعاني والبيان والبديع ولكنه يتبع طريقة أخرى فيها ميل إلى الناحية الأدبية وفيها نقد وتحليل .

أما مصادر الكتاب فذكر العلوي في المقدمة أنه لم يطالع من الكتب المؤلفة في البلاغة إلا أربعة هي : «المثل السائر في أدب الكتاب والشاعر» لضياء الدين بن الأثير (٦٣٧ هـ) ، «والتبيان في علم البيان المطلع على أعجاز القرآن» لعبد الواحد بن عبد الكريم الزملكاني (٦٥١ هـ) ، «ونهاية الأيجاز في دراية الأعجاز» لفخر الدين الرازي (٦٠٦ هـ) ، «والمصباح في اختصار المفتاح» لبدر الدين بن مالك

(١) تنظر ترجمته في البدر الطالع ج ٢ ص ٢٢١ ، ومقدمة الطراز ، وتاريخ

علوم البلاغة والتعريف برجالها ص ١٢٨ .

(٢) الطراز ج ١ ص ١٩٦ .

(٦٨٦ هـ) (١) • ويسدو أثر ضياء الدين واضحا ، فالعلوي ينقل من كتابه المثل السائر كثيرا ، وغالبا ما يرجح آراءه ولكنه لا يسلم له في جميع القضايا والآراء فنراه ينقده ويزيف آراءه واقواله ، وبذلك يكون الطراز أمتداداً لمدرسة ابن الاثير او مدرسة مصر والشام العربية مع فرق واضح ، وهو ان العلوي بحث البلاغة بحثا قريبا من منهج السكاكي ومدرسته عندما قسم الفن الثاني من كتابه الى ما يتعلق بالمعاني ، والى ما يتعلق بالبيان ، والى ما يتعلق بالبديع • وهذا ما لم يفعله ابن الاثير في كتابة البلاغة وتقسيم بحوثها وتبويبها ، كما تأثر بعبدالقاهر وان لم يطلع على كتابيه « دلائل الاعجاز » و « اسرار البلاغة » - كما يزعم - (٢) • ولكنه تأثر به بصورة غير مباشرة بما كتب ابن الزملكاني في كتاب التبيان ، وما سطره الرازي في نهاية الايجاز ، وأثنى على عبد القاهر ثناء عظيما ، وذكر انه اول من أسس من علم البلاغة قواعده ، وأظهر فوائده ، ورتب أفائنه • وقد شك الدكتور طبانة فيما ادعاه العلوي من عدم اطلاعه الا على اربعة كتب في البلاغة ، يقول : « وأنا أشك في ان العلوي قصر اطلاعه على هذه الكتب الاربعة مهما تكن قيمتها ، ومهما تكن الموضوعات والمباحث التي عالجهما كل منها ، فلا تكفي تلك لتكون وحدها المراجع لهذا البحث المستفيض والدراسة الخصبه التي نجدها في انطراز ، وانا لنجد في ثنايا الكتاب تقولا كثيرة عن المطرزي وقدامة بن جعفر ، والحاتمي ، والغانمي ، وأبي هلال العسكري ، وغيرهم من علماء البلاغة والبيان » (٣) • وقد فات الدكتور طبانة ان المثل السائر كان زبدة البلاغة العربية ، جمع فيه مؤلفه آراء كثيرة ونقل عن الغانمي ، وقدامة ، والعسكري وغيرهم ، وبذلك أغنى هذا الكتاب العلوي ، وامتدّه بمادة غزيرة لا حصر لها ولا حد ، يضاف الى ذلك ان الرازي وابن الزملكاني وبدر الدين ذكروا

(١) ينظر الطراز ج ١ ص ٤ .

(٢) الطراز ج ١ ص ٤ .

(٣) البيان العربي (ط ٣) ص ٢٦١ .

آراء كثيرة للمتقدمين ، ولم يكن كتابا الاولين الا تهذيبا لكتابي عبد
القاهر ، وتنسيقا لهما ، ولم يكن كتاب الاخير الا تلخيص القسم الثالث
من مفتاح العلوم ، وماذا بعد هذه الكتب الاربعة انى جمعت زبدة
البلاغة العربية و خلاصة آراء البلاغيين المتقدمين ؟ أما تأثر العلوي
بالسكاكي فيبدو واضحا في بعض المسائل ، ولعل أوضح ذلك استفادته
منه في تقسيم البلاغة الى فنونها الثلاثة ، ولم يذكر العلوي « مفتاح
العلوم » مصدرا من مصادر بحثه فمن اين جاءت معرفته به ، وكيف
نقل عنه وذكر بعض آراء السكاكي ؟ لا نستطيع الجزم انه رأى مفتاح
العلوم ، لانه لم يشر الى ذلك في المقدمة ، وانه عندما ينقل رأيا
للسكاكي أو جملة عنه يقول « حكي السكاكي » ، وغير ذلك من
العبارات التي تدل على انه لم ينقل عن كتاب السكاكي مباشرة وانما
نقل عنه بطريقة أخرى ، فمن اين ؟ لا بد ان العلوي عرف مفتاح العلوم
عن طريق مصباح بدرالدين بن مالك الذي كان أحد مصادر الاربعة
التي لم يطالع غيرها ولم يعتمد على سواها كما يقول ، ولذلك يجد
الناظر في كتاب الطراز ، والتلخيص ، والايضاح ، تشابها في كثير من
الموضوعات وفي المنهج وطريقة التأليف . والحق ان كلام العلوي
والقزويني لم يطلع أحدهما على كتاب الاخر ، لانهما وان كانا متعاصرين
فانهما عاشا في بيئتين مختلفتين ، فالاول عاش في اليمن وتولى بها اماره
المؤمنين ، والثاني عاش في الشام ومصر وتولى فيهما القضاء .

لقد اختلف الرجلان في كثير من الامور وان اتفقا في المنهج احيانا ،
لانهما - كما رأينا - سارا على هدى السكاكي في تقسيم البلاغة الى
فنونها الثلاثة ، ورتب العلوي كتابه على ثلاثة فنون :

الاول : في مقدمات تفسير علم البيان ، وبيان ماهيته وموضوعه ،
ومنزله من العلوم الادبية ، والطريق الى الوصول اليه ، وبيان ثمرته
وما يتعلق بذلك من ماهية البلاغة والفصاحة ، والفرق بينهما ، ومعاني
الحقيقة والمجاز وبيان أفسامهما الى غير ذلك مما يكون تمهيدا وقاعدة

لما يريد من المقاصد .

والثاني : لذكر ما يتعلق بالمباحث المتعلقة بعلم المعاني وعلومها ، وأردفه بالمباحث المتعلقة بعلوم البيان واقسامها، وشرح فيه ما يتعلق به من المباحث من علم البديع وخصائصه واحكامه اللائقة به .

والثالث : ذكر فيه ما يكون كاللتمة والتكلمة لهذه العلوم الثلاثة، وعرض فيه لفصاحة القرآن الكريم وانه قد وصل الغاية التي لا غاية فوقها وان شيئا من الكلام وان عظم دخوله في البلاغة والفصاحة فانه لا يدانيه ولا يماثله ، وذكر كونه معجزا للخلق لا يستطيع أحد ان يأتي بمثله ، وشرح وجه اعجازه ، وأظهر الوجه المختار فيه .

وأضاف الى الكتاب فوائد أخر ونكتا غزيرة استنبطها هو بذوقه وعقله أو تابع فيها غيره .

ولم يتبع القزويني هذا المنهج ، وقد رأينا سابقا انه تابع السكاكي في كل شيء وقسم كتابه الى ثلاثة فنون : المعاني والبيان والبديع ، واطاف مقدمة في الفصاحة ، وختمه ببحث في السرقات ، وحسن الابتداء ، والتخلص ، والانتهاء ، وهذه بحوث ذكرها العلوي في خضم كتابه الزاخر من غير ان يفصلها كما فعل القزويني .

وهناك فرق واضح بين الرجلين ، فبينما نجد القزويني لا يخرج كثيرا عما رسمه السكاكي ، نجد العلوي يحلق بعيدا فيشرح ، ويحلل ، وينقد ، ويعلل ، ويعطي احكاما أملتتها عليه تجربته ، وذوقه ، وحسه النصافي ، وثقافته الواسعة ، واطلاعه الكبير . ومع انه يميل الى تحكيم العقل في مناقشاته وتقسيماته وعرض الآراء المختلفة وأورد عليها ، نراه ينجح الى الذوق وعدم تحكيم العقل المجرد في فنون الادب وتذوق النصوص .

ولم يضع القزويني منهجا خاصا في عرض الامثلة ، فهو يأتي بالشاهد او المثال كيفما اتفق بينما سار العلوي على خطة واحدة اتبعها

في كتابه كله تقريبا ، وهو أن يأتي بمجموعة من الامثلة بعد كل فصل ويقسم الامثلة الى اضرب فالاول : الآيات القرآنية ، والثاني : الاخبار النبوية ، والثالث : كلام الامام علي بن أبي طالب (ع) . وهذه الاضرب الثلاثة هي القسم الاول من شواهد . والقسم الثاني : الشواهد المنظومة من كلام الشعراء الذين شهد لهم بالعبقرية والبلاغة ، ولا نجد هذا الاهتمام بالامثلة وتقسيمها عند القزويني ، ولا نعرش على شواهد يختم بها كل فصل أو بحث من بحوث الكتاب ، وهذا فرق بين طبيعتي الرجلين . وليس في « التلخيص » أو « الايضاح » بحث عن اعجاز القرآن ، ولكن الطراز اهتم به اهتماما كبيرا ، وعقد الفن الثالث فيه ، وذكر الآراء في ذلك ، وَرَدَّ على المطاعن التي يزعمها الملحدون . ونستطيع ان نقول ان العلوي يقترب من السكاكي في هذه الناحية وان كان أوسع منه أفقا واكثر تفصيلا .

هذه أهم الفروق بين العلوي والقزويني ، ولكي نوضح ميل العلوي الى المدرسة الادبية واهتمامه بالتحليل ، والابتعاد عن التقسيم والتحديد ، نقل نموذجا مما كتبه في الاستعارات القرآنية يقول : « اعلم ان من حق الاستعارة وحكمها الخاص ان يكون المستعار له مطوي المذكر ، وكلما ازداد خفاء ازدادت الاستعارة حسنا . فان ادخلت على الاستعارة حرف التشبيه قلت في قولك « رأيت اسدا » : « رأيت رجلا كالاسد » فقد وضعت تاجها ، وسلبت ديباجها ، فمن ذلك قوله تعالى : « وضرَبَ اللهُ مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان ، فكفرتْ بأنعم الله فاذاقها الله لباسَ الجوع والخوف »^(١) . فانظر الى ما اشتملت عليه هذه الآية من المجازات البليغة ، والاستعارات الرشيقة ، فقد تضمنت استعارات اربعا : الاولى منها القرية للاهل ، والثانية استعارة الذوق في اللباس ، والثالثة استعارة اللباس في الجوع ، والرابعة استعارة اللباس في الخوف . فهذه الاستعارات كلها متلائمة ،

(١) سورة النحل ، الآية ١١٢ .

وفيها من التناسب ما لا يخفاء به «(١)» .

أين هذا في تفسير الآية وتحليل ما فيها من استعارات من كلام الزمخشري والسكاكي فيها ، فقد اختلف الرجلان ، وذهبا مذاهب شتى فرأى الزمخشري أن الاستعارة في « لباس الجوع والخوف » عقلية ، وذهب الآخر الى انها استعارة حسية(٢) . وانشغلا بهذا الامر من غير أن يوضحا بلاغة الآية ، وقيمة الاستعارة وأثرها .

وليس معنى هذا ان العلوي كان أدبيا بعيداً عن التقسيم والتحديد، فقد بدا أثر المنطق والاستدلال في كتابه واضحا ، وظهرت نزعة العقلية جلية . وأول ما يلقانا هذا في مطلع كتابه فيقول في تفسير علم البيان وماهيته : « اعلم ان كثيرا من الجهابذة والنظار من علماء البيان وأهل التحقيق فيه ، ما عَوَّلُوا على بيان تعريفه بالحدود الحاصرة والتعريفات اللائقة ولا أشاروا الى تصوير حقيقة يعرف بها بين سائر العلوم الادبية والعلوم الدينية كعلم الفقه ، وعلم النحو ، وعلم الاصول ، وغيرها من سائر العلوم ، فانهم اعتنوا فيها نهاية الاعتناء ، وأتوا فيها بماهيات تضبطها ، وتفصلها من سائر العلوم . وعلى الجملة فان ذلك غفلة لامرين : أما اولاً فلأن الخوض في تقاسيمه ، وخواصه ، وبيان أحكامه فرع على تصور ماهيته لان من المحال معرفة حكم الشيء قبل فهم حقيقته . واما ثانياً : فلأن الخوض في أسراره ودقائقه ، انما هو خوض في المفردات ، ولا شك ان معرفة المفرد سابقة على معرفة المركب ، ولاجل ما ذكرناه لم يكن بد من بيان معقوله ، ومعرفة ماهيته » (٣) .

وصفوة القول ان كتاب الطراز قد تميز عن غيره من كتب المدرسة الادبية والمدرسة الكلامية ، لانه مزج بين الطريقتين ، واستفاد من المدرستين ، ولكن الغلبة كانت في النهاية لمدرسة الادباء او لطريقة

(١) الطراز ج ١ ص ٢١١ - ٢١٢ .

(٢) ينظر الكشف ج ٢ ص ٤٩٨ ، ومفتاح العلوم ص ١٧٩ .

(٣) الطراز ج ١ ص ٩ .

العرب البلغاء ، لاهتمام مؤلفه بالنقد والتحليل ، وكثرة الشواهد والنصوص الادبية المنتخبة من القرآن الكريم وكلام الرسول الاعظم محمد (ص) ، وعلي بن أبي طالب (رض) ، وفصحاء العرب وكبار شعرائها .

وكتاب الطراز فوق هذا كله من خيرة كتب البلاغة في القرن الثامن الهجري لما فيه من ضبط لمسائل البلاغة ، وما فيه من أمثلة رائعة مختارة ، وتحليل يدل على فهم كبير لاساليب العرب ، وهو بحق المثل الاعلى لكتب البلاغة في ذلك العصر لولا التقسيمات والتفريعات التي أولع العلوي بها كثيرا ، وبذلك يبدو البون واسعا بين كتابي القزويني وكتاب العلوي ، وإن° جنح الرجلان الى مدرسة السكاكي ، واستفادا منه في التقسيم والتبويب .

ابن قيم الجوزية :

وإذا سار العلوي على منهج السكاكي ومدرسته ، وقسّم البلاغة الى فنونها المعروفة فقد أتبع ابن قيم الجوزية (٧٥١ هـ) (١) عنها ابتعادا كبيرا حينما وضع كتابه « الفوائد المشوق الى علوم القرآن وعلم البيان » الذي ألقه ليبين ما تضمنه الكتاب الكريم من أنواع البيان ، وأصناف البديع ، وفنون البلاغة ، وعيون الفصاحة ، واجناس التجنيس (٢) . وأوضح انه لا يمكن ان يعرف فضل القرآن الا من عرف كلام العرب وبلاغتهم وبياناتهم وضروب فصاحتهم ، ولجل هذا بحث في البلاغة لتكون عوناً لمن يريد دراسة القرآن الكريم ، وقد ذكر في مقدمة الكتاب انه لم يجمع هذه الفوائد الا بعد ان اطلع على كتب المتقدمين والمتأخرين كالبيديع لابن المعتز، والحالي والعاقل ، والحاضرة للحاتمي ، وكتاب الصناعتين للعسكري ، واللمع للعجمي ، والمثل السائر والجامع

(١) تنظر ترجمته في كتاب ابن قيم الجوزية ص ٥٦ - ٨٦ .

(٢) ينظر الفوائد ص ٤٦ .

الكبير لابن الاثير ، والبديع في نقد الشعر لابن منقذ ، والعمدة ، ونظم القرآن للزنجاني ، ونهاية التأمل في كشف اسرار التنزيل لابن الزمكاني ، وبديع القرآن لابن أبي الاصبع ، واصله ، الى ذلك كله فوائد مستعذبة ، وفرائد حسنة المساق مستغربة ، قلها عن الائمة والاعلام والاكابر ، وما تفضل الله به ومنح ، من مهمل أبانه ، ومجمل فصلكه ، وشارد قيده (١) .

وهذه دعوى عريضة أطلقها المؤلف ، لانه في الواقع لم يصف الى البلاغة شيئا الا بعض الجزئيات التي هي في الحقيقة أمثلة وليست مسائل مستقلة ، والا بعض التقسيمات والتفريعات ، ولكنه في كثير من الاحيان يرجح رأيا على رأى ، ويرى بعض ما يوحيه له ذوقه ، ويمليه عليه وجدانه ، يقول بعد ان ذكر أقوالا في تعريف البلاغة : « ويجوز عندي ان يكون الكلام البليغ الذى بلغ جودة الالفاظ ، وعذوبة المعانى الى غاية لا يبلغ الى مثلها إلا مثلها » (٢) .

وقسم كتابه الى اثنين وثلاثين ومائة قسم منها أربعة وعشرون في المجاز ، وأربعة وثمانون فيما يخص المعانى ، واربعة وعشرون فيما يتعلق باللفظ ، ويبدو في كتابه تقسيمان واضحا للبلاغة ، فقد بحث في قسم الفصاحة الاستعارة ، والتشبيه ، والمجاز ، والتقديم والتأخير ، والايجاز والاختصار . وتكلم في الثانى على ما يختص بالمعانى ، وذكر فيه الكناية ، والتعريض ، والموضوعات التى اعتبرها السكاكي معسنات لفظية ومعنوية ، وقد اولع بالتفريعات والتقسيمات حتى لنراه يشعب المسألة الواحدة عدة مسائل .

واقفرد عن غيره من علماء البلاغة في عصره ، فهو يضع منهجا لكل موضوع ثم يشرع بعد ذلك في الكلام على كل نقطة ذكرها في مطلع

(١) الفوائد ص ٨ .

(٢) الفوائد ص ٩ .

الفصل المعقود من أجله ، يقول في بحث الاستعارة : « واذا تقرر هذا الكلام فالكلام في الاستعارة على وجوه :

الاول : هل هي نوع من انواع المجاز أم لا ؟

الثاني : في حدها .

الثالث : في أقسامها .

الرابع : في اشتقاقها .

الخامس : فيما تنهياً به الاستعارة وما لا تنهياً .

السادس : في الاستعارة التخيلية .

السابع : في الاستعارة المجردة .

الثامن : في الاستعارة المرشحة .

التاسع : في الاستعارة الحسنة .

العاشر : في الاستعارة القبيحة .

الحادي عشر : في بيان ما يظن انه استعارة وليس باستعارة .

الثاني عشر : في الاستعارة بالكناية .

الثالث عشر : فيما تنزّل به الاستعارة منزلة الحقيقة « (١) » .

ثم يقول بعد ذلك : « أما الاول واما الثاني » ويمضي في بحثه نقطة نقطة ، وهو في ذلك يضع الهيكل العام ، والخطوة الواضحة ، ثم يأخذ في بناء ذلك الهيكل وتطبيق تلك الخطوة . ويبدو تأثر ابن قيم الجوزية بابن الاثير واضحا ، فهو كثيرا ما يعتمد على كتابه « الجامع الكبير » بصورة خاصة ، وعلى المثل السائر في كثير من الاحيان .

ويلاحظ ان المؤلف قد توسع في بحث المجاز ، وأدخل فيه التشبيه ، والمجاز بانواعه المعروفة ، والايجاز ، والاختصار ، والحذف ، والتقديم والتأخير ، وهذا ما لا نجد عند غيره ، وفكّصل في بحث المجاز

(١) الفوائد ص ٤٣ .

المرسل ، وفَرَّعَهُ ونَوَّعَهُ الى ضروب مختلفة ، وأشار الى علاقاته
الكثيرة ، وعقد بابا كبيرا تحدث فيه عن اربعة وثمانين موضوعا أدخل
القزويني بعضها في المحسنات المعنوية ، والبعض الآخر في علم البيان •
فمن النوع الاول الذي ذكره الخطيب في المحسنات المعنوية :
الاستطراد ، والتنورية ، والاحتجاج النظرى (المذهب الكلامي) ،
والهزل الذي يراد به الجد ، والتجريد •

ومن النوع الثاني الذي ادخله في المعانى : التكميل ، والتسميم ،
والاعتراض ، والاطناب ، والتكرار ، والالتفات •

ومن النوع الثالث الذى ادخله جلال الدين في البيان : الكناية ،
والتعريض ، وذكر ابن الجوزية في هذا الباب موضوعات اعتبرها
القزويني ملحقة بالبديع وهي : حسن المطالع والمبادئ ، وبراعة
الاستهلال ، وحسن التخلص والاقتضاب والاقتباس • وفي هذا الباب
موضوعات لم يتكلم عليها البلاغيون في كتبهم البلاغية كالغزل
والتشبيب •

وعقد الفن الثاني من فنون كتابه الفوائد لبحث ما يتعلق بالانفاظ
من الفصاحة ، وقد قال عن الموضوعات التي ذكرها في هذا الفن : «وهذا
الفن يسمى أيضا البديع ، والبديع علم يبحث فيه عن احوال اللفظ المؤلف
من حيث لا يمكن ان يؤتى به إلا بحسن النظام» (١) • وقد تكلم فيه
على موضوعات كثيرة أدخل القزويني بعضها في البديع كالاقتضاب ،
والتسجيع ، والترصيع ، والتوشيح ، ولزوم ما لا يلزم ، ورد العجز
على الصدر ، وتكلم على موضوعات لم يدخلها القزويني في البديع
كالكلام على التهذيب ، والانسجام ، والجزالة ، والرذالة ، والسهل
المُمتنع ، والرشاقة ، والجهامة • وبذلك يكون هذا الفن عند ابن قيم
الجوزية أوسع افقا من البديع الذى وضع السكاكي خطوطه العامة ،

(١) الفوائد ص ٢١٨ •

وأرسي القزويني قواعده واصوله •

وختم الكتاب بفصل في ذكر ما اشتق منه القرآن والسورة والآية والكلمة والحرف وبيان معانيها ، وأردفه بفصول آخر في ذكر اعجاز القرآن العظيم ، وذكر أوجه ذلك ، وانتهى الى ان « الاقرب من هذه الاقاويل الى الصواب قول من قال إن اعجازه بحراسته من التبديل ، والتغيير والتصحيح ، والتحريف ، والزيادة والنقصان ، فانه ليس عليه ايراد ولا مطعن » (١) •

هذا منهج ابن الجوزية في «الفوائد» ، وهو يختلف كل الاختلاف عما وجدناه عند القزويني ، ولعل تأثره بابن الاثير ، وابن أبي الاصبع من كبار مدرسة مصر والشام البلاغية دعاه الى هذا الابتعاد عن منهج السكاكي والقزويني • ولكنه - مع ذلك - مولع بالتحديد ، والتقسيم ، والتفريع الذي يكاد يبعث على السامة والضجر ، وقد يجد الباحث شباها في بعض المسائل بين كتاب الفوائد وكتب السكاكي والقزويني ، ولكننا لا نستطيع ان نجزم انه تأثر بهما ، مع انه عاصر القزويني وعاش في بيئته ، ولعل سر ما نجد من تشابه هو استفادة ابن قيم الجوزية من كتاب « نهاية الايجاز » للرازي الذي كان من أهم مصادر السكاكي في « مفتاح العلوم » •

وخلاصة القول ان بين الرجلين اختلافا واضحا في المنهج والهدف ، لان القزويني وان اعتمد على الشاهد القرآني الا انه لم يوضح ان هدفه فهم اعجاز القرآن الكريم ، واطهار ما فيه من روعة وتأثير وجمال ، ولم يشر الى ما اشار اليه السكاكي من أوجه الاعجاز بينما كان هدف ابن الجوزية فهم الاعجاز ، وخدمة القرآن ، ومن هنا سمى كتابه « الفوائد المشوق الى علوم القرآن وعلم البيان » وان كنا نحمد للرجل فانتا نحمد اشارته الى موضوعات تحدث عنها النقاد وأشاروا اليها ، أما رجال البلاغة

(١) الفوائد ص ٢٥٥ •

الكلامية كالسكاكي ، والقزويني فلم يذكروها ، ولم يتحدثوا عنها لانها تخرج عن تقسيمهم الثلاثي الذي فرضوه على البلاغة فرضا . ومن هذه الموضوعات الطريفة كلامه على الجزالة ، والردالة ، والسهل المتنع ، والرشاقة ، والجهامة ، وحذا لو فصل القول فيها ، وعرض أمثلتها الرائعة في القرآن وكلام العرب ، ولكنه ألم بها الماما سريعا ، وعرضها عرضا موجزا لا يغني الناقد والمتذوق ، وان كانت فيه فائدة لا تنكر .

ومن فصول الكتاب الطريفة بحث التكرار ، وقد أحسن المؤلف في بحثه ، وأجاد اجادة كبيرة ، وذكر الفائدة التي يؤتى به من اجلها ، وذكر ما يتهيأ فيه التكرار الحسن منه والقيح^(١) . وأحسن في بحث الكناية ، وأدخل فيها الارداف ، لانها عنده أربعة اقسام : التمثيل ، والارداف ، والمجاورة ، وغير هذه الانواع الثلاثة^(٢) . وهو يتابع في تقسيمها ابن الاثير في كتابه « الجامع الكبير » ، واعترف ابن الجوزية نفسه بهذا الاخذ ، ورأى ان ما ذكره ابن الاثير آثر ما ذكر عن الكناية . وبحث الاشارة على افراد^(٣) . وفصلها عن الكناية مع ان الامثلة التي ذكرها جعلها القزويني وغيره من الكناية مثل « فلان طويل النجاد ، رفيع العماد ، كثير الرماد » ، وتكلم على الایماء ، وأدخل في الاشارة المعيمات والالغاز والتورية ، وفرّق بين الاشارة والكناية ، وهي عنده في الحسن ، اما الكناية ففي القبيح^(٤) . وأفرد التعريض عن الكناية وعقد له فصلا خاصا^(٥) ، بينما تكلم القزويني عليه في فصل الكناية ، ولم يكن حديثه عنه كحديث ابن الجوزية ، لانه جاء مقتضبا .

(١) الفوائد ص ١١١ .

(٢) الفوائد ص ١٢٦ - ١٢٢ .

(٣) الفوائد ص ١٢٥ .

(٤) الفوائد ص ١٢٦ .

(٥) الفوائد ص ١٣٣ .

وخالف ما تعارف عليه المتأخرون من بحث تجاهل العارف في
البديع ، فقد بحثه في فصل الاستفهام ، وذكر أمثاله التي ذكرها
المتأخرون (١) . وفي الوقت الذي جعل القزويني المقابلة قسما من المطابقة
وأدخلها فيها ، نجد ابن قيم الجوزية يفرق بينهما ويقول : « فالفرق بين
المقابلة والطباق من وجهين :

الاول : ان الطباق لا يكون الا ضددين غالبا مثل قوله تعالى :
« وهو الذي أحياكم ثم يميتكم ، ثم يحييكم » (٢) ، واشباه ذلك .
والمقابلة تكون غالبا بالجمع من اربعة اضداد ضددين في صدر الكلام ،
وضددين في عجزه وتبلغ الى الجمع من عشرة أضداد ، خمسة في الصدر،
 وخمسة في العجز .

الثاني : لا يكون الطباق الا بالاضداد ، والمقابلة تكون بالاضداد
وغيرها (٣) .

وهذا ليس بالقليل من رجل عاش في فترة كسد فيها الادب ، وخبا
نجم النقد وأفل ، ويكفيه فخرا انه كان حر الفكر والتعبير ، لم يتقيد
بموازين عصره ومناهج البحث فيه ، وانما اختط لنفسه طريقا آخر فيه
تحليق في أجواء الادب ورحاب الفن ، ولعل ابن الجوزية لو اتاحت له
الايام حياة مستقرة كالقزويني لاتي بكل عظيم عجيب في هذا الفن ،
ولكنه رجل كان يسعى وراء الحق فناله من ذلك أذى كأستاذة الشيخ
ابن تيميه وسجن وطورد . وسبقني ابن الجوزية خالدا في دنيا الحق
والعلم ، مشارا اليه في عالم البلاغة والنقد ، وان في كتابه الفوائد ما
يجعل النقاد والمتأدين يرجعون اليه ، ويضعونه في مكانه اللائق حينما
يؤرخون للنقد والبلاغة .

* *

(١) الفوائد ص ١٥٩ - ١٦٠ .

(٢) سورة الحج ، الآية ٦٦ .

(٣) الفوائد ص ١٤٨ .

هذه حالة البلاغة والنقد في عصر القزويني ، وهؤلاء أهم معاصريه في البيئة العربية . ويتضح لنا من هذا العرض ان القزويني لم يتأثر بمن حوله كثيرا ، وبقي يدور في فلك السكاكي مع ان عصر الماليك لم يكن عصر جمود كما تصوره لنا بعض المصادر وانما كان النشاط باديا للعيان في كثير من مجالات الحياة . ولا يعدم هذا العصر كتابا ، أو ناقدا ، أو بلاغيا له صولات وجولات ، وله وجهة نظر ان لم تكن جديدة فانها تدل على احساس مرهف ، وذوق أدبي صافٍ . ولا ندري لم أتجه القزويني هذا الاتجاه مع انه عاصر نقادا وبلاغيين استفادوا من التراث الضخم القديم ، وبنوا عليه آراءهم وكتبهم ، فأخرجوا لنا مؤلفات تشهد لهم بالاطلاع الواسع ، والاستفادة من القدماء . فكانوا بحق امتدادا للعصور الذهبية الزاهرة ولمدرسة البلاغة الادبية او بلاغة العرب .

ولعل الامثلة الثلاثة السابقة تكفي للتدليل على ما نذهب اليه ، وتؤيد ما لمسنه من ان القزويني يكاد يكون غريبا في بيئة مصر والشام فيما كتب وألف في البلاغة . وقد كان من الممكن ان يستفيد من ابن الاثير ، وابن ابي الاصبغ ، ولكنه رجل شغل نفسه بالفتح وألم بكتب عبد القاهر ، فأخرج لنا « الايضاح » الذي لا يمكن ان ينكر فضله في الدراسات البلاغية على مدى الاجيال .

وإذا كان القزويني لم يتأثر بمعاصريه او يؤثر فيهم تأثيرا واضحا ، فانه اثر في تلامذته ومن عاصرهم أو جاء بعدهم الى هذا اليوم ، وكانت البلاغة العربية كلها تقريبا امتدادا لمدرسته التي بدأت بشرح التلخيص ، والتعليق عليه ، ونظمه ، وشرح شواهد ، أو شرح الايضاح وتلخيصه ، ولم يخرج البلاغيون عن منهجه وآرائه حتى عصرنا الحديث .

ولكي نبين أثره في البلاغة سنعرض شروح التلخيص ، لنرى مدى تأثيره ، وسيطرته على مناهج البحث البلاغي .

وقد استطاع القزويني بذوقه وتضلعه في علم اللغة العربية ان يختصر القسم الثالث من « مفتاح العلوم » ويشرحه في « الايضاح » مضيفا اليهما معلومات كثيرة أغفلها السكاكي ، واثارت حركة تأليف واسعة بعد أن ظهر تلخيص القزويني ، وأخذ الناس يتدارسونه ، ويشرحونه ، ويعلقون عليه ، وكان المشرق الاسلامي من أكثر البيئات تعلقا به ، وانكبابا عليه وبذلك حظي باهتمام ، وعناية لم يلقها كتاب بلاغي آخر .

وكان المشرق سبأقا الى شرحه والاهتمام به ، وان الشروح التي وصلت اليها أو وصلت أسماؤها تدل دلالة واضحة على ان الكتاب تداولته الايدي في بيئة خوارزم وأقصى الشرق العربي قبل أية بيئة اخرى .

ولعل شرح محمد بن مظفر الخطيب الخليلي (٧٤٥هـ) المسمى «مفتاح تلخيص المفتاح» أقدمها بعد ايضاح القزويني الذي كان أول شرح للكتاب . وهذه الشروح جميعا ليست ذات قيمة كبيرة ، لانها كانت نسخة واحدة او تكاد ، لا يخرج المتأخر عن المتقدم ولا يتعد آخر عن أول في منهجه وعرضه موضوعات البلاغة .

وسارت قافلة الشروح الى البيئة العربية ، فدخلت العراق ، والشام ، ومصر ، غير انها لم تعجب اهل هذه البيئة ، لانهم كانوا يجنحون الى تربية الملكة الادبية ، ويميلون الى تحكيم الذوق ، وقد رسم بهاء الدين السبكي أحسن صورة واجلاها لهذه الشروح ، فقال وهو يتحدث عن

التلخيص وقيمه : « ولقد وصل الينا من تلك البلاد على التلخيص شروح ، رحم الله مصنفها ، فانهم ماتوا وهم أخيار وبيض وجوههم في الآخرة كما سودهم بالمعالي في هذه الدار . لا تنشرح لبعضها الصدور الضيقة ، ولا تنفتح عندها مغلقة ، ولا ينقح فيها زناد الفكر عن مسألة محققة . يتناولون المعنى الواحد بالطرق المختلفة ، ويتناوبون المشكل والواضح على اسلوب واحد ، كلهم قد ألّفه لا يخالف المتأخر منهم المتقدم الا بتغيير العبارة ، ولا يجد له على حل ما أشكل على غيره أو استشكل ما اتضح جسارة ، ولا يطمع أن يذوق ما في الاستدراك من اللذة . ولا تطمح نفسه لان يقال برز على من سبقه وبذّءه ، بل يسري خلف من تقدمه حتى في الكلمة الفذة ، ويسير أثره حذو القذة بالقذة . قصارى أحدهم أن يعزو آياتا من الشواهد لقائلها ، ويوسع الدائرة بما لا يقام له وزن من تكميل ناقصها ، أو انشاء ما قبلها وما يليها ، وينشر للراغب مفردات الالفاظ من واقع كلام العرب ، ويذكر ما لا حرج على مخائفه من اصطلاحات لبعض أهل الادب . ولا يزيد في شرح عبارة المصنف على الايضاح زينا وجد فيه أم شيئا ، فلو نطق التلخيص لتلا ما جئتم به هذه بضاعتنا ردت الينا . هذا والشرح يطول ، والوقت ينفق ولم يكتب لطالب البيان وصول » (١) .

ولا نجد وصفا أبدع من قول السبكي في وصف هذه الشروح وما فيها ، ويمضي في وصف مؤلفيها ، وما استفرغوا من قوى أفكارهم في تأليفها فيقول : « قد استفرغوا في ذلك قوى أفكارهم ، واستوعبوا مدى أعمارهم ، فليت شعري وقد انقضى العمر متى يسبحون في اللجة ويجنحون الى بياض المحجة ؟ أبعد أن يشيب الغراب ، ويرجع الشباب الحائل ، أم يصيرون الى أن تعود الى الدنيا القرون الاوائل .

وحتى يؤوب القارطان كلاهما وينشر في القتلى كليب ووائل

وفي أية مدة يصلون الى تلك اللطائف ، ويحصلون على تلك الحقائق التي طاف بأركانها وبيتها ممن له حجر سليم ومقام كريم كل طائف .

لولا العقول لكان أدنى ضيغم أدنى الى شرفٍ من الانسانِ

فكم من معضلة في الكتاب يمرون عليها ، وهم عن حلوة حلها معرضون ؟ ومشكلة يصححون ألفاظها وهم للمعاني مرضون ؟ وكم اوردوا اسئلة ، وصارخ من التوفيق يناديهم لو قيل :

« ما هكذا تورديا سعد الابل » . وكم هتف بطائرهم هاتف من العقل بصوت شجي : هيهات ما هذا بعشك فادرجي . وكم عاود النظر في شيء من هذه الشروح على سبيل التنزل مطالع ، ثم ثنى طرفه وهو يقول يا خيبة المطامع ، ويحلف صادقا أنها لم تكن تكتب الا باطراف الاصابع ، هنالك يعلم الطالب انه أملى له فيما أملى عليه ، وانه في مهمه مهمل لا يجاب داعيه ولا يلتفت اليه .

فلو أنشدت نعشاً هناك بناته مات ولم يسمع لها صوتٌ منشدٍ (١)

وأي وصف أصدق من هذا الوصف الذي دبجته براعة السبكي وليد البيئة المصرية العربية ؟ وأي نقد أكثر تجريحا من هذا النقد الذي سطره أحد شراح التلخيص ؟ وأن الباحث في اثر القزويني في البلاغة العربية لتهوله كثرة شروح التلخيص واكداس التلخيصات والتقاريرات ويحار فلا يدرى ماذا يقرأ وماذا يدع ، وهذه الكتب كلها لا تخرج عما خطه السبكي في مفتاح العلوم ، وقرره القزويني في تلخيصه وايضاحه ، إن المنهج واحد ، والهدف مشترك لا يحدد متأخر عن متقدم ، ولا يأتي أحدهم الا بما فيه ائقال كاهل البلاغة ، وقصم ظهر النقد ومقاييسه الادبية الفنية .

(١) عروس الافراح ج ١ ص ٦ - ٧ .

ولكي نظهر أثر القزويني لا بد ان نتعرض لهذه الشروح ، ونلقى عليها نظرة عابرة لنرى ما فيها ، وان العمر ليقصر عن تتبعها كلها ، والاحاطة بما أثاره القزويني من حركة بلاغية على مر القرون . واذا كان ليس من الممكن الاحاطة بكل شيء فليس من الصحيح ان نترك بعض ما يستطيع الانسان ان يلم به ويجعله ميدانا يعرض فيه افكاره ، ومجالا يثبت فيه ما ينبغي اثباته وتأكيدة في الدراسات البلاغية .

لقد حاولنا جاهدين أن نحيط بكل ما خلفته القرون ولكننا شعرنا بعبء ما نحن مقدمون عليه ، وهالنا ما رأينا من كتب طبع بعضها ، وما يزال بعضها الآخر ينتظر النور . وقد أجلنا الفكر ، ودققنا النظر في شروح التلخيص فخرجنا بنتيجة وهي ان معظمها نسخ مكررة نكتاب واحد الا ما نجده من عبارات تضاف ، وجمل تحذف ، ولهذا لن نقف عندها جميعا بل سنكتفي بالبحث في بهاء الدين السبكي (٧٧٣ هـ) ، والتفتازاني (٧٩٢ هـ) ، والشريف الجرجاني (٨١٦ هـ) ، وابن يعقوب المغربي (١١١٠ هـ) ، والدسوقي (١٣٣٠ هـ) ، والسيوطي (٩١١ هـ) وعصام الدين الاسفراييني (٩٥١ هـ) . وعلّة ذلك ان كل واحد منهم يمثل بيئة معينة واتجاها محددا وزمانا معلوما ، فالسبكي يمثل البيئة المصرية العربية في القرن الثامن ، والتفتازاني يمثل البيئة الفارسية في القرن نفسه ويتبعه الشريف الجرجاني والمغربي والدسوقي ممن وضعوا الحواشي والشروح على كتابيه المطول والمختصر ، ويمثل السيوطي بيئة مصر في القرن العاشر ، بينما يمثلها العصام في البيئة الفارسية .

ولم يقف أثر القزويني في الشروح ، والتلخيصات ، والحواشي ، والتقاريرات ، بل تعداه الى كتب اتجهت اتجاها آخر ليس فيه تحديد القزويني ، وتقسيماته ، ولا ضبطه وقواعده . إنّه اتجه الى البديع الذي تفقت سوقه في عصر جلال الدين وما بعده . وقد نظمت قصائد في البديع وألفت شروح عليها ، وهذه الكتب كلها لم تنقيد بمنهج السكاكي والقزويني ، وانما اتجهت الى فنون البلاغة اتجاها الاوائل

كأبن المعتز ، وقدامة ، وأبي هلال فلا معانى ولا بيان ولا بديع ، وانما الكل فن واحد هو البديع بمعناه الواسع • ولعل ابن حجة الحموي (٨٣٧ هـ) خير من يمثل هذا الاتجاه ، وهو ان سلم من تأثير منهج القزويني فانه لم يسلم من آرائه وتوجيهاته ، ولكننا لن نتحدث عنه في هذا الفصل لامرين :

الاول : اننا تكلمنا عليه سابقا في فصل علم البديع ، وقد وضعنا عمله في البلاغة وعلاقته بالقزويني •

والثاني : أن هذا الفصل يبحث في شروح التلخيص ، وليست « خزنة الادب » للحموي شرحا لاحد كتب القزويني ، ولذلك تركنا الكلام عليه بالتفصيل مكتفين بما ذكرناه سابقا ، وان كان الحموي يحتاج الى دراسة اوسع ، ونظرة اعمق •

ولنبدا الآن بشرح تلخيص المفتاح وهم :

بهاء الدين السبكي

كان القزويني ايذانا باتجاه البلاغة في مصر والشام وجهة لم تكن لها يوم كانت في خوارزم بيئة السكاكي ومفتاحه . وكان تلخيص القزويني وايضاحه بادره طيبة اثمرت فيما بعد كتبها لها طابع خاص ، وتوجيهات جديدة وان كانت لم تخرج عما رسمه السكاكي والقزويني في المنهج وموضوعات البلاغة . وقد مزجت هذه الكتب بين فلسفة البلاغة الكلامية وبلاغة العرب من الادباء البلغاء ، وكونت مدرسة جديدة هي مدرسة مصر البلاغية التي كانت تجنح الى مجافاة الفلسفة والتعصب للعرب وتحكيم الذوق في الادب وتقده .

ومن أشهر بلاغيي هذه المدرسة وأكبرهم بهاء الدين السبكي المولود بالقاهرة في ليلة العشرين من جمادى الاخرة سنة ٧١٩ هـ (١٣١٩ م) والمتوفى بمكة المكرمة في ليلة الخميس سابع عشر من شهر رجب عام ٧٧٣ هـ (١) . وكان السبكي معجبا بتلخيص القزويني ايضا اعجاب ، ويعده من اهم كتب البلاغة وانفعها ، يقول :

« فان تلخيص المفتاح في علم البلاغة وتوابعها باجماع من وقف عليه ، واتفاق من صرف العناية اليه اتفق كتاب في هذا العلم صنف

(١) تنظر ترجمته في الدرر الكامنة ج ١ ص ٢١٠ ، والنجوم الزاهرة ج ١١ ص ١٢١ والدارس في تاريخ المدارس ج ١ ص ٣٨ ، وحسن المحاضرة ج ١ ص ٢٠٤ ، وبغية الوعاة ص ١٤٨ واليدر الطالع ج ١ ص ٨١ ، والمنهل الصائى ج ١ ص ٢٨٥ ، وغيرها .

وأجمع مختصر على مقدار حجمه الف» (١) .

وقد شرح التلخيص عدة مرات في البيئة الفارسية ، ووصلت الشروح الى مصر والشام ، واطلع عليها السبكي فلم تعجبه ، ورأى أن أصحابها يتناولون المعنى الواحد بالطرق المختلفة ، ويتناوبون المشكل والواضح على اسلوب واحد . كلهم قد ألفه لا يخالف المتأخر منهم المتقدم الا بتغيير عبارة ، او تفسير كلمة ، أو توجيه رأي ما . وكان عمل هؤلاء الشراح محفزا له ، يقول :

« فحداني ذلك على أن أشد جياذ الحزم ، وأمد ركاب العزم الى شرح للتلخيص يُحيي من هذا العام الرفات ، ويدرك منه ما فات . ويمتطي من معاليه اقصاها ، ولا يغادر صغيرة ولا كبيرة من أعمال مصنفة الا احصاها . ويجمع من شتاته ما تفرق شجر بفر (٢) ، ويفهم من شذوره الذهبية ما ذهب ايدي سبأ ، وتمزق شذر مذر (٣) .

وقد اراد المؤلف ان يجعل هذا الشرح واسطة بين مفتاح المشرق للسكاكي ، ومصباح المغرب لبدر الدين بن مالك ، خليا من العصية حريا بالنسبة الى مصر « فانها بقعة من عند الله مباركة طيبة ، لا شرقية ولا غربية » ، فكتابه وليد بيئة مصر التي حباها الله الجمال ، وبعث في واديهما الخصب والبركة ، وأكسب أهلها رقة وظرفا .

مصادره

وضع السبكي كتابه « عروس الافراح » بعد أن اطلع على كتب كثيرة ، يقول : « واعلم انني لم اضع هذا الشرح حتى استعنت عليه بنحو من ثلثمائة تصنيف ، فانه تضمن الخلاصة من مائة تصنيف في هذا العلم منها ما وقفت على كلام من وقف عليه وقال انه جمع بين طرفيه .

(١) عروس الافراح ج ١ ص ٤ .

(٢) شجر الناس : تفرقوا ، يقال : «تفرقوا شجر بفر» اي : ذهبوا في كل وجه .

(٣) عروس الافراح ج ١ ص ٨ . يقال : «تفرقوا شذر مذر» اي : ذهبوا في كل وجه .

واني اختصرت فيه أكثر من خمسين مصنفاً في علم البلاغة وقفت عليها لم أترك منها إلا ما هو خارج عن هذا العلم أو قليل الجدوى فيه ، أو هو في غاية الوضوح ، أو شواهد لا حاجة لها لكثرتها ، أو ما زاغ البصر عنه ، أو ما إن تأملته علمت أنه فاسد لا ترثضيه» (١) .

وأهم مصادره التي اعتمد عليها دلائل الإعجاز لعبد القاهر ، والبديع لابن المعتز ، وإعجاز القرآن للرماني ، والوساطة بين المتنبي وخصومه للقاضي الجرجاني ، والبديع في نقد الشعر لابن منقذ ، وسر الفصاحة لابن سنان ، والعمدة لابن رشيقي ، والعمدة في اختصار العمدة للصقلي ، وكنيات البلغاء لأحمد بن محمد الجرجاني ، وحلية المحاضرة للحاتمي ، ومنهاج البلغاء وسراج الأدباء لحازم القرطاجني ، وكتاب الصناعتين للعسكري ، ونهاية الإيجاز في دراية الإعجاز للرازي ، والمعيار للزنجاني ، وقوانين البلاغة لعبد اللطيف البغدادي ، ومفتاح العلوم للسكاكي وبعض شروحه ، وروض الأذهان والمصباح لبدر الدين بن مالك ، والاقصى القريب للتونخي ، والمثل السائر والجامع الكبير لابن الأثير ، والفلك الدائر على المثل السائر لابن أبي الحديد ، وبديع القرآن وتحرير التفسير لابن أبي الأصبع ، وبعض شروح التلخيص والإيضاح للقزويني ، والطريق إلى الفصاحة للرئيس ابن النفيسي وغيرها . ويمكن تقسيم المصادر التي اعتمد عليها قسمين :
قسم أدبي وآخر كلامي .

بين الأدب والفلسفة :

وقد مزج السبكي في كتابه عروس الأفراح بين البحوث الفلسفية ، والأدبية الذوقية ، والروح الفنية الصادقة ، وبين قواعد الأصول ، والمقاصد المنطقية والكلامية . وأضاف إليه ما استخرجه بذهنه ورآه بصيرته ، يقول : « ولقد احتوى هذا الشرح بحمد الله تعالى من

(١) عروس الأفراح ج ١ ص ٢٩ .

المباحث التي هي من بنات فكري فلم اسبق اليها ، ومن هبات ذكرى
فما عثر أحد فيما علمت من أهل هذا الفن عليها ، على جملة لا اعقد
لها عددا حتى افرغ من عد النجوم ولا اعهد لها مددا سوى الهام
الحي القيوم . وكأين فيه من شاهد يرد على هذا العلم ما يدعيه من حق
ضائع ، ويثبت له عرفا يحفظ طيب الثناء بعرف ضائع . ويأمن من
الاسقاط ، فاني استخرجته بالفكرة وعدلته بتزكيتي العقل والنقل عند
قاضي من التأمل ليست عنده فترة ، واجلسته في مجالس العلماء
فأثبتوا فخره واطلت البحث عنه ، ولم اجده في كتاب ، ولم اسمعه من
ذي فطرة . واعلم أنني مزجت قواعد هذا العلم بقواعد الاصول
العربية ، وجعلت تقع هذا الشرح مقسوما بين طالبي العلوم الثلاثة
وأكاد أقول بالسوية . واضفت اليه من اعراب الآيات الواقعة فيه ماهو
محرر وان كان رقيق الحاشية . ومن ضبط الفاظ احاديثه النبوية
ما كانت خباياه من الجامع الازهر الصحيح في زاوية ، وضمنته شيئا
من القواعد المنطقية ، والمقاصد الكلامية ، والحكمة الرياضية أو
الطبيعية ، واتحفته من فوائد الوالد وتحقيقه ، ومن فوائد علمه الطارف
والتالد» (١) .

دعوة الى الذوق :

وتطالعنا في اول الكتاب دعوة السبكي الى الذوق والرجوع اليه
في نقد الكلام يقول : «أما أهل بلادنا فهم مستغنون عن ذلك بما ألبسهم
الله تعالى عليه من الذوق السليم ، والفهم المستقيم ، والاذهان التي هي
ارق من النسيم ، والطف من ماء الحياة في المحيا الوسيم . أكسبهم
النيل تلك الحلاوة ، وأشار اليهم باصابعه فظهرت عليهم هذه الظلاوة .
فهم يدركون بطباعهم ما افنت فيه العلماء - فضلا عن الاغمار -
الاعمار ، ويرون في مرآة قلوبهم الصقيلة ما احتجب من الاسرار خلف

(١) مروس الافراج ج ١ ص ٢٦-٢٨ .

الاستار» (١) . ولذلك صرفوا همهم الى العلوم التي هي نتيجة او مادة
لعلم البيان كاللغة ، والنحو ، والفقه ، والحديث ، وتفسير القرآن .

وكان من المنتظر ان يثور على الدراسات البلاغية في عصره ، ويصلح
منهج دراستها ، وينقذها مما فيها من مسائل غريبة اقحمت فيها اقحاماً .
ولكنه لم يعمل شيئاً ذا نفع عظيم ، بل نراه يفخر بأنه مزج قواعد
البلاغة بقواعد الاصول ، وضمن كتابه شيئاً من القواعد المنطقية
والمقاصد الكلامية ، والحكمة الرياضية والطبيعية ، وحشر من كلام ابيه
مسائل كثيرة تدعو الى السأم في كثير من الاحيان .

ان السبكي - وان دعا الى تحكيم الذوق في البلاغة والنقد - لم
يطبق كلامه ، وأتى له أن يخرج عن النطاق الذي ضربه « مفتاح
العلوم » وتلخيصاته وشروحه على الدراسات البلاغية ؟ انه لم يستطع
ان يخرج عن منهج السكاكي والقزويني وان اضاف الى كتبها كثيراً
مما تركاه ، او لم يطلعاً عليه وينتبهاً اليه ، وما خطر بذهنه من تحقيقات .

ولن يستطيع الباحث في بلاغته أن يؤمن ايماناً قويا بدعوته الى
الذوق بعد أن يقرأ الكتاب ويطوف فيه ، لان نزعة نزعة عقلية أو نزعة
يغلب عليها الجانب العقلي بتعبير أدق . وقد أكثر من التقسيمات
العقلية وملاً كتابه بها . ومن امثلة هذه التقسيمات ما ذكره في موضوع
الفصل والوصل ، ولكي نستطيع أن تبين نزعته في التقسيم تنقل بعض
كلامه في هذا الموضوع يقول : « اما ان يكون بين الجملتين تناسب او
لا ، فان لم يكن فاما ان يحصل الاتحاد في المسندين أو في احدهما او
في طرف احدهما . واقسام ذلك مائتان واربعون قسماً . اولا يحصل
الاتحاد في شيء من ذلك فصارت الاقسام مائتين وواحد واربعين على
كل منهما . فاما أن يكون العطف بالواو أو بغيرهما ، واما ان يكون
للاولى محل اولا . هذه اربعة اقسام مضرورة فيما سبق تبلغ تسعمائة

(١) عروس الافراح ج ١ ص ٥ .

واربعة وستين على كل منهما • اما ان يكون بينهما كمال الانقطاع أو كمال الاتصال أو شبه كمال الانقطاع أو شبه كمال الاتصال او متوسطة • هذه خمسة تضرب فيما سبق تبلغ اربعة آلاف وثمانمائة وعشرين وعلى كل منها اما ان يحصل بالقطع ايها غير المراد أو لا • قسمان مضروبان فيما سبق تبلغ تسعة آلاف، وستمائة واربعين كلها يمتنع فيها الوصل الا ما كان في تركه ايها المراد كل ذلك اذا لم يكن بينهما جامع ، واذا كان بينهما جامع جاء مثل هذه الاقسام • ثم نقول على كل من أقسام الجامع ، اما أن يكون الجامع عقليا وهو الاتحاد او التضاييف ، أو وهما وهو شبه التماثل أو التضاد أو شبهه أو خاليا • فهذه سبعة نص المصنف عليها تضرب في اقسام الجامع السابق وهي تسعة آلاف وستمائة واربعون ، تبلغ سبعا وستين الفا واربعمئة وثمانين ، وتضاف اليها أقسام عدد الجامع السابقة وهي تسعة آلاف وستمائة واربعون تبلغ سبعا وسبعين الفا ومائة وعشرين • وعلى كل اما أن يكون ما وقع الاتحاد فيه في الطرفين ضميرين أو ظاهرين ، أو الاول ضمير والثاني ظاهر أو عكسه أربعة أقسام تضرب فيما سبق تبلغ ثلثمائة الف وثمانية آلاف واربعمئة وثمانين على كل منها • أما أن تكون الجملتان متناسبتين بالاسمية أو الفعلية أو غير متناسبتين ، فهذا قسمان يضربان فيما سبق تبلغ ستمائة الف وستة عشر الفا وتسعمائة وستين قسما • ويمكن تضعيفها بحسب الاصناف الى ما لا يعلمه إلا الله» (١) •

وليس هذا المثل الوحيد في كتابه الضخم الكبير ، وانا لنجد مثيله في بحث اقسام المجاز العقلي ، ويقول بعد أن يذكر أنواعه :

« تنبيه : هذه الاقسام الثمانية هي دائرة بين الفعل وفاعله ، ولا شك أن الفعل يلابس فضلات باعتبار المفعول والحال وغيرهما • وذلك باعتبار الحقيقة أو المجاز ، فنقول : كل واحد منهما قد يكون في نفسه مجازا افراديا ، وقد يكون حقيقيا • فهذه اربعة احوال تضرب في

(١) عروس الافراج ج ٣ ص ٦ •

الثمانية أعني الاقسام الاربعة الحقيقية والاقسام الاربعة المجازية تبلغ اثنين وثلاثين قسما . وتأتي في المفعول الثاني اربعا وستين وفي الثالث مائة وثمانية وعشرين وتتضاعف بالتوابع والحال والمصدر والغرف ونحوه . فعليك باعتبار ذلك ، وافعل ما تقتضيه القواعد السابقة»^(١) .

ويقول في بحث اغراض الخبر : « اعلم ان اقسام هذا الفصل متعددة ، وقد حاول الكسائي والخطيب في شرح المفتاح تعدادها فذكرها على وجه قاصر . وها أنا اذكرها على التحرير أن شاء الله تعالى فاقول : المخاطب أما عالم بفائدة الخبر ولازمها معا ، أو خال منهما ، أو طالب لهما ، أو منكر لهما ، أو عالم بالفائدة خال من اللازم ، أو عالم بالفائدة طالب للزم ، أو عالم بالفائدة منكر للزم . أو عالم باللازم خال من الفائدة ، أو عالم به طالب للفائدة ، أو عالم به منكر للفائدة ، أو خال من اللازم طالب للفائدة ، أو خال من الفائدة طالب للزم ، أو خال منها منكر للزم ، أو طالب للفائدة منكر للزم ، أو منكر للفائدة طالب للزم ، أو طالب للفائدة منكر للزم ، أو خال من الفائدة من خال من الفائدة منكر للزم أو خال من الفائدة طالب للزم . فالثلاثة مستحيلة ، ومنها ثلاثة ممكنة ان حملنا اللازم على الاعتقاد مطابقا كان أو لم يكن وهو عالم باللازم متردد في الفائدة ، أو عالم به منكر للفائدة ، أو منكر للفائدة طالب للزم . وان حملنا اللازم على الاعتقاد المطابق للخارج سقط الثلاثة أيضا . فعلى الاولى تبقى الاقسام الممكنة ثلاثة عشر كل منها اما أن تأخذه على كل واحد من الواجه العشرة السابقة ، ولا تأخذه على كل شيء من الستة التي قلنا ان ثلاثة منها مستحيلة قطعاً ، وثلاثة مستحيلة على أحد الاحتمالين ، لان الستة هنا مستحيلة على الاحتمالين معا ، فتضرب ثلاثة عشر في عشرة تبلغ مائة وثلاثين يسقط منها ثلاثة عشر وهو كل مخاطب من هؤلاء الثلاثة عشر فرضناه عالماً بالفائدة ،

(١) عروس الانراج ج ١ ص ٢٥٤ .

واللازم فانا لا نخاطبه» (١) .

وهذا ما يجعلنا نؤمن ايمانا قويا بأن الرجل خرج عن هدفه وعلى ما أدعاه في كتابه من عزوف عن الفلسفة وعلومها ، وجنوح الى تحكيم الذوق في البلاغة والنقد .

منهجه في الشرح :

وطريقة السبكي في الشرح تختلف الى حد ما عن طريقة الاخرين ، فهو يأخذ جملة أو أول فقرة أو عبارة ، ثم يتكلم على ذلك الموضوع ذاكرا الواجهة المختلفة في المسألة ، محققا ما وسعه التحقيق . أما الآخرون كالتفتازاني والمغربي فطريقتهم أن يأخذوا الكلمات واحدة واحدة ، أو جملة جملة ، ويربطوها بكلمات آخر ، كأن يضيفوا مفعولا ، أو حرف جر ثم يعرضون الآراء ويناقشون ان كان ثمة نقاش ، ومن هنا كان شرح السبكي ذا اصالة وروح ادبية لا نجدها في الشروح الاخرى .

متى ألفه ؟

ولا نعلم متى بدأ السبكي شرح التلخيص ، ولكننا نعرف انه انتهى منه سنة ٧٥٨ هـ جاء في خاتمته : « قال المؤلف - رحمه الله - فرغت منه بين المغرب والعشاء من ليلة الاثنين عاشر جمادى الاولى سنة ثمان وخمسين وسبعمائة والحمد لله كما يحب ربنا ويرضى ، وصلى الله على نبيه المصطفى ، وعلى آله وصحبه ، وسلم تسليما كثيرا » (٢) . وهذا ما يدعونا الى القول بانه اطلع على شرح التفتازاني ، ولا سيما الشرح المطول ، وأن كان لم يذكره مع شروح التلخيص الاخرى ، ودليلنا في ذلك أمران :

الاول : أن السعد انتهى من الشرح المطول ، ونقله الى البياض يوم

(١) عروس الافراح ج ١ ص ٢١٦ - ٢١٧ .

(٢) عروس الافراح ج ٤ ص ٥٤٧ .

الاربعاء الحادي عشر من صفر سنة ٧٤٨ هـ بهراة وكان الافتتاح يوم
الاثنين من رمضان سنة ٧٤٢ هـ ، بجزجانية خوارزم ، وانتهى من الشرح
المختصر سنة ٧٥٦ هـ في غجدوان . وليس من المعقول ان المطول لم
يصل الى مصر والشام قبل تأليف عروس الافراح .

والثاني : أن السبكي لمح باسم التفتازاني بقوله بعد كلام طويل في
نقد شروح التلخيص : « وكم اوردوا اسئلة وصارخ في التوفيق يناديهم
لو قيل : « ما هكذا تورد يا سعد الابل » (١) .

خصائصه :

وامتاز شرح السبكي بنواح كثيرة (٢) منها :

كراهية الفلسفة ، وقد ذكر أنه طهّر كتابه من اصول الفلاسفة .
يقول في بحث اسمية الجملة والفرق بينها وبين الفعلية : « وقد ذكر
المصنف في الايضاح وجها آخر ، وذكر أنه أشبه باصول الفلاسفة وقد
قصدت تطهير هذا الكتاب منه » (٣) . ولكننا نجده يعتز بأنه ضمن
كتابه شيئا من القواعد المنطقية ، والمقاصد الكلامية ، أو الحكمة
الرياضية أو الطبيعية (٤) وهذا قليل بالنسبة الى ما نجده عند شراح
البيئة الفارسية أو الشراح المتأخرين ، ومن هنا نجده يثور على حكم
اليونان ويدعو عليها بتمزيقها (٥) ، وهو في ذلك متأثر بوالده الذي
كان ينفر من الفلاسفة والمتكلمين . وقد أظهر السبكي ذلك عندما نقل
عن ابيه كلامه في احكام « كل » يقول : « فهذا هو السر في الفرق بين
« كل ذلك لم يكن » و « لم يكن كل ذلك » واستقام به كلام المغويين

(١) عروس الافراح ج ١ ص ٧ .

(٢) ينظر مناهج تجديد ص ٢٤٨ - ٢٥٢ .

(٣) عروس الافراح ج ٢ ص ١٠٧ - ١٠٨ .

(٤) عروس الافراح ج ١ ص ٢٨ .

(٥) عروس الافراح ج ١ ص ٢ .

والنحويين ، وكلام المنطقيين وظهر أن العرب ادركت بعقولها السليمة وطباعها الصحيحة ما تعب فيه اليونان دهرهم ، بل زادوا عليه في تحرير دلائل « كل » (١) .

وفي شرح قوله تعالى : ليس كمثله شيء » يقول : « الخامس : لبعض المتكلمين أن نفى المثل له طريقان نفيه ونفى مثله لأن من لازم المثل ان له مثلا ونفى اللازم يدل على نفى المزوم فتحمل الآية على نفى المثل بهذا الطريق من غير زيادة ولا مجاز . وهذا معنى صحيح غير ان العربي الطبع يمجح من غير تأمل ، ويصان القرآن والكلام النصيح عنه » (٢) .

وكان اتجاه السبكي بالبلاغة اتجاها عمليا ، فهو يجهر بمزجه قواعد علم البلاغة بقواعد الاصول . وقد سيطرت عليه النزعة الاصولية وذهب الى ان « علمي اصول الفقه والمعاني في غاية التداخل ، فان الخبر والانشاء اللذين يتكلم فيهما المعاني هما موضوع غالب الاصول ، وأن كل ما يتكلم عليه الاصولي من كون الامر للوجوب ، والنهي للتحريم ، ومسائل الاخبار ، والعموم والخصوص ، والاطلاق والتقيد ، والاجمال والتفصيل ، والتراجيح ، كلها ترجع الى موضوع علم المعاني ، وليس في اصول الفقه ما ينفرد به كلام الشارع عن غيره الا الحكم الشرعي والقياس وأشياء سيرة » (٣) .

وكان يستعين بعلم الاصول في دعم آرائه وتأييدها ، ومن أمثلة ذلك مناقشته للسكاكي وغيره في علم البيان ، يقول : « قال السكاكي فلما كان علم البيان شعبة من علم المعاني لا ينفصل عنه الا بزيادة اعتبار ، كان كالمركب وعلم المعاني كالمفرد . ثم ان بعضهم قال ان علم البيان باب من ابواب علم المعاني وفصل من فصوله ، وانما افرد كما

(١) عروس الافراح ج ١ ص ٤٣٦ .

(٢) عروس الافراح ج ٤ ص ٢٣٥ - ٢٢٦ .

(٣) عروس الافراح ج ١ ص ٥٣ .

يفرد علم الفرائض عن الفقه • وهذا الكلام فيه نظر ، لانه صرح بان علم البيان مركب وعلم المعاني مفرد ، والباب أو الفصل من العلم كالفرائض ليس مركبا بالنسبة الى العلم ، لان الفقه مثلا ان كان اسما لجميع ابوابه على سبيل ائكل المجموعي فالفرائض جزء للفقه ، فالفقه مركب لا باعتبار الاعم والاخص ، بل باعتبار الجمع والمفرد بخلاف علم المعاني فانه عندهم مفرد كالجنس ، وعلم البيان مركب كالتنوع وان كان الفقه مثلا كليا يصدق على كل باب منه وينفصل بعضها عن بعض بخاصة ، فلا يصح أن يقال حد المعاني يخرج حد البيان كما فعلوه ، لان حد الجنس لا يجوز أن يكون مخرجا للتنوع كما ان حد الحيوان لا يجوز أن يخرج الانسان • ولعل هذا القائل اغتر بقول السكاكي : « شعبة منه » والشعبة كالباب ، وغفل عن قوله انه منفصل عنه بزيادة اعتبار ، فانه اشار الى انه ليس كالباب بل كالتنوع فان الانسان شعبة من الحيوان ينفصل عنه بزيادة النطق » (١) •

ونقل السبكي عن الاصوليين بعض آرائهم ومصطلحاتهم ، وأهم ما نقله عنهم قواعد اصولية فيما يفهمه الكلام وما يراد به ، وآراء الأئمة الاصوليين كفخر الدين الرازي الذي ذهب الى ان مدلول الخبر بالنسبة لاثبوتها ، وعلل ذلك قائلا : « والا لم يكن الكذب خيرا » (٢) •

ونقل عنهم استعمال المجاز ، وآراء من ينكر الحقيقة والمجاز العقليين يقول : « ان كثيرا من الاصوليين اطلق ان المجاز استعمال اللفظ في غير موضوعه » (٣) • وقال وهو يتكلم على الاسناد الحقيقي والمجاز « هذا التقسيم مبني على ثبوت الحقيقة والمجاز العقليين ، وقد أنكره ابن الحاجب تصريحا في أماليه ومختصره الكبير ، واستبعادا في مختصره الصغير في الاصول » (٤) • وذكر رأيهم في المجاز العقلي واتخذ

(١) عروس الافراح ج ٣ ص ٢٦١ - ٢٦٢ •

(٢) عروس الافراح ج ١ ص ١٩٤ •

(٣) عروس الافراح ج ١ ص ٢٢٥ •

(٤) عروس الافراح ج ١ ص ٢٢٧ - ٢٢٨ •

عبارة « انبت الربيع البقل » محورا لعرض الآراء المختلفة فقال بعد ذلك ملخصا كلامه : « تلخص في نحو « انبت الربيع البقل » اذا لم يكن من كافر ولا كذبا، وفي نحو « حمل زيد الجبل العظيم » أقوال :

• أحدها : ان المجاز في « انبت » ، وهو رأي ابن الحاجب .

• الثاني : انه في الربيع ، وهو رأي السكاكي .

• الثالث : انه في الاسناد ، وهو رأي عبد القاهر والمصنف .

• الرابع : انه تمثيل فلا مجاز في الاسناد ولا في الافراد ، بل هو كلام أورد ليتصور معناه فينتقل الذهن منه الى انبات الله تعالى وهو اختيار الامام فخرالدين « (١) » .

ونقل عنهم كلامهم في مدلول ادوات الشرط ، يقول : « أما الاصوليون فانهم جعلوا اسماء الشرط كلها عامة من غير فرق بين متى ومتى ما وغيرهما » (٢) . وقرئ بين استعمالها ومعانيها عندهم وعند الفقهاء والبلاغيين .

وربط بين استعمال الاصوليين ، والبلاغيين في القول بالموجب ، يقول : « ان القول بالموجب في البديع قريب من القول بالموجب في الاصول والجدل ، وهو تسليم الدليل مع بقاء النزاع » (٣) .

ونقل عنهم رأيهم في عطف الخاص على العام ، وطرفي التشبيه ، والتفاوت بين ادوات التشبيه ، و اشار الى ان للاصوليين خلافا في أن المجاز موضوع اولا .

ونقل بعض امثلتهم في المجاز المرسل ، ورأيهم في المجاز اذا كانت له علاقتان (٤) .

(١) عروس الافراح ج ٢ ص ٢٧١ - ٢٧٢ .

(٢) عروس الافراح ج ٢ ص ٩٠ .

(٣) عروس الافراح ج ٤ ص ٤٠٦ .

(٤) عروس الافراح ج ٢ ص ٢١٧ ، ٢٩٨ ، ٣٩٣ وج ص ١٣ ، ٣٧ ، ٤٥ ، ١٧٩ .

وتقل رأي الفقهاء في الكناية يقول بعد ان تكلم عليها : « ما ذكرناه من الكناية هو باصطلاح البيانين ، أما الفقهاء فقد ذكروا الكنايات والظاهر انها عندهم مجاز . فاذا قال الزوج : « أنت خلية » مریدا الطلاق ، فهو مجاز . ويسميه الفقيه كناية ، فلو اراد حقيقة اللفظ لكونه لازما للطلاق » (١) . واخذ عليهم عدم تعرضهم للفرق بين الكناية والتعريض الا في باب اللعان ، فانهم ذكروا التصريح ، والكناية ، والتعريض اقساماً .

ومن خصائص كتاب السبكي ربط البلاغة بقواعد اللغة والنحو ، وهذا لا نجده واضحا عند غيره ، ولعل سبب ذلك أنه كان على اطلاع واسع باللغة والنحو فأراد ان يستفيد منها في شرح التلخيص ويمزج بين علوم اللسان العربي . وقد نقل عن علماء اللغة كأبن سيده والجوهري والزمخشري معاني الكلمات والمفردات ، وشرحها ، وعلق عليها ، ونقل وجهات النظر المختلفة ، وربط بين النحوي والبلاغي ، يقول : « ولعلك تقول أي فائدة لعلم المعاني فان المفردات والمركبات علمت بالعلوم الثلاثة ، وعلم المعاني غالبا من النحو . كلا أن غاية النحوي أن ينزل المفردات على ما وضعت له ويركبها عليها ووراء ذلك مقاصد لا تتعلق بالوضع مما يتفاوت به اغراض المتكلم على اوجه لا تنتهي ، وتلك الاسرار لا تعلم الا بعلم المعاني . والنحوي وان ذكرها فهو على وجه اجمالي يتصرف فيه اليائي تصرفا خاصا لا يصل اليه النحوي . وهذا كما ان معظم اصول الفقه من علم اللغة والنحو والحديث وان كان مستقلا بنفسه » (٢) .

ومن امثلة ذلك كلامه على المرسن ، يقول : « والمرسن يفتح الميم مع فتح السين وكسرهما حكاهما ابن سيده وقال الجوهري انه بكسر

(١) عروس الافراح ج ٤ ص ٣٧٤ .

(٢) عروس الافراح ج ١ ص ٥١ - ٥٢ .

الميم وهو وهم» (١) . ويقول عن لفظة « افرقعوا » : « وقال الزمخشري : افرقعوا مأخوذ من حروف الفرقة مع زيادة العين . وفيه نظر ، لان العين ليست من حروف الزيادة . وجعله الجوهري مشتقا من فرقة الاصابع فوزنه على هذا « افعللوا » وعلى الاول « افعللوا » (٢) .

ومن مسائله اللغوية الاخرى بحثه في استعمال « لم آل » ومعنى « فصيح » في قول الشاعر :

وتحت الرغوة اللبن الفصيح

ومعاني « خلوص » عند تعليقه على تعريف الفصاحة ، وكلامه عن « الهعخع » والآراء الاربعة فيها .

وتكلم على المعاني التي يحدثها تغيير الكلمات والفرق بين « صنف » و « اصنف » ومعنى « نفذ » و « اللجين » و « الاصيل » و « التديير في الامر » ومعنى كلمة « عقيم » (٣) .

ومن بحوثه النحوية الجيدة كلامه على التأكيد ، وقد بين معناه ، وذكر أدواته والآراء المختلفة فيه ، والفرق بين الادوات في التأكيد (٤) .

وله تحقيقات لا بأس بها في « لو » واستعمالاتها ، وقد دعاه الى تحقيق ذلك ما جاء من اختلاف الآراء فيها ، يقول : « أورد كثير من العلماء على قولهم أن « لو » حرف امتناع لامتناع مواضع يسيرة قد يظن أن جواب « لو » فيها غير ممتنع . وأشكلت هذه المواضع على الشلوين من النحاة ، وعلى الخسر وشاهي من الاصوليين ، حتى ادعى ان « لو » لمجرد الربط ، وعلى ابن عصفور حين ادعى انها فيها بمعنى

(١) عروس الافراج ج ١ ص ٨٧ .

(٢) عروس الافراج ج ١ ص ٨٧ .

(٣) عروس الافراج ج ١ ص ٧٠-٧٣ ، ٧٧-٧٩ ، ٩٢ ، ٤٨٠-٤٨١ وج ٢ ص ٢٤

٧٥ ، وج ٣ ص ٤٦٦-٤٦٧ ، ج ٤ ص ٢٨ ، ١٠١ - ١٠٢ .

(٤) عروس الافراج ج ١ ص ٢١٩ وما بعدها .

« ان » وادعى جماعة ان الجواب الممتنع محذوف» (١) •

ومن مباحثه النحوية الاخرى كلامه على دخول «من» على افعال
التفضيل ، واستعمال «لم» عند النحاة (٢) ، واعراب « تسكب» في قول
العباس بن الاحنف :

سأطلب بُعدَ الدار عنكم لتقربوا وتسكب عيناى اندموع لتجمدا

يقول : « تنبيه : يجوز في قوله «وتسكب» النصب عطفًا على بعد
من باب :

لبس عباءة وتقرَّ عيني أحبَّ اليَّ من لبس الشفوفِ

ويؤيده أمور منها :

احدها : تصريح جماعة كالخطيبي في معنى الليب بأنه اراد طلب
سكب الدموع •

الثاني : أنه المطابق للنصف الاول •

الثالث : انه لا يحسن أن يقول : ستسكب عيناى اندموع والغرض
انها ساكبة ، كما ان الدار بعيدة ، وانما تجدد طلبه لهما» (٣) •

وبحث في الالف واللام ، والتعريف والتنكير والابدال ، وضمير
الفصل ، واستعمال «كل» و «لا» العاطفة واقصال الضمير بعد «انما»
والجمل انتي لها محل من الاعراب والتي لا محل لها • وتحدث عن
اختلاف النحاة في جواز عطف الجملة الاسمية على الفعلية وعكسه ،
وعطف الاسم على الفعل وعكسه ، وبحث في الواو العاطفة والحالية (٤) •

(١) عروس الافراج ج ٢ ص ٧٢ •

(٢) عروس الافراج ج ١ ص ٤٢ ، ٥٠ ، ٥١ •

(٣) عروس الافراج ج ١ ص ١١٢ •

(٤) عروس الافراج ج ١ ص ٣٣١ ، ٣٥٥ ، ٣٧٥ ، ٣٨٥ ، ٤٤٤ ، وج ٢ ص ١٨٧ ، ١٩٤

وج ٢ ص ٥٨ ، ١١٠ ، ١١٨ •

وتكلم على أدوات التشبيه واحدة واحدة وبين الفروق بينها في
قوة المعنى .

وقد غلبت على الجزء الاول من عروس الافراح النزعة الاصونية ،
وعلى الثاني الاتجاه النحوي واللغوي ، وعلى الثالث والرابع النزعة
البلاغية المحضة . ولعل سر ذلك ان الجزئين الاولين يتعلقان ببحث علم
المعاني ، وهو مبني كله على النحو ، أو هو علم النحو بمفهومه الواسع .
وليس هذا كل ما في عروس الافراح فقد امتاز السبكي عن غيره
من شراح التلخيص بنزعة الادبية والفنية ، وساق كثيرا من المسائل التي
تدل على رهافة حسه وشعوره الفني . ولعل بحثه في الفصاحة ،
والاستعارة ، والالفاظ وغيرها يدل دلالة واضحة على هذه النزعة ، ومن
هنا دعا الاستاذ الخولي الى أن « يكون هذا الكتاب كتاب السدرس
الموسع للبلاغة العربية فيكون المر الموصول للدراسة الادبية
الناضجة » (١) . وانا نوافقه على هذه الدعوة ، لان الكتاب يمثل
اتجاه مصر في البلاغة العربية ومشاركتها القوية في الاستفادة من مدرسة
المشاركة ومدرسة العرب البلغاء ، على شرط ان لا تنحصر دراسة
البلاغة في هذا الكتاب وحده ، وانما ينبغي أن ندرس انى جانبه كتابا
بلاغية اخرى ذات طابع ادبي محض كالمثل السائر لابن الاثير .

هذا هو كتاب عروس الافراح للسبكي ويتضح مما تقدم أنه لم
يخرج عن منهج السكاكي ، لانه لم يكن الا شارحا لكتاب تلخيص
المفتاح ، وان منهجه هو منهج القزويني الذي اتبع السكاكي . فلقد قسم
البلاغة الى معانٍ وبيان وبيدع ، واعتمد على ركني الجملة في بحث المعاني ،
وعلى الدلالات العقلية في تقسيم البيان . وقسم البديع الى محسنات
معنوية ولفظية ، وأولع بالتقسيمات الى حد الافراط كما أولع السكاكي
والخطيب وفاقهما كثيرا ، ولكن هل كان السبكي مقلدا للقزويني في
كل ما ذهب اليه ؟

(١) مناهج تجديد ص ٢٥٢

آراء السبكي :

لقد خاض السبكي بحث البلاغة وهو مسلح بثقافة واسعة ، فكان لا بد أن يظهر أثر هذه الثقافة في شرح تلخيص المفتاح ، وأن تبدو شخصيته واضحة جلية ، وكانت له آراء في البلاغة كما كانت له ردود على علماء البلاغة وغيرهم من اللغويين والنحاة والمتكلمين والفقهاء .

ومن آرائه التي بثها في كتابه الفخيم تعميمه الفصل والوصل في الجمل والمفردات واجراء كل صور الجمل في المفردات ، يقول : « قد علم حكم الجملتين في الوصل والفصل ، أما المفردات فلم يتعرضوا لها في ذلك ، والظاهر انهم انما تركوا ذلك لانه في الغالب واضح ، أو لانه يعلم حكمه من الجملتين ولذلك تجد في امثلة المفتاح وغيره حين يمثلي بوصل احدي الجملتين بالآخرى كثيرا من المفردات . والذي ينبغي التعرض لذلك فيقول : الاصل في المفرد فصله مما قبله ، لان ما قبله أما عامل فيه مثل « زيد قائم » فلا يتصل المحمول على عامله أو معمول فلا يعطف العامل على معموله أو كلاهما معمول والفعل يطلبهما طلبا واحدا فلا يمكن عطفه لانه يلزم قطع العامل عن الثاني مثل « علمت زيدا قائما » ونحو ذلك » (١) ، ويمضي يضع القواعد فيقول انه اذا اجتمع مفردات وامكن من جهة الصناعة عطف احدهما على الآخر فان كان بينهما جامع وصلت والا فصلت وهو اقسام » (٢) .

وأشار السبكي الى الفصل والوصل بين الجملة والمفرد يقول : « اذا علمت حكم الوصل والفصل بالنسبة الى الجملتين وبالنسبة الى المفردين فلا يخفى عليك حالهما بالنسبة الى جملة ومفرد . وقد جَوَّزَ أكثر النحاة عطف الفعل على الاسم ، وعطف الاسم على الفعل اذا كان

(١) عروس الافراج ج ٣ ص ١١٣ - ١١٤ .

(٢) ينظر مروس الافراج ج ٣ ص ١١٣ - ١١٥ .

كل منهما في تقدير الآخر . وقال السهيلي يحسن عطف الفعل على الاسم اذا كان اسم فاعل ، ويقبح عطف الاسم على الفعل قال فمثل : « مررت برجل يقوم قاعد » ممتنع الا على قبح ، وجوزه الزجاج كعطف الفعل على الاسم ، والاكترون على الجواز قال تعالى : « صافات وَيَقْبِضْنَ » (١) .

وكان عبد القاهر والقزويني قد ذهبا الى ان الفصل والوصل لا يكونان الا بين الجمل ، فجاء السبكي وأثبت خلاف ذلك ورأى انهما يعمان الجمل والمفردات .

ومن اراءه الطريفة اعتباره احكام الفصل والوصل فيما يخص الاحوال البلاغية اللغوية ، واعتباره الايجاز والاطناب فيما يعم الحروف .
مع القزويني :

ولا يقف الامر عند هذا فقد ناقش السبكي الخطيب القزويني ، وردد عليه ، وصحح اخطاء انزلق اليها بعضهم . واذا ما اردنا ان نتكلم على السبكي والقزويني فليس لنا الا ان نعرض مناقشاته وردوده مع اتباع طريقته ومنهجه في التأليف ولنبدأ بعلم المعاني .

علم المعاني :

لقد تصدى السبكي للقزويني قبل أن يتكلم على علم المعاني ، وخطأه في تسمية كتابه بالتلخيص ، وقال : ان في هذا نظرا من وجوه منها : انه ليس تلخيصا للفتاح بل للقسم الثالث منه ، وان التلخيص يؤذن بالاختصار والمواقفة وهو قد خالفه كثيرا وزاد عليه ، وأنه جعله مختصرا في المقدمة والاختصار والتلخيص متنافيان فلاختصار تقليل اللفظ وتكثير المعنى ، والتلخيص الشرح وهو عكس الاختصار ومادته

(١) سورة الملك ، الآية ١٩ ، وهي : « او لم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يسكنن الا الرحمن ، انه بكل شيء بصير » . عروس الافراج ج ٣ ص ١١٥ .

• ترجع الى البسط^(١) .

وأفاض السبكي في بحث الفصاحة ، وذكر الآراء المختلفة ورَدَّ على الكثيرين ، وأرجع بعض آراء القزويني الى ابن سنان وابن الاثير . وللسبكي في هذا البحث تحقيقات حسنة جيدة ، ولعله من احسن الذين بحثوا الفصاحة وشروطها بعد الخطيب .

وتكلم على البراعة التي اهملها الجمهور والقزويني ، وهي مما يوصف به الكلام والكلمة . وقد ذكرها القاضي أبو بكر في الانتصار مع الفصاحة والبلاغة ، وحَدَّها بما يقرب من حد البلاغة^(٢) . ورد على القزويني في تعريف الفصاحة ، ورأى انه من الاحسن اجتناب لفظ « الخلوص » في قول القزويني لغلبة استعماله في الاتفكك عن الشيء بعد الكون فيه ، وليس المراد هنا كذلك^(٣) . ومضى في بحث شروط الفصاحة ، وتحدث بالتفصيل عن التنافر ، وضعف التأليف ، والغرابة ، ومخالفة القياس ، والكراهة في السمع . ورَدَّ عليه في الغرابة ، لانه فسرها تفسيراً يتعلق بغرابة المعنى لا غرابة الكلمة^(٤) . ورد عليه في مخالفة القياس ، لان كثيرا من الكلمات خالفت القياس ، ولكنها مع ذلك فصيحة لورودها في القرآن الكريم^(٥) . ورَدَّ عليه في تعليقه على بيت أبي تمام :

كريمٌ متى أمدحه أمدحه والورى معي ، واذا ما لمته لمته وحدي

ذهب القزويني الى أن في « امدحه » ثقلا لما بين الحاء والهاء من التنافر ، ولكن السبكي يقول : « فيما قاله من ثقل « امدحه » نظر ، فان اجتماع الحاء والهاء فصيح لوروده في القرآن قال الله تعالى : « ومن

(١) عروس الافراج ج ١ ص ٦٢ - ٦٥ .

(٢) عروس الافراج ج ١ ص ٧٥ .

(٣) عروس الافراج ج ١ ص ٧٧ .

(٤) عروس الافراج ج ١ ص ٨٧ .

(٥) عروس الافراج ج ١ ص ٨٨-٨٩ .

الليلِ فَسَبَّحَهُ»^(١) ، وانما جاء الثقل هنا من تكرار « امدحه »^(٢) .

ومع ان السبكي سار على منهج القزويني نراه ينقده في بعض المواضع فيقول : « فذكر المصنف الاسناد ، والمسند اليه والمسند ، ثم المتعلقات ، ثم القصر الذي يعم الاسناد والتعلق ، ثم ذكر الانشاء ، وكان ينبغي تأخير القصر عنه ، لان القصر يدخل في الانشاء كما يدخل في الخبر »^(٣) .

وواقفه على حصر الكلام في الخبر والانشاء ، غير أنه ذكر أن منهم من يخص الانشاء بما لا طلب فيه ، وقسّمه الى خبر وطلب وانشاء ، ومنهم من جعله ثلاثة أقسام : خبر ، وانشاء وهو ما دل على الطلب دلالة اولية ، وتبنيه ويدخل في الاستفهام ، والتمني ، والترجي ، والقسم ، والنداء ، وهو اصطلاح الامام فخر الدين الرازي . ومنهم من جعل الكلام خبرا وطلبا ، وهو رأي ابن مالك في الكافية . ومنهم من ربح الاقسام وقال : خبر ، واستخبار ، وطلب ، وانشاء^(٤) .

وَرَدَّ عليه في المجاز العقلي ، فقد ذكر القزويني ان مثال اسناده الى المصدر قولهم « شعر شاعر » فان « شاعر » اسند الى ضمير الشعر ، يقول السبكي عنه : « وليس مثالا صحيحا ، لا « شعرا » في قولنا « شعر شاعر » المراد به المشعور وهو نفس المنظوم ، لا الشعر الذي هو المصدر ، والمثال الصحيح :

سيدكرني قومي اذا جدّ جدّهم وفي الليلة الظلماء يتفتقد البدر

وكذلك قوله تعالى : « فاذا نفخ في الصور نفخة »

واحِدَةً»^(٥) .

(١) سورة ق ، الآية ٤٠ ، وسورة الطور ، الآية ٤٦ .

(٢) عروس الافراح ج ١ ص ١٠١ .

(٣) عروس الافراح ج ١ ص ١٧٢ .

(٤) عروس الافراح ج ١ ص ١٧٣ .

(٥) سورة الحاقة ، الآية ١٣ . عروس الافراح ج ١ ص ٢٣٦ .

ويرى السبكي ان يسمى المجاز العقلي « مجاز الملابس » ولا يقال مجاز اسناد ، لعلبة استعمال الاسناد بين الفعل وفاعله أو ما قام مقامه فقط^(١) . وعقّب على رد التزويني على السكاكي في المجاز العقلي ، وناقشه ، ونقل آراء كثيرة في الموضوع ، يقول : « قال السكاكي : الذي عندي نظمه في سلك الاستعارة بالكناية في قولهم « أنبت الربيع البقل » وأورد عليه المصنف ما أورده وفيه نظر . أما قوله أنه يلزم أن يكون المراد بـ « عيشة » في قوله « عيشة راضية صاحبها » فليس كذلك بل لنا في تصحيح كلامه طريقان :

أحدهما : ان راضية في معنى الصفة الجارية على غير من هي له في المعنى لا من حيث الصناعة كأن قال : « راض صاحبها » لا على أحد التقادير السابقة ، فان ذلك تقدير لفظي وهذا معنوي ، فانا نجعل الاسناد الى ضمير العيشة وهي صفة جارية في اللفظ على العيشة ، وفي المعنى على صاحبها ، والمعنى « في عيشة رضى صاحبها » . فضمير راضية يعود على العيشة ، وهو استعارة بالكناية ، والمسند وهو اسم الفاعل استعارة تخيلية قارنت المكينة .

فان قلت : كان السكاكي مستغنيا عن هذا بان يجعل الاسناد الى صاحبها الحقيقي كما هو أحد التقادير السابقة ، ولا حاجة الى الاستعارة بالكناية ، قلت : تفوت المبالغة المقصودة .

الثانية : انه يلتزم ما ذكره المصنف ، وأن المراد بعيشة صاحبها ولا يلزم أن يكون الشيء في نفسه ويجعل العيشة وضميرها المستتر في راضية اريد بهما صاحب العيشة فتكون العيشة استعارة بالكناية والمسند في راضية استعارة تخيلية . ولا بدع ان يكون صاحب العيشة الحقيقي في صاحبها المجازي على سبيل الاستعارة للمبالغة . فان قلت : المصنف لا يرى ان الاستعارة بالكناية اريد بها غير موضوع اللفظ فكيف يقول

(١) هروس الافراج ج ١ ص ٢٥٤ .

يلزم السكاكي أن يكون المراد بعيشة صاحبها • قلت : الزمه برأيه ، لان السكاكي يرى ان الاستعارة بالكناية مجاز باطلاق لفظ المشبه و ارادة المشبه به مدعيا ان المشبه به فرد من افراد المشبه وقد خبط كثير من الناس في هذا المكان والتحقيق ما قلناه والله اعلم» (١) •

وأضاف السبكي الاستغراق في الاضافة ، وهو مما اهمله غيره ، يقول : « عجيب من اهل هذا الشأن كيف لم يذكروا ارادة الاستغراق من اسباب الاضافة وهي من ادوات العموم • كما أن اداة التعريف كذلك ، بل عموم الاضافة ابلغ ••• ولم يتعرضوا لما اذا خلا ذلك من اعتبارات مناسبة» (٢) •

ولم يَنْسَقَ في هواه ، فأَنصَف القزويني في بعض المسائل فقال في بحث التنكير « والسكاكي خلط التعميم بالتنكير والتحقير بالتقليل ، والذي فعله المصنف أصوب لانه لا تلازم بينهما» (٣) • واعتذر له في اسباب التقديم قائلا : « وذكر السكاكي من اسباب التقديم أن يكون ضمير شأن أو قصة ، وتركه المصنف ، لانه يدخل في ارادة التشويق» (٤) •

وللسبكي التفاتات طيبة في بحث المسند اليه ، وقد أجاد في بحث حذف المسند اليه وذكره ، والتعريف بالموصولية واسم الاشارة (٥) •

وله تحقيقات لا بأس بها في الالتفات ، فقد وجد أن معظم من بحثه لم يوضح العبارة عن حقيقته ، وربما توهم قوم أنه لفظي ، وربما اشكل التمييز بين حقيقته وحقيقة التجريد ، وحقيقة وضع الظاهر موضع المضمر وعكسه ، ثم في كونه حقيقة أو مجازا • وأثبت أن النقل في الالتفات معنوي لا لفظي فقط ، وفرَّق بين الالتفات والتجريد وذكر

(١) عروس الافراج ج ١ ص ٢٦٤ - ٢٦٧ •

(٢) عروس الافراج ج ١ ص ٣٧٤ •

(٣) عروس الافراج ج ١ ص ٣٥٥ •

(٤) عروس الافراج ج ١ ص ٢٩٥ •

(٥) عروس الافراج ج ١ ص ٢٧٢ ، ٢٨٢ ، ٣٠٢ ، ٣١٣ •

أن بينهما عموماً وخصوصاً من وجه فيوجد التجريد دون الالتفات
كقولنا « رأيت منه اسداً » وقول امرئ القيس :

تطاول ليلىك بالائسـدِ ونام الخليء ولم ترقدِ

ويوجد الالتفات دون التجريد في نحو :

تكلفني ليلى وقد شط وليها وعادت عواد بيننا وخطوبُ

ونحو قوله تعالى : « والله الذي أرسل الرياح فتثير سحاباً
فسقناه »^(١) ، والفتات وتجريد في نحو « فَصَلِّ لِرَبِّكَ »^(٢) ولا
واحداً منهما كغالب القرآن . والالتفات عنده حقيقة « حيث كان معه
تجريد وحيث لم يكن »^(٣) .

ولم يتطرق القزويني لهذه النواحي ، وقد كان بحث السبكي أكثر
طراوة والصق بأساليب العرب ، ولعل لثقافته الأدبية الواسعة أثراً في
ذلك .

وختم البحث باستدراكات على القزويني في بحث اتيان الكلام على
خلاف مقتضى الظاهر يقول :

« أهمل المصنف أموراً كثيرة من اتيان الكلام على خلاف مقتضى
الظاهر ، كل منها يصلح أن يكون من ابواب المعاني إذا اعتبرت فيه
نكتة لطيفة »^(٤) .

والأمور التي استدرکها عليه هي : انتقال الكلام من خطاب الواحد
أو الاثنين أو الجمع لخطاب الآخر وهو ستة أقسام :

-
- (١) سورة فاطر ، الآية ٩ .
 - (٢) سورة الكونر ، الآية ٢ .
 - (٣) عروس الافراج ج ١ ص ٤٧٧ .
 - (٤) عروس الافراج ج ١ ص ٤٩٢ .

الاول : الانتقال من خطاب الواحد لخطاب الاثنين كقوله تعالى :
« قالوا أَجْتَنَّا لِمَلَكْفِتْنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آباءنا وتكون لكما
الكبرياء في الأرض » (١) .

الثاني : الانتقال من خطاب الواحد الى الجمع كقوله تعالى :
« يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ » (٢) .

الثالث: من الاثنين الى الواحد كقوله تعالى: « قال: فَمَنْ رَبُّكُمَا
يا موسى » (٣) .

الرابع: من الاثنين الى الجمع كقوله تعالى : « وآوحينا الى موسى
وأخيه أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ يَبُوتًا واجعلوا بيوتكم
قبلة » (٤) .

الخامس : من الجمع الى الواحد كقوله تعالى : « وأقيموا الصلاة
وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ » (٥) .

السادس : من الجمع الى التثنية كقوله تعالى: « يا معشر الجِنَّ
والإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ » (٦) ، الى قوله تعالى : « فبأي آلاء ربكما
تكذبان » .

ومنها التعبير بواحد من المفرد والمثنى والمجموع والمراد الآخر .
والفرق بين هذا والذي قبله ، ان الاول لم يعبر فيه عن جمع او ثنية
ولا عكسه ، بل استعمل كل في معناه ثم انتقل عنه لغيره ، وما نحن فيه
عبر فيه بأحد الاساليب الثلاثة واريد غيره وهو أقسام :

الاول : التعبير بالمفرد وارادة التثنية ، وجعل منه الحاتمي في

(١) سورة يونس ، الآية ٧٨ .

(٢) سورة الطلاق ، الآية ١ .

(٣) سورة طه ، الآية ٤٩ .

(٤) سورة يونس ، الآية ٨٧ .

(٥) سورة يونس ، الآية ٨٧ .

(٦) سورة الرحمن ، الآية ٣٣ .

حلية المحاضرة قول الاعشى :

فرجي الخير وانتظري اياي اذا ما القارظ العنزي آبا

وانما هما قارظان من عنزة ، وانما قالوا كذلك لانهما صارا كالشيئين
اللذين لا يفني احدهما عن الآخر فانهما يعبر عنهما بصيغة المفرد. اما في
المسند كقولهم « عيناه حسنة » أو في المسند اليه كقولهم « عينه
حسنتان » ، ومنه :

ومية اجمل الثقيلين جيداً وسالفة وأحسنه قذالاً

الثاني : التعبير بالمفرد واردة الجمع ووجهه ما سبق انشد
الحاتمي :

وذيان قد زكّت° باقدامها التعل°

وجعل منه استعمال « مكن° » الموصولة لجمع .

الثالث: التعبير بالثنى عن المفرد ووجهه ارادة التأكيد بتقسيم الشيء
الى شيئين وتسمية كل منهما باسمه والاشعار بارادة تكرار الفعل وان
الفعلين امتزجا وصار حضور احدهما حضوراً للآخر وجعلوا منه :

أأطعمت العراقَ ورافديهٍ فزارياً أخذهُ يد القميص

وانشد الحاتمي :

عشية سال المربدان كلاهما عجاجة صوت بالسيوف الصوارم

الرابع : التعبير بالثنى عن الجمع وجعل النحاة منه « حنانيك »
واخواته .

الخامس : التعبير بالجمع عن المفرد مثل قولهم « شابت مفارقه » وقول

امرىء القيس :

يَزَلُّ الغلامُ الخف عن صهواته ويلوى باثواب العنيف المتثقل.

السادس : التعبير بالجمع عن التثنية ، ووجهه ما سبق إلا أنه يجوز أن تكون قصدت المبالغة بتقسيم كل من الشيئين الى اشياء ، أو أن تكون قصدت المبالغة في أحدهما بتقسيمه دون الآخر ، لان الجمع يحصل بثلاثة ، ومنه : المناكب والمرافق والحواجب وانما هما منكبان . ومنها تذكير المؤنث وعكسه ، فالاول لتفخيمه كقوله تعالى : « فمن جاءه موعظةٌ من ربه » (١) ولذلك يجوز تذكير كل مؤنث مجازي ومنه :

ولا ارض أبقل إبقالها

لانه اراد تفخيم الارض فعبر عنها بما يعبر به عن المكان .

والثاني : لارادة تسمية كل جزء منه باسمه ومنه « جاءته كتابي فاحتقرها » اشارة الى أنه جاءه منه كتاب في معنى الكتب المتعددة ، والنحاة يقولون : انه على ارادة الصحيفة .

ومنها تقي الاخص ، والمراد تقي الاعم وعكسه .

وبذلك خرج السبكي عن الدائرة التي رسمها القزويني ، واستفاد من ابن الاثير ، والتنوخي ، والحاتمي وغيرهم في بحث هذه الموضوعات الجديرة بالبحث والنظر العميق ، ولا ندري لماذا أهملها القزويني مع أنه كان مطلعاً على معظم هذه الكتب .

ونقده في بحث التغليب ، يقول وهو يتكلم على « إن » الشرطية ومعناها : « لما توهم المصنف أن ما سبق محتمل للتغليب استطرده لذكر باب التغليب ، وليته لم يذكره هنا لعدم ثبوت ان ما سبق من التغليب » (٢) ،

(١) سورة البقرة ، الآية ٢٧٥ .

(٢) عروس الانسراج ج ٢ ص ٥١ .

ولكنه بحث التغليب في موضوع « ان متابعا » القزويني .

هذا ما يتعلق ببحث المسند اليه ، أما بحث المسند فقد عقب عليه وهو يتحدث عن التقديم في بيتي حسان وهو يمدح رسول الله (ص) :

له هيم لا منتهى لكبارها . وهمته الصغرى أجل من الدهر
له راحة لو أن معشار جودها على البركان البر أندى من البحر

يقول : « ويمكن ان يقال التقديم هنا أما للاختصاص ، واما للتفاوت ومسرة السامع مثل « عليه من الرحمن ما يستحقه » أو عكسه كما تقدم في المسند اليه وان كان المصنف أهمل هذا القسم هنا ولاوجه لاهماله » (١) .

وتقدمه في باب أحوال متعلقات الفعل يقول : « هذا الباب لاحوال متعلقات الفعل . ولم يستوعبها المصنف بل ذكر منها الفاعل والمفعول ، وذكر الفاعل فيه نظر ، لانه مسند اليه فكان ذكر أحواله بباب المسند اليه أليق . ثم الاحوال التي يريد بها هي الذكر والترك والتقديم والتأخير فقط ، والترك لا يتأتى في الفاعل لانه لا يحذف » (٢) .

وليس في هذا البحث ردود كثيرة ، ولكنه اختلف عنه في الشرح ، فبعد أن أوجز القزويني هذه الموضوعات نرى السبكي يسط القول فيها ويذكر الامثلة الكثيرة .

وتابع القزويني في طرق القصر ، غير أنه اضاف الى ما ذكر أنواعا اخرى منها الفصل ، ومنها ذكر المسند اليه ، ومنها تعريف المتبدأ مثل « المنطلق زيد » على قول ، ومنها تعريف الخبر في نحو « زيد المنطلق » ومما يذكر من ادوات الحصر مثل « جاء زيد نفسه » ومنها « ان زيدا لقائم » ومنها قلب بعض حروف الكلمة فإنه يفيد الحصر على ما نقله

(١) عروس الافراج ج ٢ ص ١١٦ .

(٢) عروس الافراج ج ٢ ص ١١٩ - ١٢٠ .

الزمخشري في الكشف عن الكلام على قوله تعالى : « والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها » (١) فإن القلب للاختصاص بالنسبة الى لفظ الطاغوت ، لان وزنه على قول « فعلوت » من الطغيان كملكوت ورحموت ، قلب بتقديم اللام على العين فوزنه « فعلوت » . وفيه مبالغت كتسميته بالمصدر والتاء تاء مبالغة والقلب وهو للاختصاص اذ لا يطلق على غير الشيطان . ومنه نحو « قائم » في جواب « زيد اما قائم أو قاعد » ، وعد بعضهم من تراكيب القصر « زيد قام ولم يقيم غيره » أو « لم يقيم أحد غير زيد » ، ومنها تقديم المعمول في نحو « زيداً ضربت » ومنها « أنما » بالفتح ، ومنها حذف المسند لادعاء التعيين أو للتعيين مثل « يعطي بدرة ويفعل ما يشاء » (٢) .

وانتقل السبكي الى بحث الانشاء ، ولم يعجب بتقسيمهم الانشاء الى طلب وغيره ، والاحسن ان يقال : « الى طلبي وغيره » (٣) .

ورد على من أدخل مثل « نعم الرجل زيد » و« ربما نصحك عمرو » و « كم غلاما شريت » و « عسى أن يجيئك » في غير الطلبي ويرى أن هذه من اساليب الخبر ، ودلل على ذلك بما لا يجعل الشك في برهانه ، يقول : وقد عدوا في غير الطلبي ، « نعم الرجل زيد » و « وربما نصحك عمرو » و « كم غلاما شريت » و « عسى أن يجيء زيد » . وفيه نظر ، لان الاول قد يقال أنه خبر وقول كثير من النحاة أن نعم وبئس لانشاء المدح والذم لا يتأني ذلك لجواز أن يريدوا دلالتها على ذلك الناشئة بالاخبار . قال الطيبي في شرح التبيان قال الاسترأبادي في كون فعلي التعجب وفعلي المدح والذم وكم الخبرية انشاء نظر ، لاحتمالها الصدق والكذب باعتبار نفس الخبر وأن لم يحتسب باعتبار المدح والذم . ومن ثم لما بشر أعرابي ببنت فقيل « نعمت المولودة » ، قال :

(١) سورة الزمر ، الآية ١٧ .

(٢) عروس الافراح ج ٢ ص ١٩٧ وما بعدها .

(٣) عروس الافراح ج ٢ ص ٢٣٤ .

« والله ما هي بنعمت المولودة » . قال الجرجاني وهم ، لان هذه الافعال لا تحتملها باعتبار النسبة التي يحصل بها الكلام . ومما يدل على انهما خبران وقوع نعم خبر «إن» في قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ نَعِيمٌ بِمَا تَعْمَلُونَ» (١) . ووقوعها جواب القسم في قوله تعالى : « وَلِنَعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ » (٢) وكذلك بس قال تعالى : « وَلِبَسُوا مَا شَاءُوا بِهِمْ » (٣) . وأما « ربما نصحك عمرو » فلا اشكال في كونه خبرا ، وكذلك كم الخبرية قال ابن الحاجب في أماليه : « كم رجال عندي » . يحتمل الانشاء والاعخبار ، أما الانشاء فمن جهة التكثير ، لان المتكلم عبر عما في باطنه من التكثير بقوله: «رجال»، والتكثير معنى محقق ثابت في النفي لا وجود له في خارج حتى يقال باعتباره إن طابق فصدق ، وإن لم يطابق فكذب ، ويحتمل الصدق والكذب فهو كلام محتمل للامرين باعتبار الاحتمالين المذكورين المختلفين « (٤) .

وأما « عسى ان يجيء زيد » فهو عند السبكي ترجح كالتمني ، ومن الانشاء غير الطلبي صيغ العقود .

واضاف الى ما ذكره القزويني من خروج الامر عن معناه وجوهاً آخر ، وكان القزويني قد ذكر تسعة منها هي :

- الاول : الاباحة نحو : « جالس الحسن أو ابن سيرين » .
- الثاني : التهديد مثل : « اعملوا ما شئتم » (٥) .
- الثالث : التعجيز كقوله تعالى : « فأتوا بسورةٍ من مثله » (٦) .
- الرابع : التسخير نحو قوله تعالى : « كونوا قردةً خاسئين » (٧) .

(١) سورة النساء ، الآية ٥٨ .
(٢) سورة النحل ، الآية ٣٠ .
(٣) سورة البقرة ، الآية ١٠٢ .
(٤) عروس الافراح ج ٢ ص ٢٣٤ وما بعدها .
(٥) سورة فصلت ، الآية ٤٠ .
(٦) سورة البقرة ، الآية ٢٣ .
(٧) سورة البقرة ، الآية ٦٥ .

- الخامس : الاهانة كقوله تعالى : « كونوا حِجَارَةً اَوْ حِجَادًا » (١) .
- السادس : التسوية كقوله تعالى : « فاصْبِرُوا اَوْ لَا تَصْبِرُوا » (٢) .
- السابع : التمني كقول امرىء القيس :

ألا أيُّهَا الليلُ الطويلُ ألا انجلِ بِصَبْحٍ وما الا صباحُ منك بأمثلِ

- الثامن : الدعاء وهو الطلب من الاعلى على سبيل التضرع مثل :
- « اللهم اغفر لي »

- التاسع : الالتماس وهو الطلب من المساوى كقولك بلا استعلاء لمن يساويك رتبة « اسقني ماء » (٣) .

هذا ما ذكره القزويني ، وقد ذكر السبكي أن بعضهم قد زاد على اغراض الامر المجازية وجوها أخرى هي :

- الندب : كقوله تعالى : « فلكاتبوهم » (٤) .
- والارشاد : كقوله تعالى : « واستشهدوا شهيدين من رجالكم » (٥) .
- والانذار : نحو « قل تمتعوا » (٦) .
- والامتنان : نحو « فكلوا مما رزقكم الله » (٧) .
- والاكرام : كقوله تعالى : « ادخلوها بسلام » (٨) .
- والتكوين : كقوله تعالى : « كن فيكون » (٩) .

(١) سورة الاسراء ، الآية ٥٠ .
(٢) سورة الطور ، الآية ١٦ .
(٣) الايضاح ص ١٤٣ - ١٤٥ ، وعروس الافراح ج ٢ ص ٣١٢ وما بعدها .
(٤) سورة النور ، الآية ٣٣ .
(٥) سورة البقرة ، الآية ٢٨٢ .
(٦) سورة ابراهيم ، الآية ٣٠ .
(٧) سورة النحل ، الآية ١١٤ .
(٨) سورة الحجر ، الآية ٤٦ .
(٩) سورة الانعام ، الآية ٧٣ .

والخبر : نحو : « اذا لم تستح فاصنع ما شئت » •
 وبمعنى الانعام مثل : « كلوا من طيبات ما رزقناكم » (١) •
 والتفويض : كقوله تعالى : « فاقض ما أنت قاضٍ » (٢) •
 والتعجب : كقوله تعالى : « كونوا حجارة » (٣) • وقوله : « انظر
 كيف ضربوا لك الامثال » (٤) •
 والامر : بمعنى التكذيب كقوله تعالى : « فاتوا بالتوراة فاتلوها » (٥)
 وقوله تعالى : « قل هل کم شهداءکم الذين يشهدون أن الله
 حرّم هذا » (٦) •

وبمعنى المشورة : مثل « فانظر ماذا ترى » (٧) •
 والامر : بمعنى الاعتبار كقوله تعالى : « انظروا الى ثمره اذا
 اثمر » (٨) •

والتحريم : كقوله تعالى : « قل تمتعوا فان مصيركم الى النار » (٩) •
 والتعجب : نحو : « أحسن يزيد » •

ومعظم هذه المعاني نقلها عن علماء البلاغة والاصوليين، وردة على
 كثير منها ، وختم بحثه فيها بقوله : « وغالب هذه المعاني فيما نظر » (١٠) •
 واهمل القزويني انواعا من الانشاء الطلبي كالترجي ، والقسم ،
 وقد اضافهما السبكي ورد عليه في العرض ، يقول : « واما العرض فهو

-
- (١) سورة البقرة ، الآية ١٧٢ •
 - (٢) سورة طه ، الآية ٧٢ •
 - (٣) سورة الاسراء ، الآية ٥٠ •
 - (٤) سورة الاسراء ، الآية ٤٨ •
 - (٥) سورة آل عمران ، الآية ٩٣ •
 - (٦) سورة الانعام ، الآية ١٥٠ •
 - (٧) سورة الصافات ، الآية ١٠٢ •
 - (٨) سورة الانعام ، الآية ٩٩ •
 - (٩) سورة ابراهيم ، الآية ٣٠ •
 - (١٠) عروس الافراح ج ٢ ص ٢٢٢ •

إنشاء ، وقد جعله مولدا عن الاستفهام . ويرد عليه أنه كان ينبغي أن يجعل العرض قسما من أقسام الاستفهام كما جعل التحضيض قسما من التمني أو يجعلهما قسمين برأسهما ، لأن حرف الاستفهام في كل منهما لأن في كل منهما أداة استفهام اتصل بها « لا » بل أولى لأن « هلا » استعملت فيها « هل » التمني ، ثم زيد عليها « لا » فاستمر فيها عنده معناها المجازي من التمني . وإنما « ألا تنزل عندنا » فإن الهزة لم تنتقل عن الاستفهام قبل العرض لغيره (١) .

وحمل السبكي على القزويني وغيره في الفصل والوصل ، لأنه نظر في كلامهم في هذا الباب فوجد أقساما متداخلة ، بين كثير منها عموم وخصوص من وجه ، وبعضها يدفع بعضا ، ووجدهم قرروا فيه قواعد لا تخلو من اشكال ، وذكروا أمورا غير الصواب من جعل مالمس له محل من الاعراب ذا محل وعكسه . وقد دفعه هذا الخلط والاضطراب الى ابتداء قاعدة وتقسيم لهذا الباب يسهل به تعاطيه . وقد فعل ذلك ولكن غالب ما ذكره من هذه القواعد ليس فيه مخالفة للسكاكي اذا تأمله الباحث حق التأمل ، وإنما وقع الخلل في كلام من بعده . لأنهم لم يتأملوا كلامه (٢) .

وكان من المؤمل أن ييسر هذا الباب ، ويجعله سهل التناول ، ولكنه أضل نفسه ، وأضل القاريء بكثرة التقسيمات التي نقلنا طرفانها . وبذلك لم يأت الا ببعض الاشارات القليلة التي لا تفيد كثيرا .

وتقد القزويني في بعض المواضع ، وهو تقد لا يصحح قاعدة ، ولا يضيف شيئا ذا قيمة .

ورد على القزويني في بحث الايجاز والاطناب والمساواة ، وتقدمه في التطويل والحشو وأمثلة المساواة ، وقد نظر السبكي الى هذه

(١) عروس الافراج ج ٢ ص ٣٢٨ .

(٢) عروس الافراج ج ٣ ص ٤ .

الموضوعات نظرة أكثر تحرراً من نظرة القزويني ، وأكثر فنية واستجابة للاساليب . وله نظرات نقدية في هذه البحوث لا بأس بها . وإضاف انواعاً من ايجاز القصر ، منها باب القصر ب « الإ » سواء أكان الاستثناء مفرغاً نحو « ما قام الا زيد » أم تاماً نحو « ما قام احد الا زيد » ، لان الاول موجز ، والثاني موجز من وجه مظنب من وجه . أو القصر ب « انما » نحو « انما زيد قائم » ، أو بالتقديم نحو « أنا قمت » ، لان في كل منها ثابت الجملة مناب جملتين حكم في أحدهما على المستثنى ، وفي الاخرى على المستثنى منه . وكذلك جميع انواع القصر وليس شيء من ذلك بايجاز حذف لان الكلام مستوفى الاجزاء لم ينقص منه شيء ، ومنها نحو « قام زيد وعمرو » فانه في معنى « وقام عمرو » وحصل بالواو الايجاز والاغناء عن تقدير الفعل على مذهب البصريين . ومنها الاقتصار على المبتدأ وطرح الخبر لفظاً . ومنه نحو « أقائم الزيدان ؟ » لان « قائم » مبتدأ لا خبر له ، ومنها باب « علمت انك قائم » فاذا جعلنا الجملة سادة مسد المفعولين ، فان الجملة تنحل لاسم واحد سد مسد اسمين مفعولين من غير حذف . ومنها باب النائب عن الفاعل في « ضرب زيد » ف « زيد » دل على الفاعل باعطائه حكمه ، وعلى المفعول بوضعه . ومنها باب التنازع ، ومنها طرح المفعول ، بمعنى : استعمال المتعدى لازماً ، ومنها جميع باب اسماء الاستفهام واسماء الشرط . ومنها الالفاظ الملازمة للعموم مثل احد وديار . ومنها لفظ الجمع فان الزيدين يعنى عن زيد وزيد وزيد^(١) .

علم البيان :

ولا يختلف منهج السبكي في علم البيان عن منهج السكاكي والقزويني ، وأن عالجه معالجة أقرب الى روح البلاغة العربية . يقول : « قال جماعة : ان هذا العلم أخص من علم المعاني ، وأن علم المعاني

(١) عروس الافراح ج ٢ ص ١٨٩ - ١٩٠ .

كالمفرد والبيان كالمركب • فان صح على ما فيه من البحث فهو متأخر عنه طبعاً ، فلذلك أخرج عنه وضعا « (١) » •

وناقش من ذهب الى ان علم البيان أخص من المعاني ، وانه بمنزلة المركب والمعاني بمنزلة المفرد • وَرَدَّ على من ذهب الى انه باب من ابواب علم المعاني • وقال عن علم البيان : « لا شك ان الايراد الواحد للمعنى الواحد بالطرق المختلفة لا يمكن ، فلو قال المصنف « باحدى طرق » لشمّل الايراد الواحد وكان احسن لان قوله « بطرق » لا يتأتى الا عند تعدد الايراد ، وليس القصد منحصر في ذلك » (٢) •

وتكلم على الدلالات التي حشرها البلاغيون في علم البيان حشراً ، ولم يفصل فيها ، ويشعب مسائلها كما فعل ابن يعقوب المغربي ، فقد اكتفى بعرضها ملخصة مهذبة • وذهب الى ان الكناية حقيقة بينما ذهب القزويني الى انها ليست حقيقة ولا مجازاً وفرق بينها وبين المجاز ، لان غالب المصنفين في البلاغة خبط فيه ، ولم يحققه • ولكنه مع ذلك لم يخرج عن نطاق التمحللات الفلسفية ، ولم يستطع أن يعطينا الدليل الواضح الملموس في الفرق بينهما ، وبقي ينتقل في كلامهم من لازم وملزوم ، وملزوم ولازم كما فعل السكاكي من قبل (٣) •

وَرَدَّ على القزويني في تقديم المجاز على الكناية ، وفي تحليل بعض أمثلة التشبيه • ولعل أهم ما حرره السبكي في التشبيه بحث ادواته التي اهل القزويني تحريرها ، وبحث التفاوت بينها ، يقول السبكي : « ولم يحرر البيانيون معنى هذه الادوات فظاهر كلامهم ان معناها واحد » (٤) • وليس الامر كذلك فان الكاف وكأن ومثل للتشبيه في أي شيء كان لا تختص بنوع دون آخر • وذكر السبكي ان

(١) عروس الافراح ج ٣ ص ٢٥٨ •

(٢) عروس الافراح ج ٣ ص ٢٦٢ •

(٣) عروس الافراح ج ٣ ص ٢٨٣ وما بعدها •

(٤) عروس الافراح ج ٣ ص ٣٩٢ •

بين صيغ التشبيه تفاوتاً لم يتعرض القزويني ولا غيره للفرق بينها بل يقتضي كلامهم أن معناها واحد وأن رتبها متساوية والتحقيق في ذلك أن يقال ان كان شيء من هذه الصيغ يدل على المشابهة من كل وجه فهو أبلغ الصيغ • وهذا البحث من اجل بحوث السبكي ، وفيه مادة خصبة تدل على اطلاع واسع •

ونبه على اهمال القزويني أحد انواع التشبيه المفضل ، يقول : « واعلم ان المصنف سكت عن القسم الرابع وهو ما ذكر فيه وصف المشبه يقتضي ان يكون وجه الشبه فيه اتم منه في المشبه به والحال بالعكس ممنوع ، لانا نقول ذكره في المشبه لا يستدعي ان يكون فيه اتم فقد يكون طوي ذكره في المشبه به لانه فيه اشهر واتم » (١) • ورد عليه في التشبيه المؤكد فقد جعل القزويني منه قول الشاعر :

والريح تعبت بالغصون وقد جرى ذهب الاصيل على لجين الماء

ويرى السبكي أن هذا المثال غير صحيح ، لانه استعارة لا تشبيه (٢) •

ولم يكتف السبكي في بحث مراتب التشبيه بالرتب الثمانية التي ذكرها القزويني ، بل ذكر أن الصيغ الممكنة في التعبير عن ذلك ثمانية عشرة ، يقول : « وقد علم أن للتشبيه اربعة اركان المشبه والمشبه به والاداة ووجه الشبه ، فالصيغ الممكنة في التعبير عن ذلك ثمانية عشرة :

احداها : ان تذكر الاربعة كقولك « زيد كالاسد في الشجاعة » •

الثانية : أن يحذف المشبه فقط كقولك « كالاسد في الشجاعة » أي زيد ، وليس لواحدة من هاتين الصورتين شيء من القوة لعدم الموجب لها •

(١) عروس الافراح ج ٣ ص ٤٤٠ •

(٢) عروس الافراح ج ٣ ص ٤٦٥ •

الثالثة : ان تحذف الاداة فقط كقولك « زيد أسد في الشجاعة »
وفيه نوع قوة لجعل المشبه في ظاهر اللفظ هو المشبه به •

الرابعة : ان يحذف وجه الشبه فقط كقولك « زيد كالاسد » وفيها
نوع قوة ليس في التي قبلها لان وجه الشبه عند حذفه عام في الظاهر •

الخامسة : ان يحذف المشبه به وهذا القسم لم يتعرضوا له توهما
منهم أنه متعذر ، وليس كذلك بل مثاله كقولك « زيد مثل في الشجاعة »
أي : مثل الاسد بقرينة تدل على ارادة الاسد والظاهر أنه لا قوة لهذا •
السادسة : ان يحذف اثنان وهما المشبه وكلمة التشبيه كقولك
« اسد في الشجاعة » أي زيد ولها نوع قوة •

السابعة : ان يحذف المشبه والمشبه به كقولك : « مثل في الشجاعة »
أي زيد •

الثامنة : ان يحذف المشبه ووجه الشبه ، كقولك « كالاسد »
وهي كقولك : « زيد كالاسد » •

التاسعة : ان تحذف الاداة والمشبه به كقولك « زيد في الشجاعة »
أي زيد كالاسد في الشجاعة في جواب من سأل عن مثل الاسد ولا قوة
لهذا •

العاشرة : أن تحذف الاداة والوجه كقولك « زيد أسد » وهو
أقوى الجميع لاثبات المشبه به في الظاهر للمشبه وحذف الوجه فقد
اجتمع فيه القوتان •

والحادية عشرة : ان يحذف المشبه به والوجه كقولك « زيد مثل »
وذلك يكون في الجواب من الاستفهام عن مماثل الاسد او عن حكم
زيد مع الاسد فتقول : مثل •

الثانية عشرة : ان يحذف ثلاثة وهي المشبه والاداة والمشبه به ،
كقولك : « في الشجاعة » مريدا : « زيد كالاسد في الشجاعة » في جواب

من قال : في أي شيء يشبه زيد الاسد ؟

الثالثة عشرة : ان يحذف ثلاثة وهي: المشبه والاداة والوجه كقولك
« الاسد » في جواب : ما الذي يشبهه زيد ؟

الرابعة عشرة : أن يحذف المشبه والمشبه به والوجه كقولك «مثل»
في جواب من قال : ما حكم زيد مع الاسد ؟

الخامسة عشرة : أن تحذف الاداة والمشبه به والوجه كقولك
« زيد » في جواب : من يشبه الاسد ؟

السادسة عشرة : أن يحذف المشبه والمشبه به والوجه ويقتصر على
الاداة كقولك « مثل » في جواب ما شأن زيد مع عمرو ؟
ويلاحظ ان هذا مكرر مع الصورة الرابعة عشرة •

السابعة عشرة : أن يحذف الجميع كالتشبيه المعاق على شرط فانه
يحذف اكتفاء بدليله في نحو قوله :

عزماته مثل النجوم ثواقباً لو لم يكن للثاقبات أفول

فان تقديره على مذهب البصريين : لو لم يكن للثاقبات أفول لكات
عزماته كالثاقبات • وكذلك قوله :

بلد لها شرف سواها مثلها لو كان مثلك في سواها يوجد

الثامنة عشرة : أن يذكر المشبه ولازم المشبه به ، كالاستعارة بالكناية
والتخييل في قوله :

وإذا المنية انشبت° اظفارها الفيت كل تميمة لا تنفع

على رأي القزويني (١) •

وفي الوقت الذي نريد أن تقلل من التقسيمات ، نجد السبكي يفرع

(١) عروس الافراج ج ٣ ص ٤٧٠ - ٤٧٣ •

تفاوت التشبيه الى هذه الاقسام الكثيرة ، وأن أغلبها مكرر كما في الوجه الرابع عشر والسادس عشر او لا قيمة لها ، ولكنه يصر على أن ما ذكره الصواب يقول : « ثم اذا تقرر ذلك فاعلم أن المصنف وغيره لم يذكروا من رتب التشبيه الا ثمانية وحصرود فيها لعدم اعتبارهم حذف المشبه به والصواب ما ذكرناه » (١) .

وقوة التشبيه عند السبكي منحصرة في امرين :

• احدهما : أن تكون اداة التشبيه محذوفة .

والثاني : أن يكون وجهه محذوفا .

فحيث حصل حذفها فهو أقوى الاقسام ، وحيث حصل حذف أحدهما حصل نوع قوة ، وحيث اتفيا فلا قوة .

ويرى أن تعريف القزويني للمجاز المرسل غير صحيح ، وأن الصواب ان يقال : هو ما بينه وبين موضوعه علاقة غير المبالغة في المشابهة (٢) .

وَرَدَّ عليه في المجاز المرسل ، ولكن ردوده لا تتعلق بقيمة هذا الفن واهميته في التعبير ، وانما تتعلق بأمر جزئية . وذكر انواعا اخرى من المرسل يقول : « قد ذكر المصنف تسع علاقات وذكر قبلها الراوية للمزادة وهي من مجاز المجاورة وكأنه استغنى بمثاله عن ذكره فحاصل ما ذكره عشرة الا أن الاخرى منها هي السابعة . وقد زاد غيره علاقات كثيرة تقارب ما ذكرناه أكثر من ثلاثين ، وبعضهم يعددها علاقات ، وبعضهم يعدد أقسام المجاز بحسبها » (٣) . وهذا يدلنا على ان المجاز المرسل يمكن التوسع به ، وهو ما نراه عند ابن قيم الجوزية والمغربي .

ورد على القزويني في الاستعارة وتعليقه على قول الشاعر :

(١) عروس الافراح ج ٣ ص ٤٧٣ .

(٢) عروس الافراح ج ٤ ص ٣٢ .

(٣) عروس الافراح ج ٤ ص ٤٣ .

فان في أيامنا نيرانا

فان تعافوا العدل والايمانا

وقول الآخر :

وصاعقة من نصله تنكفي بها على أرؤس الاقران خمّس سحاب

وفي الاستعارة المطلقة وغيرها ، وأشار الى اهمال القزويني لتفاوت الاستعارة ، يقول : «لم يتعرض المصنف للتفاوت بين انواع الاستعارة ، والذي يظهر ان الاستعارة بالكناية ابلغ من التصريحية وبصرح الطيبي . ولا اشكال فيه على رأي السكاكي فانها كالجامعة بين الاستعارة والكناية . وأما على رأي المصنف فان وافق ذلك كان هذا واردا عليه في قوله «ان المجاز ابلغ من الحقيقة» و«ان الاستعارة ابلغ من التشبيه» ، لان الاستعارة بالكناية عند المصنف تشبيه وحقيقة لا مجاز الا أن يقول الاستعارة بالكناية انما تكون ابلغ لاشتغالها على المجاز العقلي كما اقتضاه كلام المصنف في هذا الباب لا كما اقتضاه كلامه في علم المعاني حين تكلم على المجاز العقلي . وأما الاستعارة بالتمثيل فالظاهر انها ابلغ منهما كما يقتضيه كلام الزمخشري عند قوله تعالى : « وما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ، وَالْأَرْضُ جَمِيعًا بِيَمِينِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ » (١) . ثم تتفاوت كل واحدة من هذه الاستعارات الثلاث الى درجات (٢) .

علم البديع :

ورد السبكي ما قاله السكاكي والقزويني عن البديع ويرى أنه لا يشترط فيه مطابقة الكلام لمقتضى الحال ولا وضوح الدلالة ، يقول : «والحق الذي لا ينازع فيه منصف ان البديع لا يشترط فيه التطبيق ولا وضوح الدلالة ، وأن كل واحد من تطبيق الكلام على مقتضى الحال ومن الايراد بطرق مختلفة من وجوه التحسين قد يوجد دون الآخرين

(١) سورة الزمر ، الآية ٦٧ .

(٢) عروس الافراح ج ٤ ص ٢٨١ - ٢٨٢ .

وأول برهان على ذلك انك لا تجدهم في شيء من امثلة البيان يتعرضون الى بيان اشتغال شيء منها على التطبيق ، ولا تجدهم في شيء من أمثلة البديع يتعرضون لاشتماله على التطبيق والايراد ، بل تجد كثيرا منها خاليا من التشبيه والاستعارة والكناية التي هي طرق علم البيان . هذا هو الانصاف وان كان مخالفا لكلام الاكثرين» (١) .

وقسّم وجوه تحسين الكلام الى معنوي ولفظي ، ورد على بدر الدين بن مالك وأن لم يصرح باسمه لانه قسمها الى ثلاثة أقسام ، يقول : « واورد ان الاقسام ثلاثة فان منها ما يرجع اليهما . وقد يجاب عنه بان ما يرجع اليهما يدخل في القسمين لا تقسامه الى كل منهما» (٢) وقسم بعضهم المعنوي الى نوعين :

- احدهما : ما يزيد المعنى حسنا لزيادة تنيبه .
- الثاني : ما يزيده تناسبا .

وكان القزويني قد اطلق المعنوي ليدخل فيه النوعان منه من غير تمييز بينها .

وقد امتاز السبكي عن القزويني في هذا البحث بدقّة ملاحظته ، واستفادته من علماء البديع كأبن ابي الاصبع المصري الذي اتخذه اماماً في البديع . ويرى ان القزويني وقف بالبديع فذكر ثلاثين ضربا من المعنوي ، وسبعة انواع من اللفظي، وذكر بينهما أموراً ملحقة بها يصلح أن تعد انواعاً آخر ، ونبه على التداخل في بعضه .

واضاف السبكي انواعاً كثيرة هي : التوقيف ، والتسميط ، والتغاير ، والقسم ، والسلب ، والايجاب ، والاستدراك ، والتلفيق ، وجمع المختلفة والمؤتلفة ، والتوهم ، والاتساع ، وسلامة الاختراع من الابتداء ، والتوليد ، والتوارد ، والالغاء ، والتخير ، والتنظير ،

(١) عروس الافراج ج ٤ ص ٢٨٤ .

(٢) عروس الافراج ج ٤ ص ٢٨٥ .

والاستقصاء ، والتشكيك ، والبراءة ، والتسليم ، والافتنان ، واثبات الشيء للشيء بنفسه عن غيره ، والترديد ، والتعطف ، والتوسع ، والتطريز ، والمؤاخاة ، والاستطراد ، والاشارة ، والاقحام ، والافتصال ، والبسط ، والتتيميم ، والتوشيح ، والتكرار ، والمراجعة ، والتذليل ، والاعتراض ، والمتابعة ، والتعريض ، والتهكم ، والائتلاف ، والخطاب العام ، والتغليب ، والمغز ، والابداع ، والكلام الجامع ، وارسال المثل ، والترقي ، والاقتباس ، والمواربة ، والهجاء ، والتخير ، وحصر الجزئي في الكلبي (١) .

ويلاحظ أن بعض هذه الانواع كالتتيميم ، والتكرار ، والتذليل ، والاعتراض ، والتغليب ، والخطاب العام ، قد ادخلها القزويني في علم المعاني ، وأن بعضها الآخر كارسال المثل تكلم عليه في مجاز التمثيل ، وتحدث عن الاقتباس في ملحق علم البديع .

ومهما يكن من شيء فان بحث السبكي في البلاغة احسن من بحث القزويني ، وانه استطاع أن يتمثل البلاغة الكلامية والادبية ويمزج بينهما ويخرج لنا كتابا - ان لم يكن رائعا حقا - فهو اكثر فائدة من كتابي الخطيب القزويني .

(١) ينظر عروس الافراح ج ٤ ص ٤٦٧ - ٤٧٤ .

التفتازاني

لم تحتضن بيئة مصر العربية وحدها «مفتاح العلوم» و«تلخيصه» ، وإنما احتضنته بيئة السكاكي ، ومناطق بلاد فارس ، وما وراء النهر ، ومناطق تركستان . وكان فيها كثير من العلماء الذين شرحوا مفتاح العلوم وتلخيصه كالتفتازاني الذي يقول عنه ابن خلدون وهو يتحدث عن الحضارة في هذه المنطقة :

« وبقي بعض الحضارة في ما وراء النهر ، لما هناك من الحضارة بالدولة التي فيها ، فلهم بذلك حصة من العلوم والصنائع لا تنكر . وقد دلنا على ذلك كلام بعض علمائهم من تأليف وصلت إلينا إلى هذه البلاد وهو سعد الدين التفتازاني . . . وأما غيره من العجم فلم نر لهم من بعد الامام ابن الخطيب ونصير الدين الطوسي كلاما يعول على نهايته في الإصابة » (١) .

وهذا العالم الجليل ، سعد الدين مسعود بن عمرو المشهور بالتفتازاني (٧٩٣هـ) (٢) . كان عالما بالنحو، والصرف، والمنطق، والبلاغة،

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٥٤٥ .

(٢) تنظر ترجمته في البدر الطالع ج ٢ ص ٣٠٣ ، وبغية الوعاة ص ٣٩١ ، ومفتاح السعادة ج ١ ص ١٦٥ ، ودائرة المعارف الاسلامية ج ٥ ص ٣٣٩ ، والاعلام ج ٨ ص ١١٣ ، وتاريخ الادب العربي في العراق ج ١ ص ١٨٩ وتاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها ص ١٥١ ، وهديه العارفين ج ٢ ص ٤٣٠ .

والاصول ، والتفسير ، وله في البلاغة شرح القسم الثالث من « مفتاح العلوم » وشرح التلخيص : المطول والمختصر .

كتابه :

وكتابه المطول والمختصر من خيرة الكتب التي تمثل الاتجاه الكلامي في البلاغة . فعندما كان في جرجانية خوارزم لمعت في ذهنه فكرة شرح تلخيص مفتاح العلوم ، لانه وجده مختصرا ، جامعا لغرر اصول هذا الفن وقواعده ، حاويا لنكت مسائله وعوائده ، محتويا على حقائق هي لباب آراء المتقدمين ، منظويا على دقائق هي نتائج افكار المتأخرين ، مائلا عن غاية الاطناب ونظرية الايجاز ، لايحسا عليه مخايل السحر ودلائل الاعجاز :

ففي كل لفظٍ منه روضٌ من المنى وفي كل سطرٍ منه عقْدٌ من الدرِ (١)

وانكب على شرح التلخيص ساهرا الليالي ، متجرعا غصص العيش حتى اناخ بهراة ، وفيها تهيأ له الفراغ من نقل الشرح الى البياض في يوم الاربعاء الحادي عشر من صفر سنة ٧٤٨ هـ ، وكان الافتتاح يوم الاثنين الثاني من رمضان سنة ٧٤٢ هـ بجرجانية خوارزم ، وهذا هو الشرح المطول على التلخيص ، وعمله فيه كما شرحه بقوله :

« وبذلت الجهد في مراجعة الفضلاء المشار اليهم بالبنان ، وممارسة الكتب المصنفة في فن البيان ، لا سيما « دلائل الاعجاز » و « أسرار البلاغة » ، فلقد تناهيت في تصفحهما غاية الوسع والطاقة ، ثم جمعت لشرح هذا الكتاب ما يذلل صعاب عويصاته الادبية ، ويسهل طريق الوصول الى ذخائر كنوزه المخفية ، وأودعته فرائد نقيسة وشحت بها كتب القدماء ، وفوائد شريفة سمحت بها اذهان الاذكياء ، وغرائب نكت

(١) المطول ص ٣ .

اهتديت إليها بنور التوفيق ، ولطائف قد اتخذتها من حين التحقيق • وتمسكت في دفع اعتراضاته بذيل العدل والانصاف ، وتجنبت في رد ما اورد عليه مذهب البغي والاعتساف • وأشارت الى حل أكثر غوامض المفتاح والايضاح ، ونهت على بعض ما وقع من التسامح للفاضل العلامة في شرح المفتاح • وأومأت الى مواضع زلّت فيها اقدام الآخذين في هذه الصناعة ، واغمضت عما وقع لبعض متعاطي هذا الكتاب من غير بضاعة ، ورفضت التآسي بجماعة حظروا تحقيق الواجبات ، وما فرضت على نفسي سننهم في تطويل الواضحات » (١) •

والْحَّ عليه كثير من الفضلاء أن° يختصره ، ويقتصر على بيان معانيه وكشف استاره ، فوضع كتاباً آخر هو الشرح المختصر على التلخيص او الشرح الصغير ، وقد انتهى منه في غجدوان سنة ٧٥٦ هـ ، وأهداه الى ابي المظفر انسلطان محمود جاني بك خان » (٢) •

منهجه :

ولا يخرج الكتابان عما اختطه السكاكي ، ورسمه القزويني ، وقد اتبع خطة الشراح السابقين ، وهي أن° يأخذ العبارة او الكلمة ويشرحها وقد يخرج عن الشرح فيفند رأياً ، أو يقبل آخر ويدعمه ، ودافع عن السكاكي والقزويني ، وفند بعض آرائهما في كثير من الاحيان • واسلوبه فيهما ركيك تشوبه العجمة ، وتفقد طراوته المصطلحات الفلسفية ، والنظرات العقلية ، والعبارات الكلامية التي تجعل الكلام صعباً ، وتجعل الاسلوب معقداً • ولم يستطع التفقازاني ان ينجو من سيطرة النزعة العقلية والفلسفية ، وقد افسح المجال لها لتفسد البلاغة وتجور عليها ، وإلا فاي معنى نقوله في التشبيه : « والحركة عند المتكلمين حصول الجسم في مكان بعد حصوله في مكان آخر ، اعني انها عبارة

(١) المطول ص ٤

(٢) المختصر ج ١ ص ٣٠

عن مجموع الحصولين ، وهذا مختص بالحركة الاينية • وعند الحكماء
هو الخروج من القوة الى الفعل على سبيل التدرج » (١) •

ومثل هذا كثير في شرحه ، ولا غرابة في ذلك ، فقد كان راسخ
القدم في علم الكلام ، وأصول الفقه ، يقول ابن خلدون :

« ولقد وقفت بمصر على تأليف متعددة لرجل من عظماء هراة من
بلاد خراسان يشهر بسعد الدين التفتازاني ، منها في علم الكلام ،
وأصول الفقه ، والبيان ، تشهد بان له ملكة راسخة في هذه العلوم ،
وفي اثنائها ما يدل على ان له اطلاعاً على العلوم الحكمية ، وقدماً عالية
في سائر الفنون العقلية » (٢) •

ولم يقتصر شرحه على مفتاح العلوم وتلخيصه ، وانما اعتمد على
آراء المتقدمين من علماء العربية والبلاغة كالمبرد ، والمرزوقي ، وعبد
القاهر ، والزمخشري ، والرازي ، وابن سينا ، وابن الاثير ، ورجح
آراءهم احيانا ، غير أنه لم يخرج عن منهج السكاكي والقزويني ،
وبحثهما البلاغي ، لانه لم يكن في الواقع إلا شارحا لتلخيص « مفتاح
العلوم » • وقد اشتهر بهذين الشرحين ، وبقي الكتابان عمدة الدرس
حتى العصر الحديث •

اعجابه بالقزويني :

والتفتازاني مُعْجَبٌ بالقزويني ، مُعْظَمٌ له ، يقول عنه :

« الامام العلامة عمدة الاسلام ، قدوة الانام ، أفضل المتأخرين ،
أكمل المتبحرين ، جلال الملة والدين محمد بن عبد الرحمن القزويني
الخطيب بجامع دمشق » (٣) • ويرى أن كتاب التلخيص من أروع
كتب البلاغة وأحسنها ، لذلك عكف على شرحه ، وايضاح مبهمه بعد

(١) المطول ص ٣١٦ •

(٢) مقدمة ابن خلدون ص ٤٨١ •

(٣) المطول ص ٣ •

أن رأى أكثرهم حرموا توفيق الاهتداء الى ما فيه من مطويات الرموز
والاسرار . ولكنه قسا عليه ، ورجح آراء عبدالقاهر والسكاكي ،
يقول في تفنيد أحد أقواله :

« فكأنه لم يتصفح دلائل الاعجاز حق التصفح ، ليطلع على ما هو
مقصود الشيخ » (١) . وسنقف عند بعض آرائه لنرى مدى اتفاقهما
واختلافهما .

مع القزويني :

نجد التفتازاني يتصدى للقزويني منذ اول الكتاب ، فيقول عنه :
« ولعمري لقد أفرط المصنف في وصف القسم الثالث بان فيه
حشواً ، وتطويلاً ، وتعقيداً ، تصريحاً أولاً وتلويحاً ثانياً على ما ذكرنا ،
وتعريضاً ثالثاً حيث وصف مؤلفه بأنه مختصر ، منقح ، سهل المأخذ ،
أي : لا تطويل فيه ، ولا حشو ، ولا تعقيد كما في القسم الثالث » (٢) .

الفصاحة :

واختلف عنه في بعض الامور المتعلقة بالفصاحة تارة ، ووجهه
كلامه تارة اخرى . فقد ذكر القزويني أن بعضهم يرى أن من فصاحة
المفرد : خلوصه من الكراهية في السمع نحو :

مبارك الاسم أغرّ القلب ° كريم الجرشي شريف النسب °

ولكنه يقول ان في هذا نظراً ، ولم يوضحه ، فيأتي التفتازاني
ويوجه كلامه قائلاً :

« وفيه نظر ، لانها داخلة تحت الغرابة المفسرة بالوحشية لظهور
ان الجرشي اما من قبل « تكأ كآتم » و « افرقعوا » و « الجحيش » و

(١) المطول ص ٢٨ .

(٢) المطول ص ١٢ .

« اطلخهم » • وقد ذكِرَ ههنا وجوه :

الاول : انها ان ادت الى الثقل ، فقد دخلت تحت التنافر ، وإلا فلا تخل بالفصاحة .

الثاني : ان ما ذكره هذا القائل في بيان هذا الشرط ان اللفظ من قبيل الاصوات فاسد ، لان اللفظ ليس بصوت بل كيفية له ، وضعف هذين الوجهين ظاهر .

الثالث : ان الكراهية في السمع راجعة الى النغم ، فكم من لفظ فصيح يُستكره في السمع اذا أدي بنغم غير متناسبة ، وصوت منكر . وكم من لفظ غير فصيح يستلذ اذا أدي بنغم متناسبة وصوت طيب ، وليس بشيء المقطع باستكراه « الجرشي » دون النفس سواء أدي بلحن حسن أو غيره ، وكذا « جفخت » و « ملع » ، دون « فخرت » و « علم » •

والرابع : ان مثل ذلك واقع في التنزيل كلفظ « ضيزى » (١) و « دُسر » (٢) ونحو ذلك (٣) •

ووجه كلام القزويني في نقد بيت أبي تمام :

كريم متى أمدحه امدحه والورى معى واذا ما لمثته لمته وحدي

يقول : قال المصنف فان في « امدحه » ثقلا لما بين الحاء والهاء من القرب ، ولعله اراد ان فيه شيئا من الثقل والتنافر ، فاذا انضم اليه « امدحه » الثاني تضاعف ذلك الثقل ، وحصل التنافر المخل بالفصاحة ، ولم يرد أن مجرد « امدحه » غير فصيح ، فان مثله واقع في التنزيل نحو « فسبحه » (٤) • والقول باشتمال القرآن على كلام غير فصيح مما لا

(١) قال تعالى في سورة النجم الآية ٢٢ : « تلك انز قسة ضيزى » •

(٢) قال تعالى في سورة القمر ، الآية ١٣ : « وحملناها على ذات الواح دسر » •

(٣) المطول ص ١٩ •

(٤) قال تعالى في سورة ق ، الآية ٤٠ : « ومن الليل فسبحه وادبار السجود » •

يجترىء عليه المؤمن» (١) •

وَرَدَّ عليه في كثرة التكرار وتتابع الاضافات ، لانه ورد عن الرسول الكريم (ص) وفي شعر الفحول ، وهذا ما أشار اليه عبدالقاهر ، والقزويني نفسه •

ومما يحمسد للتفتازاني انه يرجع كثيرا من معرفة الفصاحة الى الذوق ، وان ما يعده الذوق نافرا أو غريبا أو وحشيا ، فهو المخل بالفصاحة ، وبذلك يعود الى ما صرح به ابن سنان وابن الاثير •

علم المعاني :

ولم يوافق القزويني في تعريف المعاني ، وفي رده على السكاكي هذا التعريف ، ويرى ان تعريف السكاكي احسن وأكثر دلالة ، وهذا حق فقد أبان السكاكي في تعريفه خير ابانة عن هذا العلم ، اما تعريف القزويني فلم يوضح علم المعاني توضيحا كاملا ، ولذلك يقول التفتازاني : «والعجب من المصنف وغيره كيف خفي عليهم هذا المعنى مع وضوحه ، وكيف ظنوا بالسكاكي انه أخذ في تعريف بلاغة المتكلم تراكيب البلغاء فعرف الشيء بنفسه ، ومفاسد قلة التأمل مما يضيق عن الاحاطة بها نطاق البيان» (٢) وبعد هذا يرى أن : « الاوضح في تعريف علم المعاني ، انه علم يعرف به كيفية تطبيق الكلام العربي لمقتضى الحال» (٣) •

ولم يعجب بتقسيم القزويني لمباحث علم المعاني لذلك يقول :

«هذا كله ظاهر ، لكن لا طائل تحته ، لان جميع ما ذكر من القصر ، والوصل والفصل ، والايجاز ومقابليه انما هي من احوال الجملة ، أو المسند اليه او المسند ، فالذي يهسه ان يبين سبب افراد هذه الاحوال عما سبق ، وجعل كل منها بابا برأسه ، والا فتقول : كل من المسند والمسند

(١) المطول ص ٢٠ •

(٢) المطول ص ٢٦ •

(٣) المطول ص ٢٦ •

اليه مقدم ، أو مؤخر ، معرف او منكر ، انى غير ذلك من الاحوال .
فلم لهم يجعل كل من هذه الاحوال بابا على حدة ؟ ومن رام تقدير
هذا بالترديد بين النفي والاثبات ففساد كلامه أكثر واطهر . فالاقرب ان
يقال : اللفظ اما مفرد ، أو جملة ، فاحوال الجملة هي الباب الاول ،
والمفرد اما عمدة او فضلة ، والعمدة المسند اليه او المسند ، فجعل هذه
الاحوال الثلاثة أبواباً ثلاثة تمييزاً بين الفضلة ، والعمدة المسند اليه او
المسند . ثم لما كان من هذه الاحوال حالة مزيد غموض ، وكثرة
أبحاث ، وتعدد طرق ، وهو القصر أفرد باباً خامساً . وكذا أحوال
الجملة ما نه مزيد شرف ولهم به زيادة اهتمام وهو الفصل والوصل .
فجعل باباً سادساً والا فهو من أحوال الجملة ، ولذا لم يقل احوال القصر
واحوال الفصل والوصل . ولما كان من الاحوال ما لا يختصر مفرداً ولا
جملة بل يجري فيهما ، وكان له شيوع وتفايرع كثيرة ، جعل باباً سابعاً .
وهذه كلها أحوال يشترك فيها الخبر والانشاء . ولما كان ههنا ابحاث
راجعة الى الانشاء خاصة جعل الانشاء باباً ثامناً ، فانحصر في ثمانية
أبواب» (١) .

ولا يرى ما يراه القزويني من ان المجاز العقلي من مباحث المعاني ،
لان علم المعاني يبحث عن الاحوال المذكورة من حيث انها يطابق بها
اللفظ مقتضى الحال . وظاهر ان البحث في الحقيقة والمجاز العقليين
ليس من هذه الحيشية ، فلا يكون داخلاً في علم المعاني ، والا فالحقيقة
والمجاز اللغويان أيضاً من احوال المسند اليه أو المسند (٢) . وان تعريفه
للمجاز العقلي غير تام لانه خرج من تعريفه للاسناد المجازي امران :

أحدهما : وصف الفاعل على المفعول بالمصدر نحو « رجل عدل » ،
و « فانا هي اقبال وادبار » .

والثاني : وصف الشيء بوصف محدثه وصاحبه مثل « الكتاب

(١) المطول ص ٢٧ - ٢٨

(٢) المطول ص ٥٤ .

الحكيم» ، و «الاسلوب الحكيم» . فان المبني للفاعل قد اسند الى المفعول ، لكن لا الى المفعول الذي يلابسه ذلك المسند ، بل فعل آخر من افعاله مثل «نشأت الكتاب» .

ويوجه كلام القزويني قائلاً :

«ويمكن الجواب عن الاول بانه ليس عنده بمجاز ، كما انه ليس بحقيقة ، وعن الثاني بان الملاسة اعم من ان يكون بواسطة حرف او بدونها . وهذه الصور من قبيل الاول اذ الاصل «هو حكيم في اسلوبه» و «كتابه» و «بعيد» و «أليم في ضلاله وعذابه» ، فيكون مما بني للفاعل، واسند الى المفعول بواسطة ، فتأمل وقس عليه نظائره»^(١) .

علم البيان :

وعندما جاء التفتازاني الى بحث علم البيان التفت التفتاة حسنة الى تعريفه وتقسيم مباحثه ، ورأى ان ادخال الدلالات في هذا البحث لا قيمة له ، يقول بعد ان تحدث عنها :

« هذا هو الكلام في شرح علم البيان على ما اخترعه السكاكي ، وانت خير بما فيه من الاضطراب . والاقرب ان يقال ، علم البيان : علم يبحث فيه عن التشبيه ، والمجاز ، والكناية ، ثم يشتغل بتفصيل هذه المباحث من غير التفات الى الابحاث التي اوردها في صدر هذا الفن»^(٢) . وهذه التفتاة حسنة منه ، ولذلك نجده ينقد السكاكي ، ومن سار على منهجه في التبويب والتقسيم ، يقول وهو يتكلم على وجهه انشبهه وتقسيماته : «واعلم ان امثال هذه التقسيمات التي لا تتفرع على اقسام احكام متفاوتة قليلة الجدوى ، وكأن هذا ابتهاج من السكاكي باطلاعه على اصطلاحات المتكلمين . فلله در الامام عبدالقاهر واحاطته باسرار كلام العرب وخواص تراكيب البلغاء ، فانه لم يزد في هذا المقام

(١) المطول ص ٥٨ .

(٢) المطول ص ٣١٩ .

على التكاثر من امثلة انواع التشبيهات وتحقيق اللطائف المودعة فيها» (١) .

وقد القزويني في تحديده أنواع العلاقة في المجاز المرسل ، فقد ذكر منها تسعة غير ما في اطلاق اليد على النعمة ، والقدرة بعلاقة السببية الصورية ، واطلاق الراوية على المزادة بعلاقة المجاورة . ويرى ان العلاقة المعتبرة كثيرة ترتقي على ما ذكره علماء البلاغة الى خمسة وعشرين . ونبه الى سهو القزويني في أحد انواع المجاز المرسل ، فقد ذكر ان من امثلة تسميته السبب باسم المسبب قولهم « فلان أكل الدم » أي : الدية المسببة عن الدم ، وهو سهو بل هو من تسمية المسبب باسم السبب» (٢) .

وركد عليه في تعريف الاستعارة والاستعارة بالكناية ، يقول : « ولكن تفسير الاستعارة بالكناية بما ذكره المصنف لا مستندله في كلام السلف ، ولا هو مبني على مناسبة لغوية . ومعناها المأخوذ من كلام السلف هو أن لا يصرح بذكر المستعار ، بل بذكر رديفه ولازمه الدال عليه» (٣) .

علم البديع :

وليس في بحثه للبديع جديد ، ولكنه اضاف ثلاثة اقسام الى « رد العجز على الصدر » ، وذلك ان التفتازاني قسمه الى ستة عشر نوعا حاصلة من ضرب اربعة في اربعة . وقد اورد القزويني ثلاثة عشر واهمل ثلاثة ، يقول التفتازاني : « واما الامثلة الثلاثة التي اهملها المصنف ، فمثال ما يقع احد الملحقين اللذين يجمعهما شبه الاشتقاق في آخر البيت والملحق آخر صدر المصراع الاول قول الحريري :

ولاح يلجى على جري العنان الى بلهى ، فسحقاله من لائح لاح

(١) المطول ص ٣١٩ .

(٢) المختصر ج ٤ ص ٣٨ - ٣٩ .

(٣) المختصر ج ٤ ص ١٥٨ .

فالاول ماضي يلوح ، والآخر اسم فاعل من احاه • ومثال ما وقع الملحق
الآخر في آخر المصراع الاول قوله :

ومضطلع بتلخيص المعاني ومُطَّلَع الى تخلص عاني

فالاول من عنى يعني، والثاني من عنا يعنو • ومثال ما وقع الملحق الآخر
في صدر المصراع الثاني قول الاخر :

لعمرى لقد كان الشريا مكانه ثراء فاضحى الآن مشواه في الثرى

ويذكر في البديع بعض ما تركه القزويني كالتحسين في انحط ، والموصل ،
والمقطع ، والخفاء ، والرقطاء ، والحذف ، والترديد ، والتعديل أو
سياق الاعداد ، والايضاح ، وحسن البيان •

السيد الشريف

وقد أثار التفتازاني حركة قوية في التأليف في البيئة الفارسية والبيئة العربية ، وكان من معاصري التفتازاني في البيئة الفارسية علي بن محمد بن علي السيد ابو الحسن الحسيني الجرجاني الاسترابادي الشهير بالسيد الشريف (٨١٦ هـ)^(١) . كان محبا للتفتازاني ، وكتب حاشية على شرحه المطول ، وكان « في مبادئ التأليف يعوص في بحار تحقيقه وتحريه ، ويلتقط الدرر من تدقيقه وتسطيره ، ويعترف برفعة شأنه ، وجلالته ، وقدر فضله ، وعلو مقامه »^(٢) . ولكنه خصمه وناوآه ، وجرت بينهما مناقشة عنيفة في بلاط تيمور لك سنة ٧٩١ هـ ، وكان مقدا عنده ولكن تيمور كان يرجح السيد ويقول : « لو فرضنا انهما سيان في الاصل والعرفان ، فللسيد شرف النسب »^(٣) . وهذا مما شجع السيد على التفتازاني . وأول مناظرة جرت بينهما في مسألة كون ارادة الاتقام سببا للغضب أو الغضب سببا لارادة الاتقام ، فالتفتازاني يقول بالاول ، والشريف يقول بالثاني . واختلف الناس في عصرهما ، وفيما بعده من العصور من المحقّ منهما . وذهب الشيخ منصور الكازروني الى أن الحق في جانب الشريف^(٤) . وجرى بينهما بحث في اجتماع الاستعارة

(١) تنظر ترجمته في بنية الوعاة ص ٣٥١ ، والبدر الطالع ج٣ ص ٤٨٨ ، ودائرة المعارف الاسلامية ج٦ ص ٣٣٣ ، والقواعد البهية ص ١٣٥ ، وروضات الجنات ص ٤٩٧ ، وحديه العارفين ج١ ص ٧٢٨ .
(٢) الفوائد البهية ص ١٣٦ .
(٣) الفوائد البهية ص ١٢٨ .
(٤) الفوائد البهية ص ١٢٩ - ١٣٠ .

التبعية والتمثيلية في كلام الزمخشري في قوله تعالى: «اولئك على هدى من ربّهم» (١) . وكان الحكم بينهما نعمان الدين الخوارزمي المعتزلي فرجح السيد ، واشتهر عند الخواص والعوام غلبة السيد بالافحام فاغتم لذلك التفتازاني ، فلم يبق بعد هذه الواقعة الا قليلا ومات بسمرقند سنة ٧٩٢ هـ (٢) .

وكتبت عن هذه المناظرة بحوث بقي لنا اثنان منها محفوظان بدار الكتب بالقاهرة هي « مسالك الخلاص في مهالك الخواص » لطاشكبري زادة ، ورسالة في تحقيق الاستعارة التمثيلية ، ونقل ما جرى فيها من البحث بين السعد والسيد الشريف .

وللسيد الشريف كتابان في البلاغة هما : « شرح انقسم الثالث من مفتاح العلوم » و « حاشية على الشرح المطول على التلخيص » للتفتازاني ، انتقد فيهما مواضع كثيرة من كلام السعد ، ولكن انتقاداته في الواقع لم تكن ذات قيمة . وقد صدق محمد الكافيحي حينما قال : « ان السيد وقطب الدين الرازي التحتاني لم يذوقا علم انعرية ، بل كانا حكيمين » (٣) . وان مشاركته في التأليف في العربية لم تكن في الواقع مشاركة لها قيمتها واثرها . ولا نذهب - بعد ان درسنا حاشيته - كما ذهب اليه طاشكبري زادة حينما قال معلقا على كلام محمد الكافيحي السابق : « هذا الكلام خروج عن الانصاف ولا يلزم من عدم انفرادهما بعلم العربية، ومشاركتهما لسائر العلوم غنم معرفتهما . فانظر بالانصاف تجد في تصانيفهما مباحث تتعلق بالعربية قد عجز عنها القدماء من ارباب العلوم العربية » .

وضع الجرجاني حاشيته على شرح السعد ، ليوضح مقاصده ، وينبه على مزالته يقول : « وبعد فهذه حواشٍ على الشرح المشهور لتلخيص المفتاح ، كنت قد قيدها عليه مجملة حالما قرأه عليّ بعض

(١) سورة البقرة ، الآية ٥ .

(٢) مفتاح السعادة ج ١ ص ١٦٧ .

(٣) مفتاح السعادة ج ١ ص ١٦٧ .

أحبتني فسألوني بعد أمد أن أفصلها ، وانقدها ، ففعلت مستعينا بالله ، ومتوكلا عليه ، فجاءت بحمد الله تعالى مشتملة على فوائد منها ما هو توضيح لمقاصده ، وتنقيح لدلائله • ومنها ما هو تنبيه على مزاله، وتبيين لوجوه اختلاله • ومنها ما هو زكّته متعلقة بذلك المقام وإن لم يكن مما يساق إليه الكلام • وعساك إذا تأملت فيها ، متمسكا بذيل الانصاف ، ومتجنبنا عن ذلك مسلك الاعتساف ظفرت بما تستعين به على تحقيق اصول من البلاغة في مواضع شتى ، وتتسلق به الى فروعها كما تحب وترضى ، وانكشفت لك مطالب جليلة من عبارات القوم قد زلّ عنها اذهان اقوام تاهوا فيها خصوصا في مباحث التعريفات ، وتحقيق أقسام الوضع ، ومعنى الحرف ، وأنواع الدلالات ، وفي الكشف عن زبده التعريض ، وحقائق الاستعارات « (١) » •

وإذا حققنا في هذه المسائل التي اشار إليها ، رأينا انه وفي بوعده في تحديد التعريفات وضبطها ، وكيف لا يفعل هذا وهو مؤلف كتاب التعريفات الذي حدد فيه المعاني الاصطلاحية للالفاظ العريضة على مصطلح العلوم في أيامه •

اما تحقيقاته فلا قيمة لها في نظرنا ، وهي لا تخرج عما ذكره السكاكي والقزويني والتفتازاني ، وإن كان يخالفهم أحيانا • ولعل احسن ما ذكره في الحاشية قوله عن البحث في اللذة والالهم في سباب التشبيه ، يقول : « تعريف اللذة والالهم بما ذكره منقول عن الاشارات ، ولا يخفى عليك ان ايراد امثال هذه التحقيقات في امثال هذه المقامات مما لا يجدي للمتعلم نفعا ، بل ربما زاد حيرة في تفاصيل هذه المعاني ودقائق العبارات ، فالاولى بحال هذه العلوم ان يقتصر فيها على الامور العرفية وما يقرب منها • ولعل ذلك افتخار منه باطلاعه على العلوم العقلية وما ذكر فيها من التدقيقات « (٢) » •

(١) حاشية السيد الشريف ص ٣ - ٥ •

(٢) حاشية السيد الشريف ص ٣١٤ •

ابن يعقوب المغربي

وألف ابن يعقوب المغربي (١١١٠ هـ) من اهل مكناسة ببلاد الجزائر شرحا على مختصر سعدالدين التفتازاني سماه « مواهب الفتح في شرح المفتاح » . ألفه بطلب وإشارة من مولاه محمد بن اسماعيل^(١) . وقد وضعه بعد أن رأى في الشرح المختصر للسعد غموضا وإبهاما . يقول وهو يتكلم على التلخيص : « ثم ان الامام سعد الدين رحمه الله تعالى ممن صرف عنان العناية لشرح معانيه ، وتصدى لاستخراج لطائف مبانيه ، فوضع عليه مختصراً ومطولا ، وكان المختصر من الشرحين لتعاطيه ملجأ ومعوّلا ، ولما وقفت بعون الله تعالى لقراءة ذلك الشرح مرت فيه على غوامض ربما تعتاص على بعض الافهام ، ومحال كثيرة تفتقر لا محالة الى مزيد من الكلام ، وأكثرها لا يكفي فيه ما في المطول بل يحتاج الى خارج عما في ذلك الشرح من بيان ، او زيادة بها يتكامل . فرأيت أن اضع عليه شرحا يكون لذلك المختصر مجاريا لقصد بيان عويصه مع زيادة فوائد وأبحاث تتعلق بالحل تكميلا لتحقيقه وتلخيصه ، فيكون للمتن شرحا ، وللشرح بسطا وفتحا »^(٢) . وكان الفراغ من تأليفه بكناسة يوم الجمعة منتصف النهار في الرابع والعشرين من المحرم سنة ١١٠٨ هـ .

(١) مواهب الفتح ج ١ ص ٤

(٢) مواهب الفتح ج ١ ص ٤ - ٥ .

والمعربي في هذا الشرح يقتفي خطوات السعد ، ولا يحدد عن منهج السكاكي . وله بعض الآراء والردود ولكنها تنف متفرقة في كتابه الضخم ، ولعل أهم ما فيه مناقشته للتقسيم الذي سار عليه البلاغيون ، وخالفهم في الاعتبار الذي بنوا عليه ترتيب المعاني والبيان والبديع ، ويرى ان البيان جزء من المعاني لانه داخل في مطابقة مقتضى الحال ، وهذه التفاتة حسنة ولكنه لم يطبقها ، ولم يؤلف كتابا في البلاغة يهجم فيه نهجا جديدا ، واكتفى بخدمة تلخيص مفتاح العلوم .

ومن بحوثه الطريفة بحث الايجاز والاطناب ، وكان هذا البحث عميقا ، وأضاف الى القزويني وغيره اضافات جديدة . وأهمها البحث في النسبة بين أنواع الاطناب ، وقد أجاد فيها ، وأحسن . ووقف كثيرا عند بعض الموضوعات وشرح وجهات النظر المختلفة ، وعلل بعضها تعليلا فلسفيا محضا ، وهو لذلك يعتذر عن اطنابه قائلا : «وقد أطنبت هنا لما في المحل من الحاجة الى مزيد تدقيق وبسط ، فليتأمل » .

وناقش نقاشا طويلا في تعريف الحقيقة ، وبين أن كثيرا من التعريفات التي ذكرت في حدها فاسدة ، وذكر وجوه ذلك الفساد والتمحل (١) .

ومن التفاتاته الحسنة ذهابه الى ان الاستعارة يمكن ان تكون مجازا مرسلا (٢) .

واطنب في بحث الاستعارة التبعية، وأجاد في تحقيق كون الاستعارة في الفعل تبعية (٣)، واحسن في بحث الاستعارة بالكناية والتخييلية، وأجاد في شرح رد القزويني على السكاكي . وقال بعد ان انتهى « هذا تمام ما اورده المصنف في المباحثة على السكاكي ، وقد بسطت فيها القول

(١) مواهب الفتح . ج ٤ ، ص ٨ وما بعدها .

(٢) مواهب الفتح . ج ٤ ، ص ٤٦ .

(٣) مواهب الفتح . ج ٤ ، ص ١١٢ - ١١٣ .

لتبين ، اذ فيها غرض محتاج لهذا البسط» (١) .

ويغلب على كتاب مواهب الفتاح الطابع اللغوي ، فالمغربي يشرح الكلمات ، ويبين اشتقاقها ، وما فيها من آراء .

مع الفزويني :

وقد اثنى على تلخيص الفزويني في مطلع الكتاب يقول : « ثم أن من احكم كتبه المتداولات الكتاب المسمى بتلخيص المفتاح ، فان فيه من اللطائف والمعاني ما لا تحيط بتحريره الحواشي والشرح » (٢) .

ولكنه مع ذلك لم يتفق معه في كثير من المسائل ، فرد عليه في المجاز العقلي ، فقد ذهب عبد القاهر الى انه ليس من اللازم ان يكون للفعل فاعل ، ولكن الخطيب الفزويني يرى انه قد خفي الامر على عبد القاهر ، وقد تبع الرازي في هذه الناحية حيث قال : إن كل فعل لا بد له من فاعل لاستحالة صدوره بلا فاعل ، يقول المغربي :

« فاعتقد المصنف صحة هذا الكلام فقدر الفاعل في المثالين الله تعالى ، لانه الفاعل الحقيقي » (٣) .

ورد اعتراضاته على السكاكي في المجاز العقلي يقول : « واذاتهم هذا وعلم ان الاعتراضات لا تتم الا بكون المراد بالفاعل المجازي هو الفاعل الحقيقي حقيقة ، واما ان اريد الفاعل الحقيقي بالادعاء سقطت الاعتراضات ، لان المراد بالمجازي نفسه ، إلا انه ادعى فيه انه غيره ، فاللازم على ذلك في نفس الامر كاللازم على عدم الادعاء اندفعت هذه الاعتراضات عن مذهب السكاكي اذا حقق ان مذهبه فيما ذكر الاطلاق على الفاعل الادعائي لا الحقيقي . وهذا المذهب صرح به ، فتندفع به عنه الاعتراضات » (٤) .

(١) مواهب الفتاح . ج ٤ ص ٢٢٠ .

(٢) مواهب الفتاح . ج ١ ص ٤ .

(٣) مواهب الفتاح ج ١ ص ٢٦١ .

(٤) مواهب الفتاح . ج ١ ص ٢٧٠ .

ونرى المغربي يرجح كلام السكاكي عنى كلام القزويني في بحث
قصر التعيين ، ويذكر ان في كلام القزويني خبطا ، والصواب ما عند
السكاكي من اسقاط الشرطين اللذين ذكرهما القزويني . ورد على
القزويني في الجامع العقلي والوهمي (١) .

وفي الوقت الذي يرى ان البيان جزء من المعاني نراه يسرف، في
بحث الدلالات ويذكر أن تخصيص اسم الوضعية بالدلالة على تمام
الموضوع له دون الدلالة على الجزء واللازم اصطلاح غير الناطقة ، وأما
الناطقه فالوضعية اذا كانت لفظية عندهم فللوضع فيها مدخل ، فتدخل
ذات الجزء واللازم وهي مقابلة عندهم للعقلية المحضة والطبيعية لا لذات
الجزء واللازم (٢) . واستمر في هذا الشرح والتفريق بين كلام
الناطقه وغيرهم ، ورد على من يحصر الوضوح في الدلالات العقلية ،
وهذا اسراف في اسراف ، وان علم البيان لبعيد عن هذا كله .

ورد على القزويني كما رد على غيره في «أكل فلان الدم» ، لانه
اتخذته مثلا لتسمية السبب باسم المسبب في المجاز المرسل ، وهو
بحسب الظاهر سهو اذ الدم اسم السبب واطلق على مسببه الذي هو
الدية الحاصلة عن الدم (٣) .

ورد عليه في الاستعارة التي في قوله تعالى : « فالتقطه آل فرعون
ليكون لهم عدوا وحزنا » (٤) ، لانه يذهب الى انها تصريحية على
اعتبار ان التبعية عنده من التصريحية ، وجعل متعلق معنى الحزن هو
المجرور ، يقول : « وهو غير مستقيم على ما ذهب اليه المصنف من ان
الاستعارة في ذلك تصريحية ، وذلك لان المذكور في التصريحية يجب
أن يكون هو المشبه به سواء كانت تبعية أو اصلية » (٥) .

(١) مواهب الفتح . ج ٣ ص ٨٢ ، ١٠٧ - ١٠٨ ، ١٨٤ .

(٢) مواهب الفتح . ج ٣ ص ٢٦٥ .

(٣) مواهب الفتح ، ج ٤ ص ٣٩ .

(٤) سورة القصص ، الآية ٨ .

(٥) مواهب الفتح ، ج ٤ ص ١٢١ .

وكرر المغربي ما قاله التفتازاني من ان ما فسر به القزويني الاستعارة بالكناية وهو اضرار التشبيه في النفس شيء لا مستند له في كلام السلف ، ولا هو منبى على المناسبة اللغوية ، يقول : « أما عدم بناءه على المناسبة اللغوية فلان اضرار التشبيه ليس فيه نقل لفظ الى غير معناه فيكون مناسباً لان يسمى بالاستعارة كما يناسب نقل اللفظ الذي هو المجاز اللغوي ، واما كونه لا مستند له في كلام السلف فلانه لم ينقل عن احد منهم مثل ما ذكر المصنف ، نعم الشيخ عبد القاهر ذكر فيما سماه المصنف تخيلاً ما يناسب ما ذكره المصنف فقال : « في يد الشمال » ان اليد ثبتت للشمال مع انها ليست من لوازمه لا لمعنى اطلقت عليه وقلت له بل لتدل على تشبيه الشمال بما له تصرف ويد ، ولكن لم يُسمَّ التشبيه الذي جعلت « اليد » دليلاً عليه استعارة لا بالكناية ولا غيرها ، وانا قال : « اليد استعارة » ولكن لا لشيء يشار اليه اشارة حسية او عقلية ، بل استعير ليدل على التشبيه » (١) .

وذكر ان مذهب السكاكي في قول الشاعر :

وإذا المنيّة أنشبت اظفارها ألفيت كلّ تميمة لا تنفع

هو انه جعل المنيّة استعارة بالكناية لانها استعيرت للسبع ادعاء ، وجعل التخيلية هي الاظفار على انها نقلت لصورة وهمية .

وذكر مذهبا ثالثا في الاستعارة بالكناية وهو ان ايجاد الاستعارة بالكناية بأن يكون ثم لفظ قصد استعارته بعد المبالغة في التشبيه، ولكن لا يصرح بذلك اللفظ بل يذكر رديفه الدال عليه الملازم له ، لينتقل منه الى ذلك المستعار على قاعدة الكناية في ان ينتقل من اللازم المساوي الى الملزوم ، فقولنا « اظفار المنيّة نشبت بفلان » يقصد بالاظفار فيه ان تكون كناية عن السبع المتصود استعارته للمنيّة كاستعارة « أسد »

(١) مواهب الفتح ج٤ ص ١٥٨ .

للرجل الشجاع ، فاذا استعمل هذا القصد فقد صح انا لم نصح
بالمستعار المقصود الذي هو السبع بل كنيئا عنه ، ونبها عليه بمرادفه
لينتقل منه الى المقصود استعارته ، فيتحقق بهذا الاعتبار هنا مستعار
منه ، وهو حقيقة الاسد الذي هو الحيوان المفترس والمستعار له وهو
المنية واللفظ المستعار وهو لفظ السبع الذي لم يصرح به ، ولكن
كنيئا عنه برديفه . فلفظ السبع يناسب ان يسمى استعارة على هذا ،
لانه منقول حكما ، وكونه بالكناية ومكنيا عنه برديفه أمر واضح على
هذا .

ويرى المغربي ان هذا المذهب اقرب المذاهب ، وأنسبها بالتسمية
اللغوية . وهذا هو الرأي الذي صرح به الزمخشري في الكشف كما
فهمه عن الاقدمين (١) .

ووافق السكاكي في اعتبار الاستعارة التمثيلية من الاستعارة
التحقيقية ، وعلق على ذلك قائلا : « واجيب عن هذا بان السكاكي انما
عد التمثيل من مطلق الاستعارة الشاملة للافرادية والتركيبية ، لان
مكلف الاستعارة التصريحية التحقيقية أعم من الاستعارة التي هي مجاز
في المفرد . واذا كان العدة انما هو من مطلق الاستعارة الشاملة لما
يوجد فيه التركيب فعد التمثيل منها صحيح اذ غايته ان مطلق الاستعارة
تكون تشيلا مستنزما للتركيب وهو صحيح لضحة ملاقاتها حينئذ
للتركيب ، وانما يرد البحث لو عدّها من الافرادية » (٢) .

ووافقه في مجاز الحذف ، لان السكاكي يرى ان الموصوف
بالتجوز المذكور والمسما بلفظ المجاز هو الاعراب نفسه . فالنصب في
« القرية » في قوله تعالى : « واسأل القرية » يوصف بانه تجوز فيه
بنقله لغير محله ، لان القرية بسبب التقدير في محل جر ، وقد اوقع

(١) مواهب الفتح ، ج ٤ ص ١٥٨ ، والكشاف ج ١ ص ٩٠ .

(٢) مواهب الفتح . ج ٤ ص ١٨٧ .

فيها النصب ، ويسمى ذلك الاعراب بنفسه مجازا لما وقع التجوز فيه ، يقول :

« وما ذكره المصنف من ان المسمى بالمجاز الموصوف بالتجوز هو الكلمة المعربة لا اعرابها هو الاقرب لوجهين :

أحدهما : كون مدلول لفظ المجاز في الموضعين هو الكلمة بخلاف اطلاقه على الاعراب ، فانه يقتضي مخالفة في المدلولين اذ يكون لفظ المجاز هنا كيفية الكلمة لا نفسها ، ومدلولها فيما تقدم نفس الكلمة .

وثانيهما : ان اطلاق لفظ المجاز على الاعراب كما هو ظاهر كلام السكاكي ، سببه كما تقدم ان الاعراب وقع في غير اصله ، وذلك ربما يدعى ظهوره في النقصان لان المقدر كالمذكور فالقرية في قوله تعالى : « واسأل القرية » حكمها الجر بتقدير المضاف . فقد وقع النصب في محل الجر الذي هو الاصل بسبب التقدير الذي هو كالذكر ، فصَحَّ ان الاعراب في النقصان الذي يستدعي التقدير واقع في غير محله ، فيسمى مجازا » (١) .

ووافق القزويني في ادخال المقابلة في الطباق ، ورأى ان ما ذهب اليه السكاكي وآخرون من جعلها قسما مستقلا من المحسنات المعنوية لا وجه له كما يشهد به تفسير الطباق بالنظر انى تفسير المقابلة وأمثلتها ، وقد علل دخولها في الطباق قائلا :

« وانما دخل ما يسمى بالمقابلة في الطباق ، لان فيه الجمع بين معنيين متقابلين في الجملة اي من غير تفصيل وتعيين لكون التقابل على وجه مخصوص دون آخر ، لان ذلك لا يشترط في الطباق حتى يمكن اخراج المقابلة عن الطباق فصدق حده عليها » (٢) .

وخلاصة القول : ان ابن يعقوب المغربي كان أحسن من التفتازاني

(١) مواهب الفتح ، ج ٤ ص ٢٢٤ - ٢٢٥ .

(٢) مواهب الفتح ، ج ٤ ص ٢٩٧ .

واضرا به ممن عاشوا في البيئة الفارسية ، وقد استطاع بما أوتي من سعة الاطلاع ، وتذوق للبلاغة ان يكتب كتابه « مواهب المفتاح » بروح جديدة ، فيها تحديد القزويني وتفسيراته ، وفيها النظرة الفنية التي تنبه الى ما في كلام المتأخرين من خلط واضطراب • ومما يؤسف، له أن المغربي لم يطبق ما دعا اليه في بعض المواضع مما ذكرناه سابقا ، ولم يخرج على ما كتبه القزويني ، وشرح تلخيصه ، ولذلك جاء كتابه نسخة موسعة من الكتب السابقة ، فيها الفلسفة ، والمنطق ، والتمحل في التعليل ، والاغراق في التقسيم والتحديد ، وربط البلاغة بما لا يمت اليها بصلة •

الدسوقي

وجاء اخيرا محمد بن محمد عرفه الدسوقي (١٢٣٠ هـ) ووضع حاشية على مختصر السعد على تلخيص المفتاح ، وذكر فيها فوائد شريفة ، وتقييدات لطيفة أخذها من تقارير شيوخه المحققين كالعدوي ، والشهاب الملوي ، وعطية الاجهوري ، والحفني واللقاني وغيرهم ممن ذكرهم في حاشيته ، ومن زبد أرباب الحواشي والشارحين . ونقل عن ابن يعقوب المغربي ، وعصام الدين صاحب « الاطول » . وكان الانتهاء منها يوم الجمعة لثمانية وعشرين من شهر شوال سنة ١٢١٠ هـ .

وطريقته في الشرح هي أن يأخذ العبارة ، ويشرح مفرداتها ، ويذكر القياسي والسماعي منها وما فيها من شذوذ واختلافات ، ثم يعرب الجملة وما فيها من ألفاظ ، وبعد ذلك يبيّن ما في العبارة من فنون بلاغية وهذه ميزة لا نجدها عند اصحاب الشروح والحواشي الاخرين ، ومن هنا كانت لحاشيته أهمية لغوية ونحوية وبلاغية .

وأبسط مثال لذلك شرحه « بسم الله الرحمن الرحيم » فقد كان شرحا لا نجده عند التفتازاني، والسيد الشريف ، والسبكي واضرابهم، لقد طبق عليها فنون البلاغة الثلاثة، ويبيّن ما فيها من مجاز، واستعارة، ومذهب كلامي ، والتفات ، وادماج ، واستخدام ، يقول في مطلع كتابه : « ينبغي التكلم عنى هذه الجملة بما يتعلق بها من الفنون الثلاثة التي صنف فيها هذا الكتاب كما هو اللائق بالشارع في كل فن لما قيل

ان ترك الكلام عليها اما تقصير او قصور» (١) .

ولا تنفق أهمية الحاشية عند البحوث البلاغية واللغوية ، وانما تتعداها الى غيرها ففيها تعريف بالكتب ككتاب الحماسة (٢) . وفيها مباحث تاريخية كحديثه عن سوق عكاظ ، واجتماع الشعراء والفرسان والناس فيه (٣) . وفيها تراجم للشعراء الذين يذكر شعرهم فيقول عن ابن العجاج مثلا « هو رؤبة عبدالله البصري بن العجاج التميمي السعدي ، هو وأبوه راجزان مشهوران ، لكل واحد منهما ديوان رجز ليس فيه سوى الارجيز ، سمع عن ابيه العجاج ، وأبوه سمع ابا هريرة رضي الله عنه » (٤) . ونجد هذا الاتجاه في كلامه عن أسر المتنبّي ، وترجمة الفرزدق ، والعباس بن الاحنف ، والجاحظ ، والصلتان العبدّي ، والراوندي (٥) ، وكان كثير الاهتمام بتكملة آيات الشعر وذكر عروضها ووزنها يقول عن آيات المتنبّي التي أولها :

فهمتُ الكتابَ أبرَّ الكتبِ فسمعا لأمرٍ أميرِ العربِ

« وهي من المتقارب وعروضها وضربها محذوفان » (٦) .

وفي الحاشية تحقيق للمدن والاماكن ، يقول عن منف مدينة فرعون : « المراد بالمدينة مدينة فرعون كما في الجالين ، وليس المراد بمنف البلدة المشهورة الان ، بل بلدة كانت بناحية الجيزة فخربت بدعوة موسى عليه السلام ، وهي بالقرب من البلدة المعروفة بمنيّة رهينة باقليم الجيزة » (٧) .

(١) حاشية الدسوقي ج ١ ص ٢ - ٢ .

(٢) حاشية الدسوقي ج ٢ ص ٧٢ - ٧٣ .

(٣) حاشية الدسوقي ج ٢ ص ٢٨ .

(٤) حاشية الدسوقي ج ١ ص ٨٤ .

(٥) حاشية الدسوقي ج ١ ص ٩٠ ، ١٠٤ ، ١٠٩ ، ١٩٢ ، ٢٤٢ ، ٤٥٢ .

(٦) حاشية الدسوقي ج ١ ص ٩٠ .

(٧) حاشية الدسوقي ج ١ ص ٢٤٨ .

وأهتم بذكر القصص والتاريخ ، وتحدث بالتفصيل عن قصة الزباء مع جذيمة ، وما حصل له منها^(١) . وأهتم بذكر الحوادث التاريخية والادبية وذكر رثاء أبي ذؤيب الهذلي لابنائه الخمسة الذين هلكوا في عام واحد ، وكانوا فيمن هاجر الى مصر . وذكر استشهاد معاوية ، بهذه القصيدة في مرضه ، وتحدث عن ابي ذؤيب واخباره^(٢) .

ولا نجد هذا في شرح او حاشية اخرى ، ومن هنا كانت لحاشية الدسوقي اهمية لغوية ، وتاريخية ، وأدبية الى جانب اهميتها البلاغية .

أما البحوث البلاغية فلعل أهم ما في الحاشية بحث المعاني المجازية التي ذكرها البلاغيون في علمي المعاني والبيان ، او التي اهلوها ولم يتكلموا عليها . فقد اعتبر الخروج في النداء الى الاستعانة والى الاختصاص ، وخروج النهي الى الدعاء والالتماس والتهديد ، والخروج في الامر الى الدعاء والالتماس والتمنى والتسوية والتحقير والاهانة والتسخير والتهديد والاباحة ، وخروج الاستفهام الى التهويل والتحقير والهزاء والسخرية والانكار وغيرها من اغراض الانشاء والخبر . وقد اعتبر كل هذه مجازا مرسلا له علاقة ، وبذلك وسَّعَ مفهوم المجاز المرسل ، وأدخل فيه ما كان مبعثرا في علم المعاني او البديع^(٣) . وكان التفتازاني قد اشار الى ذلك فقال متحدثا عن ادوات الاستفهام :

« كثيرا ما تستعمل في غير الاستفهام، مما يناسب المقام بمعونة القرائن . وتحقيق كيفية هذا المجاز وبيان انه من أي نوع من أنواعه مما لم يحم أحد حوله »^(٤) . ولم يتعرض لعلاقة المجاز في هذه الانواع مع ان الاصوليين تعرضوا لها . واستفاد الدسوقي منهم ، ووسَّعَ بحث الموضوع وأدخل معظم هذه المعاني في المجاز المرسل ، وذكر علاقاتها .

(١) حاشية الدسوقي ، ج ٣ ص ١٧٤ .

(٢) حاشية الدسوقي ، ج ٤ ص ١٥٢ - ١٥٤ .

(٣) حاشية الدسوقي ج ٢ ص ٢٩٥ ، ٢٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٧ ، ٣١٨ .

٣١٩ و ٣٢٠ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٣٥ ، ٣٣٧ وما بعدها .

(٤) المطول ص ٢٣٥ .

ولذلك نراه يذهب الى ان مباحث الامر والاستفهام ليست من فن المعاني ، وليس منه الا نكات العدول من الحقيقة الى التجوز بالامر والاستفهام « (١) ، ويقول عن التهويل في الاستفهام « استعمال أداة الاستفهام في التهويل مجاز مرسل علاقته المسببة ، لانه اطلق اسم المسبب واريد السبب ، لان الاستفهام عن الشيء مسبب عن الجهل به ، والجهل مسبب عن كونه هائلا ، لان الامر الهائل من شأنه عدم الادراك حقيقة أو ادعاء » (٢) . وبذلك أبعد البلاغة عن النحو قليلا وجعل لمباحثها قيمة أكثر مما هي في بحوث النحو .

ومن تحقيقاته البلاغية بحثه في بناء المجاز وذهابه الى ان الاختلاف في وضوح الدلالة وخفائها موجودة في التشبيه ، ولذلك فهو من علم البيان « قصدا وان توقف عليه بعض ابوابه ، لان توقف بعض الابواب على بعض لا يوجب كون المتوقف عليه مقدمة للفن » (٣) .

• وبحث النسبة بين انواع الاطناب .

والدسوقي في هذه البحوث الكثيرة يوافق القزويني مرة ويعارضه ، أو يرد عليه في كثير من الاحيان ، لقد ايده في اعتبار البديع علما مستقلا مع ان القدماء لم ينظروا اليه هذه النظرة كالزمخشري الذي ذكر ان البديع ليس علما مستقلا واطلق على الاستعارة اسم البديع ، وكالسكاكي الذي اعتبره ذبلا لعلمي المعاني والبيان ، فلماذا اعتبره القزويني فنا بذاته وجعله مع فني البلاغة الاخرين من اجل العلوم ، يقول الدسوقي : « واجيب بان الحق مع المصنف في عده له علما ، اذ البديع له موضوع يتميز به عن موضوع علم البلاغة بالحيشية المعتمدة في موضوعات العلوم ، وليس له غاية ايضا ، فجعله علما مستقلا من العلوم الادبية أوجه » (٤) .

وَرَكِدْ عَلَى الْقَزْوِينِي فِي تَقْسِيمِ عِلْمِ الْمَعَانِي ، وَلِذَلِكَ يَقُول :

(١) حاشية الدسوقي ج ٢ ص ٣١٢ - ٣١٣ .

(٢) حاشية الدسوقي ج ٢ ص ٣٠٥ .

(٣) حاشية الدسوقي ج ٢ ص ٢٩٠ .

(٤) حاشية الدسوقي ج ١ ص ٤٩ .

« اعلم ان التقديم والتأخير ، والذكر والحذف ، مثلا من احوال كل من المسند اليه والمسند ومتعلقات المسند ، فلذا ذكرت في كل من باب احوال المسند اليه و احوال المسند و احوال المتعلقات ، ومثل التقديم والتأخير ، والذكر والحذف ، في انها احوال للثلاثة القصر ، فهو تارة يتعلق بالمسند اليه ، وتارة بالمسند ، وتارة بالمتعلقات ، فكان المناسب ان لا يخص بباب بل يذكر في باب المسند اليه ، والمسند ، والمتعلقات مثل التقديم والتأخير ، والذكر والحذف ، والفصل والوصل ، من أحوال الجملة الخبرية . فالمناسب ان يذكر في احوال الاسناد كالتأكيد ، والحقيقة العقلية ، والمجاز العقلي ، ولا يخصهما بباب ، وكل واحد من الايجاز والاطناب والمساواة تارة يتعلق بالجملة ، وتارة يتعلق بالمسند ، فالمناسب ذكر هذه الثلاثة في باب الاسناد ، وفي باب المسند اليه ، والمسند ولا يخصها بباب . »

اذا علمت هذا فيقال : كان الاولى للمصنف ان لا يلتفت لبيان الحصر ، لانه معلوم بالاستقراء ، بل الاولى له ان يلتفت لتخصيص كل من هذه الامور الثلاثة بباب على حدته ، والى هذا اشار الشارح بقوله : « وهذا اى دليل الحصر اعني قول المصنف ، لان الكلام اما خبر او انشاء ، الى آخر ما ذكره في دليل الحصر » (١) .

واشار الى اهمال القزويني امورا كثيرة من خلاف مقتضى الظاهر منها : الانتقال من خطاب الواحد او الاثنين او الجمع لخطاب الاخر ، والتعبير بواحد من المفرد والمتنى والمجموع (٢) . وهذه هي التي اشار اليها السبكي في « عروس الافراح » . وأشار الى مخالفة القزويني للنحاة في تقدير الشرط في الانشاء ، فقد ذكر ان الامور التي يقدر الشرط بعدها اربعة امور مع ان النحاة عدوها خمسة بزيادة العرض ، وتساءل الدسوقي قائلا : « فما وجه مخالفة المصنف لهم ؟ » ، وأجاب :

(١) حاشية الدسوقي ج ١ ص ١٧٢ .

(٢) حاشية الدسوقي ج ١ ص ٤٩١ .

« وحاصل الجواب ان العرض لما كان مولداً من الاستفهام وليس مستقلاً كان داخلاً فيه فذكر الاستفهام مُغْنِ عنه ، والنحاة نظروا الى التفصيل فعدوها خمسة ، وان كانت ترجع لاربعة على جهة الاجمال» (١) .
 وأشار الى اهمال بعض معاني الاستفهام المجازية كالامر في نحو « فهل انتم مسلمون » (٢) أي اسكتوا ، والزجر نحو « أتفعل هذا ؟ » أي انزجر ، والعرض نحو « الا تنزل عندنا ؟ » (٣) .

وكان القزويني قد أهمل أحد انواع المجاز المرسل ، وتكلم على استعمال اسم الكل في الجزء وسكت عن اسم الكلي اذا استعمل في الجزئي ، ولعل سبب اهماله ما فيه من اختلاف وهو هل يكون مجازاً أو لا؟ فقد ذهب الكمال بن الهمام ومن وافقه الى انه حقيقة مطلقاً ، وعلله بان اللام في قولهم في تعريف الحقيقة « الكلمة المستعملة فيما وضعت له » لام التعليل ولا شك ان اسم الكلي انما وضع لاجل استعماله في الجزئي . وعلله غيره بان المجاز هو الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له اولاً ، والجزئي ليس غير الكلي ، كما انه ليس عينه . وذهب بعضهم الى التفصيل ، وحاصله ان استعمال الكلي في الجزئي ان كان من حيث اشتماله على الكلي فهو حقيقة ، وان كان استعمالاً فيه لا بالنظر لما ذكر بل من حيث ذاته كان مجازاً (٤) . وليس وراء هذا الخلاف جدوى ، وقد احسن القزويني صنعا حينما تركه .



هذا هو التفتازاني ، وهذه هي الشروح والحواشي على كتابيه « المطول » و« المختصر » ، ويتضح لنا ان البيئة العربية حولتهما الى مادة صالحة لدراسة البلاغة بعد ان كان فيهما غموض والتواء وانصراف الى الفلسفة والمنطق ، وبذلك خدمت مصر البلاغة العربية وحفظت المدرسة الكلامية وغدتها .

(١) حاشية الدسوقي ج ٢ ص ٢٢٩ .

(٢) سورة هود ، الآية ١٤ .

(٣) حاشية الدسوقي ج ٢ ص ٣٠٦ .

(٤) حاشية الدسوقي ج ٤ ص ٣٧ .

عصام الدين الاسفراييني

ولم يكن التفتازاني آخر من شرح التلخيص في البيئة الفارسية ،
وأما سار على منهجه آخرون كانت لهم جولات في هذا الميدان •
وترك المشرق علما من هؤلاء الاعلام هو ابراهيم بن محمد بن عربشاه
عصام الدين الاسفراييني (٩٥١ هـ)^(١) صاحب التلخيص المسمى
بالاطول الذي نقد فيه كثيراً من بحوث التفتازاني في « المطول » وهو
شرح ممزوج كشروح التلخيص الاخرى • وقد كتبه بعد أن اطلع على
شرح التفتازاني ، وحاشية السيد الشريف ، وكتب عبد القاهر ،
والرضي ، والزمخشري ، وابن الاثير • وكان اهتمامه بأراء التفتازاني
والسيد الجرجاني اكثر من اهتمامه بغيرهما ، واستفاد من آرائهما وأيد
بعضها ، ونقدها في كثير من المواضع ، واكثر من الرد على التفتازاني مع
أنه يقول عنه « العالم الرباني أستاذ الفضلاء العلامة التفتازاني »^(٢) •
وقد رجعنا الى ردوده في الكتاب فلم نجد فيها فائدة ، أو قيمة بلاغية ،
لان اكثرها ردود فلسفية بعيدة كل البعد عن مقاييس الفن الذوقية •

وقد رد عليه في الاصوات ، والمجاز العقابي ، وحذف المسند اليه ،
والاستغراق ، والقصر ، والاستفهام ، والفصل والوصل ، والتشبيه ،

(١) تنظر ترجمته في شذرات الذهب ج ٨ ص ٢٩١ ومعجم المطبوعات ج ٢ ص ٢٣٠

وتاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها ص ١٧٩ وكشف الظنون ج ١ ص ٤٧٧ •

(٢) الاطول ج ١ ص ٣ •

و التمثيل وغيرها من مباحث الكتاب (١) .

وتتجلى في هذا الشرح العقلية المشرقية التي تعتمد على المنطق والفلسفة ، وتبتعد عن تحكيم الذوق والمقاييس الفنية في النقد والبلاغة . فبعد ان رأينا بهاء الدين السبكي يمزج الادب بالاصول والفلسفة ، نجد عصام الدين يتعد ابتعادا تاما عن النزعة الادبية ، ويسرف اسرافا عظيما في التمحلات والتأويلات وادخال كل غريب في البلاغة . ويبدأ كل فصل من فصول الكتاب بابتهاال ودعاء يشمل موضوعات الفصل ، يقول - مثلا - قبل الشروع في بحث علم المعاني: « ولما فرغنا من شرح المقدمة وحان الشروع في شرح علم المعاني نقول متضرعا متذللا سائلا الالهام الرباني الهني نعوذ بك عن الملاهي ، ونلوذ بأوامرك في الاجتناب عن المناهي ، ونسألك التمتع بأسرار المثاني وفهم معانيه الاول والثواني ، واحراز ما وعدته بقراءة كل حرف من حروف المباني . ونبتهل اليك في التخصيص بفهم مزايا أودعتها فيها للمخووص وبالعمل بما يعرف عنها الاجتهاد ، مقرونا بكمال الاخلاص ونطلب منك التوفيق لتحقيق اسناد جميع الكائنات اليك في كل حال ، ولضبط كل مسند الى خير مسند اليه نبي الرحمة من الافعال والاقوال ومفازا بمراتب علية هي متعلقات الافعال والاعمال . ونرجو منك قصر أنظارنا على انشاء ما يوجب الوصل الى موجبات معرفتك والفصل عما يوجب خفة موازيننا بل مساواتها والاتقطاع عن مغفرتك . الهني اغننا بايجاز جوامع الكلم في المسألة عن الاطناب ، والهمنا رشدنا واهدنا الصراط المستقيم في جميع الابواب » (٢) .

لقد ذكر عصام الدين في هذا الابتهاال موضوعات علم المعاني ، وهو حصر لا نرى له موجبا وهو الى سخف الكلام أقرب .

(١) الاطول ج١ ص ٢١ و ٦٩ و ٧٥ و ٧٦ و ٨٢ و ١٠٣ و ١٩١ و ٢١٧ و ج٢ ص ٨

و ١ و ٢١ و ٩٥ و ١٥٦ -

(٢) الاطول ج١ ص ٢٨ .

ويقول في اول علم البيان : « الهي هب لنا معرفة واحد تعدد فيه بطرق مختلفة واضحة الدلالة ، متباعدة عن انثسيه والتمويه ، ونجنا بظهور الحقيقة عن الاطمئنان بالمجاز ، ونجنا بايضاح كنايات البيان وتلخيصها عما يحول بيننا وبين المجاز . واجعل وجوداتنا المستعارة قرائن البقاء في الزلفي ، ووقفنا للتيمن بسم الله الرحمن الرحيم من الاسماء الحسنى » (١) .

ولا نجد هذا السخف في الشروح التي عرضناها سابقا ، ولا نجد عندهم الاعتماد على النصوص الفارسية لتوضيح قاعدة بلاغية ، فقد ادخل عصام الدين بعض انبارات لتأييد رأي أو ترجيح آخر ، وقد يقال أن هذا حسن منه ، ولكننا نرى أنه لم يأت بشيء ذي فائدة لانه اقتصر على أمثلة معينة ولم يعمم هذا في كتابه ليكون بحثا في البلاغة المقارنة .

ويتصف الشرح الاطول بعد هذا كله بأنه ركيك العبارة، فيه اخطاء لغوية ونحوية كثيرة ، وفيه تعقيد ، وقد فاق التفتازاني واضرابه في هذا ، وليس هذا بالعجيب لانه كان في عصر مظلم وفي بيئة لا تعرف للعريية طعما .

وفي الاطول اشارات نفيدة ومن أهمها ما يتعلق بخروج الاستفهام والامر عن معانيهما الى المعاني المجازية ، ويرى أن الخروج لا يجوز الا « لمعرفة القرائن والعلاقات اذ لو فات شيء منهما خرج استعمالك من حيز اللطف والسداد الى مزقة العنف والفساد » (٢) .

ويقول في خروج الخبر عن معناه : « فالخبر في هذه الصور مجاز لاستعمالها في غير ما وضع له ويحتمل بعضها الكناية . هذا وفيه ان اللفظ لا يكون محتملا للمجاز والكناية ، لانه ان وجدت القرينة المانعة عن ارادة الحقيقة فمجاز بلا شبهة والا فكناية » (٣) .

(١) الاطول ج ٢ ص ٥٠ .

(٢) الاطول ج ١ ص ٢٤٢ .

(٣) الاطول ج ١ ص ٢٥٢ .

وله بعض التحقيقات والآراء التي نذكر منها على سبيل المثال ،
رأيه في اشتقاق القصر ، يقول : « في القاموس القصر اختلاط الكلام
ولا يبعد أن يكون النقل منه ، لانه في القصر الاصطلاحي اختلاط الحكم
الايجابي بالسلبى » (١) .

وله تحقيقات في القصر ، والفصل والوصل ، غير أنها تحقيقات
لا فائدة فيها .

وذكر أن البلاغيين فاتهم الاطناب في قسم لم يضبطوه وهو الاجمال
بعد التفصيل ، ولم يسمه ابهاما بعد الايضاح اذ لا يصير ما يعقب
الايضاح مبهما (٢) .

ولعل من أهم ما يلتفت النظر أنه يرى أن الاستعارة بالكناية استعارة
مقلوبة مبنية على التشبيه المقلوب لكمال المبالغة في التشبيه فهو أبلغ من
المصرحة ، فكما قولنا أن السبع كالمنية تشبيه مقلوب يعود الغرض منه
الى المشبه به ، كذلك « أنشبت المنية أظفارها » استعارة مقلوبة استعير
بعد تشبيه السبع بالمنية للسبع الادعائي وأريد بالمنية معناها بعد جعلها
سبعا تنبئها على ان المنية بلغت في الاغتيال مرتبة ينبغي ان يستعير السبع
عنها اسمها دون العكس (٣) .

وكان عصام الدين معجبا بالقزويني لذلك وضع شرحه الاطول على
تلخيص المفتاح ، ولم يسلم منه فقد تقدمه ، وفند بعض آرائه ، وكان
يفضل أحيانا رأيا للزمخشري ، أو السكاكي ، أو التفتازاني ، او
السيد الشريف .

ودافع عن القزويني عندما رأى بعضهم انه اسرف في نقد مفتاح
العلوم وأيده في تعريف علم المعاني وفي المجاز العقلي وغيرها ، ورد

(١) الاطول ج ٢ ص ٢١٢ .

(٢) الاطول ج ٢ ص ٤٠ .

(٣) الاطول ج ٢ ص ١٤٩ - ١٥٠ .

عليه في تسمية الخبر الابتدائي فقال : « انما سمي به لانه ابتداء كلام
من غير سبق طلب أو انكار ، كذا نقل عن المصنف وتبعه السيد السند
في شرح المفتاح ، والظاهر انه احداث صورة نسبة في المخاطب من غير
سبق حضورها في نفسه » (١) .

ونقده في اقتضاء التقديم وجعل الفعل مسندا ، واوجه التنكير
والقصر والايجاز والاطناب والتتيم وغيرها .

(١) الاطول ج ١ ص ٦٢ .

السيوطي

وينبغي ألا ننسى في هذا المقام عبد الرحمن جلال الدين السيوطي (٩١١ هـ) ^(١) الذي يقول عن نفسه : « ورزقت لتبحر في سبعة علوم : التفسير ، والحديث ، والفقه ، والنحو ، والمعاني ، والبيان ، والبديع ، على طريقة العرب والبلغاء لا على طريقة العجم وأهل الفاسفة » ^(٢) . وله في البلاغة : « نكت على التلخيص » يسمى الافصاح و « عقود الجمان في علم المعاني والبيان » ، وشرحه ، « وشرح أبيات تلخيص المفتاح » ومختصره ، « ونكت على حاشية المطول » للفنري ، و « حاشية على المختصر » ، والبديعية المسماة « نظم البديع في مدح خير شفيع » وشرحها ، عارض بها بديعية ابن حجة وأولها :

من العقيق ومن تذكاري ذي سلم
براعة العين في استهلالها بدم

وهو في هذه الكتب ينحو منحى القزويني من غير أن يضيف شيئاً الى البلاغة وقد بحث في كتابه « المزهري » الفصاحة والحذف والاختصار والحقيقة والمجاز والاستعارة والعام والخاص ^(٣) .

(١) تنظر ترجمته في حسن المحاضرة ج ١ ص ١٩٠ والفوائد البنية ص ١٢ وروضات

الجنات ص ٤٢٢ والخطط الجديدة ج ١٢ ص ١٠٥ .

(٢) حسن المحاضرة ج ١ ص ١٩٠ .

(٣) المزهري ج ١ ص ١٨٤ - ١٩٧ و ٣٣١ - ٣٤٥ و ٣٥٥ - ٣٦٨ .

وتكلم على علوم البلاغة بإيجاز في كتاب « النقاية » وشرحها «اتمام الدراية لقراء النقاية » ، وهو في هذين الكتاين وغيرهما يتجه اتجاه القزويني في العرض والتقسيم والامثلة ، ولعل بحثه بعض المسائل البلاغية في « الاتقان في علوم القرآن » كان أحسن من بحثه لها في كتبه المتقدمة ، لانه تحرر قليلا من سيطرة منهج القزويني ، وقد تكلم على الحقيقة ، والمجاز ، والتشبيه ، والاستعارة ، والكناية ، والتعريض ، والخبر ، والانشاء . وعرض بعض الآراء ولم يتقيد بمنهج من تقدموه من شراح التلخيص . ولعل سبب تحرره من منهج القزويني أنه لم يبحث في البلاغة وانما كان يكتب في علوم القرآن الكريم ، ومن هنا حاول الابتعاد عما يضييق سبيله ، ويشغله عن القرآن الكريم ، وروعه ، ولكنه لم يكن مع ذلك صاحب فكرة طريفة ، ومنهج جديد واضح .

ولعل كتاب « شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان » أقرب كتب السيوطي الى بلاغة القزويني ، لان هذا الكتاب شرح لارجوزته المسماة « عقود الجمان » التي نظم السيوطي فيها تلخيص القزويني ، واولها :

وهذه أرجوزة مثل الجمان	ضممتها علم المعاني والبيان
اخصت فيها ما حوى التلخيص مع	ضم زيادات كأمثال اللع
ما بين اصلاح لما ينتقد	وذكر أشياء لها يعتمد
وضم ما فرق له للمشبه	والله ربي أسأل النفع به
وان يزكي عملي ويعرضا	عن سؤله وان ينيلنا الرضا

ورب موضوعات البلاغة فيها كما ذكرها القزويني في التلخيص ، فقد كان السيوطي معجبا بالرجل ايما اعجاب ، وكان يحتفظ بنسخة من التلخيص بخط مؤلفه ، يقول : « والتلخيص تأليف قاضي القضاة جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني ، وعندني نسخة بخط

مؤلفه ، وترجمته بسطتها في طبقات النحاة » (١) .

ورأى السيوطي ان هذه الارجوزة بحاجة الى شرح وتعليق لينتفع بها ، فوضع كتابه « شرح عقود الجمان » ، وفيه اوضح ما غمض في الارجوزة ، و اشار الى الآراء المختلفة ، وختم بحث البديع ببديعية ابن حجة الحموي ، ليكون كل بيت منها على تسمية النوع الذي فيه على سبيل التورية .

وليس في هذا الكتاب آراء جديدة ، والتفادات تقديية لها قيمتها وأهميتها ، وهو ككتبه الاخرى جمع للآراء ، وعرض للموضوعات . وبذلك نجد السيوطي في هذا الكتاب قد خدم القزويني وكتبه ، أكثر من خدمته للبلاغة .

(١) شرح عقود الجمان ص ٢ .

قيمة الشروح :

هذه أهم شروح التلخيص ، وقد رأينا أن كتاب تلخيص مفتاح العلوم للقزويني كان ميدانا رحبا للمؤلفين يجربون في شرحه أقلامهم ، ويقدمون أذهانهم في فهم عباراته وربط جملة بجملة ، أو تعلق حرف بكلمة • وأصبح دافعا الى الشرح والتحشية ، فكانت البلاغة في القرون : السابع والثامن والتاسع ، متنا هو التلخيص وشرحا عليه ، وكانت حواشي على الشروح في القرون : العاشر والحادي عشر والثاني عشر ، وكانت تقارير على الحواشي في القرنين الثاني عشر والثالث عشر ، وهي حلقات أقل ما يقال فيها انها مفرغة لا تقع فيها • ولعل الذي وجه البلاغة هذه الوجهة أمران :

الاول : موت الملكات الادبية والمواهب الفنية بسبب ما أصاب الحياة من تدهور في جميع نواحيها •

والثاني : ان معظم هؤلاء الشراح كانوا معلمين يجلسون الى طلابهم يشرحون لهم علوم اللغة العربية ، ولم تكن طريقتهم في التدريس يومذاك الا قراءة المتن والتعليق عليه • ومن هنا جاءت الشروح والحواشي والتقارير الكثيرة ، وأصبحت البلاغة تلامس والغازل يحار في فهمها المدارس •

وجميع هذه الشروح ملأى بمسائل فلسفية استعارها الشراح من الفلسفة، ومفعمة بمسائل أصولية أخذوها من علم الاصول، وما تحدث فيه أصحابه من بحوث الخبر والانشاء، والحقيقة والمجاز. أما النقد الصحيح والذوق المرهف والاحساس المدرك فلا نجده فيها الا قليلا كشرح السبكي الذي كان مزيجا لبقا من البحوث الادبية والفلسفية، ومن هنا يرى بعض نقادنا: « أن من يطيل النظر في هذه الشروح والتفاسير تفسد ملكته، ويفسد ذوقه الادبي، ويفقد كل قدرة على المتعة بروائع الشعر والنثر وتبين ما فيها من حسن وجمال » (١). وذلك لما فيها من غريب لا يمت الى البلاغة بصلة، ولان اسلوبها ضعيف ركيك فيه مخالفة للقواعد الصرفية والنحوية واللغوية.

ولهذه الشروح والحواشي قيمة نحوية، فكثيرا ما نجد الاراء المختلفة في المسألة الواحدة لنحاة متعددين ضاعت كتب بعضهم، ونلاحظ هذه الناحية واضحة جلية في كتاب « عروس الافراح » للسبكي، الذي فيه كثير من آراء الكوفيين كالكسائي، والفراء، وثعلب، وآراء المبرد، والاخفش، وابن السراج، والفارسي، وأبي البقاء، وآراء البصريين كسيبويه، وآراء أهل الاندلس كأبن مالك، وابن عصفور، والشلوبين، وأبي حيان النحوي الاندلسي، وان النحوي ليستطيع ان يستخرج من هذا الشرح معلومات كثيرة، مفيدة في النحو.

وللشروح بصورة عامة أهمية بالغة في دراسة النحو بمعناه الواسع، لان بحثها لعلم المعاني كان مفصلا، ويمكن الاستفادة منها بهذا الصدد كالحذف والذكر، والتقديم والتأخير، والقصر، والفصل والوصل، وبذلك نعيد للنحو اعتباره ونجعله علما له اصالته، أما النحو بمعناه المتأخر فليس نحوا، وانما هو دراسة الاعراب والبناء.

وفيه الى جانب ذلك معلومات تاريخية وأدبية قد لا نجدها في

(١) النقد للدكتور شوقي زيف ص ١٠٦.

غيرها من الكتب • وقد نقل لنا السبكي عن ابيه كثيراً من آرائه
واقواله مما لا نجد في غير « عروس الافراح » ، وبذلك قدّم لايه
خدمة جلى ، وحفظ آراءه وأقواله ، وقدّم للاجيال المتعاقبة بحوثا
كادت تضيع وتعصف بها الايام •

ولعل أهمّ ما في الشروح بعد هذا كله ، انها تفتح الذهن على
مسائل كثيرة قد يغفل عنها الباحث : لانها تذكر وجهات النظر المختلفة ،
وقد يكون الدارس ساهيا أو لا يستطيع أن يستخرج الآراء المختلفة
من كتب أصحابها ، ولكنه يستطيع بكل سهولة ويسر أن يقف عليها في
الشروح ، ويستطيع بعد ذلك أن يعود الى مصادرها ليرى الآراء
بالتفصيل •

وإذا ما أردنا أن نستفيد من هذه الشروح ، فان عروس الافراح
للسبكي ، ومواهب الفتاح للمغربي من خيرة هذه الكتب في البلاغة
المتأخرة ، ففيها عرض للأفكار والآراء المختلفة في المسألة الواحدة ،
وفيها نقاش مهما يكن شكليا فله أهميته وقيمته في دراسة البلاغة • ومن
أجل هذا نرى أن على المجدد اذا ما أراد ان يعيد الى البلاغة رونقها
وبهاءها أن يقتل هذين الشرحين درسا وبحثا ويقف على الآراء المختلفة
فيأخذ منها ما فيه النفع وانارة السبيل ، ويدع ما لا قيمة له ، وما فيه
ابتعاد عن البلاغة والنقد الادبي •

وهكذا كان لتلخيص القزويني وايضاحه أثر كبير في الحركة
البلاغية ، وسيطر هذان الكتابان على مناهج الدرس والتأليف ، وقد
صدق القلقشندي حينما قال : « واكثر اعتماد أهل الزمان فيه على
تلخيص المفتاح للقاضي جلال الدين القزويني فأغنى ما وضع فيه عن
ايراده هنا » ^(١) • وقال فيه في موضع آخر : « وأعظمها شهرة بالديار

(١) صبح الاضنى ج ١ ص ١٨٥ •

المصرية تلخيص المفتاح لقاضي القضاة جلال الدين القزويني وعليه عدة شروح» (١) .

واستمر التأليف على غرار تلخيص القزويني وإيضاحه ، لا يخرج المؤلف عن عبارته ، أو عبارة السكاكي ، وأصبحت الكتب المتأخرة خدماً للتلخيص لا للبلاغة ، ولم يأت أحد بجديد ، وانصرفت الهمم إلى حفظ ما أثر عن المتقدمين حتى بدأت طلائع النهضة الحديثة .

(١) صبح الاعشى ج ١ ص ٤٦٩ .

الفصل الثاني

الفزوني والبلاغة الحديثة

١

ظلت البلاغة العربية على الحالة التي اطنا الكلام عليها في الفصول السابقة ، وبقي التلخيص والايضاح محور الدراسات البلاغية والنقدية حتى أطل فجر النهضة الحديثة على أمة العرب ، فأحس الناس أنه لا بد أن تتغير طرائق التدريس ، ولا بد أن تتجدد مناهج البحث والتأليف فأخذ الدارسون يحيون تراثهم ويخرجون بحوثا فيها طرافة وتجديد . وكان للبعثات العلمية منذ عهد محمد علي أهمية كبيرة في اتصال العرب بالغرب والاطلاع على مناهج بحثه ، وطرق تأليفه . وقد أشاع المبعوثون مفاهيم جديدة في البلاغة بعد أن رأوها في الغرب قد تخلصت من رواسب الماضي ، واتجهت اتجاهها جديدا فيه نفع في تقييم الادب . وادمجت في « علم أوسع شأنا وأعظم خطرا ، هو علم الاسلوب الحديث وفيه اتسعت النظرة وعني بالوجوه الجمالية التي ساعدت على صدق الكاتب واصالته ، وشملت ميادين فسيحة جديدة لم تكن لتخطر للبلاغيين من قبل على بال » (١) .

(١) المدخل الى النقد الحديث ص ٢٥٢ .

وبقيت بلاغتنا كما كانت في عصور الشروح والحواشي ، ليس فيها
تفع وفائدة في نقد الادب وتقديره واستفاد المؤلفون العرب مما رأوه
عند الاوربيين ، وأخذوا يخرجون كتباً فيها عمق الكتب العربية القديمة
وواصلتها ، وفيها طرافة البحوث الجديدة .

الازهر والبلاغة :

وكان الازهر الشريف أول من حمل لواء التجديد في البلاغة بعد
الاصلاحات الكثيرة التي ادخلت في مناهجه وطرق تدريسها ، فقد كانت
تدرس في الازهر علوم لغوية مختلفة قبل نظام الازهر لسنة ١٣١٤ هـ -
١٨٩٦ م ، وقد جاء بيانها في رسالة مقدمة من شيخ الازهر الى الخديوي
في سنة ١٣١٠ هـ - ١٨٩٢ م ، وقد اشتملت هذه الرسالة على الموضوعات
الآتية : علم التوحيد ، والتصوف ، والتفسير ، والتجويد ، والقراءات ،
والحديث ، ومصطلح الحديث ، وفقه المذاهب الاربعة ، وأصول الفقه ،
واللغة ، والنحو ، والصرف . أما البلاغة فقد كانت تدرس في تلخيص
القزويني بشرح التفتازاني ، ومفتاح العلوم للسكاكي بشرح السعد والسيد
الجرجاني ، والجوهر المكنون للاخضري بشرح الدمنهوري ، وعقود
الجمان وشرحه للسيوطي ، ومنظومة ابن شحنة ، والرسالة البيانية
للصبان والسمرقندية^(١) .

ولما وضع قانون سنة ١٣١٤ هـ - ١٨٩٦ م كان يدرس من علوم
البلاغة في السنة الثامنة « الجوهر المكنون » ، وفي التاسعة والعاشر
« شرح السعد المطول » بحاشية الدسوقي^(٢) . وعندما وضع نظام
سنة ١٣٢٦ هـ (١٩٠٨ م) نالت البلاغة بعض التطور والتجديد في
تدريسها وكتبها ، فكان يدرس من علم البيان في السنة الثالثة رسالة
الدردير أو السمرقندية ، وفي الثامنة القسم الثاني من السعد على
التلخيص ، ويدرس من علم المعاني في السنة السابعة القسم الاول من

(١) ينظر تاريخ الاصلاح في الازهر ص ٥٤ .

(٢) تاريخ الاصلاح في الازهر ص ٦٢ .

السعد على التلخيص • وكان القسم الثالث من السعد على التلخيص يدرس في السنة الثامنة • ووضعت دراسة جديدة تسمى البلاغة التطبيقية يدرس منها في السنة التاسعة « دلائل الاعجاز » ، وفي العاشرة « أسرار البلاغة » أو « كتاب الصناعتين » لابي هلال العسكري (١) •

وكان هذا التطور بفضل الشيخ الامام المرحوم محمد عبده الذي اخذ يحيي كتب السلف النافعة وعلومهم ، ويقوّم ما اعوجّ من مناهج التأليف وطرائق التدريس • وقد انصرف الاستاذ الامام الى تدريس كتابي « دلائل الاعجاز » و« أسرار البلاغة » لعبد القاهر ، ففتّح اذهان الطلبة ، وقوّى مداركهم ومواهبهم ، لانهم وجدوا في تدريس الامام غير ما ألفوه ، وبذلك كان الجامع الازهر أول معهد من معاهد التعليم الاسلامي والعربي فريء فيه « دلائل الاعجاز » و« أسرار البلاغة » درسا لطلاب البلاغة ، ولاجله طبع الكتابان وانتشرا في معاهد التعليم • ولكن اساتذة الازهر أحجموا بعد الامام عبده عن تدريسهما مع انهما مقرران للتدريس رسميا ، وبذلك احتضرت الدراسات البلاغية بعده ، وكادت تموت •

وتخرج في الازهر الشريف في مطلع العصر الحديث جيل فيه عزم على البحث ، وفي روحه اندفاع الى التجديد • وانشأ الخديوي اسماعيل دار العلوم سنة ١٢٨٩ هـ (١٨٧٢ م) بإشارة من علي مبارك ناظر ديوان المدارس ، وكان الغرض من انشائها أن يتعمق الطلبة في الدراسات الاسلامية والعربية • وقد صانت هذه الدار اللغة العربية حتى أن الامام محمد عبده اعجب بها فكتب عنها في تقريره عن امتحانها النهائي الذي رأسه سنة ١٩٠٤ م « واني انتهز هذه الفرصة للتصريح بسكائة هذه المدرسة في نفسي وما اعتقده من منزلتها في البلاد المصرية ومن اللغة العربية : ان الناس لا يزالون يذكرون اللغة العربية ، واهمال اهلها في تقويتها ، ويوجهون اللوم الى الحكومة لعدم عنايتها بأمرها •

(١) تاريخ الاصلاح في الازهر ص ٧٧ - ٧٨ •

ولم اسمعهم قط ينصفون هذه المدرسة ، ولا يذكرونها من حسنات الحكومة . فان باحثا مدققا لو اراد ان يعرف أين تموت اللغة ، واين تحيا لوجدها تموت في كل مكان ، ووجدها تحيا في هذا المكان» (١) .
وكان بعض طلاب الازهر ممن تتلمذوا على الشيخ محمد عبده اساتذة في هذه الدار فبعثوا في البلاغة روحا جديدا .

كتب جديدة :

ومن الكتب المؤلفة في فجر النهضة الحديثة وما قبلها بقليل كتاب « حسن الصنيع في علم المعاني والبيان والبديع » لجامعه الشيخ محمد البسيوني البيباني (١٣١٠ هـ) (٢) . وقد وضعه استجابة لرغبة خيري باشا ناظر المعارف يومذاك ، ويعتبر هذا الكتاب حسنة من حسنات ذلك العصر الذي لم تكن للمؤلفين فيه وجهة سوى تأليف الحواشي والتقاريرات ، مع عنايتهم بالبحوث اللفظية لا تسهيل العلوم وضبط مسائلها . والكتاب صورة مصغرة من كتاب الايضاح للقزويني مع اختلاف قليل في المنهج ، فقد غيّر قليلا في منهج مبسّط علم المعاني ، ولم يوزع موضوعات الحذف والذكر ، والتقديم والتأخير ، وغيرها على المسند اليه والمسند، وانما جمع كل موضوع في فصل واحد، فبحث تقديم المسند اليه والمسند في مبحث ، وحذف المسند والمسند اليه في مبحث آخر ، وهكذا في جميع المباحث ، وهذا عمل يحمد عليه المؤلف . وبحث المجاز العقلي في علم البيان كما فعل السكاكي ، وبذلك خالف القزويني من هذه الناحية . وكان البسيوني في علم البديع أوسع افقا من القزويني حيث بحث موضوعات خاتمة التلخيص والايضاح في البديع ، فتكلم في المحسنات المعنوية على براعة الاستهلال ، والتلميح ، والتضمين ، والاقتباس ، والعقد ، والحل . ونستطيع أن نعتبر هذا

(١) نشأة النقد الادبي الحديث في مصر ص ٥٢ ، ومستقبل الثقافة في مصر

ص ٢٧٩ ، ٢٩٠ ، والتعليم في مصر ص ٦٥ ، ٨١ .

(٢) تنظر ترجمته في تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها ص ٢١١ .

الكتاب بادرة طيبة من البسيوني واضرا به لانه نبه الناس الى التأليف في البلاغة والنقد ، وعدم التمسك بالشروح والحواشي والتقاريرات ، أو التمسك بمنهج السكاكي والقزويني . ويمكن القول ان البسيوني لو استطاع أن يفلت من منهج القزويني وبلاغته لاتي بكل طريف رائع .

وكتب حفني ناصف (١٣٣٧ هـ) (١) « قواعد اللغة العربية » وهو مجموعة في النحو ، وانصرف ، والبلاغة . ويشبه القسم البلاغي منه كتاب البسيوني ، لان حفني ناصف وزملاءه خالفوا القزويني في مباحث علم المعاني في الامور التي خالفه فيها البسيوني . وبقي الكتاب رديحا من الزمن العمدة في تعليم اللغة العربية مع ما فيه من اختصار .

وعاد الشيخ أحمد الحملاوي (١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م) (٢) في كتابه « زهر الربيع في المعاني والبيان والبديع » الى منهج القزويني ، وقسم علم المعاني كما قسمه ، وذكر المجاز العقلي فيه ، وسار على خطاه في توزيع مباحث علم البيان إلا أنه خالفه بعض المخالفة في علم البديع ، ورتب فنونه كما رتبها أصحاب البديعيات . واطال في ذكر انواعها وامثلتها . وتبدو استفادته واضحة من كتاب « عروس الافراح » للسبكي و« خزانة الادب » للحموي . وأضاف الى بعض فصول الكتاب تمرينات لا تخلو من فائدة . والكتاب حلقة جديدة في التأليف بعد الجمود الذي اصاب الدراسات البلاغية والنقدية ، وما يزال يدرس في بعض المعاهد ويطلع كل حين .

وللاستاذ علي عبدالرازق « أمالي في علم البيان وتاريخه » . والجديد في هذا الكتاب قسمه الاول الخاص بتاريخ علم البيان ، فقد استعرض المؤلف هذا العلم منذ نشأته حتى الفترة المظلمة ، وخصص القسم الثاني لدراسة موضوعات البيان وهي : التشبيه ، والمجاز ، والاستعارة ، والكناية ، وعرض الآراء المختلفة في كل موضوع ، ولكنه

(١) تنظر ترجمته في تاريخ علوم البلاغة ص ٢١٣ .

(٢) تنظر ترجمته في تاريخ علوم البلاغة ص ٢١٧ .

لم يخرج عما رسمه السكاكي والقزويني • ولو تجاوز المؤلف بلاغة القزويني لاستطاع أن يأتي بكل طريف ، لأنه كان ذا عقلية ناضجة واحساس مرهف ، وله بعض الالتفاتات القيمة في منهج السكاكي وتمحلات البلاغين في تحديد مباحث علم البيان ، واستعاتهم بالدلالات العقلية • وكان هذا الكتاب مدعاة للتفكير في إعادة النظر في مفاهيم البلاغة القديمة ، فاستفاد منه الاستاذ احمد مصطفى المراغي في نقد منهج السكاكي وأوحى الى الدكتور بدوي طبانة كتاب «البيان العربي» الذي كان نسخة موسعة منه مع تجديد في العرض ، وازافة ملاحظات لها قيمتها وأهميتها •

وللاستاذ أحمد الهاشمي كتاب « جواهر البلاغة » ، وقد نهج فيه نهجاً قريباً من منهج القزويني ، إلا أنه اختلف عنه في بحث الانشاء وحقيقته بعد أن تكلم على الخبر ، ثم ذكر أحوال المسند اليه ، والمسند ، ومتعلقات الفعل ، والقصر ، والفصل والوصل ، والايجاز والاطناب والمساواة . اما البيان والبديع فقد سار فيه على خطاه ، وازاف اليه بحث التصحيف ، والمواربة ، وائتلاف اللفظ مع اللفظ ، والتسميط ، والانسجام ، والسهولة ، والاكتفاء ، والتطريز • وختم الكتاب بالبحث في السرقات وما يتبعها • وازاف اليه تمرينات ليستفيد منها الطلبة ، ويتمرنوا على الاساليب • وكتاب جواهر البلاغة من الكتب المدرسية الجيدة ، ولا يزال يدرس في المعاهد والثانويات •

ووضع الاستاذ احمد مصطفى المراغي^(١) « علوم البلاغة » على غرار تلخيص القزويني وایضاحه ، مع ترتيب آخر لمباحث علم المعاني ، فقد قسمها الى الخبر ، والانشاء ، والذكر والحذف ، والتقديم والتأخير ، والتعريف والتكبير ، والتقييد ، والخروج عن مقتضى الظاهر ، والقصر ، والفصل والوصل ، والايجاز والاطناب والمساواة ، وبذلك رتب موضوعاته وکلم شتاتها تحت باب واحد وسار على خطا القزويني في

(١) تنظر ترجمته في تاريخ علوم البلاغة ص ٢١٩ .

تقسيم علمي البيان والبديع ، وجمع في كتابه بين طريقة عبد القاهر ومنهج السكاكي والقزويني ، واستفاد من امثلة الاول وتعليقاته ، وأخذ عن الآخرين منهجها وتقسيماتهما مع تغيير قليل .

واهم كتب البلاغة الحديثة « البلاغة الواضحة » للاستاذين علي الجارم ، ومصطفى امين^(١) . وقد كان هذا الكتاب حلقة الانتقال بالبلاغة من طابعها القديم المعتمد على تقرير القواعد ، وحفظ القوالب الى الاهتمام بالتحليل . وقد اتبع المؤلفان طريقة تربوية جديدة في التأليف ، فكانت الامثلة تأتي قبل الشرح والقواعد ، ثم تحلل ويشرح ما فيها من فنون بلاغية . وينتقل المؤلفان بعدها الى تقنين القواعد ، ثم عرض التمرينات . وقد سارا فيه من علم البيان ، فالمعاني ، فالبديع . ولم يدرسا من الاخير الا الجناس ، والاقتباس ، والسجع ، والتورية ، والطباق ، والمقابلة ، وحسن التعليل ، وتأكيذ المدح بما يشبه الذم ، وعكسه ، وأسلوب الحكيم . ولعل أهم ما يمتاز به كتاب البلاغة الواضحة البحث في الاسلوب وهو « المعنى المصوغ في الفاظ مؤلفة على صورة تكون أقرب لنيل الغرض المقصود من الكلام وافعل في نفوس سامعيه »^(٢) . وقسماه الى : الاسلوب العلمي ، والاسلوب الادبي ، والاسلوب انخطابي . وبذلك كان هذا الكتاب من اوائل الكتب التي بحثت في الاسلوب في العصر الحاضر . وكانت هذه الكتب عماد دراسة البلاغة في مصر والاقاليم العربية الاخرى ، مع وجود مؤلفات عربية ككتاب « الخواطر الحسان في المعاني والبيان » للاستاذ جبر ضومط و« المبسط في علوم البلاغة » للاستاذ محمد طاهر اللاذقي .

هذه أهم كتب البلاغة التي أتجه فيها اصحابها الى القزويني ، يأخذون منه منهجه ، وطريقة عرضه وامثلته . وقد رأينا انها لم تقدم

(١) تنظر ترجمتهما في تقويم دار العلوم العدد الماسي ص ١٦٢ ، ٢٠٥ والبيان العربي

(الطبعة الثالثة) هامش ص ٢٦٢ .

(٢) البلاغة الواضحة ص ١٢ .

للبلغة العربية الحديثة شيئا ذا نفع ، ولم تغير منهج البحث والتأليف •
ونبع كثيرون من خريجي الازهر ودار العلوم ، وكانت لهم كتب
فيها تجديد ، ونزعة ادبية وكان الاستاذ احمد مصطفى المراغي من خيرة
اساتذة دار العلوم في بحث البلاغة حيث الف كتاب « علوم البلاغة »
الذي أشرنا اليه • و« تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها » وهو
بحث موجز في تاريخ البلاغة العربية ، وترجمة أهم رجالها الاعلام ،
وفيه آراء قيمة ، ونظرات صائبة في منهج السكاكي • ولنراغي كتاب
« بحوث وآراء في علوم البلاغة » وهو البحوث التي ذكرها فيما بعد
مبوبة مهذبة في كتابه : « تاريخ علوم البلاغة » وان اختلفت طريقة
العرض والتأليف •

الجامعة والبلاغة :

ولما انشئت الجامعة المصرية سنة ١٩٠٨ م ، قام اساتذتها بجددوني في
بحوثهم ، مستهدين بتراثهم القديم ، ومناهج الغربيين • وكان للبلاغة
نصيب ليس بالقليل من هذا التجديد ، وتطبيق المناهج الجديدة ،
والاستفادة مما وصل اليه الاوربيون في العصر الحاضر •

ولعل الاستاذ الدكتور طه حسين كان من اوائل الذين نادوا بعث
البلاغة العربية ، وبيحثها بحثا يقوم على تفهم مرامي القدماء ومقاصدهم ،
وعلى الموازنة والمقارنة ببلاغة اليونان ، وذلك بيحثه القيم « البيان
العربي من الجاحظ الى عبد القاهر » الذي القاه في مؤتمر المستشرقين
باللغة الفرنسية في ليدن ١١ سبتمبر (أيلول) سنة ١٩٣١ م ، ونشر مترجما
بقلم الاستاذ عبد الحميد عبادي في مقدمة كتاب نقد النشر سنة ١٩٣٣ م •
وقد قرر الدكتور طه حسين أن البيان العربي في اول نشأته وفي عهد
الجاحظ تتبين فيه ثلاثة عناصر مختلفة هي : العنصر العربي ، والعنصر
الفارسي ، والعنصر اليوناني • وقد بلغ ذروته على يدي الشيخ عبد القاهر
ولم يتقدم بعد ، بل أخذ على العكس من ذلك في التأخر والانحطاط •
والجديد في هذا البحث أن الدكتور طه نَبَّه الى أثر ارسطو في انبلاغة

العربية ، وبذلك قرر ان البيان العربي كان في جميع اطواره وثيق الصلة بالفلسفة اليونانية أولا ، وبالبيان اليوناني أخيراً . ولم يكن ارسطو المعلم الاول للمسلمين والعرب في الفلسفة وحدها ، ولكنه الى جانب ذلك معلمهم الاول في علم البيان .

وكان لهذا الرأي اثر كبير فأخذ الباحثون يتلمسون ما اوجزه الدكتور طه ، ويقارنون بين بلاغة العرب وبلاغة اليونان ، فألف الدكتور ابراهيم سلامة بحثا قيما هو « بلاغة ارسطو بين العرب واليونان » أثبت فيه ما ذكره طه حسين ، وتتبع البلاغة العربية منذ الجاحظ ، متمسكا اثر ارسطو ، وموضحا فهم العرب لكتابي « الخطابة » و « الشعر » وخرج بنتائج طيبة فكان كتابه أهم بحث في هذا الميدان ، لولا وقوفه عند عبد القاهر ، واهماله السكاكي ، والقزويني ، وابن حازم القرطاجني ، وشرح التلخيص ، وغيرهم ممن كان تأثير الفلسفة ، وعلم الكلام ، ومنطق ارسطو ، اوضح فيهم ، واكثر ظهورا .

واشغل الاستاذ امين الخولي في البلاغة وكان له أثر في توجيه طلابه نحو البحث الحر بما ألقى من محاضرات ، وقدم من بحوث كبحث « البلاغة العربية وأثر الفلسفة فيها » و « البلاغة وعلم النفس » و « مصر في تاريخ البلاغة » ومقالته عن البلاغة في دائرة المعارف الاسلامية وكتابه « فن القول » الذي رسم فيه مناهج بحث الفن الادبي والبلاغة واخيرا كتابه « مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والادب » الذي ضم مقالاته المنشورة قديما .

وكتب الاستاذ أحمد الشايب في البلاغة والنقد ، وأخرج كتاب « الاسلوب » الذي يعد دراسة بلاغية تحليلية لاصول الاساليب الادبية . ووضع كتاب « أصول النقد الادبي » الذي كان محاولة موفقة للجمع بين التراثين ، العربي والغربي ، في النقد ، وتفهم مسائله . وكانت نتيجة الجهود التي قدّمها شيوخ الازهر ، وأساتذة دار

العلوم ، والجامعة أن° ظهرت دراسات جامعية في البلاغة لها اصالتها ، ولها اسلوبها الجديد ككتاب « البلاغة العربية في دور نشأتها» للدكتور سيد نوفل ، وكتابي « ابو هلال العسكري ومقاييسه البلاغية والنقدية» و« قدامة بن جعفر والنقد الادبي » للدكتور بدوي طبانة ، وكتابي « أثر القرآن في تطور النقد العربي الى اواخر القرن الرابع الهجري » و« ضياء الدين بن الاثير وجهوده في النقد » للدكتور محمد زغلول سلام ، وكتاب « ابن ابي الاصبع المصري بين علماء البلاغة » للدكتور حفني محمد شرف ، و « البلاغة عند السكاكي » للمؤلف ، و « مشكلة السرقات في النقد العربي » للاستاذ محمد مصطفى هدارة . وألفت كتب أخرى منها « فن التشبيه» و « فن الجناس » و « البلاغة الغنية » للاستاذ علي الجندي ، و « البيان العربي » و « السرقات الادبية » للدكتور بدوي طبانة .

اتجاه نفسي :

وظهر اتجاه نفسي في دراسة الادب ونقده في السنوات الاخيرة ، ومن البحوث المهمة في هذه الناحية مقالة « البلاغة وعلم النفس » للاستاذ امين الخولي ، وكتاب « علم النفس الادبي » للاستاذ حامد عبد القادر ، وكتاب « من الوجهة النفسية في دراسة الادب ونقده » للاستاذ محمد خلف الله احمد . وهذه الكتب والبحوث - وان لم تكن جديدة كل الجدة- تعتبر خطوة هامة في هذا الاتجاه، لان العرب - وان اشاروا الى الاثر النفسي في الانتاج الادبي ونقده - لم يستطيعوا ان يظهرها لنا هذا الاثر كما اظهره المحدثون بعد ان اطلعوا على دراسات علم النفس الحديثة ، وما كتب في هذا الميدان من دراسات نقدية وادبية .

مناهج جديدة :

وقد حاول بعض المحدثين أن يضع مناهج بحث البلاغة الحديثة بعد أن وضعها القزويني وضعها الاخير . ومنهم الاستاذ المرحوم طه

ابراهيم الذي لم تطبع محاضراته في البلاغة ، والاستاذ امين الخولي الذي يرى أن التقسيم القديم للبلاغة الى المعاني والبيان والبديع لا اساس له ولا غناء فيه : لانه ينبغي أن يشمل البحث البلاغي : الكلمة ، والجملة ، والفقرة ، والقطعة ، لا البحث في الجملة والجملة . وان ما حشدته طريقة العجم وأهل الفلسفة في البلاغة من مقدمات منطقية ، واستطرادات فلسفية مختلفة ، ينبغي أن تبعد ، وتضم الى البلاغة مكانها مقدمات جديدة لا بد منها لدراسة فنية تقوم على الاحساس بالجمال والتعبير عنه . وهذه المقدمات تتعلق بعلم النفس وأثره في التعبير الادبي والوجدان وعلاقته بمظاهر الشعور من ناحية العمل الفني ، وبالخيال ، والذاكرة ، والاحساس ، والذوق . ثم نبدأ بعدها بدراسة البلاغة دراسة جديدة تقوم على منهج صحيح بشرط أن لا نقرط بتراثنا وبلاغتنا القديمة ، لان التجديد ليس معناه هدم القديم ، وانما هو البناء بعد الاستعانة به ، وبما وصلت اليه الحضارة في هذه الايام (١) .

وتجمعت جهود الخولي في كتابه « فن القول » الذي كان توجيهها منهجيا شاملا لبحث البلاغة ، وخلق مدرسة بلاغية جديدة . فهو يرى أن بحوث فن القول ينبغي أن تقسم الى ثلاثة ابواب هي : المبادئ ، والمقدمات ، والبحوث . وندرس في الاول تعريف فن القول ، وغايته ، وصلته بغيره من الدراسات . وندرس في الثاني مقتبسات من القضايا النفسية التي تعيننا كثيرا في فهم الادب وتدوقه ، والاحساس بما فيه من روعة وجمال . أما البحوث فتضم البحث في الكلمة الواحدة من حيث هي عنصر لغوي ، وما فيها من جمال وجرس موسيقى له اثر في التعبير . وتضم البحث في الجملة وما يحدث فيها من تقديم وتأخير ، وحذف وذكر ، وايجاز واطناب . وتضم البحث في الفقرة وما فيها من

(١) ينظر فن القول ص ٢١٥ - ٢٢٣ ومقالة البلاغة العربية وائر الفلسفة فيها ص ١٧ ، ومقالة البلاغة وعلم النفس ص ١٤٨ ، ومادة بلاغة في دائرة المعارف الاسلامية ج٤ ص ٧٢ ، وكتاب مناهج تجديد ص ٢٦٤ ، ٢٦٨ ، وص ٢٢٣ وما بعدها .

فصل ووصل ، وما تؤدي من صور • وتضم البحث في صور التعبير كالتشبيه ، والاستعارة ، والكناية ، والرمز ، والايحاء ، والتورية • وتضم القطعة الادبية ، وقد تكلم فيها على عناصر العمل الادبي ، وما بين اللفظ والمعنى من علاقة • واخيرا ندرس الاساليب الفنية في الادب وانواعها كالاسلوب الرمزي ، والفكاهي ، والتهكمي • وبهذا المنهج الواسع الذي يشمل معظم مباحث البلاغة القديمة ، وكثيراً من الفنون الحديثة ، نستطيع أن ندرس البلاغة دراسة جديدة ، تقوم على تفهم الفن الادبي ومقاييسه البلاغية والنقدية •

وكان كتاب « الاسلوب » للاستاذ أحمد الشايب ثمرة خبرة عميقة في درس البلاغة وتدريسها ، وقد وضع على ضوء هذه الخبرة والتجارب منهجه الجديد • ويرى أن ينحصر موضوع علم البلاغة في باين أو كتابين : الاسلوب ، والفنون الادبية • فندرس في الاسلوب القواعد التي اذا اتبعت كان التعبير بليغاً أي واضحاً مؤثراً ، فندرس الكلمة والصورة والجملة والعبارة ، والاسلوب من حيث انواعه وعناصره وصفاته ومقدماته وموسيقاه • وفي هذا القسم نضع البلاغة العربية فعلم المعاني يدخل في بحث الجملة ، وعلم البيان واغلب البديع يدخل في باب الصورة ، وتبقى المباحث الاخرى مهمة في هذه الكتب التي انتهت اليها الدراسة البلاغية • وفي الفنون الادبية - وقد تسمى قسم الابتكار - ندرس مادة الكلام من حيث اختيارها ، وتقسيمها ، وتنسيقها ، وما يلائم كل فن من الفنون الادبية ، وقواعد هذه الفنون كالقصة ، والمقالة ، والوصف ، والرسالة ، والمناظرة ، والتاريخ •

وبالموازنة بين بحوث البلاغة كما دونتها الكتب العربية الاخيرة ، وموضوعها كما يجب ان يكون ، انتهى الاستاذ الشايب الى أن نصف البلاغة النظرية مفقود في اللغة العربية • أكثره في قسم الفنون الادبية وبقية في باب الاسلوب • وان شطراً من الاسلوب قد درس تحت عنوان المعاني ، والبيان ، والبديع ، وهو شطر على خطورته يعوزه التنسيق ،

ولسنا بحاجة الآن الى هذه الاسماء التي تسمى علومها خاصة لاجل فصول بلاغية يسيرة ، وان البلاغة العربية في حاجة الى وضع علمي جديد ، يشمل هذه الابواب والفنون ، ويصل بينها وبين الطبيعية الانسانية وملابساتها الزمانية والمكانية حتى يخدم الادب ، وأن الادباء هم أولى الناس بدرس البلاغة حتى يخلصوها من اساليب الفلاسفة ومذاهبهم وألغازهم ، فذلك هو الذي افسد بلاغتنا وحوّلها بحوثا لفظية عقيمة أشبه بالرياضة والكيمياء (١) .

ويرى الاستاذ عبد الله العلايلي أن نهج في دراسة البيان الجديد أحد وجهين :

الاول : الغاء كل مباحثه واصطلاحاته سوى التشبيه ، والكناية ، فان ما بقي يرجع اليهما من أقرب الطرق اذا انصفنا التطبيق ولم نتخرج عليه بتمحل محض . فهذه الاستعارة بالكناية يمكن أن ترد الى التشبيه الكنائي فيقال في مثل :

واذا المنية أنشبت اظفارها ألفت كل تميمة لا تنفع

شبهنا المنية بشيء له اظفار ، وأرسلناه كناية عن الامساك في دقة وشدة تعلق . وما وراء هذا من التخيل تخيل . أو بلا ملحظ التشبيه اصلا وانما من اول الامر يقال : جعل للمنية اظفارا كناية عن دقة التعلق وعسر الخلاص .

والثاني : الى حقيقة ومجاز ، وكل منهما كناية ، وتجريد ، والكناية الحقيقية تشمل الكناية البسيطة ، والتشبيه ، والمجاز المرسل ، والمجاز المركب . والكناية المجازية تشمل كل كناية انبنت على تشبيه ، والكناية المركبة .

اما علم المعاني فلد كان للغة بمثابة المنطق ، فيرى أن لا يدرس في

(١) الاسلوب ص ٢٨ - ٣١ .

كتب القواعد كعلم ، بل يدرس على نهجه في كتب الادب كما نجد عند عبد القاهر في « دلائل الاعجاز » ، وعند الزمخشري في التفسير ، مع تهذيب مباحثه لتكون أدخل في الذوق ، وأقرب مناظ بالنفس .

• ويدرس علم البديع كما يدرس علم المعاني^(١) .

وتكلم الاستاذ أدور مرقص في مقالته « نظرة في قواعد علوم اللغة العربية وآدابها » على أنواع البديع المقترحة يقول : « وقد فكرت في ذلك مليا ، وقلت إن هذا الفن اصبح معرضا لناموس رد الفعل ، فهو الآن محتاج الى شيء من الاندغام ، والاندماج ، عوض ما وقع فيه من التمدد المفرط المحسوب مضلة ومتاهة ، ومن ثم اجتهدت في رد انواعه الى اجناس قليلة يدخل تحت كل جنس منها عدة أنواع »^(٢) .

وامهات الاجناس البديعية التي تنبه اليها : الموافقة ، والمخالفة ، والترتيب ، والمبالغة ، والاستدراج ، والتلميح ، وحسن التعليل ، والايهام ، والتدقيق ، والتوليد ، والكلام الجامع .

أما الموافقة فتتطوي على أنواع الجناس ، والمراجعة ، والتوشيح ، وتشابه الاطراف ، والتفويف ، والتصدير ، ومراعاة النظير ، والتمثيل والتوجيه ، والترديد ، والتكرار ، والمناسبة ، والتشبيه ، والتفصيل ، والمشاكلة ، والجمع ، والتصريح ، وتشبيه شيئين بشيئين ، والاشتقاق ، والاتفاق ، والمماثلة ، والتسهم ، والتطريز ، والترجيح ، والتفريع ، والسجع ، والتسميط ، والالتزام ، واثتلاف اللفظ مع المعنى ومع الوزن ، واثتلاف المعنى مع المعنى ، والحذف ، والتدبيج .

وآما المخالفة فينتطوي تحتها : الطباق ، والمقابلة ، وايهام التضاد ، والمناقضة ، والعكس ، والتفريق ، والسلب والايجاب ، والرجوع ، والاستدراك .

(١) مقدمة لدرس لغة العرب ص ٤٣ - ٤٥ .

(٢) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق مجلد ١٩ ص ٤٨١ .

وأما الترتيب فينطوي تحته الترتيب ، والطبي ، والنشر ، وإيهام
التناسب ، والاطراد ، والتقسيم ، والتفسير ، والإيضاح ، وحسن
النسق ، والتشطير ، والتعديد ، وجمع المؤنث والمختلف ، والمزاوجة ،
والجمع مع التقسيم ، والجمع مع التفريق •

وأما المبالغة فتشتمل على التبليغ ، والاغراق ، والغلو ، والقسم ،
وتجاهل العارف ، والاستثناء ، وحصر الجزئي والحاقه بالكلي •

وأما الاستدراج فيشتمل على الاقتنان ، والتذليل ، والاستتباع ،
والادماج ، وحسن التخلص ، وعتاب المرء نفسه •

وأما التلميح فيدخل في دائرته : التلميح ، والإشارة ، والاكتفاء ،
والتوجيه ، والاقتراس ، والتضمين ، والابداع ، والانغاز ، وبراعة
المطلب •

وأما حسن التعليل ففيه حسن التعليل ، والالتفات ، والمذهب
الكلامي ، والاتساع ، والمعايرة •

وأما الإيهام ففروعه الإيهام ، والمدح في معرض الذم ، والذم في
معرض المدح ، والتورية ، والاشتراك ، والاستخدام •

وأما التدقيق فاقسامه التشريح ، والإيغال ، والاعتراض ،
والاحتراس ، والفرائد ، والتنكيت ، والتكميل •

وأما التوليد ففروعه التوليد ، وسلامة الاختراع ، وحسن الاتباع •
وأما الكلام الجامع ففيه الكلام الجامع ، وارسال المثل •

وأضاف جنس الكناية وهو - عنده - الكناية ، والتعريض ،
والإرداف ، والإيضاح ، والقول بالموجب •

ويلاحظ أن هذه الأجناس المنطوية على هذه الأنواع لا تقتصر على
الأنواع المختصة بفن البديع كما عرفه البلاغيون ، بل تتناول معظم
الأساليب البليغة التي تشير إليها فنون البلاغة الثلاثة • وقد وسع

الباحث مفهوم هذه الفنون ، ونظر إليها نظرة لغوية الى جانب كونها مصطلحات فنية ثابتة ، وبذلك استطاع ان يتصرف فيها هذا التصرف الحسن ، وينظر إليها هذه النظرة الواسعة .

ويرى الاستاذ أنيس المقدسي أن تبويب موضوعات البلاغة القديم لا يفيد فائدة كبيرة ، ولذلك وضع ترتيبا آخر يكون أقرب الى واقع اللغة ، يقول : « رأينا أن مقاييس البلاغة لم توضع اعتباطا ولا توقيفا ، بل ترجع الى اعتبارات نفسية عامة . وقد اهتم علماء العربية قديما بهذه المقاييس ، وتدارسوها في أقسامها الثلاثة المعاني والبيان والبديح ، وافتن الشعراء والمنشئون في التألق بصورهاها . على أن العلماء مع توفرهم على درسها ، وشرحها ، لم يعنوا بتبويبها تبويبا منطقيا يسهل على الباحث فهم حقيقتها والرجوع الى اصولها » (١) .

وقد بوبها تبويبا جديدا وحصرها في ستة أبواب هي :

باب التعادل ، ويراد به تماثل الفقرات في الجمل وزنا وتركيبا وقد يسمى الازدواج ، ويدخل فيه التوازن ، والمماثلة ، والسجع ، والتسميط ، والترصيع ، والتزواج .

وباب التواطؤ اللفظي ، وهو أن تكون الالفاظ على جرس واحد ، أو من أحرف متشابهة سواء اختلفت في المعنى أم لم تختلف . وتقوم بلاغتها على تنبيه الذهن الى المعنى بمعارضة اللفظين المتجانسين ، وعلى ما فيها من حلاوة موسيقية ناشئة عن تجانس الحروف وتألفها . ويدخل فيه الجناس ، والتورية ، والتصدير ، والعكس ، والجمع مع التفريق ، والمجاورة ، والطي ، والنشر .

وباب التواطؤ المعنوي ، ويتناول ما كان فيه مشابهة بين شيئين . ومنه التشبيه ، والتنثيل ، والاستعارة ، ومراعاة النظير ، وتجاهل العارف .

(١) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق مجلد ٣٠ ص ٣٥ .

وباب المغايرة، وهو عكس المشابهة ، ويراد بها الجمع بين المتضادات أو اشباهها • ويدخل فيه المقابلة ، والمطابقة ، والطرْد ، والعكس ، والتهمك ، والاستفهام البياني ، والتغاير ، والسلب ، والايجاب ، وقد يدخل تحت هذا الباب المناقضة ، والاستدراك ، والاستثناء ، والمجاورة ، والترديد ، وغير ذلك من هذه المقابلات •

وباب الخروج عن المعتاد ، ويشمل المجاز المرسل ، والتجريد ، والالتفات ، وتقديم ما حقه التأخير ، وبالعكس ، وتأخير المتقدم ، والغلو ، والمبالغة •

وباب الایساء الى غرض ، ومما يدخل فيه الكناية ، والتوجيه ، والاكتفاء ، والاتفاق ، والاشارات اللغوية والعلمية ، والادماج ، والتذليل ، والتتيميم •

وإذا رجعنا الى هذه الاتجاهات في تجديد البلاغة رأينا أن منهج الخولي أقرب الى واقع البلاغة وواقع اللغة العربية ، لما امتاز به من جمع شتات البلاغة ، وتوزيعها توزيعاً جديداً • ويلاحظ أنه استفاد من بلاغة السكاكي في رسم منهجها ، ووضع اصولها • ولم يخرج رأي الاستاذ الشايب عن رأي الخولي في قسمه الاول الخاص بالاسلوب ، أما القسم الآخر فلا نرى مبرراً لادخاله في البلاغة ، وانما يكون موضعه دراسات خاصة تتعلق بالفنون الادبية المختلفة • أما رأي العاليلي فنرى فيه قضاءً على كثير من صور التعبير ، وابتعاداً عن البلاغة العربية قد يحرمنا ما في تراثنا من فائدة في بناء البلاغة التي نريدها ، والمجدد هو من قتل التراث القديم درساً وتحقيقاً ، واطلع على مناهج البحث الحديثة فأخرج لنا جديداً له صلة عميقة بالتراث القديم ، وارتباط عظيم بالحاضر الذي نحياه •

ونحن لن نقبل أية دعوة جديدة غير مبنية على اساس قوي ، تدعمها الحجج القوية وواقع اللغة العربية • ولن تؤمن بأي مجدد يبني

اصوله على الحديث وحده بحجة ان المحدثين اكثر اطلاعا من القدماء ،
وأوسع افقا منهم . وكثيرا ما نرى الجديد لا يحتفظ دائما بصفة الجودة
كما يزعم دعائه ، بل ان اصحابه الاصيلين كثيرا ما ينشككون فيه .
وهذا ستانلي هايمان من اكبر النقاد الغربيين يرى أن النقد الادبي الذي
كتب بالانكليزية في مدى الربع الماضي من هذا القرن مختلف من حيث
النوع عن أي نقد سبقه ، وسواء سمي هذا نقدا جديدا أم نقدا علميا
أم نقدا عاملا أم نقدا حديثا ، فان صلته الوحيدة بالنقد العظيم في
العصور الماضية لا تعدو الصلة بين الخالف والسالف . فليس القائمون
به أشد ألمعية أو أكثر تنبها للادب من اسلافهم بل انهم في الحق
لا يتناولون في هاتين الناحيتين الى عمالقة مثل ارسطو ظالمين
وكولردج (١) .

ومثل هذا يقال فيما ذكره الاستاذان أدوار مرقص وأينس المقدسي،
ويبدو انهما اطلقا هذين الرأيين من غير ملازمة طويلة للبلاغة والنقد
وان وفقا لبعض الشيء فيما ذكراه ، إلا انهما لم يصلا الى ما ذكره
الخولي الذي خبر كتب البلاغة ، وغاص في أعماقها ، وسبر أغوارها ،
وعرف منهج البلاغة عند الغربيين الذي يصفه بأنه « واضح المعالم ،
متميز القسّمات ، سليم الاساس ، لا يخشى ان تشوبه شوائب مغيرة ،
أو تناله انحرافات مؤثرة » (٢) .

هذه أهم اتجاهات البلاغة الحديثة وأهم آراء الباحثين في دراستها،
وقد عرضنا لها لأنها مبنية على ما تركه القزويني وشراح تلخيصه ونحن
هنا نقف لسأل ما قيمة بلاغة القزويني وشروح التلخيص في هذا
التجديد؟ وما أهم الموضوعات التي يمكن الاستفادة منها؟ وما
الموضوعات التي يجب أن تجرد البلاغة منها لتكون صالحة في تقييم
الادب وتقده ، واظهار ما فيه من روعة وجمال؟ .

(١) ينظر النقد الادبي ومدارسه الحديثة ج ١ ص ٩ .

(٢) فن القول ص ١٠٦ .

النهج

جاء القزويني في عصر استقرت فيه علوم اللغة العربية ، وصوّر للباحثين انها اخذت شكلها الاخير أو كادت ، ولم يبق أمامهم الا ان يعكفوا على القديم يدرسونه ، ويختصرونه ، او يشرحونه ، ويفصلون القول فيه تفصيلاً . أو ان ينكبوا على العلوم ليجمعوا الاشباه والنظائر ، وينسقوا الموضوعات . وكان عصر القزويني عصر الموسوعات ، ففيه وضع ابو الفضل محمد بن علي الافريقي المصري جمال الدين المعروف بابن منظور (٧١١ هـ) اضعهم موسوعة لغوية هي « لسان العرب » ، ووضع احمد بن عبد الوهاب المعروف بشهاب الدين النويري (٧٣٣ هـ) كتاب « نهاية الارب » ، وكتب ابو العباس احمد بن يحيى ابن فضل الله العمري (٧٤٩ هـ) « مسالك الابصار في ممالك الامصار » ، وتابعهم في هذا الاتجاه احمد بن علي القلقشندي (٨٢١ هـ) فوضع كتابه « صبح الاعشى في صناعة الانشا » وهذه الكتب - وإن أكثرت على نواح معينة - فانها ضمت معلومات شتى فيها الفائدة ، وفيها النفع العظيم .

وما كان للقزويني الذي نشأ في هذا العصر أن يأتي بكل جديد طارف ، وما كان له ان يخرج على المؤلف بعد ان رأى اتجاه قومه الى التراث القديم يخدمونه بتلخيصاتهم وشروحهم ، وقد نهز معهم بدلوه

فاتجه الى مفتاح العلوم ولخص قسمه الثالث ، بعد ان رأى فيه حشوا ، وتطويلا ، وتعقيدا ، فاراد أن يختصره ، ويهذبه ، ويرتبه ترتيبا أقرب تناولا من ترتيبه . ورأى أن هذا الكتاب كان مختصرا غير وافٍ بالغرض ، فوضع شرحا عليه هو : « الايضاح » الذي وقفت البلاغة عنده ، ولم يكتب لها بعده التطور والتجديد .

الفصاحة :

لقد قسم القزويني البلاغة الى مقدمة ومقاصد ، والمقدمة في الكشف عن معنى الفصاحة والبلاغة ، ومن المقاصد ما يعرف به وجه الاحتراز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد وهو « علم المعاني » ، وما يحترز به عن التعقيد المعنوي وهو « البيان » ، وما نعرف به وجوه التحسين وهو « البديع » ، وبهذا التقسيم وزّع القزويني بحوث البلاغة ، وهو تقسيم لا نراه مجددا في دراسة البلاغة العربية .

لقد أخرج بحث الفصاحة عن مقاصد البلاغة وجعلها مقدمة وجره هذا الى نقاشٍ واختلاف في معنى المقدمة ، يقول السبكي « فان اراد انها مقدمة الكتاب فهي جزء منه ، وان اراد انها مقدمة العلوم فهي ذريعة اليها بدليل انه سيذكر هذه العلوم مستقلة . ويجوز ان تكون جزء لكل من الثلاثة ، فلذلك قدّمها عليها ، فالراجح انها جزء على التقديرين خلافا لقول الخطيبي انها ذريعة »^(١) . وجرت هذه المقدمة شراح التلخيص الى الخوض في معناها ، واشتقاقها ، وما الى ذلك من أمور لا تهتم الدارس . وجاءوا بكلام أبعد ما يكون عن فن البلاغة ودرسها ، وهذا أمر لا نوافق القزويني عليه ، لان الكلمة المفردة هي العنصر الاساس في عمل فني اداته الكلمة ، وان البحث فيها ومعرفة خصائصها لمن اوائل ما يبدأ به الدارس في تفهم البلاغة وتقد الكلام . ان البحث في فصاحة الكلمة المفردة والكلام المركب وفصاحة المتكلم ،

(١) عروس الانراج ج ١ ص ٦٧ .

لامر ضروري في دراسة البلاغة ، ولا يمكن المضي في تحسس مواطن الجمال في الكلام ما لم نول الكلمة الاهتمام اللازم .

وكان القدماء أحسن منهجا ، وأصح تفكيرا حينما درسوا الفصاحة دراسة عميقة واسعة واهتموا بالكلمة اهتماما كبيرا ، ولو مضيئا تنصفح كتب البلاغة والنقد منذ القديم لوجدنا الكلمة وفصاحتها تشغل بال النقاد والمفكرين ، فالجاحظ وهو من أقدم الذين بحثوا في البلاغة أولاها اهتماما ظاهرا، وتكلم على تنافر الحروف والكلمات ، واستحسن ما حقه الاستحسان ، واستهجن ما بدت فيه الهجئة واضحة للعيان .

وعقد معظم البلاغيين فصولا فيها ، وادار ابن سنان الخفاجي كتابه « سر الفصاحة » على بحث اللفظة الواحدة ، والكلام في الالفاظ المؤلفة ، ووضع لها شروطا . وقسّم ابن الاثير المثل السائر الى مقاليتين : في الصناعة اللفظية ، والصناعة المعنوية . وقد تكلم في الاولى على اللفظة المفردة ومتى تحسن ومتى تقبح ، وعلى الالفاظ المركبة كالسجع ، والتصريع ، والتجنيس ، والترصيع ، ولزوم ما لا يلزم ، والموازنة ، واختلاف صيغ الالفاظ واتفاقها ، والمعاطلة اللفظية ، والمنافرة بين الالفاظ في السبك .

لقد بحث هذان الناقدان البلاغيان الفصاحة بحثا منفصلا ، وادارا عليها كتبهما البلاغية ، ولم ينظرا اليها هذه النظرة الضيقة ، ولم يجعلها مقدمة لعلم البلاغة ، وانما هي جزء مهم ، بل هي نصف الدراسات البلاغية كما نجد عند ابن الاثير .

ولعل الذي دعا القزويني الى جعل الفصاحة مقدمة انه رأى السكاكي لم يهتم ببحثها ، وانما اشار الى انقسامها الى فصاحة لفظية ، وفصاحة معنوية بعد انتهائه من بحث البيان ، وبذلك قتل هذا الفن واحاله رميما ، وقد لا يكون السكاكي ملوما في هذا ، لانه عاش في بيئة اعجمية لا تفقه أمر الفصاحة ، ولا تعرف لها قيمة ، ولانه كان يتتبع خطأ

عبد القاهر الذي لم يجعل للفظة المفردة أهمية ومكانة في الكلام، وإنما أهميتها عندما تلتئم مع الكلمات الأخرى مكونة جملة أو عبارة • وقد دفعه إلى هذا إعجابه بالنظم وأرجاع كل ميزة للكلام إليه ، وقد يكون السكاكي معذورا لهذه الأسباب ، أمّا القزويني الذي عاش في بيئة عربية ، وكان على اطلاع بما كتب بلاغيو هذه البيئة وهادها ، فلن تلتئم له العذر ما دام قد حاول أن يغير في بلاغة السكاكي بعض التغيير كما أشار إليه في مقدمة « التلخيص » و « الإيضاح » ، وكان السبكي أحد شراح تلخيصه أسلم منهجا ، وأصفى ذوقا عندما اهتم بهذه المقدمة ، وبحث الفصاحة بحثا يعتمد على كتب البلاغة المتقدمة كسر الفصاحة والمثل السائر والجامع الكبير وغيرها من الكتب التي أعطت الموضوع حقه •

إنّ دراسة حسن اللفظة - من حيث جرسها الصوتي ، ومن حيث ادائها لمعناها ودلالاتها اللغوية وغير ذلك مما يتعلق بدراسة الكلمة - لضرورية في دراسة البلاغة ، وقد أولاهم الغريون في العصر الحديث أهمية بالغة قدسوها دراسة عميقة ، واستفاد المعاصرون مما كتب العرب فيها وما نمقه الغرب فأولوا هذا البحث أهمية ، وقرر الاستاذ الخولي أن أول ما ينبغي دراسته في بحوث البلاغة « الكلمة » ، ووضع منهج دراستها من حيث هي عنصر لغوي ومن حيث هي جزء من الجملة^(١) •

وإذا أردنا أن نبحث الكلمة على خطة الخولي فلن يكلفنا ذلك عناء كبيراً لأن العرب تكلموا عليها ، وليس لنا إلا أن نعود إلى الكتب القديمة نستخلص منها ما يخص الكلمة بأوضاعها المختلفة ، وننظر في الدراسات النقدية الحديثة لنضم القديم إلى الجديد ، ونخرج منها دراسة نقدية تكون ذات قيمة في الدراسات الجديدة •

ولاهمية دراسة الفصاحة والكلمة لا نرى لعل القزويني معنى في

(١) ينظر فن القول ص ٢١٧ •

جعلها مقدمة واخراجها من مقاصد البلاغة ، لان الكلمة المفردة عنصر اساسي في عمل فني أداته الكلمة ، ولانها من مقاصد الفن البياني لا من مقدماته • ولكننا مع ذلك نستطيع ان نستفيد مما كتبه عن الفصاحة وصفات الكلمة ، ونضمه الى ما كتب غيره من النقاد •

علم المعاني :

اما موضوعات البلاغة فقد قسمها الى ما يحترز به عن الخطأ وهو « علم المعاني » ، وما يحترز به عن التعقيد المعنوي وهو « علم البيان » ، وما يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال وفصاحته وهو « علم البديع » •

وقد عرف المعاني بقوله : « هو علم يعرف به احوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال » (١) • وسار على منهج السكاكي في تقسيم بحوثه ، مع اختلاف يسير في بعض القضايا ، وحصره في ثمانية ابواب هي : احوال الاسناد الخبري ، واحوال المسند اليه ، واحوال المسند ، واحوال متعلقات الفعل ، والقصر ، والانشاء ، والفصل والوصل ، والايجاز والاطناب والمساواة •

ووجه الحصر ان الكلام أما خبر او انشاء ، لانه اما ان يكون لنسبته خارج تطابقه او لا تطابقه ، او لا يكون لها خارج ، الاول الخبر ، والثاني الانشاء ، ثم الخبر لا بد له من اسناد ومسند اليه ومسند ، واحوال هذه الثلاثة هي الابواب الثلاثة الاولى • ثم المسند قد يكون له متعلقات اذا كان فعلا ، او متصلا به ، او في معناه كأسم الفاعل ونحوه ، وهذا هو الباب الرابع • ثم الاسناد والتعلق كل واحد منهما يكون اما بقصر او بغير قصر ، وهذا هو الباب الخامس ، والانشاء هو الباب السادس ، ثم الجملة اذا قرنت باخرى فتكون الثانية اما معطوفة على الاولى او غير معطوفة وهذا هو الباب السابع ،

(١) الايضاح ص ١٢ •

ولفظ الكلام البليغ اما زائد على اصل المراد لفائدة ، أو غير زائد عليه ، وهذا هو الباب الثامن» (١) .

بهذا الاسلوب حصر القزويني بحوث علم المعاني ، وهو حصر لا نرى له ما يبرره ، لان الفن الادبي لا يحصر هذا الحصر ، ولا يحد بهذه الحدود العقلية . وان تقسيمه الكلام الى خبر وانشاء لا نرى له فائدة في البلاغة لانه بحث فلسفي أخذه البلاغيون عن أصحاب المنطق . وقد عرض ارسطو لاساليب الخبر والطلب في بحوثه المنطقية ، وذكر في كتاب المقولات ان الجملة الموجبة او السالبة ، هي المحتملة للصدق والكذب ، وأما الالفاظ غير المؤلفة فليس شيء منها صادقاً ولا كاذباً كايض ويحضر ويظفر . وذكر في كتاب « العبارة » انه ليس كل كلام بجازم « انما الجازم القول الذي وجد فيه الصدق والكذب وليس ذلك بموجود في الاقاول كلها ، ومثال ذلك الادعاء فانه قول ما ، لكنه ليس بصادق ولا كاذب» (٢) .

وأخذ البلاغيون هذه القضايا مسلماً بهامح ان ارسطو نفسه لا يرى في دراسة الامر ، والرجاء ، والاستفهام فائدة أو قيمة في الشعر ، انما هي امور تتعلق بالمثل والخطيب ، ولاجل هذا يرى انه لا قيمة حقيقية للنقد الذي يوجه الى الشاعر بانه يعرف أو يجهل هذه الامور ، يقول « . . اذ كيف نسلم باللوم الذي وجهه فروتاغوراس الى هوميروس بانه ساق العبارة في صيغة الامر وهو يعتقد انه رجاء حين قال : « انشدي ايتها الربة في غضبة » اذ قال فروتاغوراس ان القول بفعل كذا او عدم فعله هو أمر ، ولهذا يجب علينا ان نطرح هذه المسألة جانبا ، لانها من شأن علم آخر وليست من شأن فن الشعر » (٣) .

وأحسن القدماء انفسهم بهذا فقالوا بعد هذا الحصر تعليقا على

(١) ينظر الايضاح ص ١٣ .

(٢) منطق ارسطو ج ١ ص ٦٦ ، ٦٣ .

(٣) فن الشعر ص ٥٤ .

كلمة القزويني : إنَّ الخبر لا بد له من مسند اليه ، ومسند ، واسناد ، والمسند قد يكون له متعلقات اذا كان فعلا او في معناه . وقالوا انه لا وجه لتخصيص هذا الكلام بالخبر ، لان الانشاء لا بد له مما ذكر أيضا^(١) . وحاول الدسوقي ان يصحح تعبير القزويني فقال : « فكان على المصنف ان يقول : وكل من الخبر والانشاء لا بد له من مسند »^(٢) .

ولا يفيد هذا التعليق في التخلص من اضطراب القزويني في هذا الحصر ، وتقسيم الكلام الى خبر وانشاء ، لان القدماء اتفهم لهم يتفقوا عليه فيرى بعضهم ان الكلام انواع كثيرة يقول السبكي : « وذكر المصنف حصر الكلام في الخبر والانشاء وهو كذلك ، الا ان منهم من يخص الانشاء بما لا طلب فيه ويقسمه الى خبر ، وطلب ، وانشاء ومنهم من يجعله ثلاثة اقسام : خبر وانشاء ، وهو ما دل على الطلب دلالة أولية . وتبنيه ويدخل فيه الاستفهام ، والتمني ، والترجي ، والتقسم ، والنداء . وهو اصطلاح الامام فخر الدين . قلت : ومنهم من يجعل الكلام خبرا وطلبا وهو ابن مالك في الكافية ، ومنهم من يربّع الاقسام فيقول خبر ، واستخبار ، وطلب ، وانشاء »^(٣) .

وتقسيم القزويني الكلام الى خبر وانشاء ، أقرب هذه الاقسام الى الدقة كما نرى ، ولكننا مع ذلك لا نريد للمجددين ان يقسموه هذا التقسيم ، لان هذا عمل فلسفي لا يجدي فعا . وقد أخذ البلاغيون من اهل المنطق وعلى رأسهم ارسطو ، ونرى ان يلغى هذا التقسيم ، لان الانشاء فرع من الخبر والى ذلك اشار السبكي وهو يعلل تقديم الخبر عليه بقوله : « وانما قدم الخبر لانه اكثر بحثا ، ولان كثيرا من الانشاء فرع من الخبر كالجملات التي يدخل عليها ليت ، ولعل ، والاستفهام »^(٤) . وقد

(١) المختصر ج ١ ص ١٧٠ ، وحاشية الدسوقي ج ١ ص ١٧٠ .

(٢) حاشية الدسوقي ج ١ ص ١٧٠ .

(٣) عروس الافراج ج ١ ص ١٧٢ .

(٤) عروس الافراج ج ١ ص ١٧٢ .

اشار عبد القاهر الى ان ما يحصل للانشاء يكون للخبر ، يقول: «واعلم ان معك دستوراً لك فيه ان تأملت غنى عن كل ما سواه ، وهو انه لا يجوز ان يكون لنظم الكلام وترتيب اجزائه في الاستفهام معنى لا يكون له ذلك المعنى في الخبر . وذلك ان الاستفهام استخبار ، والاستخبار هو طلب من المخاطب ان يخبرك ، فاذا كان كذلك كان محالاً ان يفترق الحال بين تقديم الاسم وتأخيره في الاستفهام فيكون المعنى اذا قلت : «أزيد قام» غيره اذا قلت : «أقام زيد» ثم لا يكون هذا الافتراق في الخبر ، ويكون قولك «زيد قام» و«قام زيد» سواء»^(١) . ويقول في موضع آخر : «واذ قد عرفت الحكم في الابتداء بالنكرة في الاستفهام فابن الخبر عليه»^(٢) .

وأحسن القزويني نفسه بان هذا التقسيم غير مُجَدِّ في بحث البلاغة ، لذلك تكلم على الفصل والوصل ، والايجاز والاطناب والمساواة بعد ان تكلم على الخبر والانشاء ، لانهما تخص واحداً منهما وانما هي من صفاتهما معا ، ولكنه كان لا بد ان يتكلم على الخبر والانشاء اولاً ، ثم يشرع في بحث ما يحدث لهما من تقديم وتأخير ، وذكر وحذف ، وتعريف وتنكير ، وقصر ، وفصل ووصل ، وايجاز واطناب ومساواة ، وغيرها من الموضوعات التي ادخلها في علم المعاني وبذلك يسلم منهجه من الاضطراب .

واختلف القدماء في انحصار الخبر في الصادق والكاذب ، فذهب معظمهم الى انه منحصر فيهما ، ثم اختلفوا فقال الاكثر منهم صدقه مطابقة حكمه للواقع ، وكذبه عدم مطابقة حكمه له ، ولعل النظام استاذ الجاحظ كان من اوائل الذين تحدثوا عن الخبر والطلب ، وحددوا معناهما ، وضبطوهما بمقياس الصدق والكذب يقول : ان صدق الخبر مطابقة حكمه لاعتقاد المخبر صواباً كان او خطأ ، وكذبه عدم مطابقة

(١) دلائل الاعجاز ص ١٠٨ .

(٢) دلائل الاعجاز ص ١٠٩ .

حكمه له ، فقول القائل « السماء تحتنا » معتقدا ذلك ، صدق ، وقوله « السماء فوقنا » غير معتقد ، كذب » (١) .

واحتج لهذا الرأي بوجهين :

أحدهما : ان من اعتقد أمرا فاخبر به ثم ظهر خبره بخلاف الواقع يقال : ما كذب ولكنه خطأ ، كما روي عن عائشة رضي الله عنها انها قالت : فيمن شأنه كذلك : « ما كذب ولكنه وهم » .

والثاني : قوله تعالى « وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ كَاذِبُونَ » (٢) كذبهم في قولهم « إِنَّكَ لِرَسُولِ اللَّهِ » (٣) وان كان مطابقا للواقع لانهم لم يعتقدوه .

وأجاب القزويني عن هذا الكلام بوجوه :

أحدها : ان المعنى نشهد شهادة واطأت فيها قلوبنا السنننا ، كما يترجم عنه « إن » و « اللام » ، وكون الجملة اسمية في قولهم « انك لرسول الله » فالتكذيب في قولهم « نشهد » وادعائهم فيه المواطأة لا في قولهم « انك لرسول الله » .

وثانيها : ان التكذيب في تسميتهم اخبارهم شهادة ، لان الاخبار اذا خلا عن المواطأة لم يكن شهادة في الحقيقة .

وثالثها : ان المعنى لكاذبون في قولهم « انك لرسول الله » عند انفسهم لاعتقادهم انه خبر على خلاف ما عليه حال المخبر عنه (٤) .

وأنكر الجاحظ انحصار الخبر في القسمين وزعم انه ثلاثة اقسام : صادق ، وكاذب ، وغير صادق ولا كاذب ، لان الحكم اما مطابق للواقع مع اعتقاد المخبر له أو عدمه ، واما غير مطابق مع الاعتقاد او عدمه .

(١) المطول ص ٣٩ .

(٢) سورة المنافقون ، الآية ١ .

(٣) سورة المنافقون ، الآية ١ .

(٤) الايضاح ص ١٤ .

فالاول أي المطابق مع الاعتقاد هو الصادق ، والثالث أي غير المطابق مع الاعتقاد هو الكاذب . والثاني والرابع أي المطابق مع عدم الاعتقاد وغير المطابق مع عدم الاعتقاد كل منهما ليس بصادق ولا كاذب . فالصدق عنده مطابقة الحكم للواقع مع اعتقاده، والكذب عدم مطابقتة مع اعتقاده، وغيرهما ضربان: مطابقتة مع عدم اعتقاده، وعدم مطابقتة مع عدم اعتقاده . واحتج بقوله تعالى « أَفَسَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ » (١) فانهم حصروا دعوى النبي صلى الله عليه وسلم الرسالة في الافتراء والاختبار حال الجنون ، بمعنى امتناع الخلو ، وليس اخباره حال الجنون كذبا ، لجعلهم الافتراء في مقابلته ، ولا صدقا ، لانهم لم يعتقدوا صدقه، فثبت ان من الخبر ما ليس بصادق ولا كاذب (٢) .

ولم يَجْرُ القزويني الى هذا الحديث إلاّ تقسيمه الكلام الى خبر وانشاء ، وانحصار الخبر في الصدق والكذب او في غيرهما . وبالغاء هذا التقسيم نخلص من هذه الامور الغريبة في البلاغة ونخليها من كل ما يعيقها عن اداء مهمتها ، وهي نقد الكلام ، واظهار ما فيه من روعة وجمال ، او اسفاف وابتذال . وليس من الصحيح ان نعتد في بحث المعاني على ركبي الجملة ، لان هذا يؤدي الى توزيع موضوعاته في ابواب متفرقة ، فالتقديم مثلا بحثه في المسند اليه مرة وفي المسند تارة اخرى ، وكان عليه ان يكلم شتات الموضوع الواحد ، فيبحث التقديم والتأخير في فصل واحد ، والحذف والذكر في فصل آخر ، والتعريف والتنكير في ثالث وهكذا . ولا تخص هذه الموضوعات الخبر وحده ، وان بحثها في الاسناد الخبري غير صحيح مع انه اعترف بان ما في هذه الابواب ليس كله مختصا بالخبر ، بل كثير منه حكم الانشاء فيه حكم الخبر (٣) . ويقول التفتازاني : « ان الاسناد الانشائي أيضا اما مؤكد

(١) سورة سبأ ، الآية ٨ .

(٢) الايضاح ص ١٤ - ١٥ .

(٣) الايضاح ص ١٤٧ .

أو مجرد عن التأكيد ، وكذا المسند اليه اما مذكور او محذوف ، مقدم
او مؤخر ، معرف او منكر ، الى غير ذلك • وكذا المسند اسم او فعل
مطلق أو مقيد بمفعول أو بشرط او غيره • والمتعلقات اما متقدمة أو
متأخرة ، مذكورة او محذوفة ، واسناده وتعلقه أيضا اما بقصر ، او
بغير قصر • والاعتبارات المناسبة في ذلك مثل ما مر في الخبر ، ولا يخفى
عليك اعتباره بعد الاحاطة بما سبق « (١) » •

ولكن القزويني سحر بالسكاكي مع ما في منهجه من اضطراب ،
وسار عليه من غير أن يحاول اصلاحه الا ما كان من ملاحظات لا تبعد
البلاغة عن جوهر منهج السكاكي •

علم البيان :

اما علم البيان فقد حصره بقوله : « هو علم يعرف به ايراد المعنى
الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه » (٢) واستفاد من الدلالات
العقلية في حصر مباحثه فقال بعد ان تكلم على دلالة اللفظ وانواعها :
« ثم ايراد المعنى الواحد على الوجه المذكور لا يتأتى بالدلالة الوضعية ،
لان السامع ان كان عالما بوضع الالفاظ لم يكن بعضها أوضح دلالة من
بعض ، والا لم يكن كل واحد منها دالا ، وانما يتأتى بالدلالات العقلية
لجواز ان يكون للشيء لوازم بعضها أوضح لزوما من بعض » (٣) •

وقسه على هذا الاساس الى قسمين : المجاز والكناية وأدخل
التشبيه فيه ، وقدمه ، لان الاستعارة مبنية عليه ، وقدم المجاز على
الكناية لنزول معناه من معناها منزلة الجزء من الكل • وبذلك
صَيَّقَ القزويني مباحث البيان كما ضيقها السكاكي من قبل •

وكان من الممكن ادخال صور بيانية اخرى تكلم عليها المتأخرون

(١) المطول ص ٢٤٦ •

(٢) الايضاح ص ٢١٢ •

(٣) الايضاح ص ٢١٢ - ٢١٣ •

في البديع كالتجريد ، والقلب ، واسلوب الحكيم ، والمبالغة ، والتورية والاستخدام ، وغيرها من صور التعبير التي ذكرها الخولي في مباحث فن القول^(١) . فتحدد فنون البيان على هذه الصورة لا يفيدنا في دراستنا الحديثة ، لان الفن اوسع من هذا التحديد ، وأبعد عن هذه التحلات العقلية .

وقسّم كل فن من هذه الفنون الى أنواع كثيرة ، يتيه فيها الدارس ، ولا يخرج بنتيجة . وأغلب هذه التقسيمات عقلية لا علاقة لها بالفن البلاغي ، حتى ان عصام الدين صاحب الشرح الاطول يرى أن « تقسيم التشبيه للتمثيل وغيره من تقسيم الشيء الى نفسه والى غيره ، لان التمثيل يرادف التشبيه كما يشهد لذلك كلام « الكشاف » حيث يستعمل استعمال التشبيه^(٢) .

وحاول الدسوقي ان يدافع عن القزويني فقال : « واجب بان التمثيل مشترك بين مطلق التشبيه وبين ما هو اخص منه ، فما هو مقسم المعنى الاعم ، والقسم هو المعنى الاخص ، وحينئذ فلا اشكال^(٣) .

ومما يؤخذ عليه القزويني الى جانب هذه التقسيمات اخراجه المجاز العقلي من علم البيان ، وبحثه في المعاني ، على اعتبار ان الاسناد منه حقيقة عقلية ومنه مجاز عقلي . وهو رأي لا نوافق عليه ، لان انواع المجاز الاخرى لا تخرج عن المسند والمسند ائيه ، وكان لزاما عليه ان يبحثها في علم المعاني .

ونرى ان نضم المجاز العقلي الى بحث المجاز اللغوي ليكونا موضوعا واحداً له أهدافه في التعبير . ولن يجدي تحليل عصام الدين في عدوله عن ترتيب السكاكي حيث يقول : « وقد عدل المصنف عن

(١) ينظر فن القول ص ٩٩ .

(٢) الاطول ج ٢ ص ٩٩ .

(٣) حاشية الدسوقي ج ٣ ص ٤٣٢ .

ترتيب المفتاح حيث قدم المجاز العقلي ، لانه المقصود بالبيان في فن البلاغة المشار اليه بالبنان ، لان تقديم المجاز العقلي يوجب فضلا كثيرا بين الحقيقة والمجاز لكثرة ما يتعلق به « (١) . فقول : لن يجديه هذا التعليل ، لان انواع المجاز الاخر اهم من المجاز العقلي الذي نظمته السكاكي في سلك الاستعارة بالكناية ، ولكننا مع هذا كله نستطيع ان نستفيد من تقسيمات القزويني لمباحث علم البيان لانطباق كثير منها على الاساليب العربية ، وان كنا لا نؤمن بكثير من توجيهات القزويني لامثلة التشبيه والاستعارة والكناية .

علم البديع :

أما البديع فقد قال عنه انه « علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة » (٢) وقسمه الى ضربين : ضرب يرجع الى المعنى ، وضرب يرجع الى اللفظ . وتكلم على سبعة واربعين فناً من هذين الضربين .

ومبلغ تجديد القزويني فيه انه جعله علما مستقلا عن المعاني والبيان ، وسار البلاغيون على خطاه ولم ينظروا اليه نظرة صادقة ، لانه يأتي بعد مطابقة الكلام لمقتضى الحال ، وبعد ايراده بطرق مختلفة ، وبذلك يكون البديع تابعا للمعاني والبيان . ومع ان السبكي سار على خطا القزويني في هذا التقسيم غير انه تقدمه قائلا « والحق الذي لا ينزع فيه منصف ان البديع لا يشترط فيه التطبيق ولا وضوح الدلالة ، وان كل واحد من تطبيق الكلام على مقتضى الحال ومن الايراد بطرق مختلفة ، ومن وجوه التحسين قد يوجد دون الاخرين . وأول برهان على ذلك انك لا تجدهم في شيء من أمثلة البديع يتعرضون لاشتماله على التطبيق والايراد ، بل تجد كثيرا منها خاليا عن التشبيه ، والاستعارة ، والكناية التي هي طرق علم البيان . . هذا هو الانصاف وان كان مخالفا لكلام

(١) الاطول ج ١ ص ٧١ .

(٢) الايضاح ص ٣٣٤ .

الاكثرين» (١) ، وبذلك يكون البديع فنا له أثره في التعبير ، وليس تابعا للفنون الاخرى .

وتقسيمه البديع الى محسنات لفظية ومعنوية غير دقيق ، لان اكثر هذه المحسنات متداخل وقد تنبه القدماء الى ذلك فقال المغربي وهو يشرح كلام القزويني ان المحسن المعنوي منسوب الى المعنى بالذات ، بمعنى ان ذلك التحسين قصد ان يكون تحسينا للمعنى وذلك بالقصد بكونه تحسينا للفظ فيكون ثانيا وبالعرض ، وانما قلنا هكذا لان هذه الالوجه قد يكون بعضها محسنا للفظ ، لكن القصد الاصلي منها انما هو الى كونها محسنة للمعنى كما في المشاكلة ، اذ هي ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبة ذلك الغير كقوله :

قالوا اقترح شيئا نجد لك طبخه قلت اطبخوا لي جبنةً وقميصا

فقد عبر عن الخياطة بالطبخ لوقوعها في صحبته ، فاللفظ حسن لما فيه من ابهام المجانسة اللفظية ، لان المعنى مختلف واللفظ متفق ، لكن الغرض الاصلي جعل الخياطة كطبخ المطبوخ في اقتراحها لوقوعها في صحبته . فان تعلق الغرض بتحسينه اللفظي المشار اليه فهو بالعرض على وجه المرجوحية . وقيل ان الحسن فيه لفظي ، لان منشأه اللفظ ، وكما في العكس في قولهم « عادات السادات سادات العادات » . فان في اللفظ شبه الجناس اللفظي لاختلاف المعنى ففيه التحسين اللفظي . والغرض الاصلي الاخبار بعكس الاضافة مع وجود الصحة . واللفظي تحسين للفظ بالذات وان يتبع ذلك تحسين المعنى ، لانه كلما عبر عن معنى بلفظ حسن استحسنت معناه تبعا ، وان شئت قلت في التحسين المعنوي ايضا ان كونه بالذات معناه ان ذلك هو المقصود ويتبعه تحسين اللفظ دائما ؟ لانه كلما أفيد باللفظ معنى حسن تبعه حسن اللفظ الدال عليه (٢) .

(١) عروس الافراح ج٤ ص ٢٨٤ .

(٢) ينظر مواهب الفتاح ج٤ ص ٢٨٥ .

فالمعنوي راجع الى تحسين المعنى اولا وبالذات ، ولكنه يفيد تحسين اللفظ كما في مثال المشاكلة المتقدم ، واللفظي راجع الى تحسين اللفظ اولا وبالذات ، ولكنه يفيد تحسين المعنى ايضا . وما دام الامر كذلك فاية فائدة في هذا التقسيم الثنائي للبديع او التقسيم الثلاثي الذي ذكره بدر الدين بن مالك في المصباح . ان اي نوع من فنون البديع لا تكون له قيمة الا اذا كان المعنى يتطلبه ويستدعيه ، يقول عبد القاهر : « انك لا تجد تجنيسا مقبولا ، ولا سجعا حسنا ، حتى يكون المعنى هو الذي طلبه واستدعاه ، وساق نحوه ، وحتى تجده تجنيسا مقبولا لا تتبغى به بدلا ولا تجد عنه حولا . ومن هنا كان أحلى تجنيس تسمعه ، وأعلاه ، وأحقه بالحسن ، وأولاه ، ما وقع من غير قصد المتكلم الى اجتلابه وتأهبه لطلبه او ما هو لحسن ملاءمته وان كان مطلوبا بهذه المنزلة وفي هذه الصورة » (١) .

ويقول القزويني : « وأصل الحسن في جميع ذلك - اعني التقسيم اللفظي - كما قال الشيخ عبد القاهر هو ان تكون الالفاظ تابعة للمعاني ، فان المعاني اذا ارسلت على سجيتهما ، وتركت وما تريد ، طلبت لانفسها الالفاظ ، ولم تكتسب الا ما يليق بها . فان كان خلاف ذلك كان كما قال ابو الطيب :

إذا لم تشاهد غير حُسْنِ شياتِها
وأعضائها فالحُسْنُ عنك مُعَيَّبٌ

وقد يقع في كلام بعض المتأخرين ما حمل صاحبه فرط شغفه بامور ترجع الى ما له اسم في البديع على ان ينسى انه يتكلم ليفهم ، وبقول لبيبي ، ويخيل اليه انه اذا جمع عدة من أقسام البديع في بيت فلا ضير ان يقع ما عناه في عمياء وان يوقع السامع من طلبه في خبط عشواء » (٢) .

(١) اسرار البلاغة ص ١٥ .

(٢) الايضاح ص ٤٠٠ .

وهذه التفاتة طيبة منه ، ولكنه لم يطبق ما دعا اليه ، وظل يدور في فلك السكاكي ، وما رسمه للبلاغة . وانا لنرفض هذا التقسيم وندعو الى ان تبحث موضوعات البديع كما تبحث فنون البلاغة الاخرى على ان تهمل الانواع التي ليس لها تأثير في التعبير ، ولا تبعث في الكلام رونقا وطلاوة ، وتضفي عليه جمالا وبهاء ، ويترتب ما يبقى منها ، ويُهذَّب ، بحيث تكون مناسبة للاساليب العربية وكلام البلغاء .

ولا تأتي بجديد اذا ما قررنا هذا ، فابن المعتز - مثلا بحث فنون البديع الى جانب الاستعارة ، والتشبيه . وابو هلال ، وابن رشيق ، وابن سنان ، وابن الاثير بحثوا البديع كما بحثوا الاستعارة والكناية ، والتقديم والتأخير ، وهم يفرقوا بين محسن معنوي وآخر لفظي ، فما كان له روعة أثبتوه وبحثوه ، وما كان مجردا عن ذلك كله تركوه .

ولذلك نرى ان يعاد النظر في فنون البديع التي ذكرها القزويني وغيره من المتأخرين فيؤخذ منها ما له قيمة في التعبير ، ويترك ما كان لعبا بالالفاظ ، أو تعمية وألغازاً . يقول الدكتور أحمد أحمد بدوي : « ينبغي ان يؤسس البديع اولا وقبل كل شيء على الدراسة النفسية التي تهدي الى بيان السر في تأثير لون بدعي دون الدراسة الصورية ، وتلمس الاقسام العقلية التي لا تزيد ثروة الاحساس والشعور وان تؤمن بأن المعنى هو الذي يقود العبارة الى صورتها ، وان كل محسن بدعي لا يكون له نصيب من الجمال الا اذا كان المعنى هو الذي يتطلبه ويؤدي اليه . أما التلاعب بالالفاظ ، وبذل الجهد للاغراب في الصناعة فمما لا يسعى اليه اديب فنان . ولهذا نضرب صفحاً عن كل مثال صنع مجتلبا ليصور لونا من انوان البديع دون ان ينبض بالحياة ، ويزخر بالعاطفة ، ومن غير ان تكون هذه الصناعة قد جاءت ، لان المعنى وحده هو الذي تطلبها من ناحية انها تصور الاحساس النفسي » (١) .

(١) مقدمة كتاب ابن ابي الاسعدي المصري بين علماء البلاغة ص : ٢ .

ولما كانت صور البديع مهمة في التعبير والاداء ، فليس من الصحيح تركه واهماله ، وان ما كتبه القزويني يمكن أن يعد نموذجا لدراسته مع التوسع في العرض ، والامثلة ، والتحليل ، اما الانواع الكثيرة التي ذكرها المتأخرون فنأخذ منها ما اتفق وذوق العربية ، وترك ما كان عبثا ولغوا على شرط ان لا نقسمها كما قسمها السكاكي والقزويني ، او كما قسمها بدر الدين بن مالك ، وتبحث اما في موضوع اللفظ والمعنى فتثبت في صفات الالفاظ ما كان قريبا اليها او شديد الصلة بها ، ونضع في صفات المعاني ما يخص المعنى بالدرجة الاوونى .

وان تقسيم القزويني ليسهل لنا هذه المهمة ، فما كان في المحسنات اللفظية ادخل في بحث الالفاظ وما كان من صفات المعاني ادخل في بحث المعاني . ولنا فيما كتبه قدامة بن جعفر اسوة حسنة في هذا الميدان ، وبذلك نخلص البديع من تمحلات القدماء ، ونقاشهم في الحسن العرضي والذاتي . او ان نوزعه كما وزعه الاستاذ الخولي فذكر الجناس ، والسجع ، والترصيع ، والتصريح ، ورد العجز على الصدر ، ولزوم ما لا يلزم في بحث تناسب الصوت والمعنى ، ووضع الطباق في بحث النظم أو تأليف الجمل وذلك حين تتقابل معاني اجزاء الجملة أو الجمل ، فيكون لذلك أثر في حسن الكلام . ووضع القسم الآخر في صور التعبير وهي عنده قسمان : صور الايضاح المعلن كالتشبيه ، والاستعارة ، والكناية ، والتجريد ، والقلب ، واسلوب الحكيم ، والمبالغة ، وتأکید المدح بما يشبه الذم ، والتدبيح ، والتهيج ، والالهاب ، والتهكم بجملة ، وانفكاهة في جملة ، والتجاهل . وصور التعبير المظلمة كالرمز ، والايساء ، والالغاز ، والتورية ، والاستخدام ، والاتساع (١) .

الخاتمة :

وختم القزويني كتابه بفصلين في السرقات وما يتصل بها ، والقول في الابتداء ، والتخلص ، والانتها . وقد حيرّ شراح التلخيص بهذه

(١) فن القول ص ٢١٧ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ .

الخاتمة ، فذهب بعضهم الى انها خاتمة الكتاب كله فهي بذلك خارجة عن الفنون الثلاثة كالمقدمة ، وذهب آخرون الى انها خاتمة للفن الثالث معتمدين على قول القزويني في الايضاح: «هذا ما تيسر باذن الله تعالى - جمعه وتحريره من اصول الفن الثالث ، وبقيت اشياء يذكرها فيه بعض المصنفين ، منها ، ما يتعين اهماله لعدم دخوله في فن البلاغة نحو ما يرجع في التحسين الى الخط دون اللفظ مع انه لا يخلو من التكلف ككون الكلمتين متماثلتين في الخط ، وكون الحروف منقوطة أو غير منقوطة ، ونحو ما لا أثر له في التحسين كما يسمى الترديد . أو لعدم جدواه نحو ما يوجد في كتب بعض المتأخرين مما هو داخل فيما ذكرناه كما سماه الايضاح فانه في الحقيقة راجع الى الاطناب ، او خلط فيه ، كما سماه حسن البيان . ومنها ما لا بأس بذكره لاشتماله على فائدة وهو شيان :

- احدهما : القول في السرقات الشعرية ، وما يتصل بها .
- والثاني : القول في الابتداء والتلخص والانتهاء .
- فمقدنا فيهما فصلين ختمنا بهما الكتاب « (١) » .

وعلى المغربي جعلها خاتمة لا بابا في البديع بقوله : « وانما جمع هذه الاشياء في الخاتمة ولم يجعلها بابا من البديع او يجعل كل واحد منها بابا على حدة لوجهين :

احدهما : ان كلامها ليس امراً يعم كل كلام ويغلب مكان جريانه في كل موطن ، أما في السرقات فظاهر لخروج النثر ، وكذا فيما يتصل بها لاختصاصها بالاخذ عن الغير . واما في الابتداء والانتهاء والتلخص فلخروج ما ليس في تلك المحال وهذا الوجه بعينه يمكن ان يجعل هو السر في جمعها لاشتراكها فيه .

والوجه الثاني : ان الحسن فيها دون الحسن في غيرها مع سهو

(١) الايضاح ص ٤٠١ .

التناول ، فلم تجعل بابا لقللة الاهتمام بشأنها ويسرها باعتبار غيرها وان كان الناس يهتمون بأمورها . اما في السرقات فلما علم من ان الابتداع أرفع واصعب من الاتباع وان كان فيه تغيير ما ، وكذا فيما يتصل بها ، واما في الابتداء وما والا ، فلما علم من أن رعاية تمام الحسن في جميع اجزاء الكلام أعلى واصعب ، ويمكن جعل هذا ايضا هو السر في جمعها» (١) .

ومهما يكن من شيء فاننا لا نوافق القزويني على جعل السرقات خاتمة لعلم البديع او للبلاغة كلها لانها فن واسع له أثره وقيمه في الدراسات النقدية . وقد اولاهها علماء البلاغة والنقد اهتماما عظيما قبل القزويني ، وافردوا لها كتباً خاصة ، وعقدوا فصولا طويلة في كتبهم . وانه لمن المفيد ان يفرد لهذا الموضوع باب واسع في الدراسات البلاغية والنقدية ، وان يستعان بما ذكر القزويني ونقاد العرب ، ومثل هذا يقال في حسن الابتداء ، والتخلص ، والانتهاء ، فهي فنون قائمة بذاتها . وقد أجاد الاقدمون كابن الاثير في بحثها ، ونظروا اليها نظرتهم الى سائر الفنون البلاغية .

رأي :

واذا ما اتضح هذا جليا فاننا لن نستفيد كثيراً من منهج القزويني في البلاغة ، لاننا لا نؤمن بهذا التقسيم الثلاثي او الثنائي لاضطرابه ، وتداخل الموضوعات . ويتضح هذا الاضطراب والتداخل في عدم استقرار بعض الموضوعات ، فهي من المعاني عند بعضهم ومن البيان او البديع عند آخرين . فالمجاز العقلي يحثه السكاكي في علم البيان وان انكره . وتكلم عليه القزويني في علم المعاني ، وذكر ان الاسناد منه حقيقة عقلية ، ومنه مجاز عقلي . ورَدَّ على السكاكي ، لانه نظم المجاز العقلي في سلك الاستعارة بالكناية . ووضح سبب ذكره في المعاني

(١) مواهب الفتح ج ٤ ص ٤٧٥ .

بقوله : « اتنا لم نورد الكلام في الحقيقة والمجاز العقليين في علم البيان كما فعل السكاكي ومن تبعه ، لدخوله في تعريف علم المعاني دون تعريف علم البيان » (١) .

ومنهج القزويني أسلم من منهج السكاكي ، لانه حاول ان يجمع الاشباه وينسق الموضوعات فتحدث عن الايغال ، والتتميم ، والتكميل ، والاعتراض ، والالتفات في علم المعاني ، ولم يعدها في علم البديع كما فعل السكاكي حيث ذكر الالتفات في المعاني مرة ، وفي البديع تارة اخرى . ومع ذلك فقد جزأ موضوعات التقديم والتأخير ، والحذف والذكر ، والتعريف والتنكير ، وبحثها في أكثر من باب . وكان من الدقة المنهجية ان يلهم شتاتها ، ويجمعها في فصول متناسقة ، فيعقد لكل منها فصلا ، وانه لعظيم من القدماء ان ينتبهوا الى انه لا حد بين المعاني والبيان وقد جعل السكاكي الثاني شعبة من الاول ، يقول : « ولما كان علم البيان شعبة من علم المعاني لا تنفصل الا بزيادة اعتبار ، جرى منه مجرى المركب من المفرد لاجرم آثرنا تأخيره » (٢) .

فالسكاكي يقرر ان البيان شعبة من المعاني ، ولا ينفصل عنه الا بزيادة اعتبار ، ولكنه لم يوضح هذه الزيادة . وعلى كل حال فهذا اعتراف منه بان لا حاجة الى فصل المعاني عن البيان ، لانهما مرتبطان أشد الارتباط ، متداخلان أعظم التداخل . وقد اشار السبكي الى هذا التداخل فقال : « ان علم البيان باب من ابواب المعاني ، وقصّل من فصوله ، وانما افرد كما يفرد علم الفرائض عن الفقه » (٣) . وقال متحدثا عن اتيان الكلام على خلاف مقتضى الظاهر : « لعلك تقول غالب ما سبق أو كله من انواع المجاز ، ومحلّه علم البيان كما سيأتي . فالجواب ان الامر كذلك ، ولكن جرت عادة أكثرهم بذكر هذه الانواع

(١) الايضاح ص ٣١ .

(٢) مفتاح العلوم ص ٧٧ .

(٣) عروس الافراج ج ١ ص ٢٦١ .

في هذا العلم فتبعناهم ، وتداخل علم البيان وعلم المعاني كثير» (١) .

ولن يفيدهم قولهم « ان البيان جرى من المعاني مجري المركب من المفرد » ، لانهم أقرّوا بانهما متداخلان ، وان علم البيان شعبة من علم المعاني . وقد صرح القزويني بهذا ، واعترف بأن كثيراً من الناس يسمي المعاني والبيان والبديع « علم البيان » ، وبعضهم يسمي الاول « علم المعاني » والثاني والثالث « علم البيان » والثلاثة : « علم البديع » (٢) . وهذه عودة الى منهج الاوائل الذين نظروا الى البلاغة نظرة واسعة ، واعتبروها فنا واحدا ، ولكن القزويني أبى إلا أن يتابع السكاكي في التقسيم ، ويفرق معه في التمثل والتأويل .

هذا ما نراه في منهج القزويني ، اما مادة بلاغته فمنها ما ينبغي تركه ، ومنها ما يمكن الاستفادة منه في بناء صرح البلاغة العربية الجديدة ، فما الذي ينبغي ان نطرحه وما الذي يجب ان نأخذه ونستفيد منه ؟

(١) عروس الافراح ج ١ ص ٤٦٣ .

(٢) الابضاح ص ١٢ ، والتلخيص ص ٣٧ .

الموضوعات

مسائل فلسفية :

لقد أثرت الفلسفة وعلم الكلام في كل جانب من جوانب الحياة الثقافية ولم يسلم منها علم من علوم العربية ، واستفاد المؤلفون منها في مناهج بحثهم ، وأخذوا مصطلحاتها وعباراتها ، وأدخلوها في كتبهم • وهذا امر طبيعي بعد ان استقر العرب وبنوا دولتهم العظمى واتصلوا بغيرهم من الاقوام والامم •

وكان نصيب البلاغة عظيما منها ، وبدأ الاتصال بين البلاغة والفلسفة منذ عهد مبكر • وازداد هذا الاتصال بمرور الايام حتى أصبح ارتباطا وثيقا لا انفصام له على يد رجال البلاغة المتأخرين كالسكاكي ، والقزويني ، وشراح التلخيص • وكان نتيجة هذا الاتصال والارتباط ان زخرت كتب البلاغة بمباحث الفلسفة ، والمنطق ، وعلم الكلام حتى ان الباحث ليستطيع ان يستخلص مادة فلسفية غزيرة من كتب البلاغة المتأخرة • ومع ان البلاغيين استفادوا من هذه العلوم في تجديد منهجهم ، ورسم مصطلحاتهم غير ان البلاغة لتأبى كل الابداء ان تكون خاضعة لعلوم غريبة عنها ، دخيلة عليها ، لانها فن من الفنون ، والفن حر يقبل التطور والتجديد ، وينطلق الى أبعد الغايات • وقد كان هذا شأن البلاغة والنقد قبل ان يسيطر منهج السكاكي وقد

زخرت الكتب بكل طريف عماده الذوق ، والترية الفنية ، وذهب المؤلفون في بحوثهم مذاهب شتى ، وطوّقوا في آفاق نقدية بعيدة المدى ، ولكن المتأخرين أسرفوا في اقتباس العقليات ، واغربوا في استخدام مصطلحات المناطقه وأساليبهم ، فصارت البلاغة على يدي السكاكي والقزويني ومن لآف لفهما ألبازاً ، ومعميات يتسابق الدارسون الى حل مشكلة من مشاكلها ، ويعدون تفهمها عملا عظيما يجيزون به العلماء ، ويقدرّون الخريجين حين يستطيعون أخذ معنى من عبارة ، ويبنون مرجع ضمير ، ومشار اليه في اشارة ، او مضافا محذوفا .

وما كان لهذه الكتب ان تبلغ هذا المبلغ لولا استخدام الاساليب الغريبة عن البلاغة واقحام مباحث بعيدة كل البعد عنها كتلك التي حشروها في بحث الخبر والانشاء ، والوصل والفصل ، وتقسيم مباحث علم البيان . ولم يكن من السهل اليسير ان ينجو القزويني من هذه السيطرة وقد عاش في فترة جنحت فيها الحياة الفكرية الى الجمود ، وأصبح المؤلف لا يعيش الا على مناقشة الاخرين .

وقد كان مفتاح العلوم ومنهجه مسيطرا على التفكير البلاغي وقتئذ ، فاتجه القزويني يتلمس البلاغة على ضوءه ، ويسلك في بحثها مسلكا لا يكاد يختلف عن مسلك السكاكي الا قليلا . ومع ان القزويني عاش في بيئة عربية هي بيئة مصر والشام التي يقول السبكي فيها وهو يتحدث عن شروح التلخيص : « أما أهل بلادنا فهم مستغنون عن ذلك بما طبعهم الله تعالى عليه من الذوق السليم ، والفهم المستقيم ، والاذهان التي هي أرق من النسيم ، وألطف من ماء الحياة في المحيا الوسيم . اكسبهم النيل تلك الحلاوة واثار اليهم باصبغه فظهرت عليهم هذه الطلاوة . فهم يدركون بطباعهم ما أفنت فيه العلماء فضلا عن الاغمار الاعمار . ويرون في مرآة قلوبهم الصقيلة ما احتجب من الاسرار خلف

الاستار» (١) •

تقول مع انه عاش في هذه البيئة ، غير انها لم تؤثر فيه ، ولم تكسبه هذه الطلاوة ، فعكف على ما كتبه السكاكي يهذبّه ، ويوبه لعله يقدم للدارسين ما فيه النفع واناة السبيل •

ويجد الباحث في كتابي القزويني الفلسفة وأساليب المناقشة ومصطلحاتهم ماثلة امامه مما يعيق سبيل الانتفاع من بلاعته في صقل الاذواق وتربيتها • وقد أعترف القزويني نفسه ان بعض مسائل البلاغة اشبه باصول الفلاسفة (٢) •

تخليّة :

واذا ما اردنا ان نستفيد مما كتب القزويني وشرح تلخيصه فليس لنا الا ان نخليها مما لا فائدة فيه • ومن ذلك حديثه عن الملكة وهي «قسم من مقولة الكيف التي هي هيئة قارة لا تقتضي قسمة ولا نسبة ، وهو مختص بذوات الانفس ، راسخ في موضوعه» (٣) ولا تفسر الملكة هذا التفسير الغامض ، وأتّى لطالب الفن الادبي ان يفهم هذا التعريف أو هذا الكلام ؟ وقد حاول شرح تلخيصه ان يفسروا هذا القول فاسرفوا في الاغراب ، وجاؤا بكل ما يأباه الذوق الادبي ، وتنفر عنه الاذواق ، والطباع السليمة ، والنفوس الصافية ، وشرعوا في تفسير الكيف فقال عصام الدين : « وأحسن ما رسم به الكيف عرض لا يتوقف تصوره على تصور غيره ، ولا يقتضي القسمة واللاقسمة في محله اقتضاء اوليا» (٤) •

واسرف الدسوقي في شرح هذا الكلام اسرافا عظيما يقول : ان المتكلمين حصروا الموجودات الحادثة في الجوهر والعرض • وقسّم الحكماء

(١) عروس الافراخ ج ١ ص ٥ •

(٢) الايضاح ص ١٠٠ •

(٣) الايضاح ص ٩ •

(٤) الاطول ج ١ ص ٢٨ ، وينظر المطلوب ص ٢٤ •

العرض الى أقسام تسعة وهي الكم ، والكيف ، والاضافة ، والمتى ،
والاين ، والوضع ، والملك ، والفعل ، والانفعال . وسموا هذه التسعة
مع الجوهر المقولات العشر أي المحمولات العشرة وقسموها الى نسبية ،
وغير نسبية . فغير النسبية الجوهر ، والكم ، والكيف . وما عدا هذه
الثلاثة فهو نسبة يتوقف تعقلها أي تصورها على تعقل الغير وتصوره (١) .
ويبضي في شرح هذه المصطلحات ناسيا انه يبحث في البلاغة او فن القول .

وأدخل من الفلسفة الادبية الكلام على الصدق والكذب يقول :
« اختلف الناس في انحصار الخبر في الصادق والكاذب ، فذهب
الجمهور الى انه منحصر فيهما ثم اختلفوا . فقال الاكثر منهم : صدقه
مطابقة حكمه للواقع ، وكذبه عدم مطابقة حكمه له . هذا هو المشهور وعليه
التعويل » (٢) . وعرض رأي النظام والجاحظ وناقشهما ، وكان هذا
ميدانا رحبا لشراحه فصالوا ، وجالوا فيه ، وأفاضوا في شرح قوله :
« ووجه الحصر ان الكلام اما خبر او انشاء لانه إما ان يكون نسبته
خارج تطابقه او لا تطابقه ، او لا يكون لها خارج . الاول الخبر ،
والثاني الانشاء » وحشروا مذهب الحكماء والفلاسفة فيه .

وخاض الدسوقي في بحث النسب وقسمها الى ثلاثة : كلامية ،
وذهنية ، وخارجية . فالاولى تعلق احد الطرفين بالآخر المفهوم من
الكلام ، وتصورها وحضورها في ذهن المتكلم هو النسبة الذهنية ، وتعلق
أحد الطرفين بالآخر من الخارج خارجية . ومضى يضرب الامثلة على
ذلك ، ويشرحها شرحا بعيداً عن البلاغة وتقد الكلام (٣) .

وتدخل الفلسفة الالهية في بحث المجاز العقلي ، ويمضي القزويني
وشراح تلخيصه في الكلام على الفاعل الحقيقي بالنسبة للمؤمن
والدهري ، فيجعل للمؤمن كلاما ، وللكافر كلاما ، وللمعتزلي كلاما ،

(١) حاشية الدسوقي ج ١ ص ١١٨ .

(٢) الايضاح ص ١٣ .

(٣) حاشية الدسوقي ج ١ ص ١٦٤ .

وللجاهل كلاهما • ويتضح هذا الانجاء في قوله حينما يقسم الحقيقة الى أربعة اضرب هي : ما يطابق الواقع واعتقاده كقول المؤمن « انبت الله البقل » و « شفى الله المريض » • وما يطابق الواقع دون اعتقاده كقول المعتزلي لمن لا يعرف حاله وهو يخفيها منه « خالق الافعال كلها هو الله تعالى » • وما يطابق اعتقاده دون الواقع كقول الجاهل «شفى الطبيب المريض » معتقداً شفاء المريض من الطبيب • وما لا يطابق شيئاً منهما كالاقوال الكاذبة التي يكون القائل عالماً بحالها دون مخاطبها (١) •

يقول الدكتور بدوي طبانة معلقاً على هذا الكلام : « وكأنه نفذ الى العقول ، ووصل الى مكامن القلوب والشعور • وكل هذه العبارات كما ترى يقولها المؤمن كما يقولها غير المؤمن مدفوعاً في قولها بهذه العلائق الظاهرة ، وتلك الملابس التي لا تنفصم بين الاثر والمؤثر » (٢) •

ويشدد النقاش حينما يعرضون لمثل قولهم « انبت الربيع البقل » ، فان انبات البقل في الواقع لله تعالى وفي اعتقاد الجاهل للربيع • ويعرضون لآراء المعتزلة مما يطول نقله (٣) • ولم يدفعهم الى هذا الا النظرة الدينية ، والا ايمانهم ان لكل معلول علة ، وان لكل مسبب سبب • ولذلك يصرح القزويني قائلاً « ان الفعل المبني للفاعل في المجاز العقلي واجب ان يكون له فاعل في التقدير اذا اسند اليه صار الاسناد حقيقة » (٤) • وقد يكون ظاهراً كما في قوله تعالى « فما ربيحت تجارتهم » (٥) أي : فما ربحوا في تجارتهم • وقد يكون خفياً لا يظهر الا بعد نظر وتأمل كما في « سرتني رؤيتك » أي سرتني الله وقت رؤيتك ، وقول الشاعر :

(١) الايضاح ص ٢١ - ٢٢ •

(٢) البيان العربي ص ٢٨٩ •

(٣) ينظر المطول ص ٥٤ وما بعدها ، والاطول ج ١ ص ٦٩ ، وشروح التلخيص ج ١ ص ٢٢٤ وما بعدها •

(٤) ينظر دلائل الاعجاز ص ٢٢٩ - ٢٣٠ •

(٥) سورة البقرة ، الآية ١٦ •

وَصَيَّرَنِي هَوَاكَ وَبِي لِحَيْنِي يُضْرَبُ الْمَثَلُ*

أي : وصيّرني الله لهواك وحائي هذه ، أي : اهلكني الله ابتلاء
بسبب هواك •

وكما في قول الآخر :

يزيدك وجهه حسناً إذا ما زردته نظراً

أي : يزيدك الله حسناً في وجهه ، وهو في ذلك يتابع فخرالدين
الرازي ، والسكاكي • وكان عبد القاهر قد وجّه المجاز العقلي هذه
الوجهة الدينية وان لم يوجب ان يكون للفعل فاعل في التقدير اذا نقل
الفعل اليه عاد الى الحقيقة (١) •

وتكلم القزويني في بحث الفصل والوصل على الجامع وأنواعه ،
وهو عقلي ، ووهمي ، وخيالي • وشرع في شرحها فقال : « واما العقلي
فهو أن يكون بينهما اتحاد في التصور ، أو تماثل ، فان العقل بنجريده
المثلين عن التشخيص في الخارج يرفع التعدد •

أو تضاف كما بين العلة والمعلول ، والسبب والمسبب ، وانسفل
والعلو ، والاقل والاكثر ، فان العقل يأبى ان لا يجتمع في الذهن •

وأما الوهمي فهو ان يكون بين تصوّريهما شبه تماثل كلون بياض
ولون صفرة ، فان الوهم يبرزهما في معرض المثلين ولذلك حسن الجمع
بين الثلاثة التي في قوله :

ثلاثة تشرق الدنيا بهجتها

شمس الضحى ، وأبو اسحاق ، والقمر*

أو تضاد كالسواد والبياض ، والهس والجهارة ، والطيب والتنن ،

(١) ينظر دلائل الاعجاز ص ٢٢٩ - ٢٣٠ •

والحلاوة والحموضة ، والملاسة والخشونة ، وكالتحرك والسكون ، والقيام والقعود ، والذهاب والمجيء ، والاقرار والانكار ، والايمان والكفر . وكالمتصفات بذلك كالاسود والايض ، والمؤمن والكافر .

أو شبه تضاد كالسما والارض والسهل والجبل ، والاول والثاني ، فان الوهم ينزل المتضادين والشبيهين بهما منزلة المتضامين . فيجمع بينهما في الذهن ، ولذلك تجد الضد أقرب خطورا بالبال مع الضد .

والخيالي ان يكون بين تصوريهما تقارن في الخيال سابق ، وأسبابه مختلفة ، ولذلك اختلفت الصور الثابتة في الخيالات ترتبا ووضوحا . فكم صور تتعاقب في خيال ، وهي في آخر لا تتراعى ، وكم صورة لا تكاد تلوح في خيال وهي في غيره نار على علم» (١) .

الا ان لصاحب علم المعاني فضل احتياج الى التنبيه لانواع الجامع لا سيما الخيالي . وينتهي القزويني ويمضي الشراح في هذا الاحتجاج مستخدمين وسائلهم واساليبهم المعهودة ، فيقولون ان التماثل في اصطلاح الكلامي الاتحاد في النوع ، والتجانس الاتحاد في الجنس ، والتشابه الاتحاد في العرض (٢) . وهذا كلام بعيد كل البعد عن مفهوم البلاغة ، وخارج عن كل فن ادبي .

ويذهب ابن يعقوب المغربي الى مدى أبعد فيقدم لهذا البحث الفلسفي بتقدمة فلسفية في القوى الباطنية المدركة ، وهي عند الحكماء اربع : القوة العاقلة ، والقوة الوهمية ، وقوة الحس المشترك ، والقوة المفكرة ، ويسضي في شرح القوى الاربع قائلا : « فاما القوة العاقلة فزعموا انها قانسة بالنفس او بالقلب تدرك الكليات والجزئيات المجردة عن عوارض المادة المعروضة والابعاد كالطول والعرض والعمق ، لانها

(١) الايضاح ص ١٦٢ - ١٦٣ .

(٢) المطول ص ٢٦٨ ، وشروح التلخيص ج ٣ ص ٩٢ وما بعدها والاطول ج ٢ ص ١٠ .

مجردة ولا يقوم بها الا المجرّد • وزعموا ان لها خزانة هي العقل الفياض
المدير لفلك القمر •

واما الوهمية فهي القوة المدركة للمعاني الجزئية الموجودة في
المحسوسات بشرط ان تكون تلك المدركات الجزئيات لا تتأدى الى
مدركها من طرق الحواس ، وذلك كادراك الصداقة والعداوة وكادراك
الشاة معنى هو الايذاء في الذئب مثلا ، ولذلك يقال ان البهائم لها
وهم " تدرك به كما ان لها حساً ، وتحكم تلك القوة احكام كاذبة •
ثم تلك القوة أعني الوهمية قائمة باول التجويف الاخر من الدماغ ،
وذلك ان للدماغ تجاويف أي بطونا ، واحدها في مقدم الدماغ وآخر
في مؤخره ، وآخر في وسطه • فزعموا ان الوهم باول التجويف الاخر،
وله خزانة تسمى الذاكرة ، والحافظة قائمة بمؤخرة تجويف الوهم •

واما الحس المشترك وهو الذي تتأدى اليه الصور المحسوسة
الجزئية من الحواس الظاهرة فهو قوة قائمة باول التجويف الاول من
الدماغ وتحكم بين تلك الصورة المتأدية اليها كالحكم بان هذا الاصفر
هو نفس هذا الحلو مثلا ، ويعنون بالصورة ما يمكن ادراكه ببعض
الحواس الظاهرة ولو كان مسموعاً ، ويعنون بالمعاني الجزئية المدركة
للوهم ما لا يمكن ادراكه بها ، وخزائنه الخيال ، وهو قوة قائمة بأخر
ذلك التجويف ، اعني تجويف الحس المشترك فتبقى فيه تلك الصور
بعد غيبتها الحس المشترك •

واما المفكرة فهي قوة تتصرف في الصور الخيالية وفي المعاني
الجزئية الوهمية ، وهي دائماً لا تسكن يقظة ولا مناما •

واذا حكمت بين تلك الصور وتلك المعاني فان كان حكمها بواسطة
العقل كان صواباً ، وان كان بواسطة الوهم والخيال كان غالباً كاذباً
كالحكم بان رأس الحمار ثابت على جثة الانسان والعكس ، ولا ينتظم
تصرفها بل تتصرف بها النفس كيف اتفق • وهي انما تسمى مفكرة في

الحقيقة ان تصرفت بواسطة العقل وحده او مع الوهم ، وان تصرفت بواسطة الوهم وحده او بالخيال وحده أو بهما خصت باسم المتخيلة او المتوهمة . ولم يذكروا لها خزانة بل خزائنها خزائن القوى الأخر .

وقد تقرر بهذا ان هناك في الباطن سبعة أمور : اقوة العاقلة وخزانتها ، والوهمية وخزانتها ، والحس المشترك وخزانتها ، والمفكرة ، وبها أعني هذه السبعة ينتظم أمر الادراك .

وقد صرح بعض الحذاق من المحققين بان النفس هي المدركة بواسطة هذه القوى ، وان نسبة الادراك اليها كنسبة القطع الى السكين في يد صاحبه ، وهذا كله عند الحكماء » (١) .

لقد قلنا هذا كله لنظهر خروجهم عن البلاغة ، والا فما علاقة هذا الكلام بها ؟ وكيف يستفيد منه الاديب او المتذوق في نقد الادب واطهار جماله .

وأدخلوا في علم البيان الدلالات وتكلموا عليها كلاما طويلا ، وقسموها الى ثلاثة أنواع : دلالة المطابقة وهي دلالة اللفظ على تمام ما وضع له ، وقد سميت بذلك لتطابق اللفظ والمعنى أي توافقهما او لتطابق الفهم والوضع بمعنى ان ما فهم هو ما وضع له اللفظ . ودلالة التضمن ، وهي دلالة اللفظ على جزء ما وضع له أو جزء مسماه مع دخوله فيه ، وقد سميت بذلك لان الجزء المفهوم من اللفظ هو في ضمن المعنى الكلي فيفهم عند فهمه .

ودلالة الالتزام وهي دلالة اللفظ على معنى خارجي عن مسماه لازم له ، وقد سميت بذلك ، لان المدلول فيها لازم للمعنى الموضوع له . وتسمى دلالة المطابقة عند علماء البيان دلالة وضعية ، لان السبب في حصولها عند سماع اللفظ أو تذكره هو معرفة الوضع دون حاجة الى

(١) مواهب الفتح ج ٢ ص ٨١ .

شيء آخر • أما دلالتا التضمن والالتزام فتسميان دلالتين عقليتين ، لان حصولهما بانتقال العقل من الكل الى الجزء في الاولى ، ومن المزوم الى اللازم في الثانية بمعنى ان الواضع وضع اللفظ ليفيد جميع المعنى ، غير ان العقل اقتضى ان الشيء لا يوجد بلا جزئه ولازمه^(١) •

وقد بنى البلاغيون المتأخرون تقسيم البيان على هذه الدلالات ، فاخرجوا التشبيه ، لان دلالاته وضعية ، والدلالة الوضعية لا يمكن بها ايراد المعنى الواحد بطرق مختلفة • يقول القزويني « ثم ايراد المعنى الواحد على الوجه المذكور لا يتأتى بالدلالة الوضعية ، لان السامع إن كان عالما بوضع الالفاظ لم يكن بعضها أوضح دلالة من بعض ، وإلا لم يكن كل واحد منها دالا • وانما يتأتى بالدلالات العقلية لجواز ان يكون للشيء لوازم بعضها أصح لزوما من بعض »^(٢) • فانحصر علم البيان في المجاز والكناية ، ولما كانت الاستعارة تبنى على التشبيه جعله قسما ثالثا للبيان ، يقول : « ثم المجاز منه الاستعارة ، وهي ما تبنى على التشبيه ، فيتعين التعرض له ، فانحصر المقصود في التشبيه ، والمجاز والكناية • وقدم التشبيه على المجاز لما ذكرنا من ابتداء الاستعارة التي هي مجاز على التشبيه • وقدم المجاز على الكناية لنزول معناه من معناها منزلة الجزء من الكل »^(٣) • وأسرف شراح التلخيص في بحث الدلالات ، مع أن القزويني اشار اليها اشارة عابرة ، وكانت هذه البحوث ويلا وثبورا على البلاغة العربية ، لانها اخرجتها عن هدفها الفني •

وكان بحث التشبيه مجالا لتسابق القزويني والشراح في ادخال البحوث الفلسفية • وقد تكلموا في الالوان ، والطعوم ، والروائح ،

(١) ينظر مفتاح العلوم ص ١٥٦ ، والفراز ج ١ ص ٢٤ - ٢٩ ، والايضاح ص ٢١٢ والمطول ص ٢٠٠ وشروح التلخيص ج ٢ ص ٢٥٦ وما بعدها ، والاطول ج ٢ ص ٥٠ وما بعدها رفن التشبيه ج ١ ص ١٨ - ١٩ •
(٢) الايضاح ص ٢١٢ •
(٣) الايضاح ص ٢١٣ •

والحركات ، والمحسوسات ، والكيفيات النفسية ، والبحث في اللذة والالام ، والخيال ، والمفكرة ، والوجدان، والماهية ، والكلام على حرارة الحروف ، وبرودتها ، ورطوبتها ، ويوستها • وأسرف المغربي في الكلام على اللذة والالام والبصر واقوال حكماء التشريح ، والكلام على الاشكال والحركة واختلاف المتكلمين والحكماء فيها ، وتفسير السمع ، والذوق ، والطعوم ، والصلابة ، واللين ، والخفة والثقل ، وأسرف في الحديث عن الكيفيات النفسية من الذكاء، والعلم ، والغضب، والحلم، والغرائز^(١) .
والمغربي في هذا كله يقارن بين اقوال المتكلمين واءاء الحكماء •

ونجد التفتازاني عندما يتكلم على وجه الشبه يقول : « مما يدرك بالبصر وهو قوة مرتبة في العصبين المجوفتين اللتين تتلاقيان وتفترقان الى العينين ••

وبالحركات، وهي الخروج من القوة الى الفعل على سبيل التدرج وفي جعل المقادير والحركات من الكيفيات ••

او بالسمع ، والسمع قوة رتبت في العصب المفروش على سطح باطن الصماخين يدرك بها الاصوات من الاصوات القوية والضعيفة ، والتي بين بين • والصوت يحصل من التمزج المملول الفرع الذي هو احساس عنيف ، والقلع الذي هو تفريق عنيف بشرط مقاومة المقروع للقارع والمقلوع للقالع • ويختلف الصوت قوة وضعفاً بحسب قوة المقاومة وضعفها •

أو بالذوق ، وهو قوة منبثه في العصب المفروش على جرم اللسان من الطعوم كالحراقة ، والمرارة ، والملوحة ، والحموضة ، وغير ذلك •

أو بالشم ، وهي قوة رتبت في زائدتني مقدم الدماغ المشبهتين بحلستي الثدي من الروائح •

(١) مواهب الفناج ج ٣ ص ٢٢٠ وما بعدها .

أو باللمس ، وهي قوة سارية في البدن يدركها الملموسات» (١) .

ونجد الخلاف على أشده بين المذاهب في المسائل المنفحة ، فهذا المغربي يقول في بحث وصف المسند اليه متكلماً على الجسم الطويل : « ثم ان تفسيره بما ذكر انما هو على المذهب الاعتزالي . واما عند الحكماء فالجسم هو المركب من الهيولي أي الجواهر المفردة ومن الصورة . وعند أهل السنة هو ما تركب من جوهرين فاكثر . والفرق بين المذهب السني ومذهب الحكماء ان الصورة عند الحكماء لها دخل في التركيب ، وهي جزء الجسم ، وعند أهل السنة ان التركيب للجواهر والصورة عرض اعتباري أو حقيقي ، ولا مدخل لها في جزئية الجسم » (٢) .

وقد كان القدماء أنفسهم يشعرون بثقل هذه المادة على البلاغة وغرابتها ، ولكنهم جاروا المتقدمين ، وانغمسوا فيها . يقول المغربي بعد ان تحدث عن اللذة والالام ، والاشكال ، والسمع ، والذوق : « وقد اطنبت قليلا فيما يتعلق بهذه الكيفيات على حسب ما فسرها الشارح مما هو من تدقيقات الحكماء بعد تفسير بعضها بما هو أقرب الى الفهم قصد الايضاح وزيادة في الفائدة وان كان تفسيره كما قيل لا يناسب هذا الفن ولا يسهل على المتكلم بل يزيده حيرة . ولكن حيث ارتكب ذلك وجب مجاراته مع زيادة ما يوضح الغرض من بيان اصطلاحهم ازالة للحيرة عن المتعلم » (٣) .

ونجد عصام الدين يقول بعد ان تكلم على الحواس ، والكيفيات ، والحركات : « واعلم انه لم يف المصنف بما وعد في دياجة الكتاب من حذف الحشو ، والتطويل ، والتعقيد ، ونسي عنه في هذا المقام ، لان

(١) المختصر ج ٣ ص ٢٢٢ وما بعدها .

(٢) مواهب الفتح ج ١ ص ٢٦١ .

(٣) مواهب الفتح ج ٢ ص ٢٤٢ .

هذه التقسيمات ما لا تقع له في هذا الفن ، بل يوجب تحير الافهام وايقاع المبدئين في الظلام حتى ان الشارح قال كأنه ابتهاج من السكاكي باطلاعه على اصطلاحات المتكلمين . فهو من التطويلات المشكلة على المبتديء فيجب حذفه لمن الزم تنقيح الكلام عن التطويل والتعقيد ، وكأنه منع المصنف حذفه لاتقائه من الاتهام بانه لم يعرف على اصطلاحات المتكلمين ، فحذفه لعدم فهمه مقاصد المفتاح في هذا المقام لكونه عاريا عن معرفة مصطلحات الكلام» (١) . وبذلك نرى أن القدماء أنفسهم احسوا بما في هذه البحوث من ثقل على الدراسات البلاغية ، ولكنهم يذكرونها خوفاً من ان يتهموا بعدم الاطلاع عليها . وقد دفعهم هذا الاحساس والشعور الى البحث فيها ، واقحامها في البلاغة ، واتخاذها دليلاً على ثقافتهم الواسعة ، واطلاعهم على اساليب الفلاسفة والمتكلمين .

وكان لمصطلحات المنطق أثر في كتابي القزويني ، ففيهما التأسيس ، والموجبة ، والمهملة ، والمعدولة ، والسالبة المهملة ، والسالبة الكلية ، والسالبة الجزئية ، والمسورة ، والتصوير ، والتصديق ، وغيرها (٢) . ونجد في شروح التلخيص المصدوق والمصدق ، ومصطلحات الحكماء والاصوليين .

ولم يقف الامر عند هذا بل استفاد القزويني من أساليب الفلاسفة والمتكلمين في البحث ، والشرح ، والتعليل . يقول في تعريف فصاحة المتكلم : « واما فصاحة المتكلم : فهي ملكة يقتدر بها على التعبير عن المقصود بلفظ صحيح . . . وقيل «ملكة» ولم يقل «صفة» ليشعر بان الفصاحة من الهيئات الراسخة حتى لا يكون المعبر عن مقصوده بلفظ فصيح فصيحاً الا اذا كانت الصفة التي اقتدر بها على التعبير عن المقصود بلفظ فصيح راسخة فيه . وقيل « يقتدر بها » ولم يقل « يعبر بها » ليشمل حالتي النطق

(١) الاطول ج ٢ ص ٧٧ .

(٢) الابضاح ص ٦٤ - ٦٥ والتلخيص ص ٨٤ .

وعدمه ، وقيل : « بلفظ فصيح » ليعم المفرد والمركب» (١) . وقال بعد ان عرف علم المعاني: « وقيل : « يعرف » دون « يعلم » رعاية لما اعتبره بعض الفضلاء من تخصيص العلم بالكليات ، والمعرفة بالجزئيات ، كما قال صاحب القانون في تعريف الطب : « الطب علم يعرف به أحوال بدن الانسان » . وكما قال الشيخ ابو عمر رحمه الله : « التصريف علم باصول يعرف بها أحوال ابنية الكلم » (٢) .

وهذا الاسلوب وان كان معروفا عند المتقدمين ، إلا أنهم لم يسرفوا فيه هذا الاسراف ، ولم يستعملوه في ميدان البحث البلاغي . وقد غالى شراح تلخيص المفتاح في هذا الاتجاه ، فقال عصام الدين شارحا معنى « علم » في تعريف البيان : « وهو علم أي مسائل معلومة عن الادلة ، أو تصديقات بها حاصلة عن الادلة ، أو ملكة هذه التصديقات أعني كيفية راسخة يتمكن بها من التصديق بمسألة مسألة تفصيلا من غير حاجة الى تجشم كسب جديد . وانما قيدنا معاني العلم بالحصول عن الدليل وان اطلقها الناظرون في هذا المقام لما حققت من أن من جمع مسائل العلم بالتقليد لا يسمى عالما ، وتصديقاتها لها لا يسمى علما . واستعمال لفظ العلم في التعريف مخل » (٣) .

ويستعمل القزويني في اظهار الحسن البلاغي الاساليب الفقهية ، والفلسفية في التعليل ، فيقول بعد ان انتهى من بحث موضوعات البيان: « اطبق البلغاء على ان المجاز ابلغ من الحقيقة ، وان الاستعارة ابلغ من التصريح بالتشبيه ، وان التمثيل على سبيل الاستعارة ابلغ من التمثيل لا على سبيل الاستعارة ، وان الكناية ابلغ من الافصاح بالذكر » (٤) .

ولكن لماذا ؟ لم يذكر القزويني وغيره من المتأخرين سبب ذلك

(١) الايضاح ص ٩ .

(٢) الايضاح ص ١٢ .

(٣) الاطول ج ٢ ص ٥٠ .

(٤) الايضاح ص ٢٢٨ - ٢٢٩ .

ووجهة النظر البلاغي ، وانما « السبب في ذلك ان الانتقال في الجميع من الملزوم الى اللازم فيكون اثبات المعنى به كدعوى الشيء بيينة ، ولا شك ان دعوى الشيء بيينة أبلغ في اثباته دعواه بلا بيينة » (١) .

ولا يخرج تعليله في تأكيد المدح بما يشبه الذم عن هذا التعليل ، يقول : فالتأكيد فيه من وجهين :

أحدهما : انه كدعوى الشيء بيينة .

والثاني : ان الاصل في الاستثناء ان يكون متصلا ، فاذا نطق المتكلم بـ « الا » أو نحوها توهم السامع قبل ان ينطق بما بعدها ان ما يأتي بعدها مخرج مما قبلها فيكون شيء من صفة الذم ثابتا ، وهذا ذم ، فاذا أتت بعدها صفة مدح تأكد المدح ، لكونه مدحا على مدح ، وان كان فيه نوع من الخلافة » (٢) .

لقد احس القزويني ان في هذا نوعا من الخلافة ولكن ما هي ؟ لم يستطع ان يشرح لنا هذه الخلافة ، ويبين أهمية استعمال هذا الاسلوب وقيمتها في التعبير الا ما كان من دعوى الشيء بيينة . فالتعليلان الفقهي والنحوي لا يجديان في اظهار جمال هذا الاسلوب ، وقد صرح المغربي ان في هذا التعليل تحلا وان قال عن الثاني انه ابلغ . وانه توجيه يستملح ويثلج به الصدر في افادة التأكيد حقيقة ، والاول انما أفاد التأكيد بامر تخيلي (٣) .

ويرى الاستاذ الخوني ان السر النفسي لجمال هذا الاسلوب ما فيه من معنى المباغته والمفاجأة التي تكسبه طرافة ، وتثير حوله تنبيها ، سواء أكانت هذه الطرافة تقوم على اتصال الاستثناء أم يتحول معها منقطعا ، فان المباغته هي الاصل ، لا ملاحظة الاستثناء وحالته (٤) .

(١) الايضاح ص ٣٢٩ .

(٢) الايضاح ص ٣٧٣ .

(٣) مواهب الفتح ج ٤ ص ٢٨٩ .

(٤) مناهج تجديد ص ١٩٧ .

ونحن لا نستطيع ان نأخذ هذه التعليقات دليلا على روعة الاساليب الادبية لانها لا تفيدنا كثيرا ، ولا تفتح الطريق أمامنا لتلمس مواطن الجمال وتحسس ما تثيره في النفوس .

وننتهي من هذا كله الى ان النزعة الفلسفية والجدلية تسيطر على بلاغة القزويني . وقد رأينا هذا في المنهج ، والتبويب ، وبيان المعاني البلاغية ، واستخدام المصطلحات ، والاساليب الكلامية والفلسفية والاصولية . ومن هنا لا نرى فائدة في العكوف على بلاغة القزويني ، وانه لمن المفيد ان نجرد بلاغتنا الجديدة مما علق بها من غريب .

وليس هذا وحده ما ينبغي تخليته من البلاغة فهناك موضوعات اقحمت فيها اقحاما كالدراسات النحوية التي تظهر باجلى صورها في فصول علم المعاني الذي احاله السكاكي والقزويني ومن جاء بعدهما الى ميدان للجدل في تقدير الفاعل او المفعول . او البحث في استعمال ادوات الشرط ، وأحوال التعريف ، وتقسيم القصر باعتبار المقصور الى قصر موصوف على صفة ، وقصر صفة على موصوف ، وباعتبار حال المخاطب به الى قصر افراد ، أو قصر قلب ، أو قصر تعيين . أو البحث في أدوات الاستفهام ، والتمني ، والنداء ، والامر ، والنهي ، والبحث في واو الحال وغيرها مما أشرنا اليه في كلامنا على السبكي الذي كان شرحه ميدانا لعرض الآراء النحوية ، ووجهات النظر المختلفة .

ونرى أن نعيد هذه المباحث الى النحو ونضمها الى فصوله ، لتعود اليه الحياة بعد ان سلبوه كل شيء ، وجعلوه يتعلق بأواخر الكلمات من رفع ونصب او بناء ، واعراب . وقد اشار القدماء الى ان كثيرا من هذه الموضوعات، ليست من علم المعاني . يقول عصام الدين عن الامر : « ولا يخفى عليك ان مباحث الامر كالاستفهام ليس من فن المعاني ، وليس منه الا نكات العدول من الحقيقة الى التجوز بالامر»^(١) .

(١) الاطول ج ١ ص ٢٤٨ .

واننا اذ ندعو الى اخراج هذه الموضوعات من البلاغة نهدف الى
أمريين :

الاول : تخليص البلاغة من كل غريب لا علاقة له بالفن الادبي ،
وانما اقحم عليها اقحاما افقدتها قيمتها والغرض الذي من اجله درسها
القدماء •

والثاني : تخليصها من هذا الاضطراب المنهجي والانتقال من
اسلوب الى اسلوب ، فهم يتخذون تارة اساليب الفلاسفة وأهل المنطق
عندما يناقشون ، ويتخذون أسلوب الفقهاء حينما يعللون ، ويظهرون
روعة الاساليب تارة اخرى ، ويتخذون اسلوب النحاة حينما يعرضون
لموضوعات النحو ويفصلون القول فيها • وما أحوج البلاغة الى
تجريدتها من هذا كله لتبقى خالصة للفن ، وليبقى أسلوبها منسقا ليس
فيه هذا الانتقال الذي نحتمه طبيعة كل نوع من هذه الموضوعات
المختلفة في الهدف والاسلوب •

ونحن حينما ندعو الى اخراج الغريب من البلاغة كالنحو ، والمباحث
اللغوية ، لا نعني بذلك انها عديمة الفائدة ، بل بالعكس نرى أن لها
قيمة في فهم الادب ، وتدوقه ، ومعرفة ما فيه • ومن هنا نجد الاقدمين
وعلى رأسهم البلاغي الناقد ابن الاثير يعتبرها من مكملات ثقافة الاديب
والباحث في البلاغة ، وذكر في أول « المثل السائر » و« الجامع الكبير »
أن الانسان ليجتاج اليها ، وانها المفتاح الذي يفتح أبواب البلاغة ، ولكن
على شرط ان لا تمتزج بحوثها بفصول البلاغة ، بل تدرس على اساس
انها علوم مستقلة تفيد الاديب في تنمية ثقافته اللغوية والنحوية ،
وتقوي مداركه ، وتعينه في نقد الكلام ، وتميز حسنه من رديئه •

ما ينبغي أخذه :

هذا ما ينبغي اخراجه من بلاغة القزويني ، أما ما يمكن الاستفادة منه في البلاغة الحديثة فهو غير ما ذكرناه . وانا لواجدون عند القزويني كثيراً من البحوث الصالحة للبقاء ، من ذلك مصطلحات البلاغة التي نشأت في اول عهدها نشأة لغوية ، ثم اخذت تتطور على مدى الايام حتى استقرت ، وتحددت معانيها ومفاهيمها على يد السكاكي والقزويني .

المصطلحات :

واننا اذ ندعو الى الاخذ بمصطلحات القزويني البلاغية انما نريد التخلص من القوضى التي دخلتها ، والاضطراب الذي اصابها . ولو رجعنا الى أي مصطلح منها ، وتابعناه منذ أول نشأته حتى القزويني لوجدنا الاختلاف واضحاً والتحديد غير متفق عليه . وقد بدا هذا جلياً في موضوعات البديع التي تسابق البلاغيون في تفريعها ، وأوصلوها الى اكثر من مائة ، وانه لمن اليسير أن يضم كثير منها الى انواع معينة ، ولكن غرامهم بالبديع وتأخرهم بالسبق دعاهم الى هذا مع ان السكاكي الذي عاش في عصر متأخر لم يذكر منه الا أنواعاً قليلة ، ولكن أصحاب البديعيات ، كالحلي ، والموصلي ، والحموي أوصلوها الى ما وصلت اليها . وقد بدأ الولوع بهذا مبكراً حتى أن ابن الاثير يقول : « اعلم

أنه قد اختلف أرباب هذه الصناعة في تسمية أنواع علم البيان حتى ان أحدهم يضع لنوع واحد اسمين اعتقادا منه أن ذلك النوع نوعان مختلفان ، وليس الامر كما وقع له ، بل هما نوع واحد ، فمن فعل ذلك الغانمي فانه ذكر في كتابه بابا من ابواب علم البيان وسماه التبليغ ، وهو أن يأتي الشاعر بالمعنى في البيت تاما من غير أن يكون للقافية فيها ذكر صنع ، ثم يأتي بها لحاجة الشعر اليها حتى يتم وزنه فيبلغ بذلك الغاية القصوى في الجودة ثم أنه ذكر بعد هذا الباب بابا آخر وسماه الاشباع فقال : هو أن يأتي الشاعر بالبيت معلقا بالقافية على آخر اجزائه ، ولا يكاد يفعل ذلك الا حذّاق الشعراء وذلك ان الشاعر اذا كان بارعا جلب بقدرته وذكائه وفطنته الى البيت وقد تمتّ معانيه ، واستغني عن الزيادة فيه قافية متممة لا عارضه ووزنه فجعلها نعتا للمذكور . هذا كلام الغانمي بعينه والبابان المذكوران سواء لا فرق بينهما بحال من الاحوال » (١) .

وقد جمع العسكري هذين النوعين في فن واحد أطلق عليه اسم الايغال وذكر امثلتهما وبذلك قلل المصطلحات (٢) . وأيده ابن الاثير فقال : « وهذا أقرب أمراً من الغانمي ، لانه ذكره في باب واحد وسماه باسم واحد ولم يذكره في باب آخر كما فعل الغانمي - رحمه الله - وليس الاخذ على الغانمي في ذلك مناقشة على الاسماء ، وانما المناقشة له على أن ينتصب لا يراد علم البيان ، وتفصيل أبوابه ويكون أحد الابواب التي ذكرها داخلا في الآخر فيذهب عليه ذلك ، ويخفى عنه ، وهو أشهر من فلق الصبح » (٣) .

وادعى بن ابي الاصبع المصري انه اخترع ثلاثين نوعا بديعيا، والمنتبع لهذه الانواع يرى أنها لم تسلم له كلها ، وانما كان بعضها مسبوqa اليه

(١) الجامع الكبير ص ٢٤٠ - ٢٤١ .

(٢) كتاب الصناعتين ص ٣٨ وما بعدها .

(٣) الجامع الكبير ص ٢٤٢ . والنمل السائر ج ٢ ص ٣٥٠ - ٣٥١ .

كالتخيير ، والتدييح ، والاستقصاء والبسط ، والتشكيك ، والتهكم ،
 والتقدير ، والفرائد ، والالغاز ، والتعمية ، والنزاهة ، والمراجعة ،
 والسلب والايجاب ، والايهام ، والمقارنة ، والمناقضة ، وحسن الخاتمة ،
 ولم يسلم له الا التمزيج والهجاء في معرض المدح ، والعنوان ، والايضاح ،
 والحيدة ، والانتقال ، والشماتة ، والاسجال بعد المغالطة ، والتصرف ،
 والتسليم ، والافتتان ، والقول بالموجب ، وحصص الجزئي والحقاقه
 بالكلي ، والابداع ، والافتصال^(١) .

ولم يدفعه الى هذا الا تفريعاته واطلاق المصطلحات الخاصة على
 فنون قد تكون نوعا واحدا ، فالبسط عنده ليس الا الاطناب الذي
 عرفه البلاغيون منذ اول عهدهم بالتأليف وهكذا الامر في الفنون الاخره .
 ولكي نظهر اختلاف البلاغيين في المصطلحات واطلاقهم الاسماء
 المختلفة على فن بلاغي واحد نذكر أمثلة منها : تسميتهم التجنيس
 بالجناس والمجانس ، وان بعض البغداديين يسمي تساوي اللفظتين في
 الصفة مع اختلاف المعنى التماثل^(٢) وتسميتهم التورية بالايهام
 والتوجيه والتخيير^(٣) ويرى ابن حجة أن التورية أولى في التسمية
 لقربها من مطابقة المسمى ولائها مصدر وريت الخبر تورية اذا سترته
 وأظهرت غيره^(٤) وتسمية التشبيه المقلوب بغلبة الفروع على الاصول
 او الطرد والعكس^(٥) وتسمية المنصف بالاستدراج ، لاستدراجه الخصم
 الى الاذعان والتسليم^(٦) والتوجيه بمحتمل الضدين^(٧) وتسمية

(١) تنظر هذه الفنون في بديع القرآن وينظر الفصل الرابع في كتاب ابن أبي

الاصمعي المحري بين علماء البلاغة .

(٢) سر الفصاحة ص ٢٢٦ ، ٢٢٨ .

(٣) التلخيص ص ٧٦٠ والايضاح ص ٣٥٣ والمطول ص ٤٢٥ وشروح التلخيص

ج ٤ ص ٢٢٢ .

(٤) خزنة الادب ص ٢٣٩ .

(٥) المثل السائر ج ١ ص ٤٢١ والجامع الكبير ص ٩٧ والفوائد ص ٥٧ و ٥٩

والخصائص ج ١ ص ٢٠٠ .

(٦) المطول ص ١٦٥ .

(٧) المطول ص ٢٤٣ وشروح التلخيص ج ٤ ص ٤٠٠ .

الارصاد بالنسهم والتوشيح. وقد نقد ابن الاثير أبا هلال فقال: «ورأيت أبا هلال العسكري قد سمي هذا النوع التوشيح وليس كذلك بل تسميته بالارصاد أولى وذلك حيث ناسب الاسم مسماه ولاق به وأما التوشيح فانه نوع آخر من علم البيان» (١) . وتسمية لزوم ما لا يلزم بالالزام والتضمين والتشديد والاعنات والتضييق (٢) والتشريع بالتوشيح وذوي القافيتين (٣) وتسمية التكميل بالاحتراس ، وعللوا هذه التسمية فقالوا : ويسمى هذا النوع من الاطناب الاحتراس أيضا أي زيادة على تسميته بالتكميل . أما تسميته بالتكميل فتكميله المعنى يدفع خلاف المقصود عنه . وأما تسميته بالاحتراس فهو من حرس الشيء ضغطه وهذا فيه حفظ المعنى ووقايته من توهم خلاف المقصود لان ما أتى به فيه يتحرز به عن خلاف المقصود (٤) ورد العجز على المصدر بالتصدير ، وكان القاضي قد ذكر بابا باسم « رد الاعجاز على الصدور» خارجا عن باب التجنيس وهو ضرب منه وقسم من جملة (٥) وتسمية المطابقة بالطباق والتضاد والتطبيق والتكافؤ (٦) والتشريع بالتوأم والتوشيح (٧) وتجاهل العارف بسوق المعلوم مساق غيره وقد سماه السكاكي بالاسم الاخير يقول : « ولا أحب تسميته بالتجاهل » (٨) وتسمية مراعاة النظير بالتناسب والتوفيق (٩) والمذهب الكلامي بالاحتجاج النظري وقد اكثر ابو حيان النحوي الاندلسي من استعمال

- (١) المثل السائر ج ٢ ص ٣٥٠ وينظر التلخيص ص ٣٥٦ والايضاح ص ٢٤٧ والمطول ص ٤٢٢ وشروح التلخيص ج ٤ ص ٣٠٥ .
(٢) شروح التلخيص ج ٤ ص ٤٦٣ والمطول ص ٤٥٨ والفوائد ص ٢٣٤ .
(٣) المطول ص ٤٥٨ والمختصر ج ٤ ص ٤٦١ .
(٤) مواهب الفتاح ج ٣ ص ٢٢١ .
(٥) الجامع الكبير ص ٢٥٨ والمثل السائر ج ١ ص ٢٥١ - ٢٥٢ .
(٦) التلخيص ص ٣٤٨ والايضاح ص ٢٣٤ والمطول ص ٤١٧ وشروح التلخيص ج ٤ ص ٢٨٦ والفوائد ص ١٤٥ والمثل السائر ج ٣ ص ٢٧٩ .
(٧) التلخيص ص ٤٠٥ والبلغة الفنية ص ١٦٢ .
(٨) مفتاح العلوم ص ٢٠٢ والايضاح ص ٣٧٨ والتلخيص ص ٢٨٥ .
(٩) شروح التلخيص ج ٤ ص ٣٠١ والتلخيص ص ٣٥٤ والايضاح ص ٢٤٣ والمطول ص ٤٢٠ .

المصطلح الثاني في تفسيره للقرآن الكريم ولكن البلاغيين أطلقوا عليه الاول (١) .

هذه أمثلة لاختلافهم في المصطلحات ، وهي تدلنا دلالة واضحة على ان فنون البلاغة ومصطلحاتها بقيت تتطور على مدى العصور ومن هنا جاء هذا الاختلاف ، ولكنها بقيت ثابتة بعد ان وضع القزويني كتابيه التلخيص والايضاح ، ولو أردنا ان نستقصي تطور المصطلحات لطال بنا الكلام ولعل في العودة الى المثل السائر وبديع القرآن وخزانة الحموي ما يعني عن الكلام ، لان هذه الكتب قد جمعت الاراء المختلفة في كل موضوع وذكرت مصطلحات الفن الواحد .

ونحن في بلاغتنا الجديدة لا يمكن ان نبقي مضطربين في هذه المصطلحات ، وانما ينبغي ان ننتقها ، ونوحدها ، ونضم بعضها الى البعض ، ونستعمل منها ما هو اكثر دلالة على الفن البلاغي الذي نبحت فيه . ونرى ان نستفيد مما ذكره القزويني ، لانه جمع زبدتها في كتابيه . وقد كان موقفا الى حد كبير في بحث البديع فادخل بعض فنونه في بعض وبذلك قلل المصطلحات ، وقلل انواع البديع الذي أسرف المتأخرون في تنويعها . ولكن لن نقف عند القزويني في هذه الناحية وانما ينبغي ان نستفيد من غيره فنأخذ ما هو أجدى من مصطلحاته ، واكثرها دلالة ، وأقربها الى الفهم والذوق السليم .

الفصاحة :

ومن الموضوعات التي ينبغي أن نستفيد منها ، مقدمته في الفصاحة وهي ليست مقدمة لدراسة البلاغة — كما يزعم — وانما هي من صنيم الدراسات البلاغية ، وان كان عبد القاهر لم يَرَ لها مزية ، لانه شغل بالنظم وبرهن على ان القرآن معجز به ، لا باللفاظ التي يتساوى

(١) ينظر البحر المحيط ج ٢ ص ٨٩ و ٣٠٥ وج ٤ ص ٢٩٣ وجه ص ٢٥٠ والتلخيص ص ٢٧٤ والايضاح ص ٢٦٦ والفوائد ص ١٢٦ وشرح التلخيص ج ٤ ص ٢٦٩ .

فيها القرآن وغيره من كلام العرب ، ولم تكتسب شيئاً جديداً لم يكن لها قبل ان توضع في آيات الكتاب المبين . وقد اهتم بها القدماء كأبن سنان وابن الاثير وغيرهما ، ورأوا أن الاديب يحتاج في تأليفه الى ثلاثة أشياء : اختيار الالفاظ المفردة ، وحكم ذلك حكم اللآلي المبدد فانها تتخير وتنتقي قبل النظم . ونظم كل كلمة مع اختها المشاكلة لها لتلايحيء الكلام قلقتا نافرأ عن موضعه ، وحكم ذلك حكم العقد المنظوم في اقتران كل لؤلؤة منه باختها المشاكلة لها . والغرض المقصود من ذلك الكلام على اختلاف أنواعه ، وحكم ذلك حكم الموضوع الذي يوضع فيه العقد المنظوم فتارة يجعل اكليل على الرأس ، وتارة يجعل قلادة في العنق ، وتارة يجعل شنفا في الاذن . ولكل موضع من هذه المواضع هيئة من الحسن تخصه .

وينتهي ابن الاثير الى أن هذه الامور الثلاثة لا بد للخطيب والشاعر من العناية بها ، وهي الاصل المعتمد عليه في تأليف الكلام من النظم والنثر . فالاول والثاني من هذه الثلاثة المذكورة هما المراد بالبلاغة . وذهب الى أن للالفاظ في الاذن نغمة لذيدة كنغمة أوتار ، وصوتا منكر كصوت حمار ، وأن لها في الضم حلاوة كحلاوة العسل ، ومرارة كمرارة الحنظل ، وهي على ذلك تجري مجرى النغمات والطعوم (١) .

وأهتم المعاصرون بالبحث في اللفظ الموحي ، واللفظ القوي ، واللفظ المؤنس والعذب في تألفه مع الجملة ، وكيف يعبر عن الافعال أو الفكرة ، وكيف يحدث صورة . وأن اختيار الكلمة الواجبة المؤثرة هي أول خطوة للبناء الفني ، وذهب بعض النقاد المحدثين الى ان اللفظ « عنصر على جانب كبير من الاهمية ، وقد يقوم به القصيد دون حاجة الى صورة خيالية ، او موسيقى جياشة ، فان الالفاظ وصوتها ودلالاتها ،

(١) ينظر الملل السائر ج ١ ص ١٤٢ - ١٥٠ .

وجوها ، وتآلفها كافية لابداع القصيد البديع» (١) .

الايجاز والاطناب :

ومنها بحث الايجاز والاطناب والمساواة ، فقد جمع فيه القزويني جودة التقسيم مع روعة العرض والتحليل . ولم يضطرب فيه كما اضطرب المتأخرون فجعلوا بعض أقسامه من البديع كالتكميل ، والتميم ، والايغال . ويمكن ان نضم الى هذا البحث ما كتبه رجال المدرسة الادبية كابن رشيق ، وابن الاثير وبذلك تكون لنا مقاييس جيدة في نقد الكلام ونميز الاساليب المختلفة ، ونرى أن هذا الفصل يكون بعد هذا كله من خيرة بحوث الاسلوب التي يهتم بها المعاصرون .

بحوث أخرى :

ولن نهمل من بلاغة القزويني بحوثه في التشبيه ، والاستعارة ، والكناية ، والبديع ، فهي من البحوث الجيدة التي تشهد له بسعة الاطلاع والتذوق . ولكننا لن نأخذ تقسيماته الكثيرة ، وانما نقبل منها ما يفيدنا مع الاهتمام بتقليل الاقسام ، والابتعاد عن تعليلاته ، واعجابه بالتشبيهات الغريبة التي أكثر منها ابن المعتز وامثاله من الشعراء المترفين .

السرقاات :

اما خاتمة كتابه المتعلقة بالسرقاات الشعرية ، وحسن الابتداء ، والتخلص والانتهاء ، فهي ضرورية في دراسة البلاغة ، ونخص بالذكر منها السرقاات التي تلعب دورا كبيرا في الاحكام النقدية الحديثة . وهي ليست خاتمة للبلاغة أو تابعة لاحد فنونها ، وانما هي فن له اهميته في الدراسات البلاغية ، ولهذا اعتنى العرب بها قديما ، وأفردوا لها كتباً ، وعني بها المحدثون وأولوها اهتماما كبيرا لانها تثير السبيل للناقد في

(١) الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث ص ٥٧ وينظر النقد الادبي من خلال

تجارني ص ٨١ وما بعدها .

دراسة ابداع الاديب ، واسفافه ، ومعرفة جديده ، ومقدار أخذه
عن الآخرين •

التفاتات :

وللقزويني التفاتات طيبة منها ايمانه بالتجديد ، فهو ينقل عن
الجاحظ قوله : « قال الجاحظ وكلام كثير جرى على السنة الناس ، وله
مضرة شديدة ، وثمرة مرة • فمن أضرَّ ذلك قولهم : « لم يدع الاول
للاخر شيئاً » • فلو ان علماء كل عصر مئذ جرت هذه الكلمة في اسماعهم
تركوا الاستنباط لما لم ينته اليهم عن قبلهم لرأيت العلم مختلاً » (١) •

وله التفاتات نقدية مثبتة في بحوثه البلاغية الصرفة ، وتتجلى
مظاهر النقد عنده فيما ورد في تضاعيف « الايضاح » من الدراسات
والآراء التي عقب بها على النصوص الشعرية فأظهر محاسنها أو عيوبها ،
أو في معرض الدفاع عن اصحابها بالرد على من عابوها ، أو في سبيل
تقرير مبدأ يزول به الوهم عن أذهان المعترضين • ويتجه نقده في بعض
الاحيان الى أسلوب الموازنة بين شعر وشعر ، أو بين رأي وآخر ، وقد
تجلى هذا في بحث السرفات بصورة خاصة ، لان بحثها يقوم على
الموازنة •

الشكلية :

وتطغى الشكلية في كثير من الاحيان على نقده ، وتحليله ،
ومقارناته ، وأوضح مثال لذلك مقارنته بين قوله تعالى : « ولكم في
القصاص حياة » (٢) • وبين قول العرب : « القتل اتقى للقتل » يقول
وهو يتكلم على ايجاز القصر : « ايجاز القصر وهو ما ليس بحذف
كقوله تعالى : « ولكم في القصاص حياة » فانه لا حذف فيه مع أن
معناه كثير يزيد على لفظه لان المراد به أن الانسان اذا علم انه متى

(١) الايضاح ص ١٦ •

(٢) سورة البقرة ، الآية ١٧٩ •

قتل قتل كان ذلك داعيا له قويا الى ان لا يقدم على القتل فارتفع بالقتل
— الذي هو قصاص — كثير من قتل الناس بعضهم لبعض، فكان في ارتفاع
القتل حياة لهم»^(١) وهذا تعليق حسن منه، فيه توضيح لمعنى الآية الكريمة
ولكنه يفرق في الشكلية عند المقارنة فيضع النقاط الواحدة بعد الاخرى
فيقول: « وفضله على ما كان عندهم أوجز كلام في هذا المعنى وهو
قولهم « القتل أنفى للقتل » من وجوه :

أحدها : أن عدة حروف ما يناظره منه وهو « في القصاص حياة »
عشرة في التلفظ وعدة حروفه أربعة عشر •

وثانيها : ما فيه من التصريح بالمطلوب الذي هو الحياة بالنص
عليها ، فيكون أزجر عن القتل بغير حق لكونه ادعى الى الاقتصاص •

وثالثها : ما يفيد تنكير « حياة » من التعظيم او النوعية •
ورابعها : اطراده ، بخلاف قولهم ، فان القتل الذي ينفي القتل هو
ما كان على وجه القصاص لا غيره •

وخامسها : سلامته من التكرار الذي هو من عيوب الكلام بخلاف
قولهم •

وسادسها : استغناؤه عن تقدير محذوف بخلاف قولهم فان تقديره:
القتل أنفى للقتل من تركه •

وسابعها : أن القصاص ضد الحياة ، فالجمع بينهما طباق •
وثامنها : جعل القصاص كالمنبع والمعدن للحياة بادخال « في »
عليه^(٢) •

ويمكن تطبيق ما تقدم على شروح التلخيص ، فرفض منها ما
رفضناه من بلاغة القرويني ، ونقبل ما أخذناه من التلخيص والايضاح ،
وبذلك نبني بلاغتنا على أسس قديمة أبدع القدماء في ارسائها ، وعلى
أسس حديثة تتطلبها حياتنا الجديدة •

(١) الايضاح ص ١٨٢ •

(٢) الايضاح ص ١٨٢ - ١٨٣ •

تحلية :

ولن تكون البلاغة العربية صالحة في النقد الا اذا استفدنا من كتب البلاغة القديمة كلها ومن الدراسات الحديثة . ومن أهمها الدراسات النفسية التي اهتم بها المحدثون اهتماما بالغا ، واستخدموها في النقد ودراسة الفنون الادبية . وكان العرب منذ أول عهدهم بالتأليف قد لمحوا الصلة بين النفس والادب ، وفي كتبنا نماذج تدل على هذه اللحظة كما في كتاب « الشعر والشعراء » لابن قتيبة الذي ذكر أن للشعر دواعي تحث البطيء ، وتبعث من المتكلف ، منها : الشراب ، والطرب ، والمطمع ، والغضب ، والشوق ووصف الاماكن ، والاقوات التي يسرع فيها أتي الشعر .

وفي كتاب « الوساطة بين المتنبي وخصومه » للقاضي الجرجاني اشارات كثيرة الى ذلك . ومما فطن له الجرجاني رجوع القاريء الى نفسه عند انشاد الشعر الرقيق ، وتفقد ما يتداخلها من الارتياح ، ويستخفها من الطرب ، ويتصور تلقاء ناظرها من سابق ذكرياتها اذا سمعت هذا الشعر (١) .

واهتم عبد القاهر بهذه الناحية حينما بحث صور الخيال من تشبيهه ، واستعارة ، ومجاز ، وكناية ، ولكن اهتمامه بالتقسيم والجدل المنطقي غطى عليها ، وطمس من ملامحها .

ويسكن ان تلمس الاثر النفسي في بلاغة القزويني فهو عندما يتكلم على بلاغة الكلام يقول . « وأما بلاغة الكلام فهي مطابقتها لمقتضى الحال مع فصاحته » (٢) . ومقتضى الحال مختلف ، فخطاب الذكي يباين خطاب الغبي .

(١) ينظر من الوجبة النفسية ص ١٩ وما بعدها .

(٢) الانشراح ص ٩ .

ونلمح هذا الاثر في تعريفه لبلاغة المتكلم حيث يقول . « وأما بلاغة المتكلم فهي ملكة يقندر بها على تأليف كلام بليغ»^(١) وهذا تعريف نفسي محض .

ونلمح الاثر النفسي في كلامه على أضرب الخبر ، فان كان المخاطب خالي الذهن من الحكم بأحد طرفي الخبر على الآخر والتردد فيه أستغنى عن مؤكدات الحكم ، وان كان متصور الطرفين مترددا في اسناد أحدهما الى الآخر طالبا له حسن تقويته بمؤكد ، وان كان حاكما بخلافه وجب توكيده بحسب الافكار . وقد أطلقوا على النوع الاول مسن الخبر ابتداءيا والثاني طليبا والثالث انكاريا .

وتحدث عن الامزجة الانسانية في الفضائل البشرية المختلفة وأثرها في صوغ العبارات . وَفَرَّقَ بين المولدين والعرب ، ورأى ان بناء الكلام للمزاج الاعرابي يخالف بناءه للمزاج الدخيل المستعرب . ومن امثلة ذلك ما ذكره من قصة بشار المشهورة ، فقد روي عن الاصمعي انه قال : « كان ابو عمرو بن العلاء وخلف الاحمر يأتیان بشار فيسلمان عليه بغاية الاعظام ثم يقولان : يا ابا معاذ ما احدثت ؟ فيخبرهما وينشدهما ويكتبان عنه متواضعين له حتى يأتي وقت الزوال ثم ينصرفان فأتياه يوما فقلا : ما هذه القصيدة التي احدثتها في ابن قتيبة ؟ قال : هي التي بلغتكما . قالا : بلغنا انك اكرت فيها من الغريب . قال : نعم ، ان ابن قتيبة يتباصر بالغريب فأجبت ان أورد عليه ما لا يعرف . قالا : فانشدناها يا أبا معاذ فأنشدهما :

بِكَرَا صَاحِبِيَّ قَبْلَ الْهَجِيرِ إِنَّ ذَاكَ النَّجَاحَ فِي التَّبْكِيرِ

حتى فرغ منها فقال له خلف : لو قلت يا أبا معاذ مكان « ان ذاك النجاح » بكرة فالنجاح كان أحسن ، فقال بشار : انما بنيتها اعرابية

(١) الايضاح ص ١١

وحشية فقلت : « ان ذاك النجاح » كما يقول الاعراب البديون ، ولو قلت : « بكراف النجاح » كان هذا من كلام المولدين ولا يشبه ذلك الكلام ولا يدخل في معنى القصيدة . قال : فقام خلف فقبل عينيه . وختم القزويني هذه القصة بقوله : « فهل كان ما جرى بين خلف وبشار بمحضر من أبي عمرو بن العلاء وهم من فحولة هذا الفن الا للطف المعنى في ذلك وخفائه » (١) .

واعترف القزويني بان للاحاساس من التحريك للنفس وتمكين المعنى ما ليس لغيره ، يقول وهو يتكلم على اسباب جمال التشبيه والتمثيل : « ومن الدليل على ان للاحاساس من التحريك للنفس وتمكين المعنى ما ليس لغيره انك اذا كنت أنت وصاحب لك يسعى في أمر على طرف نهر وأنت تريد ان تقرر له انه لا يحصل من سعيه على طائل فأدخلت يدك في الماء ثم قلت له : « انظر هل حصل كفي من الماء شيء ؟ فكذلك أنت في أمرك » كان لذلك ضرب من التأثير في النفس وتمكين المعنى في القلب زائد على القول المجرد (٢) . لقد احس القزويني ان النفس تتأثر ، وتحركها الهواجس أو الحواس ، ولكنه لم يوضح هذا التأثير في النفس ، وتمكينه في القلب لانشغاله بالبحث في التقسيم ، والتحديد ، والقضايا الفلسفية والمنطقية . وسار على هذه السبيل شراح تلخيصه فملأوا كتبهم بالتصديقات ، والمقولات ، والدلالات العقلية ، والوضعية ، وكان الاولى بهم ان ينصرفوا عنها الى درس علاقة النفس بالاتجاج الادبي وتقديره وتقده .

ولما أطل فجر النهضة الحديثة اتجه النقاد الى الاستفادة من علم النفس في النقد والدراسات البلاغية ، وقد بدأ النقد الحديث المعتمد على التحليل النفسي في الادب حين نشر فرويد كتاب تفسير الاحلام سنة

(١) الايضاح ص ٢٠ ، وينظر الاغانى ج ٣ ص ١٩٠ ودلائل الاعجاز ص ٢١٠ ومفتاح

العلوم ص ٨٢ ، والبلاغة وعلم النفس ص ١٣٩ .

(٢) الايضاح ص ٢١٧ .

١٩٠٠ م وكتب ثلاث دراسات طويلة هي : ليوناردو دافنشي وهي دراسة نفسية مبيّنة لذكريات طفولية ، ومقالة عن دوستويفسكي وجريمة قتل الاب ، ودراسته لقصة المانية مغمورة عنوانها غراديفا ومؤلفها فلهم ينسن ، وبهذه الدراسات الثلاث أقام فرويد منهجين من التحليل :

الاول : الباثوغرافيا أو دراسة المريض عصيبا أو الشخص المريض نفسيا مع اتخاذ آثاره اتقنية دليلا هاديا في هذه الدراسة .

والثاني : نقد أدبي متصل حقا بالتحليل النفسي ، أو دراسة الاثر الادبي مع استعمال الآليات التي تستعمل في التحليل النفسي مفاتيح لهذه الدراسة .

وسرت هذه النعمة الى العالم العربي فكتب الاستاذ الخولي بحثا طريفا عن « البلاغة وعلم النفس » . ورأى أن تقدم بين يدي الدرس البلاغي مقدمة نفسية هي أمس به ، والزم له مما اقتبس من بحوث اصولية او منطقية أو فلسفة طبيعية مما اقحم فيه وحفلت به كتبه . ويرى أن تدرس في هذه المقدمة القوى الانسانية بعامة وما له منها أثر فني بخاصة ، فنعرف غير قليل من الوجدان وعلاقته بمظاهر الشعور الاخرى من ناحية عمله الفني ونعرف مثل ذلك عن الخيال والذاكرة والاحساس وعن الذوق . ويجب أن نعرف الكثير عن أمهات الخوارج الانسانية من حب ، وبغض ، وحزن ، وفرح ، وغيرة ، وانتقام ، وما الى ذلك مما هو مادة المعاني الادبية الكبرى في الآداب الانسانية كلها ، وعلى الخبرة بحركات النفس فيه واتجاهاتها يقوم النقد الفني ذو الاساس ، بل ان البصر بذلك هو مادة النبوغ الفذ ، وسبيل خلود الآثار الادبية للمنشئين والناقدين (١) .

وكان هذا مدعاة الى صدور كتب في هذا الاتجاه منها كتاب : « من الوجهة النفسية في دراسة الادب ونقده » للاستاذ محمد خلف الله احمد ،

(١) البلاغة وعلم النفس ص ١٤٧ ومناهج تجديد ص ١٩٣ .

وقد أوضح فيه ارتفاع الناقد الحديث بنتائج الدراسات النفسية بعد ان اتفح القدمات منها ، ومنها « الميزان الجديد » للدكتور محمد مندور الذي كان ميدانا رحبا لتطبيق وجهة نظره في تحليل النصوص ، مستعينا بالدراسات النفسية والذوق الادبي السليم .

واستفاد النقاد الآخرون من علم النفس في فهم كثير من القضايا الادبية كالدكتور طه حسين في كتابه « مع المتنبي » ، والدكتور شوقي ضيف في دراسته لعمر بن ابي ربيعة^(١) ، والعقاد في دراسته لابي نواس . وكتب الدكتور مصطفى سويف كتابا في « الاسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة » ، وهو دراسة موفقة الى حد كبير .

وما تزال هذه الخطوة في اولها مع اهتمام النقاد بالدراسات النفسية حديثا ، وحثهم على الامام بعلم النفس والتحليل النفسي ليمدا الناقد بتفسير لماهية الشاعر او الاديب ويساعده على تذوق عملهما الادبي . والذي نخشاه ان يستبد علم النفس بالبلاغة والنقد فيحيلهما الى ميدان رحب لتطبيق أفكاره وآرائه ، وادخال مصطلحاته ، وبذلك يضع النقد ، وتذهب البلاغة كما ذهبت يوم غزتها بحوث المنطق والفلسفة وعلم الكلام فأخرجتها عن هدفها الذي درست لاجله . وانا حين ندعو الى الاستعانة بعلم النفس في الدراسات النقدية ، انا نريد ان يكون تناولنا له تناولا رقيقا ، نأخذ منه ما يعيننا على تحليل النصوص الادبية وتذوقها ، وتترك مصطلحاته وأفكاره التي يتيه فيها علماء النفس فضلا عن الناقد الاديب .

ونضيف الى هذا كله الذوق الادبي السليم ، وبغيره لا يسكن دراسة الادب وتقدمه . وقد أولى القدمات الذوق اهتماما ، وارجعوا اليه تلك الروعة التي يحسونها في الآثار الادبية . وكان النقد العربي في اول نشأته يعتمد على الذوق ، يسمع الرجل بيتا او قصيدة فيهترطربا وتأخذ

(١) ينظر التطور والتجديد في الشعر الاموى ص ١٨٦ وما بعدها .

نشوة عظيمة ، واذا ما سئل عن سر اعجابه لم يستطع ان يجد له تعليلا ،
وانما هي النفس يستخفها الطرب فتتفعل ، وتظهر اعجابها وسرورها •
وبقي النقاد يؤكدون عليه حتى في عهد سيطرة القواعد البلاغية ،
والاهتمام بالتحديد والتقسيم ، وقد عقد عبد القاهر فصلا في الذوق
ختم به كتابه « دلائل الاعجاز » ، وذهب الى ان العمدة في ادراك البلاغة
الذوق والاحساس الروحاني مع ذكاء لماع يدرك الفروق الدقيقة بين
العبارات والمعاني • وهذا يتفق مع أحدث اتجاهات النقد الادبي فقد
سأل احدهم الشاعر ت. س. اليوت عن المنهج النقدي الذي يسير عليه
النقاد فأجاب بان المنهج الوحيد هو ان تكون ذكيا جدا (١) • وذهب
السكاكي الى أبعد من هذا ، فرأى ان شأن اعجاز القرآن عجيب يدرك
ولا يمكن وصفه كاستقامة الوزن تدرك ، ولا يمكن وصفها ، وكالملاحظة
يقول : « ومدرك الاعجاز عندي هو الذوق ليس الا ، وطريق اكتساب
الذوق خدمة هذين العلمين » (٢) • اي المعاني والبيان • وتابع القزويني
عبد القاهر والسكاكي في انه لا بد من الطبع والذوق في البلاغة والنقد ،
وردد ما قاله السكاكي من أنه ليس من الواجب في صناعة ان يكون
الدخيل فيها كالثانيء عليها في استفادة الذوق منها ، فلا على الدخيل
في صناعة علم المعاني ان يقلد صاحبه في بعض فتاواه ان فاته الذوق هناك الى
ان يتكامل له على مهل موجبات ذلك الذوق • ولخص كلام عبد القاهر
في ان دارس البلاغة لا يمكن ان يفهمها ، ويستفيد منها حتى يكون من
أهل الذوق والمعرفة ، وحتى يكون ممن تحدثه نفسه بأن لما توميء اليه
من الحسن اصلا فيختلف الحال عليه عند تأمل الكلام ، فيجد الاريجية
تارة ويعرى منها أخرى ، واذا عجبته تعجب ، واذا نبهته لموضع المزية
اتبه • فأما من كانت الحالان عنده على سواء وكان لا يتفقد من أمر
النظم الا الصحة المطلقة ، والا اعرابا ظاهرا فليكن عندك بمنزلة من

(١) ينظر النقد الادبي من خلال تجارب ص ١٥٣ •

(٢) مفتاح العلوم ص ١٩٦ •

عدم الطبع الذي يدرك به وزن الشعر ويميز به مزاحفه من سالمه (١) .
وبذلك لا يغفل القزويني أثر الذوق الذي عليه العمدة في بلاغتنا
الجديدة التي ينبغي ان تتخذ في دراستها المنهج الادبي الفني الذي ليس فيه
اضطراب القدماء ، وفلسفتهم ، وبعدهم عن روح البلاغة ومقاييس النقد
الصحيح . وأن تكون أحكامها فنية خالصة ، لأنها كما يقول الاستاذ
الخولي « فن من الفنون ، وأنها شقيقة الموسيقى وقسم من الفنون
الصوتية . فالحكم الذي يصدر في مثل هذه الدراسة هو الحكم الفني
الذي يثبت الحسن والجمال ، او يثبت القبح والدمامة » (٢) .



هذا هو القزويني ، وهذه جهوده وأثره في البلاغة العربية . ولعلنا
القينا ضوء عليه ، ومهدنا السبيل لدراسة البلاغة من جديد ، وأقامتها
على اسس صحيحة تعتمد اول ما تعتمد على تحكيم الذوق والمقاييس
الفنية .

ومن الله العون والتوفيق .

(١) ينظر الايضاح ص ١٥ - ١٦ .

(٢) فن القول ص ٨١ .

حَايِمَةٌ

من هذا كله نرى ان البلاغة العربية نشأت مسائل متفرقة في كتب التفسير والادب الاولى ، واخذت تنمو على مر الايام حتى استوت علما له اصوله وقواعده ، وانقسمت البلاغة الى اتجاهين واضحين :

الاول : المدرسة الادبية ، او مدرسة العرب البلغاء ، وهي التي كانت تنحو منحى ادبيا بعيدا عن تمحلات الفلسفة ومصطلحات علم الكلام .

والثاني : المدرسة الكلامية ، او مدرسة الفلاسفة والعجم ، وهي التي اتجهت الى العلوم العقلية ، تقتبس من مناهجها ومصطلحاتها حتى اصبحت قواعد جامدة ، وتقسيمات تورث الحيرة ، وتبعد الاديب عن مقياس البلاغة والنقد الصحيحة .

وظهرت في القرن السادس وما بعده ثلاثة اتجاهات واضحة :

الاول : اتجاه المشاركة الذين جنحوا الى تحكيم العقل في البلاغة قبل تحكيم الذوق الادبي الصافي السليم ، ويمثل هذا الاتجاه : الرمخشري ، والرازي ، والسكاكي .

والثاني : اتجاه المغاربة الذين جنحوا الى بلاغة ارسطو ومنطقه ،
يقتبسون منه آراءه في نقد الادب وتقييمه ، ويمثل هذا الاتجاه حازم
القرطاجني صاحب « منهاج البلغاء » •

والثالث : اتجاه مصر والشام ، وهو التيار العربي الذي كان ينحو
منحى ادبيا خالصا ، وقد بدأ هذا الاتجاه واضحا منذ عهد ابن سنان •
ومضى الزمن به حتى بلغ ذروته على يدي ضياء الدين بن الاثير صاحب
« المثل السائر » ولم يَبْقَ اتجاه مصر واشام خالصا للفن والادب ،
فقد غزا « مفتاح العلوم » هذه البيئة في النصف الثاني من القرن
السابع ، وقد بحثنا طويلا لنعرف تاريخ دخوله في مصر والشام ، ولم
نوفق الى ذلك ، وكل ما استطعنا ان نُؤكّد عليه ان هذا الكتاب عرف
على يدي بدرالدين بن مالك حينما اختصر القسم الثالث بكتايبه «روض
الاذهان » و « المصباح » • وبذلك أخذت مدرسة السكاكي الكلامية
تغزو مجالس المدرس ، ومعاهد العلم ، واخذت الكتب تُؤلف على غرار •
وكان أعظم من اهتم بهذا الاتجاه جلال الدين الخطيب القزويني الذي
اختصر القسم الثالث من مفتاح العلوم بكتاب سماه «التلخيص» • ولم
يكن هذا الكتاب تلخيصا للمفتاح وحده ، وانما كان خطوة جديدة
لمدرسة السكاكي ، فقد غير القزويني قليلا في منهج السكاكي ، وهذا به
واضاف فصلين لم يذكر في المفتاح هما : السرقات الشعرية ، وحسن
الابتداء والتخلص والانتهاء ، وكان هذا امرا طبيعيا بعد ان اتصل
القزويني بكتب البيئة العربية في مصر والشام •

وقد حاولنا ان نوضح سيرة مؤلف التلخيص ووقفنا الى حد كبير في
ذلك ، بعد ان بحثنا طويلا في كتب التاريخ والطبقات ، ونستطيع بعد
هذا كله ان نقرر ان الصورة التي رسمناها للقزويني تكاد تكون قريبة
الى الواقع ، وان كانت لا تزال تحتاج الى دراسة اعتمك تكشف جوانب
اخرى من سيرته لم تسعفنا بها المصادر التي بأيدينا ، ولعل الايام تظهر
مصادر اخرى تمدنا بمعلومات جديدة •

ومضينا في البحث نعرض بلاغة القزويني ، ومنهجه، وأثره في البلاغة العربية ، و انتهينا الى ان بعض بحوثه غير صالح لبناء بلاغتنا الجديدة . وقد وضعنا هذا في الفصل الاخير من الرسالة وفيه رسمنا الخطوط العامة لما ينبغي اخذه ، وما يجب رده من بلاغة القزويني . ويمكن تلخيص عملنا بما يأتي :

١ - أظهرنا بوضوح اتجاهات البلاغة العربية بعد القرن السادس، واستخلصنا الصفات العامة لهذه الاتجاهات ، فكان اهل المشرق ينجحون الى تحكيم العقل دائما في الدراسات البلاغية ، ويولعون بالتقسيم ، والحصر المنطقي الدقيق الذي يتعد عن الفن الادبي ومقاييسه البلاغية . واتجه المغاربة الى الاستفادة من بلاغة ارسطو في كتابيه الشعر والخطابة . اما اهل مصر والشام فقد امتازت بلاغتهم بخصائص اهمها : عدم تقسيم البلاغة الى علومها الثلاثة ، والابتعاد عن الفلسفة وعلم المنطق في تحديد بحوثها ، واللجوء الى الذوق في تحليل النصوص الادبية واعطاء الحكم فيها ، وكان نتيجة ذلك ان تكونت مدرسة بلاغية مصرية كان لها حظ الاستفادة من السكاكي ومنهجه ومن اعلام المدرسة الكلامية ، وقد شاركت مصر والشام مشاركة فعالة في بناء صرح هذا الاتجاه .

٢ - صورنا سيرة القزويني تصويرا قد يكون قريبا الى الواقع ، وكنتنا أول من عرض لهذا الموضوع الذي كان عبارات مبشرة في المصادر الكثيرة ، واستطعنا ان نصور أسرته ، وحياته الاولى ، وثقافته ، واساتيده ، وعلاقته بالحياة والناس .

٣ - جمعنا المعلومات الكثيرة عن كتابيه « التلخيص » ، و « الايضاح » ، وعرضنا منهجه عرضا مفصلا ، وتحدثنا عما أثار من حركة فكرية كانت ثمرتها مئات الشروح والتقارير ، وقد استطعنا ان ننقر عن شروح التلخيص وان نضم بعضها الى بعض .

٤ - ارجعنا آراء القزويني البلاغية الى منابعها الاولى ، ووضحنا

علاقته بعلماء البلاغة قبله ، واتهينا الى انه استفاد كثيرا من عبد القاهر ،
والزمخشري ، والسكاكي ، وكانت بلاغته زبدة آرائهم •

٥ - قمنا بموازنة بين بلاغة القزويني وغيره من علماء البلاغة
الاعلام ، واتهينا الى انه لعب دورا كبيرا في تنسيق بحوث البلاغة ،
واعطائها شكلها الاخير وصورتها النهائية التي وقفت عندها • وقد
حاولنا ان نشير في اثناء الفصول الى ما في آرائه من فائدة ، وكنا كثيرا
ما نوجه آراءه ، ونعرضها عرضا واضحا •

٦ - مخضنا شروح التلخيص ، واخرجنا زبدتها ، واشرنا الى
قيمتها التاريخية واللغوية والنحوية والادبية والبلاغية ، واتهينا الى ان
هذه الكتب لا تتفح كثيرا في دراسة البلاغة المعتمدة على الذوق ، لانها
حشرت مصطلحات الفلاسفة والمناطق ، واصطنعت اساليب المتكلمين
والاصوليين فخرجت عن هدفها • ورأينا اننا اذا ما اردنا ان نبني بلاغتنا
الجديدة فينبغي ان نستخلص منها ما فيه النفع ، أما الزبد فيذهب جفاء •

٧ - واستطعنا بعد هذا كله ان نحصر الغريب في بلاغة القزويني
وشروح تلخيصه وان نشير الى ما فيه الفائدة • وكانت نتيجة ذلك ان
طالبنا بتخلية البلاغة من :

١ - تقسيم البلاغة الى علومها الثلاثة ، والاعتماد على الدراسات
الحديثة في بحثها ، وتنسيق موضوعاتها •

٢ - مصطلحات الفلاسفة واهل المنطق ، واساليب المتكلمين في
العرض ، والتوجيه ، والتعليل •

٣ - تخليصها من الدلالات العقلية والوضعية في تقسيم بحوث
علم البيان •

وطالبنا بأخذ ما يأتي من بلاغة القزويني :

١ - مصطلحاته البلاغية ، لانها أكثر استقرارا وواضح دلالة من
غيرها •

- ٢ - مقدمته في الفصاحة ، والاستفادة من الدراسات الحديثة المتعلقة بالالفاظ في توجيه تقسيماته والتفانياته النقدية .
- ٣ - بحوثه في الايجاز ، والاطناب ، والمساواة .
- ٤ - بحوثه في صور البيان الخيالية .
- ٥ - فنون البديع التي تضمني على الكلام جمالا ، وقوة ، وسجرا .

اما من حيث منهج البلاغة الجديد ، وطريقة بحثها فلا نزال على رأينا الذي قلناه في كتابنا « البلاغة عند السكاكي » ، وهي ان يلغى التقسيم الثنائي او الثلاثي للبلاغة ، وان نعتبرها كلها فنا واحدا ، وان تتجاوز البحث في الجملة والجملتين ، ونضم البحث في الكلمة وما فيها من جمال وجرس موسيقي له أثره في التعبير ، ونضم البحث في الجملة وما يحدث بين اجزائها من فصل ووصل ، وحذف وذكر وتقديم وتأخير ، وغيرها من البحوث التي ذكرها السكاكي والقزويني في علم المعاني . ونضم البحث في صور التعبير المختلفة كالتشبيه والاستعارة والكناية والتورية وغيرها من فنون البيان والبديع التي لها قيمتها في التعبير واداء المعاني . ونضم البحث في الفقرة والقطعة الادبية على ان نستفيد مما ذكره القدماء كعبد القاهر ، وابن الاثير ، والسكاكي ، والقزويني ، وشرّاح التلخيص .

أما مصطلحات البلاغة فينبغي تقليلها ، والاكتفاء بأهمها وأكثرها دلالة على الاساليب العربية . فالمجاز - مثلا - لا حاجة الى تقسيمه الى انواع كثيرة ، وانما نكتفي بتقسيمه الى لغوي وعقلي كما فعل عبد القاهر والقزويني ، او ان نعتبره لغويا كله كما فعل السكاكي . ونكتفي في الاستعارة بمصطلحات قليلة ، ولتكن الاستعارة التصريحية والمكنية ، ونرد جميع أنواعها الى هذين الاصلين .

ونهتم في بحث البلاغة بالناحية الادبية ، واختيار الامثلة والقطع الرائعة من القرآن الكريم ، وكلام العرب البليغ ، ونهتم بتحليل الامثلة تحليلا ادبيا يعتمد على الادراك والاحساس الفني .

ولن تكون البلاغة مفيدة على هذا الوجه ما لم نبعث ما ادخله القدماء فيها من فلسفة ، واصول ، ومنطق ، ونستعين ببعض الدراسات النفسية ، وما لها من أثر في الفن الادبي . ولكن لا الى الحد الذي تتجاوز فيه البحث البلاغي وتطغى عليه كما طغى علم المنطق وعلم الكلام على بلاغة القدماء فأخرجها عن غايتها التي من اجلها درست . وبذلك نبعث في البلاغة العربية الروح من جديد لتكون صالحة في نقد الادب ، وانشائه ، وتكون ملائمة للفن الادبي المتطور .

احمد مطلوب

مَصَادِرُ الْبَحْثِ وَمَرَجَعُهُ

- (١) ابن ابي الاصبغ المصري بين علماء البلاغة - الدكتور حفني محمد شرف - الطبعة الاولى ١٩٦٢ - القاهرة .
- (٢) ابن تيمية - الدكتور محمد يوسف موسى - ١٣٨١ - ١٩٦٢ - القاهرة .
- (٣) ابن تيمية - حياته وعصره ، آراؤه وفقهه - محمد ابو زهرة - ١٩٦٢ - القاهرة .
- (٤) ابن دقيق العيد - علي صافي حسين - ١٩٦٥ - دار المعارف القاهرة .
- (٥) ابن سناء الملك ومشكلة العقم والابتكار في الشعر - الدكتور عبدالعزيز الاهواني - ١٩٦٢ - القاهرة .
- (٦) ابن قيم الجوزية - عصره ومنهجه وآراؤه في الفقه والعقائد والتصوف - عبدالعظيم عبدالسلام شرف الدين - الطبعة الاولى ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٦ .
- (٧) ابن نباتة المصري أمير شعراء المشرق - عمر موسى باشا - دار المعارف .

- (٨) ابو هلال العسكري ومقاييسه البلاغية والنقدية - الدكتور بدوي طبانة - الطبعة الثانية ١٩٦٠ - القاهرة .
- (٩) اتجاهات البلاغة العربية - الدكتور احمد مطلوب - بحث نشر في مجلة كلية الآداب (جامعة بغداد) العدد الخامس ١٩٦٢ .
- (١٠) الاتقان في علوم القرآن - جلال الدين السيوطي - ١٣٦٨ - مطبعة حجازي - القاهرة .
- (١١) اتمام الدراية لقراء النقاية - جلال الدين السيوطي - مطبوع على حاشية مفتاح العلوم للسكاكي - الطبعة الاولى ١٣١٧ هـ - القاهرة .
- (١٢) آثار البلاد واخبار العباد - زكريا بن محمد بن محمود القزويني ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠ م - دار صادر - بيروت .
- (١٣) أثر الفلسفة في البلاغة العربية - الدكتور احمد مطلوب - بحث نشر في مجلة المعلم الجديد العدد الثاني ١٩٦١ م ، المجلد ٢٤ .
- (١٤) أثر القرآن في تطور النقد العربي الى اواخر القرن الرابع الهجري - دكتور محمد زغول سلام - الطبعة الاولى - دار المعارف بالقاهرة .
- (١٥) أثر القرآن في نشأة البلاغة - الدكتور احمد مطلوب - بحث نشر في مجلة المعلم الجديد - العدد الثالث المجلد ٢١ سنة ١٩٥٨ .
- (١٦) أثر المعلمين في البلاغة - الدكتور احمد مطلوب - بحث نشر في مجلة المعلم الجديد العدد الثالث المجلد ٢٤ سنة ١٩٦١ .
- (١٧) احياء النحو - ابراهيم مصطفى - ١٩٥١ - القاهرة .
- (١٨) ادب الحروب الصليبية - الدكتور عبداللطيف حمزة - الطبعة الاولى ١٩٤٩ - القاهرة .
- (١٩) ادب الكاتب - ابن قتيبة - تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد الطبعة الثالثة - ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٨ - القاهرة .

(٢٠) الاستدراك في الرد على رسالة ابن الدهان المسماة بالماخذ الكندية
من المعاني الطائفة - ضياء الدين بن الاثير - تحقيق حفي محمد
شرف - ١٩٥٨ - القاهرة .

(٢١) اسرار البلاغة - عبدالقاهر الجرجاني - تحقيق احمد مصطفى
المرافي - الطبعة الاولى ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ - القاهرة .

(٢٢) اسرار التمثيل بين الطريقة الادبية والتقريرية - عبدالمعتال
الصعيدي - الطبعة الاولى ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م - القاهرة .

(٢٣) الاسس الجمالية في النقد العربي - عرض وتفسير ومقارنة -
الدكتور عزالدين اسماعيل - الطبعة الاولى ١٩٥٥ - القاهرة .

(٢٤) اسس النقد الادبي عند العرب - الدكتور احمد احمد بدوي -
١٩٥٨ - القاهرة .

(٢٥) الاسلوب - احمد الشايب - الطبعة الثالثة ١٩٥٢ - القاهرة .

(٢٦) اصول النقد الادبي - احمد الشايب - الطبعة الرابعة ١٣٧٣ هـ -
١٩٥٣ - القاهرة .

(٢٧) الاشباه والنظائر في النحو - جلال الدين السيوطي - الطبعة
الثانية - حيدر اباد - ١٣٥٩ هـ .

(٢٨) الاطول (الشرح الاطول على التلخيص) - ابراهيم بن محمد بن
عربشاه الاسفرايني - المطبعة السلطانية ١٢٨٤ هـ - تركيا .

(٢٩) اعجاز القرآن - ابو بكر محمد بن الطيب الباقلاني - تحقيق
السيد احمد صقر - دار المعارف - القاهرة .

(٣٠) الاعلام - خير الدين الزركلي - الطبعة الثانية .

(٣١) اعلام الكلام - شرف الدين القيرواني - الطبعة الاولى ١٣٤٤ هـ -
١٩٢٦ م - القاهرة .

(٣٢) الاغاني - ابو الفرج الاصفهاني - دار الكتب - القاهرة .

- (٣٣) الاقصى القريب في علم البيان - الامام زين الدين التنوخي -
الطبعة الاولى ١٣٢٧ هـ - القاهرة .
- (٣٤) الى طه حسين في عيد ميلاده السبعين - جمع الدكتور عبدالرحمن
بدوي - دار المعارف ١٩٦٢ - القاهرة .
- (٣٥) أمالي علي عبدالرازق في علم البيان وتاريخه - مطبعة مقصداد
١٣٣٠ هـ - القاهرة .
- (٣٦) انباه الرواة في أنباه النحاة . القفطي - طبعة دار الكتب في القاهرة .
- (٣٧) الايضاح في علم المعاني والبيان - جلال الدين القزويني
- ١ - طبعة محمد محيي الدين عبدالحميد مطبعة السنة المحمدية -
القاهرة وهي التي اعتمدنا اليها في البحث، اما النسخ الاخرى
فقد اشرنا اليها في الهامش مع ذكر الطبعة) .
- ٢ - مخطوطة معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية رقم ١٣ .
- ٣ - طبعة محمد علي صبيح الثانية - القاهرة .
- ٤ - طبعة محمد عبدالمنعم خفاجي الاولى ١٣٦٨ هـ ١٩٤٩ -
القاهرة .
- (٣٨) ايضاح الايضاح - جمال الدين محمد بن محمد الاقصرائي -
مخطوطة دار الكتب بالقاهرة رقم ٢ بلاغة .
- (٣٩) الايضاح في شرح مقامات الحريري - المطرزي - طبعة حجرية -
ايران .
- (٤٠) ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون - اسماعيل باشا بن
محمد امين البغدادي - طبع وكالة المعارف بتركيا ١٣٦٤ هـ - ١٩٤٥ .
- (٤١) البحر المحيط - ابو حيان النحوي الاندلسي - الطبعة الاولى
١٣٢٨ هـ - القاهرة .
- (٤٢) بحوث وآراء في علم البلاغة - احمد مصطفى المراغي ١٣٥٩ هـ
١٩٤٠ م - القاهرة .

- (٤٣) البداية والنهاية — ابن كثير القرشي الدمشقي — مطبعة السعادة
القاهرة .
- (٤٤) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع — محمد بن علي
الشوكاني — الطبعة الاولى — مطبعة السعادة ١٣٤٨ هـ — القاهرة .
- (٤٥) البديع — ابن المعتز — طبعة المستشرق كراتشكوفسكي لندن ١٩٣٥ .
- (٤٦) بديع القرآن — ابن ابي الاصبع المصري — تحقيق حفي محمد
شرف — الطبعة الاولى ١٣٧٧ هـ ١٩٥٧ — القاهرة .
- (٤٧) البديع في نقد الشعر — اسامة بن منقذ — تحقيق الدكتورين
احمد احمد بدوي وحامد عبدالمجيد — ١٣٨٠ — ١٩٦٥ م القاهرة .
- (٤٨) بغية الايضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة — تحقيق عبدالمعتل
الصعيدي — القاهرة .
- (٤٩) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة — جلال الدين السيوطي
الطبعة الاولى بمطبعة السعادة — ١٣٢٦ هـ — القاهرة .
- (٥٠) بلاغة ارسطو بين العرب واليونان — الدكتور ابراهيم سلامة —
الطبعة الثانية ١٣٧١ هـ — ١٩٥٢ — القاهرة .
- (٥١) البلاغة بين اللفظ والمعنى من عصر الجاحظ الى عصر ابن خلدون —
نعيم الحمصي — بحث نشر في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق
سنة ١٩٤٩ وما بعدها .
- (٥٢) البلاغة تطور وتاريخ — الدكتور شوقي ضيف — القاهرة — دار
المعارف ١٩٦٥ .
- (٥٣) البلاغة العربية في دور نشأتها — الدكتور سيد نوفل — ١٩٤٨ —
القاهرة .
- (٥٤) البلاغة العربية وأثر الفلسفة فيها — امين الخولي — بحث نشر في
صحيفة الجامعة المصرية العدد الخامس مايو ١٩٣١ .
- (٥٥) البلاغة عند ابن الاثير — الدكتور احمد مطلوب — بحث نشر في

مجلة المعلم الجديد العدد الخامس سنة ١٩٥٩ المجلد ٢٢ •

(٥٦) البلاغة عند السكاكي - الدكتور احمد مطلوب - الطبعة الاولى

بغداد ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م •

(٥٧) البلاغة الغنية - علي الجندي - ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ - القاهرة •

(٥٨) البلاغة الواضحة - علي الجارم ومصطفى امين - الطبعة العاشرة

١٣٧٠ هـ - ١٩٥١ م - القاهرة •

(٥٩) البلاغة وعلم النفس - امين الخولي - بحث نشر في مجلة كلية

الآداب (جامعة القاهرة) مجلد ٤ ج ٢ سنة ١٩٣٦ •

(٦٠) بيان اعجاز القرآن - ابو سليمان حمد بن محمد بن محمد بن ابراهيم

الخطابي - طبع ضمن كتاب ثلاث رسائل في اعجاز القرآن

تحقيق الاستاذ محمد خلف الله احمد والدكتور محمد زغلول

سلام - دار المعارف - القاهرة •

(٦١) البيان العربي - الدكتور بدوي طبانة - الطبعة الثانية ١٣٧٣ هـ -

١٩٥٨ ، والطبعة الثالثة ١٣٨١ هـ ١٩٦٢ - القاهرة •

(٦٢) البيان العربي من الجاحظ الى عبدالقاهر - الدكتور طه حسين -

بحث نشر في مقدمة كتاب نقد النشر المنسوب الى قدامة بن جعفر •

(٦٣) البيان والتبيين - الجاحظ - طبعة محمد عبدالسلام هارون -

القاهرة •

(٦٤) تاريخ ابن خلدون - دار الكتاب اللبناني - بيروت •

(٦٥) تاريخ آداب اللغة العربية - جرجي زيدان - تحقيق الدكتور

شوقي ضيف - دار الهلال - القاهرة •

(٦٦) تاريخ الادب العربي في العراق - عباس العزاوي - طبعة المجمع

العلمي العراقي ١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م - بغداد •

- (٦٧) تاريخ الاصلاح في الازهر وصفحات من الجهاد في الاصلاح -
عبدالمعال الصعيدي - الطبعة الاولى ١٣٦٢هـ - ١٩٤٣ - القاهرة .
- (٦٨) تاريخ الامم والملوك - محمد بن جرير الطبري - ١٣٥٧ هـ -
١٩٣٩ م - القاهرة .
- (٦٩) تاريخ بغداد - الخطيب البغدادي - طبعة القاهرة .
- (٧٠) تاريخ التربية الاسلامية - الدكتور احمد شلبي - الطبعة الثانية
١٩٦٠ القاهرة .
- (٧١) تاريخ الحكماء - القفطي - طبعة القاهرة .
- (٧٢) تاريخ الخلفاء - جلال الدين السيوطي - تحقيق محمد محيي
الدين عبد الحميد - الطبعة الثانية ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٩ م - القاهرة .
- (٧٣) تاريخ الدول الاسلامية - ابن طباطبا - ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠ دار
صادر - بيروت .
- (٧٤) تاريخ زين الدين عمر بن الوردي - المطبعة الوهية ١٢٨٥ هـ -
القاهرة .
- (٧٥) تاريخ الشعوب الاسلامية - كارل بروكلمان - ترجمة امين فارس
ومنيير البعلبكي - الطبعة الثالثة ١٩٦١ - بيروت .
- (٧٦) تاريخ العراق بين احتلالين - عباس العزاوي - الطبعة الاولى -
بغداد ج ١ سنة ١٣٥٣ هـ ١٩٣٥ م ، ج ٢ سنة ١٣٥٤ هـ ١٩٣٦ م .
- (٧٧) تاريخ علوم اللغة العربية - طه الراوي - الطبعة الاولى ١٣٦٩ هـ -
١٩٤٩ - بغداد .
- (٧٨) تاريخ علماء المستنصرية - ناجي معروف - الطبعة الاولى
١٣٧٩ هـ - ١٩٥٩ - بغداد .
- (٧٩) تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها - احمد مصطفى المراغي -

الطبعة الاولى ١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠ - القاهرة .

(٨٠) تاريخ مختصر الدول - ابن العبري ١٣٠٨ هـ - ١٨٩٠ - بيروت .

(٨١) تاريخ مصر (بدائع الزهور في وقائع الدهور) محمد بن احمد

ابن اياس الحفني - الطبعة الاولى - يولاق ١٣١١ هـ - القاهرة .

(٨٢) تاريخ الموصل - سليمان صائغ الموصل - ج ١ المطبعة السلفية

بالقاهرة ١٣٤٢ هـ - ١٩٢٣ م ج ٢ المطبعة الكاثوليكية بيروت

سنة ١٩٢٨ م .

(٨٣) تأويل مشكل القرآن - ابن قتيبة - تحقيق السيد احمد صقر -

القاهرة .

(٨٤) التبيان في علم البيان المطلع على اعجاز القرآن - ابن الزمكاني -

تحقيق الدكتور احمد مطلوب والدكتورة خديجة الحديثي - بغداد .

١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م .

(٨٥) تحرير التحرير في صناعة الشعر والنثر وبيان اعجاز القرآن - ابن

ابي الاصبع المصري - تحقيق الدكتور حفني محمد شرف -

القاهرة ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م .

(٨٦) تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار (رحلة ابن

بطوطة) ١٣٥٨ هـ - ١٩٣٨ - القاهرة .

(٨٧) ترجمان البلاغة (باللغة الفارسية) محمد بن عمر الرادوياني -

تحقيق احمد اتشي ١٩٤٩ م - استانبول .

(٨٨) التطور والتجديد في الشعر الاموي - الدكتور شوقي ضيف -

١٩٥٢ - القاهرة

(٨٩) التعليم في مصر في سنتي ١٩١٤ ، ١٩١٥ - امين سامي - القاهرة

١٩١٧ .

(٩٠) تقي الدين بن حجة الحموي - محمود رزق سليم - ١٩٦٢ -

دار المعارف - القاهرة .

(٩١) تلخيص البيان في مجازات القرآن - الشريف الرضي ١٣٧٥ هـ -
١٩٥٥ بغداد .

(٩٢) التلخيص في علوم البلاغة - جلال الدين القزويني - تحقيق
عبدالرحمن البرقوقي - الطبعة الثانية ١٣٥٠ هـ - ١٩٣٢ م القاهرة .

(٩٣) تهذيب الايضاح - هذب ورتبه عز الدين التنوخي .
مطبعة جامعة دمشق - ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ م .

(٩٤) الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور - ضياء الدين
ابن الاثير - تحقيق الدكتورين مصطفى جواد وجميل سعيد -
مطبعة المجمع العلمي العراقي - ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م - بغداد .

(٩٥) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع - احمد الهاشمي -
الطبعة العاشرة ١٣٧٨ هـ - ١٩٦٠ - القاهرة .

(٩٦) جولة في دور الكتب الامريكية - كور كيس عواد - ١٩٥١ - بغداد
(٩٧) حازم القرطاجني ونظريات ارسطو في الشعر والبلاغة - الدكتور
عبدالرحمن بدوي - ١٩٦١ - القاهرة .

(٩٨) حاشية الدسوقي على شرح السعد - طبع على حاشية كتاب شروح
التلخيص ١٩٣٧ - القاهرة .

(٩٩) حاشية السيد الشريف على المطول - طبع على حاشية الشرح
المطول على التلخيص ١٣٣٠ هـ - تركيا

(١٠٠) حدائق السحر في دقائق الشعر - رشيد الدين الوطواط -
ترجمة الدكتور ابراهيم الشواربي ١٣٦٤ هـ - ١٩٤٥ م - القاهرة .

(١٠١) الحركة الفكرية في العصرين الايوبي والمملوكي الاول - الدكتور
عبداللطيف حمزة - الطبعة الاولى ١٩٤٧ - القاهرة .

(١٠٢) حسن الصنيع في علم المعاني والبيان والبديع - محمد البسيوني
البياني - الطبعة الاولى - القاهرة .

- (١٠٣) حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة - جلال الدين السيوطي
١٢٩٩ هـ - القاهرة •
- (١٠٤) حسن التوسل الى صناعة الترسل - شهاب الدين محمود الحلبي -
طبعة القاهرة •
- (١٠٥) حل الاعتراضات التي اوردها صاحب الايضاح على المفتاح -
يحيى بن احمد الكاشاني - مخطوطة دار الكتب بالقاهرة رقم ١٩٦ •
- (١٠٦) الحياة الادبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام -
الدكتور احمد احمد بدوي - ١٩٥٤ - القاهرة •
- (١٠٧) الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام - الدكتور
احمد احمد بدوي - مطبعة نهضة مصر ١٩٥٢ - القاهرة •
- (١٠٨) حياة القيروان وموقف ابن رشيقي منها - الدكتور عبدالرحمن
ياغي - الطبعة الاولى ١٩٦١ - دار الثقافة ببيروت •
- (١٠٩) الحيوان - الجاحظ - تحقيق محمد عبدالسلام هارون - القاهرة •
- (١١٠) الحوادث الجامعة في المائة السابعة - المنسوب الى كمال الدين
ابن الفوطي البغدادي - تحقيق الدكتور مصطفى جواد ١٣٥١ هـ -
١٩٣٢ - بغداد •
- (١١١) خريدة القصر وجريدة العصر - العماد الاصفهاني الكاتب -
تحقيق الدكتور شكري فيصل - ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م - دمشق •
- (١١٢) خريدة القصر وجريدة العصر (قسم شعراء مصر) العماد
الاصفهاني الكاتب - تحقيق الدكتورة احمد امين وشوقي ضيف
واحسان عباس - القاهرة •
- (١١٣) خزنة الادب وغاية الارب - تقي الدين ابو بكر المعروف بابن
حجة الحموي - الطبعة الاولى ١٣٠٤ هـ - القاهرة •
- (١١٤) الخصائص - ابو الفتح عثمان بن جنى - تحقيق محمد علي
النجار - دار الكتب بالقاهرة ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م •

- (١١٥) الخطابة - ارسطو - ترجمة الدكتور ابراهيم سلامة .
- (١١٦) الخطط الجديدة التوفيقية لمصر القاهرة - علي باشا مبارك -
الطبعة الاولى ببولاق ١٣٠٦ هـ - القاهرة .
- (١١٧) خطط الشام - محمد كرد علي - مطبعة الترقى - دمشق .
- (١١٨) الخطط والآثار في مصر والقاهرة - تقي الدين المقرئ -
- (١١٩) خلاصة الآثار في اعيان القرن الحادي عشر - محمد المحبى -
١٢٨٤ هـ - القاهرة .
- (١٢٠) خلاصة اليومية - عباس محمود العقاد - الطبعة الاولى ١٩١٢م
القاهرة .
- (١٢١) الخواطر الحسان في المعاني والبيان - جبر ضومط - ١٩٣٠ -
بيروت .
- (١٢٢) دائرة المعارف الاسلامية (الطبعة العربية والانكليزية) .
- ١ - مادة بديع مع تعليق عبدالوهاب حمودة عليها .
 - ٢ - مادة التفقازاني - ستوري
 - ٣ - مادة الجرجاني - بروكلمان .
 - ٤ - مادة بلاغة - شاده وامين الخولي .
 - ٥ - مادة السبكي - ايوار .
 - ٦ - مادة السكاكي - كركوف .
 - ٧ - مادة شام - لامانس .
- (١٢٣) الدارس في تاريخ المدارس - عبدالقادر بن محمد النعمي
الدمشقي - تحقيق جعفر الحسني مطبوعات المجمع العلمي العربي
بدمشق ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ م .
- (١٢٤) دراسات تفصيلية شاملة لبلاغة عبدالقاهر في التشبيه والتمثيل
والتقديم والتأخير - عبدالهادي العدل ١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠ - القاهرة
- (١٢٥) دراسات في تاريخ المسالك البحرية في عصر الناصر محمد بوجه

خاص - الدكتور علي ابراهيم حسن - الطبعة الثانية ١٩٤٨ م -
القاهرة .

(١٢٦) دراسات في الادب الاسلامي - الاستاذ محمد خلف الله احمد -
١٣٦٦ هـ - ١٩٤٧ - القاهرة .

(١٢٧) دراسات في نقد الادب العربي من الجاهلية الى نهاية القرن
الثالث - الدكتور بدوي طبانة - الطبعة الثانية ١٣٧٣ هـ -
١٩٥٢ - القاهرة .

(١٢٨) الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة - ابن حجر العسقلاني -
الطبعة الاولى - حيدر آباد - الدكن ١٣٥٠ هـ .

(١٢٩) دفاع عن البلاغة - احمد حسن الزيات - ١٩٤٥ - القاهرة

(١٣٠) دلائل الاعجاز - عبد القاهر الجرجاني - الطبعة الخامسة
١٣٧٢ هـ - القاهرة .

(١٣١) دلالة الالفاظ - الدكتور ابراهيم انيس - الطبعة الاولى -
١٩٥٨ - القاهرة .

(١٣٢) ديوان ابن نباتة المصري - الطبعة الاولى مطبعة التمدن في القاهرة .
١٣٢٣ هـ - ١٩٠٥ .

(١٣٣) ديوان البحري - طبعة صادر - بيروت .

(١٣٤) ديوان جرير - تحقيق محمد الصاوي - القاهرة .

(١٣٥) دولة بني قلاوون في مصر - الدكتور محمد جمال الدين سرور -
١٣٦٦ هـ - ١٩٤٧ - القاهرة .

(١٣٦) رأي في البلاغة العربية - الدكتور احمد مطلوب - بحث نشر في
مجلة الكتاب التي تصدرها جمعية المؤتفين والكتاب العراقيين
العدد الاول سنة ١٩٦٢ .

(١٣٧) رحلة ابن جبير - تحقيق الدكتور حسين نصار ١٣٧٤ هـ -

١٩٥٥ - القاهرة •

(١٣٨) الرسالة الحاتمية فيما وافق المتنبي في شعره كلام ارسطو في

الحكمة - ابو علي بن الحسن بن المظفر البغدادي • تحقيق فؤاد

افرام البستاني ١٩٣١ م - بيروت •

(١٣٩) رفع الاصر عن قضاة مصر - احمد بن علي بن حجر العسقلاني -

تحقيق الدكتور حامد عبدالمجيد ومحمد المهدي ومحمد اسماعيل

الصاوي - ١٩٥٧ م - القاهرة •

(١٤٠) روض الأذهان في علم المعاني والبيان - بدرالدين بن مالك -

مخطوطة ليدن •

(١٤١) روضات الجنات في احوال العلماء والسادات - الخوانساري -

طبعة ايران الحجرية •

(١٤٢) زهر الربيع في المعاني والبيان والبديع - احمد الحملاوي -

١٣٧٩ هـ - ١٩٥٩ م - القاهرة •

(١٤٣) سجع المطوق - ابن نباتة المصري - مخطوطة دار الكتب

بالقاهرة رقم ١٧٠ ادب • ومخطوطة الاوقاف ببغداد رقم ١٢٣٣١ •

(١٤٤) سر الفصاحة - ابن سنان الخفاجي - تحقيق عبد المتعال

الصعيدي - ١٣٧٢ هـ ١٩٥٣ م - القاهرة •

(١٤٥) سلك الدرر في اعيان القرن الثاني عشر - محمد خليل المرادي -

مطبعة بولاق ١٣٠١ هـ - القاهرة •

(١٤٦) شذرات الذهب في اخبار من ذهب - ابن العماد الحنبلي ١٣٥١ هـ

القاهرة •

(١٤٧) شرح ابن عقيل على ألفية بن مالك - بهاء الدين عبدالله بن عقيل •

تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد الطبعة السادسة ١٣٧٠ هـ -

١٩٥١ - القاهرة •

(١٤٨) شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان - جلال الدين السيوطي
القاهرة - ١٣٥٨ هـ - ١٩٣٩ م .

(١٤٩) شرح المفتاح - قطب الدين الشيرازي - مخطوطة مكتبة الاوقاف
العامة ببغداد رقمها ١٦٤٤ .

(١٥٠) شرح نهج البلاغة - ابن ابي الحديد - طبعة القاهرة .

(١٥١) شروح التلخيص - مطبعة عيسى البابي الحلبي - ١٩٣٧ - القاهرة .

(١٥٢) الشعر والشعراء - ابن قتيبة - طبعة ليدن .

(١٥٣) الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث - مصطفى عبداللطيف
السحرتي ١٩٤٨ - القاهرة .

(١٥٤) الصحابي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها - احمد بن فارس
١٣٢٨ هـ - ١٩١٠ م - القاهرة .

(١٥٥) صبح الاعشى في صناعة الانشا - ابو العباس احمد القلقشندي -
دار الكتب بالقاهرة ١٣٤٠ هـ - ١٩٢٢ .

(١٥٦) الصورة الاديبة - الدكتور مصطفى ناصف - ١٣٧٨ هـ
١٩٥٨ م - القاهرة .

(١٥٧) ضياء الدين بن الاثير وجهوده في النقد - الدكتور محمد زغلول
سلام - القاهرة .

(١٥٨) الضوء اللامع - شمس الدين السخاوي .

(١٥٩) طبقات الشافعية الكبرى - تاج الدين ابو نصر عبدالوهاب بن

تقي السبكي - الطبعة الاولى - القاهرة .

(١٦٠) طراز الحلة وشفاء الغلة . ابو جعفر احمد بن يوسف بن مالك

الرعييني الغرناطي - مخطوطة الاوقاف في بغداد (رقم ١٢١٤٢)

ومخطوطات دار الكتب في القاهرة (رقم ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٨٢ ،

بلاغة) .

- (١٦١) الطراز المتضمن لاسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز - يحيى بن حمزة العلوي - مطبعة المقتطف ١٩١٤ - القاهرة .
- (١٦٢) عبدالقاهر الجرجاني وجهوده في البلاغة العربية - الدكتور احمد احمد بدوي - ١٩٦٢ - القاهرة .
- (١٦٣) عبدالقاهر والبلاغة العربية - محمد عبدالمنعم خفاجي - الطبعة الاولى ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م - القاهرة .
- (١٦٤) عروس الافراح في شرح تلخيص المفتاح - بهاء الدين السبكي - طبع مع شروح التلخيص - ١٩٣٧ - القاهرة .
- (١٦٥) عصر سلاطين المماليك وتواجه العلمي والادبي - محمود رزق سليم - القاهرة .
- (١٦٦) العقد الفريد - ابن عبد ربه ١٣٥٣ هـ - ١٩٣٥ - القاهرة .
- (١٦٧) علم النفس الادبي - امين الخولي - بحث نشر في مجلة علم النفس يونيو ١٩٤٢ - القاهرة .
- (١٦٨) علوم البلاغة - احمد مصطفى المراغي - الطبعة الثالثة - القاهرة .
- (١٦٩) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده - ابن رشيق القيرواني - تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد - الطبعة الثانية ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ - القاهرة .
- (١٧٠) عيار الشعر - محمد بن احمد بن طباطبا العلوي - تحقيق الدكتورين طه الحاجري ومحمد زغلول سلام - ١٩٥٦ القاهرة .
- (١٧١) فصول في النقد - محمد عبدالمنعم خفاجي - الطبعة الاولى ١٩٥٣ - القاهرة .
- (١٧٢) الفلك الدائر على المثل السائر - ابن ابي الحديد - طبعة بيروت .
- (١٧٣) فن الاسجاع - علي الجندي - دار الفكر العربي - القاهرة .
- (١٧٤) فن التشبيه - علي الجندي - الطبعة الاولى ١٩٥٢ - القاهرة .

- (١٧٥) فن الجناس - علي الجندي - ١٩٥٤ - القاهرة •
- (١٧٦) فن الشعر - ارسطو - ترجمة الدكتور عبدالرحمن بدوي -
١٩٦٣ - القاهرة •
- (١٧٧) فن القول - امين الخولي ١٣٦٦ هـ - ١٩٤٧ - القاهرة •
- (١٧٨) الفن ومذاهبه في الشعر العربي - الدكتور شوقي ضيف -
الطبعة الثالثة ١٩٥٦ - بيروت •
- (١٧٩) الفن ومذاهبه في النثر العربي - الدكتور شوقي ضيف - الطبعة
الثانية ١٩٥٦ - بيروت •
- (١٨٠) فهارس دار الكتب بالقاهرة •
- (١٨١) فهرست ابن النديم - مطبعة الاستقامة - القاهرة •
- (١٨٢) فهرس الخزانة التيمورية بالقاهرة •
- (١٨٣) فهرست كتب كتابخانه مباركة استان قدسي رضوي •
- (١٨٤) فهرس المخطوطات المصورة في جامعة الدول العربية بالقاهرة •
- (١٨٥) فهرس مكتبة البلدية بالاسكندرية •
- (١٨٦) فوات الوفيات - محمد بن شاكر بن احمد الكتبي - تحقيق
محمد محيي الدين عبدالحميد - ١٩٥١ - القاهرة •
- (١٨٧) الفوائد البهية في تراجم الحنفية - محمد بن عبدالحى اللكنوي
الهندي - الطبعة الاولى ١٣٢٤ هـ - القاهرة •
- (١٨٨) في تاريخ النقد والمذاهب الادبية - الدكتور طه الحاجري -
١٣٧٢ هـ - ١٩٥٣ م - الاسكندرية •
- (١٨٩) في الميزان الجديد - الدكتور محمد مندور - الطبعة الثانية -
القاهرة •
- (١٩٠) في النقد الادبي - الدكتور شوقي ضيف ١٩٦٢ - القاهرة
- (١٩١) قدامة بن جعفر والنقد الادبي - الدكتور بدوي طبانة - الطبعة
الثانية - ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٨ - القاهرة •

(١٩٢) قراضة الذهب في نقد اشعار العرب - ابن رشيق القيرواني -
الطبعة الاولى ١٣٤٤ هـ ١٩٢٦ م - القاهرة .

(١٩٣) قضايا الشعر المعاصر - نازك الملائكة - ١٩٦٢ - بيروت .
(١٩٤) قواعد الشعر - ثعلب - تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي -
١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ - القاهرة .

(١٩٥) قواعد اللغة العربية - حفي ناصف وجماعته - الطبعة العاشرة
المطبعة الاميرية ١٣٤٤ هـ - ١٩٢٥ م - القاهرة .

(١٩٦) قواعد النقد الادبي - آسل ابر كرومبي - ترجمة الدكتور
محمد عوض محمد ١٩٥٤ - القاهرة .

(١٩٧) الكامل في التاريخ - ابن الاثير - طبعة القاهرة .
(١٩٨) الكامل في اللغة والادب - المبرد - طبعة الدكتور زكي مبارك
القاهرة .

(١٩٩) كتاب الايمان - تقي الدين ابو العباس احمد بن تيمية - الطبعة
الاولى ١٣٢٥ هـ - القاهرة .

(٢٠٠) كتاب التشبيهات - ابن ابي عون - تحقيق محمد عبد المعين
خان ، كمبردج ١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠ م .

(٢٠١) كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك - تقي الدين احمد بن علي
المقرئزي - نشره الدكتور محمد مصطفى زيادة ١٩٤٢ - القاهرة .

(٢٠٢) كتاب سيبويه - مطبعة بولاق - القاهرة .

(٢٠٣) كتاب الصناعتين - ابو هلال العسكري - تحقيق محمد البجاوي
ومحمد ابو الفضل ابراهيم - الطبعة الاولى ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ -
القاهرة .

(٢٠٤) كتاب الفوائد المشوق الى علوم القرآن وعلم البيان - ابن قيم
الجوزية الحنبلي - الطبعة الاولى ١٣٢٧ هـ - القاهرة .

(٢٠٥) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل -
محمود بن عمر الزمخشري - الطبعة الثانية ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٣ -
القاهرة .

(٢٠٦) الكشاف عن مخطوطات خزائن الاوقاف - الدكتور محمد اسعد
طلس - ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٣ - بغداد

(٢٠٧) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون - مصطفى بن عبدالله
الشهير بحاجي خليفة - ١٣٦٠ هـ - ١٩٤١ - تركيا .

(٢٠٨) كشف اللثام عن وجه التورية والاستخدام - ابن حجة الحموي
المطبعة الانسية ١٣١٣ هـ - بيروت .

(٢٠٩) الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة - نجم الدين الغزي -
تحقيق جبرائيل سليمان جبور - ١٩٤٥ - بيروت .

(٢١٠) لسان العرب - ابن منظور .

(٢١١) المبسط في علوم البلاغة - محمد طاهر اللاذقي . الطبعة الاولى
١٩٦٢ - بيروت .

(٢١٢) المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر - ضياء الدين بن الاثير .
تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد - ١٣٥٨ هـ - ١٩٣٩ القاهرة .

(٢١٣) مجاز القرآن - ابو عبيدة معمر بن المثنى - تحقيق الدكتور
محمد فؤاد سزكين - الطبعة الاولى ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ القاهرة .

(٢١٤) المجازات النبوية - الشريف الرضي - تحقيق محمود مصطفى -
١٣٥٦ هـ - ١٩٣٧ القاهرة .

(٢١٥) مجلة المشرق السنة ١٦ العدد ٧ تموز ١٩١٣ .

(٢١٦) محاضرات في النقد الادبي - الدكتورة سهير القلماوي - الطبعة
الاولى ١٩٥٥ - القاهرة .

(٢١٧) المختصر على شرح التلخيص - سعد الدين التفتازاني - مطبوع

- مع شروح التلخيص ١٩٣٧ - القاهرة .
- (٢١٨) المختصر في اخبار البشر - عماد الدين اسماعيل ابو الفدا -
١٣٢٥ هـ - القاهرة - وعليه تذييل تاريخ ابن الوردي .
- (٢١٩) مخطوطات الموصل - الدكتور داود الجليبي الموصلية - ١٣٤٦ هـ
١٩٢٧ - القاهرة .
- (٢٢٠) المدخل الى النقد الادبي الحديث - الدكتور محمد غنيمي هلال
١٩٥٨ - القاهرة .
- (٢٢١) المذاهب النقدية - الدكتور ماهر حسن فهمي - ١٩٦٢ - القاهرة .
- (٢٢٢) مرآة الجنان وعبرة اليقظان - عفيف الدين الياضي اليمني -
الطبعة الاولى بحيدر آباد الدكن ١٣٣٩ هـ .
- (٢٢٣) المزهري في علوم اللغة وانواعها - جلال الدين السيوطي - الطبعة
الثالثة - القاهرة .
- (٢٢٤) مسالك الخلاص في مهالك الخواص - الطاشكبري - مخطوطة
دار الكتب بالقاهرة رقم ٣٠٨ .
- (٢٢٥) المستدرک على الكشاف عن مخطوطات خزائن كتب الاوقاف -
عبدالله الجبوري - الطبعة الاولى ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م - بغداد .
- (٢٢٦) المسوغات العقلية للبلاغة - انيس المقدسي - بحث نشر في مجلة
المجمع العلمي العربي بدمشق المجلد ٣٠ سنة ١٩٥٥ م .
- (٢٢٧) مشكلة السرقات في النقد العربي - محمد مصطفى هدارة -
الطبعة الاولى ١٩٥٨ - القاهرة .
- (٢٢٨) المصباح في علم المعاني والبيان والبديع - بدر الدين بن مالك -
الطبعة الاولى ١٣٤١ هـ - القاهرة .
- (٢٢٩) مصر في تاريخ البلاغة - امين الخولي - بحث نشر في مجلة كلية

الآداب بجامعة القاهرة المجلد الثاني ج ١ مايو ١٩٣٢ .

(٢٣٠) مصر في العصور الوسطى - الدكتور علي ابراهيم حسن .
الطبعة الرابعة ١٩٥٤ - القاهرة .

(٢٣١) المطول على التلخيص - سعد الدين التفتازاني - ١٣٧٠هـ - تركيا .

(٢٣٢) معالم الكتابة ومغانم الاصابة - عبدالرحيم بن علي بن شيث
القرشي . تحقيق الخوري قسطنطين الباشا المخلصي ١٩١٣ - بيروت .

(٢٣٣) معاني القرآن - انباء - تحقيق محمد علي النجار واحمد يوسف
نجاتي - طبعة دار الكتب بالقاهرة - ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م

(٢٣٤) معاهد التنصيص على شواهد التلخيص . عبدالرحيم بن احمد
العباسي - تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ١٣٦٧هـ - ١٩٤٧ م
القاهرة .

(٢٣٥) معجم البلدان - ياقوت الحموي - الطبعة الاولى ١٣٢٤ هـ -
١٩٠٦ م - القاهرة .

(٢٣٦) معجم المطبوعات العربية والمعربة - يوسف اليان سركيس -
١٣٤٦ هـ - ١٩٢٨ - القاهرة .

(٢٣٧) معجم المؤلفين - عمر رضا كحالة - ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠ - دمشق .

(٢٣٨) المعيار في نقد الاشعار - محمد بن احمد الاندلسي - مخطوطة
دار الكتب بالقاهرة رقم ٦١١٤ .

(٢٣٩) المضي في أبواب التوحيد والعدل - القاضي أبو الحسن عبدالجبار
الاسد آبادي . تحقيق امين الخولي . القاهرة ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠ م .

(٢٤٠) مفتاح السعادة ومصباح السيادة - احمد مصطفى المعروف
بطاش كبرى زاده - الطبعة الاولى بحيدر اباد .

(٢٤١) مفتاح العلوم - السكاكي - الطبعة الاولى ١٣٥٦ - ١٩٣٧ -
القاهرة .

- (٢٤٢) مفتاح العلوم - السكاكي - الطبعة الاولى - القاهرة ١٣١٧هـ .
- (٢٤٣) المقاسات ابو حيان التوحيدي - تحقيق حسن السندوبي -
الطبعة الاولى - ١٣٤٧ هـ - ١٩٢٩ - القاهرة .
- (٢٤٤) مقدمة ابن خلدون - دار الكشاف بيروت .
- (٢٤٥) مقدمة في تاريخ البلاغة العربية - محمد بن تاويت . وهي مقدمة
كتاب دلائل الاعجاز لعبدالقاهر الجرجاني طبعة المغرب .
- (٢٤٦) مقدمة لدرس لغة العرب - عبدالله العاليلي . المطبعة العصرية -
القاهرة .
- (٢٤٧) من بلاغة القرآن - الدكتور احمد احمد بدوي - الطبعة الثانية -
القاهرة .
- (٢٤٨) من الوجهة النفسية في دراسة الادب ونقده - الاستاذ محمد
خلف الله ١٣٦٩ هـ - ١٩٤٧ - القاهرة .
- (٢٤٩) مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والادب - امين الخولي
١٩٦١ - القاهرة .
- (٢٥٠) مستقبل الثقافة في مصر . الدكتور طه حسين . دار المعارف في
القاهرة ١٩٤٤ .
- (٢٥١) منطق ارسطو - تحقيق الدكتور عبد الرحمن بدوي - دار الكتب
بالقاهرة ١٩٤٨ .
- (٢٥٢) مناهج البلغاء وسراج الادباء ، حازم القرطاجني - مخطوطة دار
الكتب - القاهرة . وقد طبع في تونس عام ١٩٦٦ بتحقيق الدكتور
محمد الحبيب بن الخوجة .
- (٢٥٣) منهج السكاكي في البلاغة - الدكتور احمد مطلوب - بحث
نشر في مجلة المجمع العلمي العراقي ١٩٦٣ .

(٢٥٤) المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي - جمال الدين ابو المحاسن يوسف بن تغري بردى الاتابكي *

١- مخطوطة دار الكتب - القاهرة *

٢- طبعة احمد يوسف نجاتي - ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م - القاهرة *

(٢٥٥) الموازنة بين الطائنين - ابو القاسم الحسن بن بشر الآمدي -

تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد - الطبعة الثانية - ١٣٧٣هـ

- ١٩٥٤م - القاهرة *

(٢٥٦) مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح - ابن يعقوب المغربي -

مطبوع في شروح التلخيص ١٩٣٧ - القاهرة *

(٢٥٧) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة - جمال الدين يوسف بن

تغري بردى الاتابكي - ١٣٦١هـ - ١٩٤٢م - القاهرة *

(٢٥٨) نحو التيسير - الدكتور احمد عبدالستار الجواري ١٣٨٢هـ -

١٩٦٢م - بغداد *

(٢٥٩) نزهة الالباء في طبقات الادباء - ابن الانباري - تحقيق الدكتور

ابراهيم السامرائي - ١٩٥٩م - بغداد *

(٢٦٠) نظرية عبدالقاهر في النظم - الدكتور درويش الجندي - ١٩٦٠م -

القاهرة *

(٢٦١) نظرة في قواعد علوم العربية وآدابها - ادور مرقص *

بحث نشر في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق المجلد التاسع

سنة ١٩٢٩م *

(٢٦٢) نشأة النقد الادبي الحديث في مصر - عز الدين الامين - ١٣٨١هـ

١٩٦٢م - القاهرة *

(٢٦٣) النظم في دلائل الاعجاز - الدكتور مصطفى ناصف - بحث نشر

في مجلة كلية الآداب بجامعة عين شمس المجلد الثالث يناير ١٩٥٥م *

(٢٦٤) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين
ابن الخطيب - احمد بن محمد المقرئ - تحقيق محمد محيي الدين
عبد الحميد ١٣٣٩ هـ - ١٩٤٩ - القاهرة .

(٢٦٥) النقاية (متن اتمام الدراية) - جلال الدين السيوطي - مطبوع
على حاشية مفتاح العلوم للسكاكي الطبعة الاولى ١٣١٧ هـ -
القاهرة .

(٢٦٦) النقد - الدكتور شوقي ضيف - دار المعارف ١٩٥٤ - القاهرة
(٢٦٧) النقد الادبي - احمد امين - الطبعة الثانية ١٣٧٦ هـ ١٩٥٧ -
القاهرة .

(٢٦٨) النقد الادبي من خلال تجاربي - مصطفى عبداللطيف السحرتي
١٩٦٢ - القاهرة .

(٢٦٩) النقد الادبي ومدارسه الحديثة - ستانلي هايمان - ترجمة
الدكتورين احسان عباس ومحمد يوسف نجم ١٩٥٨ - بيروت .

(٢٧٠) النقد الادبي ومصادره - عباس العزاوي - بحث نشر في مجلة
المجمع العلمي العراقي بالمجلد السابع ١٣٧٩ هـ - ١٩٦٠ م

(٢٧١) نقد الشعر - قدامة بن جعفر - تحقيق س . أ - بونباكر
١٩٥٦ - بويل ليدن .

(٢٧٢) نقد النثر المنسوب الى قدامة بن جعفر - تحقيق الدكتور طه
حسين وعبد الحميد العبادي ١٩٣٨ - القاهرة .

(٢٧٣) النقد المنهجي عند العرب - الدكتور محمد مندور - الطبعة
الثانية - القاهرة .

(٢٧٤) النكت في اعجاز القرآن - ابو الحسن علي بن عيسى الرماني .
طبعت ضمن ثلاث رسائل في اعجاز القرآن - تحقيق الاستاذ
محمد خلف الله احمد - ومحمد زغلول سلام - دار المعارف -
القاهرة .

- (٢٧٥) نكت الهميان في نكت العميان • الصفدي - القاهرة •
- (٢٧٦) نهاية الارب في فنون الادب - شهاب الدين النويري - دار
الكتب - القاهرة •
- (٢٧٧) نهاية الايجاز في دراية الاعجاز - فخر الدين الرازي - ١٣١٧هـ
القاهرة •
- (٢٧٨) هدية العارفين - اسماعيل البغدادي - ١٩٥٥ - استانبول •
- (٢٧٩) الوافي بالوفيات - صلاح الدين خليل بن ابيك الصفدي -
١٩٥٣ - دمشق •
- (٢٨٠) الوساطة بين المتبني وخصومه - القاضي علي بن عبدالعزیز
الجرجاني - الطبعة الثالثة - القاهرة •
- (٢٨١) الوسيلة الادبية الى العلوم العربية - حسين المرصفي ج ١ الطبعة
الثانية ١٣٤٢هـ - ١٩٢٤م - القاهرة • ج ٢ الطبعة الاولى ١٣٤٤ هـ
١٩٢٦ م - القاهرة •
- (٢٨٢) وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان - ابن خلكان - تحقيق محمد
محيى الدين عبدالحميد - الطبعة الاولى بالقاهرة ١٣٦٧ هـ -
١٩٤٨ م •

الفهائم

الموضوعات

٩	•	•	•	•	•	•	•	عززي القاريء
١١	•	•	•					تقديم للدكتورة سهير القلماوي
١٧	•	•	•	•	•	•	•	المقدمة

تمهيد

٢٧ - ٩٣

٢٩	•	•	•	•	•	•	•	البلاغة قبل القزويني
٢٩	•	•	•	•	•	•	•	دراسات بلاغية
٣١	•	•	•	•	•	•	•	أثر القرآن
٣٣	•	•	•	•	•	•	•	أثر المفسرين
٣٣	•	•	•	•	•	•	•	أثر الكتاب
٣٤	•	•	•	•	•	•	•	أثر الشعراء
٣٤	•	•	•	•	•	•	•	أثر الفلسفة
٣٥	•	•	•	•	•	•	•	مدرستان بلاغيتان
٣٧	•	•	•	•	•	•	•	دوافع التأليف

٣٩	•	•	•	•	•	•	•	المؤلفات الاولى
٤٠	•	•	•	•	•	•	•	اتجاهات بلاغية
٤١	•	•	•	•	•	•	•	الوطواط
٤٣	•	•	•	•	•	•	•	أثر مذهب المشاركة
٤٣	•	•	•	•	•	•	•	الرازي
٤٥	•	•	•	•	•	•	•	المطرزي
٤٧	•	•	•	•	•	•	•	مذهب المغاربة
٤٧	•	•	•	•	•	•	•	حازم القرطاجني
٤٩	•	•	•	•	•	•	•	الاندلسي
٥٠	•	•	•	•	•	•	•	مذهب مصر والشام
٥٣	•	•	•	•	•	•	•	ابن سنان الخفاجي
٦٠	•	•	•	•	•	•	•	ابن منقذ
٦٢	•	•	•	•	•	•	•	ابن شيث القرشي
٦٧	•	•	•	•	•	•	•	ابن الاثير
٧٥	•	•	•	•	•	•	•	ابن الزملكاني
٧٨	•	•	•	•	•	•	•	ابن ابي الاصبغ المصري
٨٢	•	•	•	•	•	•	•	خصائص ومميزات
٨٩	•	•	•	•	•	•	•	بدرالدين بن مالك

الباب الاول

القزويني وآثاره

٩٥ - ٢٤٦

٩٧	• • • • •	الفصل الاول - الخطيب القزويني
٩٨	• • • • •	جلال الدين
٩٨	• • • • •	نسبه
٩٩	• • • • •	آل دلف
١٠٢	• • • • •	امام الدين
١٠٥	• • • • •	أين والد جلال الدين ؟ ومتى ؟
١٠٦	• • • • •	الموصل أيام النكبة
١٠٧	• • • • •	الى بلاد الروم ودمشق
١٠٩	• • • • •	ثقافته
١١٢	• • • • •	أساتيده
١١٤	• • • • •	شعره
١١٦	• • • • •	نثره
١١٩	• • • • •	أخلاقه
١٢٠	• • • • •	طلابه
١٢١	• • • • •	أصدقائه

١٨٠	•	•	•	•	•	•	•	•	منظومات التلخيص
١٨١	•	•	•	•	•	•	•	•	شرح أبيات التلخيص
١٨٣	•	•	•	•	•	•	•	•	الايضاح
١٨٣	•	•	•	•	•	•	•	•	متى ألفه
١٨٤	•	•	•	•	•	•	•	•	منهجه
١٨٤	•	•	•	•	•	•	•	•	مخطوطاته
١٨٦	•	•	•	•	•	•	•	•	شروحه
١٨٧	•	•	•	•	•	•	•	•	حواشٍ على الايضاح
١٨٧	•	•	•	•	•	•	•	•	طبعاته
١٩١	•	•	•	•	•	•	•	•	الفصل الثالث - مصادره
١٩٢	•	•	•	•	•	•	•	•	مع القاضي الجرجاني
١٩٣	•	•	•	•	•	•	•	•	مع الرماني
١٩٤	•	•	•	•	•	•	•	•	مع العسكري
١٩٥	•	•	•	•	•	•	•	•	ادعاء
١٩٦	•	•	•	•	•	•	•	•	مع ابن سنان
١٩٩	•	•	•	•	•	•	•	•	مع ابن الاثير
٢٠١	•	•	•	•	•	•	•	•	مع ابن أبي الاصبغ المصري
٢٠٥	•	•	•	•	•	•	•	•	مع بدرالدين بن مالك
٢٠٨	•	•	•	•	•	•	•	•	القزويني وعبدالقاهر
٢٠٨	•	•	•	•	•	•	•	•	كتابا عبدالقاهر
٢١٠	•	•	•	•	•	•	•	•	الفصاحة
٢١٢	•	•	•	•	•	•	•	•	النظم
٢١٣	•	•	•	•	•	•	•	•	اللفظ والمعنى
٢١٤	•	•	•	•	•	•	•	•	تقديم المسند اليه
٢١٦	•	•	•	•	•	•	•	•	الحذف

الباب الثاني

بلاغة القزويني

٢٤٧ - ٤٩٩

٢٤٩	•	•	•	•	•	•	•	الفصل الاول - الفصاحة
٢٤٩	•	•	•	•	•	•	•	رأي الجاحظ
٢٥١	•	•	•	•	•	•	•	رأي ابن قتيبة
٢٥٣	•	•	•	•	•	•	•	رأي عبدالقاهر
٢٥٧	•	•	•	•	•	•	•	رأي ابن الاثير
٢٥٨	•	•	•	•	•	•	•	رأي ابن خلدون
٢٥٨	•	•	•	•	•	•	•	آراء الغريين
٢٥٩	•	•	•	•	•	•	•	رأي ابن طباطبا
٢٥٩	•	•	•	•	•	•	•	رأي ابن رشيق
٢٦٠	•	•	•	•	•	•	•	الصلة بين اللفظ والمعنى
٢٦٢	•	•	•	•	•	•	•	الاهتمام باللفظ
٢٦٤	•	•	•	•	•	•	•	رأي القزويني
٢٦٧	•	•	•	•	•	•	•	فصاحة اللفظة المفردة
٢٦٨	•	•	•	•	•	•	•	التنافر
٢٦٨	•	•	•	•	•	•	•	الغرابية

٢٧١	•	•	•	•	•	•	•	مخالفة القياس اللغوي
٢٧٣	•	•	•	•	•	•	•	فصاحة الكلام
٢٧٣	•	•	•	•	•	•	•	ضعف التأليف
٢٧٤	•	•	•	•	•	•	•	التنافر
٢٧٦	•	•	•	•	•	•	•	التعقيد
٢٨٢	•	•	•	•	•	•	•	ما يتعلق بالالفاظ المركبة
٢٨٤	•	•	•	•	•	•	•	المعنى
٢٨٧	•	•	•	•	•	•	•	الفصل الثاني - علم المعاني
٢٩١	•	•	•	•	•	•	•	تساؤل
٢٩٥	•	•	•	•	•	•	•	الجملة
٢٩٦	•	•	•	•	•	•	•	نموذج
٣٠٥	•	•	•	•	•	•	•	الفصل والوصل
٣١٦	•	•	•	•	•	•	•	الايجاز والاطناب والمساواة
٣٢١	•	•	•	•	•	•	•	الفصل الثالث - علم البيان
٣٢٣	•	•	•	•	•	•	•	ادخال الدلالات
٣٢٩	•	•	•	•	•	•	•	التشبيه
٣٣٢	•	•	•	•	•	•	•	تعريف القزويني للتشبيه
٣٣٢	•	•	•	•	•	•	•	تقسيماته
٢٤٢	•	•	•	•	•	•	•	أهمية التشبيه والتمثيل
٣٥٠	•	•	•	•	•	•	•	المجاز
٣٥٠	•	•	•	•	•	•	•	تقسيم الاوائل
٣٥٣	•	•	•	•	•	•	•	تقسيم القزويني
٣٥٥	•	•	•	•	•	•	•	المجاز العقلي
٣٧٢	•	•	•	•	•	•	•	المجاز المرسل
٣٧٩	•	•	•	•	•	•	•	الاستعارة

٣٨٥	• • •	انقسام الاستعارة باعتبار الطرفين
٣٨٦	• • • •	انقسام الاستعارة باعتبار الجامع
٣٨٨	• •	انقسام الاستعارة باعتبار طرفيها والجامع
٣٩٠	• • • •	انقسام الاستعارة باعتبار اللفظ
٣٩١	• • • •	انقسام الاستعارة باعتبار الخارج
٣٩٣	• • • • •	الاستعارة بالكناية
٣٩٦	• • • • •	الاستعارة التخيلية
٣٩٧	• • • • •	حسن الاستعارة
٤٠٣	• • • • •	أنواع أخرى من المجاز
٤٠٥	• • • • •	مجاز الحذف والزيادة
٤٠٧	• • • • •	الخروج على مقتضى الظاهر
٤٠٩	• • • • •	الانشاء المجازي
٤١٢	• • • • •	التغليب
٤١٣	• • • • •	الكناية
٤١٦	• • • • •	رأي القزويني
٤٢٠	• • • • •	أهمية الكناية
٤٢٣	• • • • •	الفصل الرابع - علم البديع
٤٢٣	• • • • •	في اللغة
٤٢٤	• • • • •	الرواة والبديع
٤٢٥	• • • • •	أول كتاب في البديع
٤٢٧	• • • • •	البديع عند السكاكي
٤٢٨	• • • • •	البديع عند القزويني
٤٣١	• • • • •	المتأخرون والبديع
٤٣٣	• • • • •	نموذجان
٤٣٣	• • • • •	التقسيم
٤٣٧	• • • • •	الجناس

٤٤٥	•	•	•	•	•	•	•	•	•	البديعيات
٤٥٩	•	•	•	•	•	•	•	•	•	الفصل الخامس - السرقات
٤٥٩	•	•	•	•	•	•	•	•	•	الابتداع والاتباع
٤٦٠	•	•	•	•	•	•	•	•	•	السرقات قديمة
٤٦٢	•	•	•	•	•	•	•	•	•	كتب قديمة في السرقات
٤٦٢	•	•	•	•	•	•	•	•	•	ابن طباطبا والسرقات
٤٦٤	•	•	•	•	•	•	•	•	•	الجرجاني والسرقات
١٦٧	•	•	•	•	•	•	•	•	•	الآمدي والسرقات
٤٦٧	•	•	•	•	•	•	•	•	•	العسكري والسرقات
٤٦٩	•	•	•	•	•	•	•	•	•	ابن رشيقي والسرقات
٤٧١	•	•	•	•	•	•	•	•	•	عبد القاهر والسرقات
٤٧٥	•	•	•	•	•	•	•	•	•	ابن منقذ والسرقات
٤٧٦	•	•	•	•	•	•	•	•	•	ابن الاثير والسرقات
٤٨٣	•	•	•	•	•	•	•	•	•	السرقات في عصر القزويني
٤٨٤	•	•	•	•	•	•	•	•	•	القزويني والسرقات
٤٨٨	•	•	•	•	•	•	•	•	•	ما السرقة ؟
٤٨٩	•	•	•	•	•	•	•	•	•	أقسام السرقة

الباب الثالث

شروح التلخيص

٥٠١ - ٦٨٢

٥٠٣	•	•	•	•	•	•	•	•	•	الفصل الاول - شروح التلخيص
٥٠٣	•	•	•	•	•	•	•	•	•	النقد والبلاغة في عصر القزويني
٥٠٩	•	•	•	•	•	•	•	•	•	الشهاب الحلبي
٥٠٩	•	•	•	•	•	•	•	•	•	العلوي
٥١٦	•	•	•	•	•	•	•	•	•	ابن قيم الجوزية
٥١٦	•	•	•	•	•	•	•	•	•	بهاء الدين السبكي
٥٢٩	•	•	•	•	•	•	•	•	•	مصادره
٥٣١	•	•	•	•	•	•	•	•	•	بين الادب والفلسفة
٥٣٢	•	•	•	•	•	•	•	•	•	دعوة الى الذوق
٥٣٦	•	•	•	•	•	•	•	•	•	منهجه في الشرح
٥٣٦	•	•	•	•	•	•	•	•	•	متى ألفه ؟
٥٣٧	•	•	•	•	•	•	•	•	•	خصائصه
٥٤٥	•	•	•	•	•	•	•	•	•	آراء السبكي
٥٤٦	•	•	•	•	•	•	•	•	•	مع القزويني
٥٤٦	•	•	•	•	•	•	•	•	•	علم المعاني

٥٦١	•	•	•	•	•	•	•	علم البيان
٥٦٧	•	•	•	•	•	•	•	علم البديع
٥٧٠	•	•	•	•	•	•	•	التفتازاني
٥٧١	•	•	•	•	•	•	•	كتابه
٥٧٢	•	•	•	•	•	•	•	منهجه
٥٧٣	•	•	•	•	•	•	•	اعجابه بالقزويني
٥٧٤	•	•	•	•	•	•	•	مع القزويني
٥٧٤	•	•	•	•	•	•	•	الفصاحة
٥٧٦	•	•	•	•	•	•	•	علم المعاني
٥٧٨	•	•	•	•	•	•	•	علم البيان
٥٧٠	•	•	•	•	•	•	•	علم البديع
٥٨١	•	•	•	•	•	•	•	السيد الشريف
٥٨٤	•	•	•	•	•	•	•	ابن يعقوب المغربي
٥٨٦	•	•	•	•	•	•	•	مع القزويني
٥٩٢	•	•	•	•	•	•	•	السوقي
٥٩٨	•	•	•	•	•	•	•	عصام الدين الاسفراييني
٦٠٣	•	•	•	•	•	•	•	السيوطي
٦٠٦	•	•	•	•	•	•	•	قيمة الشروح
٦١٠	•	•	•	•	•	•	•	الفصل الثاني - القزويني والبلاغة الحديثة
٦١١	•	•	•	•	•	•	•	الازهر والبلاغة
٦١٣	•	•	•	•	•	•	•	كتب جديدة
٦١٧	•	•	•	•	•	•	•	الجامعة والبلاغة
٦١٩	•	•	•	•	•	•	•	اتجاه نفسي
٦١٩	•	•	•	•	•	•	•	مناهج جديدة

٦٢٨	•	•	•	•	•	•	•	•	•	المنهج
٦٢٩	•	•	•	•	•	•	•	•	•	الفصاحة
٦٣٢	•	•	•	•	•	•	•	•	•	علم المعاني
٦٣٨	•	•	•	•	•	•	•	•	•	علم البيان
٦٤٠	•	•	•	•	•	•	•	•	•	علم البديع
٦٤٢	•	•	•	•	•	•	•	•	•	الخاتمة
٦٤٦	•	•	•	•	•	•	•	•	•	رأي
٦٤٩	•	•	•	•	•	•	•	•	•	الموضوعات
٦٤٩	•	•	•	•	•	•	•	•	•	مسائل فلسفية
٦٥١	•	•	•	•	•	•	•	•	•	تخلية
٦٦٦	•	•	•	•	•	•	•	•	•	ما ينبغي أخذه
٦٦٦	•	•	•	•	•	•	•	•	•	المصطلحات
٦٧٠	•	•	•	•	•	•	•	•	•	الفصاحة
٦٧٢	•	•	•	•	•	•	•	•	•	الايجاز والاطناب
٦٧٢	•	•	•	•	•	•	•	•	•	بحوث أخرى
٦٧٢	•	•	•	•	•	•	•	•	•	السرقات
٦٧٣	•	•	•	•	•	•	•	•	•	الثقات
٦٧٥	•	•	•	•	•	•	•	•	•	الشكلية
٦٧٥	•	•	•	•	•	•	•	•	•	تحلية
٦٨٢	•	•	•	•	•	•	•	•	•	خاتمة
٦٨٩	•	•	•	•	•	•	•	•	•	مصادر البحث ومراجعته

القوافي

الهمزة

الصفحة	القافية	أول البيت
١١٤	الشعراء	أنا أشعر
٣٤٨	العطاء	بذل
٣٧٣	وماء	وما
٤٦٣	السماء	كل
٤٩٥ ، ٤٦٦	أعدائه	أأحبه
٤٨٨	لقاء	كأن
٥٦٣	الماء	والريح

الباء

٤٤٣ ، ٤٣٩ ، ٦٦	قواضب	يمدون
٧٣	المهذب	ولست
٨٥	كذبه	كلقتمونا
٨٦	كلابا	فغض
١٣٥	يطيب	قد سبك
٣٧٦ ، ٣٦٢ ، ١٩٨	يقاربه	وما مثله
١٩٩	شعوب	ولا فضل

الصفحة	القافية	أول البيت
٢٣٥	تقضبا	تذكرت
٢٣٥	فمثقا	وحل
٢٣٦	مشيب	طحايك
٢٣٦	وخطوب	يكلفني
٢٣٦	ومرهوب	ما أن
٢٣٦	مقروب	إنّ تسألوا
٢٧٣	النسب	مبارك
٢٨٢	شهاب	إنّ يقتلوك
٢٨٢	قارب	قتلنا
٣٠٨	غاربي	ملكته
٣١٢	لأب	آكسبته
٣٤٠	تسكب	تشابه
٣٤٥	وضرب	دان
٣٤٦	ثاقبا	كالبدر
٣٨٥	سحائب	وصاعقة
٣٨٦	الغييب	يتراكمون
٣٩٩	عنايا	أثمرت
٤٠٠	التعب	بصرت
٤٠٨	مقروب	إنّ
٤٣٠	مغيّب	إذا
٤٣٨	مصابه	ولا تله
٤٣٨	ذاهبه	إذا
٤٤١	أريب	يعيش
٤٤٣	منهب	ذهبت
٤٦٦	الحبيب	إذا

الصفحة	القافية	أول البيت
٤٧٩	متضارب	إذا
٤٩١	وحاجبا	خلقنا
٤٩١	حواجبا	خلقنا
٤٩٢	المذاب	وجرم
٤٩٤	خضاب	ومن
٤٩٤	يسلبوا	سلبوا
٤٩٤	غضابا	إذا
٥٥١	وخطوب	تكلفني
٥٥٣	آبا	فرجي
٥٧٤	النسب	مبارك
٥٩٣	العرب	فهمت
التساء		
٢٧٢	الحنات	وأكره
٢٩٨	جلت	سأشكر
٣٤٧	اليواقيت	ولازوردية
٤١١	تقلت	أسيئي
٤٤٢	ثابت	ألا
٤٥٤	وحناتها	أعائق
التساء		
٤٣٦	العابت	ابادر
الجيم		
٧٢	اللهج	من راقب
٣٧٥ ٢٦٩	مسرجا	وفاحما

الصفحة	القافية	أول البيت
--------	---------	-----------

٤١٨	الحشرج	إن
٤٩٠ ، ٤٨٠ ، ٤٦٠	اللهج	من

الحاء

٢٨١ ، ٢١١	ملاح	وظلت
٣٨٧ ، ٣٥٨ ، ٢٥١ ، ٢١٧	الاباطح	أخذنا
٢٥٢	الصالح	ما عاتب
٥٤٢ ، ٢٦٥	الفصيح	وتحت
٢٧٢	بمنتراح	وأنت
٢٨٠	روحي	بالنار
٣٢٢	يراح	أن
٣٤٨	يمتدح	وبدا
٤١٠	راح	ألستم
٤٣٩	الجوانح	إن
٤٧٨	مطرح	ومن
٥٧٩	لاح	ولاح

الذال

٥٥١ ، ٢٣٧ ، ٢٢٠ ، ٥٢	ترقد	تظاول ليلك
٥٩	العواد	أعز علي
١٤٣	وتتكيد	حاشاك
١٨١	الرشاد	الحمد لله
١٩٤	كدا	والعيش
٢٠٣ ، ٢٠٢	بالايادي	قلت
٢٠٤	للاعادي	وإخوان
٥٤٣ ، ٢٧٨ ، ٢١٠	لتجمدا	سأطلب

الصفحة	القافية	أول البيت
٢١١ ، ٢٨٠	مجتهد	ويعرف
٢٥٣	نجد	وانجدتم
٢٦٠	المعدود	حجج
٢٧٨	لجمود	ألا أن
٣٠١	خالد	لو شئت
٣١٢	احيد	بغاني
٣٣٢	تصعد	وكان
٣٣٢	ندي	كلنا
٣٣٦	حداد	وأرى
٣٤٥	حسود	وإذا
٧٥٢ ، ٣٦٦	والجدا	وتحبي
٣٨٦	الوادي	لم
٤٠٢	الاسد	ولم أر
٤١٧	الحقد	فاتبعها
٤٢٠	سعيد	أبين
٤٢٤	بساعد	هم
٤٣٥	مرد	سأطلب
٤٦٥	الخدود	يباض
٤٦٥	خدود	والورد
٤٦٨ ، ٤٧٧ ، ٤٩٠	وتجلد	وقوفا
٤٧٢	مودود	الشيب
٤٧٧ ، ٤٩٠	لمعبد	أجاد
٤٧٧ ، ٤٩٠	لمعبد	محاسن
٤٧٩	بتعريد	إن
٤٩٢	البلاد	مقيم

الصفحة	القافية	أول البيت
٤٩٢	غاد	واني
٤٩٤	معمد	يس
٤٩٤	واحد	ليس
٤٩٥	المهند	مفيد
٥٠٦	وساد	إن
٥٢٦	منشد	فلو
٥٥٧ ، ٥٧٥	وحدي	كريم
٥٦٥	يوجد	بلد

الراء

٤٣	ذكور	ومن العجائب
٧٢	الجسور	من راقب
٧٤	الدائرا	المثل السائر
٨٨	النوار	لما نظرت
٩٩	وطره	ذاد
١٠٣	بالبشرى	تبدلت
١٤٣	أزاهره	سقى
١٩٤	أعذرا	عجبت
١٩٥	قبر	وقبر
١٩٨	الغار	ثافيه
٢١١ ، ٢٨١	خياره	يا علي
٢١٥	نارا	وما أنا
٢١٧ ، ٢٥٦ ، ٣٨٧	كالدنانير	سالت
٢٦٣ ، ٢٧٧	الغار	ثافيه
٢٧٤ ، ٢٧٩	قبر	وقبر

أالصفحة	القافية	أول البيت
٢٧٩	اغتفار	تبيت
٣٠٢	تفكرا	قلم يبق
٣٠٨	بمقدار	وقال
٣١٣	القطر	واني
٣٣١	نورا	وقد لاح
٣٤٠	الصارف	أسد
٣٤٠	الامر	رق
٢٤٢	الزناير	تقول
٣٦٩ ، ٣٥٦	وادبار	ترعى
٦٥٤ ، ٣٦١ ، ٣٥٨	نظرا	يزيدك
٣٥٩	الضفر	تناسى
٣٦٣	البدر	سيدكرني
٣٧٤	المشافر	فلو
٣٧٦	النشر	أكلت
٣٨٣	القمر	لا تعجبوا
٣٨٧	الزائد	واذا
٣٩٢	بكر	ينازعني
٤١٨	ظاهره	لعبد
٤٢٤	المصفرا	فضحن
٤٣٤	حرها	فوجهك
٤٣٥	ماندري	فقال
٤٣٨	الشعر	والحسن
٤٥٩	النجار	بكروا
٤٦٠	شعري	لا
٤٩٠ ، ٤٨٠ ، ٤٦٠	الجسور	من

الصفحة	القافية	أول البيت
٤٦٨	البдра	قماه
٤٧٨	النصر	فتى
٤٧٨	الصغر	لم
٣٨٣	طيري	أطالع
٤٩٣	العنبر	وريحها
٤٩٣	الخمار	فلا
٤٩٥	ستمار	وترى
٥٤٨	البدر	سيدكرني
٥٧١	الدر	ففي
٥٨٠	الثرى	لعمرى
٦٥٤	والقمر	ثلاثة
السين		
٢٨٠	شرس	دان
٣٨٣	نقسي	قامت
٣٩١	الشموسا	واقرى
الصاد		
٣٣٩	الدعص	فرعاء
٥٥٣	القيص	أأطعت
الضاد		
٢٧٨ ، ٢١	يرضي	أبكاني
٤٦٥	بعض	عشية
الظاء		
٢٤٤	أيقاظا	تقري

الصفحة	التأنيده	أول البيت
	العين	
٣٦٧ ، ١٢٢	أصنع	قد اصبحت
٢٠٤ ، ٢٠٣	لويحي	إن قال
٢٢٣	واصطناعها	ذمت
٢٢٣	باعها	أبى
٢٢٣	أطاعها	إذا هي
٢٩٧ ، ٢٣٢	تقنع	والنفس
٢٣٣	تصرعوا	إن الذين
٢٥١	وقعا	أيتها
٢٥٤	أخدعا	تلقت
٢٥٤	أخدعي	واني
٢٨١ ، ٢٨٠	ومسمع	حمامة
٢٩٨	بسرير	سريع
٣٠٠	واع	شجو
٣٠١	اوسع	ولو شئت
٣٣٣	ابتداع	وكان
٣٤٤	الاصابع	فاصبحت
٦٢٢ ، ٥٨٨ ، ٥٦٥ ، ٣٩٧	لا تنفع	وإذا
٤٣٥	نفعوا	قوم
٤٤٠	الوقوعا	ممنعة
٤٨٠	دموعها	إذا
٤٨٠	صنيعا	ألوم
٤٨٠	انفع	هو
٤٩١	مودعي	لم
٤٩٣	ذراعا	ولم
٤٩٣	اوسعا	وليس

الصفحة	القافية	أول البيت
--------	---------	-----------

الفاء

١٥٠	عطافا	كساني
١٥١	الصحف	هذا الامام
١٩٣	انصرفا	والحب
٢٠٠	اكنافهم	قم
٢٩٩	مختلف	نحن
٣١٠	إلاف	زعمتم
٣٧٢	اكافا	إن
٤٤٠	شاف	هل
٤٧٩	مؤتفا	تدعى
٥٤٣	الشفوف	للبس

القاف

٢٥٤	خرقك	يا دهر
٣٣٣	يعشق	ولقد
٣٣٦	عقيق	كأن
٤٠٨	مرزوقا	كم
٤٩١	تعشق	واني
٥٠٦	معانقي	حتى
٥٠٧	بعاشق	أبعده
٥٠٧	خافق	يكفيه

الكاف

٣١٢	مالكا	فلما
٣٣٤	شمالكا	ألم تك
٤٠٢	الفلكا	أتني

الصفحة	القافية	أول البيت
٤٠٨	دعاكا	إلهي
٤٠٨	بذلكا	تعالتت
٤٦٣	فبكي	لا
٤٦٩	قفاكا	بأبي

اللام

٤١٠٦٣٣٣٦٣٢	اغوال	أيقنني
٦٠	بال	إلا أنتي
٧٣	البالي	كان قلوب
٨٥	بصقال	والسيف
٨٦	مثقالا	لو ان تغلب
١٤٥	أم لا	ان طيفا
١٤٨	مآله	كل حي
١٩٥	بالتعطيل	كم لها
٢٠١	منزلي	أنت
٢٩٧٦٢٣٢	الرحل	الله
٢٥٠	الرجال	لا تحسبن
٢٥٠	السؤال	كلاهما
٢٥٢	الهطل	وفوها
٢٥٢	النحل	كما
٢٦٨	ومرسل	غداثرها
٢٧١	المجزل	الحمد
٢٧٤	الجليل	هل معين
٢٧٦	الغاسل	الطيب
٢٧٧	العسل	يدي

الصفحة	القافية	أول البيت
٢٨٠	صل	أقل
٢٨٠	الهزال	فسد
٣٠٣	مثلا	قد طلبنا
٣١٠	طويل	قال
٣١٠	لا تبخلي	زعم
٣٣٦ ، ٣٣٤	قاتله	اصبر
٣٣٤	شمالكا	ألم تك
٣٤٩ ، ٣٤٦ ، ٣٤٣	الغزال	فان
٣٤٥	شمائلا	لهفي
٣٤٦	المتطاول	وان
٦٥٤ ، ٣٦١ ، ٣٥٨	المثل	وصيرني
٣٨٢	بخلا	يا خير
٣٨٤	الجمال	فهن
٣٨٦	خصل	لو
٣٨٧	الرحل	وجملت
٣٨٨	بكلكل	فقلت
٣٩١	المال	غمر
٣٩٤	رواحله	صحا
٤٠٠	العمل	لا
٤٠١	بدلا	يا
٤١١	بأمثل	آلا
٤١٨	الفصيل	وما
٤٣٤	مائل	فما
٤٣٦	غفل	فما
٤٣٨	سبيل	وسميه

الصفحة	القافية	أول البيت
٤٤٩	قلاقل	فقلقلت
٤٦٣	رحلا	فبان
٤٦٦	سبيل	أريد
٤٦٨ ٤٧٧ ٩٠٠	وتجمل	وقونفا
٤٧٠	طبولا	باشرت
٤٧٠	طبول	إذا
٤٧٤	المقبل	يعشون
٤٧٧	طائل	لقد
٤٧٨ ٤٩٣	كامل	وإذا
٤٧٩	بمنجلي	ولما
٤٨٩	يعقل	إذا
٤٨٩	أول	لعمرك
٤٩١	لبخيل	هيهات
٤٩١	بخيلا	أعدى
٤٩٣	البصل	وإذا
٤٩٣	طائل	لقد
٤٩٥	نواهل	وقد
٥٢٥	وائل	وحتى
٥٥٣	قذالا	ومية
٥٥٤	المثقل	يزل
٥٥٤	ابقالها	ولا
٥٦٥	أفول	عزماته
	الميم	
٤٢	الخضم	ياباني
٦١	البشام	أتذكر

الصفحة	القافية	اول البيت
٩٥	بعظامه	لانت معاطفه
٨٩	أمامي	أقمت
١٠١	الايام	عني
١١٦	نظامه	والمجد
١٣١	الدرهما	قاض
١٤٧	المعالم	وكادت
١٥٠	تهي	وسقى
٢٠٣	العظاما	غالطتني
٢٢٢	ميسما	ولو غير
٢٢٥	زمامها	وغداة
٢٥١	شمم	في كفه
٢٥١	يتسم	يفضي
٢٥٤	حمام	هن
٢٥٥	كالدمى	ومن
٢٧١	الايام	حلت
٢٧١	وايم	يشق
٢٧٢	الحما	قواطنا
٢٧٥	رميم	رمتي
٢٧٦	ساجمه	وفاؤكما
٣٠٣	العظم	وكم
٣٠٧	كريم	لا والذي
٣٠٩	تهيم	وتظن
٣١٢	نعيم	أتينا
٣٦٥ ، ٣٥٦	هي	لقد
٣٦٥ ، ٣٥٦	بنائم	حارث

الصفحة	القافية	أول البيت
٣٥٧	الملاغم	سقاها
٣٩٤ ، ٣٨٠	زمامها	ورياح
٣٨٧	الدراهم	ثرتهم
٣٩٢	تقلم	لدى
٤٠٠	نعم	قولي
٤١٣	ضرام	أرى
٤٤٥	سلم	إن
٤٤٦	الكلم	بطيبة
٤٤٧	العلم	براعة
٤٤٧	العلم	لي
٤٥٥	كالعلم	في
٤٥٦	دمي	حسن
٤٥٦	بالديم	يا منزل
٤٥٧	ألبي	يا حسن
٤٦٣	المكرم	متى
٤٦٦	اللوم	أجد
٤٧١	الدم	لا
٤٧٥	الاجسام	وإذا
٤٨٠	بدم	جدلان
٤٨٠	الجهام	ومن
٤٩٣	والاظلام	وعلى
٤٩٥	اللوم	أجد
٥٥٣	الصوارم	عشية
٦٠٣	بدم	من العقيق

الصفحة	القافية	أول البيت
	النون	
١٠٩	والتبين	بحر
١٤١	يرين	يا بروقا
٢٥٢	معينا	ان الذين
٢٥٢	ولقينا	غيضن
٢٥٣ ، ٤٤٤	اودعاني	او دعاني
٢٥٥	الدوران	لو الفلك
٢٧٢	عنا	واذا
٣٧٦	الجاهلينا	الا
٣٨٥	نيرانا	فان
٤١٧	الاضغان	الضارين
٤٣٨	لنا	كلكم
٤٥١	الغنى	ولقد
٤٦٥	العجان	اذا
٤٦٣	نعني	وإن°
٤٦٣	النازلينا	أحب
٤٦٦	مكان	ملك
٤٦٩	سربي	ما
٤٧٩	مني	ولقد
٤٧٩	يزين	حذرا
٤٩١	أحيانا	يا قوم
٤٩٢	سمطين	وقائلة
٥٢٦	الانسان	لولا
٥٦٧	نيرانا	فان
٥٨٥	عاني	ومضطلع
٦٥٤	والبيان	وهذه

الصفحة	القافية	أول البيت
--------	---------	-----------

الهاء

٣٨٣	فيليها	ترى
٤٣٦	مواليها	صارت
٤٣٨	عبدالله	ما
٥٠٦	اليهما	زر

الياء

٤١٤ ، ٢٢٦	تقاضيا	وحسبك
٢٥٥	التقاضيا	إذا
٣٦٨ ، ٣٥١	العشي	اشاب
٤٣٦	مهنيا	غير

الإعلام

- احمد أمين : ٧٤ .
- احمد الجرجاني : ٥٣١ .
- احمد الحملاوي : ٦١٤ .
- احمد الشايب : ٦١٨ ، ٦٢١ ، ٦٢٦ .
- احمد بن فارس : ٣٥٦ .
- احمد المخزومي : ٧٧ .
- احمد مصطفى المراغي : ٦١٥ ، ٦١٧ .
- احمد مطلوب (الدكتور) : ٥ ، ٩ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ٢٦ ، ٦٨٨ .
- احمد الهاشمي : ٦١٥ .
- احمد بن يوسف : ١٩٥ ، ٢٧٤ ، ٤٤٦ .
- الاخفش : ٣٤ ، ٦٠٧ .
- الاخنس بن شهاب : ٤٧٩ .
- أدور مرقص : ٦٢٣ ، ٦٢٧ .
- الارجاني : ١١٤ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ٢٠٣ ، ٢٨٠ ، ٤٥١ ، ٤٩١ .
- أرسطو : ٢١ ، ٢٩ ، ٣٦ ، ٤٧ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٧١ ، ٨٤ ، ٤٧٥ ، ٦١٨ ، ٦٣٣ .
- اسامة بن مئذ : ٢١ ، ٥٠ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٧٧ ، ٤٧٥ ، ٥٣١ .
- أبو اسحاق الصابي : ٣٤٠ .
- اسحاق المجاهد : ١٠٦ .
- الاسفراييني : ١٠١ .
- الاستوي : ١٠٢ ، ١٠٥ ، ١٢٠ .
- أشجع : ٤٩٣ .
- الاشعبي : ٤٣٦ .
- الاشهب بن رميلة : ٤٢٤ .
- الاصفهاني : ٩٩ .

الهمزة

- أفوش الافرم : ١٢٦
- الامدي : ٥٥ ، ٥٩ ، ٣٥٦ ، ٤٦٢ ، ٤٦٧ ، ٤٦٩ .
- الابجي : ١١٣ .
- ابراهيم سلامة (الدكتور) : ٦١٨ .
- ابراهيم النظام : ١٨٩ .
- ابن أبي الاصبع المصري : ١٧ ، ٢٣ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٦١ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٨ ، ١٩١ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٤٦ .
- ٤٣١ ، ٤٤٥ ، ٤٥٣ ، ٥١٧ ، ٥٢٠ ، ٥٢٠ ، ٥٣١ ، ٦٦٧ .
- ابن أبي الحديد : ٧٤ ، ٧٥ ، ٥٣١ .
- ابن أبي عون : ٣٢٩ .
- الابيوردي : ٩٩ .
- ابن الاثير : ١٧ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٥١ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٩ ، ٦٧ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٧ ، ٨٤ ، ١٦١ ، ١٦٨ ، ١٧٢ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٢١ ، ٢٤٦ ، ٢٥٧ ، ٢٦٥ ، ٢٦٩ ، ٢٧٩ ، ٢٨٥ ، ٢٩٦ ، ٣١٧ ، ٣٣١ ، ٣٣٩ ، ٣٧٣ ، ٤١٤ ، ٤١٥ ، ٤٢٠ ، ٤٢٦ ، ٤٨١ ، ٤٨٢ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧ ، ٤٩٤ ، ٥١٠ ، ٥١١ ، ٥١٨ ، ٥٢٠ ، ٥٣١ ، ٥٧٣ ، ٥٩٨ ، ٦٣٠ ، ٦٦٥ ، ٦٦٦ ، ٦٧١ ، ٦٨٤ .
- ابن الاثير (المؤرخ) : ١٠٠ .
- احمد احمد بدوي (الدكتور) : ٤٧٥ .

. ٦٨٤ ، ٥٣١ ، ٥٣٠ ، ٥١٢ ، ٥١٠ .
 يدوي طيبانه (الدكتور) : ٤٢٥ ، ٣٧١ ،
 . ٦٥٣ ، ٦١٩ ، ٥١١
 البراء بن عازب : ١٠٥ .
 البرزالي : ١١٣ .
 برهان الدين بن الفركاح : ١١٠ .
 البروسي : ١٦٩ .
 البسيوني : ٦١٣ ، ٦١٤ .
 بشار : ٧٢ ، ٤٠٢ ، ٤٢٤ ، ٤٦٠ ، ٤٦١ ،
 . ٤٨٠ ، ٤٩٠ ، ٤٩٣ .
 البشتكي : ١٤٧ .
 بشر بن يحيى : ٤٦٢ .
 البعبع المجاشعي : ٤٦٠ .
 ابو البقاء : ٦٠٧ .
 أبو بكر الصديق (رضي) : ٩٩ ، ١٢٩ .
 ابن بنت الاعز : ١٠٨ .
 تاج الدين الشيرازي : ١٠٤ .
 ابن تفرى بردى : ٢٥ ، ١٠٧ .
 التفنازاني : ١١ ، ٢٥ ، ١١٥ ، ١٥٤ ، ١٨٢ ،
 ٣٦٣ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٤٠٤ ، ٤١٢ ،
 ٥٢٧ ، ٥٣٦ ، ٥٣٧ ، ٥٧٠ ، ٥٨٠ ،
 ٥٨٢ ، ٥٨٣ ، ٥٨٤ ، ٥٨٨ ، ٥٩٠ ،
 ٥٩٧ ، ٥٩٨ ، ٦١١ .
 التلمساني : ١٢١ .
 أبو تمام : ٧١ ، ١٦١ ، ١٩٨ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ،
 ٢٦٣ ، ٢٧١ ، ٢٧٤ ، ٢٧٧ ، ٣٠٧ ،
 ٣٤٤ ، ٤٠٠ ، ٤٠١ ، ٤١٩ ، ٤٢٥ ،
 ٤٣٤ ، ٤٣٨ ، ٤٣٩ ، ٤٤٣ ، ٤٥٩ ،
 ٤٦٢ ، ٤٧٠ ، ٤٧٢ ، ٤٧٧ ، ٤٧٩ ،
 ٤٨٠ ، ٤٨١ ، ٤٩٠ ، ٤٩١ ، ٤٩٢ ،
 ٤٩٥ ، ٥٣١ ، ٥٤٧ ، ٥٧٥ .
 توري : ٤٢٥ .
 ابن تيمية : ١٢٢ ، ١٢٥ ، ١٢٥ ، ٢٢٥ ، ٣٥٠ .

الشاء

ثعلب : ٣٩ ، ٦٠٧ .

الجيم

ابن جابر الاندلسي : ٤٤٦ .

الاصمعي : ٣٤ ، ٦٧ .
 الاعشى : ٢٥٢ ، ٣١٢ ، ٥٥٣ .
 افلاطون : ٣٦ ، ٧١ ، ٨٤ .
 الافوه الاودي : ٤٩٥ .
 امام الدين الرفاعي : ١٠١ .
 امام الدين القزويني : ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ،
 ١٠٨ ، ١١٢ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١٢٢ ، ١٢٥ ،
 امرؤ القيس : ٣١ ، ٣٢ ، ٥٩ ، ٧٣ ، ٢٢٠ ،
 ٢٦٨ ، ٣١٣ ، ٣٢٢ ، ٣٨٨ ، ٤١٠ ،
 ٤١١ ، ٤٦٨ ، ٤٧٧ ، ٤٩٠ ، ٥٥١ ،
 ٥٥٤ ، ٥٥٨ .
 الامير قوصون : ١٣٠ .
 امير بكتمر : ١٣١ .
 امين الخولي : ٨٤ ، ١٦٣ ، ٤٢١ ، ٦١٨ ،
 ٦١٩ ، ٦٢٠ ، ٦٢٦ ، ٦٣١ ، ٦٦٣ ،
 ٦٧٨ ، ٦٨١ .
 أمية بن أبي الصلت : ٤٧٩ .
 الاناباي : ٣٩٦ .
 انيس المقدسي : ٦٢٥ ، ٦٢٧ .
 اوس بن حجر : ٢٥١ .
 ابن اياس : ٢٥ ، ١٣٥ .
 ايدمر الخطيري : ١٣١ .
 الايكي : ١١٢ ، ١١٣ .

الباء

ابن بابك : ٢٨١ .
 الباقلائي : ٧٩ ، ٣١٧ .
 البخري : ٧١ ، ٨٥ ، ١٦١ ، ٢٥٤ ، ٢٦٠ ،
 ٢٧١ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٣ ، ٣٤٤ ،
 ٣٤٦ ، ٣٨٥ ، ٤١٧ ، ٤٤٠ ، ٤٤١ ،
 ٤٦٢ ، ٤٧٨ ، ٤٨٠ ، ٤٨١ ، ٤٩٢ .
 بدر الدين بن جماعة : ١٠٣ ، ١٢٩ .
 بدر الدين الحنبلي : ١٢٦ .
 بدر الدين القزويني : ١٣٥ ، ١٣٦ .
 بدر الدين لؤلؤ : ١٠٥ ، ١٠٦ .
 بدر الدين بن مالك : ١٩ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٥١ ،
 ٥٣ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٧ ، ١٠٢ ،
 ١٦٠ ، ١٩٢ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ،
 ٢٢٩ ، ٢٤٦ ، ٢٦٣ ، ٣٧٥ ، ٥٠٣ .

- الجاحظ : ١٧ ، ٢٩ ، ٣٤ ، ٣٩ ، ٥٠ ، ١٥٣ ، الحكم بن عقال : ٥٠٦ .
 الحلي : ٤٤٨ ، ١٨٩ ، ١٩٥ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، أبو حيان الاندلسي : ٧٧ ، ٥٠٧ ، ٥٠٧ ، ٢٦١ ، ٢٧٤ ، ٢٧٩ ، ٣٠٥ ، ٣٧٩ ، ٤٢٤ ، ٤٦١ ، ٥٩٣ ، ٦١٧ .
 ابن جبارة : ٥٠٧ ، ٥٠٨ ، جريس : ٨٦ ، ٣٦٥ ، ٤١٠ ، ٤٣٦ ، ٤٦٠ ، ٤٩٤ ، ٤٩٣ .

الخاء

- الخالدي : ٢١١ ، ٢٨١ ، الخديوي : ٦١١ ، الخطيبي أ : ٥٣٥ ، ٦٢٩ ، الخطيب الخلخالي : ٥٢٤ ، الخطيب المقدسي : ١٢٥ ، ابن خلدون : ٣٢ ، ٤٠ ، ١٦٢ ، ٢١٩ ، ٢٥٨ ، ٥٧٣ ، الغنساء : ٣١ ، ٣٥٦ ، ٤٣٩ ، ابن الخويصي : ١٢٥ .

الدال

- الدسوقي : ١١٥ ، ٤٠٥ ، ٤١٦ ، ٤٣٩ ، ٥٢٧ ، ٥٩٢ ، ٥٩٤ ، ٥٩٥ ، ٦١١ ، ٦٣٤ ، ٦٥١ ، دعبل : ٤٦٣ ، الدمشوري : ٦١١ ، ابو دلف العجلي : ١٣ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠١ ، ١٥١ ، دوستوفسكي : ٦٧٨ ، ابن دويذة المغربي : ٢٠٤ ، الديري : ١٠٨ ، ديك الجن : ٨٨ ، ١٦١ ، ٢٨٠ .

الذال

- ابو ذؤيب الهذلي : ٣٩٤ ، ٥٩٤ .

الراء

- رؤبة بن العجاج : ٢٧٢ ، ٣٥٦ ، ٣٦٥ ، انرادوياني : ٤١ .

الحاء

- حاتم : ٢٢٢ ، الحاتمي : ٤٧ ، ٥٠ ، ٦٠ ، ٥١١ ، ٥٥٣ ، ابن الحاجب : ٢٣١ ، الحارث بن حلزة : ١٩٤ ، حازم القرطاجني : ٤٧ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٣١ ، ٦١٨ ، حامد عبدالقادر : ٦١٩ ، حامد عبدالجيد : ٤٧٥ ، حبيب بن عمر : ١٦٩ ، الحجاج : ٤١٨ ، ابن حجر : ١١٠ ، ١٢٨ ، ابن حجة الحموي : ٢٤ ، ٦٢ ، ٨٩ ، ٤٣٢ ، ٤٤١ ، ٤٤٧ ، ٤٤٨ ، ٤٥٠ ، ٤٥٢ ، ٤٥٣ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٥٢٨ ، ٦٠٣ ، الحريري : ٣٩١ ، ٤٣٨ ، ٥٧٩ ، حسان بن ثابت : ٣١ ، ٣٥ ، ٤٧٤ ، ٥٥٥ ، حسن الطوخي : ١٧١ ، حسن الفزي : ١٣١ ، الحسن بن وهب : ٣٤ ، حسين بن اينك : ١٦٩ ، الحسين بن علي : ١٢٩ ، الحسين بن مطير : ٤٦٣ ، حفني محمد شرف (الدكتور) : ٢٠٥ ، ٦١٩ .

الرازي : ١٨ ، ١٩ ، ٤١ ، ٤٣ ، ٤٥ ، ٧٧ ، السبكي (ربهاد الدين) : ٢١ ، ٢٤ ، ٤٦ ،
 ٩٩ ، ٢١٩ ، ٢٩٢ ، ٣٦٥ ، ٣٦٨ ، ٣٧٩ ، ٥١ ، ٥١١ ، ٥٢ ، ٥٣١ ، ٥٧٣ ،
 ٦٨٣ .

الراعي النميري : ٨٦ .
 انراغب الاصفهاني : ٢٣ ، ٢٤٦ .
 رافع بن خديج : ١٠٢ .
 الراوندي : ٥٩٣ .
 ربيعة الرقي : ٤٠٠ .
 ربيعة بن مفرود : ٢٣٥ .
 رشيد الدين الفارقي : ١٢٢ .
 رشيد الدين الوطواط : ٤١ ، ٤٦ ، ٤٣٤ .
 ابن رشيقي : ٤٧ ، ٥٣ ، ٦٥ ، ٢٥٩ ، ٣١٧ ،
 ٣٣١ ، ٣٤٢ ، ٤٠١ ، ٤٦٠ ، ٤٦٩ ،
 ٤٧٠ ، ٥٣١ ، ٥٩٨ .
 الرضوي : ٥٩٨ .
 الرماني : ٢٣ ، ٥٠ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ٢٤٦ ،
 ٢٧٥ ، ٥٣١ .
 ابن الرومي : ٤١ ، ٤٦٩ ، ٣٤٨ .

الزاي

الزعي الحنبلي : ١٢٢ .
 الزمخشري : ١٨ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٤٠ ، ٤١ ،
 ٤٣ ، ١٧٢ ، ١٩٣ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢٠ ،
 ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ،
 ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٣٥ ، ٢٩١ ، ٣٥٩ ،
 ٣٩١ ، ٤١٩ ، ٤٢٧ ، ٤٩٢ ، ٥١٠ ،
 ٥١٥ ، ٥٦٧ ، ٥٧٣ ، ٥٨٩ ، ٥٩٥ ،
 ٥٩٨ ، ٦٨٣ .

ابن الزمלקاني : ٢١ ، ٥١ ، ٥٣ ، ٧٥ ، ٧٧ ،
 ٧٨ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ٥١٠ .
 انزنجاني : ٥٣١ .
 زهير بن أبي سلمى : ٢٦٩ ، ٣٩٢ ، ٣٩٤ ،
 الزواوي : ١٠٣ .
 زياد الاعجم : ٤١٨ .

السين

ابن السراج : ٦٠٧ .
 الساوي : ١٦٠ .

الشين

شارلتن : ٢٥٨ .
 الشافعي : ١٠٤ ، ١٠٧ ، ١٦١ .

- الطرماح : ٢٧٢ ، ٤٩٣ .
- طفيل الغنوي : ٣٨٧ .
- طويس : ٤٧٧ .

العين

- عائشة الباعونية : ٤٥٥ .
- عائشة (رضي) : ٣٠٣ .
- العباس بن الاحنف : ٢١٠ ، ٢٧٨ ، ٥٤٣ ، ٥٩٣ .
- عباس الزواوي : ١٧٠ ، ١٨٦ .
- عبدالحميد الكاتب : ٦٢ .
- عبدالحميد يونس (الدكتور) : ٩٠ ، ١٥٠ .
- عبدالرحمن البرقوقي : ١٧٢ .
- عبدالرحمن بن حسان : ٢٢٣ .
- عبدالرحيم العباسي : ١٨١ .
- عبدالرحيم القزويني : ١٣٧ .
- ابن عبدالظاهر : ١٠٨ .
- عبدالعزيز الاهواني (الدكتور) : ٩ ، ١٥٠ .
- الزبير بن بكار : ٤٦٢ .
- عبدالقاهر الجرجاني : (مر ذكره في معظم صفحات الكتاب) .
- عبدالكريم القزويني : ١٣٧ .
- عبداللطيف البغدادي : ٥٢ ، ٥٣١ .
- عبدالله بن جدهان : ٤٧٩ .
- عبدالله العللائي : ٦٢٢ ، ٦٢٦ .
- عبدالله القزويني : ١٣٦ .
- عبدالله بن همام السلولي : ٣١٢ .
- عبدالتمال الصعيدي : ٥٦ ، ١٨٨ ، ٢٧١ .
- عبدالله بن سليمان : ١٠٠ .
- أبو عبيدة : ٣٢ ، ٣٤ ، ٣٩ ، ١٥٣ .
- عثمان بن عفان (رضي) : ١٢٩ .
- عثمان بن علي الخزرجي : ٥٣ .
- الصجاج : ٢٦٩ ، ٣٧٥ .
- المعجمي : ٦٠ .
- أبو عدي القرشي : ٤٣٦ .
- عروة بن الورد : ١٩٤ .
- عزالدين التنوخي : ١٦٤ ، ١٨٩ .
- عزالدين بن عبدالسلام : ٥١ ، ٣٣١ ، ٤١٧ .

- ابن الشحنة الموصلي : ٤٩١ ، ٦١١ .
- الشريشي : ٤٧ .
- الشريف الرضي : ٥٩ .
- الشلوبين : ٦٠٧ .
- شمس الدين الاصفهاني : ١٣٧ .
- تميم الحلبي : ٥٢ .
- شهاب الدين احمد بن فضل الله : ١٣١ .
- شهاب الدين بن جهبل : ١٢٢ .
- شهاب الدين الحلبي : ٨١ ، ٥٠٩ .
- شوقي ضيف (الدكتور) : ٦٧٩ .
- ابن شيث القرشي : ٢١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٦٢ .
- ٦٦ ، ٦٧ ، ٨٣ .
- أبو الشيص : ٢٧١ ، ٤٦٦ ، ٤٩٥ .

الصاد

- صاحب بن عباد : ٣٠٢ ، ٣٤٠ .
- أم الصالح : ١٠٨ .
- الصالحي : ١٢٨ .
- الصبان : ٦١١ .
- صدر الدين الحسيني : ٤٥٦ .
- ابن صصرى : ١٠٣ ، ١٢٢ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٩ .
- الصفدي : ٧٥ ، ١٢٢ ، ١٣٧ ، ١٥١ ، ٤٨٣ ، ٥٠٨ ، ٥٠٧ .
- صفى الدين الحلبي : ٤٤٥ ، ٥٠٧ ، ٥٠٨ .
- الصقلي : ٥٣١ .
- ابن الصلاح : ١٠١ .
- الصلتان الصيدي : ٥٩٣ .

الطاء

- طاشكيري زاده : ٥٨٢ .
- أبو طالب الرقي : ٣٣٣ .
- طه ابراهيم : ٦١٩ .
- طه حسين (الدكتور) : ٣٥٦ ، ٦١٧ ، ٦١٨ ، ٦٧٩ .
- ابن طباطبا : ٢٥٩ ، ٤٦٢ ، ٤٦٤ .
- الطرابلسي : ١٢٢ .
- طرفة بن العبد : ٤٦٨ ، ٤٧٧ ، ٤٩٠ .

الفاء

- الفارابي : ٣٦ ، ٧١ ، ٨٤ .
- الفارسي : ٦٠٧ .
- الفاروني : ١١٢ ، ١١٣ .
- أبو الفتح : ٤٣٨ .
- أبو الفدا : ٩٨ ، ١٠٢ .
- الفراء : ٣٩ ، ١٥٣ ، ٦٠٧ .
- ابن الفرات : ٢٨٧ .
- الفرزدق : ١٩٨ ، ٢٦٢ ، ٢٧٧ ، ٣٥٧ ، ٣٧٤ .
- ٣٧٧ ، ٤٦٠ ، ٥٩٣ .
- فرعون : ٥٩٣ .
- الفزاري : ١٣٦ .
- الفضل بن الربيع : ٣٢ .
- فضل الله العمري : ١٥١ ، ٦٢٨ .
- فلهلم ينسن : ٦٧٨ .
- الفنري : ٦٠٣ .
- الفيروز ابادي : ٩٩ .

القاف

- القاضي الجرجاني : ١٤ ، ٢٣ ، ١١٤ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ٢٤٦ ، ٤٦١ ، ٤٦٤ ، ٤٦٦ .
- ٤٦٩ ، ٦٧٥ ، ٤٩٦ ، ٥١٣ .
- القاضي الفاضل : ٥٢ .
- ابن قتيبة : ١٤ ، ٣٩ ، ١٥٣ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ .
- ٣٧٩ ، ٤٢٥ ، ٦٧٥ .
- قدامة بن جعفر : ١٧ ، ٤٧ ، ٥٠ ، ٧٨ .
- ٢٧٩ ، ٢٨٥ ، ٥١١ ، ٥٢٨ .
- قراسنقر : ١٢٦ .
- ابن القسطلاني : ١٣٠ .
- النظامي : ٣٨٦ .
- قطب الدين الشيرازي : ٥٠٤ .
- القلقشندي : ٩٠ ، ٩٢ ، ١٦٠ ، ٦٢٨ ، ٦٨٨ .
- ابن قيم الجوزية : ١٩ ، ٢٤ ، ٣١٤ ، ٣٧٥ .
- ٤٠٤ ، ٥١٦ ، ٥٢٠ ، ٥٢٢ .

الكاف

- الكاتبي : ٥٣٥ .
- كثير : ٣٩١ ، ٤١١ ، ٤٦٦ .

- عز الدين بن الفلانسى : ١٢٥ .
- عز الدين الموصلي : ٤٤٧ .
- ابن عساكر : ١٢٠ .

- عصام الدين الاسفراييني : ٢٥ ، ١١٥ ، ٣٣٨ ، ٤٠٥ ، ٥٢٧ ، ٥٩٢ ، ٥٩٨ ، ٦٠٧ .
- ٦٦٠ .
- العقاد : ٦٧٩ .
- ابن عقيل : ١٢٠ ، ١٣٣ ، ١٣٧ .
- العكوك : ٩٩ .
- علاء الدين سنجانار : ١٠٦ .
- علاء الدين الواسمي : ٤٨٣ .
- أبو العلاء المعري : ٢٤٥ .
- علقمة الفحل : ٣١ ، ٢٣٦ .
- العلوي (يحيى بن حمزة) : ١٩ ، ٢٤ ، ٧٧ ، ٣١٧ ، ٣٥٦ ، ٤٨٥ ، ٥٠٩ ، ٥١٠ ، ٥١١ ، ٥١٢ ، ٥١٣ ، ٥١٤ .
- ٥١٥ .
- علي بن أبي طالب (رضي) : ١٢٩ ، ٥١٤ ، ٥١٦ .

- علي الامين : ٧٦ .
- علي الجارم : ٦١٦ .
- علي الجندي : ٣٢٩ ، ٦١٩ .
- علي بن الجهم : ٤٦٥ .
- علي عبدالرازق : ٦١٤ .
- علي بن محمد البغدادي : ٤٧٥ .
- ابن عماد الحنبلي : ١٠٤ .
- عمر بن أبي ربيعة : ٢٥٥ ، ٦٧٩ .
- عمر بن الخطاب (رضي) : ٢٦٩ .
- أبو عمرو : ٨٦ ، ٢٥٠ .
- عمرو بن معدى كرب : ٣٨٤ .
- ابن العميد : ٣٨٢ .
- ابن الصبيري : ٥٠٦ .
- عيسى بن محمد : ١٢١ .
- عيسى بن النوشري : ١٠٠ .

السين

- غازان المغولي : ١٠٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ .
- الغانمي : ٦٦٧ ، ٥١١ .
- الغزالي : ٣٧٣ .

- محمد القزويني : ١٣٨ .
- محمد الكافيحي : ٥٨٢ .
- محمد مصطفى هداره (الدكتور) : ٦١٩ .
- محمد مندور (الدكتور) : ٢٨٨ ، ٤٨١ ، ٧٩ .
- محمد بن وهيب : ٣٤٨ .
- محمود الاصبھاني : ١٢١ .
- محمود السنجاري : ٧٥ .
- محيي الدين عبدالحميد : ١٨٢ ، ١٩٠ .
- المراني : ١١٢ ، ١١٤ .
- ابن الرحل : ١١٣ .
- المرزوقي : ٥٧٣ .
- المرسي السلمي : ٥٢ .
- مسلم بن الواليد : ٤٢٤ ، ٤٧٩ .
- مصطفى أمين : ٦١٦ .
- مصطفى سويف (الدكتور) : ٦٧٩ .
- مصطفى الصاوي الجويني (الدكتور) : ٢٢٦ .
- مصعب بن الزبير : ٣١٢ .
- المطرزي : ٤٥ ، ٥١١ .
- معاوية بن أبي سفيان : ١٢٩ .
- مصعب : ٤٧٧ .
- ابن المعتز : ١٧ ، ٣٤ ، ٣٩ ، ٤١ ، ٧٨ ، ١٥٣ ، ١٦٥ ، ٢١١ ، ٢٨١ ، ٣٣٤ .
- ٣٧٩ ، ٣٨٧ ، ٣٩٠ ، ٣٩٩ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦ ، ٤٣٦ ، ٤٨٥ ، ٥٢٨ ، ٥٣١ ، ٦٤٣ .
- المعتز بالله : ٣٠٠ .
- المعتصم : ٩٩ .
- المعتضد : ١٠٠ .
- العلوط : ٢٥٢ .
- مغلطاي : .
- المقدمي : ١٢١ .
- المقرئ : ١٣٩ .
- المقرئزي : ٢٥ ، ١٣٣ .
- ابن المقفع : ٦٢ .
- الملك الصالح : ١٠٥ ، ١٠٦ .
- الملك الناصر : ١٢٩ .
- المناوي : ١٣٣ .
- منصور الكازروني : ٥٨١ .
- منصور النمري : ٤٢٤ .
- ابن منظور : ٦٢٨ .
- ابن منقذ : ٥٣ ، ٦٢ ، ٨٣ ، ١٩١ .

- ابن كثير : ٢٥ ، ١٠٨ ، ١٢١ ، ١٢٥ .
- كراي المنصوري : ١٢٣ .
- أبو كريمة : ٤٦٨ .
- الكسائي : ٦٠٧ .
- كمال الدين عبدالرزاق : ٩٩ .
- ابن كناسة : ٤٦٢ .
- الكونوي : ١٣٤ .

اللام

- لبيد : ٢٢٥ ، ٣٨٠ ، ٣٩٤ .
- ليوناردو دافنشي : ٦٧٨ .

الليم

- ابن مالك : ٦٠٧ .
- مالك بن ربيع : ٣١٢ .
- التمامون : ٩٩ .
- المررد : ٢٢ ، ٣٩ ، ١٥٣ ، ١٩٢ ، ٢٤٥ ، ٣٢٢ ، ٣٧٩ ، ٥٧٣ ، ٦٠٧ .
- متي بن يونس : ٢٨٧ .
- عبدالفني النابلسي : ٤٥٦ .
- المتنبي : ٧١ ، ١٩٩ ، ٢٥٥ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٦ ، ٢٧٨ ، ٢٨٠ ، ٣٤٦ ، ٣٦٦ ، ٣٨٧ ، ٤٠٢ ، ٤٣٠ ، ٤٣٤ ، ٤٤٠ ، ٤٤٩ ، ٤٦٦ ، ٤٧٠ ، ٤٧١ ، ٤٧٥ ، ٤٩١ ، ٤٩٢ ، ٤٩٣ ، ٤٩٤ ، ٤٩٥ ، ٥٩٣ ، ٦٤٢ .
- مجد الدين التونسي : ١٢٣ .
- مجنون ليلى : ٣٢٢ .
- مجير الدين بن تميم : ٤٨٣ .
- محمد بن احمد الاندلسي : ٤٩ .
- محمد خلف الله احمد : ٦١٩ .
- محمد زغلول سلام (الدكتور) : ٦١٩ .
- محمد زمان : ١٧٠ .
- محمد بن زيد العلوي : ١٠٠ .
- محمد بن عبدالملك الزيات : ٣٤ .
- محمد عبدالمنعم خفاجي : ١٨٨ .
- محمد عبده (الامام) : ١٧٤ ، ٦١٢ .
- أبو محمد الفقيمي : ٤٢٤ .

- نودييه : ٢٥٧
- النويري : ٨١ ، ٦٢٨

الهاء

- ابن هرمة : ٤٢٤
- أبو هلال العسكري : ١٧ ، ٢٣ ، ٣٨ ، ٦٠
- ١٩٢ ، ١٩٤ ، ١٩٦ ، ٢٤٦ ، ٢٥٣
- ٢٦٤ ، ٣٠٥ ، ٤٤١ ، ٤٥٣ ، ٤٦٧
- ٤٦٩ ، ٥١١ ، ٥٢٨ ، ٥٣١ ، ٦١٢
- هولانكو : ١٠٦ ، ١٠٧

الواو

- ابن الوردي : ٩٨
- ابن وكيع : ٤٧ ، ٤٨٤
- آل وهب : ٣٧

الياء

- ابن الياس : ١٢٢
- ابن يسر : ١٩٥ ، ٢٧٤
- ابن يعقوب المغربي : ٢٥ ، ١٨٢ ، ٣٦٦
- ٣٦٤ ، ٤٠٥ ، ٤٣٢ ، ٥٢٧ ، ٥٦٢
- ٥٨٤ ، ٦٥٥

- المنوفي : ١٢٠
- الموصللي : ٤٨٤
- ابن ميادة : ٣٤٣ ، ٤٩٥

النون

- النابغة الذبياني : ٣١ ، ٧٢ ، ٢٧٣
- الناصر محمد : ١١٩ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩
- ناظر الجيش : ١٢٠
- ابن نايقيا البغدادي : ٣٢٩
- ابن نيابة المصري : ١٠٩ ، ١١٦ ، ١٣٩
- ١٤١ ، ١٤٣ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩
- ١٥٢ ، ٤٨٣ ، ٤٩١ ، ٥٠٥ ، ٥٠٨
- أبو النجم : ٣٦٧
- ابن النحوية : ٩٢ ، ٥٠٤
- ابن النديم : ٤٦٢
- نصر بن سيار : ٤١٣
- نصيب : ٤١٨ ، ٤٣٥
- نصير الدين الطوسي : ٥٧٠
- ابن النفيس : ٥٢ ، ٥٣١
- أبو نواس : ١٩٣ ، ٤٦٣ ، ٤٦٦ ، ٤٦٩
- ٤٧٨ ، ٤٩٤

الكتب

الايضاح (للزويني) : ٢١ ، ٢٦ ، ٨١ ، ٩٧ ،
 ١١٤ ، ١٦٠ ، ١٦٤ ، ١٨٣ ، ١٩١ -
 ١٩٨ ، ٢٢٩ ، ٢٨٥ ، ٤٢٩ ، ٤٤١ ،
 ٤٤٦ ، ٥١٤ ، ٥٢٤ ، ٦٢٩ ، ٦٣١ ،
 ٦٨٥ .
 الايضاح (للمطرزي) : ٤٥ .

الباء

بحوث وآراء في علوم البلاغة : ٦١٧ .
 البداية والنهاية : ٢٥ .
 بدائع الزهور : ٢٥ .
 البحر المحيط : ٧٧ .
 البديع : ٣٩ ، ٤١ ، ٦٠ ، ٥٣١ ، ٤٢٥٦ .
 البديع في نقد الشعر : ٥٠ ، ٦٠ ، ٧٧ ،
 ٨٣ ، ٤٧٥ ، ٥٣١ .
 بديع القرآن : ٢٣ ، ٥١ ، ٧٨ ، ٧٩ ،
 ٨٠ ، ٨٨ ، ١٩٢ ، ٢٤٦ ، ٤٢٥ ،
 ٥٣١ .
 بغية الايضاح : ١٨٨ .
 بلاغة أرسطو : ٦١٨ .
 البلاغة العربية في دور نشأتها : ٦١٩ .
 البلاغة العربية وأثر الفلسفة فيها :
 ٦١٨ .
 البلاغة وعلم النفس : ٦١٨ ، ٦١٩ ،
 ٦٧٨ .
 البلاغة عند السكاكي : ١٦٠ ، ٦١٩ ،
 ٦٨٧ .

الهمزة

ابن أبي الاصبغ المصري بين علماء البلاغة
 . ٦١٩ .
 أبو هلال العسكري ومقاييسه البلاغية
 والتقدية : ٦١٩ .
 الاتقان : ٨١ .
 اتمام النراية : ٦٠٤ .
 اثر القرآن في النقد العربي : ٦١٩ .
 الاستنراك : ٦٧ ، ٦٩ ، ٤٧٦ ، ٤٨١ ،
 اسرار البلاغة : ١٢ ، ٢٣ ، ١١٥ ، ١٥٣ ،
 ١٨٣ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢٤٦ ، ٢٧٦ ،
 ٣٢٣ ، ٣٥٧ ، ٤٢٠ ، ٤٢٦ ، ٤٧١ ،
 ٤٩٦ ، ٥١١ ، ٥٧١ ، ٦١٢ .
 الاسس النفسية للابداع الفني : ٦٧٩ .
 اسفار الاصبغ عن ضوء المصباح : ٩٢ .
 الاسلوب : ٦١٨ ، ٦٢١ .
 الاشارة الى الايجاز : ٥٠ .
 الاشباه والتضائير : ٧٧ .
 اصول النقد الادبي : ٦١٨ .
 الاطول : ٢٥ ، ٢٦ ، ٥٩٢ ، ٥٩٨ ، ٦٠٠ ،
 اعجاز القرآن : ٥٣١ .
 الاغاني : ٩٩ .
 الاقتصار : ٥٠٨ .
 الاقصى القريب : ٥٣١ .
 انواع الرقاع في الاسجاع : ٥٢ .
 أمالي علي عبدالرازق : ٦١٤ .

الحاء

- حاشية على الدسوقي : ٢٥ .
- حاشية السيد الجرجاني : ٥٩٨ ، ٢٥ .
- حاشية على الشرح المطون : ٥٨٢ .
- الحايي والعاطل : ٦٠ ، ٤٧٥ .
- حدائق السحر ودقائق الشعر : ٤١ .
- حسن التوسل في صناعة الترسل : ٥٠٩ ، ٨١ .

- حسن الصنيع : ٦١٣ .
- حسن المحاضرة : ٢٥ ، ٥٣١ .
- الحلة السمر : ٤٤٦ .
- حواش على الايضاح : ١٨٧ .
- حواش على المختصر : ١٧٦ .
- حواش على المطول : ١٧٥ .

الخاء

- خبز الشعير : ٤٨٣ ، ٥٠٨ .
- الخراج وصناعة الكتابة : ٢٧٩ .
- خزينة الادب : ٢٤ ، ٤٣٢ ، ٤٤٨ .
- ٤٤ ، ٤٥٥ ، ٥٢٨ .
- الخطابة : ٢٩ ، ٦١٨ .
- الخطط : ٢٥ .

الدال

- دلائل الاعجاز : ١٢ ، ٢٣ ، ٧٥ ، ٧٧ ، ١٥٣ ، ١٨٣ ، ١٩١ ، ٢٠٨ .
- ٢٠٩ ، ٢٣١ ، ٢٤٦ ، ٢٧٦ .
- ٢٧٨ ، ٢٨٨ ، ٣١٤ ، ٣٢٣ .
- ٣٥٧ ، ٣٦٥ ، ٤٢٠ ، ٤٢٦ .
- ٤٧١ ، ٤٧٣ ، ٤٩٦ ، ٥١١ .
- ٥٣١ ، ٥٧١ ، ٦١٢ ، ٦٨٠ .

الذراء

- رسالة البلاغة : ٥٢ .
- الرسالة البيانية : ٦١١ .
- الرسالة الحاتمية : ٤٧٥ .

- البلاغة الفنية : ٦١٩ .
- البلاغة الواضحة : ٦١٦ .
- البيان والتبيين : ٣٩ .
- البيان العربي : ٦١٩ .

التاء

- تاريخ علوم البلاغة : ٦١٧ .
- تاويل مشكل القرآن : ٣٩ ، ١٥٣ ، ٤٢٥ .
- التبيان في علم البيان : ٧٥ ، ٧٧ ، ١٦٠ ، ٢٠٥ ، ٥١٠ .
- تحرير التحرير : ٢٣ ، ٦١ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ١٩٢ ، ٢٤٦ ، ٥٣١ .
- التدوين في أخبار قزوين : ١٠٢ .
- ترجمان البلاغة : ٤١ .

- تقديم أبي بكر : ٤٤٧ ، ٤٤٨ .
- تلخيص المفتاح : ١٣ ، ١٨ ، ٢٢ ، ٢٦ ، ٩٧ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١٦٠ .
- ١٦٢ - ١٨٢ ، ١٩١ ، ١٩٨ ، ٢٠٢ ، ٢٨٥ ، ٤٢٩ ، ٤٤١ .
- ٤٤٦ ، ٤٥٤ ، ٥١٤ ، ٥٢٨ ، ٥٣٠ .
- ٥٤٦ ، ٥٧٣ ، ٦٣١ ، ٦٨٤ .
- ٦٨٥ ، ٦٨٦ .

- التنبهات على عجائب الاشياء : ٥٢ .
- التنبهات على ما في التبيان من الترميزات : ٧٨ .
- تهذيب الايضاح : ١٨٩ .

الجيم

- الجامع الكبير : ٥١ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٩ ، ٦٧ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ١٩٩ ، ٤٢٠ .
- ٤٧٦ ، ٤٨١ ، ٤٩٨ ، ٥١٨ .
- ٥٣١ .

- الجمان في تشبيهات القرآن : ٣٢٩ .
- جواهر البلاغة : ٦١٥ .
- الجوهر السنني : ٤٤٦ .
- الجوهر المكنون : ٦١١ .

ضياء الدين بن الاثير وجهوده في النقد:
٦١٩ .

الطاء

الطراز: ١٩ ، ٧٧ ، ٣١٤ ، ٥٠٩ ،
٩٠١٥ ، ٥١٢
طراز الحلة: ٤٤٦ .
الطريق إلى الفصاحة: ٥٢ ، ٥٣١ .

الظين

العاطل الحالي: ٥٠٨ .
العدة في اختصار العمدة: ٥٣١ .
عروس الافراح: ٢٤ ، ٢٦ ، ٥٣ ، ٧٧ ،
٨١ ، ١٨٢ ، ١٢٠ ، ٥٣١ ، ٥٣٧ ،
٥٤٤ ، ٥٩٦ ، ٦٠٧ .
عقود الجمان: ٦٠٣ .
علم النفس الادبي: ٦١٩ .
علوم البلاغة: ٦١٥ .
العمدة: ٣١ ، ٥٠ ، ٥٣ ، ٦٠ ،
٤٦٩ ، ٤٧١ ، ٥٣١ .

الظين

غراديفا: ٦٧٨ .

الفاء

الفتح المين: ٤٥٥ .
الفلك الدائر على المثل السائر: ٧٤ ،
٥٣١ .
فن التشبيه: ٦١٩ ، ٣٢٩ .
فن الجناس: ٦١٩ .
فن الشعر: ٢٩ ، ٦١٨ .
فن القول: ٦٢٠ ، ٦١٨ .
الفوائد: ١٩ ، ٣١٤ ، ٥١٦ ، ٥٢٠ .

القاف

القاموس: ٩٩ .

رساله الدردير: ٦١١ .
رساله في تحقيق الاستعارة: ٥٨٢ .
روض الازهان: ١٦٠ ، ٩٢ ، ٨٩ ،
٢٢٩ ، ٥٠٣ ، ٥٣١ ، ٦٨٣ .
روض الازهار: ٩٢ .

الزاي

زهر الربيع: ٦١٤ .

السين

سجع المطوق: ١٤٩ ، ١٥٢ .
سر الفصاحة: ٢٣ ، ٥٠ ، ٥٣ ، ٥٤ ،
٥٥ ، ٥٦ ، ٥٩ ، ١٣٢ ، ٢٤٦ ،
٥٣١ ، ٦٣٠ .
السرقات الادبية: ٦١٩ .
سرفات البحري: ٤٦٢ .
سرفات الشعراء: ٤٦٢ .
السرفات الكبير: ٤٦٢ .
سرفات الكميت: ٤٦٢ .
السلوك: ٢٥ .
السمرقندية: ٦١١ .

السين

الشدر المرجماني: ١٦٠ ، ١١٤ .
شرح آيات التلخيص: ١٨١ ، ٦٠٣ .
شرح الفية ابن مالك: ١٢٠ .
شرح عقود الجمان: ٢٥ ، ١٦٨ ،
٦٠٤ ، ٦٠٥ .
شرح العكبري: ٤٧٥ .
شرح مقامات الحريري: ٤٥ ، ٤٧ .
شروح التلخيص: ١٧٤ .
الشعر والشعراء: ٦٧٥ .

الصاد

الصاحبي: ٣٥٦ .
صبح الاعشى: ٦٢٨ .

الضاد

ضوء الصباح: ٥٠٤ .

- المختصر في أخبار البشر : ٩٨ .
- الزهر : ٦٠٣ .
- مسالك الابصار : ١٥١ ، ٦٢٨ .
- مسالك الخلاص : ٥٨٢ .
- مشكلة السرقات : ٦١٩ .
- المصباح : ١٩ ، ٢٣ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٢ ، ٩٧ ، ١٦٠ ، ٢٢٩ ، ٢٤٦ ، ٤٤٦٤ ، ٥٠٣ ، ٥٠٤ ، ٥١٠ ، ٥١٢ ، ٥٣١ ، ٦٨٤ .

- المطول : ٢٥ ، ٢٦ ، ١٨٢ ، ٥٢٧ ، ٥٣٦ ، ٥٣٧ ، ٥٧١ ، ٥٨١ ، ٥٩٧ ، ٥٩٨ ، ٦١١ .

- معالم الكتابة : ٦٢ .
- معاني القرآن : ٣٩ .
- معاهد التنقيص : ١٨١ .
- مع المتنبى : ٦٧٩ .
- المعيار في نقد الأشعار : ٤٩ ، ٥٣١ .

- مفتاح العلوم : ١٢ ، ١٤ ، ١٩ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٤٦ ، ٥١ ، ٨٩ ، ٩٢ ، ٩٧ ، ٩٩ ، ١٠٦ ، ١٦٠ ، ١٦٢ ، ٢٦٣ ، ١٧٢ ، ١٩١ ، ٢٠٥ ، ٢٠٩ ، ٢٤٦ ، ٢٦٣ ، ٥٠٣ ، ٥٠٤ ، ٥١٢ ، ٥٢٠ ، ٥٢٤ ، ٥٣١ ، ٥٧١ ، ٥٧٣ ، ٦٥٠ ، ٦٨٤ .

- المفردات في غريب القرآن : ٢٣ ، ٢٤٦ .

- مناهج تحديد : ٦١٨ ، ٦١٨ .
- منظومات التلخيص : ١٨٠ .
- منهج البلاغ : ٤٧ ، ٤٧ ، ٥٣١ ، ٦٨٤ .

- من الوجهة النفسية : ٦١٩ ، ٦٧٨ ، ٥٩ ، ٥٤ ، ٥٠ ، ٤٦٢ ، ٣٠٦ .

- الميزان الجديد : ٦٧٩ ، ٥٣٧ ، ٥٢٧ ، ٢٦ ، ٢٥ ، ١٨٢ ، ٥٧١ ، ٥٨٤ ، ٥٩١ ، ٦٠٨ .

- قدامة بن جعفر والنقد الادبي : ٦١٩ .
- قراصة الذهب : ٤٦٩ ، ٤٧٠ ، ٤٧١ ، ٤٧٠ .
- قواعد الشمس : ٣٩ .
- قواعد اللغة العربية : ٦١٤ .
- قوانين البلاغة : ٥٢ ، ٥٣١ .

الكاف

- الكافية البديعية : ٤٤٥ .
- الكامل (للمبرد) : ٣٩ .
- كتاب الاجناس : ٦٧ .
- كتاب التشبيهات : ٣٢٩ .
- كتاب الشفاء : ٨٥ .
- كتاب الصناعيتين : ٢٣ ، ٥٠ ، ٦٠ ، ٢٣ ، ٢٤٦ ، ٤٥٣ ، ٤٦٧ ، ٤٦٧ ، ٤٩٧ ، ٥٣١ ، ٦١٢ .
- الكشاف : ٢٣ ، ٣٣ ، ٤٣ ، ١٧٢ ، ٢١٩ ، ٢٩١ ، ٢٩٤ ، ٥١٠ ، ٥٨٩ .
- كتابات البلاغ : ٥٣١ .

اللام

- لسان العرب : ٤٢٣ ، ٦٢٨ ، ٦٠٥ ، ٥٠ .

الميم

- المثل السائر : ٢٣ ، ٥١ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٩ ، ٦٣ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧٤ ، ٨٣ ، ١٦٨ ، ١٧٢ ، ١٩٩ ، ٢٢١ ، ٢٤٦ ، ٤٢٠ ، ٤٧٦ ، ٤٩٧ ، ٤٩٨ ، ٥١٠ ، ٥١١ ، ٥٣١ ، ٦٨٤ ، ٦٦٥ ، ٣٩ ، ٣٢ ، ١١٦ ، ٤٧٥ ، ٤٧٥ .
- مجاز القرآن : ٣٢ ، ٣٩ .
- مجمع الفرائد : ١١٦ .
- المحاضرة : ٤٧٥ .
- المختصر : ٢٥ ، ٢٦ ، ٥٢٧ ، ٥٣٧ ، ٥٧١ ، ٥٩٧ .
- مختصرات التلخيص : ١٧٨ .

نهاية الايجاز : ٤٣ ، ٤٥ ، ٧٧ ، ٢٩٢ ،
٥١٠ ، ٥٢٠ ، ٥٣١ .

- نهاية الارب : ٨١ .
- نهج البلاغة : ٧٤ .

الهاء

نظرة في قواعد علوم اللغة العربية : همع الهوامع : ٧٧

الواو

الوساطة بين المتنبى وخصومه : ٢٣ ،
١١٤ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ٢٤٦ ،
٤٩٦ ، ٤٩٧ ، ٥٣١ ، ٦٧٥ .
الوشى المرقوم في حل المنظوم : ١٩٩ ،
٢٤٦ .

النون

- النتائج الالهية : ٤٤٦ .
- النجوم الزاهرة : ٢٥ .
- نسمات الاسحار : ٤٥٧ .
- نشر المثل السائر : ٧٥ .
- نصره الثائر : ٧٥ ، ٥٠٨ .
- نظم البديع : ٤٥٥ ، ٦٠٣ .
- نظم الدر : ٥٠٨ .
- النقاية : ٦٠٤ .
- نقد الشعر : ٣١ ، ٥٠٨ .
- نكت على التلخيص : ٦٣ .
- نكت على حاشية المطول : ٦٠٣ .
- النكت في اعجاز القرآن : ٢٢ ، ٢٤ .

الاماكن

جامع دمشق : ٥٧٣
 جامعة بغداد : ٩
 جامعة الدول العربية : ١٦٤ ، ١٨٥
 جامعة القاهرة : ١٥٦٩ ، ٢٠٦
 جامع القلعة : ١٣٠
 الجامعة المصرية : ٦١٧
 جامعة بيل : ١٨٥
 جرجان : ١١٤
 الجيزة : ٥٩٣

الحاء

حلب : ١٢٨ ، ٥٢ ، ١٣٥

الخاء

خاتقاه سعيد السعداء : ١٢٧
 خزانة كوبرلي : ١٨٦
 خزانة ولي : ١٧٠ ، ١٨٥
 خوارزم : ١٨ ، ١٩ ، ٤٠ ، ١١٤ ،
 ٥٢٩ ، ٥٣٧ ، ٥٧١

الذال

دار العدل : ١٢٩ ، ١٣٢ ، ١٣٤
 دار الكتب المصرية : ١٦٩ ، ١٨٤ ،
 ١٨٦
 دمشق : ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١٠٨ ، ١١٠ ،
 ١١٣ ، ١١٤ ، ١٢١ ، ١٢٣ ،
 ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ،

الهمزة

الاتابكية : ١٣٧
 اذربيجان : ١٠٥
 الازهر : ٦١١ ، ٦١٢ ، ٦١٨
 اصبهان : ١٠٠
 الامينية : ١٠٣ ، ١٢٥ ، ١٢٨
 لانجلس : ٦٠٧
 ايران : ١٨٥

الباء

البصرة : ٣٢ ، ٤٠
 بغداد : ٩ ، ٢٦ ، ٤٠ ، ١٠٠ ، ١٠٦ ،
 ١٠٧ ، ١٧٠ ، ٥٠٤
 بلاد الروم : ١٠٧
 بلاد فارس : ٣٩

التاء

تبريز : ١٠٢ ، ١٠٥
 توقات : ١٦٩

الجيم

الجامع الاموي : ١١١ ، ١٢ ، ١٣٦ ،
 ١٢٩ ، ١٨٤
 جامع بكر افندي : ١٧٠

العراق : ٣٧ ، ٣٩ ، ٤٧ ، ٥٠ ، ١١٣ ، ٥٢٤ ، ٩٢٢

الفين

عجدوان : ٥٣٧
الغزالية : ١٠٣ ، ١١٣ ، ١٢٥ ، ١٢٨ ، ١٣٧

الفاء

فارس : ٤٠ ، ١٠١

القاف

القاهرة : ١٠٤ ، ١١٢ ، ٧١٢٩ ، ١٣٣٤
١٣٤ ، ١٣٦ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٦٩
١٧١ ، ١٨٦ ، ٤٩٥ ، ٥٠٨
٥٨٢ ، ٥٢٩
القدس : ١١٣
القرافة : ١٠٤
قزوين : ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٥
القيصرية : ١٠٣

الكاف

كلكته : ١٧٢
الكوفة : ٣٩

اللام

لين : ٩٢ ، ٦١٧

الميم

مدرسة الخياط : ١٧٠
مصر : ٢٠ ، ٢١ ، ٢٤ ، ٣٧ ، ٤٠ ، ٤٧ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٣ ، ٥٧ ، ٦٢ ، ٧٧ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٧ ، ١٠٨ ، ١١٣ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٩

١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٧ ، ١٤٨ ، ١٦٤ ، ١٨٥ ، ٤٩٥

الديار المصرية : ١٢٥ ، ١٢٩

السين

سورية : ١٢٥
سوق عكاظ : ٣١
السميساطية : ١١٣

الشين

الشام : ٢٠ ، ٢١ ، ٣٧ ، ٤٠ ، ٤٧ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٣ ، ٦٢ ، ٧٦ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٤ ، ٨٤ ، ٨٣ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٧ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٤ ، ١٣٤ ، ١٨٣ ، ١٤٣ ، ١٦٤ ، ٢٢٩ ، ٤٢٧ ، ٥٠٣ ، ٥٠٥ ، ٥١٢ ، ٥٢٤ ، ٥٣٧ ، ٦٥٠ ، ٦٨٤ ، ٦٨٥ ، ١٣٧ ، ١٢٩ ، الشامية الجوانية : ١٣٧

الصاد

صنعاء : ٥٠٩

الطاء

طبرستان : ١٠١

الظاء

الظاهرية : ١١٣
الظاهرية البرانية : ١٠٣ ، ١٠٥

العين

العادلية : ١٠٣ ، ١٢٨ ، ١٣٧

النون	١٦٤٠ ١٦٣٠ ١٣٠ ١٣٤٠ ١٣٣٠
النجيبية : ١١٣	٠٥٠٣٠ ٤٢٧٠ ١٢٩٠ ١٧١٠
النيل : ٨٥٠ ١٣٠ ١٣١٠ ١٣٦٠	٠٥٢٩٠ ٥٢٤٠ ٥١٢٠ ٥٠٠٠
٦٥٠ ٥٣٢٠	٠٥٩٧٠ ٥٧٣٠ ٥٣٧٠ ٥٣٠٠
	٠٦٨٥٠ ٦٨٤٠ ٦٥٠٠
الهاء	المغرب : ٤٠ ٢٢٩٠
هراة : ٥٣٧٠	مكة : ٥٢٩٠
	مكتبة الاوقاف ببغداد : ١٧٠ ١٨٥٠
الواو	٥٠٤٠ ١٨٦٠
الوجه القبلي : ١٣٣٠	مكتبة جامع الباشا : ١٧٠
	مكتبة المشهد الرضوي : ١٧٠ ١٨٥٠
الياء	مكناسة : ٥٨٤٠
اليمن : ٧٧٠ ٥٠٩٠ ٥١٢٠	منف : ٥٩٣٠
	منية رهينة : ٥٩٣٠
	الموصل : ١٠٥٠ ١٠٦٠ ١٠٧٠ ١٨٥٠

المؤلف

- ١ - ولد يوم الأحد ٢٥ تشرين الاول ١٩٣٦م الموافق ١٠ شعبان ١٣٥٥هـ بتكرت ، واكمل دراسته الابتدائية فيها سنة ١٩٤٧ ، ودرس الثانوية في كربلاء وبغداد وتخرج في ثانوية الكرخ سنة ١٩٥٢ والتحق بكلية الآداب (قسم اللغة العربية) وتخرج فيها بدرجة امتياز خاصة سنة ١٩٥٦ . وحصل على الماجستير بدرجة جيد جدا سنة ١٩٦١ وعلى الدكتوراه بمرتبة الشرف الاولى في ١٤ تموز ١٩٦٣ من كلية الآداب بجامعة القاهرة .
- ٢ - اعتقل في معتقل السعدية ابان العدوان الثلاثي سنة ١٩٥٦ ، ثم عين مدرسا في ثانوية كركوك فاعدادية التجارة ببغداد ، واعيد معيدا في كلية الآداب بعد ثورة تموز ١٩٥٨ . ثم رقي الى مدرس في اول حزيران ١٩٦١ ، والى استاذ مساعد في اول حزيران ١٩٦٥ . وعين رئيسا لقسم الصحافة في كلية الآداب سنة ١٩٦٦ .
- ٣ - عين في سنة ١٩٦٤ مديرا عاما للصحافة والارشاد في وزارة الثقافة والارشاد ، فمديرا عاما للثقافة . واصبح عضوا في اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي العربي ، فعضوا في مجلس ادارة المؤسسة الثقافية العمالية .
- ٤ - مثل العراق في مؤتمر التضامن الاسيوي الافريقي في غانا (اكرا) سنة ١٩٦٥ . وشارك في اللجنة التحضيرية لمؤتمر الادباء العرب الخامس الذي انعقد في بغداد سنة ١٩٦٥ ، وكان احد اعضاء الوفد العراقي فيه .
- ٥ - عضو في جمعية المؤلفين والكتاب العراقيين، وفي لجان ثقافية كثيرة .
- ٦ - وضع أكثر من عشرين كتابا بين دراسة وتحقيق وكتب مدرسية .
- ٧ - استوزر للثقافة والارشاد في ١٠ مائس ١٩٦٧ لاول مرة في الوزارة التي شكلها الفريق عبدالرحمن محمد عارف برياسته .

للمؤلف

أولاً - دراسات :

- ١ - البلاغة عند السكاكي • بغداد ١٩٦٤ •
- ٢ - القزويني وشروح التلخيص • بغداد ١٩٦٧ •
- ٣ - عبد القاهر الناقد •
- ٤ - فن التشبيه في القرآن الكريم •
- ٥ - ابن الاثير ومقاييسه البلاغية والنقدية •

ثانياً - تحقيق :

- ٦ - ديوان القطامي (بالاشتراك) • بيروت ١٩٦٠ •
- ٧ - شعر عروة بن حزام (بالاشتراك) • بغداد ١٩٦١ •
- ٨ - ديوان قيس بن الخطيم (بالاشتراك) • بغداد ١٩٦٢ •
- ٩ - التمام في تفسير أشعار هذيل مما أغفله ابو سعيد السكري لابن جنبي (بالاشتراك) بغداد ١٩٦٢ •
- ١٠ - فوح الشذا بمسألة كذا لابن هشام • بغداد ١٩٦٣ •
- ١١ - التبيان في علم البيان المطلع على اعجاز القرآن لابن الزمليكاني (بالاشتراك) بغداد ١٩٦٤ •
- ١٢ - البخلاء للخطيب البغدادي (بالاشتراك) بغداد ١٩٦٤ •
- ١٣ - ديوان ديك الجن (بالاشتراك) بيروت ١٩٦٦ •

١٤ - من شعر أبي حيان الاندلسي (بالاشتراك) بغداد ١٩٦٦ •

١٥ - البرهان في وجوه البيان لابن وهب (بالاشتراك) بغداد

• ١٩٦٧

١٦ - الجمان في تشبيهات القرآن لابن نايقا البغدادي (بالاشتراك)

- تحت الطبع - •

١٧ - ديوان أبي حيان الاندلسي (بالاشتراك) - تحت الطبع - •

ثالثا - كتب معرسيية :

١٨ - النصوص الادبية للصفوف الرابعة التجارية (بالاشتراك) •

بغداد ١٩٥٧ •

١٩ - قواعد اللغة العربية للصفوف الرابعة التجارية (بالاشتراك)

بغداد ١٩٥٧ •

٢٠ - قواعد اللغة العربية للصفوف الخامسة التجارية (بالاشتراك)

بغداد ١٩٥٨ •

٢١ - لغتي للصفوف الخامسة الابتدائية (بالاشتراك) بغداد

• ١٩٥٩ (طبع عدة مرات)

٢٢ - لغتي للصفوف السادسة الابتدائية (بالاشتراك) بغداد

• ١٩٥٩ (طبع عدة مرات)

الخطأ والصواب

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
طرق	طوق	١١	١٣
التعريف	التفريق	٤٢	٤
وكان المنتظم	وكان المنتظم للخيالات	٤٨	١٢
انه	إن	٤٩	٣
لا يرون	يرون	٧٣	٢
ايجاز	الايجاز	٧٦	١٥
المواردة	المواربة	٨٠	٩
على انه	بانه	١١٠	١٠
ابن الاردي	ابن الوردى	١٣٤	هامش (٤)
السحر	السم	١٥١	١٠
أما الثاني	أما الثالث	١٦٠	١٨
مطلوب بها	المطلوب بها	١٦٧	٣
ملايس	ملايس	١٦٨	١٢
منهوري	الدمنهوري	١٨١	٣
كتابه	كتابه	١٩١	٩
البقرة	المنافقون	٢٠٣	هامش (٢)
صرف	حرف	٢١٥	١

الخطا	النصواب	الصفحة	السطر
فقط	قط	٢٢٠	١٢
لطول القامة	لطويل القامة	٢٢٦	٦
عن	في	٢٣٠	٤
على قوله	على ان قوله	٢٣٠	١٧
بأحدهما	بأحدهما	٢٣١	٢
واستعماله بهذا المعنى	واستعماله بهذا المعنى		
في الشر استعارة اذ	في الشر استعارة اذ		
اصله يستعمل في الخير	اصله ان يستعمل	٢٣٣	١٦ ١٧ ٦
الرحمة	الرحمان	٢٣٣	٢١
التفاوت	التفات	٢٣٦	٥
والتعير	والتعير	٢٣٧	١٩
فاصلة	فأصله	٢٤٠	٩
وتعلق	وتعلقه	٢٤١	٢
الى	في	٢٤٢	٢١
لسنة	السنة	٢٥٤	٤
انصاره	انصاره	٢٥٦	١٧
ضوءه	ضوؤه	٢٦٥	٥
انها	ان	٢٦٦	٧
تسرد	ترد	٢٩٠	١
قرينه	قرينة	٣٠٠	٦
كبير	كبير	٣٠٤	٢
ألّم	ألّم	٣٠٤	٣
يتفقا	يتفقا	٣١١	٥
ولتكرار	والتكرار	٣١٧	١٣
بالقبض	بالقبض	٣٤٣	٢١

الخطا	الصواب	الصفحة	السطر
باسجج	باسجج	٣٥٩	٩
راضية	راضية	٣٦٩	١٨
وتسميته	وتسمية	٣٧٣	٧
شمس	نفس	٣٨٣	٣
أنصاره	أنصاره	٣٨٧	١٩
ذَوِي	ذَوِي	٤٠٤	١
اختلفنا	اختلفنا	٤٣٨	١٥
بالتجنس	بالتجنس	٤٤٣	١٥
اسلم	سلم	٤٦١	١
يكنن	يمكن	٤٦٥	٣
نسييا	نسييا	٤٦٦	٦
خلوت	خلوت	٤٧٩	٥
إن	أن	٤٨٠	٦
السبكي	السكاكي	٥٢٦	٢٥
جمادي	جمادي	٥٢٩	١١
بغيرهما	بغيرها	٥٣٣	٢٣
منها	منهما	٥٤١	١٥
مفردات	مفردان	٥٤٥	١٧
لا	لان	٥٤٨	١٥
« ان متابعا »	« ان » متابعا	٥٥٥	١
الطلب	الطلب	٥٥٨	٧
يزيد	يزيدكم	٥٥٩	١٣
وأشار	أشار	٥٦٧	٤
موجودة	موجود	٥٩٥	١٥
وباقية	وباقية	٦٢١	٢٥

السطر	الصفحة	الصواب	الخطأ
٦	٦٣١	نلتمس	نلتمس
١٩	٦٥٤	تشرق	تشرق
٥	٦٦٥	الهيولي	الهيولي
٢٢	٦٦٧	ابن	بن
٢٢	٦٦٧	والمتتبع	والمتتبع
٢	٦٦٩	سمى	سي
٣	٦٧٥	دلالة	دلالة
٥	٦٧١	المبددة	المبدد
٥	٦٧١	وتنتقى	وتنتقي
٧	٦٨٤	والشام	ولشام

